

# التيسيرُ في فهم التفسيرِ

د. محمود خالد الزهار

المجلد الثالث

من سورة هود إلى سورة الحج

الطبعة الأولى

٢٠٢١م - ١٤٤٣هـ

## المحتويات

٣	سورة هود
٦٢	سورة يوسف
١٢٠	سورة الرعد
١٤٩	سورة إبراهيم
١٧٦	سورة الحجر
٢٠٣	سورة النحل
٢٦١	سورة الإسراء
٣٢٤	سورة الكهف
٣٧٥	سورة مريم
٤٠٨	سورة طه
٤٥٣	سورة الأنبياء
٤٩٢	سورة الحج



### ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

سورة هود، من القرآن الذي نزل في مكة المكرمة، وجاء ترتيبها رقم (١١) في ترتيب نزول السور، وعدد آياتها (١٢٣)، وقد تضمنت الحديث عن أصول الدين العامة، وهي التوحيد، والرسالة، والبعث، والجزاء. جاء اسمها من اسم النبي هود عليه السلام، ليس لها اسم آخر، فقد تكرر الاسم خمس مرات فيها، وجاء فيها ذكر قومه.

### ﴿الر كِتَابٌ أَحْكَمْتُ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلْتُ مِنْ لَدُنِّ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ (١)

اعتمادًا على ما يقوله علماء النحو والبلاغة، وكما جاء في سور البقرة وآل عمران والأعراف ويونس، أن أصل الضمائر في الكلام أن تعود على متقدم في اللفظ والرتبة، ولا تعود على متأخر في اللفظ والرتبة، بمعنى: الاسم الذي سبق، وعليه فإن الحرفين ﴿ال﴾ والله أعلم تعني اسم الله ﷻ، كما جاء في سورة البقرة، وآل عمران، والأعراف، ويونس، ويعزز ذلك هنا ما جاء في الآية رقم (١) من هذه السورة: ﴿مِنْ لَدُنِّ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ وهنا يعود الضمير على ضمائر وصفات الله ﷻ، وأيضًا ما جاء بصريح الاسم في الآية رقم (٢) ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾، وأيضًا جاء في الآية رقم (٣) ﴿وَأَنْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾، والربُّ هنا هو الله، وفي الآية رقم (٤) بصريح الاسم ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ﴾، وجاء أيضًا في الآية رقم (٦) ﴿عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾، وما جاء في الآية رقم (٧) ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ والخالق هو الله ﷻ، وجاء أيضًا في آيات أخرى.

**حرف ﴿ر﴾:** أرى، والله أعلم، أنه يعني (رب)، ويعزز هذا ما جاء في الآية رقم (٣) بصريح الاسم: ﴿وَأَنْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾، وجاء في الآية (٤) ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ﴾، والله ﷻ هو ربُّ كلِّ شيءٍ ﴿كِتَابٌ﴾: هو القرآن الكريم، والنكرة تفيد العموم الشامل والتخيم والتعظيم، وهو ما يتناسب مع كتاب الله العظيم ﴿أَحْكَمْتُ آيَاتُهُ﴾: نُظِمَتْ آيَاتُهُ نَظْمًا مُحْكَمًا رَاصِنًا مِنَ اللَّهِ ﷻ، أُنْقِنَ اللَّفْظَ إِتْقَانًا كَامِلًا؛ فَأَوْضَحَ الْمَعْنَى الْمَقْصُودَ ﴿ثُمَّ﴾: تفيد هنا التتابع الزمني ولكن في الحال ﴿فُصِّلْتُ﴾: كانت فصولًا، سورة بعد سورة، آية بعد آية، وفُرِّقَتْ فِي التَّنْزِيلِ بِالْحِكْمَةِ، قَالَ مُجَاهِدٌ، وَقْتَادَةُ، وَابْنُ جَرِيرٍ: ثُمَّ وُضِّحَتِ الْمَعَانِي بِالتَّفْصِيلِ؛ فَاكْتَمَلَتِ الصُّورَةُ وَالْمَعْنَى ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ وبيان لتمييز النوع يفيد هنا ابتداء الغاية الكلية ﴿لَدُنِّ﴾: من عند

الله ﷻ **﴿حَكِيم﴾**: صاحب الصواب في أقواله وأفعاله التي تُحقق الغاية **﴿خَبِير﴾**: يعلم ما صار؛ فهذا ما قدره، وما سيصير، وكلُّ بإرادته ﷻ.

**﴿أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾ (٢)**

**﴿أَلَا﴾**: حرفٌ تنبيه **﴿تَعْبُدُوا﴾**: تطيعوا، وتتبعوا، وتحبوا **﴿إِلَّا﴾**: حرفٌ استثناءٍ منقطع **﴿اللَّهُ﴾**: لا تعبدوا سوى الله ﷻ، فُصِّلت وأُحكمت آيات القرآن الكريم، حتى تعبدوا الله وحده، لا أحد غيره **﴿إِنِّي﴾**: أنا بالتأكيد **﴿لَكُمْ﴾**: تخصيصٌ لكم. جاء هذا على لسان محمدٍ ﷺ وأتباعه والمؤمنين بدينه من بعده **﴿مِنْهُ﴾**: حرفٌ يفيد بداية الغاية **﴿نَذِيرٌ﴾**: مُحذِّراً لكم من عذابه ومخالفته **﴿وَ﴾**: أيضاً أنا لكم منه ﷻ **﴿بَشِيرٌ﴾**: مُبشِّرٌ بالثواب، والفوز للمطيعين له.

**﴿وَأَنْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ (٣)**

**﴿وَ﴾**: عطفاً على ما سبق **﴿أَنْ اسْتَغْفِرُوا﴾**: اطلبوا المغفرة والسماح من **﴿رَبِّكُمْ﴾**: هو ﷻ المعبود، والمُربي، وهو المنشئ لكلِّ شيءٍ في الكون من طورٍ إلى طورٍ إلى حدِّ التمام، وهو الخالق، والمالك، والعاطي، وكثيرُ الخير، والمُحيط، والمُدبِّر، والجابرُ لكسر البرايا، والثابت، والقريب، والجامع، والمصلح، والسيد. يذكر الحقُّ ﷻ أن الإنسان سيخطئ في حقِّ دينه، وباب التوبة مفتوح، ومفتاحه الاستغفار؛ أي طلب السماح والعفو من الله ﷻ، وهذا من أكبر الفضائل الربانية على الإنسان، عَنِ الشَّعْبِيِّ، أَنَّ عُمَرَ، خَرَجَ يَسْتَسْقِي، فَصَعِدَ الْمُنْبَرِ، فَقَالَ: **﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا، يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا، وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ، وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ، وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾**، ثُمَّ نَزَلَ، فَقِيلَ لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَوْ اسْتَسْقَيْتَ، فَقَالَ: «لَقَدْ طَلَبْتُ بِمَجَادِيحِ السَّمَاءِ الَّتِي يُسْتَنْزَلُ بِهَا الْقَطْرُ»<sup>(١)</sup> **﴿ثُمَّ﴾**: حرفٌ يفيد التتابع الزمني مع التباع غير السريع **﴿ثُوبُوا إِلَيْهِ﴾**: بعد أن تمحو الذنوب السابقة بالاستغفار، تأتي النية الصادقة والعمل على عدم تكرارها، بالتوبة في المستقبل، وإذا أطمعتم؛ كان تقديم الاستغفار على التوبة، لأن العبد لا يستغفر إلا إذا أدرك أنه أذنب، ولا يتوب العبد حتى يعلم أنه مذنب؛ وعندها يتوب **﴿يُمَتِّعْكُمْ﴾**: يجعلكم تتنعمون **﴿مَتَاعًا حَسَنًا﴾**: يرزقكم من نعمه ﷻ وفضله ما تستمتعون به من النساء، وما تُنجبون من الأولاد، وما تجمعون من المال وما تتنعمون من الصحّة في الدنيا **﴿إِلَىٰ أَجَلٍ﴾**: وقت حدّده ﷻ **﴿مُسَمًّى﴾**: متاعاً في الدنيا حتى الممات، ثم

(١) مصنف ابن أبي شيبة ٦١/٦ (٢٩٤٨٥). قال النووي في خلاصة الأحكام في مهمات السنن وقواعد الإسلام. ٨٨٠/٢: إسناده صحيح، لكنه مُرسل، لم يدرك الشَّعْبِيُّ عمر.

المتاع الدائم يوم القيامة، وهو خير وأبقى **﴿وَيُؤْتِ﴾**: أيضًا يُعطي **﴿كُلَّ﴾**: يفيد العموم **﴿ذِي﴾**: صاحب **﴿فَضْلٍ﴾**: الفضل هنا هو الأول يكون من العبد وهو العمل الحسن المقبول **﴿فَضْلَهُ﴾**: والفضل الثاني يأتي من الرب ﷻ وهو الجنة، يذكر الله ﷻ أجره؛ للترغيب فيه، فمن عمل سيئة كتبت سيئة عليه، ومن عمل حسنة نال عشر أمثالها، فإن عُوقب على السيئة في الدنيا بقيت له الحسنات العشر، ومن لم يُعاقب بها في الدنيا أخذ من حسناته واحدة، وبقي له تسعة، غُلب من غَلَبَ آحادهُ على أعشاره **﴿وَإِنْ﴾**: حرف تأكيد الفعل **﴿تَوَلَّوْا﴾**: الذين أعرضوا وذهبوا بعيدًا؛ مُكذِّبين ومعرضين **﴿فَإِنِّي﴾**: أنا الله بالتأكيد **﴿أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾**: الله ﷻ يُنذِرُ ويُهددُ بشدة **﴿عَذَابٍ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾**: يوم القيامة، هنا في هذه الآية غاية الرحمة والرفق والحبِّ من الله ﷻ لعباده، وأيضًا شدة التهديد والوعيد منه للمتولين المعرضين، وهذا من عدلِ الله ﷻ وفضله.

التكليف: هذه أسس أي نظام يحقق العدل في الدنيا، من أحسن أحسنت له الدولة، ومن أساء فالعقوبة التي يستحق.

**﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٤)**

**﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ﴾**: ستموتون أيها الناس، ومعادكم ومرجعكم إلى الله ﷻ يوم القيامة، لا يُعجزه إحياءكم، ولا بعثكم، ولا حسابكم **﴿وَهُوَ﴾**: الله ﷻ **﴿عَلَى كُلِّ﴾**: تفيد العموم **﴿شَيْءٍ﴾**: لأنها نكرة تفيد العموم **﴿قَدِيرٌ﴾**: قادرٌ بحقٍ على الإحسان إلى أوليائه، والانتقام من الكفار وأعدائه، القادرُ على بعثهم من مرقدهم، والقادرُ على حسابهم، وعقابهم، أو ثوابهم.

**﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَتَّبِعُونَ صُدُورَهُمْ لَيْسَتَّخَفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَعْفِفُونَ يُثَابَهُمْ بِغَلْمٍ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلَيْهِمْ بَدَاتِ الصُّدُورِ﴾ (٥)**

أسباب النزول: عن مُحَمَّدِ بْنِ عَبَّادِ بْنِ جَعْفَرٍ، أَنَّهُ سَمِعَ ابْنَ عَبَّاسٍ، يَقْرَأُ: **﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَتَّبِعُونَ صُدُورَهُمْ﴾** قَالَ: سَأَلْتُهُ عَنْهَا. فَقَالَ: «أَنَاسٌ كَانُوا يَسْتَحْيُونَ أَنْ يَتَخَلَّوْا فَيُفْضُوا إِلَى السَّمَاءِ، وَأَنْ يُجَامِعُوا نِسَاءَهُمْ فَيُفْضُوا إِلَى السَّمَاءِ فَنَزَلَ ذَلِكَ فِيهِمْ»<sup>(١)</sup>، **﴿أَلَا﴾**: حرفٌ غيرُ عاملٍ؛ يُفيدُ التنبيه والتحذير من سوء صنيعهم **﴿إِنَّهُمْ﴾**: هم بالتأكيد الذين عملوا السيئات **﴿يَتَّبِعُونَ﴾**: يطوونها، والمقصود هو النفاق **﴿صُدُورَهُمْ﴾**: لا يجعلونها مستقيمة؛ كناية عن قلوبهم التي في الصدور، وهي مراكز الوعي والإدراك **﴿ل﴾**: حرف يفيد السبب وعدم التأخير في التنفيذ **﴿يَسْتَخَفُّوْنَ مِنْهُ﴾**: بسبب أنهم يظنون أن ما يضمرون في قلوبهم يخفى على الله ﷻ؛ قال ابن

(١) صحيح البخاري ٧٣/٦ (٤٦٨١).

عباس: كان الذين يعملون السيئات يثنون صدورهم إذا قالوا أو عملوا عملاً سيئاً؛ ليستخفوا من الله؛ أي كانوا يحنون صدورهم ليكتموا ما فيها ﴿أَلَا حِينَ﴾: في وقت ﴿يَسْتَعْتَشُونَ ثِيَابَهُمْ﴾: عندما يغطون رؤوسهم وأجسادهم في ظلمة الليل مبالغة في الاستخفاء، المعنى هو إخفاء بكتم ما في القلوب ﴿يَعْلَمُ﴾: الله ﷻ ﴿مَا﴾: الذي ﴿يَسْرُونَ﴾: ما يقولون سرّاً في الليل ﴿وَمَا﴾: الذي ﴿يَعْلِنُونَ﴾: ويعلم الله ﷻ ما يعلنون من القول أو الفعل في النهار بألسنتهم ﴿إِنَّهُ﴾: هو ﷻ بالتأكيد ﴿عَلِيمٌ﴾: صاحب العلم الكلي ﴿بَدَاتِ﴾: طبيعة وكنه ونوع وجوهر ﴿الصُّدُورِ﴾: إنّه عليم بالقلوب التي هي في صدور الخلق وهي مراكز الضمائر، والنيات. التكليف: ذكر القرطبي والواحدي أنّها نزلت في الأخنس بن شريق، كان رجلاً حلو المنطق، يلقي رسول الله ﷺ بما يحب، وينطوي قلبه على ما يسوء.

﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (٦)

﴿وَمَا﴾: حرف نفي ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ وبيان لتمييز النوع يفيد هنا تقوية النفي ليكون أكثر شمولاً، بعضاً من عالم كبير ﴿دَابَّةٍ﴾: إنَّ كلَّ ما هو مخلوق يدبُّ ﴿فِي الْأَرْضِ﴾: صغيرها وكبيرها ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء منقطع ﴿عَلَى﴾: تفيد هنا الوجوب تفضلاً منه ﷻ ورحمة، فقد أوجب ﷻ على نفسه رزقها ﴿اللَّهُ رِزْقُهَا﴾: هو وحده ﷻ المتكفل برزقها ﴿وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا﴾: أيضاً يعلم حيث تأوي، قال ابن عباس: أين تأوي، وقال مجاهد: يعلم ما في رحم الأمهات، وقال ابن عباس المستقر هو الجنّة أو النار ﴿وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾: قال ابن عباس: القبر وهو المكان الذي تُدفن فيه إذا ماتت، وقيل وهي في صلب الرجل، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾، قَالَ: مُسْتَقَرَّهَا فِي الرَّجْمِ وَفِي الْأَرْضِ، وَمُسْتَوْدَعُهَا فِي الصُّلْبِ وَفِي الْأَرْضِ إِذَا دُفِنَ<sup>(١)</sup>، ﴿كُلٌّ﴾: جميع الخلق ﴿فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾: الكلّ مثبت في اللوح المحفوظ قبل أن يخلقها أطواراً. قد قدرها الله ﷻ يوم خلق السموات والأرض، وقدّر فيها كلّ شيء.

التكليف: تكفل الله ﷻ برزق كلِّ ما ومن دبَّ على الأرض، وعرف مصير كلِّ مخلوق. ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتُمْ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ (٧)

(١) التفسير من سنن سعيد بن منصور ٣٣٩/٥ (١٠٨٠).

﴿و﴾: عطفاً على ما سبق ﴿هُوَ﴾: ضمير منفصل مرفوع للغائب المفرد المذكر، يعني هنا الله ﷻ ﴿الَّذِي﴾: اسمٌ موصولٌ هنا للفرد الواحد الأحد، الفرد، الصمد، ﷻ ﴿خَلَقَ﴾: أوجد من غير سابق مثال ﴿السَّمَاوَاتِ﴾: هي كلٌّ من علا الأرض، أحاط بها؛ لكونها ببيضاوية الشكل ﴿وَالْأَرْضِ﴾: يُخبر الله ﷻ: أيضاً أنه خلق السماوات والأرض ﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾: خلقها من عدم، ومن غير سابق وجود لها، في ستة أيام، قال ﷻ: كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ، وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلِّ شَيْءٍ، وَخَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ<sup>(١)</sup>، ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ﴾: هو ارتفاع المكان، وهذا قبل خلق السماوات والأرض ﴿عَلَى الْمَاءِ﴾: قال ابن عباس: على متن الرياح دون جدالٍ أو تكليف ﴿ل﴾: حرف علةٍ وسببٍ. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: مَا أَنْفَقَ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَغِضْ مَا فِي يَدِهِ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ، وَبِيَدِهِ الْمِيزَانَ يَخْفِضُ وَيَرْفَعُ<sup>(٢)</sup>، ﴿بَيْنَلَوْكُمْ﴾: كي يختبر الله ﷻ خلقه ﴿أَيْكُمْ﴾: استفسار عن منكم ﴿أَحْسَنُ﴾: الأطوع لله ﷻ، والأكثر ورعاً عن المحارم ﴿عَمَلًا﴾: يعرف الله ﷻ من يعبده، ولا يشرك به شيئاً، كمال العمل وليس أكثره، ويكون أحسن إذا كان خالصاً لله ﷻ، وفق شريعته ﷻ ﴿وَلْتَن﴾: حرف يفيد الشرط والسبب إذا ﴿قُلْتَ إِنَّكُمْ﴾: بالتأكيد ﴿مَنْبِعُوثُونَ﴾: ستيحون من جديد على الوجه الذي شاء الله ﷻ ﴿مَنْ﴾: حرف جرٍ يفيد بيان النوع وبداية الغاية المكانية ﴿بَعْدَ الْمَوْتِ﴾: إذا أخبرتهم يا محمد وقلت أنكم ستبعثون من بعد الموت؛ فإن شكوا في ذلك فعليهم أن يتذكروا أن الله ﷻ خلق الكون، وأن يوم البعث أهون عليه ﴿ل﴾: حرف يفيد السبب ﴿يَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: يقولون بالتأكيد ﴿إِنَّ﴾: ما ﴿هَذَا﴾: آيات الله ﷻ ﴿الْأ﴾: حرف استثناءٍ منقطعٍ ﴿سِحْرٌ﴾: شعوذة ساحرٍ ﴿مُبِينٌ﴾: واضحٌ ومكشوفٌ، الأساس في الموقف هو الكفر والعناد، وأما القول فهو تعبيرٌ عن كفرهم.

التكليف: هذه قضية كبيرة جداً، وتحتها قضايا أصغر، والموقف من الكافرين واحداً، كبرت القضية أو صغرت، فإذا جاء مُصلحٌ، وقال إن الأمة الإسلامية ستسود الدنيا بفضل الله ﷻ، قالوا: هذا مستحيل، وإذا قال بزوال أنظمة الظلم في العالم أجمع، قالوا مثل ما قال الذين من قبلهم: هذا توهمٌ كبيرٌ.

(١) صحيح البخاري / ٤/ ١٠٥ (٣١٩١).

(٢) صحيح البخاري / ٦/ ٧٣ (٤٦٨٤).

﴿وَلَنْ أَخْرَنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَّغْدُودَةٍ لَّيْقُولَنَّ مَا يُحْسِبُهَا آلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ (٨)

﴿وَلَنْ﴾: أيضًا جاء هنا حرفُ شرطٍ، بمعنى إذا ﴿أَخْرَنَا﴾: أخلصنا عن الموعد المعروف ﴿عَنْهُمْ الْعَذَابَ﴾: إذا أحرَّ الله ﷻ المؤاخذة والعقاب ﴿إِلَىٰ أُمَّةٍ﴾: إلى حين، وفيها معانٍ: جاء اللفظ القرآني "أُمَّة" على تسعة أوجه؛ هنا بمعنى سنين؛ أي مدة زمنية، كما جاء: ﴿وَأَدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ [يوسف-٤٥]، وجاءت في قوله ﷻ ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَكُمَّ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة-١٣٤] بمعنى طائفة أو عصابة، وجاءت بمعنى الإمام القائد؛ قال ﷻ: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ [النحل-١٢٠] وبمعنى الجماعة؛ قال ﷻ: ﴿وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ﴾ [القصص-٢٣]، وبمعنى الفرقة أو الطائفة: ﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهُودُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف-١٥٩]. ﴿مَّغْدُودَةٍ﴾: محدّدة بوقت ﴿ل﴾: حرف علّة وسبب ﴿يَقُولَنَّ﴾: استهزاء وتكذيبًا واستعجالًا، بالتأكيد سيقول الكفار ليقينهم أنّ العقاب آتٍ ﴿مَا﴾: حرف نفي ﴿يُحْسِبُهَا﴾: أي شيء يمنعه من النزول؟ استعجالًا له؛ بهدف الاستهزاء والتكذيب ﴿آلَا﴾: حرف تنبيه ﴿يَوْمَ يَأْتِيهِمْ﴾: يحلُّ بهم ويصيبهم ﴿لَيْسَ﴾: فعل ماضٍ يفيد النفي ﴿مَصْرُوفًا عَنْهُمْ﴾: إذا جاء العذاب لا يمنعه، ولا يصدّه، ولا يردّه أحد ﴿و﴾: عطفاً على هذا ﴿حَاقَ بِهِمْ﴾: أصابهم، وألمَّ بهم، وقع عليهم لا محالة ﴿مَا﴾: الذي ﴿كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾: ما أنكروا وقوعه لعدم توافر الإمكانيات عند المؤمنين، وقد أغفلوا قدرة الله ﷻ.

﴿وَلَنْ أَدْفِنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَكْفُرُ﴾ (٩)

﴿وَلَنْ﴾: حرفٌ يفيد الشرط والسبب تظهر هذه الآية بعض الصفات الذميمة بذكر المساوي وهي عكس المدح لابن آدم ﴿أَدْفِنَا﴾: إذا أعطينا ﴿الْإِنْسَانَ﴾: من بني آدم، وتشمل كلّ إنسانٍ مؤمنٍ أو كافرٍ، وإن شملت هنا الوليد بن المغيرة وعبد الله بن أبي ﴿مِنَّا﴾: من لدننا، حرفٌ يفيد بداية الغاية الكلية، وهي من الله ﷻ ﴿رَحْمَةً﴾: نعمة من صحّة أو رزقًا، أو جاهًا، أو ولدًا، أو حكمًا، أو علمًا، أو كلّ ذلك أو بعضه ﴿ثُمَّ﴾: يفيد التتابع مع التباعد الزمني والتراخي ﴿نَزَعْنَاهَا﴾: أخذناها منه بالقوة ﴿مِنْهُ﴾: بالتأكيد بقوة ما أعطينا؛ لوجدناه ﴿إِنَّهُ﴾: هو بالتأكيد ﴿ل﴾: حرف علّة وسبب ﴿يَكْفُرُ﴾: شديد اليأس والقنوط، فاقد الأمل ﴿كْفُورٌ﴾: كثير الكفران للنعم جاحد ومنكر نعم الله ﷻ عليه.

﴿وَلَنْ أَدْفِنَاهُ نِعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَاءٍ مَّسْتَه لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ﴾ (١٠)



﴿وَلَنْ﴾: حرف شرطٍ وسببٍ، بمعنى إذا ﴿أَذْفَنَاهُ﴾: رزقناه ما يتتعم به ﴿نِعْمَاءَ﴾: خيرًا ونعمة بسطنا للإنسان في دنياه ووسعنا عليه في رزقه ﴿بِعَدَّ ضَرَاءَ﴾: من بعد نائبة، أو نكبة، أو نقمة وضرر ﴿مَسْتَهُ﴾: أصابته بعمق في النفس أو الولد أو المال وغيرها ﴿لَنْ﴾: حرف علّةٍ وسببٍ ﴿يَقُولَنَّ﴾: يقول بتأكيدٍ نابعٍ من رغبةٍ وليس بحقيقي ﴿ذَهَبَ﴾: مضت وانقضت ﴿السَّيِّئَاتِ عَنِّي﴾: ذهب الضُرُّ للأبد ولن يعود، لا ضيم ولا ضرر بعدها، ولا شكر لله والسبب ﴿إِنَّهُ﴾: هو بالتأكيد ﴿لَفَرِحَ﴾: جاء اللفظ القرآني "الفرح" هنا بمعنى السرور والبطر؛ أي يفرح بما في يده ﴿فَخُورٌ﴾: يُباهي، ويُفاخر على غيره، إنه بطران، متناول على الخلق، هذا ليس حال الإنسان العادي فقط، ولكن تكون الأضرار الكبيرة إذا كان هذا الفرح من قيادات الدول التي تحكم الشعوب بهذه الصفات السيئة.

﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ (١١)

﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء منقطع بمعنى لكن ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ للجمع، يُستثنى من هذه الصفات الذميمة التي جاءت في الآية السابقة أصحاب الفرح والفخر في الآخرة الذين ﴿صَبَرُوا﴾: رضوا بما أصابهم، وصبروا على الشدائد والمكاره من السجن، والإبعاد، والقتل، والتدمير، والتخوين إيمانًا بالله ﷻ، واحتسابًا للأجر والثواب ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾: أيضًا ألمت بهم شدة صبروا، وإن نالوا نعمة شكروا، واستمروا في فعل الخير، وأهمها العبادة في الرخاء، والعافية، وفي المصائب ﴿أُولَئِكَ﴾: اسم إشارة للقريب والبعيد للجمع ﴿لَهُمْ﴾: تخصيصًا ﴿مَغْفِرَةٌ﴾: جزاء الصبر على الشدائد مغفرة الذنوب ﴿وَأَجْرٌ﴾: ثواب ﴿كَبِيرٌ﴾: على ما أسلفوا من عملٍ في زمن الرخاء.

التكليف: عَنِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، رَوَى النَّبِيُّ ﷺ، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَا مِنْ مُصِيبَةٍ تُصِيبُ الْمُسْلِمَ إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا عَنْهُ، حَتَّى الشُّوْكَةُ يُشَاكُهَا<sup>(١)</sup>؛ ويدل الحديث على فضيلة الشكر والقبول في العسر واليسر والمنشط والمكره.

﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضٌ مَّا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ كُتُبٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ (١٢)

﴿فَلَعَلَّكَ﴾: حرف طمعٍ وإشفاقٍ من المخاطب وهو الله ﷻ إلى المخاطب، وهو رسول الله ﷺ فيها استفهام، ومعناها هنا يظن الناس بك ذلك، وقيل إنها من الله ﷻ تفيد واجب الحدوث ﴿تَارِكٌ﴾: لا تعمل بـ ﴿بَعْضٌ﴾: جزء ﴿مَّا﴾: الذي ﴿يُوحَىٰ﴾: ينزل على الرسول ﷺ وحياً

(١) صحيح البخاري ١١٤/٧ (٥٦٤٠).

﴿إِنَّكَ﴾: يخبر الله ﷻ نبيه ﷺ ألا يترك شيئاً مما أوصى به، بسبب تعنت الكفار وافتراءاتهم، وجاءت في مواضع بمعنى كي تترك سب آلهتهم ﴿وَضَائِقُ﴾: كناية عن عدم الرضا أيضاً بأن تتلوه عليهم ﴿بِهِ صَدْرُكَ﴾: الذي فيه قلبك، مركز الوعي والإدراك؛ أو لأجل ﴿أَنْ يَقُولُوا﴾: يصعب عليك ما يقولونه عليك، من افتراءات، وأكاذيب، وتترك بعض ما أمرك الله ﷻ به، ويضيق به صدرك، كما يطلبون منك المعجزات، مثل قولهم ﴿لَوْلَا﴾: تفيد التخصيص أو الدلالة على فعل ﴿أَنْزَلَ عَلَيْهِ﴾: جاءه من السماء ﴿كَنْزٌ﴾: هذا ما قاله الكفار؛ ليكون دليلاً على نبوته ﴿أَوْ﴾: يفيد التسوية هنا بين نزول الكنز أو ﴿جَاءَ مَعَهُ﴾: مع النبي ﴿مَلَكٌ﴾: وهذا طلب مُعْجَز؛ حتى يشككوا في نبوته ﴿إِنَّمَا﴾: حرفٌ يُفِيدُ التحديد والتخصيص، وتُفِيدُ هنا القصر بمعنى أن عليك الإنذار فقط، وأما هداية القلوب فهي من الله ﷻ ﴿أَنْتَ نَذِيرٌ﴾: فاعلم أن هذه مهمة النبي ﷺ، أن يُنذِرَ من شرٍ يُصِيبُ الكفار في الدنيا، ومن عذاب جهنم في الآخرة غير مبالٍ بما يقولون ولا بما هو آتٍ بما يقترحون أسوة بإخوانك من الرسل قبلك؛ فقد كُذِّبُوا وأوذوا فصبروا حتى أتاهم نصر الله ﷻ ﴿و﴾: عطفاً على هذا اعلم أن ﴿اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ﴾: تفيد العموم ﴿شَيْءٍ﴾: جاءت بصيغة النكرة لتفيد العموم ﴿وَكَيْلٌ﴾: رقيب قائم به، حافظه، يتكفل بدعوته ونصرة أنبيائه كما حدث مع كل الأنبياء.

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَضَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (١٣)

﴿أَمْ﴾: بمعنى بل ﴿يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾: يقول هؤلاء المشركون من أهل مكة أن الرسول ﷺ اختلق هذا القرآن ﴿قُلْ﴾: أخبرهم يا محمد ﷺ ﴿ف﴾: حرفٌ يفيد السبب بهدف ترتيب الأمر ويفيد سرعة التنفيذ ﴿أَتُوا﴾: هاتوا ﴿ب﴾: باء السببية ﴿عَشْرٍ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ﴾: ينقل الله ﷻ أسلوب التحدي بين الرسول والكفار الذين يقولون إن الرسول ﷺ جاء بالقرآن من عنده، فتحداهم من الأصعب إلى الأسهل؛ أن يطلب منهم الرسول أن يأتيوا بشيءٍ كبيرٍ، عشرٍ سورٍ، ثم يُقلل العدد ويطلب من الكفار أن يأتيوا بسورةٍ، ولن يستطيعوا؛ لأن كلام الله ﷻ ليس ككلام البشر، فتحداهم أن يأتيوا بمثله ﴿و﴾: عطفاً على ما سبق ﴿ادْعُوا﴾: استعينوا، وتعاونوا مع ﴿مَنْ﴾: هذا الذي ﴿اسْتَضَعْتُمْ﴾: الذين يقدرين على مساندةكم ﴿مِنْ﴾: حرفٌ جرٌّ يفيد بيان النوع وبداية الغاية المكانية ﴿دُونِ اللَّهِ﴾: غير الله ﷻ، الطلبُ هو مبالغةٌ في التحدي؛ يأمر الله ﷻ رسوله ﷺ أن يطلب من الكفار أن يستعينوا بمن يريدون من الفُصحاء وأهل اللغة، والأمر مفتوحٌ أمامهم؛ أجبوا كل من تستطيعون ﴿إِنْ﴾: حرف شرط ﴿كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾: هذه

نتيجة التحدي القرآني لهم، إنكم كاذبون، وأن ما أنزل على محمد ﷺ لن يستطيع أحد أن يأتي بسورة مثله، فأمنوا أو انتظروا عذاب الله ﷻ.

التكليف: جاء التحدي هنا بين الرسول ﷺ والكفار على مراحل عدة: منها أن يأتوا بسورة واحدة في قوله ﷻ: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [يونس-٣٨] وأن يأتوا بعشر سور كما في قوله ﷻ: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [هود-١٣] وأن يأتوا بالقرآن كله كما جاء في قوله ﷻ: ﴿قُلْ لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً﴾ [الإسراء-٨٨]

﴿فَالَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾  
(١٤)

﴿فَالَمْ﴾: أداة استفهام مركبة، بمعنى "إن" "لم" ﴿يَسْتَجِيبُوا﴾: الاستجابة هنا جاءت بمعنى الإجابة جاء الحرفان السين والتاء للتأكيد، يوافق هؤلاء المشركون على طلب ﴿لَكُمْ﴾: تخصيصاً، جاءت بصيغة الجمع والمقصود هو الرسول ﷺ إذا فشلوا في اختلاق سورة؛ وعجزوا، وهذا أمر مؤكد ﴿ف﴾: حرف سبب بهدف ترتيب الأمر ويفيد سرعة التنفيذ ﴿اعْلَمُوا﴾: يقيناً وهو للمؤمنين وللكافرين ﴿أَنَّمَا﴾: أداة حصر تُفيد هنا أن هذا القرآن بالتأكيد ﴿أُنزِلَ﴾: وحياً من السماء ﴿ب﴾: باء السببية؛ بمعنى من ﴿عِلْمِ اللَّهِ﴾: فيه علم الله ﷻ، فتأكدوا وتيقنوا بعد فشلهم أن الكلام هو كلام الله ﷻ بعلمه، ومن علمه ﴿وَأَنْ لَا﴾: حرف نفي ﴿إِلَه﴾ معبود بحق ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿هُوَ﴾: ضمير منفصل مرفوع للغائب المفرد المذكور، ويعني هنا الله ﷻ ﴿فَهَلْ﴾: لفظ استفهام بمعنى الأمر ﴿أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾: عليكم أن تسلموا، ماذا بقي للكفار من حُجج؟ يُسلمون أم يُكابرون

التكليف: إن المناظرات منهج توضيح الحقيقة ودائماً يخسر المبطلون، ومع ذلك لا يتوبون.  
﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفٍ إِلَيْهِمْ أَعْمَالُهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾ (١٥)  
﴿مَنْ﴾: الذي من جنس العاقل ﴿كَانَ يُرِيدُ﴾: يرغب فيها دون غيرها ﴿الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾: الصنف الذي يريد متاع حياته في الدنيا، ويقدمها على الآخرة ﴿و﴾: أيضاً يريد ﴿زِينَتَهَا﴾: المتع الفانية ﴿نُوفٍ﴾: نزد ونضاعف ﴿إِلَيْهِمْ أَعْمَالُهُمْ فِيهَا﴾: نعطيهم من رزق الله ﷻ ما نشاء من حسناتهم في الدنيا، دون ظلم، فإن صاموا، أو صلوا، أو عملوا برجاء المدح في

الدنيا؛ يأخذوا ثواب المدح والثناء في الدنيا ﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿هُم﴾: تحديدًا  
﴿فِيهَا﴾: في الدنيا ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يُبْخَسُونَ﴾: البخس هو نقص الشيء على سبيل  
الظلم؛ أي لا يُنقص مما أرادوه في الدنيا من شيء، هذا صنّف من النَّاسِ يعيش للدنيا.  
﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾  
(١٦)

﴿أُولَئِكَ﴾: إشارة للقريب والبعيد، هم أهل الدنيا، الذين يعملون فيها، ويرجون أجرهم فيها  
﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع من ﴿لَيْسَ﴾: فعل ماضٍ يفيد النفي ﴿لَهُمْ﴾: ما يملكون  
﴿فِي الْآخِرَةِ﴾: يوم القيامة ﴿إِلَّا﴾: حرفٌ استثناء ﴿النَّارُ﴾: نار جهنم يُقاسون حرّها، وعندما  
يموتون لا يُثابون على عملٍ أخذوا ثمنه في الدنيا، فيكون مصيرهم النَّارَ فقط ﴿و﴾: عطفًا  
على هذا ﴿حَبِطَ﴾: كُبر عملهم في الدنيا، وانتفخ انتفاخ مرض، وفسد ثواب وأجر ﴿مَا﴾:  
الذي ﴿صَنَعُوا﴾: اقترفوا ﴿فِيهَا﴾: أعمالهم في الحياة الدنيا التي بدت أعمال خير ﴿وَبَاطِلٌ﴾:  
أيضًا فاسدًا، وبلا أجر، أو ثواب ﴿مَا كَانُوا﴾: الذي في السابق ﴿يَعْمَلُونَ﴾: إنَّ كلَّ ما عملوا  
من باطلٍ، ذهب بلا ثمن، في هذا الصنف قال أنس والحسن: هم اليهود والنصارى، وقال  
مجاهد: أهل الرياء، وقال قتادة: من كانت الدنيا همّه، ونيته، ومطلبه، وفي المقابل فإنَّ  
المؤمن يُجازى بحسناته في الدنيا ويثابُ عليها في الآخرة جاء في المعنى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ  
حَرْثَ الْآخِرَةِ نَرَدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ  
نَصِيبٍ﴾ [الشورى - ٢٠].

﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابٌ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَئِكَ  
يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ  
وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (١٧)

﴿أَفَمَنْ﴾: اسم موصول يفيد الاستفهام والاستتكار، بمعنى هل يستوي مَنْ ﴿كَانَ﴾: تعود  
الضمائر هنا على النبي محمد ﷺ وعلى كلِّ مؤمنٍ صادق الإيمان في الحياة الدنيا، الذي  
﴿عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾: حُجَّة وبصيرة وضوح كاملٍ بالأدلة والبراهين ﴿مِنْ﴾: حرف جرٍ يفيد النوع  
وابتغاء الغاية الزمانية والمكانية، ويفيد جزءًا أو بعضًا ﴿رَبِّهِ﴾: من مالك أمره كله، هو المؤمن  
الذي آمن بالبرهان والدليل القاطع، فعن أَبِي هُرَيْرَةَ ؓ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ  
عَلَىٰ الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنصِّرَانِهِ، أَوْ يمجسانِهِ، كَمَا تُنْتَجُ الْبَيْهَمَةُ بِبَيْهَمَةٍ جَمْعَاءَ، هَلْ

تُحْسِنُونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءٍ<sup>(١)</sup>، لقد خلق الله ﷻ عباده على الدين الحنيف، تأتيهم الشياطين فتأخذهم عن دينهم وتُحَرِّم عليهم الحلال، وتحلل لهم الحرام، ويبقى المؤمن على فطرته **﴿وَيَتْلُوهُ﴾**: أيضًا يقرأه بوضوح **﴿شَاهِدٌ مِنْهُ﴾**: الشاهد هو إعجاز نظمه، وأيضًا الشاهد هو جبريل عليه السلام، بما أوحى الله ﷻ إلى رسله من شرائع، والتي اختتمها ﷺ بمحمد ﷺ قال علي، والحسن، وقتادة، وابن عباس، ومجاهد: الشاهد هو جبريل عليه السلام، ما يجمع بين جبريل ومحمد، عليهما السلام، والشاهد هو القرآن الكريم **﴿وَمِنْ﴾**: حرف يُفيد بداية الغاية الزمانية **﴿قَبْلَهُ﴾**: قبل القرآن الكريم **﴿كِتَابٌ مُوسَى﴾**: وهي التوراة، التي أنزلت على موسى عليه السلام، قبل محمد ﷺ **﴿إِمَامًا﴾**: قدوة للمؤمنين **﴿وَرَحْمَةً﴾**: أيضًا يرحم الله ﷻ بها المؤمنين **﴿أُولَئِكَ﴾**: إشارة للقريب والبعيد **﴿يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾**: الإيمان بالقرآن، كتاب الله ﷻ أنزل على محمد ﷺ، والوحي هو جبريل عليه السلام **﴿وَمَنْ﴾**: والذي من جنس العاقل **﴿يَكْفُرُ بِهِ﴾**: من يُنكِرُ ويخفي حقيقة فضل القرآن الكريم **﴿مِنَ الْأَحْزَابِ﴾**: الجماعات الكافرة **﴿ف﴾**: يفيد ربط الجواب لجواب الشرط **﴿النَّارَ مَوْعِدُهُ﴾**: جهنم تنتظر حضوره، إن مصيره، ومآله في الآخرة **﴿فَلَا﴾**: أداه نهى تُفيد طلب عدم الفعل **﴿تَك﴾**: تكون **﴿فِي مَرِيَّةٍ﴾**: شك وتوجس **﴿مِنْهُ﴾**: لا تشك في القرآن الكريم؛ فهذا **﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾** [السجدة-٢] **﴿إِنَّهُ﴾**: هو بالتأكيد **﴿الْحَقُّ﴾**: العدل والصدق **﴿مِنْ﴾**: حرف جر يفيد النوع وابتغاء الغاية الزمانية والمكانية، ويفيد هنا الغاية الكلية **﴿رَبِّكَ﴾**: والربُّ هو المنشئ لهذا الكون البديع **﴿وَ﴾**: عطفاً على هذا **﴿لَكِنَّ﴾**: عطفاً واستدراكاً **﴿أَكْثَرُ﴾**: الغالبية من **﴿النَّاسِ﴾**: بني آدم **﴿لَا﴾**: حرف نفي **﴿يُؤْمِنُونَ﴾**: يُصدقون بالدين، وهذا ما هو حادثٌ، فعدد سكان العالم سبعة مليار وثمان ألاف وست وخمسون مليون نسمة، في إحصائية عام ٢٠٢٠م، بينما عدد المسلمين فيهم لا يزيد عن (٣٠) %، منهم المؤمن الحق، ومنهم العاصي، والشيعوي، والعلماني، والجاهل.

**﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ (١٨)**

**﴿وَ﴾**: عطفاً على ما سبق **﴿مَنْ﴾**: الذي من جنس العاقل، لا أحد **﴿أَظْلَمُ﴾**: لا أحد أشدُّ ظلمًا **﴿مِمَّنِ﴾**: من الذي من جنس العاقل **﴿افْتَرَى﴾**: الذي ادعى **﴿عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾**: ونسب الكلام لله ﷻ، أو خرج عن معناه قصداً، وأكثرهم من شيوخ السلاطين من قولهم لأصنامهم: هؤلاء شفعاؤنا عند الله، وقولهم الملائكة بنات الله، ونحو ذلك **﴿أُولَئِكَ﴾**: إشارة للقريب والبعيد

(١) صحيح البخاري ٩٤/٢ (١٣٥٨).

﴿يُعْرَضُونَ﴾: يمرُّون ويَقفون للحساب يوم القيامة ﴿عَلَى رَبِّهِمْ﴾: سيُعرض هؤلاء على الله ﷻ، المُعبود، والمُربي، وهو المنشئ لهذا الكون البديع إلى حدِّ التمام، وهو تعالى الخالق، والمالك، والعاطي، وكثيرُ الخير، والمُحيط، والمُدبِّر، والجابرُ لكسر البرايا، والثابت، والقريب، والجامع، والمصلح، والسيدُ في الآخرة كما كان في الدنيا، يوم القيامة؛ ليحاسبهم على أعمالهم. قال ﷻ: إِنَّ اللَّهَ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ، فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ، فَيَقُولُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا، أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ أَيُّ رَبِّ، حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ، وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ، قَالَ: سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ، فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ وَالْمُنَافِقُونَ، فَيَقُولُ الْأَشْهَادُ: ﴿هُؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [هود-١٨] (١)، ﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿يَقُولُ الْأَشْهَادُ﴾: قال ابن عباس: إنَّهم الأنبياء والرسل. وقال قتادة الخلائق كلُّهم ويدخل في ذلك الملائكة، والعلماء؛ الذين بلغوا ما أمرهم الله ﷻ بإبلاغ ﴿هُؤُلَاءِ﴾: المُعرضين ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع من ﴿كَذَبُوا﴾: الكفار والمنافقين وليس في المؤمنين؛ لأن الله ﷻ يستر على المؤمنين ذنوبهم في الدنيا ويسترها يوم القيامة ﴿عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا﴾: حرفٌ يفيد التنبيه، انتبهوا إنَّ ﴿لَعْنَةُ اللَّهِ﴾: غضبه ﷻ واقعٌ ﴿عَلَى الظَّالِمِينَ﴾: هو قول الله في القرآن، ونصيبهم في الآخرة الطرد من رحمته ﷻ.

التكليف: ما أكثر الذين يفترون على الله ﷻ الكذب في هذا الزمان، من المسلمين، الذين يُحللون قتل المسلمين، وسرقة أموالهم، ويؤيدون الحكام الظلمين، ويطوِّعون لهم آيات القرآن الكريم.

﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ (١٩)

﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع من ﴿يَصُدُّونَ﴾: يمنعون ويردون النَّاسَ ﴿عَنِ﴾: حرفٌ جرٌّ يفيد المجاوزة ﴿سَبِيلِ اللَّهِ﴾: عن دين الله، وعن الدخول فيه، ورفض الهداية والصرط المستقيم ﴿وَيَبْغُونَهَا﴾: عطفًا على صَدَّهم يريدون أن تكون حياة النَّاسِ ﴿عِوَجًا﴾: غير سويَّة، غير معتدلة، مناقضة لما أَراده الله ﷻ ﴿وَهُمْ﴾: حرفٌ تنبيهٌ وإشارةٌ للجمع المذكور، تحديداً ﴿بِ﴾: بآء السببية ﴿الْآخِرَةِ﴾: بما سيكون يوم القيامة من حساب ﴿هُم كَافِرُونَ﴾: يكذبون بيوم القيامة، ويغطون ويخفون الحقائق، ومنها إنكار وقوع القيامة، وما أكثر رجال الإعلام والذين يُسمَّون أنفسهم مثقفين، ورجال دين مرتزقة، وقيادات، وأحزاب؛ تتخفى تحت أسماء

(١) صحيح البخاري ١٢٨/٣ (٢٤٤١).

الديمقراطية، والعلمانية، والتقدمية، ومحاربي الرجعية، والمتورين إن أجنحة الكفر متعددة وكلها تقود إلى فساد الدنيا وخسارة الآخرة.

﴿أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾ (٢٠)

﴿أُولَئِكَ﴾: الذين جاء وصفهم من القريب والبعيد، أصحاب افتراء الكذب على الله ﷻ، وأصحاب الصدِّ عن سبيله ﷻ ﴿لَمْ﴾: حرف جزم ينفي الفعل المضارع ﴿يَكُونُوا﴾: لا في الحياة الدنيا ولا في الآخرة ﴿مُعْجِزِينَ﴾: هاربين في حصن من بطش الله ﷻ بهم، والحقيقة أنهم تحت قهر الله ﷻ وغلبته، وفي قبضته، وسلطانه، وهو ﷻ قادرٌ على الانتقام منهم، لا يمنعه شيء، ولا يحميهم مكانٌ ﴿فِي الْأَرْضِ﴾: التي مساحتها (٥١٠) ملايين كيلومتر مربع ﴿وَمَا﴾: أيضًا هنا نفي ﴿كَانَ﴾: في الحياة الدنيا ﴿لَهُمْ﴾: تخصيصًا وتمليغًا ﴿مِنْ﴾: حرف جرٍ يفيد النوع وابتغاء الغاية الزمانية والمكانية، ويفيد هنا الغاية الكلية ﴿دُونِ اللَّهِ﴾: غير الله ﷻ ﴿مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾: ليس لهم من ناصر، أو محب، أو مُعين ﴿يُضَاعَفُ﴾: يزيد الله ﷻ ﴿لَهُمْ﴾: تخصيصًا ﴿الْعَذَابِ﴾: في عذابهم ويضاعفه عليهم ﴿مَا كَانُوا﴾: في الحياة الدنيا ﴿يَسْتَطِيعُونَ﴾: يقدرون على ﴿السَّمْعَ﴾: جاء لفظ السمع في القرآن الكريم على وجهين؛ هنا بمعنى سمع القلب؛ أي فهم القرآن، وإدراك معانيه ومقاصده كما في ﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنِ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ [الكهف-١٠١] كان الكفار يسمعون ولكنهم لا يفقهون، كان على آذانهم وقرًا، ولم يُحقق لهم السمع إيمانًا ﴿وَمَا كَانُوا﴾: أيضًا ما كانوا في الحياة الدنيا ﴿يُبْصِرُونَ﴾: كانوا يرون وكانهم لا يرون الحق؛ فلم يؤمنوا، لم ينفعهم بصرهم؛ فلم يهتدوا إلى الذين الحق.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ (٢١)

﴿أُولَئِكَ﴾: إشارة للقريب والبعيد ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ ﴿خَسِرُوا﴾: ضيعوا ﴿أَنفُسَهُمْ﴾: وهي جوهر وجودهم؛ أوردوها النار، يُعَذَّبُونَ عذابًا لا يفتر، جاء في المعنى ﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدَانُهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسراء-٩٧] ﴿و﴾: عطفًا على خسران أنفسهم ﴿ضَلَّ﴾: تاه وذهب ﴿عَنْهُمْ﴾: منهم ﴿مَا﴾: الذي ﴿كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾: ما أدعوه كذبًا من آلهة اخترعوها، افتراءً من الأنداد والأصنام، فلم تنفعهم؛ بل ضرَّتْهم، بل انقلبت عليهم، جاء في المعنى: ﴿كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ [مريم-٨٢].

﴿لَا جَرَمَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْأَخْسَرُونَ﴾ (٢٢)

﴿لَا جَرَمَ﴾: لا بد، لا محالة، ليس هناك أدنى شكٍ، حقٌّ، وثبتت، لا بصيص أمل، أي حقٌّ  
﴿أَنَّهُمْ﴾: حرفُ تأكيدٍ ونفي الشكِّ، بمعنى أَنَّهُمْ أَكْثَرُ النَّاسِ خَسْرَانًا، هم الكفَّار والمَلحدون  
﴿فِي الْآخِرَةِ﴾: يوم القيامة ﴿هُمُ﴾: ضميرٌ منفصلٌ مرفوعٌ للجمع المذكر والمؤنث الغائب؛  
للتحديد والتخصيص والتأكيد ﴿الْأَخْسَرُونَ﴾: هم الأكثرُ خسارة، الذين بدلوا جنةَ الله ﷻ  
بجحيمٍ آن، وبدلوا طعام الجنة بطعام من غسليين، وبدلوا القصور العالية بنايرٍ حاميةٍ.  
﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا  
خَالِدُونَ﴾ (٢٣)

﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ ﴿آمَنُوا﴾:  
جاء ذكر الأشقياء في الآيات السابقة، وهنا جاء ذكر السُّعداء؛ الذين آمنوا بالله ﷻ،  
وملائكته، وكتبه، ورسله ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾: أيضًا طبقوا ما أمرهم الله ﷻ بعمله من  
عبادات، ومعاملات ﴿وَقَوْ﴾: عطفًا على إيمانهم ﴿أَخْبَتُوا﴾: استسلموا واطمأنوا، وخشعوا،  
وضعفوا لله ﷻ ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَٰئِكَ﴾: اسمٌ موصولٌ للقريب والبعيد ﴿أَصْحَابُ﴾: المقيمون  
الملازمون دومًا في ﴿الْجَنَّةِ﴾: الذين يعيشون في العُرف العالية، أصحابُ القُطوف الداني  
ثمارها، وبصحبة الحور العين، وطعام الفواكه، والنظر إلى الخالق العظيم، ﴿هُمُ﴾: ضميرٌ  
منفصلٌ مرفوعٌ للجمع المذكر والمؤنث الغائب؛ للتحديد والتخصيص والتأكيد ﴿فِيهَا خَالِدُونَ﴾:  
لا يموتون، ولا يعرقون، ولا يفرزون بولًا، ولا غائط، ولا بصاقًا، وعرقهم مسك، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ  
رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ عَلَىٰ صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، ثُمَّ  
الَّذِينَ يُلُونَهُمْ عَلَىٰ أَشَدِّ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً، لَا يُؤْلُونَ وَلَا يَتَغَوِّطُونَ، وَلَا يَقْلُونَ وَلَا  
يَمْتَخِطُونَ، أَمْشَاطُهُمُ الذَّهَبُ، وَرَشْحُهُمُ الْمِسْكُ، وَمَجَامِرُهُمُ الْأَلْوَةُ الْأَنْجُوجُ، عُوْدُ الطَّيِّبِ  
وَأَزْوَاجُهُمُ الْحُورُ الْعَيْنُ، عَلَىٰ خَلْقِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، عَلَىٰ صُورَةِ أَبِيهِمْ آدَمَ، سِتُونَ زِرَاعًا فِي  
السَّمَاءِ»<sup>(١)</sup>.

﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصْمَىٰ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (٢٤)  
﴿مَثَلُ﴾: حال ﴿الْفَرِيقَيْنِ﴾: مقارنةً بين المؤمن والكافر، المؤمن ﴿ك﴾: هنا تشبيهه مجمل،  
كحال، ومثل ﴿الْأَعْمَى﴾: الذي لا يُبصر ﴿وَالْأَصْمَى﴾: أيضًا الذي لا يسمع، وعكس  
﴿وَالْبَصِيرِ﴾: الذي يرى ﴿وَالسَّمِيعِ﴾: الذي يسمع، ويتبع ما فهمه صوابًا؛ فينجو من النَّار؛  
ويغفر بالجنة، والكافر كالأعمى، والأصم، لا يرى، ولا يسمع؛ فلا يهتدي، ولا يفهم، ويخسر

(١) صحيح البخاري ١٣٢/٤ (٣٣٢٧).



دنياه وآخرته ﴿هَلْ﴾: حرف استفهام يفيد النفي، بمعنى لا ﴿يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾: سؤال معناه لا يستويان، لا حال، ولا صفة، ولا نتائج ﴿أَفَلَا﴾: حرف استفهام بغرض الاستنكار والتفريع ﴿تَذَكَّرُونَ﴾: ألا تعتبرون، ألا تتعظون، وتستفيدون؟

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ (٢٥)

﴿وَلَقَدْ﴾: حرف جرّ يفيد هنا التحقق بالتأكيد، لأنه وقع هنا على الفعل الماضي ﴿أَرْسَلْنَا نُوحًا﴾: كان أول رسول بُعث إلى الذين عبدوا الأصنام في الأرض، وكان بينه وبين آدم عليه السلام، ألف سنة ﴿إِلَىٰ قَوْمِهِ﴾: إلى الذين عبدوا الأصنام، فقال لهم: ﴿إِنِّي﴾: أنا بالتأكيد ﴿لَكُمْ﴾: تخصيصًا ﴿نَذِيرٌ﴾: مخوِّف، ومحدّر ﴿مُبِينٌ﴾: قال إني أذكركم بوضوح من عذاب اليم.

﴿أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ الْيَوْمِ﴾ (٢٦)

﴿أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿لَا﴾: نهي وتحريم ﴿تَعْبُدُوا﴾: تطيعوا أوامر الله ﷻ وحده، ولا تطيعوا ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿اللَّهِ﴾: ألا تطيعوا إلا الله ﷻ فتعملوا بأوامره، وتنتهوا عن نواهيه ﴿إِنِّي﴾: أنا بالتأكيد ﴿أَخَافُ﴾: أخشى ﴿عَلَيْكُمْ﴾: أذكركم من عذاب الله ﷻ، شديد الوجع؛ فيأتيكم ﴿عَذَابَ يَوْمِ الْيَوْمِ﴾: يوم يأتي عذابكم يكون شديدًا مؤلمًا. التكليف: هذه هي مهمة الداعية أن يُحدّر الناس من عذاب الله ﷻ.

﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا تَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا تَتَّبِعُكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادْنَا بِآدِي الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَنْظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾ (٢٧)

﴿فَقَالَ الْمَلَأُ﴾: كان قول السادة وكبراء القوم، الأشراف، وحاشية الرؤساء، ومستشاريهم ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ﴾: حرف يفيد بداية الغاية المكانية ﴿قَوْمِهِ﴾: من قوم نوح عليه السلام، وهم الكفار ﴿مَا﴾: حرف نفي ﴿تَرَاكَ﴾: ما قدرك في أعيننا ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿بَشَرًا مِثْلَنَا﴾: إنك لا تمتاز عنّا بشيء ﴿وَمَا تَرَاكَ اتَّبَعَكَ﴾: آمن بك ﴿إِلَّا الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع من ﴿هُمْ﴾: ضميرٌ منفصلٌ مرفوعٌ للجمع المذكر والمؤنث الغائب؛ للتحديد والتخصيص والتأكيد ﴿أَرَادْنَا﴾: ولم نر من أتباعك إلا الذين هم أقلُّ منا منزلةً، ومكانةً، مثل الفقراء، والمساكين، ولم يتبعك الأشراف والرؤساء، وهؤلاء الذين اتبعوك هم ﴿بِآدِي الرَّأْيِ﴾: لا رأي، ولا رؤية لهم، ولا وجهات نظر مُعتبرة، إنهم أرادنا؛ وخطأ هؤلاء أنهم ينكرون على الله ﷻ خالق البشر أن يعبدوه، فيحققوا الحق ويبطلوا الباطل ﴿وَمَا﴾: وأيضا لا ﴿نَرَىٰ لَكُمْ﴾: تملِكًا وتخصيصًا ﴿عَلَيْنَا مِنْ﴾: حرف يفيد التمييز ﴿فُضْلٍ﴾: لا نجد فيكم شرفًا أعلى منا، حتى نتبعكم، ولا نُعدُّ

لكم علينا تفضيلاً ﴿بَل﴾: حرف ينفي ما قبله؛ ويؤكد ما بعده ﴿نظنكم﴾: نعتقد أتكم ﴿كاذبين﴾: تكذبون علينا، وكان هذا جرماً مضاعفاً؛ لأنهم أسأوا من قبل إلى رسولهم ﷺ، قال ابن عباس، فأخبرني أبو سفيان بن حرب أنه كان بالشام في رجال من فريش قدموا تجاراً في المدة التي كانت بين رسول الله ﷺ وبين كفار فريش، قال أبو سفيان، فوجدنا رسول قيصر ببعض الشام، فانطلق بي وبأصحابي، حتى قدمنا إيلياء، فأدخلنا عليه، فإذا هو جالس في مجلس ملكه، وعليه التاج، وإذا حوله عظماء الروم، فقال لترجمانه: سلهم أيهم أقرب نسباً إلى هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي، قال أبو سفيان: فقلت: أنا أقربهم إليه نسباً، قال: ما قرابة ما بينك وبينه؟ فقلت: هو ابن عمي، وليس في الركب يومئذ أحد من بني عبد مناف غيري، فقال قيصر: أدنوه، وأمر بأصحابي، فجعلوا خلف ظهري عند كتفي، ثم قال لترجمانه: قل لأصحابه: إني سائل هذا الرجل عن الذي يزعم أنه نبي، فإن كذب فكذبوه، قال أبو سفيان: والله لولا الحياء يومئذ، من أن يأتُر أصحابي عني الكذب، لكذبته حين سألتني عنه، ولكني استحييت أن يأتروا الكذب عني، فصدفته، ثم قال لترجمانه: قل له كيف نسب هذا الرجل فيكم؟ فقلت: هو فينا ذو نسب، قال: فهل قال هذا القول أحد منكم قبله؟ قلت: لا، فقال: كنتم تتهمونه على الكذب قبل أن يقول ما قال؟ قلت: لا، قال: فهل كان من آباءه من ملك؟ قلت: لا، قال: فأشرف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم؟ قلت: بل ضعفاؤهم، قال: فيزيدون أو ينقصون؟ قلت: بل يزيدون، قال: فهل يرتد أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟ قلت: لا، قال: فهل يعذر؟ قلت: لا، ونحن الآن منه في مدة، نحن نخاف أن يعذر، قال أبو سفيان: ولم يمكني كلمة أدخل فيها شيئاً أنتقصه به، لا أخاف أن تؤثر عني غيرها، قال: فهل قاتلتموه أو قاتلكم؟ قلت: نعم، قال: فكيف كانت حربته وحزبك؟ قلت: كانت دولا وسجالاً، يدال علينا المرة، ويدال عليه الأخرى، قال: فماداً يأمركم به؟ قال: يأمُرنا أن نعبد الله وحده لا نشارك به شيئاً، وينهانا عما كان يعبد آباؤنا، ويأمُرنا بالصلاة، والصدقة، والعفاف، والوفاء بالعهد، وأداء الأمانة، فقال لترجمانه حين قلت ذلك له: قل له: إني سألتك عن نسبه فيكم، فرعمت أنه ذو نسب، وكذلك الرسل تبعث في نسب قومها، وسألتك: هل قال أحد منكم هذا القول قبله، فرعمت أن لا، فقلت: لو كان أحد منكم قال هذا القول قبله، قلت رجل يأتُم بقول قذ قيل قبله، وسألتك: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال، فرعمت أن لا، فعرفت أنه لم يكن ليدع الكذب على الناس ويكذب على الله، وسألتك: هل كان من آباءه من ملك، فرعمت أن لا، فقلت لو كان من آباءه ملك، قلت يطلب ملك آباءه، وسألتك: أشرف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم،

فَرَعَمْتَ أَنْ صُغَفَاءَ هُمْ اتَّبَعُوهُ، وَهُمْ أَتْبَاعُ الرَّسُلِ، وَسَأَلْتُكَ: هَلْ يَزِيدُونَ أَوْ يَنْقُصُونَ، فَرَعَمْتَ أَنَّهُمْ يَزِيدُونَ، وَكَذَلِكَ الْإِيمَانُ حَتَّى يَتِمَّ، وَسَأَلْتُكَ هَلْ يَزِيدُ أَحَدٌ سَخَطَهُ لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ، فَرَعَمْتَ أَنْ لَا، فَكَذَلِكَ الْإِيمَانُ حِينَ تَخْلُطُ بِشَاشَتِهِ الْقُلُوبَ، لَا يَسْخَطُهُ أَحَدٌ، وَسَأَلْتُكَ هَلْ يَغْدِرُ، فَرَعَمْتَ أَنْ لَا، وَكَذَلِكَ الرَّسُلُ لَا يَغْدِرُونَ، وَسَأَلْتُكَ: هَلْ قَاتَلْتُمُوهُ وَقَاتَلَكُمْ، فَرَعَمْتَ أَنْ قَدْ فَعَلَ، وَأَنَّ حَرْبَكُمْ وَحَرْبَهُ تَكُونُ دَوْلًا، وَيُدَالُ عَلَيْكُمْ الْمَرَّةَ وَتُدَالُونَ عَلَيْهِ الْأُخْرَى، وَكَذَلِكَ الرَّسُلُ تُبْتَلَى وَتَكُونُ لَهَا الْعَاقِبَةُ، وَسَأَلْتُكَ: بِمَاذَا يَأْمُرُكُمْ، فَرَعَمْتَ أَنَّهُ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَيَنْهَأَكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ، وَيَأْمُرُكُمْ بِالصَّلَاةِ، وَالصَّدَقَةِ، وَالْعَفَافِ، وَالْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ، قَالَ: وَهَذِهِ صِفَةُ النَّبِيِّ، قَدْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّهُ خَارِجٌ، وَلَكِنْ لَمْ أَظُنَّ أَنَّهُ مِنْكُمْ، وَإِنْ يَكُ مَا قُلْتُ حَقًّا، فَيُوشِكُ أَنْ يَمْلِكَ مَوْضِعَ قَدَمِي هَاتَيْنِ وَلَوْ أَرَجُو أَنْ أَخْلَصَ إِلَيْهِ، لَتَجَشَّمْتُ لُقِيَّهُ، وَلَوْ كُنْتُ عِنْدَهُ لَعَسَلْتُ قَدَمِيهِ، قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: ثُمَّ دَعَا بِكِتَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَرَأَ، فَإِذَا فِيهِ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ، سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى، أَمَا بَعْدُ: فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدَعَايَةِ الْإِسْلَامِ، أَسْلِمْ تَسْلِمًا، وَأَسْلِمِ يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ، فَإِنْ تَوَلَّيْتَ، فَعَلَيْكَ إِثْمُ الْأَرِيسِيِّينَ وَ: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ، إِلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ، فَإِنْ تَوَلَّوْا، فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران-٦٤]، قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: فَلَمَّا أَنْ قَضَى مَقَالَتَهُ، عَلَتْ أَصْوَاتُ الَّذِينَ حَوْلَهُ مِنْ عُظَمَاءِ الرُّومِ، وَكَثُرَ لَعَطُهُمْ، فَلَا أَدْرِي مَاذَا قَالُوا، وَأَمَرَ بِنَا، فَأَخْرَجْنَا، فَلَمَّا أَنْ خَرَجْتُ مَعَ أَصْحَابِي، وَخَلَوْتُ بِهِمْ قُلْتُ لَهُمْ: لَقَدْ أَمَرَ أَمْرُ ابْنِ أَبِي كَبْشَةَ، هَذَا مَلِكُ بَنِي الْأَصْفَرِ يَخَافُهُ، قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: وَاللَّهِ مَا زِلْتُ دَلِيلًا مُسْتَنِقِنًا بِأَنَّ أَمْرَهُ سَيَطْهَرُ، حَتَّى أَدْخَلَ اللَّهُ قَلْبِي الْإِسْلَامَ وَأَنَا كَارِهِ<sup>(١)</sup>.

**﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيْتَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنْزِلْكُمْ مَوَاطِنَ مِنْهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾ (٢٨)**

يستمر سيدنا نوح في دعوة القوم الكافرين **﴿قَالَ يَا﴾**: حرف نداء للقريب والبعيد **﴿قَوْم﴾**: جماعتي، وقبيلتي متوددًا **﴿أ﴾**: حرف استفهام **﴿أَرَأَيْتُمْ﴾**: أخبروني **﴿إِنْ﴾**: حرف شرط **﴿كُنْتُ﴾**: ثبت لكم صدقي **﴿عَلَى بَيْتَةٍ﴾**: حُجَّةٌ ظَاهِرَةٌ وبرهان **﴿مِنْ﴾**: حرف جرّ يفيد النوع وتمييزه وابتغاء الغاية الزمانية والمكانية، ويفيد هنا الغاية الكلية **﴿رَبِّي﴾**: من مالك أمري كله، ماذا تفعلون إن كنت على يقينٍ وأمرٍ واضحٍ، صادقٍ من الله ﷻ؟ كيف يكون مصيركم؟

(١) صحيح البخاري ٤/٤٥ (٢٩٤١).

﴿وَاتَانِي﴾: أيضاً وهبني ومنحني ﴿رَحْمَةً مِنْ﴾: حرفٌ يُفيد ابتداء الغاية، هو الواحد، الأحد، الفرد، الصمد، ﷺ ﴿عِنْدِهِ﴾: وهي النبوة والرسالة ﴿فَ﴾: حرفٌ يفيد السبب؛ بهدف ترتيب الأمر ويفيد سرعة التنفيذ ﴿عَمِيَّتْ﴾: شبه الله ﷻ هؤلاء بالعمي فأخفيت الحقائق ﴿عَلَيْكُمْ﴾: ولم تُساعدكم عقولكم، وأبصاركم، وسمعكم، فلم تفهموها، بل كذبتُم بها ﴿أَنْلِزْمُكُمْوَمَا﴾: حرف الألف جاء هنا للاستفهام الإنكاري: هل ترون أن نلزمكم بالإيمان بالله ﷻ ورسله غصباً وقهراً، أم تقبلوها حباً وطاعة؟ ﴿وَأَنْتُمْ﴾: تحديداً ﴿لَهَا﴾: لبيّنة ورسالة ربّي ﴿كَارِهُونَ﴾: تكرهون الخير الذي جئتكم به من ربنا ﷻ، هل تقبلون أن نُكرهكم عليه؟ التكليف: هذه كلمة الداعية، كلمة تُظهر رحمة الله ﷻ بعباده، يوضح لهم، ويستحث عقولهم؛ لتدرك الحقيقة، ويبين لهم رحمته، ولا يريد أن يُكرههم على ما لا يُحبون، ولكّنه لا يريد لهم أن يضلوا؛ فيخسروا دينهم، وديناهم، وآخرتهم، وهذا أسلوبُ الدعاة في هذا الزمن كما كان في زمن نوحٍ عليه السلام.

﴿وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾ (٢٩)

﴿و﴾: عطفاً على هذا ﴿يَا﴾: حرف نداء للقريب والبعيد ﴿قَوْمِ﴾: هم جماعة من البشر من أصلٍ واحدٍ، يتودد نوحٌ عليه السلام إليهم، ويُذكّرهم بالقرابة، والعلاقة وهم قومه ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿أَسْأَلُكُمْ﴾: أطلب منكم ﴿عَلَيْهِ﴾: على توصيل رسالة ربّي لكم ﴿مَالًا﴾: أنا أدعوكم إلى الهدى دون أجر، ﴿إِنْ أَجْرِي﴾: ثوابي وجزائي ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿عَلَى اللَّهِ﴾: حرف نفي ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ﴾: لن أبعد مُبعد عني بالعنف والقوة والإذلال ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ ﴿آمَنُوا﴾: لن أستجيب لطلبكم؛ فأطرد الفقراء، الذين آمنوا من مجالسي، كما تُريدون تكبراً عليهم وتمائزاً، وهو ما قاله كفّار قريش؛ عندما طلبوا طرد مجموعة من المؤمنين الضعفاء ﴿إِنَّهُمْ﴾: هم بالتأكيد ﴿مُلَاقُوا﴾: مثلكم سيموتون، ويُبعثون، ويُعرضون على ﴿رَبِّهِمْ﴾: مالك أمرهم كلّهم، سوف يقومون لله ﷻ يوم القيامة، ليجزيهم خيراً على أعمالهم ﴿وَلَكِنِّي﴾: استدراكاً منّي ﴿أَرَاكُمْ﴾: إنني أدرك أنكم ﴿قَوْمًا﴾: جماعة من البشر أصحاب عقيدة واحدة هي الكفر ﴿تَجْهَلُونَ﴾: لا تفهمون جوهر ما أدعوكم إليه، الذي يرفع منزلة الإنسان بإيمانه وليس بماله وسلطانه.

﴿وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (٣٠)

﴿وَيَا﴾: حرف نداء للقريب وللبعيد ﴿قَوْم﴾: مرّة أخرى يريد نوح ﷺ، ترطيب قلوب قومه، ويذكرهم بعلاقة النسب ﴿مَنْ﴾: الذي من بني آدم ﴿يَنْصُرْنِي﴾: يقف معي ويؤازرني ويمنع عني ﴿مِنَ اللَّهِ﴾: من يرفع عني غضب الله ﷻ إذا ظلمت الذين آمنوا ﴿إِنْ﴾: حرف شرط ﴿طَرَدْتُهُمْ﴾: إن الله ﷻ أمرني ألا أطردهم بغير ذنب، بل أقربهم وهذا أمر ربّاني خالد، جاء في المعنى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾ [الأنعام-٥٢] ﴿أَفَلَا﴾: حرف استفهام يفيد الاستكثار والتوبيخ ﴿تَذَكَّرُونَ﴾: تتفكرون وتدرسون ما أقول.

﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلِكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (٣١)

تدلّ هذه الآية على حقيقة واضحة: أنّ نوحًا لم يقل إلاّ أنّه رسولٌ من ربّ العالمين، وهو بشرٌ ككل البشر ﴿وَلَا﴾: حرف نفي ﴿أَقُولُ لَكُمْ﴾: تخصيصًا ﴿عِنْدِي﴾: أملك التصرف في خزائن الله ﷻ ﴿خَزَائِنُ﴾: رزق ومال، مكسب ومخزون لـ ﴿اللَّهُ﴾: فأنا عبد الله ﷻ، يرزقني كما يرزق بقية البشر، لا أملك لنفسي، أو لغيري رزقًا ﴿و﴾: عطفًا على هذا ﴿لَا﴾: أنفي أنني ﴿أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾: ويؤكد أنّه بشر كسائر البشر، لا يعرف له أو لغيره ما سيحدث في المستقبل القريب والبعيد ﴿وَلَا﴾: أيضًا أنفي أن ﴿أَقُولُ إِنِّي مَلِكٌ﴾: ويؤكد أنّه بشر ﴿وَلَا أَقُولُ ل﴾: حرف تخصيص ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع من ﴿تَزْدَرِي﴾: تحتقر وتستهين ﴿أَعْيُنُكُمْ﴾: لا أستطيع القول للضعفاء الذين تحتقرونهم ﴿لَنْ﴾: حرف نفي ﴿يُؤْتِيَهُمُ﴾: يُعطيهم، يهبهم ﴿اللَّهُ خَيْرًا﴾: جاء اللفظ القرآني الخير على ثمانية وجوه، هنا بمعنى الإيمان كما جاء في قوله ﷻ ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنفال-٢٣]، لا يعني ازدرأؤكم للمؤمنين الضعفاء أنّ الله ﷻ لن يُثيبهم، ويجزيهم خيرًا ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ﴾: الأعلم على الإطلاق ﴿بِمَا﴾: اسم موصول، هنا بمعنى الذي ﴿فِي أَنْفُسِهِمْ﴾: في حقيقة جوهرهم، يلجأ نوح ﷻ إلى تخويفهم؛ يقول: إنّ الله ﷻ سيكشف نيات الكافرين، ونيات المؤمنين، ويحاسبني إذا طردتهم وأكون ﴿إِنِّي﴾: أنا بالتأكيد ﴿إِذَا﴾: حرف جواب ﴿لَمِنَ﴾: حرف تأكيد وتمييز ﴿الظَّالِمِينَ﴾: إذا فعلت هذا الذي تقولون، ونفّدت هذا الذي تطلبون، أكون قد ظلمت نفسي في الدنيا والآخرة.

﴿قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (٣٢)

﴿قَالُوا﴾: الكافرون ﴿يَا﴾: حرف نداءٍ للقريب هنا ﴿نُوحٌ قَدْ﴾: حرف جرٍ يفيد هنا التحقق بالتأكيد؛ لأنّه وقع هنا على الفعل الماضي ﴿جَادَلْتَنَا﴾: حاججتنا؛ أعلن الكفار هزيمتهم

وحججهم، فاتهموه بما ليس فيه، قالوا خاصمتنا، وسفّهت أفكارنا ﴿فَأَكْثَرْتَ﴾: بسبب أنك كررت وزدت كثيراً ﴿جِدَالَنَا﴾: حاججتنا، فبدلاً من اعتراف الكفار بهزيمتهم على مستوى النقاش؛ ذهبوا لاتهام نوحٍ ﷺ، بكثرة الجدل ﴿فَأْتَانَا﴾: أرسل علينا ﴿بِمَا﴾: اسم موصول، هنا بمعنى الذي ﴿تَعِدُّنَا﴾: ادع علينا بما شئت من النقم والعذاب، ولنر هل من استجابة لدعائك ﴿إِنْ﴾: حرف شرط ﴿كُنْتُ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾: راهنوا أنه لن ينزل عليهم عذاب؛ فيظهر كذب نوح ﷺ، فهم لا يعدونه من الصادقين.

﴿قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ (٣٣)

﴿قَالَ﴾: نوح ﷺ ﴿إِنَّمَا﴾: حرف يُفيد التخصيص والتحديد ﴿يَأْتِيكُمْ﴾: يُنزله بكم ويصيبكم ﴿بِهِ﴾: بالعذاب الذي سألتهم ﴿اللَّهُ إِنْ شَاءَ﴾: أرجع نوح ﷺ أمر العذاب لمشية الله ﷻ، وهذا من الإيمان، إنّما هو نذير وبشير، لمن أيقن أنّ الأمر كله لله ﷻ ﴿وَمَا﴾: حرف نفي ﴿أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾: ويُقرّر نوح ﷺ، حقيقة قدرة الله ﷻ، التي لا يُعجزها، ولا يُعيقها، ولا يمنعها شيء على قومه وغيرهم.

﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أُنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (٣٤)

﴿وَلَا﴾: أيضاً لا ﴿يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي﴾: ينفعكم اجتهادي الذي أبدله لكم، واستكثر منه بحق النصيحة لله ﷻ بإبلاغ رسالته لكم بإيضاح الحق ﴿إِنْ﴾: حرف شرط بمعنى إذا ﴿أَرَدْتُ أَنْ﴾: تأكيد الفعل ﴿أُنْصَحَ لَكُمْ﴾: لن تُجدي معكم أي نصيحة أقدمها مع حرصي أن أنصحكم وأعظمكم ﴿إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿يُغْوِيَكُمْ﴾: لن يفلح نصحي إذا كانت إرادة الله أن تبقوا على غيكم، وعنادكم، وكفركم، ثم يدمركم ويُنزل عليكم سخطه ﴿هُوَ﴾: ضمير منفصل مرفوع للغائب المفرد المذكر، ويعني هنا الله ﷻ ﴿رَبُّكُمْ﴾: هو مالك كل أمركم، المُتَّكِمُ في مصيركم ﴿و﴾: عطفاً على هذا فإنكم ﴿إِلَيْهِ﴾: إلى الله ﷻ ﴿تُرْجَعُونَ﴾: تموتون وتبعثون وتُحاسبون؛ فيحكم بينكم بالحق، فالإيه يرجع الأمر كله.

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيْ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ﴾ (٣٥)

هذه آية تخص محمداً ﷺ تأتي في سياق قصة نوح ﷺ، وقومه ﴿أَمْ﴾: حرف بمعنى بل ﴿يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾: يدعون كذباً فيقولون: اختلقه، وابتدعه، هذه الحالة تنطبق على كل نبي ورسول عليهم الصلاة والسلام، أنّ من أدوات تكذيب الكفار الادعاء بكذب الرسول، والادعاء أنه جاء بالافتراء، والكذب ﴿قُلْ﴾: فعل أمر ﴿إِنْ﴾: حرف شرط ﴿افْتَرَيْتُهُ﴾: اختلقته من

عندي ﴿ف﴾: حرف استثنائي بهدف ترتيب الأمر ويفيد السبب وسرعة التنفيذ ﴿عَلَيَّ﴾  
 إجرامي﴾: ويخبر الله ﷻ رسله أن يقولوا: لو اقترفت هذه الجريمة فجزائي عقوبة من الله ﷻ  
 على هذه الجريمة ﴿و﴾: عطفاً على هذا ﴿أَنَا بَرِيءٌ﴾: لم اقترف ذنباً ﴿مِمَّا﴾: حرف يفيد  
 بعض أو كل الذي ﴿تَجْرِمُونَ﴾: فإنني بريء منكم، وبريء من جرائمكم؛ تقادياً لعقوبة نازلة  
 بكم.

﴿وَأَوْحِي إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾  
 (٣٦)

﴿و﴾: عطفاً على هذا بعد أن استعجل قوم نوح نزول العذاب بهم؛ تحديداً له ﷻ ﴿أَوْحِي إِلَى  
 نُوحٍ﴾: جاء الأمر من الله ﷻ وحيًا، لما حقّ على قومه العذاب ﴿أَنَّهُ﴾: تأكيد الفعل ﴿لَنْ﴾:  
 حرف نفي ﴿يُؤْمِنَ﴾: يُصدّقك ويتبعك ﴿مِنْ قَوْمِكَ﴾: أهل الكافرين ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء  
 ﴿مَنْ﴾: الذي من النَّاسِ ﴿قَدْ﴾: حرف جزم دخل هنا على الفعل الماضي فأفاد التأكيد  
 ﴿آمَنَ﴾: لن يؤمن بعد اليوم أحدٌ منهم؛ هنا دعا نوح ﷻ: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَيَّ الْأَرْضَ مِنَ  
 الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح-٢٦] ﴿فَلَا﴾: أداة نهْيٍ تفيد طلب عدم الفعل ﴿تَبْتَئِسْ﴾: لا تحزن  
 عليهم، ولا تحمل همّهم ﴿بِمَا﴾: اسم موصول هنا بمعنى الذي ﴿كَانُوا﴾: في السابق  
 ﴿يَفْعَلُونَ﴾: التكذيب، والسخرية باللسان، والإيذاء بالجوارح.

التكليف: هذه لحظات فارقة متكررة في تاريخ صراع الشعوب، بين أهل الحق وأهل الباطل،  
 يطلب فيها أهل الباطل العذاب أو المواجهة المسلحة، وعندما تحدث؛ يُهزمون، ويجلبون على  
 أنفسهم الخراب والدمار.

﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾ (٣٧)

﴿و﴾: حرف يفيد الجمع بين متعاطفين هنا بعدم الشعور بالحزن ﴿اصْنَعِ الْفُلْكَ﴾: أمر الله  
 ﷻ نوحًا ﷻ أن يصنع سفينةً، كان الأمر غريبًا في بلدٍ ليس فيه أنهار أو بحار، فكانت  
 حالة من الاستقطاب الشديد في المجتمع ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾: هذا للتعظيم وليس للكثير، وكمال  
 العناية، نراها ونحفظها بحفظنا ﴿وَوَحْيِنَا﴾: أيضًا ندلك ونعلمك كيفية صناعتها، فلم تُصنع  
 قبل نوح ﷻ سفينة ﴿وَلَا﴾: أيضًا هنا نهْيٍ ﴿تُخَاطِبْنِي﴾: لا تدعو لهم، ولا تسألني رحمتهم  
 ولا تسألني إمهال هؤلاء الذين ظلموا أنفسهم ﴿فِي الَّذِينَ﴾: اسم موصول يفيد جميع من  
 ﴿ظَلَمُوا﴾: لا تدعوني أن أغفر لهم، ولا تسألني عن شيءٍ في أمر الكفار ﴿إِنَّهُمْ﴾: هم  
 بالتأكيد ﴿مُغْرَقُونَ﴾: إنهم هالكون بالغرق بالتأكيد. عن عائشة زوج النبي ﷺ، أن رسول الله

﴿ قَالَ: «لَوْ رَحِمَ اللَّهُ أَحَدًا مِنْ قَوْمِ نُوحٍ لَرَحِمَ أُمَّ الصَّبِيِّ» ﴾، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: كَانَ نُوحٌ مَآكِنًا فِي قَوْمِهِ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ حَتَّى كَانُوا آخِرَ زَمَانِهِ غَرَسَ شَجَرَةً فَعَظُمَتْ وَدَهَبَتْ كُلُّ مَذْهَبٍ، ثُمَّ قَطَعَهَا، ثُمَّ جَعَلَ يَعْمَلُ سَفِينَةً فَيَسْخَرُونَ مِنْهُ وَيَقُولُونَ: يَعْملُ سَفِينَةً فِي الْبَرِّ فَكَيْفَ تَجْرِي؟ فَيَقُولُ: سَوْفَ تَعْلَمُونَ، فَلَمَّا فَرَعَ مِنْهَا فَارَ التَّنُورِ وَكَثُرَ الْمَاءُ فِي السِّبْكِ حَشِيَتْ أُمَّ الصَّبِيِّ عَلَيْهِ وَكَانَتْ تُحِبُّهُ حُبًّا شَدِيدًا، فَخَرَجَتْ إِلَى الْجَبَلِ حَتَّى بَلَغَتْ ثُلُثَهُ، فَلَمَّا بَلَغَهَا الْمَاءُ خَرَجَتْ بِهِ حَتَّى بَلَغَتْ ثُلُثِي الْجَبَلِ، فَلَمَّا بَلَغَهَا خَرَجَتْ حَتَّى اسْتَوَتْ عَلَى الْجَبَلِ، فَلَمَّا بَلَغَ الْمَاءُ رَقَبَتَهَا رَفَعْتُهُ بِيَدَيْهَا حَتَّى دَهَبَ بِهِ الْمَاءُ، فَلَوْ رَحِمَ اللَّهُ مِنْهُمْ أَحَدًا لَرَحِمَ أُمَّ الصَّبِيِّ (١).

**التكليف:** كان لصناعة نوح ﷺ للسفينة دالتان مهمتان، الأولى: أنه يصنع سفينة في بلادٍ ليس فيها بحرٌ ولا نهرٌ، وكانت استجابته لله ﷻ تؤكد صدق وقوة يقينه بالله ﷻ، والثانية: أن هذه كانت مدعاةً لمزيدٍ من السخرية والاستهزاء بالرسول ﷺ، وهذا حالٌ كلِّ مرحلة الاستقطاب بين الحق والباطل، قبل نُصرة المؤمنين.

**﴿وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ (٣٨)**

**﴿و﴾:** عطفاً على ما سبق **﴿يَصْنَعُ﴾:** نوح ﷺ **﴿الْفُلْكَ﴾:** جاءت بصيغة الجمع وهي سفينة واحدة، **﴿و﴾:** عطفاً على ما سبق **﴿كُلَّمَا﴾:** حرفٌ مُكوِّنٌ من كلٍ وما يفيد التكرار والتعميم، في كلِّ وقتٍ **﴿مَرَّ﴾:** مشى بالقرب من نوح عليه السلام صانع السفينة **﴿عَلَيْهِ﴾:** ساروا بجوار نوح ﷺ **﴿مَلَأَ﴾:** قيادة وزعامة **﴿مِنْ﴾:** حرفٌ جرٌّ يفيد النوع وابتغاء الغاية الزمانية والمكانية، ويفيد هنا بعض أو جزء **﴿قَوْمِهِ﴾:** هم كبراء القوم وسادتهم، يُتابعون بناء السفينة **﴿سَخِرُوا مِنْهُ﴾:** يهزؤون ويكذبون بما يدعوهم إليه، يا نوح صرت بعد النبوة نجاراً **﴿قَالَ﴾:** نوح ﷺ **﴿إِنْ﴾:** حرف شرطٍ **﴿تَسْخَرُوا﴾:** تستهزئون وتقللوا **﴿مِنَّا فَ﴾:** حرفٌ استثنائيٌ بهدف ترتيب الأمر ويفيد سرعة التنفيذ **﴿إِنَّا﴾:** نحن بالتأكيد **﴿نَسْخَرُ مِنْكُمْ﴾:** عند الغرق حرف يفيد التمييز، كانوا يُعَيِّرُونَهُ بِالْجَنُونِ، وكان يحذِّرهم بما يحلُّ عليهم من عذابِ اللهِ ﷻ، فلا منجاة **﴿كَمَا﴾:** مثلما **﴿تَسْخَرُونَ﴾:** ليس من صفات الأنبياء السخرية من البشر، والمقصود أن جزءا سخريتهم سيكون لكم عذاباً وعقاباً.

(١) المستدرك على الصحيحين للحاكم ٣٧٢/٢ (٣٣١٠) وقال: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ» وتعقبه الذهبي فقال: إسناده مظلم وموسى ليس بذلك.



التكليف: جرت سنة استهزاء الكفار في هذا الزمان من المؤمنين في كل مظهر وفعل، في هياتهم، وفي أقوالهم وبرامجهم، واتهامهم المؤمنين بكل تهمة، ولا يزال المؤمنون يعظون الكفار، ويحذرونهم من عقاب الله ﷻ.

**﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾ (٣٩)**

**﴿فَسَوْفَ﴾**: كلمة وعد تُفيد عملاً في المستقبل **﴿تَعْلَمُونَ﴾**: سوف يأتيكم الغرق يقيناً، وتعلمون بما ترون وتسمعون من وسائل الإدراك **﴿مَنْ﴾**: الذي من جنس العاقل **﴿يَأْتِيهِ﴾**: يحل به، ويصيبه، هل نحن أم أنتم **﴿عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾**: يهينه ويحقره إن بقي حياً **﴿وَيَحِلُّ﴾**: يصيبه ينزل **﴿عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾**: وينزل عليه عذاب مستمر، دائم، أبداً يوم القيامة.

**﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ (٤٠)**

**﴿حَتَّىٰ﴾**: حرف جرّ يدلُّ على انتهاء الغاية الشرطية، أي لن يُصدقوا إلا بشرط **﴿إِذَا جَاءَ﴾**: حلّ ووقع **﴿أَمْرُنَا﴾**: جاء وعد الله ﷻ، بإهلاكهم ونزول المطر المستمر، الذي لا يتوقف ولا يقل، ماءً منهمراً، وتفجر عيون الأرض **﴿و﴾**: أيضاً **﴿فَارَ التَّنُّورُ﴾**: قال ابن عباس: صارت الأرض عيوناً تقور، وحتى فوهات التانير مثل فوهات البراكين، أخرجت الأفران الماء وهو علامة على مجيء العذاب **﴿قُلْنَا﴾**: قال الله ﷻ يا نوح **﴿احْمِلْ فِيهَا﴾**: جاء أمر الله ﷻ، يا نوح احمل في السفينة **﴿مِنْ﴾**: حرف جرّ يفيد النوع وابتغاء الغاية الزمانية والمكانية، ويفيد هنا بعض **﴿كُلِّ﴾**: تفيد جميع المخلوقات **﴿زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾**: أن يأخذ من كل صنف من المخلوقات، وأيضاً من النباتات، اثنين: ذكرًا وأنثى؛ هذا مشروع حياةٍ كاملٍ، حياة شاملة جديدة، في مكانٍ جديدٍ، لمخلوقات من كل الأجناس؛ للتكاثر **﴿وَأَهْلَكَ﴾**: أيضاً أهل بيتك يا نوح إلا من سبق عليه القول ممن لم يؤمن بالله كابنك وزوجتك **﴿إِلَّا﴾**: حرف استثناء **﴿مَنْ﴾**: الذي من جنس العاقل **﴿سَبَقَ﴾**: حقّ ووجب **﴿عَلَيْهِ الْقَوْلُ﴾**: تطبيق وتنفيذ قول الله ﷻ، العذاب ممن لم يؤمن، ومنهم ابن نوح، وامرأة نوح التي كانت كافرة، **﴿وَمَنْ آمَنَ﴾**: أيضاً احمل من آمن من قومك **﴿وَمَا﴾**: عطفاً على هذا لم يؤمن **﴿آمَنَ مَعَهُ إِلَّا﴾**: حرف استثناء **﴿قَلِيلٌ﴾**: مع طول المدة. جاء اللفظ القرآني "قليل" على ستة أوجه؛ هنا بمعنى قليل العدد قال ابن عباس: بعد تسعمائة وخمسين عاماً آمن معه ثمانون من الرجال، والنساء مناصفة، وقال كعب الأحبار: اثنان وسبعين، وقيل كانوا عشرة، والله أعلم.

**﴿وَقَالَ اذْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٤١)**

﴿و﴾: عطفاً على ما سبق ﴿قال﴾: نوح ﷺ، لمن آمن معه ﴿ازكبوا فيها﴾: قال: باسم الله ﷻ تجرى السفينة فوق الماء ﴿ب﴾: باء الاستعانة ﴿اسم الله مجراها﴾: تسيير فوق الماء ﴿و﴾: أيضاً بسم الله ﷻ ﴿مزساها﴾: وبسم الله تتوقف وترسو؛ من هنا كان استحباب البسمة في بداية كل عمل، عند ركوب الدابة، أو السيارة، أو الباخرة، أو الطائرة ﴿إن﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿ربي﴾: مالك أمري كله ﴿ل﴾: حرف علّة وسبب ﴿غفور﴾: يسامح على الذنوب ﴿رحيم﴾: وعظيم الشفقة والعطف، تبدو الصورة واضحة لدلالات هذه الكلمات، في الوقت الذي نزل فيه غضبُ الله ﷻ على الكافرين، فأغرقهم جاءت كلمات الله ﷻ لثمّن المؤمنين بلفظ غفار الذنوب، الرحيم بعباده.

التكليف: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ قَالَ جَاءَ حَبْرٌ مِنَ الْأَخْبَارِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ إِنَّا نَجِدُ أَنَّ اللَّهَ يَجْعَلُ السَّمَوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ وَالْأَرْضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ وَالْمَاءَ وَالنَّارَ عَلَى إِصْبَعٍ وَسَائِرَ الْخَلْقِ عَلَى إِصْبَعٍ فَيَقُولُ أَنَا الْمَلِكُ فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ تَصْدِيقًا لِقَوْلِ الْحَبْرِ ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر- ٦٧]؛ فَإِنَّ بِسْمِ اللَّهِ فَاتِحَةَ كُلِّ عَمَلٍ، سببُ الْخَيْرِ، وَالْبِرْكَةِ، وَالنَّجَاةِ، وَالْأَمْنِ، وَالتَّوْفِيقِ.

﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحُ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ازْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ﴾ (٤٢)

﴿وَهِيَ﴾: أيضاً السفينة ﴿تجري﴾: مسرعةً على وجه الماء، الذي غطّى وجه الأرض كلها، حتى غطّت المياهُ رؤوسَ الجبال ﴿بهم في موج ك﴾: كحال الجبال في علو وضخامة ﴿الجبال﴾: موج يعلو ويرتفع حتى يصير بارتفاع الجبال في علوها من شدّة الأهوال، وقوة الريح، وعظم الطوفان الذي غشي الأرض، ارتفعت الأمواج، والسفينةُ تسيير برعاية الله ﷻ، لا تصطدمُ بشيءٍ من رؤوس الجبال ﴿و﴾: عطفاً على هذا المشهد الرهيب ﴿نادى نوح ابنه﴾: كانت عاطفة الأبوة، ورغبة الأب في نجاه ولده، الذي ﴿و﴾: أيضاً ﴿كان﴾: ابن نوح ﴿في معزّل﴾: بعيداً عن أبيه، وقيل بعيداً عن دين أبيه، وقيل بعيداً عن دين زكّاب السفينة من قومه ﴿يا﴾: حرف نداء للقريب والبعيد ﴿بني﴾: بدأ نوح ﷺ نداءه بداية عطفٍ، وتذكيرٍ برابطةٍ ساميةٍ، علاقة الابن بأبيه ﴿ازكب معنا﴾: في السفينة تتجو من غرقٍ محققٍ ﴿ولا﴾:

(١) صحيح البخاري ١٢٦/٦ (٤٨١١).

عطفًا على ما سبق جاء حرفٌ نهي ﴿تَكُنْ﴾: لا يكونُ مصيرُكَ ﴿مَعَ الْكَافِرِينَ﴾: حتى لا تكونَ في صفِّ الكُفَّارِ الغارقين حتمًا.

﴿قَالَ سَأُوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾ (٤٣)

﴿قَالَ﴾: الولد الذي بقي على كفره ﴿س﴾: حرف تأكيد الفعل في المستقبل ﴿أُوِي﴾: أعتلي وأركب ﴿إِلَى جَبَلٍ﴾: سألجأ وأستند إلى قمة جبل، ﴿يَعْصِمُنِي﴾: يحميني ويحفظني ﴿مِنْ﴾: حرفٌ يُفيد بداية الغاية المكانية ﴿الْمَاءِ﴾: من الطوفان العظيم، ظنًا منه أنَّ الماء لن يُغطي قمم الجبال ﴿قَالَ﴾: نوح ﷺ رَدًّا على ابنه: ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿عَاصِمَ الْيَوْمَ﴾: لا شيء معصوم اليوم من الغرق، ولا يمنعك شيءٌ من الهلاك ﴿مِنْ أَمْرِ﴾: إرادته ريبًا نافذة لا محالة ﴿اللَّهُ﴾: لأنَّ أمر الله ﷻ أن تغرق الأرض، والجبال، وقواعدها وقممها، ولا نجاة لكافرٍ اليوم ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿مَنْ﴾: الذي من البشر ﴿رَحِمَ﴾: شملته رحمة الله ﷻ ولطفه وعنايته ﴿وَحَالَ﴾: فصل ومنع التواصل ﴿بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ﴾: ارتفعت الأمواج؛ فحجبت بين نوح وابنه الكافر ﴿ف﴾: حرفٌ يُفيد السبب والتتابع السريع ﴿كَانَ﴾: صار ﴿مِنْ﴾: حرف يفيد التأكيد ﴿الْمُغْرَقِينَ﴾: قال ﷻ ﴿الْمُغْرَقِينَ﴾: وليس الغارقين؛ هي تأكيدٌ تحقُّق أمر الله ﷻ فيه.

﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (٤٤)

تأتي هذه الآية لتؤكد حدوث تغيراتٍ مهمّةٍ بسرعةٍ ملحوظةٍ، تُنتهي هذه القصة؛ لتؤكد مشيئة الله ﷻ الغالبة ﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿قِيلَ﴾: القائل هو الله ﷻ ﴿يَا﴾: حرف نداء على القريب والبعيد، وليس على الله ﷻ بعيد ﴿أَرْضُ﴾: أيتها الأرض التي أنت جزءٌ من مُلكي، جاءت بصيغ النكرة التي تُفيد الأرض الكبيرة ﴿ابْلَعِي مَاءَكِ﴾: أمر الله ﷻ الأرض أن تمتص ما أخرجته من ماءٍ، وما تجمّع على ظهرها من أمطار ﴿و﴾: أيضًا ﴿يَا﴾: حرف نداءٍ، وهي أمرٌ من الله ﷻ ﴿سَمَاءُ﴾: السحاب المُحمّل بالماء ﴿أَقْلِعِي﴾: وأمر الله ﷻ السماء أن تكفّ وتمسك عن المطر، فكانت النتيجة ﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿غِيضَ﴾: ذهب في باطن الأرض وغار فيها ﴿الْمَاءِ﴾: نقص على سطح الأرض؛ بالأمرين السابقين؛ فتوقف المطر، وابتلعت الأرض ماءها؛ وهذا سبب الاستواء ﴿وَقُضِيَ﴾: جاء اللفظ القرآني "قضي" على عشرة وجوه؛ هنا بمعنى وجب وحق ﴿الْأَمْرُ﴾: تحقّق أمرُ الله ﷻ وهو العذاب بإغراق كلِّ من كفر على وجه الأرض ونجاة الناجين ﴿وَاسْتَوَتْ﴾: أيضًا رست السفينة، قال كعب الأحبار: طافت

السفينة ما بين المشرق والمغرب، ثم استقرت **﴿عَلَى الْجُودِيَّ﴾**: قال مجاهد: هو جبل بالجزيرة، وقال الضحاك: هو جبل بالموصل، وقيل جبل الطور، والله تعالى أعلم **﴿و﴾**: عطفاً على ما سبق **﴿قِيلَ بُعْدًا﴾**: هنا دعاءٌ عليهم وذمٌ وهلاكٌ للظالمين؛ ذهبوا غرقى في الماء وتحت الأرض **﴿لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾**: الذي كان ظلمهم سبباً لهلاكهم، فقد هلك الذين ظلموا النبي وظلموا المؤمنين، وظلموا أنفسهم؛ بكفرهم وهلكوا جميعاً.

**﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾ (٤٥)**  
**﴿و﴾**: عطفاً على غرق المشركين في الماء، وكان من بينهم ابن نوح؛ حينها تحركت عاطفة الأبوة باتجاه ابنه **﴿نَادَى نُوحٌ رَبَّهُ﴾**: سأل نوح ﷺ، الله ﷻ مالك أمره كله؛ **﴿ف﴾**: بسبب المشهد الرهيب **﴿قَالَ رَبِّ﴾**: والرب هو المعبود، والمُرَبِّي، والمنشئ للكون بمن وبما فيه من طور إلى طور إلى حدّ التمام، أنت ﷻ الخالق، والمالك، والعاطي، وكثيرُ الخير، والمُحيط، والمُدبّر، والجابرُ لكسر البرايا، والثابت، والقريب، والجامع، والمصلح، والسيد، مُستعلماً مُستغيثاً عن مصير ابنه **﴿إِنَّ﴾**: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار **﴿ابْنِي مِنْ﴾**: الذين وعدتني أن تتجهم من الغرق والهلاك حين قلت واحمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك؛ وإن ابني هذا من أهلي، بعض، ومن تعني حميمة القرابة وقوتها **﴿أَهْلِي﴾**: قرابتي الأولى **﴿وَإِنَّ﴾**: حرف تأكيد **﴿وَعْدَكَ الْحَقُّ﴾**: وعد الله ﷻ نوحاً أن يُنجيه وأهله، فكيف غرق ابنه؟ **﴿و﴾**: عطفاً على هذا قال ﷻ: أشهد أنك **﴿أَنْتَ أَحْكَمُ﴾**: أعدل **﴿الْحَاكِمِينَ﴾**: إقرارٌ من نوحٍ ﷺ، بحكمة الخالق الحكيم، إن في غرق ابنه حكمة.

**﴿قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلِنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (٤٦)**

**﴿قَالَ﴾**: الله ﷻ **﴿يَا﴾**: حرف نداء للقريب والبعيد **﴿نُوحُ﴾**: ذكر الله ﷻ اسم نوح له تكريماً وتذكيراً بالصلة بينه ﷻ وبين الرسل **﴿إِنَّهُ﴾**: ابنك بالتأكيد **﴿لَيْسَ﴾**: فعل ماضٍ ناقص يفيد النفي **﴿مِنْ أَهْلِكَ﴾**: قيل إنّه لم يكن ابنه ولكن ابن امرأته، والصحيح أنّه ابنه، ولكن لم يؤمن، لقد وعدتكم يا نوح أن أنجيك وأهلك الذين آمنوا بك، وابنك الذي لم يؤمن هو ليس من أهلك، وقد جاء سابقاً: **﴿وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ﴾** [هود-٤٠]، وقد سبق القرار على هذا الابن الغارق **﴿إِنَّهُ﴾**: هو بالتأكيد **﴿عَمَلٌ﴾**: طلبك مني نجاه الكافر **﴿غَيْرُ﴾**: حرف استثناء **﴿صَالِحٍ﴾**: وقد قرأ محمد ﷺ إنّه ابنك عملاً غير صالح، قال ابن عباس: إن الغارق ابن نوح؛ ولكنه خالفه في العمل والنية **﴿فَلَا﴾**: أداة نهْيٍ تقيد طلب عدم الفعل

﴿تَسْأَلِنِ﴾: تطلب مني ﴿مَا﴾: الذي ﴿لَيْسَ﴾: فعل ماضٍ ناقص يفيد النفي ﴿لَكَ﴾: تخصيصًا ﴿بِهِ عِلْمٌ﴾: إنَّ القرار يوم خلق الله ﷻ الكون، ويوم تقوم الساعة هو علمُ الله ﷻ وحده ﴿إِنِّي﴾: أنا بالتأكيد ﴿أَعْظَكَ﴾: أمرك وأرشدك ﴿أَنَّ﴾: حرف تأكيد الفعل، لا ﴿تَكُونُ مِنْ﴾: حرف تمييزٍ بمعنى بعض ﴿الْجَاهِلِينَ﴾: لا تكن من الذين يجهلون الحكمة مما قدره الله ﷻ.

التكليف: الولاء والبراء قضية أصيلة، فليس الأهلُ زواجًا، وحملًا وولادة؛ ولكنها في النتيجة: إيمان أو كفر.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي آغُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (٤٧)

﴿قَالَ﴾: نوح ﷺ، يا ﴿رَبِّ﴾: بدأ نوح ﷺ، بلفظ الولاء ربِّي يا مالك أمري كله ﴿إِنِّي آغُوذُ بِكَ﴾: ألوذ بجنابك، وأستعين بك، وأستجير بك ﴿أَنَّ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿أَسْأَلَكَ﴾: أطلب منك فقد وعدتني بنجاته؛ ووعدك الحقُّ فما مصيره ﴿مَا﴾: حرف نفي ﴿لَيْسَ﴾: فعل ماضٍ ناقص يفيد النفي ﴿لِي﴾: ملكي ﴿بِهِ عِلْمٌ﴾: ما لم تعلمني إياه ﴿وَإِلَّا﴾: حرف استثناء منقطع بمعنى إن لم ﴿تَغْفِرْ لِي﴾: تسامحني فيما أخطأت ﴿وَتَرْحَمْنِي﴾: أيضًا تشملني برحمتك وعفوك ﴿أَكُنْ﴾: أصير ﴿مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾: جاء اللفظ القرآني "الخاصرين" على خمسة وجوه؛ هنا بمعنى المعاقبين؛ أي إنَّ الذين عُوقبوا في الدنيا، وخسروا الآخرة، ضيَّعوا دنياهم في معصية، وأخرتهم في النار.

﴿قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ وَأُمَّمٌ سَنُنْتَعِبُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٤٨)

﴿قِيلَ﴾: قال الله ﷻ ﴿يَا﴾: حرف نداء للقريب والبعيد ﴿نُوحُ اهْبِطْ﴾: اهبط من السفينة دليل علوها فالهبوط يكون من مكانٍ مرتفعٍ، إلى الأرض بأمن وسلام، وقيل انزل من الجبل إلى المنخفض من الأرض، قال محمد ابن إسحاق: حتى يتم الهبوط من السفينة؛ أرسل الله ﷻ ريحًا على وجه الأرض؛ فسكن الماء، وأغلقت ينابيع الأرض، وأبواب السماء، فنقص الماء، وابتلعت الأرض ﴿بِسَلَامٍ مِنَّا﴾: دون أذى، فكانت السلامة من كلِّ شرٍ ﴿و﴾: حرف يجمع هنا بين السلام ﴿بَرَكَاتٍ﴾: وخيرات ثابتة ونامية ونعم كثيرة ﴿عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَّمٍ﴾: أيضًا على أقوامٍ كبيرةٍ وشعوبٍ من أهل الشقاء ﴿مِّمَّنْ﴾: كل مؤمن إلى يوم القيامة من المؤمنين الذين ﴿مَعَكَ﴾: على ذريةٍ من كانوا معك من المؤمنين، وما كان من الطيور، والحيوانات ﴿وَأُمَّمٌ﴾

**س:** حرف تأكيد الفعل في المستقبل **﴿نَمْتَعُهُمْ﴾**: في الحياة الدنيا كل كافر إلى يوم القيامة، من الخلق الذين يأتون من بعدك؛ يتمتعون بهذه الأرض، والجبال، والماء **﴿ثُمَّ﴾**: حرف يفيد التتابع غير السريع **﴿يَمْسُهُمْ﴾**: يُصيبهم وينالهم من العذاب الموجع **﴿مِنَّا﴾**: حرف يفيد بداية الغاية، أي من المصدر، بأمر الله **﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾**: هؤلاء الذين سيكفرون بالله **﴿عَذَابٌ﴾**، كالذين كفروا ولم يؤمنوا لنوح؛ يأخذهم العذاب والهلاك.

**﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (٤٩)**

**﴿تِلْكَ﴾**: هذه قصة نوح **﴿عَلَيْهِ السَّلَامُ﴾**، كبقية القصص القرآني **﴿مِنْ﴾**: حرف جر يفيد النوع وابتغاء الغاية المكانية **﴿أَنْبَاءٍ﴾**: من أخبار **﴿الْغَيْبِ﴾**: الأمم السابقة التي لم تعرفها **﴿نُوحِيهَا إِلَيْكَ﴾**: نُفِصَهَا وحيًا عليك بالحق يا محمد **﴿مَا﴾**: حرف نفي **﴿كُنْتَ﴾**: قبل وحيها **﴿تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا﴾**: ما عرفها **﴿قَوْمُكَ مِنْ﴾**: حرف يفيد بداية الغاية الزمانية **﴿قَبْلَ هَذَا﴾**: إن قيمة هذه القصة أنه لا أحد من قوم محمد **﴿عَلَيْهِ السَّلَامُ﴾** كان يعرف بها من قبل، وأنه لن يأتي مجادل يقول لمحمد **﴿عَلَيْهِ السَّلَامُ﴾** إنك تعلمتها من قومك، بل هي دليل إخبار من الله **﴿عَلَيْهِ السَّلَامُ﴾**، وتشهد بها كُتِبَ من سبق من الأنبياء **﴿فَ﴾**: لهذا السبب **﴿اصْبِرْ﴾**: يخبر الله **﴿عَلَيْهِ السَّلَامُ﴾** نبيه **﴿عَلَيْهِ السَّلَامُ﴾** أن قومك لن يُصدّقوك، كما لم يُصدّقوا نوحًا **﴿عَلَيْهِ السَّلَامُ﴾** **﴿إِنَّ﴾**: هنا تأكيد ونفي الشك والإنكار **﴿الْعَاقِبَةَ﴾**: الخاتمة **﴿ل﴾**: حرف تخصيص **﴿الْمُتَّقِينَ﴾**: مصير الذين يعبدون الله تعالى قناعة ويقينًا؛ فاصبر على تكذيب وأذى المشركين، ولك في قصة نوح **﴿عَلَيْهِ السَّلَامُ﴾** العبرة: نجاة للمؤمنين، وهلاك للكافرين.

التكليف: لقد اشتملت الآية الكريمة على أمور ثلاثة: الشكر والامتنان، والموعظة الصادقة، والتسلية. وهذه من أهداف القصص الهادف؛ إن القصص القرآني عامل مهم في نشر الدعوة.

**﴿وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾ (٥٠)**

**﴿و﴾**: أيضًا أرسلنا **﴿إِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا﴾**: لقد أرسلنا هودًا إلى عاد؛ ليعبدوا الله **﴿عَلَيْهِ السَّلَامُ﴾** وحده، كما أرسلنا نوحًا إلى قومه **﴿قَالَ﴾**: هود **﴿عَلَيْهِ السَّلَامُ﴾** **﴿يَا﴾**: حرف نداءٍ للقريب والبعيد **﴿قَوْمِ﴾**: نادى على عشيرته وأبناء قومه **﴿اعْبُدُوا﴾**: وُحِدُوا **﴿اللَّهِ﴾**: جاء لفظ العبادة هنا بمعنى التوحيد كما في قوله **﴿عَلَيْهِ السَّلَامُ﴾** أيضًا **﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَلًا فُخُورًا﴾ [النساء-٣٦]**، وبمعنى أطيعوا الله

وحده كما في قوله ﷺ ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهؤلاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ\* قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيِّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ﴾ [سبأ-٤٠، ٤١] ﴿مَا﴾: حرف نفي ﴿لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ﴾: معبود يستحق العبادة ﴿غَيْرُهُ﴾: إن ما تعبدون ليست بألهة، إنها لا تنفع ولا تضر ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا﴾: حرف استثناء بمعنى ما أنتم إلا ﴿مُفْتَرُونَ﴾: إنكم تكذبون مثل آل نوح.

﴿يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (٥١)

﴿يَا﴾: حرف نداء للقريب والبعيد ﴿قَوْمٍ﴾: هم الذين من أصل واحدٍ يخصهم بالقول: يا قوم؛ عطفًا وتوددًا ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾: لا أطلب منكم ﴿أَجْرًا﴾: لا أريد ثمن نصحي لكم، وتبليغي رسالة ربِّي إليكم ﴿إِنْ أَجْرِي﴾: ما ثوابي وما جزائي ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء منقطع، يعني لا أحد يعطي ثوابي غير ﴿عَلَى الَّذِي﴾: اسمٌ موصولٌ بالفرد الواحد الأحد ﷻ ﴿فَطَرَنِي﴾: الذي خلقتني وأبدع خلقي، وصورني ﴿أَفَلَا﴾: حرف استنهامٍ بغرض الاستتكار والتوبيخ ﴿تَعْقِلُونَ﴾: ألا تدركون أنني أدعوكم إلى ما يصلحُ حالكم في الدنيا، لتتالوا ثواب الآخرة، ولو فكرتم لوصلتم إلى ما أدعوكم إليه.

التكليف: إن استخدام المنطق ينفع صاحب العقل السليم، ويدلّه على الحقائق.

﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾ (٥٢)

﴿و﴾: أيضًا ﴿يَا﴾: حرف نداء للقريب والبعيد ﴿قَوْمٍ﴾: يُكْرَرُ هُوَذَا ﷻ مخاطبة قومه تطفًا وتوددًا ﴿اسْتَغْفِرُوا﴾: اطلبوا المغفرة من ﴿رَبِّكُمْ ثُمَّ﴾: حرف يفيد التتابع؛ أتبعوا الاستغفار بأن ﴿تُوبُوا إِلَيْهِ﴾: إلى الله ﷻ بالتوبة أولًا؛ فيمحو الله ﷻ الذنوب السابقة، ويوفقكم فيما تستقبلون ﴿يُرْسِلِ﴾: يُسَخِّرُ السحاب الذي في ﴿السَّمَاءِ﴾: الماء الذي على هيئة بخار الماء من فوقكم ﴿عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾: حتى يبين الله ﷻ أن الماء النازل بغزارةٍ مُستمرًا، مُنهمرًا، يا قوم اعلموا أنه من حق الاستغفار بعد التوبة؛ رزقه الله ﷻ من السماء الغيث الوافر؛ فنتبت الأرض، ويُسهل الله ﷻ أمره ﴿وَيَزِدْكُمْ﴾: أيضًا يُكثِّرُ لكم ﴿قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ﴾: وهي زيادة عدد النَّاسِ، وزيادة الرزق، وزيادة وسائل المنعة ﴿و﴾: عطفًا على هذا ﴿لَا﴾: حرام عليكم أن ﴿تَتَوَلَّوْا﴾: تذهبوا كافرين، وتعرضوا عن دعوتي ولا تذهبوا وتتركوا الدنيا كُفَّارًا، فتكونوا مثلهم ﴿مُجْرِمِينَ﴾ كافرين خاسرين.

﴿قَالُوا يَا هُوْدُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾  
(٥٣)

﴿قَالُوا يَا هُوْدُ﴾: هم قوم هود ﴿مَا﴾: حرف نفي ﴿جِئْتَنَا﴾: أتيتنا ﴿بَبَيِّنَةٍ﴾: لم تأتتا بدليل واضح نراه بأعيننا، ونلمسه بأيدينا، كان هذا الرُّدُّ دليل فِشْلِ عقولهم في استيعاب الحقائق؛ فطلبوا دليلاً وُحْجَةً وبرهاناً على ما يقول؛ حتى يؤمنوا، وأضافوا ﴿و﴾: عطفاً على ما سبق ﴿مَا نَحْنُ بِتَارِكِي﴾: لن نتخلى عن ﴿آلِهَتِنَا﴾: عمّا نعبد ﴿عَنْ﴾: حرف جرٍ يُفِيدُ، هنا: بسبب سماعنا ﴿قَوْلِكَ﴾: لن نكفَّ عن عبادة آلِهَتِنَا لأنك قلت لنا كلاماً بلا دليل ﴿وَمَا﴾: ننفي أن نكون ﴿نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾: لسنا بمُصَدِّقِكِ.

التكليف: هكذا الأقوام الكافرة، تطلب أدلة معجزة على الرسل والدعاة، وعندما لا يصدقون؛ يصيبهم وبال أمرهم.

﴿إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ (٥٤)

﴿إِنْ﴾: حرف شرط وتوكيد، بمعنى إنّما ﴿نَقُولُ﴾: إنّنا لا نقول ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء منقطع، لا نقول غير إنّه ﴿اعْتَرَاكَ﴾: وعراك أي أصابك ﴿بَعْضُ﴾: جزء من ﴿آلِهَتِنَا﴾: التي نعبدها، فأنت تعيها وتسفه رأينا في عبادتها ﴿بِسُوءٍ﴾: أصابك بشرٍ أو ضررٍ، بجنونٍ، أو مرضٍ في عقلك؛ عقاباً لك على تحريض النَّاسِ على عدم عبادتهم ﴿قَالَ﴾: هود ﷺ ﴿أَنِّي﴾: أنا بالتأكيد ﴿أُشْهِدُ﴾: أتحذُّ شاهداً ﴿اللَّهِ﴾: هنا أظهر هود ﷺ اسم الله ﷻ في مواجهة آلهة زيفٍ، ويُشهدُ الله ﷻ على صدق إيمان رسوله ﴿و﴾: عطفاً على قولي ﴿اشْهَدُوا أَنِّي﴾: أنا بالتأكيد ﴿بَرِيءٌ﴾: مُتَّصِلاً ﴿مِمَّا﴾: من الذي ﴿تُشْرِكُونَ﴾: وأشهدكم بالسماع الواضح على براءتي من أصنامكم، التي تعبدونها من دون الله ﷻ.

التكليف: هذه الصورة متكررة، في اللحظات الفاصلة؛ يجب المفارقة بين الحق والباطل، في الدعوات والرسالات.

﴿مَنْ دُونَهُ فَكَيْدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونَ﴾ (٥٥)

﴿مَنْ﴾: حرف بيان النوع وتمييزه، ويفيد هنا ابتداء الغاية الكلية ﴿دُونَهُ﴾: من إشراككم من دون الله ﷻ، وأنا أتبرأ من الأصنام، والأوثان، والأنداد ﴿فَ﴾: لهذا السبب وبسرعة ﴿كَيْدُونِي﴾: بسبب كفركم ودون تأخير، هذا أمرٌ بمعنى التعجيز والتحدي؛ احببوا مؤامراتكم، أنتم وأصنامكم، جميعكم ضدِّي، أجمعوا كلَّ قوتكم ضدِّي لتلحقوا الضرر بي، وهذا للتحدي



لثقلته بالله ﷻ **﴿ثُمَّ﴾**: حرف يفيد التتابع الزمني مع التراخي **﴿لَا﴾**: حرف نفي **﴿تَنْظُرُونَ﴾**: لا تتأخروا لحظة واحدة، نفذوا مؤامراتكم ضدي فوراً، في صيغة من التحدي المؤمن بنصر الله ﷻ له.

التكليف: كانت هذه وستبقى أقوال المفصلة بين المؤمنين والكافرين، في حالة تحدٍ كبيرة.  
**﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٥٦)**

**﴿إِنِّي﴾**: أنا بالتأكيد **﴿تَوَكَّلْتُ﴾**: اعتمدت **﴿عَلَى اللَّهِ﴾**: ﷻ، في كلِّ شأني **﴿رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا﴾**: حرف نفي **﴿مِنْ﴾**: حرف جر يفيد النوع وابتغاء الغاية المكانية **﴿دَابَّةٍ﴾**: ما من مخلوق يدبُّ على الأرض أو في السماء، من إنسٍ، وجانٍ، وحيوانٍ، وطيرٍ **﴿إِلَّا﴾**: حرف استثناء **﴿هُوَ﴾**: ضمير منفصل مرفوع للغائب المفرد المذكور، ويعني هنا الله ﷻ **﴿آخِذٌ﴾**: مُتَحَكِّمٌ **﴿بِنَاصِيَتِهَا﴾**: معنى الناصية هي مقدمة الرأس، والجهة التي توجهها، مالكا والقادر عليها وقاهرها، كلها تحت حكمه، وقهره، وسلطانه، والعرب يستخدمون لفظ الناصية فيمن يوصف بالذلة والخضوع، كدليل على الطاعة **﴿إِنَّ﴾**: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار **﴿رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ﴾**: منهج **﴿مُسْتَقِيمٍ﴾**: والطريق المستقيم يدلُّ على كمال العدل، فهو ﷻ الحاكم العادل في حكمه، وهو الرحيم بعباده، المنتقم من الذين يشركون معه أصناماً وأوثاناً.

**﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ (٥٧)**

**﴿فَإِنْ﴾**: حرف يفيد هنا تأكيد الفعل **﴿تَوَلَّوْا﴾**: قال هود إذا عرضتم ونأيتم **﴿فَقَدْ﴾**: حرف جر يفيد هنا التحقق بالتأكيد؛ لأنه وقع هنا على الفعل الماضي **﴿أَبْلَغْتُكُمْ﴾**: أوصلت لكم **﴿مَا﴾**: الذي **﴿أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ﴾**: فقد أدت أمر ربِّي، ونقلت لكم أميناً ما أرسله إليكم، وهو أن تعبدوا الله ﷻ وحده، ولا تُشركوا به شيئاً **﴿و﴾**: عطفاً على هذا **﴿يَسْتَخْلِفُ﴾**: بعد أن يهلككم الله ﷻ؛ يأتي **﴿رَبِّي﴾**: المالك للأمر كله **﴿قَوْمًا﴾**: شعباً آخر **﴿غَيْرَكُمْ﴾**: يأتي بغيركم **﴿وَلَا﴾**: حرف نفي **﴿تَضُرُّونَهُ﴾**: تؤذونه، حاشا لله ﷻ **﴿شَيْئًا﴾**: إن زوالكم ومجيء غيركم، لا يضرُّه ﷻ، بل أنتم الخاسرون **﴿إِنَّ﴾**: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار **﴿رَبِّي عَلَى كُلِّ﴾**: تعيد عموم **﴿شَيْءٍ﴾**: لأنها جاءت بصيغة النكرة فهي تؤكد العموم **﴿حَفِيظٌ﴾**: شهيدٌ رقيبٌ، ومهيمنٌ، حافظٌ لأقوال عباده وأفعالهم، مُسجِّلَةٌ بحقِّ عليهم.

﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾  
(٥٨)

﴿وَلَمَّا﴾: اسم تأكيد بمعنى حينما ﴿جَاءَ﴾: وقع فعلاً ﴿أَمْرُنَا﴾: أي عذابنا الذي هو إهلاك لقوم عاد؛ وتحقق الوعيد الرباني، وهو الريح العقيم، التي لا تنفع الزرع، ولا تحمل السحاب، ولا تُنزل الماء، بل تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ ﴿نَجَّيْنَا﴾: أنقذنا بسلام، جاء أمر النجاة بصيغة الجمع لعظم النجاة ﴿هُودًا وَالَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ ﴿آمَنُوا مَعَهُ﴾: جاءت الكلمة نجينا بصيغة الجمع للتفخيم؛ لأنَّ النجاة كانت حدثاً عظيماً في فعله، وفي نتائجه، نجاةً كبيرةً للمؤمنين، وعذاباً عظيماً للكافرين ﴿بِ﴾: حرف باء السببية ﴿رَحْمَةٍ مِنَّا﴾: حرفٌ يُفيدُ بداية الغاية المكانية، لأنه لا ينجو أحدٌ إلا برحمة الله ﷻ، كانت رحمةُ الله ﷻ نجاةً هوداً والمؤمنين، لطفاً منه بهم ﴿و﴾: أيضاً ﴿نَجَّيْنَاهُمْ﴾: أيضاً تكرر لفظ النجاة لبيان شدة الأمر وعظمة الأهوال؛ أنقذنا المؤمنين وحفظنا أرواحهم ﴿مِنْ عَذَابٍ﴾: ما يسبب الوجع، والحزن، وكلَّ ما يكرهه الإنسان ﴿غَلِيظٍ﴾: من عذابٍ شديدٍ، وهي الريحُ المُدمِّرةُ لكلِّ شيءٍ، عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ، قال: «نُصِرْتُ بِالصَّبَا، وَأُهْلِكْتُ عَادٌ بِالدَّبُورِ»<sup>(١)</sup>.

﴿وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ (٥٩)

وهنا ذكرت الآية الأسباب الثلاثة التي جرت فيها سنة هلاك عاد، وهي سُنن تجري في كلِّ زمانٍ ومكانٍ؛ بإرادة الله ﷻ ﴿وَتِلْكَ﴾: وأيضاً تلك قصة ﴿عَادٍ﴾: الذين ﴿جَحَدُوا﴾: كفروا وأنكروا ﴿بِآيَاتِ﴾: أدلّة وبراهين ومعجزات، وهذا الجحود هو أول الجرائم ﴿رَبِّهِمْ﴾: هو المعبود، والمُرَبِّي، ﴿و﴾: عطفاً على كفرهم ﴿عَصَوْا﴾: تمردوا ولم يطيعوا ﴿رُسُلَهُ﴾: رفضوا طاعة هود عليه السلام، الذي أرسله الله ﷻ لهدايتهم ونجاتهم، ومن يكفر برسولٍ واحدٍ كأنما يكفرُ بكلِّ الرُّسل والأنبياء، ومن يؤمن بمحمدٍ ﷺ فقد آمن بالجميع، وكانت هذه جريمتهم الثانية ﴿و﴾: عطفاً على ما سبق ﴿اتَّبَعُوا﴾: سلكوا سبيل ﴿أَمْرٍ﴾: تعاليم ﴿كُلِّ﴾: عموم جنس ﴿جَبَّارٍ﴾: متكبرٍ ومُتَعَاظِمٍ، وطاغية ﴿عَنِيدٍ﴾: الطاغية الذي لا يقبل الحق ولا يُذعن له، فهو غير مطيع لله ﷻ ولرسله، وهذه جريمتهم الثالثة اتباع منهجٍ دائمٍ إلى يومنا هذا، محاربة الإسلام وأهله، يقتلونهم، ويعذبونهم، ويسجونهم، ويهجرونهم من بيوتهم، من هذا الطراز الجبار، المتكبر، والعنيد الذي لا يُطيع.

(١) صحيح البخاري ١٣٧/٤ (٣٣٤٣).

﴿وَأْتِغُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ﴾  
(٦٠)

﴿و﴾: حرفٌ يجمع بين متعاطفين هنا الأول ﴿أْتِغُوا﴾: تركوا خلفهم، وهي تتبعهم ﴿في هذه الدُّنْيَا لَعْنَةً﴾: يلعنهم اللاعنون؛ فصارت اللعنة لازمةً لهم، لا تفارقهم ما دامت هذه الدنيا، ولحقت بهم في الدنيا كلما جاء ذكرهم في أي وقتٍ وحينٍ، قيل قوم هود لعنهم الله على لسان كلِّ رسولٍ، وطردهم من رحمة الله ﷻ، ﴿و﴾: عطفاً على ما سبق ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾: يُنادى عليهم يوم القيامة على رؤوس الأشهاد ﴿أَلَا﴾: حرف تنبيه، يعني انتبهوا ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ﴾: أغلقوا قلوبهم عن حقيقة ﴿رَبَّهُمْ﴾: مالك أمرهم كله، وأنكروا وجود الله ﷻ، ووجوب طاعته؛ فأبعدهم عن رحمته؛ ووقعوا في كلِّ ضارٍ لهم ﴿أَلَا﴾: جاء تكرار الحرف للمبالغة في تهويل ووصف الحالة ﴿بُعْدًا﴾: هلاكاً وسحقاً ﴿لِعَادٍ قَوْمٍ﴾: تخصيصاً، قبيلة النبي ﴿هُودٍ﴾: ﷺ.

﴿وَالِي تَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ ثُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾ (٦١)

﴿و﴾: أيضاً أرسلنا ﴿إِلَى تَمُودَ﴾: هم قومٌ سكنوا مدائن الحجر بين تبوك والمدينة، وجاءوا بعد قوم عادٍ، وقد بعث الله ﷻ فيهم رسوله ﷻ ﴿أَخَاهُمْ﴾: في العشيرة ﴿صَالِحًا﴾: واسمه صالح ﷺ ﴿قَالَ يَا﴾: حرفٌ نداءٍ للقريب والبعيد ﴿قَوْمٍ﴾: جمعٌ من جنسٍ واحدٍ، أو أفرادٌ قبيلةٍ واحدةٍ ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ﴾: أمرهم أن يُطيعوا الله ﷻ، وينصروا دينه، وقال لهم ﴿مَا﴾: حرف نفي بمعنى ليس ﴿لَكُمْ﴾: تخصيصاً ﴿مِنْ﴾: حرف بيان النوع وتمييزه، ويفيد هنا ابتداء الغاية الكليّة ﴿إِلَيْهِ﴾: معبود يُطاع ﴿غَيْرُهُ﴾: ليس لكم معبود آخر؛ يُطاع لأسبابٍ عديدةٍ ﴿هُوَ﴾: ضمير منفصل مرفوع للغائب المفرد المذكر، ويعني هنا الله ﷻ ﴿أَنشَأَكُمْ﴾: بدأ خلق أبيكم آدم ﷺ من طينٍ ﴿مِنْ﴾: حرفٌ يُفيد بداية الغاية المكانية ﴿الْأَرْضِ﴾: اذكروا أن الله ﷻ أنشأ أباكم آدم من الأرض، وفي هذا دليلٌ على فضله عليكم ﴿و﴾: أيضاً ﴿اسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾: وجعلكم تعمرون الأرض، تزرعون، وتحصدون، وتصطادون، وتشربون، وتأكلون، وليس للعبادة فقط، وتبنون المساجد، والبيوت، والمصانع، والمدارس، بجانب المساجد لتعمروها مدة أعماركم ﴿ف﴾: حرفٌ استثنائيٌ بهدف ترتيب الأمر ويفيد سرعة التحقيق ﴿اسْتَغْفِرُوهُ﴾: إن حروف "الألف، والسين، والتاء" تعني الطلب، فقط أسأله ﷻ أن يُسامحكم على ذنوبكم السابقة ﴿ثُمَّ﴾: حرفٌ يُفيد التتابع الزمني غير السريع ﴿ثُوبُوا إِلَيْهِ﴾: واجعلوا مستقبلكم غير ماضيكم،

اجعلوا مستقبلكم توبة وطاعة ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿رَبِّي قَرِيبٌ﴾: من خلقه، يسمع ويرى ﴿مَجِيبٌ﴾: إذا سألتموه أجاب، وإذا تقرّبتم اقترب، وإذا تبتم؛ سامح وغفر ﷺ.

﴿قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ (٦٢)

﴿قَالُوا يَا﴾: حرف نداء ﴿صَالِحٌ﴾: وهو الصّالِح منكم، ويعرفونه تمام المعرفة ﴿كُنْتَ فِينَا﴾: عشت معنا، وعندنا ﴿مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا﴾: كنت صاحب قيمة وقدر عندنا؛ كنا نتمنى أن تُحكّم عقلك قبل أن تقول هذا الكلام، وقد يكون معناها كنت نموذجًا نرجوه، ونتمنى أن نكون عليه، وتأتي اليوم لتقول هذا الكلام! هم في كلّ الأحوال يُسيئون لأنفسهم؛ لأنّهم لم يسمعوا كلام رجلٍ عاقلٍ منهم، يعترفون بصدقه، فلماذا يرفضون تصديقه ﴿أَتَنْهَانَا﴾: تمنعنا ﴿أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿نَعْبُدُ﴾: نطيع ﴿مَا﴾: الذي من جنس غير العاقل ﴿يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾: تمنعنا أن نعبد ما عبد آباؤنا ﴿وَإِنَّا﴾: نحن بالتأكيد ﴿لَنْ﴾: حرف علة وسبب ﴿فِي شَكٍّ﴾: نحن لا نصدق كلامك، ﴿مِمَّا﴾: من الذي ﴿تَدْعُونَا إِلَيْهِ﴾: لأنّ ما تقوله هو عندنا ﴿مُرِيبٌ﴾: كذب ومن الشك أي مشكوك في صحته.

﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَأَتَانِي مِنْهُ رَحْمَةٌ فَمَنْ يُنصِرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ﴾ (٦٣)

﴿قَالَ﴾: صالح الصّالِح ﴿يَا﴾: حرف نداءٍ للقريب هنا ﴿قَوْمٍ﴾: أقاربي وعشيرتي ﴿أَرَأَيْتُمْ﴾: فكروا في قلبي وأخبروني إن تحقق لكم صدقي ماذا سيكون قولكم لربكم يوم تلقونه ﴿إِنْ﴾: حرف شرط ﴿كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾: إن كان عندي حجة ظاهرة، وبرهان صادق ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ يفيد النوع وابتغاء الغاية الزمانية والمكانية، ويفيد هنا الغاية الكلية ﴿رَبِّي﴾: ليس من اختلاق البشر، بل من الله ﷻ، مالك أمري كله ﴿وَأَتَانِي﴾: أيضًا منحني وأعطاني ﴿مِنْهُ﴾: بعض ﴿رَحْمَةً﴾: هنا بمعنى النبوة والحكمة والإيمان، هذا الدين الحق؛ الذي يُحرّم عبادتكم إلا لله ﷻ وحده ﴿فَمَنْ﴾: حرف استفهام استثنائي يفيد العاقل، هنا بغرض النفي ﴿يُنصِرُنِي﴾: لا يملك أحدٌ منكم، أو غيركم، أن يمنع أو يرفع عني عذاب الله ﷻ ﴿مِنَ اللَّهِ إِنْ﴾: حرف شرط ﴿عَصَيْتُهُ﴾: غضب الله ﷻ عليّ إن خالفت أمره فلم أبلغ الرسالة، وأنصح لكم ﴿فَمَا﴾: حرف يفيد خبرًا ﴿تَزِيدُونَنِي﴾: تضيفون عليّ ﴿غَيْرَ﴾: حرف استثناء بمعنى إلا ﴿تَخْسِيرٍ﴾: خسران؛ عندها لن تتفعدوني، بل ستزيدونني خسارة على خسارة، وضلالًا على ضلال.

﴿وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾ (٦٤)

﴿وَيَا﴾: حرف نداء هنا للقريب ﴿قَوْمٍ﴾: أقاربي وعشيرتي ﴿هَذِهِ﴾: اسم إشارة للمفرد المؤنث ﴿نَاقَةُ اللَّهِ﴾: أنثى البعير ﴿لَكُمْ﴾: تخصيصاً ﴿آيَةً﴾: معجزة ظاهرة دالة على صدق نبوتي من الله ﷻ كدليل؛ لأنه أخرجها لكم من جبلٍ على حسب اقتراحكم الناقة التي طلبها قوم صالح من الصخرة دونَ أبٍ وأمٍّ، تسقي كلَّ القرية من لبنها، يوماً بعد يوم ﴿فَذَرُوهَا﴾: لهذا السبب اتركوها ﴿تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ﴾: ترعى مما فيها من المراعي التي تأكلها الحيوانات ﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿لَا﴾: حرف نهى ومنع ﴿تَمَسُّوهَا﴾: تصيبوها بضرٍ بالغٍ ولا تضيقوا عليها في المراعي ﴿بِ﴾: حرف علّةٍ وسببٍ ﴿سُوءٍ﴾: لا تصيبوها بضرٍ أو شرٍّ، وخاصةً القتل ﴿فَ﴾: حرفٌ يفيد السبب ﴿يَأْخُذْكُمْ﴾: يُصِيبُكُمْ اللهُ ﷻ ﴿عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾: عذابٌ أليمٌ سريعٌ، وقد تحقق الهلاكُ بعد ثلاثة أيام.

﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعَدُّ غَيْرِ مَكْدُوبٍ﴾ (٦٥)

﴿فَ﴾: حرف يفيد السبب ﴿عَقَرُوهَا﴾: قتلوها بسرعة، ضربًا بالسيف أو نحو ذلك؛ خوفًا من أن تكون سببًا في إيمان الناس ﴿فَقَالَ﴾: صالح ﷺ ﴿تَمَتَّعُوا﴾: بالعيش ﴿فِي دَارِكُمْ﴾: أخبرهم ما أخبره ربُّه ﷻ، وقال تمتعوا بالشعور بالنصر، ثم يأتاكم الهلاك بعد ﴿ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ﴾: إشارة للعذاب القادم ﴿وَعَدُّ﴾: هو أمرٌ يتحقق ﴿غَيْرِ﴾: حرف نفي ﴿مَكْدُوبٍ﴾: وعدٌ قائمٌ يتحقق صدقًا.

﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِن خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ (٦٦)

﴿فَلَمَّا﴾: حرفٌ يُفيدُ التتابع والسبب ﴿جَاءَ﴾: حلّ، وجاء حينه ووقع فعلاً ﴿أَمْرُنَا﴾: حلّ موعد هلاك القرية كلها بأمر الله ﷻ ﴿نَجَّيْنَا﴾: جاءت كلمة النجاة بصيغة الجمع، ومن الواحد الأحد؛ لعظم الحدث وهي النجاة ﴿صَالِحًا وَالَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد أيضًا جميع من ﴿آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا﴾: حرف يفيد بداية الغاية، أنقذ الله ﷻ النبي صالح ومن آمن معه؛ بلطفٍ وحبٍ من الله ﷻ وحفظه ﴿وَمِن خِزْيِ﴾: عارٍ ﴿يَوْمِئِذٍ﴾: هذا اليوم كان العذاب خزيًا عظيمًا ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿رَبِّكَ﴾: هو الذي أنشأك من حالٍ إلى حالٍ وهو المربي لك إلى حدّ التمام، فهو مالك أمرك كلّهُ ﴿هُوَ﴾: ضمير منفصل مرفوع للغائب المفرد المنكر، ويعني هنا الله ﷻ ﴿الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾: قَدْرُ اللهِ ﷻ الذي لا يغالبه أحد ولا يقدر

عليه أحد، كان لهم الموت في الحياة الدنيا، وبقي عقابهم يوم القيامة على ما سجلوا من أعمالٍ مُخزِيةٍ في صحائف أعمالهم.

﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَائِمِينَ﴾ (٦٧)

﴿و﴾: عطفاً على ما سبق ﴿أَخَذَ﴾: أصاب الهلاك ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ ﴿ظَلَمُوا﴾: الذين لم يُصدِّقوا نبيَّهم، وعصوا أمر ربِّهم، وظلموا أنفسهم ببعدهم عن الصواب ﴿الصَّيْحَةَ﴾: صوتٌ من السماء، المُجلجل؛ المُزلزل؛ الذي يأخذ بالأبواب؛ ويُهلك من يصيبه ﴿ف﴾: حرفٌ استثنائيٌ بهدف ترتيب الأمر ويفيد سرعة التنفيذ ﴿أَصْبَحُوا﴾: صاروا ﴿فِي دِيَارِهِمْ﴾: بيوتهم وقراهم: ﴿جَائِمِينَ﴾: الأجسام الحيَّة صارت جُثثاً هامدةً، وقد ألصقت وجوههم بالتراب، كالطير إذا جثمت.

﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا إِنَّ نَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُغْدًا لِنَمُودَ﴾ (٦٨)

﴿كَأَن﴾: حرفٌ يُفيد التقريب والتشبيه ﴿لَمْ﴾: حرف نفي ﴿يَغْنَوْا﴾: لم يقيموا في بلادهم أو ديارهم ولم يستعمروا فيها كأنهم لم يعيشوا فيها طويلاً، ويتكاثرون في الأموال، والأولاد ﴿فِيهَا﴾: في قريتهم بهلاك سگان هذه القرية، بدت مظاهر الحياة فيها كأنها لم تكن ﴿أَلَا﴾: حرفٌ يُفيد التشبيه، انتبهوا أيها النَّاس ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿نَمُودَ كَفَرُوا﴾: الكفر هنا بمعنى التغطية على حقيقة ﴿رَبَّهُمْ﴾: مالك أمرهم كلِّه، رفضوا طاعة ربِّهم، كأنه ﷻ غير موجود ﴿أَلَا بُغْدًا﴾: هلاكاً وزوالاً ﴿ل﴾: تخصيصاً ﴿نَمُودَ﴾: اعتبروا أيها النَّاس: كيف زالت نمود، عن سالم بن عبد الله، عن أبيه، رضي الله عنهم: أن النبي ﷺ لما مرَّ بالحجرِ قال: «لَا تَدْخُلُوا مَسَاكِنَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ، أَنْ يُصِيبَكُمْ مَا أَصَابَهُمْ» ثُمَّ تَقَنَّعَ بِرِدَائِهِ وَهُوَ عَلَى الرَّحْلِ<sup>(١)</sup>، عَنْ نَافِعٍ، أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَخْبَرَهُ أَنَّ النَّاسَ نَزَلُوا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَرْضَ نَمُودَ، الْحِجْرَ، فَاسْتَقَوْا مِنْ بئرِهَا، وَاعْتَجَنُوا بِهِ، فَأَمَرَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «أَنْ يُهْرِيقُوا مَا اسْتَقَوْا مِنْ بئرِهَا، وَأَنْ يَغْلِفُوا الْإِبِلَ الْعَجِينَ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَسْتَقُوا مِنَ الْبئرِ الَّتِي كَانَتْ تَرُدُّهَا النَّاقَةُ»<sup>(٢)</sup>.

﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامًا فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾

(٦٩)

(١) صحيح البخاري ١٤٩/٤ (٣٣٨٠).

(٢) صحيح البخاري ١٤٩/٤ (٣٣٧٩).

﴿وَلَقَدْ﴾: حرف جرّ يُفيد هنا التحقق بالتأكيد؛ لأنه وقع هنا على الفعل الماضي ﴿جَاءَتْ رُسُلَنَا﴾: صدقًا، جاءت الملائكة المرسلون إلى ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾: عليه السلام، أبي الأنبياء، بصورة رجالٍ حسان المنظر ﴿ب﴾: حرف باء السببية ﴿الْبُشْرَى﴾: بالخبر السار؛ بُشِرَى رزق الله ﷺ له بولده إسحق ومن بعده يعقوب، وبشِرَى هلاك قوم لوط ﴿قَالُوا﴾: الملائكة ﴿سَلَامًا﴾: بمعنى سلّمنا عليك ﴿قَالَ سَلَامٌ﴾: عليكم السلام؛ نلاحظ هنا أنّ تحية الملائكة كانت سلامًا منصوبة، وجاء الرّد سلامًا؛ والرفع في اللغة دليلُ الدوام والثبوت، فرد إبراهيم عليه السلام، التحية للملائكة بأحسن منها ﴿فَمَا﴾: حرف عطف يُفيد الخبر ﴿أَلَيْسَ﴾: بمعنى أقام إقامة دائمة، وهنا تعني لم يمكث طويلًا، بل ذهب سريعًا ﴿أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿جَاءَ بِعَجَلٍ﴾: والعجلُ ابنُ البقرة ﴿حَنِيذٍ﴾: محنودًا بمعنى مشويًا على الحجارة الساخنة.

التكليف: هذه الآية فصّلت آداب الضيافة، تجهيز الطعام الثمين بسرعة قبل الكلام.

﴿فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكَرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ لُوطٍ﴾ (٧٠)

﴿فَلَمَّا﴾: حرف يُفيد التتابع والسبب، بعد أن قدّم الطعام، وطلب منهم أن يأكلوا بعدها مباشرة ﴿رَأَى﴾: شاهد ولاحظ أن ﴿أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ﴾: لا يمدونها إلى العجل؛ ليأكلوا؛ لما تيقن إبراهيم عليه السلام أن الشبان عازفون عن الطعام، ولم يمدوا؛ أيديهم ليأكلوا من العجل المشوي ﴿نَكَرَهُمْ﴾: استنكر عليهم صنيعهم، ونفرَ منهم ﴿وَ﴾: عطفًا على هذا ﴿أَوْجَسَ﴾: أصابه شكٌ، وتوجسّ، وخوفٌ ﴿مِنْهُمْ خِيفَةً﴾: خاف منهم ﴿قَالُوا﴾: الملائكة ﴿لَا﴾: حرف نهي ﴿تَخَفْ﴾: وأخذوا يوضحون سبب مجيئهم ﴿إِنَّا﴾: نحن رسل الله ﷺ إليك ﴿أُرْسِلْنَا﴾: من الله ﷺ ﴿إِلَى قَوْمٍ لُوطٍ﴾: أخبروه أنهم رسل الله ﷺ؛ ليعذبوا قوم لوط.

﴿وَأَمْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَلَبَسْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ (٧١)

﴿وَ﴾: عطفًا على ما سبق كانت ﴿أَمْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ﴾: امرأة إبراهيم عليه السلام واقفة، تقوم على خدمة الضيوف، وإبراهيم عليه السلام جالسٌ ﴿فَضَحِكَتْ﴾: الضحك المعروف اليوم، أو أنّها حاضت في تلك الحال وكانت عجوزًا عقيمًا قد يئست من الحيض ﴿فَ﴾: بسبب ما حدث وبدون تأخير ﴿بَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ﴾: أخبرناها بما يسرها، أن يكون لها ولدٌ اسمه إسحق ﴿وَمِنْ﴾: حرف يفيد بداية الغاية الزمانية ﴿وَرَاءِ﴾: بعد مولد ﴿إِسْحَاقَ﴾: يكون لها ولدٌ آخر اسمه ﴿يَعْقُوبَ﴾: فرحت لما بُشِرت بإسحاق، ومن بعده بيعقوب عليهما السلام.

التكليف: البشري كانت أنه سيكون من إسحاق ولده يعقوب؛ معنى ذلك أن إبراهيم لن يذبح إسحاق؛ والذبح هو شق الحلق، وقطع الأوعية الدموية التي توصل الدم للمخ فيموت وإلا لما جاء منه ولد؛ فالذبح هو إسماعيل عليه السلام.

﴿قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ (٧٢)

﴿قَالَتْ﴾: زوجة إبراهيم ﴿يَا﴾: حرف نداءٍ للقريبِ والبعيد ﴿وَيْلَتَى﴾: كلمةٌ استعجابٍ في عادة النساء، كما عادة صكّ الوجه عند التعجب ﴿أَلِدُ﴾: حرف استفهام بغرض الدهشة ﴿أَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ﴾: كان الاستفهام بسبب التعجب هل أحمل، وأنجب، وأنا امرأةٌ عجوز، عقيم، لا تحيض ﴿و﴾: أيضًا كيف يكون لي ولد ﴿هَذَا﴾: اسم إشارة للفرد المذكر ﴿بَعْلي﴾: وزوجي ﴿شَيْخًا﴾: رجلاً كبيراً، بلغ سنّ الشيخوخة ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿هَذَا﴾: الحمل والميلاد ﴿لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾: شيء لا يعرفه البشر، وهذا مصدر العجب.

﴿قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ﴾ (٧٣)

﴿قَالُوا﴾: الملائكة ﴿أَتْعَجِبِينَ﴾: كيف تعجبين وتدهشين ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ يفيد النوع وابتغاء الغاية الزمانية والمكانية، ويفيد هنا الغاية الكلية ﴿أَمْرِ اللَّهِ﴾: هل تعجبين من قضاء الله ﷻ وقدره، وأنت تعلمين أنه إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ﴿رَحْمَتُ اللَّهِ﴾: عطفه، ورضوانه، وورقه ﷻ ﴿وَبَرَكَاتُهُ﴾: وأيضا خير الله ﷻ الوفير ﴿عَلَيْكُمْ﴾: اللفظ "على" أعم وأكبر من فيكم ﴿أَهْلَ الْبَيْتِ﴾: صفة أهل البيت التي لازمت إبراهيم عليه السلام، أبا الأنبياء، خليل الرحمن ﴿إِنَّهُ﴾: ﷻ بالتأكيد ﴿حَمِيدٌ﴾: الله ﷻ المشكور، المحمود في جميع أفعاله، وأقواله ﴿مَجِيدٌ﴾: كثير الخير، المعظم في صفاته، وذاته ﷻ.

﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾ (٧٤)

﴿فَلَمَّا﴾: حرف يفيد التتابع والسبب ﴿ذَهَبَ﴾: انقضى ومضى ﴿عَنْ﴾: حرف جرّ يفيد المجاوزة ﴿إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ﴾: لما جاوز إبراهيم عليه السلام حالة الخوف، وذهب خوفه، وفزعته من الملائكة، الذين لم يأكلوا ﴿وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى﴾: بأن سيكون له ولد، وأن الملائكة سيهلكون قوم لوط، أخذ ﴿يُجَادِلُنَا﴾: جاء اللفظ القرآني الجدل، الاستفسار، والتعجب في جانب، و في القرآن الكريم جاءت على وجهين؛ هنا بمعنى الاختلاف في الرأي، وليس في العقيدة، جاءت في قوله ﷻ ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾ [الرعد-١٣] ﴿فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾: قال سعيد بن جبير: بدأ إبراهيم عليه السلام، يسأل الملائكة: أتهلكون قريةً فيها ثلاثمائة مؤمن؟ قالوا: لا، واستمر



يخفض عدد المؤمنين؛ حتى قال: أتهلكون قريةً فيها مؤمنٌ واحدٌ؟ قالوا: لا، قال: إنَّ فيها لوطاً عليه السلام؛ فسكنت نفسه وذهب عنه الخوف.

﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾ (٧٥)

﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ﴾: متأنٌّ غير مُتَعَجِّلٍ في الأمور، لا يغضب بسهولة ﴿أَوَّاهٌ﴾: كثير التأوه والتضرع والدعاء إلى الله ﷻ ﴿مُنِيبٌ﴾: يرجع إليه ﷻ في كلِّ شيءٍ.

التكليف: هذه الصفات الثلاث مدح بها الله ﷻ إبراهيم أبا الأنبياء: حلِيم، أواه، منيب.

﴿يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرٌ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾ (٧٦)

﴿يَا﴾: حرفُ نداءٍ هنا للقريب، والقائل هم رسل الله ﷻ ﴿إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ﴾: ابتعد ﴿عَنْ﴾: حرفُ جرٍّ يُفيدُ المجاوزة ﴿هَذَا﴾: قالت الملائكة لإبراهيم عليه السلام: لا تجادل في أمر قوم لوط ﴿إِنَّهُ﴾: بالتأكيد ﴿قَدْ﴾: حرف جزم دخل هنا على الفعل الماضي فأفاد التأكيد ﴿جَاءَ﴾: صدر ﴿أَمْرٌ رَبِّكَ﴾: لقد صدر القرار الرباني، ولا رجعة فيه، كناية عن العذاب الذي حكم به الله ﷻ عليهم ﴿و﴾: عطفًا على هذا ﴿إِنَّهُمْ﴾: بالتأكيد ﴿آتِيهِمْ﴾: سينزل بهم ﴿عَذَابٌ﴾: العذاب المقدر عليهم ﴿غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾: لا رجوع عنه، هو هلاكٌ، وبأسٌ، لا يردُّ عنهم بجدال أو دعاء.

﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾ (٧٧)

﴿وَلَمَّا﴾: اسم توكيد ﴿جَاءَتْ﴾: وصلت وحلَّت ﴿رُسُلُنَا﴾: رسلُ الله ﷻ ﴿لُوطًا﴾: نزلت الملائكة إلى لوط عليه السلام، في صورة شبَّان حسان الوجه ﴿سِيءَ بِهِمْ﴾: ساء مجيئهم لم يعجبه حُسْنُ مظهرهم؛ لأنَّ هذا سيُغري الشواذ، ضاقت نفسه بسببهم، وخاف من شرِّ وضررٍ أن يستضيف أحدهم شخصًا من قومه؛ فيضطر أن يدافع عنه، وهذا صعبٌ عليه ﴿و﴾: عطفًا على هذا ﴿ضَاقَ﴾: كناية عن عدم الرضا؛ لما رأى الملائكة في تلك الصورة ﴿بِهِمْ ذَرْعًا﴾: ضعفت طاقته عن تدبير أمرهم، قال قتادة: ما أعلم على وجه الأرض أهلَ بلدٍ أخبثَ من هؤلاء ﴿وَقَالَ﴾: لوط عليه السلام ﴿هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾: شديدُ البلاءِ والشرِّ؛ لأنَّ عليه أن يدافع عن ضيوفه.

﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمَنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ﴾ (٧٨)

﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ﴾: وصل قوم لوط عليه السلام، إلى بيته ﴿يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ﴾: يسرعون كأنهم يُدفعون دفعًا، ويهرولون من الفرح، فقد جاءهم صيدٌ ثمينٌ ﴿وَمِنْ﴾: حرفٌ يُفيدُ بداية الغاية الزمانية

﴿قَبْلَ﴾: في الماضي ﴿كَانُوا﴾: فيما سبق ﴿يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾: بقوا على عاداتهم المنكرة، وهي إتيان الذكور من أدبارهم؛ حتى أخذهم الله ﷻ وهم عليها، أن يأتيوا الرجال من دون النساء، وهو ما أنكره الله ﷻ على عباده ﴿قَالَ﴾: لوط ﷻ، مُتَوَدِّدًا ﴿يَا﴾: حرفُ نداءِ القريب والبعيد ﴿قَوْمِ﴾: جماعةٌ من أصلٍ واحدٍ، قال محاولاً أن يعودوا عن جريمتهم ﴿هُؤُلَاءِ﴾: تنبيه للبعيد ﴿بَنَاتِي﴾: يقصد نساء قومه، غير المتزوجات، هذا من مقام الأنبياء الذين هم بمنزلة الآباء؛ أن يُرشدوا أبناءهم إلى فعل الخير، فكلُّ بنتٍ من قومه هي بمنزلة ابنته، قيل هؤلاء بناتي أمامكم فتزوجوهن بشرع الله ﷻ، وقد يكون أن قول لوط ﷻ، لهم كان من باب المدافعة إلى أن ينصرف الضيوف ﴿هُنَّ﴾: ضمير للجمع المؤنث تحديداً ﴿أَطْهَرُ﴾: أحلُّ وأقى. والطهارة نوعان: طهارة النفس من الآثام، وطهارة الجسد من الأوساخ، تزوجوهن فإتيانهن بالحلال أظهر ﴿لَكُمْ﴾: تحديداً وتخصيصاً من فعل الفاحشة في الذكور ﴿فَاتَّقُوا﴾: بسبب هذا تجنبوا غضب الله ﷻ، خافوا غضب الله ﷻ واستجيبوا لما أرشدكم إليه، الزواج من النساء أظهر لكم، ﴿وَلَا﴾: عطفًا على هذا إنني أنهاكم أن ﴿تُخْزُونَ﴾: تقضحوني وتسببوا لي الخزي والعار ﴿فِي صَنِيْفِي﴾: جاء لفظ الخزي هنا بمعنى الفضيحة لا تقضحوني بالخزي والعار أمام ضيوفي ﴿أَ﴾: حرفُ استفهامٍ بغرض التعجب والتوبيخ ﴿لَيْسَ﴾: فعل ماضٍ ناقص يفيد النفي ﴿مِنْكُمْ﴾: حرف يفيد بعض أو جزء، ألا يوجد بينكم ﴿رَجُلٌ رَشِيدٌ﴾: رجل عاقل، يقبل ما أمره به، وينهاكم عن الفاحشة.

﴿قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾ (٧٩)

﴿قَالُوا لَقَدْ﴾: حرفٌ جرٌّ يفيد هنا التحقق بالتأكيد؛ لأنه وقع هنا على الفعل الماضي ﴿عَلِمْتَ﴾ ما: حرف نفي ﴿لَنَا﴾: لا نريد، لا حاجة لنا ﴿فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ﴾: من حاجة، أو مأرب، نحن لا نشتهي نساء القوم، ولا رغبة لنا فيهن ﴿وَإِنَّكَ﴾: أنت بالتأكيد ﴿لَتَعْلَمُ﴾: علم يقين ﴿مَا﴾: الذي ﴿نُرِيدُ﴾: تعلم أن غرضنا ورغبتنا في الذكور، نريد الرجال.

﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ (٨٠)

﴿قَالَ﴾: لوط ﷻ حزيناً ﴿لَوْ﴾: حرفٌ يفيد الاستحالة، ليت ﴿أَنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الإنكار والشك ﴿لِي﴾: أملك ﴿بِكُمْ قُوَّةٌ﴾: متمنياً القوة ليدعهم؛ والثاني أن ﴿أَوْ﴾: حرف يفيد التخيير أو التسوية ﴿آوِي﴾: أنضم وأسكن وألجأ ﴿إِلَىٰ رُكْنٍ﴾: جانب، والمقصود هو قوَّة تدعمه، مثل عشيرته، يستند إليها كما يستند إلى الركن في البناء، بين جدارين ﴿شَدِيدٍ﴾: قويٌّ كان يتمنى لو كانت له عشيرة تمنعه، فكان اللجوء إلى الله ﷻ، وكان الله ﷻ من بعده يُرسل النبي في

منعة من قومه؛ فلم تتكرر حالة لوط عليه السلام؛ بإرادة المولى؛ ولحكمة يعلمها عليه السلام، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يَغْفِرُ اللَّهُ لَلْوَطِ إِنَّهُ أَوْىٰ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ»<sup>(١)</sup>.

﴿قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَاتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ (٨١)

﴿قَالُوا يَا لُوطُ﴾: قالت له الملائكة عليهم السلام ﴿إِنَّا﴾: نحن بالتأكيد ﴿رُسُلٌ﴾: مرسلون من ﴿رَبِّكَ﴾: من الله صلى الله عليه وسلم؛ مالك أمرك كله، بعملٍ محددٍ فاطمئن ﴿لَنْ﴾: حرف نفي ﴿يَصِلُوا إِلَيْكَ﴾: لن ينالكَ قومك ويمسوك بسوءٍ ﴿فَأَسْرِ﴾: لهذا السبب أخرج للسفر بهم من هذه القرية ليلاً، وانطلق سيرًا مبكرًا ﴿ب﴾: حرف باء المصاحبة ﴿أَهْلِكَ بِقِطْعٍ﴾: جزء من أو من آخره ﴿مِنْ﴾: حرف يفيد بداية الغاية الزمانية ﴿اللَّيْلِ﴾: ومعك أهلك آخر الليل، في ساعةٍ مظلمةٍ، يكون أهلك أمامك، وأنت خلفهم، تسوقهم ﴿و﴾: عطفاً على هذا ﴿لَا﴾: حرف نهي ﴿يَلْتَفِتْ﴾: ينظر خلفه ﴿مِنْكُمْ﴾: بعضكم ﴿أَحَدٌ﴾: لا ينظر أحدكم خلفه إذا سمع الأصوات المزعجة المزعجة، الهول والرعب ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء منقطع ﴿أَمْرَاتِكَ﴾: وقد تحقق ذلك، فعندما خرجت مع لوط عليه السلام؛ سمعت الهول، التفتت خلفها، وخالفت أمر الرسول، وقالت: واقوماه ﴿إِنَّهُ﴾: بالتأكيد ﴿مُصِيبُهَا﴾: ينالها غضبُ الله صلى الله عليه وسلم وهو ﴿مَا﴾: الذي ﴿أَصَابَهُمْ﴾: أصابها ما أصاب قومها ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿مَوْعِدَهُمْ﴾: ما سيحلّ عليهم من غضب الله صلى الله عليه وسلم ﴿الصُّبْحُ﴾: طلب لوط عليه السلام من الملائكة أن يسارعوا في إهلاك قومه؛ فقالوا له إن موعدهم هلاكهم الصبح ﴿أ﴾: حرف استفهامٍ بغرض الاستفهام والتقريب ﴿أَلَيْسَ﴾: فعل ماضٍ ناقص يفيد النفي ﴿الصُّبْحُ﴾: جاء الحدث في وقت طلوع الشمس؛ لأنهم مجتمعون في مساكنهم ولم يخرجوا منها للعمل؛ لضمان أخذهم جميعاً، وقيل إن الملائكة اجتمعت بنوح عليه السلام، في الليل؛ لأنّ الصبح يأتي بعد الليل بوقتٍ قصير، بمعنى لن يُأخّر العذاب عنهم ﴿بِقَرِيبٍ﴾: خرج لوط عليه السلام، وأهله في آخر الليل، وكان هلاك قومه قريباً من ذلك، وكان قوم لوط أمام الباب، وهو يدفعهم بعيداً عن البيت، وهم يطلبون ضيوفه، ويهددونه، ويتوعدونه؛ فخرج جبريل عليه السلام؛ فضرب وجوههم بجناحه؛ فطمس أعينهم؛ فمحا أبصارهم؛ فرجعوا تائبين، في ذلك قال الله صلى الله عليه وسلم: ﴿وَلَقَدْ زَاوَدُوهُ عَنْ صَيفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذِرِ﴾ [القمر-٣٧].

﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَابًا مِنْ سَجِيلٍ مُنْصُودٍ﴾ (٨٢)

(١) صحيح مسلم ٤/١٨٤٠ (١٥١).

﴿فَلَمَّا﴾: حرف يفيد التتابع والسبب ﴿جَاء﴾: وقع، وحلّ، وتحقق ﴿أَمْرُنَا﴾: بوقوع العذاب عند طلوع الشمس، جاء بعد ذلك ما أهلكهم ﴿جَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا﴾: قالها ﷺ بالجمع؛ للتضخيم؛ جعلنا أعلى قرية سدوم أسفلها، وليست بيوتًا بعينها، بل منطقة بأكملها ﴿و﴾: عطفاً على ذلك فبعد أن أصابت القرية الرّجة الزلزلة الكبرى ﴿أَمْطَرْنَا﴾: جاءت بصيغة الجمع لغزارة المطر ﴿عَلَيْهَا﴾: نزلت عليها حجارة كالمطر ﴿حِجَارَةً مِنْ﴾: حرف يفيد بداية الغاية المكانية ﴿سَجِيلٍ﴾: قال ابن عباس: حجارة من طينٍ مُتَحَجِرٍ، قويّ شديدٍ، وقيل حجارة مشوية، الشديد الكبير، وهي أيضًا سجين اللام والنون أختان تحل إحداهما محلّ الأخرى ﴿مَنْصُودٍ﴾: متتابع يأتي بعضه فوق بعضٍ، أُعدّت في السماء لهذا الغرض، وقيل تنزل تباعا عليهم.

﴿مُسْوَمَةٌ عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ (٨٣)

﴿مُسْوَمَةٌ﴾: التي لها علامة باسم، القوم الذين سيرجمون بها، وقيل كان عليها أمثال الخواتيم، وقيل مكتوب على كلّ حجر اسم الذي سينزل عليه، من ﴿عِنْدَ﴾: ظرف زمانٍ وظرف مكانٍ ﴿رَبِّكَ﴾: خالقك ومالك أمرك كلّهُ، وتتابعت الحجارة، كلّ حجرٍ يعرف هدفه؛ فدمرتهم جميعاً ﴿وَمَا﴾: حرف نفي ﴿هِيَ﴾: هذه الحجارة، أو هذه الحادثة والله أعلم ﴿مِنْ﴾: حرف يفيد التأكيد ﴿الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَلْعُونٌ مَنْ سَبَّ أَبَاهُ، مَلْعُونٌ مَنْ سَبَّ أُمَّهُ، مَلْعُونٌ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ، مَلْعُونٌ مَنْ غَيَّرَ تَحْوِمَ الْأَرْضِ، مَلْعُونٌ مَنْ كَمَهَ أَعْمَى عَنِ طَرِيقٍ، مَلْعُونٌ مَنْ وَقَعَ عَلَىٰ بَهِيمَةٍ، مَلْعُونٌ مَنْ عَمِلَ بِعَمَلِ قَوْمِ لُوطٍ»<sup>(١)</sup>.  
التكليف: لم تكن هذه حادثةً عابرةً، ولكنها نعمةٌ تُصيب من تشبه بهم في ظلمهم، في كلّ زمانٍ وكل مكانٍ: اللهم إنك تعلم أن الغرب الذي تأمر علينا سمح لشعبه بارتكاب هذه الفاحشة؛ بحجة حقوق الإنسان، فأنزل عليهم غضبك.

التكليف: وعن حكم من يعمل عمل قوم لوط: القتل، فعن ابن عباسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ وَجَدْتُمُوهُ يَعْمَلُ عَمَلِ قَوْمِ لُوطٍ فَأَقْتُلُوا الْفَاعِلَ وَالْمَفْعُولَ بِهِ»<sup>(٢)</sup>.

﴿وَالِي مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ﴾ (٨٤)

﴿و﴾: أيضًا أرسلنا ﴿إِلَى مَدْيَنَ﴾: وهي قبيلة من العرب، سكنت بين الحجاز والشام، قريبة من معان، وسُمّيت البلاد مدين أيضًا ﴿أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾: كان النبي ﷺ من أشرف رجال القبيلة

(١) مسند أحمد ٣/٣٦٧ (١٨٧٥). قال الأرنؤوط: إسناده حسن.

(٢) سنن الترمذي ٥٧/٤ (١٤٥٦). قال الأرنؤوط في حاشية مسند الإمام أحمد ٤/٤٦٤: حديث صحيح، وهذا إسناد حسن.

نسبًا، سمّاه الله ﷻ أخاهم في النسب ﴿قَالَ يَا﴾: نداء للقريب والبعيد ﴿قَوْم﴾: أيها الأقارب ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ﴾: إنّ مهمة كلّ الرُّسل عليهم السلام؛ هي دعوة شعوبهم إلى طاعة الله ﷻ وحده، لا شريك له، وتذكيرهم أنّه ﴿مَا﴾: حرف نفي ﴿لَكُمْ﴾: تمليكًا وتخصيصًا ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ يفيد النوع وابتغاء الغاية الزمانيّة والمكانيّة، ويفيد هنا الغاية الكليّة ﴿إِلَيْهِ﴾: معبود ﴿غَيْرُهُ﴾: إنّ إلهكم الله ﷻ وحده ﴿وَلَا﴾: عطفاً على هذا، مُحَرَّم عليكم أنْ ﴿تَنْقُصُوا﴾: تُقلِّلوا ﴿الْمِكْيَالَ﴾: الوزن ﴿و﴾: أيضًا لا تُنقصوا ﴿الْمِيزَانَ﴾: كان الفساد في التجارة، يُزيّدون ويُنقصون بحسب مصالحهم وهو التطفيف ﴿إِنِّي﴾: أنا بالتأكيد ﴿أَرَأَيْكُمْ﴾: تقديري وموقفي منكم أنكم ﴿بِخَيْرٍ﴾: أنتم أغنياء أصحاب ثروات وسعة في الرزق، فلا تغيروا نعمة الله عليكم ﴿وَإِنِّي﴾: أنا بالتأكيد ﴿أَخَافُ﴾: أخشى ﴿عَلَيْكُمْ﴾: ولا أستبعد أن يأتي عليكم عذاب ربكم وهو ﴿عَذَابٌ يَوْمٍ مُحِيطٍ﴾: مُهلكٌ وسيُصيبُ كلّ واحدٍ منكم، ويُحيطُ بكم جميعًا؛ فلا يجد أحدكم مخرجًا.

﴿وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ (٨٥)

﴿وَيَا قَوْم﴾: حرف نداءٍ للقريب والبعيد ﴿أَوْفُوا﴾: لا تنقصوا ﴿الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ ب﴾: حرف باء الصلة ﴿الْقِسْطِ﴾: زنوا بالعدل، لا تنقصوا ما تعطوه للناس ﴿وَلَا﴾: أيضًا هنا نفي يفيد التحريم ﴿تَبْخَسُوا﴾: البخس هو نقص الشيء على سبيل الظلم؛ أي لا تقللوا من قيمة وأسعار بضاعة ﴿النَّاسِ أَشْيَاءَهُمْ﴾: لا تقللوا أسعار ما تشترون؛ فتجوروا وتظلموا الناس في حقوقهم ﴿وَلَا تَعْنُوا﴾: والعنوا هو الفساد التام وأخطره فساد العقيدة، وفساد حياة البشر ﴿فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾: وكان مما يُفسدون قطع الطريق وسرقة أموال وممتلكات الناس.

التكليف: من هذه الآية الكريمة نعلم أنّ ثلاثة أوامر ونواه تُفسد التجارة، وتفسد مجتمعات الناس: الأول: عدم نقص الكيل والميزان إذا أعطوا الناس، والثاني: وفاء الكيل والوزن، إذا أخذوا والثالث: الفساد في الأرض؛ حيث كانوا قُطَاعِ طُرُقٍ.

﴿بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾ (٨٦)

﴿بَقِيَّتُ﴾: ما أبقاه الله ﷻ لكم، قال ابن عباس: رزق ﴿اللَّهِ﴾: وقال الربيع: وصيّة الله ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾: وقال مجاهد: طاعة الله ﷻ خيرٌ لكم، وقال قتادة حظُّكم من الله ﷻ نصيبكم، وقال ابن جرير: ما يبقى لكم من الربح بعد وفاء الكيل ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا﴾: حرف نفي ﴿أَنَا

**عَلَيْكُمْ بِ**: باء التوكيد **حَفِيظًا**: لست رقيقًا، ولا حفيظًا عليكم، افعلوا ذلك ليس من أجلي، أو ليراكم الناس، بل افعلوه طاعةً وامتنانًا لله ﷻ.

**قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ** (٨٧)

**قَالُوا**: الذين يجادلون من قوم شعيب **يَا**: حرف نداء للقريب والبعيد **شُعَيْبُ**: المبعوث من الله إلى قومه **أُ**: حرف استفهام يُفيد هنا الاستنكار والتوبيخ **صَلَاتُكَ**: هل كثرة صلاتك أثرت على عقلك؟ قيلت للتهمك، ولم يقولوا تعاليم الله ﷻ ولا عبادتك **تَأْمُرُكَ**: تُلزمك **أَنْ**: حرف تأكيد الفعل **نَتْرَكَ**: نكف ومنتهي عن **مَا**: الذي من غير العاقل **يَعْبُدُ**: يطيع **آبَاؤُنَا**: وهي الأصنام والأوثان التي عبدها آبائنا وأجدادنا **أَوْ**: حرف عطف يُفيد المساواة بين شيئين أو التخيير **أَنْ نَفْعَلَ**: نتصرف **فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ** **إِنَّكَ**: أي هل نترك الزيادة والنقص في الميزان، وهي أموالنا، نتصرف فيها كيف نشاء، نُنمئها ونزيدُها بالربا كما فعل آبائنا، قال الحسن: أي والله إنَّ صلاته، لتأمرهم أن يتركوا ما كان يعبدُ آبائهم، وقال الثوري: المقصود الزكاة **لَنْ**: حرف علّة وسبب **أَنْتَ الْحَلِيمُ**: الراجح العقل **الرَّشِيدُ**: الذي يقول ويفعلُ الصواب في كلِّ شيءٍ، قالوا على سبيل السخرية، كَمَا نَعُدُّكَ الْحَلِيمَ رَاجِحَ الْعَقْلِ، والرشيد الذي يأمر ويفعل الصواب.

التكليف: لقد نزل غضب الله ﷻ على مَدِينٍ في الزمن السابق، واليوم فإنَّ البورصات ودور القمار، ودور البنوك الربوية، وشوارع المال والأعمال، تملأ بلاد الغرب، والشرق، والعرب، والمسلمين، وهم في ذيل هذه الشعوب.

**قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَأَكُم عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ** (٨٨)

**قَالَ**: شعيب **يَا**: حرف نداء للقريب والبعيد **قَوْمِ**: مخاطبًا قومه بوجدٍ وتلطّفٍ **أُ**: حرف استفهام بغرض الاستنكار **أَرَأَيْتُمْ**: أخبروني **إِنْ**: حرف شرط **كُنْتُ**: ولا زلت **عَلَى بَيِّنَةٍ**: إنَّ كان منهجي وسلوكي على رؤية واضحة وبصيرة في دعوتي لكم ببرهان واضح **مِنْ**: حرف جرّ يفيد النوع وتمييزه وابتغاء الغاية الزمانية والمكانية **رَبِّي**: مالك أمري ﷻ **وَمَا**: عطفًا على هذا **رَزَقَنِي**: منحني ووهبني **مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا**: فيما أمرتكم به ونهيتكم عنه، وقيل الحكمة وقيل النبوة، والرزق الحلال **وَمَا**: حرف نفي

﴿أُرِيدُ﴾: لا أرغب ﴿أَنْ﴾: تأكيد الفعل ﴿أُخَالِفُكُمْ إِلَى مَا﴾: الذي ﴿أَنْهَأَكُمْ عَنْهُ﴾: قال الثوري: لا أنهاكم عن شيءٍ وأمارسه في الخفاء، وقال قتادة: لم أكن لأنهاكم عن أمرٍ وأرتكبه ﴿إِنْ﴾: حرف نفي، بمعنى لا ﴿أُرِيدُ﴾: أرغب ﴿إِلَّا﴾: استثناء ﴿الإِصْلَاحَ مَا اسْتَنْطَعْتُ﴾: جاءت كلمة "الإصلاح" في القرآن الكريم على سبعة أوجه؛ هنا بمعنى الإحسان. إنَّ هدف أوامري ونواهي هو الإصلاح بقدر طاقتي ﴿وَمَا تَوْفِيقِي﴾: ما أحققه من إصابة الحق ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿بِاللَّهِ﴾: إلا بتوفيق من الله ﷻ ﴿عَلَيْهِ﴾: على الله ﷻ ﴿تَوَكَّلْتُ﴾: اعتمدت في كل أمري ﴿وَالِيهِ أُنِيبُ﴾: وإليه أرجع في كل أمري.

﴿وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمٌ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ﴾ (٨٩)

﴿وَيَا﴾: حرف نداءٍ للقريب والبعيد ﴿قَوْمِ﴾: خطاب ترطيب القلوب؛ لجماعةٍ من أصلٍ واحدٍ ﴿لَا﴾: حرف نهي ﴿يَجْرِمَنَّكُمْ﴾: لا يدفعكم ولا يحملكم بالتأكيد ﴿شِقَاقِي﴾: قال السدي: عداوتكم لي، وكرهكم لي، على الإصرار على ما أنتم عليه من الكفر والفساد ﴿أَنْ﴾: تأكيد الفعل ﴿يُصِيبُكُمْ﴾: يبتليكم الله ﷻ بعذابٍ ﴿مِثْلُ مَا﴾: العذاب الذي ﴿أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ﴾: بالغرق ﴿أَوْ﴾: حرف عطف يفيد التسوية هنا بين العذاب الذي أصاب ﴿قَوْمَ هُودٍ﴾: بالريح العقيم ﴿أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ﴾: العذاب الذي أصاب بالصيحة والدمدمة ﴿وَمَا﴾: وعطفًا على هذا فإن العذاب الذي أصاب ﴿قَوْمَ لُوطٍ﴾: بالخسف ﴿مِنْكُمْ﴾: حرف يفيد بداية الغاية الزمانية ﴿ب﴾: حرف باء الظرفية ﴿بَعِيدٍ﴾: قال قتادة: ليس زمانهم بعيدًا عنكم، وقيل المكان، ويُحتمل الأمران، والله أعلم؛ فاحشوا مثل أيامهم إن عصيتم الله ﷻ كما عصوه. التكليف: لقد أخبر كلُّ رسولٍ عليهم السلام قومه قصص من سلف؛ لأنها أوقع في التأثير.

﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ (٩٠)

﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾: اطلبوا من ربكم الله ﷻ، مالك أمركم كله، المغفرة ﴿ثُمَّ﴾: حرف يفيد التتابع الزمني غير السريع بطلب الغفران من الله ﷻ ربكم مما علمتم ﴿تُوبُوا﴾: ندماً على ما فعلتم، وعهدًا ألا تعودوا إليه ﴿إِلَيْهِ﴾: فيما تستقبلون من الأعمال ﴿إِنْ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿رَبِّي﴾: مالك أمري كله ﴿رَحِيمٌ﴾: كثير الرحمة ﴿وَدُودٌ﴾: كثير المحبة.

﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بَعِيزٌ﴾ (٩١)

﴿قَالُوا﴾: قومٌ شعيب الكاذبون ﴿يَا﴾: نداء ﴿شُعَيْبُ مَا﴾: حرف نفي بمعنى لا ﴿نَفَقَهُ﴾: لا نفهم ﴿كَثِيرًا﴾: أغلب ما تقول ﴿مِمَّا﴾: من الذي ﴿تَقُولُ﴾: لا ندرك المعاني التي تقصدها ممّا تقول نزل عليك، وتأتينا بما لا عهد لنا به من الأخبار بالأمور الغيبية، كالبعث والنشور؛ ولا نفقه ذلك ﴿وَأَنَا﴾: نحن بالتأكيد ﴿لَنْ﴾: حرف علةٍ وسببٍ ﴿نَرَاكَ فِينَا﴾: إننا نرى أنك في أعيننا ﴿ضَعِيفًا﴾: أنت فردٌ واحدٌ، بلا عائلة، وقيل ذليلاً؛ لأنّ عشيرتك ضدك ﴿وَلَوْلَا﴾: أيضاً بسبب وجود ﴿رَهْطِكَ﴾: عائلتك وقبيلتك الكبيرة ﴿أَرْجَمْنَاكَ﴾: بسبب وجود أهلك امتنعنا عن رميك بالحجارة، ولقد جاء اللفظ القرآني الرجم على خمسة وجوه؛ هنا بمعنى القتل ﴿وَوَ﴾: ﴿مَا﴾: أيضاً ننفي ﴿أَنْتَ عَلَيْنَا بِ﴾: بآء الالتصاق ﴿عَزِيزٍ﴾: نحن لا نُحِبُّكَ ولا نَعْرُكَ ولا نهاب قتلك، ولكن بسبب عشيرتك لم نقتلك.

﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرِي إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ (٩٢)

﴿قَالَ﴾: شعيب ﷺ مخاطباً قومه ﴿يَا قَوْمِ﴾: مخاطباً باللين والمنطق ﴿أُ﴾: حرف استفهامٍ ﴿رَهْطِي﴾: هل عشيرتي التي أستند إليها وأتقوى بها ﴿أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنْ﴾: تفيد بيان النوع وهو الحب لـ ﴿اللَّهِ﴾: لا تقتلونني بسبب عائلتي ولا تتركوني تعظيماً لجناح الله ﷻ، وتناولوا من نبيّه بالإساءة ﴿وَاتَّخَذْتُمُوهُ﴾: أي جعلتم خشية الله ﷻ ﴿وَرَاءَكُمْ﴾: بمعنى خلف ﴿ظَهْرِي﴾: تجاهلتم تعاليمه ولم تُعظموه، وجعلتم تعاليمه ﷻ خلف ظهوركم ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿رَبِّي بِمَا﴾: بكلّ الذي ﴿تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾: إن الله مالكي ومالك كل شيء، يعلم جميع أعمالكم، ويحاسب عليها في الدنيا بالعذاب وفي الآخرة بجهنّم. التكليف: سيبقى منهج بعض الناس الخوف من العائلات ولا يخافون الله ﷻ.

﴿وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾ (٩٣)

﴿وَيَا﴾: حرف نداءٍ للقريب والبعيد ﴿قَوْمِ﴾: هم جماعةٌ من أصلٍ واحدٍ ﴿اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾: غاية تمكنكم من أمركم، استمروا في طريقكم ما استطعتم؛ لقد يئست من استجابتكم، هذا تهديداً شديداً ﴿إِنِّي﴾: أنا بالتأكيد ﴿عَامِلٌ﴾: سأستمر في طريقي ﴿سَوْفَ﴾: كلمةٌ وعدٌ للتحقق في المستقبل ﴿تَعْلَمُونَ﴾: علم اليقين ﴿مَنْ﴾: الذي من بني آدم ﴿يَأْتِيهِ﴾: يُصِيبُهُ ﴿عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾: والمقصود: ستعلمون مَنْ مَنَّا سيناله العقاب، وهو أنتم أيها الكافرون ﴿وَمَنْ﴾: الذي من البشر ﴿هُوَ﴾: ضمير منفصل مرفوع للغائب المفرد المذكور، وتشمل



الإناث أيضًا **﴿كَاذِبٌ﴾**: أيُّنا كاذب، أنتم أم أنا **﴿و﴾**: عطفاً على هذا **﴿ازْتَقِبُوا﴾**: انتظروا العاقبة، والمآل، وما سيحل بكم **﴿إِنِّي﴾**: أنا بالتأكيد **﴿مَعَكُمْ﴾**: مثلكم **﴿رَقِيبٌ﴾**: وأنا أنتظر ما سيحل بكم، عندها تعلمون الحقيقة.

التكليف: هذه لحظاتٌ مُتجددةٌ ومنتكرةٌ في تاريخ الدعوة إلى الله ﷻ مع الكافرين، تقف الأمور إلى حدِّ انتظار الوعد الربّاني، فيُحقِّقُ اللهُ ﷻ به الحق، ويُبطلُ الباطل.

**﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ (٩٤)**

**﴿وَلَمَّا﴾**: حرفٌ تأكيدٌ **﴿جَاءَ﴾**: وقع فعلاً **﴿أَمْرُنَا﴾**: ما قرر اللهُ ﷻ عليهم من العذاب؛ لإهلاك قوم شعيب **﴿نَجَّيْنَا﴾**: أنقذنا بصيغة التعظيم **﴿شُعَيْبًا و﴾**: أيضًا نجَّينا **﴿الَّذِينَ﴾**: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ **﴿آمَنُوا مَعَهُ ب﴾**: حرف باء السبب **﴿رَحْمَةٍ مِنَّا﴾**: حرف من يفيد النوع، وهي رحمة اللهُ ﷻ وهي هاديتهم للإيمان فكانت معجزة **﴿و﴾**: جمع اللهُ ﷻ على المجرمين أيضًا أن **﴿أَخَذَتِ﴾**: أصابت بشدة **﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾**: كذَّبوا بالله ﷻ **﴿الصَّيْحَةَ﴾**: صوتٌ من السماء شديد، مرعبٌ، مُهلكٌ، وجاء في الأعراف: أخذتهم الرجفة أي الزلزال، وجاء في سورة الشعراء عذاب يوم الظلَّة، وكلَّها أدت إلى طردهم من رحمة اللهُ ﷻ، كانوا **﴿ف﴾**: حرفٌ استثنائيٌ بهدف ترتيب الأمر ويفيد سرعة التحقيق **﴿أَصْبَحُوا﴾**: صاروا **﴿فِي دِيَارِهِمْ﴾**: بيوتهم **﴿جَاثِمِينَ﴾**: ميتين هامدين خامدين، على وجوههم، تلطخت دماء وجوههم بالتراب، واجتمعت عليهم هذه النقم.

**﴿كَأَنَّ لَمْ يَغْتَوُوا فِيهَا إِلَّا بُغْدًا لِمَدْيَنَ كَمَا بَعَدَتْ ثَمُودُ﴾ (٩٥)**

**﴿كَأَنَّ﴾**: حرفٌ يفيد التقريب **﴿لَمْ﴾**: نفي **﴿يَغْتَوُوا﴾**: كأنهم لم يعيشوا في رغدٍ طويلاً **﴿فِيهَا﴾**: في الأرض من قبل، فقد مُحيت آثارهم **﴿إِلَّا﴾**: حرف تنبيه **﴿بُغْدًا﴾**: زوالاً وهلاكاً **﴿لِمَدْيَنَ﴾**: تخصيصاً لقوم عاشوا في منطقةٍ على الطريق بين فلسطين والمدينة المنورة **﴿كَمَا﴾**: مثلما **﴿بَعَدَتْ﴾**: إذا كُسِرَ حرف العين كما هي هنا فنُستخدم في الشرِّ فقط، هنا بمعنى زالت وهلكت؛ وأمَّا إن جاءت بضم العين "بعدت" فنُستخدم في الخير والشر **﴿ثَمُودُ﴾**: وكانوا جيران، عرباً، وكفاراً.

التكليف: ليس النسب ولا الأصل، ولا القوة، ولا الغنى، هي أسس البقاء، ولكن الإيمان سنَّةٌ جاريةٌ إلى يوم الدين، وكما لم تتعظ أُمَّةٌ بمصير الأمم السابقة؛ لا يتعظُّ بعض زعماء الأمة العربية اليوم بما تفعله في محاربة عقيدتهم.

### ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ (٩٦)

﴿وَلَقَدْ﴾: حرفٌ يفيد التحقق في الماضي ﴿أَرْسَلْنَا﴾: القائل هو الله ﷻ، تأكيداً أنه ﷻ أرسل ﴿مُوسَى﴾: ابن عمران، كليم الله، هو من بني إسرائيل ﴿ب﴾: حرف باء السبب ﴿آيَاتِنَا﴾: هي التوراة التي تؤكد نبوته، جاءت أرسلنا آياتنا بصيغة الجمع لعظم الرسالة، ومعه الأدلة الفاطحة الواضحة على صدق نبوته ﴿و﴾: ومعه أيضاً ﴿سُلْطَانٍ﴾: هي المعجزات، وقيل هي الآيات التسع، وقيل هي العصا التي انقلبت إلى حية تسعى، كلها برهانٍ ودليلٍ ﴿مُبِينٍ﴾: سلطان الحجة والبرهان وسُلْطَانِ اللهِ ﷻ على صدق رسالته ﷻ، المُنزَلُ للكتابِ والمُرْسَلِ للرسول، هي الأدلة على توحيدنا وحجة تظهر لمن عاينها.

### ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾ (٩٧)

﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾: ملك الأقباط في مصر ﴿وَمَلَأَهُ﴾: أيضاً إلى مستشاريه، وحاشيته، ورجال الحكم والفكر، ما يُعرف بالصفوة، والبطانة ﴿ف﴾: حرف استثنائي بهدف ترتيب الأمر ويفيد سرعة التحقق ﴿اتَّبَعُوا أَمْرَ﴾: اختاروا منهج ﴿فِرْعَوْنَ﴾: وطريقه، وكفره، وظلمه ﴿وَمَا﴾: وليس ﴿أَمْرُ فِرْعَوْنَ ب﴾: باء المُصاحبة ﴿رَشِيدٍ﴾: إن منهج فرعون لا رشد فيه، ولا تعقل، وقد دلّ على ذلك مصيره.

### ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ﴾ (٩٨)

﴿يَقْدُمُ﴾: يتقدم، يكون في مقدمة ﴿قَوْمَهُ﴾: في أول الصف، أول من يناله العذاب، كما كان أولهم وقائدهم إلى الضلال ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾: يكون في مقدمة قومه في طريقهم إلى جهنم ﴿ف﴾: حرف استثنائي بهدف ترتيب الأمر ويفيد سرعة التحقيق ﴿أَوْرَدَهُمُ﴾: شبه الله ﷻ النار كمصدر الماء الذي يَرِدُهُ العِطَاشُ، أدخلهم ﴿النَّارَ﴾: الصورة كطابورٍ ذاهبٍ إلى النار في مقدمته فرعون وبطانته، ومن خلفهم من اتَّبَعَهُمْ ﴿و﴾: عطفاً على هذا ﴿بِئْسَ﴾: ساء، وندمٌ وندمٌ للناس بذكر المساوي وهي عكس المدح، وكان المصير ﴿الْوَرْدُ﴾: المصدر المائي الذي يَرِدُهُ العِطَاشُ ﴿الْمَوْرُودُ﴾: المُدخَل فيه، وهي النار خاصة المتبوعين، فالعذاب مُضاعفٌ للقيادة والتابعين، ولا يذهب العطش؛ بل يدخل النار وبئس المصير.

### ﴿وَاتَّبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بئسَ الرَّفْدُ الْمَرْفُودُ﴾ (٩٩)

﴿و﴾: عطفاً على هذا ﴿اتَّبِعُوا﴾: هم أهل فرعون وملؤه بعد هلاكهم على الصفة التي بيننا وبينهم طرداً وإبعاداً لفرعون وأعدائه بعد هلاكهم على الصفة من عذاب النار ولحق بهم ﴿في هذه﴾: في الحياة الدنيا، قال مجاهد: زيدوا ﴿لَعْنَةً﴾: يوم القيامة؛ فتلك لعنتان، وقال ابن

عباس، وقتادة، والضحاك: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾: أيضًا تصيهم لعنة الدنيا ولعنة الآخرة ﴿بِنَسٍ﴾: سوء، وشرّ وتحقير لهم ﴿الرَّفْدُ﴾: المعينُ والمُساندُ، ما أصابهم من تردادٍ وتعاقب ولعنة عذاب الدنيا، ولعنة عذاب الآخرة ﴿الْمَرْفُودُ﴾: هنا تعني كلّ ظالمٍ يطلبُ مساندة الآخرين على ظلمه.

﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ﴾ (١٠٠)

﴿ذَلِكَ﴾: إشارة للبعيد الغائب، والمقصود هو القصص التي جاء ذكرها ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ يفيد النوع وتمييزه وابتغاء الغاية الزمانيّة والمكانيّة ﴿أَنْبَاءٍ﴾: أخبار ﴿الْقُرَى﴾: التجمعات السكانية الكبيرة ﴿نَقُصُّهُ﴾: نُخبرك قصصهم ﴿عَلَيْكَ﴾: ما يقصّه الله ﷻ في هذه السورة على رسوله من أخبار الأمم السالفة المذكورة في الأمم السابقة، نخبرك به كيف تصرفوا مع أنبيائهم عليهم السلام، وكيف كان مصيرهم ﴿مِنْهَا﴾: حرفٌ يفيد بيان النوع وبمعنى من بعض هذه القرى ﴿قَائِمٌ﴾: هنا تشبيه بالزرع القائم، بقي وبقيت معالمه لا تزال موجودة على عروشها ومبانيها ﴿وَ﴾: أيضًا منها ﴿حَصِيدٌ﴾: هو النبات الذي يُحصد مطموس العين والأثر، كناية عن الدمار والتلف، وتمّ زواله؛ فلم يبق له أثرٌ، كالذي يبقى من الزرع المحصود. التكليف: المقصود هنا مُدُنٌ بقيت آثارها كمداين صالح ﷺ، ومنها مُدُنٌ لم يبق منها شيءٌ نهائيًا كديار قوم عاد.

﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْسِيبٍ﴾ (١٠١)

﴿وَ﴾: عطفًا على ما جاء ذكره من عذاب القرى ﴿مَا﴾: حرف نفي ﴿ظَلَمْنَاهُمْ﴾: لم يكن إهلاكُ الله ﷻ ظلمًا لهم ﴿وَلَكِنْ﴾: حرف استدراكٍ، عطفًا على ما سبق ﴿ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾: بالكفر والمعاصي، عندما كذبوا رُسُلهم، وكفروا بالحقائق، والبيّنات على أنفسهم، وعلى شعوبهم ﴿فَمَا﴾: حرفٌ عطفٍ يفيد الخبر ﴿أَغْنَتْ عَنْهُمْ﴾: لم تنفعهم ولم تصدّ عنهم ﴿آلِهَتُهُمْ﴾: أوثانهم، وأصنامهم، ومعتقداتهم ﴿الَّتِي يَدْعُونَ﴾ كانوا يعبدونها ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ يفيد النوع وتمييزه وابتغاء الغاية الزمانيّة والمكانيّة ﴿دُونِ﴾: غير ﴿اللَّهِ﴾: لم ينقذوهم، ولم يصدّوا عنهم ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾: بعض أي شيء من العذاب والهلاك؛ ولأنها جاءت بصيغة نكرة؛ فهي تفيد عموم الأشياء ﴿لَمَّا﴾: بمعنى حين ﴿جَاءَ﴾: وقع وحدث ﴿أَمْرُ﴾: قضاء ﴿رَبِّكَ﴾: هو المُعبود، والمُربي، وهو المنشئ لكلّ شيء في الكون من طُورٍ إلى طُورٍ إلى حدّ التمام، وهو الخالق، والمالك، والعاطي، وكثيرُ الخير، والمُحيط، والمُدبّر، والجابرُ لكسر البرايا، والثابت،

والقريب، والجامع، والمصلح، والسيد ﴿و﴾: عطفًا على هذا ﴿مَا زَادُوهُمْ﴾: ما أضافت عليهم عبادة الأصنام إلا هلاكًا وخسرانًا؛ وقد ظنوا أنها تعينهم على تحصيل المنافع ﴿عَزِيْرٌ﴾: حرف استثناء بمعنى إلا ﴿تَنْبِيْبٌ﴾: قال قتادة، ومجاهد: تخسير. أي ما أضافت الأصنام التي عبدوها إلا هلاكًا لهم وخسرانًا؛ وقد كانوا يعتقدون أنها تعينهم على تحصيل المنافع.

﴿وَكَذٰلِكَ اٰخُذُ رَبِّيْكَ اِذَا اَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظٰلِمَةٌ اِنَّ اَخْذَهُ اَلِيْمٌ شَدِيْدٌ﴾ (١٠٢)

﴿وَكَذٰلِكَ﴾: مثل هذا هي أدوات الهلاك: الأخذ، والاستئصال، والهلاك ﴿اَخْذُ﴾: إصابة، عذاب، وعقاب ﴿رَبِّيْكَ﴾: مالك أمرك كله ﴿اِذَا﴾: ظرف لما يُستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط بين ما بعدها بما قبلها ﴿اَخْذَ الْقُرَىٰ﴾: سكانها ﴿و﴾: حرف الواو هنا يفيد الحال، كونها ﴿هِيَ ظٰلِمَةٌ اِنَّ﴾: اداة تأكيد ﴿اَخْذَهُ﴾: عقابه الشديد ﴿اَلِيْمٌ شَدِيْدٌ﴾: شديد الوجع، إذا دمر الله ﷻ الأقوم، ومن فيها؛ بكفرها، وعبادتها لغير الله ﷻ، هكذا فعل بأشباههم، وأمثالهم، عن أبي موسى ؓ، قال: قال رسول الله ﷺ: اِنَّ اللّٰهَ لَيُعْلِي لِلظّٰلِمِ حَتّٰى اِذَا اَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَكَذٰلِكَ اٰخُذُ رَبِّيْكَ اِذَا اَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظٰلِمَةٌ اِنَّ اَخْذَهُ اَلِيْمٌ شَدِيْدٌ﴾ [هود-١٠٢] (١).

﴿اِنَّ فِيْ ذٰلِكَ لٰآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الْاٰخِرَةِ ذٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوْعٌ لِّهٖ النَّاسُ وَذٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُوْدٌ﴾ (١٠٣)

﴿اِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي والشك والإنكار ﴿فِيْ ذٰلِكَ﴾: اِنَّ فِيْ هَلَاكِ الْقُرَى الظالمة، التي جاء ذكرها، من الأمم السابقة ﴿ل﴾: حرف تخصيص وتمليك ﴿آيَةً﴾: موعظة، وعبرة، ودليلاً على صدق ما وعد الله ﷻ ﴿لِمَنْ﴾: تخصيصاً للذي من جنس البشر ﴿خَافَ عَذَابَ الْاٰخِرَةِ﴾: الذي يعتقد بيوم القيامة؛ يوم الحساب، يوم العقاب ﴿ذٰلِكَ﴾: بمعنى اَنَّ الذي عذبهم في الدنيا هو قادرٌ على أن يعذبهم في الآخرة، يوم القيامة ﴿يَوْمٌ مَّجْمُوْعٌ لِّهٖ﴾: تخصيصاً ﴿النَّاسُ﴾: الناس كلمة جامعة تعني كل الخلق من البشر، يوم المحشر المشهود، قال ﷻ: ﴿وَحَشْرُنَا هُمْ فَلَمَّ نُّعَاذِرُ مِنْهُمْ اَحَدًا﴾ [الكهف-٤٧] ﴿وَذٰلِكَ﴾: أيضاً هنا إشارة ليوم القيامة ﴿يَوْمٌ مَّشْهُوْدٌ﴾: يومٌ عظيم، تشهدهُ الملائكة، ويجتمع فيه الرُّسل، ويشهده أهل السماوات والأرضين، تُحشَرُ فيه الخلائق جميعهم من الإنس، والجن، والطير، والوحش، والدواب، اِنَّهٗ يَوْمُ الْعَدْلِ الرَّبّٰنِي.

﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُ اِلَّا لِاَجَلٍ مَّعْدُوْدٍ﴾ (١٠٤)

(١) صحيح البخاري ٧٤٤/٦ (٤٦٨٦).

﴿وَمَا﴾: نفي ﴿تُوَخَّرُهُ﴾: لا يأتي يوم القيامة قبل مواعده ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناءٍ منقطع ﴿ل﴾: حرف إلى ﴿أَجَلٍ﴾: أي لوقتٍ ﴿مَعْدُودٍ﴾: لا يُزاد عليها ولا يُنقص منها، فقد سبقت كلمة الله ﷻ، أن عددًا مُقدَّرًا من ذرية آدم ﷺ، وحتى مدة معينة حددها الله ﷻ، هم الذين قدر الله ﷻ خروجهم ليوم الساعة، ولا يُنقص منها.

﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ (١٠٥)

﴿يَوْمَ﴾: هو يوم القيامة ﴿يَأْتِ﴾: تقع وتحدث ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿تَكَلِّمُ﴾: الأصل فيها أن تكون تتكلم؛ فحذف حرف تاء منهما للتخفيف؛ تنطق لتقول ما عندها ﴿نَفْسٌ﴾: جوهر الإنسان، التي ستحاسب في الآخرة ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿بِإِذْنِهِ﴾: عندما يكون يوم القيامة، لا يتكلم أحد، إلا بإذن الله ﷻ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: وَلَا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ إِلَّا الرُّسُلُ، وَدَعْوَى الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ (١) ﴿ف﴾: حرف يفيد السبب ﴿مِنْهُمْ﴾: من البشر جميعًا ﴿شَقِيٌّ﴾: هم فريق أهل النار، وقدّمهم الله ﷻ؛ لحكمة؛ هل لكثرتهم؟ الله أعلم ﴿و﴾: أيضًا منهم ﴿سَعِيدٌ﴾: هم فريق أهل الجنة.

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾ (١٠٦)

﴿فَأَمَّا﴾: حرف تفضيلٍ وتوكيدٍ بمعنى أي ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع من ﴿شَقُوا﴾: تأتي الآية؛ لتحديد مصير أهل النار الأشقياء الذين يعانون جزاء الشقاء في الآخرة بكفرهم وفساد عقيدتهم وسوء أعمالهم ﴿ف﴾: حرف استثنائي بهدف ترتيب الأمر ويفيد سرعة التحقيق؛ هم ﴿فِي النَّارِ﴾: يدخلونها وهي مستقرهم ﴿لَهُمْ﴾: حرف تخصيص ﴿فِيهَا﴾: في النار ترتفع فيها أصواتٌ أنفاسهم منها ﴿زَفِيرٌ﴾: الهواء الذي يخرج من الصدر بقوة، ويمر في الحلق ﴿و﴾: أيضًا لهم في جهنم ﴿شَهِيقٌ﴾: وهو ما يدخل الصدر من الهواء، وهاتان عمليتا التنفس، وتعني أن تنفس الشقي في النار عذاب؛ نارٌ تدخل الصدر، ونارٌ تخرج منه؛ والله أعلم بحالهم، وقد يعني أن للنار شهيقًا وزفيرًا.

﴿خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾ (١٠٧)

﴿خَالِدِينَ﴾: دائمين أبدًا ﴿فِيهَا﴾: في جهنم ﴿مَا دَامَتِ﴾: بقيت قائمة ﴿السَّمَاوَاتُ﴾: هي كل ما علا الأرض وأحاط بها ﴿و﴾: أيضًا ما بقيت ﴿الْأَرْضُ﴾: إنهم خالدون فيها أبدًا بلا انقطاع، ولا انتهاء لها، والمقصود سماوات الآخرة وأرضها، بسبب زوال سماوات وأرض الدنيا، يوم تبدل السماوات والأرض وبرزوا لله الواحد القهار. من المعلوم عند العرب، أنهم إذا أرادوا

(١) صحيح البخاري / ١٢٨/٩ (٧٤٣٧).

أن يقولوا الاستمرار؛ استخدموا لفظ دائم، ودامت السموات والأرض، أو باقٍ ما بقي الليل والنهار؛ فالله ﷻ يُخاطبهم باللغة التي يعقلونها، ويتعارفون بها بينهم، وقد يكون المقصود: جنس السموات والأرض، والله أعلم، قال الحسن البصري: سماءٌ غير هذه السماء، وأرض غير هذه الأرض: وجاء في هذا المعنى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ﴾ [إبراهيم-٤٨] ﴿إِلَّا﴾: حرفٌ استثناءٍ ﴿مَا﴾: الذي ﴿شَاءَ رَبُّكَ﴾: أي أرادته مالكٌ أمرٌ كله، هذا الاستثناء فيه أقوال: جمعها ابن جرير، وأخذ منها أن ذلك عائدٌ على العصاة، ومن أهل التوحيد ممن يُخرجهم الله ﷻ من النار بشفاعَةِ الشافعين، ثم تأتي رحمةٌ أرحم الراحمين، لذلك قال يوماً لا إله إلا الله، ولا يبقى بعد ذلك في النار إلا من حَقَّ عليه الخلود فيها، قال السدي: هذه منسوخة: ولقد ورد اسم خالدٍ في الجنة في القرآن الكريم؛ في قوله ﷻ ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَّهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا ظِلِيلًا﴾ [النساء-٥٧]، وفي قوله ﷻ ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء-١٢٢]، وفي قوله ﷻ ﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [المائدة-١١٩]، وفي قوله ﷻ ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [التوبة-٢٢]، وفي قوله ﷻ ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة-١٠٠] وفي قوله ﷻ ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التغابن-٩]، وفي قوله ﷻ ﴿رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا﴾ [الطلاق-١١]، وفي قوله ﷻ ﴿جَزَاءُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ [البينة-٨]، وورد خالدٍ في النار في القرآن ثلاث مرّات؛ في قوله ﷻ ﴿إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ [النساء-١٦٩]، وفي قوله ﷻ ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [الأحزاب-٦٥]، وفي قوله ﷻ ﴿إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ

وَرَسُولُهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴿الجن-٢٣﴾ [إِنَّ]: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿رَبِّكَ﴾: مالك أمرك كله ﴿فَعَالٌ﴾: قوي وشديد الفعل ﴿لَمَّا﴾: حين ﴿بُرِيدٌ﴾: يشاء .  
**﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا فِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُودٍ﴾ (١٠٨)**

﴿وَأَمَّا﴾: حرف يُفِيدُ التفضيل والتوكيد ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع من ﴿سَعِدُوا﴾: الذين اتَّبَعُوا الرُّسُلَ بِصدقٍ وإيمانٍ، فَكُتِبَتْ لَهُمُ السَّعَادَةُ وَصَلَحَ أَعْمَالُهُمْ، وَتَوَجَّ ذَلِكَ بِدخولهم الجنة ﴿فِي الْجَنَّةِ﴾: يدخلون الجنة، ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾: ماكثين فيها أبداً ﴿مَا﴾: حرف مصدر ﴿دَامَتِ﴾: بقيت ﴿السَّمَاوَاتُ﴾: هي سماوات وأرض الآخرة ﴿وَ﴾: أيضاً ما بقيت ﴿الْأَرْضُ إِلَّا﴾: حرف استثناء للفريق الذي شاء الله ﷻ تأخيره، وهم عَصَاةُ الموحدين؛ فَإِنَّهُمْ يَبْقُونَ فِي النَّارِ حَقَبَةً مِنَ الزَّمَنِ، ثُمَّ يَخْرُجُونَ مِنْهَا إِلَى الْجَنَّةِ بِرحمةِ الله ﷻ ﴿مَا شَاءَ﴾: أراد ﴿رَبِّكَ﴾: هو ﷻ المعبود، والمُرَبِّي ﴿عَطَاءٌ﴾: منحةٌ، وهبةٌ، وتفضلاً لهؤلاء السعداء في الجنة ﴿غَيْرَ﴾: حرف نفي بمعنى ليس ﴿مَجْدُودٍ﴾: غير مقطوع، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يُجَاءُ بِالمَوْتِ يَوْمَ القِيَامَةِ، كَأَنَّهُ كَبِشٌ أَمْلَحٌ - زَادَ أَبُو كُرَيْبٍ: فَيُوقَفُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَانْقَعَا فِي بَاقِي الحَدِيثِ - فَيَقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَشْرَبُونَ وَيَنْظُرُونَ وَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا المَوْتُ، قَالَ: وَيَقَالُ: يَا أَهْلَ النَّارِ هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ قَالَ فَيَشْرَبُونَ وَيَنْظُرُونَ وَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا المَوْتُ، قَالَ فَيُؤَمَّرُ بِهِ فَيَذْبَحُ، قَالَ: ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [مريم-٣٩] وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى الدُّنْيَا<sup>(١)</sup>.

التكليف: لا شك أنّ هذه الآيات تنزلُ بردًا وسلامًا على المؤمنين، الذين قضوا في سبيل الله، وعلى المعتقلين في سجون الظالمين على جهادهم، وعلى المطرودين من أوطانهم، وعلى المحاربين في أرزاقهم، بردًا وسلامًا، وأمنًا، واطمئنانًا؛ إنّ هذه الآيات زادَ المظلومين، وليست مُخدراتٍ دنيويةً؛ بل بشائر ربانية، ووعودٌ إلهية صادقة.

**﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِنَّا لَمَوْفُوهُمْ نُصِيبُهُمْ غَيْرَ مَنْقُوصٍ﴾ (١٠٩)**

﴿فَلَا﴾: أداة نهي تفيد طلب عدم الفعل ﴿تَكُ﴾: لا تكن أيها الرسول ﴿فِي مِرْيَةٍ﴾: في شكٍ من بطلان ما يعبد هؤلاء؛ فلا نفع في أصنامهم ولا ضرر ﴿مِمَّا﴾: من الذي ﴿يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ﴾:

(١) صحيح مسلم /٤/ ٢١٨٨ (٢٨٤٩).

للتنبية **﴿مَا يَعْبُدُونَ﴾**: يطيعون **﴿إِلَّا﴾**: حرف استثناء **﴿كَمَا﴾**: مثلما **﴿يَعْبُدُ آبَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ﴾**: ليس لهم ما يُقنع سوى اتباع الآباء والأجداد، جهلاً فاضحاً من قبل، وهي الأمم التي جاء ذكرها **﴿وَإِنَّا﴾**: المقصود هو الله ﷻ، جاءت بصيغة الجمع؛ لتعظيم العطاء **﴿ل﴾**: حرف تملك **﴿مُؤْفُوهُمْ﴾**: سنُعطيهم أجرَ ما يفعلون **﴿نَصِيبَهُمْ﴾**: ما قُسم لهم من خيرٍ أو شرٍّ، وقيل نوفيهم نصيبهم من العذاب **﴿غَيْرَ﴾**: حرف نفي بمعنى ليس **﴿مَنْقُوصٍ﴾**: المنقوص هو غير الكامل.

**﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَفُضِّي بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ﴾ (١١٠)**

**﴿و﴾**: حرف عطف **﴿لَقَدْ﴾**: حرف يُفيد التحقق في الماضي **﴿آتَيْنَا﴾**: وهبنا ومنحنا **﴿مُوسَى الْكِتَابَ﴾**: التوراة وهي من عند الله ﷻ **﴿ف﴾**: حرف يُفيد السبب **﴿اخْتَلَفَ فِيهِ﴾**: فمن الناس من آمن بصدق الكتاب، ومنهم من كفر، وهذه سُننُ الأنبياء من قبلك يا محمد ﷺ فلا يؤلمك كفرهم **﴿ولَوْلَا﴾**: حرف شرطٍ غير جازم مبني على السكون لا محل له من الإعراب، يفيد هنا التخصيص **﴿كَلِمَةٌ﴾**: حكمٌ ربانيٌّ بتأخير عذابهم إلى يوم القيامة **﴿سَبَقَتْ﴾**: جاءت في السجل قبلهم **﴿مِنْ﴾**: حرف جرٍ يفيد النوع وابتغاء الغاية الزمانية والمكانية، ويفيد هنا ابتداء الغاية الكلية **﴿رَبِّكَ﴾** مالك أمرك **﴿لَفُضِّي بَيْنَهُمْ﴾**: بسبب قرارٍ ربانيٍّ بتأجيل العذاب إلى أجلٍ معلومٍ، وقد تكونُ كلمةً من الله ﷻ ألا يُعذب أحداً إلا بعد قيام الحجة عليه؛ بالأنبياء والرسل، وقد جاء في المعنى: **﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾** [الإسراء-١٥] **﴿و﴾**: عطفًا على ما سبق **﴿إِنَّهُمْ﴾**: هم بالتأكيد **﴿لَفِي شَكٍّ﴾**: بسبب أنهم في ريبٍ وعدم تصديقٍ كاملٍ **﴿مِنْهُ مُرِيبٍ﴾**: يُخبرُ الله ﷻ رسوله الأمين ﷺ عن حال الكافرين، الذين يشكّون في دعوته، شكًّا كبيرًا؛ يمنعهم من الإيمان، يخبره ﷻ صعوبةً ما سيواجهُ منهم، إن شكهم في الدعوة كبير، وهم في حيرةٍ شديدةٍ.

**﴿وَإِنْ كَلَّا لَمَا لِيَؤْفَيْتَهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (١١١)**

**﴿وَإِنْ﴾**: حرف تأكيد **﴿كَلَّا﴾**: جميعهم، كلُّ المُختلفين، الذين جاء ذكرهم في الآيات لك أيها الرسول أخبارهم، وفي الأمم السابقة **﴿لَمَّا﴾**: بمعنى حين **﴿ل﴾**: حرف علّةٍ وسببٍ **﴿يُؤْفَيْتَهُمْ﴾**: بالتأكيد ليس من هؤلاء المُختلفين إلّا سيجازيه الله بعمله ويوفيه جزاءه، بما يستحق **﴿رَبِّكَ﴾**: مالك أمرهم كلّهم، جزاء **﴿أَعْمَالَهُمْ﴾**: سوف يُحاسِبُهُم على أفعالهم وأقوالهم



﴿إِنَّهُ﴾: هو ﷻ بكل تأكيد ﴿بِمَا﴾: اسم موصول هنا بمعنى الذي ﴿يَعْمَلُونَ خَيْرًا﴾: يعلم أعمالهم، صغيرها، وكبيرها.

﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (١١٢)

﴿فَاسْتَقِمْ﴾: التزم أمر الله ﷻ كما أمر ﷻ، دون تأخير، وهو الدين القيم ﴿كَمَا﴾: مثلما ﴿أُمِرْتَ﴾: كما جاء في الكتب السماوية، وعلى لسان الأنبياء، والذي كان آخرهم القرآن الكريم ﴿و﴾: أيضًا ليستقم معك ﴿مَنْ﴾: الذي من جنس العاقل ﴿تَابَ مَعَكَ﴾: هم الذين تابوا ورجعوا عن الكفر ﴿وَلَا﴾: حرف نهي ﴿تَطْغَوْا﴾: لا تجاوزوا ما شرّعه الله ﷻ لكم، لا تظلموا فيه، فهذه عُدّة النصر على الأعداء، وبعيدًا عن الذي ينهى عنه ﷻ، فهو مهلكة كلّ ظالم ﴿إِنَّهُ﴾: هو ﷻ بالتأكيد ﴿بِمَا﴾: اسم موصول هنا بمعنى الذي ﴿تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾: يعلم علم اليقين عمل عبادة، هو الذي لا يغفل، ولا يخفى عليه شيء.

﴿وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فْتَمَسَّكُمْ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ (١١٣)

﴿وَلَا﴾: حرف نهي يفيد التحريم ﴿تَرْكَبُوا﴾: ينهى الله ﷻ عن الركوب الذي هو ميل القلوب اليسير بالمحبة، والاعتماد، والاتكال، والرضى والمداهنة، وقبول أعمال الظالمين ﴿إِلَى﴾: حرف جر يدل على انتهاء الغاية المكانية ﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول يفيد جميع من ﴿ظَلَمُوا﴾: قال ابن عباس: إلى الشرك والمشركين ﴿ف﴾: حرف يفيد السبب ﴿تَمَسَّكُمْ﴾: تُصيبيكم في العمق ﴿النَّارُ﴾: يوم القيامة ﴿وَمَا﴾: عطفًا على هذا ليس ﴿لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: غيره ﷻ ﴿مِنْ﴾: حرف بيان النوع وتمييزه، وتقيد بداية الغاية المكانية، بعض ﴿أَوْلِيَاءَ﴾: ليس لكم من نصير، ولا مُحِبٍّ، يُخَلِّصُكُمْ من عذاب الله ﷻ ﴿ثُمَّ﴾: تقيد التتابع الزمني والتباعد على التراخي للأمر البعيد ﴿لَا﴾: حرف يفيد النفي ﴿تُنصَرُونَ﴾: لا فوز ولا نجاح ولا فائدة لكم، واستبعاد نصرته لهم بعد أن توعدهم بعقوبة أفعالهم.

التكليف: عَنِ الْحَسَنِ، قَالَ: حَضَلْتَانِ مِنَ الْعَبْدِ إِذَا صَلَحْتَ صُلِحَ مَا سِوَاهُمَا: الرُّكُوعُ إِلَى الظُّلْمَةِ وَالطُّغْيَانُ فِي النَّعْمَةِ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فْتَمَسَّكُمْ النَّارُ﴾ [هود-١١٣] وَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي﴾ [طه-٨١]<sup>(١)</sup>.

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبُنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ نِكَرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾ (١١٤)

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ١٥٨/٢.

﴿و﴾: عطفاً على هذا ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ﴾: أمر الله ﷺ رسوله ﷺ تأدية الصلاة على الوجه الصحيح ﴿طَرَفِي النَّهَارِ﴾: الطرفين من النهاية والبداية، والمقصود صلاة الصبح والظهر والعصر، والطرف الثاني بقية الصلوات، كطرف، أو، قال ابن عباس: صلاة الصبح وصلاة المغرب، وقال الحسن: الصبح والعصر، وقال مجاهد والضحاك: المغرب والعشاء، ويحتمل أن تكون هذه الآية نزلت قبل فرض الصلوات الخمس، ليلة الإسراء والمعراج، فقد وجب وقتها من الصلاة؛ صلاتان: قبل طلوع الشمس، وقبل غروبها ﴿و﴾: أيضاً أقم الصلاة ﴿زُلْفَا﴾: صلة المغرب والعشاء، أيضاً في ساعات من الليل قريبة من النهار والله ﷺ أعلم ﴿مِنْ﴾: حرف يُفيد بداية الغاية الزمانيّة، جزءٍ أو بعض ﴿اللَّيْلِ﴾: قيامٌ واجبٌ عليه وعلى الأمة، فنسخ ذلك في حقّ الأمّة، ثم كان وجوبه عليه ﷺ، ثم نسخ والله أعلم ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿الْحَسَنَاتِ﴾: فعل الخيرات ﴿يُذْهِبْنَ﴾: يقضين ويزلن؛ ويكفّرن الذنوب السالفة؛ وهي ﴿السَّيِّئَاتِ﴾: التي تسبب الضرر والشر بسبب الكفر ﴿ذَلِكَ﴾: إشارة للبعيد ﴿ذَكَرَى﴾: عظة ﴿ل﴾: حرف يفيد التخصيص ﴿الدَّاكِرِينَ﴾: المُتَعَطِّينَ.

التكليف: قال ﷺ: مَا مِنْ رَجُلٍ يُذْنِبُ ذَنْبًا فَيَتَوَضَّأُ فَيُحْسِنُ الوُضُوءَ، قَالَ مِسْعَرٌ: وَيُصَلِّي، وَقَالَ سُفْيَانٌ: ثُمَّ يُصَلِّي رَكَعَتَيْنِ، فَيَسْتَغْفِرُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا عُفِّرَ لَهُ<sup>(١)</sup>.

### ﴿وَأَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (١١٥)

﴿و﴾: عطفاً على ما سبق ﴿أَصْبِرْ﴾: هذه دعوةٌ للصبر على الطاعات، وعلى المكاره، وعلى الابتلاءات، وعلى الفقر، وعلى العذابات وعلى ما أمرت به من الاستقامة وعدم الطغيان، وعدم الركون إلى الذين ظلموا ﴿فَإِنَّ﴾: حرف تأكيد ﴿اللَّهُ لَا﴾: ينفي أن ﴿يُضِيعَ﴾: يُبَدِّدُ، أو لا يكون، أو يُضِيعَ ﴿أَجْرَ﴾: ثواب ﴿الْمُحْسِنِينَ﴾: هم الذين يعبدون الله ﷺ كأنهم يرونه، وإن كانوا لا يرونه؛ فهم يعرفون أنه ﷺ يراهم، أي يوفيهم أجورهم ولا يضيع منه شيئاً.

﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ (١١٦)

﴿فَلَوْلَا﴾: كلمة تفيّد الحَضَّ على الفعل، أو الدلالة على منع أمرٍ لوجود غيره، بمعنى فهلاً وهو أسلوب توبيخ ﴿كَانَ مِنْ﴾: حرف يُفيدُ بداية الغاية الزمانيّة وهي ﴿الْقُرُونِ﴾: الأمم من البشر الذين عاشوا فتراتٍ زمنيّةٍ طويلة، مثلاً: السنين، وعذبهم الله ﷺ ﴿مِنْ﴾: هنا حرف بيان النوع وتمييزه، وتفيد هنا بعض ما سبق من الزمن ﴿قَبْلِكُمْ﴾: لولا رجال من الذين سبقوا

(١) مسند أحمد ١/١٧٩ (٢). وصححه الأرنؤوط.

المسلمين **﴿أُولُو﴾**: أصحاب **﴿بَقِيَّة﴾**: بقي عندهم من أصحاب الرأي والفضل والدين، من أهل الخير والصلاح **﴿يَنْهَوْنَ﴾**: يرفضون ويمنعون **﴿عَنِ﴾**: حرف جر يُفيد المُجاوزه **﴿الْفَسَادِ﴾**: هم الذين نجاهم الله ﷺ من غضبه ونقمته المفاجئة، جاء في المعنى: **﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾** [آل عمران-١٠٤] **﴿فِي﴾**: سكان **﴿الْأَرْضِ إِلَّا﴾**: حرف استثناء منقطع **﴿قَلِيلًا مِمَّنْ﴾**: من الناس الذين **﴿أُنْجَيْنَا﴾**: نجاهم الله ﷺ بصورة كبيرة **﴿مِنْهُمْ وَ﴾**: عطفاً على هذا **﴿اتَّبِعْ﴾**: ساروا على منهج **﴿الَّذِينَ﴾**: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ **﴿ظَلَمُوا﴾**: انقاد هؤلاء الذين يظلمون أنفسهم بكفرهم، ويظلمون الناس بجرائمهم إلى **﴿مَا﴾**: الذي **﴿أُتْرِفُوا فِيهِ﴾**: تنعموا، والذي كان سبباً في إجرامهم؛ ومن الآية ندرك أنّ الترف يُفضي إلى الإسراف؛ الذي يُفضي إلى الفسوق، والظلم والانحراف **﴿وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾**: أيضاً كانوا من الكافرين.

**﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهِلِكَ الْفَرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ (١١٧)**

**﴿وَمَا﴾**: حرف نفي **﴿كَانَ﴾**: يجب أو يجوز **﴿رَبُّكَ﴾**: المُعبود، والمُربي **﴿ل﴾**: حرف يفيد العلة والسبب **﴿يُهِلِكَ﴾**: يخبر الحق ﷻ، أنه ما من قومٍ أهلكهم ﷻ **﴿الْفَرَىٰ﴾**: قريةٌ من القدس، واحدة من التجمعات السكانية **﴿بِظُلْمٍ﴾**: لم يكن ليظلمهم بشكٍ **﴿وَ﴾**: حرف يفيد الحال **﴿أَهْلُهَا﴾**: سكانها **﴿مُصْلِحُونَ﴾**: ما كان الله ﷻ ليُهلك قريةً سالحةً، جاء في المعنى: **﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾** [فصلت-٤٦].

التكليف: من هنا نتأكد أنّ صلاح الأمم يصرف عنها العذاب والهلاك.

**﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَرَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ (١١٨)**

**﴿وَلَوْ﴾**: حرف يفيد الاستفهام والنفي **﴿شَاءَ﴾**: أراد **﴿رَبُّكَ﴾**: الحديث إلى محمد ﷺ لو أراد الله ﷻ، مالك أمرك كله **﴿ل﴾**: حرف سببٍ **﴿جَعَلَ النَّاسَ﴾**: البشر بني آدم **﴿أُمَّةً﴾**: على دينٍ واحدٍ أو ملةٍ **﴿وَاحِدَةً﴾**: لجعل الناس كلهم مؤمنين على ملةٍ واحدةٍ، ومذهبٍ واحدٍ، وأصحاب رأيٍ واحدٍ، ثم أدخلهم الجنة على درجةٍ واحدةٍ، ولو شاء ﷻ أن يجعلهم كلهم كفاراً، وأدخلهم النار، ولكنه أراد لهذا المخلوق المكرم أن يختار، ويجني ثمرة اختياره، هؤلاء هم أتباع الرسل، الدعاة المصلحون **﴿وَلَا﴾**: حرف نفي **﴿يَرَالُونَ﴾**: سيقون **﴿مُخْتَلِفِينَ﴾**: بين مؤمنٍ وكافرٍ، وبينهما درجاتٌ من النفاق والفسق.

**﴿إِلَّا مَنْ رَجِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لِأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾**

**(١١٩)**

﴿إِلَّا﴾: يستثني الله ﷺ من هذا الاختلاف من وصفهم ﴿مَنْ﴾: الذين من البشر المختلفين في الدين الحق بهديته للصواب ﴿رَحِمَ﴾: كتب له الرحمة بالهداية إلى دين الحق ﴿رَبُّكَ﴾: فهو مالك أمرك كله، وربطها هنا بربِّ محمدٍ ﷺ ليزداد أتباعه إيمانًا و يقينًا، ولقد كان الرسل كلهم رحمةً لشعوبهم؛ لكنَّ محمدًا ﷺ رحمةً للعالمين، جاء في المعنى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء-١٠٧]، وربُّ الرحمة أرحم، ومن كفر فمصيره جهنم، تمتلئ بهم أجمعين، والخطاب موجّهٌ لمحمدٍ ﷺ ﴿و﴾: عطفاً على ما سبق ﴿ل﴾: حرف علّةٍ وسببٍ ﴿ذَلِكَ﴾: إشارة للبعيد ﴿خَلَقَهُمْ﴾: أوجدهم من غير سابق وجودٍ ﴿و﴾: عطفاً على ما جاء ﴿تَمَّتْ﴾: وجبت واكتملت ﴿كَلِمَةً رَبِّكَ﴾: حدّد قضاء الله ﷻ ولا تغيير ﴿الْأَمْلَأَنَّ﴾: بكلّ تأكيد ﴿جَهَنَّمَ مِّنَ الْجِنَّةِ﴾: الشياطين ﴿وَالنَّاسِ﴾: بني آدم ﴿أَجْمَعِينَ﴾: الذين اتبعوا الشياطين من الإنس والجن.

﴿وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (١٢٠)

﴿وَكَلَّا﴾: كلُّ خبرٍ حدث أو سيحدث ﴿نَقُصُّ﴾: نتلوه ﴿عَلَيْكَ﴾: كلّ ما أخبرناك ﴿مِنْ﴾: حرف بيان النوع وتمييزه، وتقيد هنا بعضًا ﴿أَنْبَاءِ﴾: أخبار وقصص ﴿الرُّسُلِ﴾: وفي قصص الأنبياء سيكون من أتباعهم المؤمن والكافر، وخصامهم، وحروبهم وعذابهم، ونصر المؤمنين ﴿مَا﴾: الذي ﴿نُثَبِّتُ بِهِ﴾: بزيادة اليقين ووفرة الطمأنينة؛ نربط بها على قلبك؛ فلا شكّ أو تُردّد في ﴿فُؤَادِكَ﴾: قلبك مركز الوعي والإدراك، ويكون من سبق لك أسوةً حسنةً ﴿وَجَاءَكَ﴾: وصل إليك ﴿فِي هَذِهِ﴾: قال ابن عباس، ومجاهد وغيرهم: جاء في هذه السورة لكثرة ما جاء في سورة هود من قصص ﴿الْحَقُّ﴾: كلُّ ما قصصناه عليك هو صدق ﴿وَمَوْعِظَةٌ﴾: عبرة لكلّ من أراد أن يعتبر ﴿وَذِكْرَىٰ﴾: أيضًا تبقى في ذاكرتك ﴿ل﴾: حرف تخصيص ﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾: تُذكّر من آمن مع محمد ﷺ كيف نجّا الله ﷻ المؤمنين، وكيف كان عقاب المجرمين؛ فيثبتوا ويتحملوا.

﴿وَقُلْ لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ اَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ﴾ (١٢١)

﴿و﴾: أيضًا ﴿قُلْ﴾: أمر الله ﷻ رسوله ﷺ بأن يصدح ﴿لِلَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد الجميع ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يُؤْمِنُونَ﴾: وهم الكفار، يأمر الله ﷻ نبيه ﷺ أن يقول للذين لا يريدون أن يصدقوا ويتيقنوا بهذا الحق، ولا يتعظون، ولا يتذكرون ﴿اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾: على ما أنتم عليه من قوةٍ وسلطانٍ؛ ما أنتم عاملون من مقاومةٍ دعوة الحق وإيذاء الرسول والمؤمنين؛

حققوا غاية تمكنكم من أمركم، وحالتكم وجهتكم؛ وسيروا على طريقكم ومنهجكم ﴿إِنَّا﴾: ونحن أولياءُ الله ﷻ بالتأكيد ﴿عَامِلُونَ﴾: على طريقنا من الثبات على ديننا وتنفيذ أمر ربنا ﷻ؛ جاء في المعنى: ﴿وَلِكُلِّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوْجِهَةٌ﴾ [البقرة-١٤٨]، هنا لحظة المفصلة الكاملة بين عقيدتين: الإيمان والكفر، والمفصلة في الوسيلة، عمل المؤمنين بحسب دينهم، وعمل الكافرين بحسب أهوائهم، وما يُمليه الشيطانُ عليهم.

﴿وَأَنْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾ (١٢٢)

﴿وَأَنْتَظِرُوا﴾: لتعرفوا ما سيحلُّ عليكم في الدنيا من خزي، وعارٍ، وهزيمةٍ، وضعفٍ، وقتلٍ، كما حدث مع من قبلكم، أي عاقبة أمرنا ﴿إِنَّا﴾: نحن المؤمنون ﴿مُنْتَظِرُونَ﴾: كيف سينجزُ اللهُ ﷻ وعده، ويعزِّز جنده، ويُعلي كلمة رسوله ﷺ، وما عاقبةُ أمركم، وفي هذا تهديدٌ ووعدٌ لهم.

﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (١٢٣)

﴿وَلِلَّهِ غَيْبٌ﴾: علم جميع ما هو غائب عن العباد فيهما، كلُّ ما يُخفي اللهُ ﷻ عن خلقه في ﴿السَّمَاوَاتِ﴾: هي كلُّ ما علا الأرض، وأحاط بها ﴿وَالْأَرْضِ﴾: أيضًا علمُ جميع ما هو غائبٌ عن العباد فيها، له ﷻ العلمُ الذي لا يُشركُ فيه أحدًا، هو ﷻ عالم الغيب في السموات وفي الأرض من إنسٍ وجانٍ، وطيرٍ وحيوانٍ في كلِّ زمانٍ ومكانٍ، وما سيؤول إليه كلُّ شيءٍ ﴿وَإِلَيْهِ﴾: إلى الله ﷻ ﴿يُرْجَعُ﴾: يؤول ويعود ﴿الْأَمْرُ﴾: يعود الحكم ﴿كُلُّهُ﴾: إنَّ حصيلة الأعمال والأقوال ستُعرض عليه يوم الحساب؛ ليس للمعرفة؛ فهو يعلم، ولكن للحساب ﴿فَاعْبُدْهُ﴾: لهذا السبب؛ فأطعه ﴿وَتَوَكَّلْ﴾: اعتمد ﴿عَلَيْهِ﴾: ﷻ، وفوض أمرك إليه ﷻ، وأنبأ إليه في كلِّ أمرك ﴿وَمَا﴾: حرف نفي ﴿رَبُّكَ﴾: المُعبود، والمُربي، مالك الأمر كُلِّه ﴿بِ﴾: بآء التأكيد ﴿غَافِلٍ﴾: ساهٍ أو لاهٍ، حاشا لله ﷻ ﴿عَمَّا﴾: عن الذي ﴿تَعْمَلُونَ﴾: فهو يعلم ما يعمل المجرمُ في العُلقن وما يخفي المكدِّبون من قول وعمل، وسيجزئهم وينصرك عليهم.

التكليف: جاء في هذه السورة الجامعة قصصًا عن رُسلِ الله ﷻ وأنبيائه، وما حدث معهم وكيف كان عاقبةُ من آمن لهم، وعاقبةُ من عصوا وكفروا، والذي كان في الغيب، وكيف أخبر الله ﷻ نبيه ﷺ مستقبل الخلق حتى يوم القيامة.



اسم السورة: سورة يوسف، وهو الاسم الوحيد لها، ووجه التسمية ظاهر؛ لأنها قصت قصة يوسف عليه السلام كلها، ولم تُذكر القصة ولا تُذكر اسمه في غيرها من السور، إلا في سورتي الأنعام وغافر. السورة مكيّة على الراجح، نزلت بعد سورة هود، وقبل سورة الحجر. سورة يوسف عليه السلام نموذج للصراع بين الحق والباطل، وبين العقل والهوى، وبين المصالح الشخصية المبنية على الأنانية، وخدمة المصلحة العامة للأسرة والمجتمع والإنسانية. هذه السورة مثال واقعي يبيّن كيف أنّ المظلوم قد يُعامل كظالم، والبريء قد يصبح متهمًا، وأن شخصًا، مهما علا مقامه ومكانته، قد يُحكم عليه زورًا وبهتانًا، ويُودع السجن مع المجرمين! هذه القصة نموذج لتعليم الناس عمومًا، والنشء خصوصًا، لتهديب سلوكهم، وضبط انفعالاتهم، وكيفية الرجوع إلى الحق والفضيلة بعد الخطأ والردية، باستعمال القصة الهادفة.

**هدف السورة:** الثقة بتدبير الله (اصبر ولا تيأس) فالصبر على الضراء والبلاء نقله الله عليه السلام من السجن إلى القصر وجعله عزيز مصر، وملّكه خزائن الأرض، وجعله السيد المطاع والعزيز المكرم، وهكذا يفعل الله عليه السلام بأوليائه ومن يصبر على البلاء فلا بد لرسول الله عليه السلام أن يقتدي بمن سبقه من المرسلين ويوطّد نفسه على تحمل البلاء ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف-٣٥]. ومن أهداف سورة يوسف تربية الجماعة المؤمنة المستضعفة على القيادة والحكم، وتعليمها مبادئ السياسة والإدارة وذلك من خلال القصة التي تعرضها مجتمعة في سورة واحدة، ومن أهداف سورة يوسف بيان التخطيط واتخاذ الأسباب: فإن العمل الارتجالي لا يُؤتي أكله كما لو كان مُعدًّا إعدادًا جيدًا ومدروسًا دراسة وافية، معروفة أبعاده وجدواه ومراحله، وسورة يوسف تضع بين أيدينا نماذج من التخطيط الذي يؤدي إلى الوصول إلى الهدف المنشود. ومن أهداف سورة يوسف إظهار الفتن والابتلاءات التي تحدث للداعية، بأنواعها وأشكالها وفيها يتضح اليسر بعد العسر في كل فتنة يصادفها الداعية، ففي سورة يوسف جاء التمكين لنبي الله يوسف عليه السلام بعد العديد من الابتلاءات.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ (١)

اعتمادًا على ما جاء سابقًا في سور البقرة وآل عمران والأعراف ويونس وهود وما يقوله علماء النحو والبلاغة أنّ الأصل في الضمائر في الكلام أن تعود على متقدم في اللفظ والرتبة، ولا تعود على متأخر في اللفظ والرتبة، بمعنى ما هو الاسم الذي سبق، وعليه فإنّ الحرفين ﴿أل﴾: أرى - والله أعلم- هي اسمُ الله ﷻ، جاء ذكرها في أول سورة البقرة، وآل عمران، والأعراف، ويونس، وهود، وما يعزز هذا ما جاء في هذه الآية الكريمة رقم (١)، قوله ﷻ ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ﴾؛ والكتاب هو القرآن الكريم، والذي مصدره الله ﷻ وجاء في الآية رقم (٢) ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ والضمير يعودُ على الله ﷻ، وجاء في الآية رقم (٣) ﴿نَحْنُ﴾: والضمير يعودُ على الله ﷻ ﴿نَقُصُّ﴾: والضمير يعودُ على الله ﷻ ﴿عَلَيْكَ﴾: والضمير هنا يعودُ على محمد ﷺ الذي تلقى القرآن من الله ﷻ ﴿حرف﴾: أراها - والله أعلم- بمعنى ربّ، وما يعزز هذا ما جاء في الآية (٦) كلمة ربّ مرتين، ﴿يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ﴾ وجاء أيضًا ﴿إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾، ﴿تِلْكَ﴾: إشارة للبعيد ﴿آيَاتُ﴾: الأدلّة والبراهين ﴿الْكِتَابِ﴾: آيات هذا القرآن الكريم، ﴿الْمُحْسِنِينَ﴾: الجليّ الواضح، الذي يُظهر الأمور الغامضة ويُفسرها، ويبينّ الحلال من الحرام، وحدود وحرام وحلال وأحكام الدين الإسلامي الحنيف. هي براهينُ على إعجازه، وعلو منزلته، ودرجة كماله ومرتبته العالية، أما وصفه في سورة يونس فكان الحكيم.

### ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (٢)

﴿إِنَّا﴾: الله ﷻ، هي تعني ضمير الجمع للمتكلم الحاضر، وهنا جاءت للتعظيم ﴿أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا﴾: لتشريف القرآن؛ لأن التنزيل يعني أن مصدره من مقامٍ مرتفع، أرسلناه مُنزلًا مُكرّمًا، من التعظيم، وجاء اللفظ بصيغة الجمع تعظيمًا للكتاب من اللوح المحفوظ ﴿عَرَبِيًّا﴾: رجاء حصول العلم لكم من حيث اللفظ والمعنى، لأنكم عرب؛ فنزل بلغتكم مشتملاً على ما ينفعكم لهذا السبب أنتم تعقلون ما يحتوي عليه. لغة العرب؛ هي أفصح اللغات، وأوضح، وأوسع، وأكثر تعبيرًا عن المعاني ﴿لَعَلَّكُمْ﴾: ضرورة إعمال العقل، حرفٌ يُفيد الإشفاق؛ لأنها جاءت من عند الله ﷻ، وتُفيد الترجي والتوقع إذا جاءت من عند البشر ﴿تَعْقِلُونَ﴾: رجاء حصول العلم لكم من لفظه ومعناه، لأنكم عرب، فنزوله بلغتكم مشتملاً على ما ينفعكم هو سبب لتعقلوا وتفهموا وتطبقوا ما فيه.

التكليف: القرآن هو أشرفُ كتابٍ بأشرف اللغات، على أشرف الرُّسل، بأشرف سفراء الملائكة، وهو جبريل عليه السلام، نزل في مكة أشرف بقاع الأرض، وكانت بدايته في أشرف شهور السنة، شهر رمضان.

## ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ (٣)

أسباب النزول: عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: «أُنزِلَ الْقُرْآنُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَتَلَا عَلَيْهِمْ زَمَانًا، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ قَصَّصْتَ عَلَيْنَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ [يوسف-١] إِلَى قَوْلِهِ: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ [يوسف-٣] فَتَلَاهَا عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ زَمَانًا، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ حَدَّثْتَنَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا﴾ [الزمر-٢٣] الْآيَةَ، كُلُّ ذَلِكَ يُؤْمَرُونَ بِالْقُرْآنِ « قَالَ خَلَادٌ: وَزَادَ فِيهِ حِينَ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ ذَكَرْنَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الحديد-١٦] (١).

﴿نَحْنُ﴾: جاءت بصيغة الجمع؛ تعظيمًا لاسم الله ﷻ؛ ولأهمية الحدث ﴿نَقُصُّ﴾: نحدث، ونتلو، ونُبين لك ﴿عَلَيْكَ﴾: يُقُصُّ اللَّهُ ﷻ عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ ﴿أَحْسَنَ﴾: أفضل ﴿الْقَصَصِ﴾: الكافي عن سواه من الكتب، اشتملت الآيات قصص القرآن الكريم على ثلاث قضايا: خبر ما قبل المسلمين، ومستقبل الإنسان حتى يوم القيامة، وحكم ما بين المسلمين ﴿بِمَا﴾: اسم موصول، هنا بمعنى الذي ﴿أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ﴾: حرف شرط ﴿كُنْتَ﴾: أنت في السابق ﴿مِنَ﴾: حرف بيان النوع وتمييزه، ويفيد هنا ابتداء الغاية الزمانية ﴿قَبْلِهِ﴾: قبل نزوله ﴿لِ﴾: حرف تخصيص ﴿مِنَ﴾: بعض يفيد بداية الغاية المكانية ﴿الْغَافِلِينَ﴾: كنت وقومك قبل نزوله لا تعرفون شيئًا عن هذه القصة وغيرها مما أوحاه الله ﷻ إِلَيْكَ مِنْ قِصَصِ أُمَّمِ قَبْلِكُمْ، وَأُمَّمِ مَا بَعْدَكُمْ، وَحُكْمِ مَا بَيْنَكُمْ.

التكليف: بيّن لنا الله ﷻ في بداية هذه القصة أنها لم تكن من نبع خيال النبي ﷺ، وإنما كانت بوحى من الله ليُدلّل على صدق نبوته ﷺ فقد قال في البداية: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾، فمن أين للنبي ﷺ أن يأتي بهذا القصة وهو لم يثبت عنه أنه تعلم من أحد، وإنما هو وحي يوحى من الله جلّ جلاله؛ وفي نهاية القصة بين ﷻ أن هذا القصة للعظة والتسرية والعبرة، وتدليلاً على صدق النبي ﷺ.

## ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ (٤)

(١) صحيح ابن حبان ٩٢/١٤ (٦٢٠٩) قال الحاكم في المستدرک ٣٧٦/٢: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي. قال الأرناؤوط: إسناده قوي.



﴿إِنْ﴾: حرفٌ يدلُّ على ما تحقق في الماضي ﴿قَالَ يُوسُفُ ل﴾: حرف تخصيص ﴿أَبِيهِ﴾: والد يوسف، هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الكريم كما جاء في الصحيح، عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: الْكَرِيمُ، ابْنُ الْكَرِيمِ، ابْنُ الْكَرِيمِ، ابْنُ الْكَرِيمِ يُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ<sup>(١)</sup> ﴿يَا﴾: حرفٌ نداءٍ هنا للقريب ﴿أَبْتِ﴾: يا والذي وهي أكثر تحناناً من كلمة والذي ﴿إِنِّي﴾: أنا بالتأكيد ﴿رَأَيْتُ﴾: في المنام ﴿أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا﴾: رأى يوسف ﷺ، أحد عشر كوكباً في السماء؛ كنايةً عن إخوته، وهم أحد عشر، من الذكور ﴿و﴾: أيضاً رأيت معهم ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرَ﴾: كنايةً عن أبيه وخالته؛ لأنها في مقام الأم؛ لأنَّ أمه قد توفيت ﴿رَأَيْتُهُمْ﴾: جاء ذكر الرؤية والتكرار هنا للتأكيد ﴿لِي﴾: حرفٌ تخصيص ﴿سَاجِدِينَ﴾: ليس سجود عبادة؛ ومن المعروف أنَّ السجود هو انحناء الجسد للأمام فقد جرى سجود الشمس وسجود القمر كذكر العقلاء؛ كلهم سجدوا ليوسف ﷺ، قال يعقوب ليوسف، عليهما السلام: هذا أمرٌ مشنت، يجمعه الله ﷻ من بعد.

﴿قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْضُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ (٥)

﴿قَالَ﴾: يعقوب أبو يوسف عليهما السلام ﴿يَا﴾: حرفٌ نداءٍ ﴿بُنَيَّ﴾: لابنه يوسف ﴿لَا﴾: حرف نهي بمعنى ألا ﴿تَقْضُصْ﴾: تذكر ﴿رُؤْيَاكَ﴾: ما رأيت في منامك ﴿عَلَىٰ إِخْوَتِكَ﴾: والأخ والأخت هم المشارك لآخر من الأب والأم أو أحدهما، ففيها خضوعهم لك؛ خاف الأب أن يحتال إخوته عليه، ويحسدوه، بعد أن يعرفوا تأويل الرؤية ﴿ف﴾: يُفيد السبب ﴿يَكِيدُوا﴾: يتآمرون ﴿لَكَ كَيْدًا﴾: جاءت لك هنا لتؤكد معنى الاحتيال المتعدي بحرف اللام؛ يفيد ذلك تحقيق الفعلين: الكيد والاحتيال مؤامرةً، ومكيدةً، وحيلةً كبيرةً ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿الشَّيْطَانَ﴾: لعنه الله ﷻ ﴿ل﴾: حرف تخصيص ﴿الْإِنْسَانَ﴾: ابن آدم ﴿عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾: واضح العداوة، أقر يعقوب ﷺ بتأثير الشيطان على أبنائه الأحد عشر، رغم أنهم في كنف نبي.

التكليف: قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: اسْتَعِينُوا عَلَيَّ قَضَاءِ حَوَائِجِكُمْ بِالْكَثْمَانِ لَهَا؛ فَإِنَّ كُلَّ ذِي نِعْمَةٍ مَحْسُودٌ<sup>(٢)</sup>.

(١) صحيح البخاري / ٤/ ١٥١ (٣٣٩٠).

(٢) اعتلال القلوب للخراطي ٢/ ٣٣٥ (٦٨٠). صححه المحقق حمدي الدرمداش، وكذا الألباني، في الصحيحة ٤٣٦/٣.

﴿لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ﴾ تدل على مبدأ الكتمان والسرية الواجب اتخاذه عند كل إنسان ذي شأن، فليس كل ما يُعلم يُقال. إن أهل الفضل والمكانة دائماً محسودون، ومحط أنظار الناس من قديم الزمان.

﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (٦)

﴿و﴾: عطفاً على ما سبق ﴿كَذَلِكَ﴾: بمعنى مثل، وأيضاً، كما أخبرك الله ﷻ يا يوسف أنه اختارك، وأراك الكواكب والقمر ساجدةً لك، أيضاً ﴿يَجْتَبِيكَ﴾: يختارك، ويصطفيك لرسالته ﴿رَبُّكَ﴾: هو تعالى الخالق، والمربي، والمتكفل بأرزاق المخلوقين مالك أمرك كله؛ فتكون نبياً ﴿وَيُعَلِّمُكَ﴾: أيضاً يعلمك من خير علم هو ﴿مِنْ﴾: حرف جر يفيد النوع وابتغاء الغاية الزمانية والمكانية، ويفيد هنا الغاية الكلية وهي ﴿تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾: قال مجاهد: يُعَلِّمُكَ تعبير "عبور" تفسير الرؤيا، بالإيحاء إليك وأنت رسول ﴿و﴾: عطفاً على ما سبق ﴿يُتِمُّ﴾: يكمل ﴿نِعْمَتَهُ﴾: فضله وكرمه ﴿عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ﴾: أيضاً على نسله وذريته ﴿كَمَا﴾: كمثل، مثلما ﴿أَتَمَّهَا﴾: أكملها على وجهها الصحيح ﴿عَلَىٰ أَبَوَيْكَ﴾: أبيك وجدك ﴿مِنْ﴾: حرف جر يفيد النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية الزمانية ﴿قَبْلُ﴾: في الزمن الماضي ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾: الخليل هو أبو الأنبياء ﴿وَإِسْحَاقَ﴾: بن إبراهيم عليهما السلام ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿رَبُّكَ عَلِيمٌ﴾: أعلم حيث يضع رسالته ﴿حَكِيمٌ﴾: في اختياره لرسالته، وفي كل أمر.

التكليف: قوله ﷻ: ﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ﴾ كمال النعمة للفرد أو للأمة يتحقق بأمرين: أولهما رضا الله سواء عن الفرد أو الجماعة والآخر هو العلم.

﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٍ لِلْمَسْئِلِينَ﴾ (٧)

﴿لَقَدْ﴾: حرف إثبات ما حدث أقوى ما يكون في الماضي والمضارع، ولا تفيد في المستقبل ﴿كَانَ﴾: ما حدث في الماضي ﴿فِي﴾: قصة ﴿يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ﴾: جاء ذكر يوسف قبل ذكر إخوته لأنه الأشرف منهم وهو من يستحق الاصطفاء، من عباده في ذلك الزمان ومن إخوته ﴿آيَاتٍ﴾: عبر، وتوجيهات ﴿لِلْمَسْئِلِينَ﴾: تخصيصاً لكل من يُرد أن يعرف أخبارهم.

التكليف: ليس المراد من قصص القرآن التسلّي وقضاء لأوقاتٍ بسماعها، بل المراد من تلك القصص هو الاعتبار والاتعاظ بما جاء فيها.

﴿إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا نَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (٨)

﴿إِنْ﴾: ظرف يدل على ما مضى من الزمن في شأنهم ﴿قَالُوا﴾: حلف إخوة يوسف وأقسموا ظناً ﴿لَنْ﴾: حرف تأكيد ﴿يُوسُفُ وَأَخُوهُ﴾: بنيامين وهو أخو يوسف من أبيه وأمه ﴿أَحَبُّ إِلَيَّ﴾: الأكثر قرباً من قلب ﴿أَبِينَا مِنَّا﴾: إنه يُحِبُّهُمَا أَكْثَرَ مِنَّا ﴿وَقَدْ﴾: من جانبٍ آخِرٍ أَيْضًا ﴿نَحْنُ عَضْبَةٌ﴾: ونحن جماعة أصحاب قُدْرَةٍ، وكفاءةٍ أحد عشر ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ﴿أَبَانَا لَنْ﴾: حرف علةٍ وسببٍ ﴿فِي ضَلَالٍ﴾: جاء اللفظ القرآني "الضلال" على ثمانية أوجه؛ هنا بمعنى خطأ وخسارة أن يُحِبَّ يوسف وبنيامين أكثر مِنَّا، وليس المقصود هو الضلال في العقيدة ﴿مُبِينٍ﴾: واضح وظاهر، إن لفظ أبناء يعقوب، ووصفهم لأبيهم يعني أنهم لم يُقَدِّروا أباهم حقَّ قدره.

التكليف: إن بطون بني إسرائيل يقال لهم أسباط، ويقال عن بطون العرب قبائل، وعن بطون العجم شعوب.

﴿اقتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهَ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾ (٩)  
﴿اقتُلُوا﴾: ضعوا حدًا لحياة ﴿يُوسُفَ﴾: كان القتل هو الخيار الأول عند أبناء يعقوب عليه السلام، قالوا أعدموه، وترجحونا منه بالموت ﴿أَوْ﴾: حرف يفيد التسوية في الحكم، فبدلاً من القتل ﴿اطْرَحُوهُ أَرْضًا﴾: أبعده وغيبوه في قطعةٍ من الأرض بعيدة؛ حتى لا يعثروا عليه، وعندها ﴿يَخْلُ﴾: يفرغ ويخلص ﴿لَكُمْ﴾: وحدكم حتى يبقى لكم تخصيصاً ﴿وَجْهَ أَبِيكُمْ﴾: الأب بمحبته وعطائه ﴿وَقَدْ﴾: عطفاً على هذا ﴿تَكُونُوا مِنْ﴾: حرف يفيد بداية الغاية الزمانية ﴿بَعْدِهِ﴾: بعد قتل يوسف عليه السلام ﴿قَوْمًا﴾: جماعة من أصل واحدٍ ﴿صَالِحِينَ﴾: جاء اللفظ القرآني "الصالح" بمعنى فضل المنزلة، قال لهم الناصح؛ أضمروا التوبة قبل الجريمة، تنفردون بوالدكم؛ فلا يُحِبُّ أبوكم غيركم.

التكليف: الحقد يعمي البصيرة ودخول الشيطان أدى إلى اختلال وتضخم أمورهم حتى بدت الأشياء الصغيرة كبيرة، وبدت الأحداث الجسام في نظرهم هيئة ويسيرة فقد تمثل وتضخم في أعينهم إتيان الأب بالحب ليوסף حبّ وازى هذا الحب القتل الذي هو أكبر الجرائم على الأرض بعد الشرك.

﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ (١٠)

﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ﴾: قال واحدٌ من إخوة يوسف مُبَدِّياً رأيه في كيفية التعامل معه، وكان أكبرهم ﴿لَا﴾: حرف نهي ﴿تَقْتُلُوا يُوسُفَ﴾: لا تصلُ كراهيتكم وعداوتكم لأخيكم إلى درجة القتل،

وهذه إرادة الله ﷻ، سخرها ليُبقِي على حياة يوسف ﷺ؛ لتحقيق دوره في مصر ﴿و﴾: عطفًا على هذا قال أخوهم، يُمكن أن يكون خيارنا بدل القتل أن ﴿الْقُوَّة﴾: من الرمي ﴿فِي غَيَابَتِ الْجَبِّ﴾: والجب هو البئر التي فيها ماء، بينما البئر ليس فيها ماء، هو ما غاب، وأظلم، في قاع البئر، قال قتادة: أسفل بئر بيت المقدس ﴿يَلْتَقِطُهُ﴾: ينتشلهُ من البئر ﴿بَعْضُ﴾: عددٌ قليلٌ من ﴿السِّيَّارَةِ﴾: المسافرين المازين بالبئر، وبذلك يرتاحون من أخيهم دون قتل ﴿إِنَّ﴾: حرف شرط ﴿كُنْتُمْ فَأَعْلَيْنَ﴾: إن كنتم عازمين، مُصممين على التخلص منه؛ فاتفقوا جميعًا على هذه المؤامرة التي لا تليق بسلالة أبناء أنبياء.

التكليف: كان إخوة يوسف عشرة رجالٍ كبارًا يجتمعون على أمرٍ لا يليق بمثلهم عمرًا ولا مكانة وهم أبناء نبي. كما أن الغيرة تدفع أصحابها للضرر والإيذاء، والنيل من أخيهم؛ فسعوا في إيذائه إلى درجة الكيد والقتل، إن هذه القضية قد أوصلتهم إلى أن يسعوا إلى قتل أخيهم ﴿اقْتُلُوا يُوسُفَ﴾. إن تبييت التوبة قبل الذنب يدل على توبة غير مقبولة، ونخلص أيضًا أن من أساليب الشيطان: التزيين، والتلبيس، والتسويق، وتهوين عقاب المعصية.

﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ﴾ (١١)

﴿قَالُوا﴾: ذهب إخوة يوسف لأبيهم يعقوب، بعد أن اتفقوا على خطوات تنفيذ جريمتهم ﴿يَا أَبَانَا﴾: هنا نداءً للقريب هدفه استمالة قلب أبيهم نحوهم ﴿مَالِكَ﴾: ما بالك، لماذا؟ ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿تَأْمَنَّا﴾: لماذا لا تثق بنا فتجعلنا أمناء ﴿عَلَى يُوسُفَ وَ﴾: حرف عطف جمع هنا بين متعاطفين، الأول هو أن يأمنهم والثاني ﴿إِنَّا﴾: نحن بالتأكيد ﴿لَهُ﴾: ليوسف تخصيصًا ﴿لَ﴾: حرف علّةٍ وسببٍ ﴿نَاصِحُونَ﴾: مُشفقون، مُوجهون، ومُعلمون، وراعون، حتى يذهب ويعود سالمًا، إننا نطلب منك.

﴿أَرْسَلَهُ مَعَنَا غَدًا يَزْتَعُ وَيَلْعَبُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (١٢)

﴿أَرْسَلَهُ مَعَنَا غَدًا﴾: أبعثه معنا في اليوم التالي ﴿يَزْتَعُ﴾: والرتع يقصد به أصلًا أكل الدواب ويقال للإنسان إذا أريد له أن يأكل كثيرًا، ويأكل ما لذ وطاب، والمقصود هو المتسع من الخصب والإنتاج ﴿وَيَلْعَبُ﴾: أيضًا يتمتع بالرياضة، ورمي السهام، والجري وكل الرياضة المباحة ﴿وَ﴾: عطفًا على هذا ﴿إِنَّا﴾: نحن بالتأكيد ﴿لَهُ﴾: ليوسف ﴿لَ﴾: حرف يفيد هنا التأكيد، ﴿حَافِظُونَ﴾: نحمية، ونحوطه برعايتنا.

﴿قَالَ إِنِّي لَخَزْنِي أُن تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّبُّ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾ (١٣)

﴿قَالَ﴾: يعقوبُ النبيُّ الأبُ ﷺ ﴿إِنِّي﴾: أنا بالتأكيد ﴿ل﴾: حرف يفيد السبب والعلّة  
﴿يَحْزَنُنِي﴾: يشقُّ عليّ ولا يسرّني ﴿أَنَّ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿تَذْهَبُوا﴾: وتمضوا ﴿بِهِ﴾: أن  
يفارقني فترة غيابه؛ قال ذلك لفرط محبته وشقيقته عليه؛ ليتمه، وتوسّم شمائل النبوة فيه،  
وكمال الخلق، عليهما الصلاة والسلام ﴿و﴾: أيضًا ﴿أَخَافُ﴾: قال يعقوب ﷺ؛ تخوفًا ﴿أَنَّ  
يَأْكُلَهُ الذَّنْبُ﴾: أخشى أن تتشغلوا عنه أثناء اللعب أو الصيد، فيأتي وحشٌّ؛ فيأكله، في غفلةٍ  
منكم، ومن هذا ندرك أنّه كانت عندهم ظاهرة اعتداء الذنابِ على الأطفال ﴿وَأَنْتُمْ عَنْهُ﴾: عن  
أخيكم ﴿غَافِلُونَ﴾: لاهون، وساهون.  
التكليف: لقد أخذ إخوة يوسف هذه الكلمة؛ لتكون عُذرًا مُقنعًا لأبيهم عندما يؤذون أخاهم؛  
فيقولون أكله الذنب.

﴿قَالُوا لَئِن آكَلَهُ الذَّنْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذَا لَخَاسِرُونَ﴾ (١٤)

﴿قَالُوا﴾: إخوة يوسف ﴿لَئِن﴾: حرف شرطٍ وسببٍ ﴿أَكَلَهُ الذَّنْبُ﴾: إذا أكله الذنب منّا ﴿وَنَحْنُ  
عُصْبَةٌ﴾: عددٌ من الرجال ﴿إِنَّا﴾: نحن في هذه الحالة بالتأكيد ﴿إِذَا﴾: حرف جواب ﴿ل﴾:  
حرف تعليلٍ وسببٍ ﴿خَاسِرُونَ﴾: عندئذ نحن العاجزون، الفاشلون، الضعفاء الهالكون. وماذا  
يفيد الأب الحزين من اعترافهم هذا بعد خسارة ولده.

﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غِيَابَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ  
لَا يَشْعُرُونَ﴾ (١٥)

﴿فَلَمَّا﴾: حرفٌ يفيد التتابع والسبب ﴿ذَهَبُوا﴾: مضوا ﴿بِهِ﴾: وافق أبوهم أن يأخذوا أخاهم  
يوسف معهم بقدرٍ من الله ﷻ ﴿و﴾: حرف جمع هنا بين متعاطفٍ أوّلٍ وهو ذهبوا به  
ومتعاطفٍ ثانٍ وهو ﴿أَجْمَعُوا﴾: عزموا وصمموا واتفقوا كلُّهم ﴿أَنَّ﴾: حرف تأكيد الفعل،  
أجمعوا على تصوّرٍ واحدٍ ﴿يَجْعَلُوهُ﴾: يلقوه ﴿فِي غِيَابَتِ﴾: في قعر، في قاع ﴿الْجُبِّ﴾: البئر  
العميقة، التي فيها ماء، فقد أجمعوا على إلقائه في قعر البئر، الجُبِّ ﴿و﴾: عطفًا على هذا  
﴿أَوْحَيْنَا إِلَيْهِ﴾: يُخبرُ الله ﷻ كيف وصى يوسف ﷻ؛ ليُطيّب خاطرَه، ويربط على قلبه،  
ويثبت قدمه: لا تحزن فإنّ لك فرجًا، ومخرجًا حسنًا ﴿ل﴾: حرف اللام جاء هنا في جواب  
القسم ﴿تُنَبِّئَنَّهُمْ﴾: جاءت الكلمة هنا بالتشديد لتقيد التأكيد؛ سوف يأتي يومٌ يا يوسف بالتأكيد  
الربّاني تكشف كذبهم، وتذكّرهم ﴿بِ﴾: بآء السببية ﴿أَمْرِهِمْ﴾: مؤامرتهم وجريمتهم ﴿هَذَا﴾:  
التي نفذوها، كذبًا وتضليلًا وعقوقًا للوالد، وقتلًا للأخ، وكذبًا في الكلام، بهذه الجريمة  
العظيمة، وسينصرك الله ﷻ عليهم، ويرفع درجاتك فوقهم ﴿و﴾: أيضًا ﴿هُمْ﴾: ضميرُ الجمعِ

المدكر، وهي هنا للتخصيص ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يَشْعُرُونَ﴾: قال قتادة ومجاهد: لا يشعرون بإيحاء الله ﷻ ليوسف ﷺ، وقال ابن عباس: ستخبرهم بجريمتهم هذه ضدك، وستخبرهم وهم لا يعرفونك.

التكليف: إن الله يدافع عن الذين آمنوا والرعاية الإلهية تتدخل لإنقاذ المؤمنين في أحلك الظروف فقد أنقذ إبراهيم من النار وأنقذ يونس من بطن الحوت ونجا موسى حينما شق البحر بعصاه ورفع عيسى عندما أراد اليهود أن يصلبوه و نجى محمدًا من الأعداء في الغار، عليهم الصلاة والسلام على جميع الأنبياء.

إدراك أهمية جبر الخواطر المنكسرة فإن يوسف ﷺ لما أبعد عن أبيه وألقي في البئر المظلمة جبر الله خاطره بأن أوحى إليه؛ تطيبًا لقلبه و تثبيتًا له.

﴿وَجَاءُوا آبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ﴾ (١٦)

﴿و﴾: عطفاً على تنفيذ جريمتهم ﴿جَاءُوا﴾: عاد إخوة يوسف إلى بيتهم من المراعي ﴿أَبَاهُمْ عِشَاءً﴾: رجع أبناء يعقوب ﷺ إلى أبيهم في الليل، وقت العشاء ﴿يَبْكُونَ﴾: يبكون ويتظاهرون بالحزن والأسف على يوسف ﷺ.

﴿قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ (١٧)

﴿قَالُوا يَا﴾: حرف نداءٍ هنا للقريب ﴿أَبَانَا﴾: تؤدداً بالكذب ﴿إِنَّا﴾: نحن بالتأكيد ﴿ذَهَبْنَا﴾: مضينا وابتعدنا ﴿نَسْتَبِقُ﴾: أي نرمي بالسهام، إمّا للصيد، أو للتسابق بالعدو الجري ﴿و﴾: عطفاً على هذا ﴿تَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ﴾: حرف ظرفٍ مكانٍ ﴿مَتَاعِنَا﴾: ليحرس ثيابنا وأدواتنا ﴿ف﴾: حرف يفيد السبب بهدف ترتيب الأمر ويفيد سرعة التنفيذ ﴿أَكَلَهُ الذِّئْبُ﴾: كانت هذه حُجَّة كاذبة، أخذوها من قول أبيهم المسبق ﴿وَمَا﴾: حرف نفي ﴿أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا﴾: في تزلفٍ رخيصٍ؛ حاولوا تبرير ما يقولون، نحن نعلم أنك لَنْ تُصدقنا، وهذا من باب إدراكهم أنهم لا يقولون الصدق ﴿وَلَوْ﴾: حرف يفيد هنا النفي ﴿كُنَّا صَادِقِينَ﴾: حتى لو كنّا صادقين فيما نقول؛ ولسان حالهم يفضحهم، يقول لأنك خشيت الذئب، وجئناك بالحُجَّة نفسها، أنت معذور في تكذيبنا. هذا الإقرار بأن تكذيب أبيهم لهم كان دائماً، كان الكذب وسيبقى من طباع هؤلاء.

﴿وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ (١٨)

﴿و﴾: عطفاً على ارتكاب جريمتهم ﴿جَاءُوا﴾: لَطَّخُوا ووضَعُوا ﴿عَلَى قَمِيصِهِ﴾: على ملابس يوسف عليه السلام ﴿ب﴾: بَاءُ الصَّلَاةِ ﴿دَمٍ كَذِبٍ﴾: نَكَذِبَ فِيهِ، وَلِأَنَّ الْكَذِبَ لَا يُطْلَقُ عَلَى الدَّمِ قَالَ مجاهد، والسدي: ليس بدم يوسف، فقد عمدوا إلى سخله، ما عَزِ صَغِيرَةٌ فذبحوها؛ ولَطَّخُوا ثَوْبَ يوسُفَ بدمها، ولكنهم نسوا أن يخرقوا القميص، وقد لاحظ يعقوب عليه السلام، هذه الحالة الدالة على كذبهم ﴿قَالَ﴾: يعقوب عليه السلام، متى كان الذنب يأكلُ البشر ولا يخرق القميص؟ ﴿بَل﴾: حرف ينفي ما قبله؛ ويؤكد ما بعده ﴿سَوَّلَتْ﴾: زَيَّنَتْ وَجَمَلَتْ ﴿لَكُمْ﴾: تخصيصاً ﴿أَنْفُسَكُمْ﴾: ذاتكم وجوهركم الخبيث ﴿أَمْرًا﴾: أخبرهم أبوهم أنه يعرف أنه قد وسوست لهم أنفسهم باقترافِ جريمةٍ بشعة في حق أخيك ﴿ف﴾: حرف يُفِيدُ السَّبَبَ ﴿صَبْرٌ جَمِيلٌ﴾: صَبْرٌ لَا شَكْوَى فِيهِ لِغَيْرِ اللَّهِ ﷻ، صَبْرُ الرَّاظِينَ بِحُكْمِ اللَّهِ ﷻ، وَإِنْ طَالَ، عَنْ جِبَّانِ بْنِ أَبِي جَبَلَةَ، قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ قَوْلِهِ: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ [يوسف-١٨] قَالَ: صَبْرٌ لَا شَكْوَى فِيهِ<sup>(١)</sup>. عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: ثَلَاثٌ مِنْ كُنُوزِ الْبِرِّ: كِتْمَانُ الْأَوْجَاعِ، وَالْبُلُوى، وَالْمُصِيبَاتِ، وَمَنْ بَتَّ لَمْ يَصْبِرْ<sup>(٢)</sup>، وَقَالَ الثَّوْرِيُّ: مِنَ الصَّبْرِ أَنْ لَا تُحَدِّثَ بِوَجْعِكَ، وَلَا بِمُصِيبَتِكَ، وَلَا تُزَكِّيَ نَفْسَكَ، وَهَذَا كَانَ فِعْلٌ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فِي حَدِيثِ الْإِفْكِ ﴿و﴾: عطفاً على ما فعلتم ﴿اللَّهُ الْمُسْتَعَانُ﴾: أَطْلَبُ الْعَوْنَ مِنَ اللَّهِ ﷻ ﴿عَلَى مَا﴾: الَّذِي ﴿تَصِفُونَ﴾: على ما تقولون من أكاذيب.

التكليف: كان قميص يوسف عليه السلام، عامل تبرئة للذنب، وإدانةً لإخوته التي كانت بيّنة مزورة. كما أن العمل الارتجالي لا يُحَقِّقُ الغَايَةَ كما لو كان مُعَدًّا إِعْدَادًا جَيِّدًا ومُدْرَسًا دِرَاسَةً وَاثِمَةً، مَعْرُوفَةٌ أَبْعَادُهُ وَجِدْوَاهُ وَمَرَاكِلُهُ، وَكُلُّ عَمَلٍ أَوْ فِكْرَةٍ تَخْطُرُ عَلَى الْبَالِ لَا بَدَّ أَنْ يُخَطِّطَ لَهَا تَخْطِيطًا جَيِّدًا؛ يَرَاعِي فِيهِ الْهَدَفَ مِنْهَا، وَبِدَايَتَهُ، وَإِتِمَامَهُ، وَإِجَابِيَّاتِ، وَسَلْبِيَّاتِ، وَإِلَّا كَانَ عَمَلًا عَشْوَانِيًّا قَدْ يَفْشَلُ؛ وَإِنْ نَجَحَ فَنَجَاحُهُ مَرْحَلِيٌّ أَوْ غَيْرُ مَكْتَمَلٍ. إِنَّ سُورَةَ يوسُفَ تَضَعُ بَيْنَ أَيْدِينَا نَمَازِجَ مِنَ التَّخْطِيطِ الَّذِي يُؤَدِّي إِلَى الْوَصُولِ إِلَى الْهَدَفِ الْمُنْشُودِ، سِوَاءِ كَانَ طَيِّبًا أَوْ خَبِيثًا. وَالْحَذْرُ مِنَ الذَّنُوبِ خُصُوصًا الَّتِي يَتَرْتَبُ عَلَيْهَا ذُنُوبٌ أُخْرَى، وَيَتَسَلْسَلُ شَرُّهَا. إِنَّ سَكْرَةَ الْمَعْصِيَةِ تَخْرُجُ الْإِنْسَانَ مِنْ إِنْسَانِيَّتِهِ، وَتَغْطِي عَلَى عَقْلِهِ، كَمَا قَالَ ﷺ عَنْ قَوْمِ لُوطٍ ﴿إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحجر-٧٢]

(١) الصبر والثواب عليه لابن أبي الدنيا ٣/٢٩١ (١١٠) قال ابن كثير في تفسيره ٤/٣٧٥: هَذَا مُرْسَلٌ.

(٢) فوائد تمام ٢/٤٧ (١١٠١) قال حمدي السلفي محقق الكتاب: قال الدار قطني: ضعيف. وقد صح عن غير ابن مسعود.

﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غَلَامٌ وَأَسْرُوهُ بِيْضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ (١٩)

﴿و﴾: حرف عطف يجمع هنا بين حدثين الأول إلقاء يوسف في البئر والثاني ﴿جَاءَتْ سَيَّارَةٌ﴾: أي قوم مسافرون، رفقة قافلة مازة، تسير من الشام إلى مصر ﴿ف﴾: حرف يفيد السبب ﴿أَرْسَلُوا﴾: بعثوا ﴿وَارِدَهُمْ﴾: ساقبهم، وهو من يقوم بأمر سقايتهم، الذي يُجلب الماء ﴿فَأَدْلَى﴾: أنزل ﴿دَلْوَهُ﴾: وأدلى وعاء نقل الماء، وأمسك يوسف بالدلو؛ فأخرجه ساقبهم، واستبشر به ﴿قَالَ يَا﴾: حرف نداءٍ للقريب والبعيد ﴿بُشْرَى﴾: بشراي، يُبشر نفسه بما يسرها؛ فقد وجد رزقاً يُباع ﴿هَذَا غَلَامٌ﴾: صبيٌّ صغيرٌ ﴿و﴾: أيضاً ﴿أَسْرُوهُ﴾: قال مجاهد، والسدي، وابن جرير: خبأه الذين أخرجوه من البئر عن بقية القافلة، كأنه ﴿بِيْضَاعَةً﴾: وقالوا اشتريناه من صاحب البئر؛ حتى لا يُشاركهم أحدٌ في ثمنه إذا علموا خبره، وقيل: إنّ الذين أسروه هم إخوة يوسف وكنتموا أن يكون أخاهم، وكنتم يوسف الأمر حتى لا يقتلوه، واختار البيهقي، فباعه إخوته ﴿و﴾: عطفاً على هذه الأحداث فلا يجب أن تغيب حقيقة أنّ ﴿اللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا﴾: بالذي ﴿يَعْمَلُونَ﴾: يعلم ما فعل إخوة يوسف، وما عمل الذين اشتروه، وترك الله ﷻ الأمر كما شاء.

﴿وَشَرَّوهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾ (٢٠).

﴿و﴾: عطفاً على شراء يوسف ﴿شَرَّوهُ﴾: باع الرجل الذي ورد الماء، الذي أخرج يوسف من البئر وأصحابه بمصر ﴿ب﴾: باء التعددية ﴿ثَمَنٍ بَخْسٍ﴾: ثمن ناقص، فالبخس هو النقص، بثمنٍ زهيد ﴿دَرَاهِمَ مَغْدُودَةٍ﴾: قليلة سهلة العدّ، قال عكرمة: من عشرين إلى أربعين درهماً ﴿و﴾: أيضاً ﴿كَانُوا فِيهِ﴾: في شراء يوسف ﴿مِنَ﴾: حرف يفيد التأكيد ﴿الزَّاهِدِينَ﴾: كانوا لا يريدونه معهم، وحرصوا على التخلص منه، فهينته ليست هيئة عبدي، أو مملوكين.

لطيفة: توالى الأفعال في الآية الكريمة سريعاً، رشيقاً، بالفاء العاطفة التي تفيد ترتيب حدوث الأفعال وتعاقبها دون فارق زمني يُذكر، وهذا معناه أنّ المسافرين لما صاروا على مقربةٍ من البئر أسرعوا في إرسال من يجلب لهم الماء ﴿فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ﴾، فأسرع هذا بدوره ملبياً حاجتهم إلى إحضار الماء بسرعة ﴿فَأَدْلَى دَلْوَهُ﴾ وهنا تختفي (الفاء) ﴿قَالَ يَا بُشْرَى﴾ ولم يقل الله ﷻ: فقال يا بشري ذلك أنّ البشري تقتضي المفاجأة، وهذا ما يتحقق بحذف الفاء لتأتي العبارة مفاجئة، للدلالة على البشارة.



التكليف: إنَّ بيع إنسانٍ جريمة، فكيف ببيع نبيِّ ابن نبيِّ فهي جريمة أكبر، قدَّر الله ﷻ أن يكون خيرًا لمصر كلها.

﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٢١)

﴿و﴾: عطفًا على شراء يوسف ﴿قَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ﴾: اسم موصول بالفرد المُذَكَّر، قال ابن عباس: القائل هو عزيزُ مصر الذي اشتراه، هو الوزير، أمر زوجته أن ترعاه، وتُكرمه، وتُحسن مثواه ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ يفيد النوع وتمييزه ويفيد هنا ابتغاء الغاية المكانية ﴿مِصْرَ﴾: لقد قيَّض الله ﷻ ليوسف ﷻ من اعتنى به، وأكرمه، وأوصى أهل بيته فقد قال: ﴿ل﴾: حرف تخصيص ﴿امْرَأَتِهِ أَكْرِمِي﴾: زيدي في ﴿مَثْوَاهُ﴾: ضيافته، جاء اللفظ القرآني مثوى هنا بمعنى منزلةً ومقامًا، عاملته، وقيل بالطعام الطيب، واللباس الحسن ﴿عَسَىٰ﴾: فعلٌ ماضٍ جامد يفيد هنا الترجي في الأمر المحبوب، وهي تدلُّ على التحقق والوجوب ﴿أَنَّ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿يَنْفَعَنَا﴾: أن يكفينا بعض النهمات مما نحتاج إلى مثله فيه، ﴿أَوْ﴾: حرف يفيد التسوية بين متعاطفين، الأول المنفعة والثاني ﴿نَتَّخِذُهُ وَلَدًا﴾: نتبناه فيكون ابننا، فلم يُكُنْ له ولد ﴿وَكَذَلِكَ﴾: هكذا أيضًا ﴿مَكَّنَّا﴾: قوينا حتى صار متمكنًا من الأمر والنهي ﴿ل﴾: تخصيصًا ﴿يُوسُفَ فِي الْأَرْضِ﴾: بهذه المرحلة أصبح وضع يوسف في مصر ثابتًا، متينًا، آمنًا، ولنا أن نسأل كيف يكون الرقيق سببًا في التمكين في الأرض؟

التكليف: إنَّ وجه الخير والتمكين في هذا المقام هو توافر كلِّ أسباب الراحة والرغد وهناءة العيش والنعيم، وتوافر كلِّ أسباب التعليم؛ بحيث يكون قريبًا من مراكز صنع القرار؛ الأمر الذي يتعلم فيه حسن الإدارة، والنظم السياسية، والاجتماعية والاقتصادية، بخلاف ما لو عاش في قاع المجتمع العصري أو ريفه.

﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿ل﴾: حرف علّة وسببٍ ﴿نُعَلِّمُهُ مِنْ تَأْوِيلِ﴾: يعلمه الله ﷻ تعبير الرؤيا ﴿الْأَحَادِيثِ﴾: تفسير الأحلام، ولكن الأمر أشمل من ذلك فإنَّ وجوده في بيت العزيز يفتح آفاقه الفكرية من حيث النواحي العلمية والعملية، ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ﴾: إذا أراد شيئًا لا يُرد، ولا يمنعه أحدٌ؛ فهو فعال لما يريد ﴿وَلَكِنَّ﴾: حرف عطفٍ واستدراكٍ ﴿أَكْثَرَ﴾: غالبية ﴿النَّاسِ﴾: بني آدم ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يَعْلَمُونَ﴾: لا يدركون حكمته ﷻ في

خلقه، وإن كانت بحجم هذه المأساة ليوسف وأبيه، وعسى أن تكثرها شيئاً، ويجعل الله فيه خيراً كثيراً.

### ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (٢٢)

﴿وَلَمَّا﴾: حرف تأكيد، يأتي دلالةً على حدوث شيء في الماضي ﴿بَلَغَ﴾: يوسف عليه السلام ﴿أَشُدَّهُ﴾: اكتمل نمو عقله وجسده، والقدرة على تحمل المسؤولية وحسن التصرف، وصار متمكناً من الأمر والنهي، قال ابن عباس، رضى الله عنهما: بلغ ثلاثة وثلاثين عاماً، وقال الحسن: أربعين سنة ﴿آتَيْنَاهُ﴾: جاءت بصيغة الجمع لأن الله تعالى وهبه علماً عظيماً ﴿حُكْمًا وَعِلْمًا﴾: المقصود كلفه الله تعالى بالنبوة وسط هذه الأقوام، والنبوة، والعلم بالدين، وتأويل الرؤيا ﴿وَكَذَلِكَ﴾: أيضاً مثل هذا ﴿نَجْزِي﴾: كان هذا جزاءه مثل ما نجزي ﴿الْمُحْسِنِينَ﴾: نكافئ العابدين الله تعالى بصدق.

التكليف: قدم الله تعالى الحكمة على العلم؛ لأن الحكمة تجعل الانتفاع بالعلم ممكناً.

### ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْت لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ (٢٣)

﴿و﴾: عطفاً على حياته في القصر ﴿رَاوَدَتْهُ﴾: طالبت له حاجتها وأرادت أن ينزل عن إرادته لإرادتها برفق ولين، وتحاليت عليه، للمخادعة حيث طلبت منه فعل الفاحشة برفق ولين ومخادعة؛ فقد أحبته حباً شديداً، لجماله، وحسنه ﴿الَّتِي﴾: اسمٌ موصولٌ بالفرد المؤنث ﴿هُوَ﴾: ضمير منفصل مرفوع للغائب المفرد المذكر، المقصود هو يوسف عليه السلام ﴿فِي بَيْتِهَا﴾: هي امرأة العزيز، التي ربته في بيتها، ورعته، واعتنت به ﴿عَنْ نَفْسِهِ﴾: دعته أن يفعل الفاحشة ﴿و﴾: عطفاً على دعوتها ﴿غَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ﴾: أحكمت أغلاق جميع الأبواب؛ وقيل كانت سبعة لتتمكن من تنفيذ ما ترغب فيه بعيداً عن أعين الآخرين، استعداداً وتهيئةً لممارسة ما يحلو لها ﴿وَقَالَتْ هَيْت لَكَ﴾: فيها قراءات ومعان عدة: قال ابن عباس، ومجاهد، رضى الله عنهما: ﴿هَيْت﴾: تدعوه إلى نفسها، وأيضاً تعني باللغة الحورانية: تعال واقترب، وقرأ هئْتُ: بمعنى تهيأت لك ﴿قَالَ﴾: يوسف عليه السلام ﴿مَعَاذَ اللَّهِ﴾: ألتجئ إلى الله تعالى ليحميني، اعتمص به تعالى من الوقوع في الفاحشة ﴿إِنَّهُ﴾: هو تعالى بالتأكيد، والله أعلم ﴿رَبِّي﴾: مالك أمري، وقد يكون المقصود هو الله تعالى، أو يكون المقصود صاحب البيت، العزيز الذي

﴿أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾: أحسن معاملتي، وأكرمني، إني لا أخون الرجل الذي يملكني، ورباني، وأحسن معاملتي، ومقامي، ومنزلتي ﴿إِنَّهُ﴾: حرف تأكيد ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يُفْلِحُ﴾: جاء لفظ الفلاح هنا؛ بمعنى الفوز ﴿الظَّالِمُونَ﴾: المجاوزون الحدّ والذي منه الزنا؛ الذي هو ظلمٌ عظيم على الطرفين؛ أصبح المعنى أنه من يقع في هذه الخيانة خاسرٌ، ظالمٌ للنفس، وللذي ربّاه، وأكرمه. جزاء الظالم: عن أبي موسى رضي الله عنه، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لِيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ» قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود-١٠٢] <sup>(١)</sup>، وعن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: ثلاثٌ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٌ لَا شَكَّ فِيهِنَّ: دَعْوَةُ الْوَالِدِ، ودَعْوَةُ الْمَسَافِرِ، ودَعْوَةُ الْمَظْلُومِ <sup>(٢)</sup>. وعن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: انْتَفُوا دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، وَإِنْ كَانَ كَافِرًا، فَإِنَّهُ لَيْسَ دُونَهَا حِجَابٌ <sup>(٣)</sup>.

التكليف: نلاحظ هنا المنهج القرآني يُنهي القصة حتى لا تطول الظنون في شرفٍ وعزّةٍ وطهارة يوسف عليه السلام.

﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ (٢٤)

﴿وَلَقَدْ﴾: تحقق في الماضي ﴿هَمَّتْ بِهِ﴾: همّ الجذب لنفسها قدّم الله ﷻ المرأة هنا قبل الرجل مما يدلّ على عدم نيته عليه السلام، ارتكاب الفاحشة، فقد منعه خشيةُ الله ﷻ ﴿وَلَا﴾: أيضًا ﴿هَمَّ بِهَا﴾ همّ الدفع والتخلص منها، بعد أن استخدمت كلّ وسائل الإغراءات. ظاهر هذه الآية الكريمة قد يُفهم منه أن يوسف عليه السلام همّ بأن يفعل الفاحشة مع تلك المرأة مثل ما همت هي بها منه، ﴿لَوْلَا﴾: حرف شرط يدلّ على امتناع الشيء لوجود غيره هو ﴿أَنْ﴾: تحقق ﴿رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ عهد الله ﷻ وميثاقه، وما أخذه على عباده؛ لوقع في الإغراءات الشديدة، ولكنّ القرآن العظيم بيّن براءته عليه السلام من الوقوع فيما لا ينبغي؛ ﴿كَذَلِكَ لِي﴾: حرف علّةٍ وسببٍ

(١) صحيح البخاري ٧٤/٦ (٤٦٨٦).

(٢) سنن أبي داود ٦٣٩/٢ (١٥٣٦). قال الأرنؤوط: حسن لغيره.

(٣) مسند أحمد ٢٠/٢٢ (١٢٥٤٩).

﴿نُصْرِفَ﴾: لندفع ونبعد ﴿عَنهُ﴾: حرف يفيد السبب ﴿السُّوءَ﴾: لتبعد عنه جنس السوء كله، ومنه وأخطر ﴿وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ﴾: حرف تأكيد أن يوسف عليه السلام ﴿مِنْ﴾: حرف جر يفيد النوع وتمييزه ويفيد هنا ابتغاء الغاية المكانية ﴿عِبَادِنَا الْمُخْلِصِينَ﴾: المُجْتَبِينَ، المُخْتَارِينَ، الأَخْيَارُ لرسالته حيث بيّن شهادة كلِّ من له تعلق بالمسألة ببراءته، وشهادة الله ﷻ له بذلك، واعتراف إبليس، أمّا الذين لهم تعلق بتلك الواقعة فهم: يوسف، والمرأة، وزوجها، والنسوة، والشهود. من دلالة القرآن من جهات متعددة على براءته مما لا ينبغي<sup>(١)</sup>. كما في الحديث عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقْسِمُ فَيَعِدُّ فَيَقُولُ: اللَّهُمَّ هَذَا قَسَمِي فِيمَا أَمْلِكُ، فَلَا تَلْمَنِي فِيمَا تَمْلِكُ وَلَا أَمْلِكُ. قَالَ إِسْمَاعِيلُ الْقَاضِي: يَعْني الْقَلْبَ<sup>(٢)</sup>. ومثال هذا ميل الصائم بطبعه إلى الماء البارد، مع أن تقواه تمنعه من الشرب وهو صائم، وقد قال ﷺ: فِيمَا يَرَوِي عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ: قَالَ: إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ثُمَّ بَيَّنَّ ذَلِكَ، فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمَلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِ مِائَةٍ ضَعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمَلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً<sup>(٣)</sup>، لأنه ترك ما تميل إليه نفسه بالطبع خوفاً من الله، وامتنالاً لأمره، كما قال ﷺ: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ \* فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات- ٤٠، ٤١]. والجواب الثاني: أن يوسف لم يقع منه هم أصلاً، بل هو منفي عنه لوجود البرهان. والغالب من كلام العرب: أن الجواب المحذوف يذكر قبله ما يدل عليه، كقوله: ﴿فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾ [يونس- ٨٤]، أي: إن كنتم مسلمين فتوكلوا عليه، لأن جواب الشروط وجواب لولا لا يتقدم، ولكن يكون المذكور قبله دليلاً عليه كالأية المذكورة، وكقوله: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة- ١١١]، أي: إن كنتم صادقين فهاتوا برهانكم. وعلى هذا القول: فمعنى الآية: أي لولا أن رأى برهان ربه لهم بها. ونظير ذلك قوله ﷺ: ﴿إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [القصص- ١٠]، فما قبل لولا دليل الجواب، أي: لولا أن ربطنا

(١) انظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٢/ ٢٠٧.

(٢) المستدرک علی الصحیحین للحاکم ٢/ ٢٠٤ (٢٧٦١) وقال: صحیح علی شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

(٣) صحيح البخاري ٨/ ١٠٣ (٦٤٩١).

على قلبها لكادت تبدي به<sup>(١)</sup>. وقال الشيخ أبو حيان في «البحر المحيط» ما نصه: والذي اختاره أن يوسف عليه السلام لم يقع منه هم بها البتة، بل هو منفي لوجود رؤية البرهان، كما تقول: لقد قارفت لولا أن عصمك الله، ولا نقول: إن جواب لولا متقدم عليها، وإن كان لا يقوم دليل على امتناع ذلك<sup>(٢)</sup> قال أبو حاتم: قال أبو عبيد: هذا على التقديم والتأخير؛ كأنه أراد: ولقد همت به، ولولا أن رأى برهان ربه لهم بها<sup>(٣)</sup> وأما ما ينقل من أنه حلّ سراويله، وجلس مجلس الرجل من المرأة، وأنه رأى صورة يعقوب عاضاً على يده، وأمثال ذلك فكله مما لم يُخبر الله ﷻ به ولا رسوله، وما لم يكن كذلك، فإنما هو مأخوذ عن اليهود؛ الذين هم من أعظم الناس كذباً على الأنبياء، وقدحاً فيهم، لم ينقل أحدٌ من المسلمين من ذلك عن نبينا ﷺ حرفاً واحداً<sup>(٤)</sup>.

**التكليف:** الحذر الشديد من خطورة فتنة النساء، وإنها أعظم ما ينبغي الحذر منه من الشهوات. هذه المحنة العظيمة أعظم على يوسف عليه السلام، من محنة إخوته، وصبره عليها أعظم أجراً، لأنها صبر اختيار وأما محنته بإخوته، فصبره صبر اضطرار، بمنزلة الأمراض والمكاره التي تصيب العبد بغير اختياره وليس له ملجأ إلا الصبر عليها، طائعا أو كارهاً. التحصن الدائم بالله ﷻ في السر والعلن، وضرورة تحكم الإنسان بشهوته وغريزته فعلى الإنسان تحكيم عقله وإرادته وهي من المزايا.

**خطورة الخلوة:** ورد التحذير من الخلوة في أحاديث كثيرة منها: قول رسول الله ﷺ لَا يَخْلُونَ أَحَدُكُمْ بِأَمْرَةٍ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ ثَالِثُهُمَا، وَمَنْ سَرَّتْهُ حَسَنَتُهُ وَسَاءَتْهُ سَيِّئَتُهُ، فَهُوَ مُؤْمِنٌ<sup>(٥)</sup>، وَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: إِيَّاكُمْ وَالْدُخُولَ عَلَى النِّسَاءِ فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ:

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٢/٢٠٨ - ٢١٤.

(٢) البحر المحيط في التفسير ٦/٢٥٧.

(٣) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ٩/١٦٥.

(٤) دقائق التفسير ٣/٢٧٢ - ٢٧٣.

(٥) مسند أحمد ١/٢٦٩ (١١٤). وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح.

يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَرَأَيْتَ الْحَمَو؟ قَالَ: الْحَمُو الْمَوْتُ<sup>(١)</sup> ومعنى الحمو: هو أخو الزوج، كأنه كره أن يخلو بها.

﴿وَاسْتَبَقَا النَّبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى النَّبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٢٥)

يصور لنا القرآن المشهد في محاولة امرأة العزيز؛ لارتكاب ما خططت له ﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿استَبَقَا﴾: أسرعًا، الاثنان تسابقًا، يوسف في المقدمة وامرأة العزيز خلفه نحو ﴿النَّبَابِ﴾: هرب يوسف ﷺ، من أمامها، ليخرج من المكان، ولحقت به لتمنعه من الخروج، فأدرسته ﴿و﴾: عطفًا على هذا ﴿قَدَّتْ﴾: قطعت مَرَّقَتِ ﴿قَمِيصَهُ﴾: لحقت به؛ وأمسكت بقميصه ﴿مِنْ﴾: حرف بيان النوع وتمييزه، يفيد هنا بداية الغاية المكانية ﴿دُبُرِ﴾: من الخلف؛ فقطعته بصورة واضحة، ﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿أَلْفَيَا﴾: وجدا ﴿سَيِّدَهَا﴾: العزيز زوجها، لم يقل ﷺ زوجها؛ لأن نساء ذلك الزمان في مصر يلقبن الأزواج بالسيد ﴿لَدَى﴾: كان زوجها أمام ﴿النَّبَابِ قَالَتْ﴾: امرأة العزيز في حيلةٍ للتستر على نفسها، فتناست ما كان منها إلى يوسف ﴿مَا﴾: حرف استفهام ﴿جَزَاءُ﴾: عقاب ﴿مَنْ﴾: الذي من جنس العاقل، والمقصود يوسف ﴿أَرَادَ﴾: شاء ﴿بِأَهْلِكَ﴾: الصلة أهل بيتك، وتقصد نفسها، وهي زوجة العزيز ﴿سُوءًا﴾: تصنعت المرأة البراءة في لحظات، وكادت ليوسف، ومكرت له؛ لتنجو، فحددت هي عقوبة يوسف؛ واتهمته بأنه أراد السوء والفاحشة، والشر، والضرر، والمقصود هنا الزنا ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿يُسْجَنَ﴾: فقدمت السجن وهو أخف الأمرين، لخوفها على يوسف من العذاب الشديد؛ من العجيب أن تُحدِّد المرأة نوع عقوبته: إما أن يُسجن، وهذا هو الحكم الأول ﴿أَوْ﴾: حرف تسوية بين عقابين ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: والعقاب الثاني أن يُضرب ضربًا شديدًا مؤلمًا.

﴿قَالَ هِيَ رَاوَدْتَنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ (٢٦)

﴿قَالَ﴾: يوسف ﷺ، وهو صادق ﴿هِيَ﴾: امرأة العزيز ﴿رَاوَدْتَنِي عَنْ﴾: حرف يُفيد هنا الغاية ﴿نَفْسِي﴾: هي التي لحقت بي، وأمسكت بقميصي ﴿و﴾: عطفًا على هذا ﴿شَهِدَ﴾: أدلى بشهادته ﴿شَاهِدٌ﴾: قيل صبي في المهد أنطقه الله ﷻ، وقيل هو أحد أقارب امرأة

(١) صحيح البخاري ٣٧/٧ (٥٢٣٢).

العزیز، كان معه عندما دخلا القصر، ورأى الحدث ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ يفيد النوع وتمييزه وابتغاء الغاية المكانية ﴿أَهْلِهَا﴾: ولأنه من أهلها، ولأنها السيدة، كان الشاهد مُعْتَمَدًا، فقال ﴿إِنْ﴾: حرف شرط ﴿كَانَ قَمِيصُهُ قُدًّا﴾: قُطِع ﴿مِنْ﴾: حرف بيان النوع وتمييزه، وتفيد هنا بداية الغاية المكانية ﴿قَبْلِ﴾: من الأمام ﴿فَ﴾: حرف يفيد ربط الجواب بمعنى ﴿صَدَقْتُ﴾: تكون هي الصادقة ﴿وَهُوَ﴾: ضمير للمفرد المذكور، والمقصود يوسف عليه السلام، يكون ﴿مِنْ الكاذبين﴾: لأنها تكون قد دفعته عنها من أمامه، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: تَكَلَّمَ أَرْبَعَةَ صِغَارٍ: عَيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ عليه السلام، وَصَاحِبُ جُرَيْجٍ، وَشَاهِدُ يُوسُفَ، وَابْنُ مَاشِطَةَ ابْنَةَ فِرْعَوْنَ (١).

﴿وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدًّا مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبْتَ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (٢٧)

وأكمل الشاهد قائلًا ﴿وَ﴾: حرف يُفيد الجمع بين متعاطفين ﴿إِنْ﴾: حرف شرط ﴿كَانَ﴾: حدث ﴿قَمِيصُهُ قُدًّا﴾: أي تمزّق ﴿مِنْ﴾: حرف بيان النوع وتمييزه، ويفيد ابتداء الغاية المكانية، أي من ﴿دُبُرٍ﴾: من الخلف؛ فيكون ذلك بسبب هروبه منها، ولحاقها به؛ عندما أمسكت به من الخلف ﴿فَكَذَبْتَ وَ﴾: عطفاً على هذا يكون ﴿هُوَ﴾: ضمير منفصل مرفوع للغائب المفرد المذكور، ويعني هنا يوسف عليه السلام ﴿مِنْ الصَّادِقِينَ﴾: لأنها هي التي أمسكت به من الخلف، وهو يهرب أمامها، وهذا ما يبرئه.

﴿فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدًّا مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ (٢٨).

﴿فَلَمَّا﴾: حرف يُفيد التتابع والسبب، عندما ﴿رَأَى﴾: العزیز وتيقن ببصره أن ﴿قَمِيصَهُ﴾: لما رأى العزیز قميص يوسف ﴿قُدًّا﴾: مُزَّق ﴿مِنْ﴾: حرف بيان النوع وتمييزه، ويفيد ابتداء الغاية المكانية ﴿دُبُرٍ﴾: مُمَزَّقٌ من الخلف ﴿قَالَ﴾: الشاهد، أو العزیز ﴿إِنَّهُ﴾: بالتأكيد إن هذا هو الكذب، والبُهت، وتلطّيح سمعة يوسف، وكذبها فيما قذفته به ﴿مِنْ كَيْدِكُنَّ﴾: من جملة كيد معشر النساء لأن كيد النساء ألصق بالقلب وأشدُّ تأثيراً في النفوس، ولا قدرة لأغلبية الرجال عليه، ولأنَّ الغالب على فعل النساء في ذلك الزمان هو الكيد، ومنهم امرأة العزیز ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿كَيْدِكُنَّ﴾: وهذا الأمر الذي جرى من المكر والحيلة ﴿عَظِيمٌ﴾: يشهد العزیز بحجم الكذب الكبير من النساء، مُوسِعًا دائرة الاتهام للنساء من طراز زوجته.

التكليف: للقميص في سورة يوسف دورٌ محوريٌّ؛ فقد جاء إخوة يوسف على قميصه بدم كذب، وكان هذا اتهامًا له، عليه السلام، وقَدَّت قميصه من قُبْلِ فكان هذا تيرئته له، وجاء اذهبوا

(١) مسند أحمد ٣١/٥ (٢٨٢١) قال الأرنؤوط: إسناده حسن.

بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يرتد بصيرًا، فكان سببًا في شفاء يعقوب عليه السلام من العمى، كان قميصُ يوسف عامل تيرئةٍ له من فعل الفاحشة، وإدانةً لامرأة العزيز.

**﴿يُوسُفُ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾ (٢٩).**

قال العزيز مخاطبًا **﴿يُوسُفُ أَعْرَضَ﴾**: تجاهل **﴿عَنْ﴾**: حرف جرّ يُفيدُ المجاوزة **﴿هَذَا﴾**: لا تذكر الذي حدث لأحدٍ، لا تتحدث به، حتى لا يشيع الخبر في الشعب؛ ووجّه كلامه لزوجته **﴿و﴾**: عطفاً على هذا أنتِ **﴿اسْتَغْفِرِي﴾**: اطلبي المغفرة. كان هذا الشعور من البلادة وعدم الغيرة على العرض **﴿ل﴾**: حرف علّةٍ وسببٍ **﴿ذَنْبِكِ﴾**: فقط طلب منها الاستغفار وهو حق الله ﷻ، ولكنّه لم يذكر شيئاً في حقّه عليها، فهل كان زوجاً ليئلاً سهلاً، أم أنّ به علّة؛ وصبرت عليه؟ الله أعلم أنّ من عادة أصحاب القصور المترفين، فكان همّه، أن يكتم يوسف الخبر، وأكثر ما استطاع أن يفعله أن يقول للمرأة المخطئة **﴿إِنَّكِ﴾**: أنت بالتأكيد **﴿كُنْتِ﴾**: في الحادثة الأخيرة **﴿مِنْ﴾**: حرف يفيد التمييز وبداية الغاية المكانية **﴿الْخَاطِئِينَ﴾**: أصحاب خطيئة، وهم الذين يتعمدون الخطأ؛ والخطأ بخلاف المخطئ الذي لا يتعمد الخطأ. التكليف: هنا مثالٌ على عصمة الأنبياء، وهي سنّة جرت في عباد الله الصالحين.

**﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (٣٠)**

**﴿و﴾**: عطفاً على ما حدث؛ وتسرب الخبر في الحاشية **﴿قَالَ نِسْوَةٌ﴾**: جمع قلّة؛ تعني مجموعة قليلة من النساء، بينما لفظ نساء فهو جمع كثرة **﴿فِي الْمَدِينَةِ﴾**: يعني أنّ الخبر انتشر في المدينة، وتداولته النساء في مصر، وهنّ نساء الوزراء والوجهاء قالوا **﴿امْرَأَتُ﴾**: زوجة **﴿الْعَزِيزِ﴾**: وهي زليخة **﴿تُرَاوِدُ﴾**: تُغري وتفتن، قالوا هذا استتكاراً على فعلتها هل لأنها تراود خادماً وغلماً عندها، لم يستكرن الفعل ذاتها؛ لأن ممارسة الفاحشة مع الرجال والسادة أمر طبيعي **﴿فَتَاهَا﴾**: عبدها الشاب، قالوا تُراوِدُ أي مستمرة في الفعل، ولم يقولوا راودت، وفي هذا ما يُدلّ على نمط الإشاعة، قالوها تجريحاً؛ لأنها في منزلة أفضل منهن، والله أعلم **﴿عَنْ﴾**: حرف يفيد السبب **﴿نَفْسِهِ﴾**: تطلبه لنفسها **﴿قَدْ﴾**: حرف جزم دخل هنا على الفعل الماضي فأفاد التأكيد **﴿شَغَفَهَا﴾**: كأنّ حبّه شقّ سويداء قلبها، بعد أن اخترق الغشاء الذي يحيط بالقلب وهو ما يسمى باللغة العربية بغشاء "التامور" **﴿حُبًّا﴾**: وصل حبّه إلى شغاف غطاء غلاف قلبها، قال ابن عباس: الشغاف هو الحبّ القاتل، والشغف: هو حبٌّ أقلّ من



الشفاف ﴿إِنَّا﴾: نحن بالتأكيد ﴿لَنْ﴾: حرف علّةٍ وسببٍ ﴿نَرَاهَا﴾: صورتها في نظرنا أنّها ﴿فِي ضَلَالٍ﴾: في حُسرانٍ ﴿مُبِينٍ﴾: ظاهرٍ وواضحٍ.

التكليف: الحذر من هذه المجتمعات الفاسدة التي تبحث عن الفضائح وتشرها.

﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأِيَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ (٣١)

﴿فَلَمَّا﴾: حرفٌ يُفيدُ التتابع والسبب ﴿سَمِعَتْ﴾: امرأة العزيز، ووصلها ما يُقال عنها في مجتمعات النساء ﴿بِ﴾: حرف باء السببية ﴿مَكْرِهِنَّ﴾: قولهن بالغيبة عليها؛ لأن المكر حدث خفيةً وفي غياب أصحابه ﴿أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ﴾: دعتهن لزيارتها في بيتها، لينظرن إلى يوسف ﷺ ﴿وَأَعْتَدَتْ﴾: جهّزت ﴿لَهُنَّ﴾: تخصيصًا ﴿مُتَكَأً﴾: مجلسًا فيه فراشٌ، ومساندٌ، وطعامٌ، وسكاكينٌ، وما يُقطع من الطعام بالسكين ﴿و﴾: أيضًا ﴿آتَتْ﴾: أعطت ﴿كُلَّ﴾: تقيد الجميع منهن ﴿وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا﴾: التي تُستخدم في الطعام، لم يكن هدفها الرئيس أن يستخدمنها في الأكل، ولكن مكرًا منها لتحقيق غايتها ﴿و﴾: أتبعته ذلك أن ﴿قَالَتِ﴾: ليوسف ﴿اخْرُجْ﴾: ادخل على مجلسهن ﴿عَلَيْهِنَّ﴾: على النساء في القصر ﴿فَلَمَّا﴾: حرفٌ يُفيدُ التتابع والسبب ﴿رَأِيَهُ﴾: شاهدهن، نساء القصر ﴿أَكْبَرْنَهُ﴾: دهشن وعظمن شأنه وقدره ﴿و﴾: عطفًا على ذلك ﴿قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾: انشغلن عما في أيديهن، وتحركت السكاكين في أيديهن دون درايةٍ منهن، فجرحن أيديهن ﴿وَقُلْنَ﴾: كان قولهن ﴿حَاشَ لِلَّهِ﴾: تنزيه الله ﷻ عن النواقص والعجز والعيوب، وتعجبًا من قدرته ﷻ على خلق مثل يوسف ﷺ، فجماله غيرٌ موصوفٍ في غيره من البشر، فقد جاء في الحديث: "إنه أعطي شطر الحسن" ﴿مَا﴾: حرف نفي ﴿هَذَا﴾: المقصود يوسف ﷺ ﴿بَشَرًا﴾: ليس إنسانًا مثلنا ﴿إِنْ﴾: حرف تأكيد بمعنى إنّما ﴿هَذَا إِلَّا﴾: حرف استثناءٍ ﴿مَلَكٌ﴾: من الملائكة لأنّ الملائكة رمزُ الحُسن والجمال، كما أنّ الشياطين رمزُ القبح والشرِّ ﴿كَرِيمٌ﴾: رمز الحُسن والجمال؛ لا يوجد شبيه له في البشر، وهذا ما قاله محمد ﷺ في رحلة الإسراء: إِذَا هُوَ قَدْ أُعْطِيَ شَطْرَ الْحُسْنِ<sup>(١)</sup>.

التكليف: إذا كنّ من نظرةٍ واحدةٍ قطعن أيديهن، فكيف بالتي تراه كلّ حين.

﴿قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِينَ لُمْتُنِّي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِنَ الصَّاعِرِينَ﴾ (٣٢)

(١) صحيح مسلم ١/١٤٥/١٦٢.

﴿قَالَتْ﴾: امرأة العزيز ﴿ف﴾: حرف استثنائي يفيد هنا السبب بهدف ترتيب الأمر ﴿ذَلِكَ﴾: اسم إشارة للبعيد، المقصود هذا هو الفتى يوسف، ولم تقل فهذا رغم وجوده بينهن؛ رفعاً لمنزلته في الحسن؛ وتبرير شغفها به، وتنزيهاً له ﴿الَّذِي﴾: اسم موصول للمفرد المذكر، وهو هنا يوسف ﴿لَمُنَّنِي فِيهِ﴾: الذي وقع لومك عليّ بسبب حبي له؛ ألا يستحق أن يحب لجماله وكماله؟ وأخبرت عن عفته فقالت معترفة ﴿و﴾: عطفاً على ما شاهدتم من حسنه ﴿لَقَدْ﴾: حرف يفيد الإثبات والجزم ﴿رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ﴾: حاولت غوايته، ولكنه أبى ورفض، وهي لا زالت تُصرُّ على غوايته؛ ﴿ف﴾: حرف يفيد السبب ﴿اسْتَعْصَمَ﴾: امتنع امتناعاً شديداً ﴿و﴾: عطفاً على ما سبق ﴿لَنْ﴾: حرف يفيد الشرط، يتبع ما بعده ﴿لَمْ﴾: حرف نفي ﴿يَفْعَلْ مَا﴾: الذي ﴿أَمْرُهُ﴾: فلجأت إلى أسلوب التهديد الشديد فقالت: إذا لم يستجب لطلبي في المستقبل ﴿ل﴾: حرف سبب ﴿يُسَجَّنَنَّ﴾: لغة توكيد وحزم، تؤكد أنه سيدخل السجن ﴿و﴾: أيضاً سوف أجمع عليه مع السجن ﴿ل﴾: حرف علة وسبب ﴿يَكُونَنَّ مِنَ الصَّاعِرِينَ﴾: ليصبح بالتأكيد ذليلاً مهاناً حقيراً.

﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (٣٣)

﴿قَالَ﴾: يوسف ﷺ ﴿رَبِّ﴾: لجأت إليك يا مالك أمري كله، إلى الحصن المتين، إلى الله ﷻ أن ﴿السِّجْنُ أَحَبُّ﴾: أفضل ﴿إِلَيَّ﴾: عندي إتني أفضل دخول السجن على أن أقع في الفاحشة ﴿مِمَّا﴾: بعض أو جزء الذي ﴿يَدْعُونِي إِلَيْهِ﴾: نلحظ أن رغبة امرأة العزيز أصبحت رغبة نساء الوزراء ونساء القادة، لقد أطلق على هؤلاء النسوة اسم صواحب يوسف، وهي تسمية أطلقها عليهن رسول الله ﷺ، فعن عائشة، قالت: لَمَّا دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْتِي قَالَ: «مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ» قَالَتْ: فَعُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أَبَا بَكْرٍ رَجُلٌ رَقِيقٌ إِذَا قَرَأَ الْقُرْآنَ لَا يَمْلِكُ دَمْعَهُ فَلَوْ أَمَرْتُ غَيْرَ أَبِي بَكْرٍ، قَالَتْ: وَاللَّهِ، مَا بِي إِلَّا كَرَاهِيَةٌ أَنْ يَتَشَاءَمَ النَّاسُ، بِأَوَّلِ مَنْ يَقُومُ فِي مَقَامِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَتْ: فَارْجَعْتُهُ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، فَقَالَ: «لْيُصَلِّ بِالنَّاسِ أَبُو بَكْرٍ فَإِنَّكَ صَوَاحِبُ يُوسُفَ»<sup>(١)</sup> ﴿و﴾: عطفاً على هذا ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناءٍ مُنْقَطِعٍ ﴿تَصْرِفْ﴾: تُبعد ﴿عَنِّي﴾: تفيد البعد ﴿كَيْدَهُنَّ﴾: لجأ يوسف إلى الله ﷻ؛ ألا يكله إلى نفسه، واستعاذ بقوة الله وحوله ﷻ، أن يصرف عنه مكر النسوة خوفاً أن ﴿أَصْبُ﴾: أخشى أن أميل

(١) صحيح مسلم (١/ ٣١٣)

للاستجابة ﴿إِيهِنَّ﴾: طلباتهن ﴿وَأَكُنَّ﴾: أصير وأصبح ﴿مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾: أسقط في حفرة العصاة، الذين لا يعرفون عقاب الفاحشة، ولا يعرفون ثواب المتطهرين.

التكليف: لقد اختار يوسف السجن بدلاً من التمتع بجمال وحسن سيدته والتمتع بالجاه والسلطان، وهذا من مقامات الكمال. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الإمامُ العادلُ، وشابُّ نشأ في عبادة ربه، ورجلٌ قلبه معلقٌ في المساجدِ، ورجلانِ تحابَّا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجلٌ طلبته امرأةٌ ذاتُ منصبٍ وجمالٍ، فقالت: إني أخافُ الله، ورجلٌ تصدَّق، أخفى حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجلٌ ذكَّرَ اللهَ خالياً ففاضت عيناه<sup>(١)</sup>.

﴿فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (٣٤)

﴿ف﴾: يفيد السبب والتتابع السريع ﴿اسْتَجَابَ﴾: الله ﷻ ﴿لَهُ﴾: تخصيصاً ليوسف ﴿رَبُّهُ﴾: المعبود، والمُرَبِّي، وهو المنشئ للكون من حالٍ إلى حالٍ إلى حدِّ التمام، وهو الخالق، والمالك، والعاطي، وكثيرُ الخير، والمُحِيط، والمُدَبِّر، والجابرُ لكسر البرايا، والثابت، والقريبُ، والجامعُ، والمصلحُ، والسيدُ مالك أمره كله ﴿فَصَرَفَ عَنْهُ﴾: عصمه، عصمةً قويَّةً ﴿كَيْدَهُنَّ﴾ من مكر امرأة العزيز، ومن نسوة الوجهاء في المدينة ﴿إِنَّهُ هُوَ﴾: بالتأكيد ﴿السَّمِيعُ﴾: الذي يعرف ما في النفس قبل اللسان معرفة من سمع؛ فهو ﷻ يسمع دعاء الداعين ﴿الْعَلِيمُ﴾: الذي يعلم بأحوال الملتهجين إليه، ويعلمُ وسوسة النفس، وما تُخفي الصدور.

﴿ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيْسَجُنَّهُ حَتَّى حِينٍ﴾ (٣٥)

﴿ثُمَّ﴾: حرفٌ يُفيدُ التتابع الزمني مع التراخي ﴿بَدَأَ﴾: ظهر واتضح ﴿لَهُمْ مِنْ بَعْدِ﴾: بعد مداورات الموضوع قرَّر العزيز وأعوأه أنه ﴿مَا رَأَوُا﴾: تحققوا وتثبتوا ﴿الْآيَاتِ﴾: الأدلة الدامغة للمرأة، من المصلحة أن يسجنوا يوسف، هل كان في قرارهم هذا دليلاً على سطوة النساء على هذه القيادة التي في هذا المقام بسبب انتشار الإشاعة؟ ﴿لَ﴾: حرفٌ علَّةٌ وسببٌ ﴿لَيْسَجُنَّهُ﴾: يحبسونه، بالتأكيد ليكون دليل إدانة يوسف ﷻ؛ وتبرئةً لامرأة العزيز ﴿حَتَّى﴾: حرفٌ جرٌّ يدلُّ على انتهاء الغاية الشرطية، أي لن يُصدقوا إلا بشرط أن ﴿حِينٍ﴾: يضعوا يوسف في السجن إلى مدة من الزمن، رغم تأكدهم من براءته، جاء سجنه كدليلٍ ظاهرٍ كأنه وقع في

<sup>(١)</sup> صحيح البخاري ١/١٣٣ (٦٦٠).

الفاحشة؛ وكأنتهم عاقبوه عليها، وهذا ظلمٌ آخِرٌ، لقد سجنوه حتى لا يشيعُ خبر امرأة العزيز، وخبرُ نِسوةِ القيادة بين الناس.

**التكليف:** مما يتألم له الإنسان الحرُّ أنّ المفسدين الحاكمين لشعوبهم غالبًا ما يُضحون بالأبرياء ليتخلصوا من آثار مفسدهم وكَمْ من بيتٍ زعيمٍ من العالم العربي والإسلامي فيه امرأة، وزوج امرأة العزيز، وأعوانه؟

**﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٍ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٣٦)**

**﴿و﴾:** عطفًا على القرار بسجن يوسف عليه السلام **﴿دَخَلَ مَعَهُ﴾:** مع يوسف **﴿السِّجْنَ فَتَيَانٍ﴾:** دخل يوسف **﴿السِّجْنَ﴾** ومعهُ اثنان من العاملين في خدمة الملك، قال قتادة: كان أحدهما ساقى الملك، وكان الآخرُ الخبّاز، وقال السدي: إنّ سبب سجنهما أنّهما تأمرا على وضعِ السُّمِّ في طعامِ الملكِ وشرابه، **﴿قَالَ أَحَدُهُمَا﴾:** وهو الساقى أنّه رأى في المنام قال **﴿إِنِّي﴾:** أنا بالتأكيد **﴿أَرَانِي﴾:** رأيت نفسي **﴿أَعْصِرُ خَمْرًا﴾:** أعصرُ العنب؛ ليكون خمرًا؛ لأنّ الخمرَ لا يُعصر؛ فأسقيه للملك، **﴿وَقَالَ الْآخَرُ﴾:** وهو خبّاز الملك **﴿إِنِّي أَرَانِي﴾:** رأيت فيما يرى النائم أنّي **﴿أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ﴾:** والطيْرُ هو كلُّ ذي أجنحةٍ يطير في السماء **﴿مِنْهُ﴾:** حرفٌ يُفيد بداية الغاية المكانية، رأى في منامه أنّ على رأسه طعام الطيور التي نزلت عليه **﴿نَبِّئْنَا﴾:** أخبرنا **﴿بِتَأْوِيلِهِ﴾:** تفسير ذلك، **﴿إِنَّا﴾:** ضمير للجمع المتكلم الحاضر **﴿نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾** من هنا نستطيع أن نقول أن يوسف داخل السجن كان يساعد الآخرين ويحسن إليهم، ويصلح بينهم، ويودهم.

**التكليف:** قد يتغير التاريخ بأقلِّ الأسباب إذا شاء الله **﴿﴾**، ولو برؤية صادقةٍ لعبدٍ صالحٍ. **﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾** تفيد التوكيد على حسن أخلاق يوسف حتى وهو في السجن إنا نراك من المحسنين دور الداعية يبدأ من هذه الآية فيجب أن يكون الداعية على قدرٍ كبيرٍ من الأخلاق؛ حتى يمتلك قلوب الناس؛ أن يكون الداعية موضع ثقة للناس، وهذا عنصرٌ أساس يجب أن يتوافر في كلّ داعية.

**﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا دَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ (٣٧)**

**﴿قَالَ﴾:** يوسف **﴿الْأَلَا﴾:** حرف نفي **﴿يَأْتِيَكُمَا﴾:** يدخل عليكم السجن **﴿طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ﴾:** إذا جاءكم طعامٌ في يومٍ من أيامكم من طرف الملك أو من غيره **﴿الْأَلَا﴾:** حرف استثناء

منقطع **﴿نَبَأْتُكُمَا﴾**: أخبرتكم بتفسيره **﴿بِنَأْوِيلِهِ﴾**: أن أخبركما بطبيعته، **﴿قَبْلَ أَنْ﴾**: حرف تأكيد الفعل وهو **﴿يَأْتِيكُمَا﴾**: قبل مجيئه **﴿ذَلِكُمَا﴾**: حرف إشارة يُفيد البعيد، هنا بمعنى التأويل والإخبار بالمستقبل **﴿مِمَّا﴾**: هذا جزء أو بعض من الذي **﴿عَلَّمَنِي رَبِّي﴾**: هو من وحي الله ﷻ لي فألهمني إياه، هذا تعليم مالك أمري كله، وليس من السحر أو الجن ففيه دعوة لترك الشرك والكفر؛ وضرورة الإيمان بالله ﷻ **﴿إِنِّي﴾**: بالتأكيد **﴿تَرَكْتُ﴾**: هجرت **﴿مِلَّة﴾**: دين ملك مصر وغيره من التابعين **﴿قَوْم﴾**: جماعة من أصل واحد **﴿لَا﴾**: حرف نفي **﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾**: قومٌ كافرين **﴿وَهُمْ﴾**: تخصيصاً **﴿بِ﴾**: حرف باء السببية **﴿الْآخِرَةَ هُمْ﴾**: تكرر "هم" للتأكيد **﴿كَافِرُونَ﴾**: ولا يؤمنون باليوم الآخر، يوم القيامة، ولا يؤمنون بالثواب والعقاب.

التكليف: هنا يتجسد دور الداعية فقد أحرَّ الإجابة عن السؤال وقدم الأمر العقدي.

**﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ (٣٨)**

**﴿و﴾**: حرف عطف، يجمع هنا بين ترك ملة الكفر بعد أن تبرأ يوسف ﷺ من ملة قوم لا يؤمنون بالله، ولا يؤمنون باليوم الآخر؛ وقال: أيضاً **﴿اتَّبَعْتُ﴾**: سرْتُ على واعتمدت **﴿مِلَّة﴾**: دين **﴿آبَائِي﴾**: آمنت بدين أجدادي؛ لأن الأجداد هم آباء؛ وذلك لترغيب صاحبيه في الإيمان بالله ﷻ **﴿إِبْرَاهِيمَ﴾**: جدِّي الأول **﴿و﴾**: أيضاً دين جدِّي **﴿إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾**: دين أبي، التوحيد **﴿مَا﴾**: حرف نفي **﴿كَانَ لَنَا﴾**: لا يجوز لنا، ولا يصح **﴿أَنْ﴾**: حرف تأكيد الفعل **﴿نُشْرِكَ بِاللَّهِ﴾**: لا نشرك معه معبوداً آخر **﴿مِنْ﴾**: حرف بيان النوع وتمييزه، ويفيد هنا جزءاً أو بعضاً **﴿شَيْءٍ﴾**: لا قليل من الشرك **﴿ذَلِكَ﴾**: إشارة للبعيد **﴿مِنْ فَضْلِ﴾**: كرم **﴿اللَّهِ عَلَيْنَا﴾**: هذا الإيمان كرم من الله ﷻ، وفضلٌ علينا **﴿و﴾**: أيضاً من كرم الله ﷻ **﴿عَلَى النَّاسِ﴾**: على كلِّ البشر، فهذا تكليفٌ لعموم الناس إذا بُعثَ فيهم رسلاً **﴿وَلَكِنَّ﴾**: حرف استثناء **﴿أَكْثَرَ﴾**: غالبية **﴿النَّاسِ لَا﴾**: حرف نفي **﴿يَشْكُرُونَ﴾**: هم يكفرون، ويُنكرون فضل الله ﷻ.

**﴿يَا صَاحِبِي السِّجْنِ أَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ (٣٩)**

**﴿يَا﴾**: حرف نداءٍ هنا للقريب **﴿صَاحِبِي﴾**: يا رفيقي في **﴿السِّجْنِ﴾**: خطاب تودد وتقرب ومحبة **﴿أ﴾**: حرف استفهام يفيد التعجب والإنكار **﴿أَرْبَابٌ﴾**: هل طاعة معبودات شتى، مختلفون **﴿مُتَفَرِّقُونَ﴾**: لا ينفعون، ولا يضرّون، مختلفون في كلِّ شيءٍ **﴿خَيْرٌ﴾**: أفضل وأنفع

﴿أَم﴾: أو طاعة ﴿اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾: أم تعبدون الله ﷻ الذي قهر الخلق، وذلك كل شيء لجلاله وسلطانه، وهو الرزاق، والمانع.

﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٤٠)

﴿مَا﴾: حرف نفي ﴿تَعْبُدُونَ﴾: تطيعون ﴿مِنْ دُونِهِ﴾: غير الله ﷻ ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناءٍ مُجَرَّدٍ ﴿أَسْمَاءَ﴾: وهمية ﴿سَمَّيْتُمُوهَا﴾: اختلقتموها ﴿أَنْتُمْ وَ﴾: أيضًا اختلقها وسمّاها ﴿آبَاؤُكُمْ﴾: إن تطيعون إلا أشياءً ابتدعتها، وسميتها أنتم وآباؤكم ﴿مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾: ليس لكم حُجَّةٌ من الله ﷻ على صدقها ﴿إِنْ﴾: حرف توكيد بمعنى إتما ﴿الْحُكْمُ﴾: لا دستور غير الوحي، فالذي أوجدنا من العدم، ورزقنا، ودبر أمورنا هو الذي نحتكم إليه وحده فيما شجر بيننا ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿اللَّهُ﴾: لا يستحق الطاعة إلا الله ﷻ، فهو الخالق لعباده، ويعرف ما ينفعهم ويضرهم ﴿أَمَرَ﴾: قضى، وقضاؤه أمرٌ نافذ ﴿أَلَّا﴾: حرف تخصيص بمعنى أن لا ﴿تَعْبُدُوا﴾: تطيعون ﴿إِلَّا إِيَّاهُ﴾: هو فقط، حكّم ألا تطيعوا غيره، ولا تتبعوا غير تعاليمه، ولا تؤمنوا إلا برسله ﴿ذَلِكَ﴾: اسم إشارة للبعيد ﴿الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾: هذا الدين المستقيم، الدين الحق ﴿وَلَكِنَّ﴾: يُفيد الاستدراك ﴿أَكْثَرَ﴾: غالبية ﴿النَّاسِ﴾: عموم بني آدم ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يَعْلَمُونَ﴾: كان وسيبقى غياب العلم الصادق عن أكثر الناس سببًا يؤدي إلى الشرك.

التكليف: إن غياب رجالٍ يحملون الدعوة إلى عبادة الله ﷻ الواحد الأحد هو السبب في شرك معظم الناس، ورأينا يوسف عليه السلام، وهو في السجن داعيًا إلى الدين الحق، وهو يريد ثمن هذا الإيمان من الله ﷻ.

﴿يَا صَاحِبِي السِّجْنِ أَمَا أَحَدُكُمْ فَيسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَا الْآخِرُ فَيُضَلَّبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ (٤١)

﴿يَا﴾: حرفُ نداءٍ هنا للقريب ﴿صَاحِبِي السِّجْنِ﴾: يُكرر يوسف عليه السلام مودته ومحبتته وصحبته لصاحبي الرؤية رغم ما فيها من خير وشر ﴿أَمَا﴾: حرفُ تفضيلٍ ﴿أَحَدُكُمْ فَ﴾: يفيد السبب ﴿يسْقِي رَبَّهُ﴾: سيّده وولي نعمته، الخالق البارئ المصور والحافظ ومنشئ الكون من حالٍ إلى حالٍ إلى حدّ التمام، مالك كل أمري ﴿خَمْرًا﴾: لم ينكر أنت أو الآخر، تركه مبهمًا ليعرف كل واحدٍ مصيره بنفسه، إن هذا الذي رأى أنه يسقي ربّه خمرًا فسيخرج من السجن، ويعود إلى عمله عند الملك ﴿وَأَمَا﴾: حرفُ تفضيلٍ وتوكيدٍ ﴿الْآخِرُ﴾: الذي رأى أنه يحمل فوق رأسه

خبرًا **﴿فَيُضَلِّبُ﴾**: سيعلق على الصليب، مُقيّدًا؛ حتى يموت **﴿ف﴾**: حرف استثنائي يفيد هنا السبب يفيد سرعة التنفيذ **﴿تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ﴾**: يفيد بداية الغاية المكانية **﴿رَأْسِهِ﴾**: وتأكل الطيور من لحمه **﴿فُضِي﴾**: تم، واكتمل **﴿الْأَمْرُ﴾**: وجب الأمر؛ وقع لا محالة، لقد أكد يوسف **﴿الَّذِي﴾** وقوع هذين الحدثين لا محالة، **﴿الَّذِي﴾**: اسم موصول بالفرد المُذَكَّر، وهو الأمر **﴿فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾**: ما تطلبان فيه الفتوى.

التكليف: قال **﴿الرُّؤْيَا عَلَى رِجْلِ طَائِرٍ مَا لَمْ تُعْبَرْ فَإِذَا عُبِّرَتْ وَقَعَتْ. قَالَ وَأَحْسِبُهُ قَالَ وَلَا يَقُصُّهَا إِلَّا عَلَى وَادٍ أَوْ ذِي رَأْيٍ﴾**<sup>(١)</sup>.

**﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾** (٤٢)

**﴿و﴾**: عطفًا على ما سبق **﴿قَالَ﴾**: يوسف **﴿الَّذِي﴾**: تخصيصًا **﴿الَّذِي﴾**: اسم موصول بالفرد المذكور تخصيصًا وهو الساقى للملك **﴿ظَنَّ﴾**: اعتقد **﴿أَنَّهُ﴾**: حرف تأكيد الفعل **﴿نَاجٍ مِنْهُمَا﴾**: الذي تأكد يوسف أنه سيخرج من السجن، ويعود لخدمة الملك، وهو الساقى **﴿اذْكُرْنِي عِنْدَ﴾**: ظرف مكانٍ وزمانٍ **﴿رَبِّكَ﴾**: وهو السيد هنا، طلب يوسف **﴿الَّذِي﴾** من هذا الناجي أن يقصّ على الملك قصته مع زوجة العزيز **﴿ف﴾**: يفيد السبب **﴿أَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ﴾**: قال مجاهد، وآخرون: الذي نسي هو الناجي من السجن **﴿ذَكَرَ﴾**: أن يتذكر؛ فيقصّ على **﴿رَبِّهِ﴾**: الحاكم في قصة يوسف المظلوم، وكان الله **﴿أَرَادَ﴾** أن يقطع الأسباب الأرضية كلها عن يوسف **﴿الَّذِي﴾**، فلم يجعل قضاء حاجته على يد عبده؛ ليبقى قلبه ملتفتًا إلى الله وحده **﴿فَلَبِثَ﴾**: مكث، أقام إقامةً دائمةً فلم يذكر قصة يوسف للملك، وهذا من كيد الشيطان؛ حتى لا يخرج نبيُّ الله **﴿الَّذِي﴾** من السجن وهذا الأصوب والله أعلم، وقال ابن جرير، عن ابن عباس، ومجاهد: الضمير إنَّ الذي نسي عائد على يوسف **﴿فِي السِّجْنِ بِضْعَ﴾**: من ثلاث إلى تسع سنوات **﴿سِنِينَ﴾**: قال مجاهد، وقتادة: مكث يوسف **﴿الَّذِي﴾** من ثلاث إلى سبع سنوات، وقال وهب بن منبه: مكث أيوب في البلاء سبعةً، ومكث يوسف في السجن سبعةً.

التكليف: كلُّ البشر يكرهون السجن، ولكن قد يكون في بلاء السجن خيرٌ كبيرٌ للمؤمنين، ولقد سن يوسف **﴿الَّذِي﴾** لمن بعده أثناء السجن عدم الرضا بالباطل، وسن لمن بعده محبة الحبس على ضياع الخلق والدين والعفاف. و قضية الدعاة الأولى هي الدعوة إلى التوحيد، وتصحيح عقائد الناس، وإزالة ما علق بها من الشرك والشبهات، والبدع والخرافات، فيهتمون

<sup>(١)</sup>سنن أبي داود /٤٦٤/٤ (٥٠٢٢). صححه الألباني.

بها كثيرًا حتى تكون واضحةً للنَّاسِ، ووضوح النهار، وبذلك تقوم الحُجَّةُ، وتبرأ الذمَّةُ. وعلى الدعاة الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، ونلاحظ الشمس في رابعة النهار ذلك من خطاب يوسف عليه السلام مع السجينين، أن الرؤيا شأنها عظيم فلا تُقْصُ على كل من هبَّ ودبَّ، بل يُتَخَيَّرُ الصالحين ومن لهم علم ودراية بتأويل الرؤى، فيفسرونها. إن الفوائد التي جناها يوسف عليه السلام من دخوله السجن: إثبات البراءة التامة له عليه السلام وعلى مرأى ومسمع من الجميع وشهد له القاضي والداني حتى امرأة العزيز المرادة اعترفت ببراءته، لقد أوصل يوسف عليه السلام إلى أعلى رتبة من مناصب الدولة وهذا دليل أنه ما بعد المحن والشدائد إلا الفرج.

التكليف: ضرورة البعد عن مواطن السوء والمرادة. تقوية التمسك بحبل الله تعالى واتصاله به، برامج تأهيل من في السجن من وقت دخوله ليكون بيت حكمة، ومكان دعوة؛ ومحراب عبادة؛ وحلقه درس وإرشاد.

**﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعُ عِجَافٍ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾ (٤٣)**

**﴿و﴾**: عطفًا على ما سبق **﴿قَالَ الْمَلِكُ﴾**: هو حاكم مصر الأكبر وليس عزيز مصر **﴿إِنِّي﴾**: أنا بالتأكيد **﴿أَرَى﴾**: رؤيا في منامي **﴿سَبْعَ بَقَرَاتٍ﴾**: رأيت رؤيا في منامي سبع بقرات **﴿سِمَانٍ﴾**: أحجامهن كبيرة **﴿يَأْكُلُهُنَّ سَبْعُ عِجَافٍ﴾**: سبع بقرات مهازيل، نحاف تأكل الأبقار السمان **﴿و﴾**: رأيت أيضًا **﴿سَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ﴾**: غيرها سنابل **﴿يَابِسَاتٍ﴾**: ورأى من سنبلات القمح سبعًا جافةً، وسبعًا خضرًا؛ فانزعج ملك مصر من هذه الرؤيا؛ فجمع **﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ﴾**: وهم الكهنة، والوزراء، والأمراء، والعرفان والمقربون، وطلب **﴿أَفْتُونِي﴾**: فسروا **﴿فِي رُؤْيَايَ﴾**: ما رأيته في منامي **﴿إِنْ﴾**: حرف شرط **﴿كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾**: إذا أنتم تُفسرون الرؤى، ولكنهم عجزوا، واعتذروا، واحتجوا.

**﴿قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ﴾ (٤٤)**

**﴿قَالُوا﴾**: هم المفسرون، القادرون على تأويل الرؤيا عند الملك **﴿أَضْغَاثُ﴾**: أباطيل وأخلاق **﴿أَحْلَامٍ و﴾**: عطفًا على هذا التعريف **﴿وما﴾**: حرف نفي **﴿نَحْنُ بِتَأْوِيلِ﴾**: تفسير **﴿الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ﴾**: وما نحن بمفسرين الأخلاط من الأحلام، قالوا ذلك حتى لا يظل بال الملك مشغولًا.

**﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنْتَبِئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ﴾ (٤٥)**



﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿قَالَ الَّذِي﴾: اسمٌ موصولٌ بالفرد المذكور ﴿نَجَا مِنْهُمَا﴾: وهو الذي خرج من السجن، وهو الساقى ﴿وَأَذْكَرَ﴾: وتذكَّر قصة يوسف ﷺ، وما شاهده من يوسف من العلم بتعبير الرؤى، وطلب منه ﴿بَعْدَ أُمَّةٍ﴾: بعد فترةٍ طويلةٍ من الزمن ﴿أَنَا أَنْبِئُكُمْ﴾: أخبركم ﴿ب﴾: حرف باء السبب ﴿تَأْوِيلِهِ﴾: أنا أدلكم على من يُفسر لكم الرؤيا ﴿ف﴾: حرف استثنائي يفيد هنا السبب بهدف ترتيب الأمر؛ ويفيد سرعة التنفيذ ﴿أَرْسَلُونِ﴾: الخطاب كان للملك وجاء بصيغة الجمع للتعظيم، حيث طلب منه أن يرسله إلى يوسف ليقص عليه الرؤيا فيعود بتأويلها إلى الملك، فطلب: ابعثوني إلى السجن فورًا، فأرسلوه؛ فدخل السجن على يوسف ﷺ.

﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعُ عِجَافٍ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (٤٦)

﴿يُوسُفُ أَيُّهَا﴾: حرف نداءٍ هنا للقريب ﴿الصِّدِّيقُ﴾: القائل هو ساقى الملك الذي وصل إلى يوسف، بدأ بودٍ ومحبةٍ، إذ ينادي يوسف ويصفه أيُّها الصديق، الصادق الأمين، وجاءت بصيغة المبالغة لإيمانه الشديد بصدق يوسف ﷺ ﴿أَفْتِنَا فِي﴾: أخبرنا عن رؤيا الملك عن ﴿سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ﴾: البقرات السبع السمان، الكبار في الحجم اللاتي ﴿يَأْكُلُهُنَّ سَبْعُ عِجَافٍ﴾: تأكلُ السبعُ بقراتِ الهزيلاتِ البقراتِ السبعِ السمانِ ﴿و﴾: أيضًا أفتنا في رؤيا أُخرى هي ﴿سَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ﴾: نضراتٍ مُمتلئاتٍ ﴿وَأُخَرَ﴾: أيضًا أفتنا في غيرها ﴿يَابِسَاتٍ﴾: السنبلات السبع، وهن أيضًا سبع في العدد ﴿لَعَلِّي﴾: حرفٌ يُفيد التوقع والترجي عند البشر ﴿أَرْجِعُ﴾: حتى أعود ﴿إِلَى النَّاسِ﴾: إلى أهل مصر خاصة، والملك والملا والناس أطمئنهم ﴿لَعَلَّهُمْ﴾: أرجو وأتمنى ﴿يَعْلَمُونَ﴾: أن يعرفوا الحقيقة في الرؤيا؛ ويعرفوا فضلك.

﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ﴾ (٤٧)

﴿قَالَ﴾: يوسف ﷺ، فورًا، دون ترددٍ، ودون مساومةٍ، ودون طلب أجرٍ ﴿تَزْرَعُونَ﴾: جاء الفعل بصيغة المضارع والمقصود به ازرعوا ﴿سَبْعَ سِنِينَ﴾: جاء لفظ سنين للدلالة على الجذب والقحط؛ أم لفظ عام فيدل على الخصب والخير؛ سيأتيكم المطر، وتخصب الأرض سبع سنوات ﴿دَأَبًا﴾: متواليات، وتزرعون كعادتكم باستمرار، وبهمة ونشاط سبع سنوات الخصب ﴿فَمَا﴾: حرف عطف يفيد الخبر ﴿حَصَدْتُمْ ف﴾: حرف استثنائي بهدف ترتيب الأمر يفيد سرعة ﴿ذَرُوهُ﴾: اتركوا القمح بعد حصاده ﴿فِي سُنْبُلِهِ﴾: وهذا يحفظه من العفن والسوس ﴿إِلَّا﴾: باستثناء ﴿قَلِيلًا مِمَّا﴾: من الذي ﴿تَأْكُلُونَ﴾: عليكم الاقتصاد في الأكل؛

فيجب أن يكون أكلكم قليلاً، ولا تُسرفوا، وفي هذا بشارة أن ما تأكلونه هو قليلٌ نسبة إلى خصب السنوات السبع التي تحفظونه فيها من التلف.

**التكليف:** منهج الاقتصاد في الإنفاق، وحفظ الزائد يُوفّر كثيراً للمستقبل.

**﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعُ شِدَادٍ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصِنُونَ﴾ (٤٨)**

**﴿ثُمَّ﴾:** حرف يفيد التتابع الزمني مع التراخي **﴿يَأْتِي مِنْ﴾:** يفيد بداية الغاية الزمانية **﴿بَعْدِ ذَلِكَ﴾:** سيجيء على تراخٍ زمنيٍّ وتباعدٍ بعد سنوات الخصب السبع يأتي **﴿سَبْعُ﴾:** سنوات **﴿شِدَادٍ﴾:** محل وجذب لا زرع فيها، ولا إنتاج يصعب أمرها على الناس **﴿يَأْكُلْنَ﴾:** فقد جرى ذكرها كذكر العقلاء ويمثلهن في الرؤيا السبع بقرات العجاف، **﴿مَا﴾:** الذي **﴿قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ﴾:** ما زرعتموه مسبقاً، مهما زرعوا في هذه السنوات العجاف؛ فلن يُنبت، ويبقى فقط ما حفظتم من قبل **﴿إِلَّا﴾:** حرف استثناء **﴿قَلِيلًا مِمَّا﴾:** من الذي **﴿تَحْصِنُونَ﴾:** الذي حفظتموه في سنبله، أو للزراعة حتى لا يأكله السوس.

**﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْرِشُونَ﴾ (٤٩)**

**﴿ثُمَّ﴾:** بعد زمن **﴿يَأْتِي مِنْ بَعْدِ﴾:** حرفٌ يفيد بداية الغاية الزمانية **﴿ذَلِكَ﴾:** يجيء من بعد سنينٍ نقص الماء والزرع **﴿عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ﴾:** ينزل فيه الغيث، تفيض الأنهار، وتُقدّم المعونة والمساعدات **﴿النَّاسُ﴾:** المقصود بالناس هنا شعب مصر خاصة، يأتي الغيث، الماء الوفير، ويخرج الزرع **﴿و﴾:** عطفاً على هذا **﴿فِيهِ يَعْرِشُونَ﴾:** تستردون ما تعصرون من الزيت، والسكر، والعنب وغيره.

**التكليف:** لم يكن يوسف عليه السلام أسير انفعالاته أو عاطفته بل كان حليماً حكيماً في تصرفه ينم ذلك عن عقل راجح متزن ونفس تتحلّى بالروية والتفكير و الحكمة.

فيوسف عليه السلام لم يقم بتأويل الرؤيا فقط ولكن قام بالحل وإعطاء الخطة وأعطاهم النصح بترك بعض الموارد ليجدوا ما يقوم عليه الخير فيما بعد السنوات العجاف. فلو كنت مكانه هل كنت سنقول: أخرجوني من السجن ثم أقوال لكم التأويل. أم كنت تخرج ثم تعطيهم الحل والتأويل الخاطئ لتنتقم؟ ولكن سيدنا يوسف عليه السلام مهتم بالإصلاح بالرغم من أنهم كفار وظلموه، فالمسلم يهتم بالإصلاح فقط بغض النظر عن المصلحة الشخصية، والانتقام، انظر لثبات أخلاق يوسف! ولم تذكر القصة عما إذا أسلم أهل مصر أم لا، وذلك حتى يقول لنا الله عزّ وجلّ أنّ الإصلاح للناس غير مشروط. قد تكون أيّها الإنسان في محنة، وترى جميع الأبواب مغلقة؛

فتق أن الله ﷻ يجعل لك مخرجًا من حيث لا تحتسب؛ لكن بشرط التقوى ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق-٢، ٣].

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالِ النِّسْوَةِ الَّتِي قَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾ (٥٠)

﴿و﴾: عطفًا على قول رسول الملك عن يوسف ﷻ ﴿قَالَ الْمَلِكُ﴾: وهو ليس العزيز ﴿ائْتُونِي بِهِ﴾: طلب الملك خروج يوسف من السجن فورًا؛ لأنه سيكون مُنقذ هذه البلاد، ونلاحظ هنا أن يوسف ﷻ قد دخل السجن وتعرض للمحنة بسبب جماله، وخرج من السجن بسبب علمه وحكمته ﴿فَلَمَّا﴾: حرف يُفيد التتابع والسبب ﴿جَاءَهُ الرَّسُولُ﴾: لما دخل رسول الملك السجن على يوسف ﷻ رفض يوسف الخروج ﴿قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ﴾: والقائل يوسف؛ ارجع إلى الملك، وهذا من شيم يوسف خاصة، يريد أن يخرج ببراءة من تهمة امرأة العزيز، وليس بسبب تأويل الرؤيا، حتى يعرف الجميع أن سجنه كان ظلمًا وعدوانًا، عن أبي هريرة ؓ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: نَحْنُ أَحَقُّ بِالشُّكِّ مِنْ إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ: ﴿رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُخَيِّبُ الْمُؤْتَى قَالَ أَوْلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ [البقرة-٢٦٠] وَيَرْحَمُ اللَّهُ لُوطًا، لَقَدْ كَانَ يَأْوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ، وَلَوْ لَبِثْتُ فِي السِّجْنِ طُولَ مَا لَبِثَ يُوسُفُ، لَأَجَبْتُ الدَّاعِيَ<sup>(١)</sup>. ﴿ف﴾: حرف استثنائي بهدف يفيد السبب لترتيب الأمر ويفيد سرعة التنفيذ ﴿اسْأَلْهُ مَا﴾: حرف استفهام ﴿بَالِ﴾: ما شأن، وحال، وحكاية ﴿النِّسْوَةِ الَّتِي قَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾: أسألو النساء لماذا قطعن أيديهن في بيت امرأة العزيز ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿رَبِّي﴾: هو المعبود، والمُربي، وهو المنشئ لكل شيء في الكون من طورٍ إلى طورٍ إلى حدّ التمام، وهو الخالق، والمالك، والعاطي، وكثيرُ الخير، والمُحيط، والمُدبّر، والجابرُ لكسر البرايا، والثابت، والقريب، والجامع، والمصلح، والسيّد ﴿ب﴾: حرف باء التعدية ﴿كَيْدِهِنَّ﴾: تأمرهن ﴿عَلِيمٌ﴾: إن كنتم لم تعلموا فإن الله أعلم بكيد من أدخلني السجن ظلمًا.

﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (٥١)

﴿قَالَ﴾: ملك مصر، وقد جمع النسوة في بيت العزيز، ووجه كلامه للجميع منهن، وليس لزوجة العزيز ﴿مَا﴾: حرف استفهام ﴿خَطْبُكُنَّ﴾: ما خبركُنَّ وشأنكُنَّ ﴿إِنَّ﴾: حرف يدلُّ على ما تحقق في الماضي بمعنى حين ﴿رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ﴾: يقصد يوم استضافتهن من

(١) صحيح البخاري ١٤٧/٤ (٣٣٧٢).

قبل امرأة العزيز ﴿قُلْنَ﴾: تكلمن جميعًا، وليس في وقتٍ واحدٍ ﴿حَاشَ لِلَّهِ﴾: هنا تعبيرٌ أُريد به تبرئة يوسف ﷺ، والعجب من عفته ونزاهته، وحسن تقديره للذي رباه، وأواه، حاش لله أن يكون يوسف مُتهمًا في هذه الجريمة ﴿مَا﴾: حرف نفي ﴿عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ﴾: للتبعيض، ولو قليلًا ﴿سُوءٍ﴾: هو كل شرٍ وضررٍ، ولم نشهد منه سوءَ أخلاقٍ أو فاحشةً ﴿قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ﴾: في شهادة التائبة ﴿الآن﴾: هذه اللحظة ﴿حَصَّصَ الْحَقُّ﴾: قال ابن عباس: تبين الحق، وظهر، وبرز، فقد تنام الحقيقة طويلاً، ولكنها لا تموت ﴿أَنَا رَاوِدُهُ عَنْ﴾: حرف يفيد السبب ﴿نَفْسِهِ﴾: اعترفت بما قال يوسف حتى لا يكون أيُّ لبسٍ: أنا راودته عن نفسه ﴿و﴾: عطفاً على هذا ﴿إِنَّهُ﴾: هو بالتأكيد ﴿ل﴾: حرف توكيد القول ﴿مِنَ الصَّادِقِينَ﴾: هذه الشهادة الخاتمة لبراءته ﷺ، وهنا إشارة ينبغي الوقوف عندها؛ فقلد أرادت امرأة العزيز يوماً ما أن يكون يوسف من الصاغرين، وهي الآن تقف أمام الجميع صاغرة لتعترف على نفسها بما تخجل أي امرأة أن تعترف به.

﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾ (٥٢)

﴿ذَلِكَ﴾: حرفٌ يُعِيدُ الإشارةَ للبعيد ﴿ل﴾: حرفٌ علّةٌ وسببٌ ﴿يَعْلَمُ﴾: نقول امرأة العزيز أقول هذا ليعلم زوجي العزيز أنني لم أخنه في أهله ﴿أَنِّي﴾: أنا بالتأكيد ونفي الشك ﴿لَمْ﴾: حرف نفي ﴿أَخُنْهُ بِ﴾: حرف باء الظرفية ﴿الْغَيْبِ﴾: لم أخنه لا في غيابه ولا في حضوره، أي لم أرتكب فاحشة الزنا، وقد يكون القائل هي امرأة العزيز التي راودت يوسف فقط مراودة، فامتنع؛ فاعترفت ليعلم أنها بريئة، وقد يكون مقصدها أن يعلم يوسف أنها لم تكذب عليه وهو في سجنه، والله أعلم ﴿وَأَنَّ﴾: حرفٌ تأكيدٍ ﴿اللَّهُ لَا﴾: حرف نفي ﴿يَهْدِي﴾: يقود إلى الصواب والرشاد ﴿كَيْدِ﴾: تأمر وخيانة ﴿الْخَائِنِينَ﴾: هذه شهادة من تجربةٍ مريرة؛ أن الله ﷻ لا يُسهّل، ولا يُيسر، كيدَ الخونة.

﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٥٣)

﴿و﴾: عطفاً على ما سبق نقول امرأة العزيز ﴿مَا﴾: فأنتني أنفي أن ﴿أُبَرِّئُ﴾: أزكي ﴿نَفْسِي﴾: هي امرأة العزيز، جاء اللفظ "النفس" في القرآن على ستة وجوه؛ هنا بمعنى القلب كما في قوله ﷻ ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا﴾ [الإسراء-٢٥]، وفي قوله ﷻ ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى﴾ [النجم-٢٣]، إنها لا تنزّه قلبها عن الخطأ، هي تعني أنها تمتت ولهذا راودته ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد

ونفي الشك والإنكار ﴿النَّفْس﴾: هي ذات الإنسان وجوهه ﴿ل﴾: حرف علّة وسبب ﴿أَمَارَةٌ﴾: تأمر بقوة ﴿بِالسُّوءِ﴾: ما يسبب الشرّ والضرر وهي المعاصي طلبًا لمذاتها ﴿الْأَ﴾: حرف استثناءٍ منقطع ﴿مَا رَحِمَ رَبِّي﴾: الذي يعصم نفوس البشر ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿رَبِّي﴾: المُعبود، والمُربي، مالك أمري كلّهُ ﴿عَفُورٌ﴾: مسامحٌ متجاوزٌ عن السيئات ﴿رَحِيمٌ﴾: ما قيل على لسانها كان الأنسب في سياق القصة، وقيل إن القائل هو يوسف عليه السلام.  
التكليف: لا بد للحق أن يظهر وإن اختفى مدّة من الزمن.

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ (٥٤)  
﴿و﴾: عطفًا على ما سبق، وفور تيقن الملك ببراءة يوسف عليه السلام ﴿قَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ﴾: قال الملك: أحضروا يوسف البريء ﴿أَسْتَخْلِصْهُ﴾: أطلبه خالصًا، فصاحب العلم تحتاج إليه الملوك ﴿ل﴾: حرف تخصيص ﴿نَفْسِي﴾: أجعله مستشاري ومن خاصّتي ﴿فَلَمَّا﴾: حرف يُفيد التتابع والسبب ﴿كَلَّمَهُ﴾: عندما استمع الملك لآراء يوسف عليه السلام، وعلم خبرته، وبراعته، وتحقق من طيب خلقه، وكماله ﴿قَالَ﴾: الملك ﴿إِنَّكَ﴾: أنت يا يوسف بالتأكيد ﴿الْيَوْمَ﴾: وصاعدًا ﴿لَدَيْنَا﴾: عندنا، جاءت بصيغة الجمع للتعظيم ﴿مَكِينٌ﴾: قال الملك ليوسف عليه السلام إنّ لك عندنا مكانةً، وجاهًا، ومنصبًا ﴿أَمِينٌ﴾: وصاحبُ أمنٍ وحصانةٍ.

التكليف: من السجن إلى التمكين قضية تقول لكلّ مؤمنٍ من الكرب الشديد إلى القوة المتينة.

﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ (٥٥)

﴿قَالَ﴾: أراد يوسف عليه السلام، أن ينفذ العباد، ويخدم الدولة؛ ويقوم العدل؛ فطلب قائلًا ﴿اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ﴾: أن يكون هو المتصرف في الأرض، والمقصود هنا أرض مصر، بالذات وما تُنتجها من مصادر البلاد الزراعية وغيرها، خاصّة أن تأويل الرؤيا تشمل الزراعة، وحفظ الغذاء، والماء ﴿إِنِّي﴾: أنا بالتأكيد ﴿حَفِيظٌ﴾: مدح يوسف نفسه من باب تبليغ الحقيقة، وليس تزكيةً للنفس، ووصفها حفيظ، يحافظ على الشيء بأمانة ﴿عَلِيمٌ﴾: صاحبُ رؤيةٍ وبصيرةٍ بعمله، وقيل سأكون حفيظًا على ما استودعتني في سنّي الجذب القادمة. يجوز للإنسان أن يذكر صفاته وخبرته إذا لم يكن الآخرون يعرفونها؛ للحاجة والضرورة العامّة، وهنا إشارة أن الوظائف والمناصب تُطلب بالعزّة لا بالذلة، وتطلب لأداء واجب، وسداد ثغرة، وتطلب بحق الكفاءة والموهبة الصالحة لا بحق المحسوبية ووساطة الوسطاء، وكذلك فيها جواز العمل عند الكافر شريطة ألا يخل المسلم بدينه، وألا يُمتن دينه.

﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُونَ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٥٦)

﴿و﴾: أيضًا وعطفًا على ما سبق ﴿كَذَلِكَ﴾: مثلما أنعمنا على يوسف ﷺ، بإظهار براءته، وأخرجناه من السجن منصورًا ﴿مَكَّنَّا لِيُوسُفَ﴾: قوينا تحكم يوسف ﴿فِي الْأَرْضِ﴾: في شئون الأرض، أرض مصر ﴿يَتَّبِعُونَ﴾: يتصدر ﴿مِنْهَا﴾: حرفٌ يفيد بداية الغاية المكانية من الأرض، أي من الدولة ﴿حَيْثُ﴾: ظرفُ زمانٍ ومكانٍ ﴿يَشَاءُ﴾: أنزلناه منزلةً ومقامًا بمعنى، قال السدي: يتصرف فيها كيف يشاء، وقال ابن جرير: يتخذ منها منزلًا حيث يشاء بعد السجن والضيق ﴿نُصِيبُ﴾: نهبٌ ونمنحٌ ونستهدفُ ﴿بِ﴾: حرف باء السببية ﴿رَحْمَتِنَا مَنْ﴾: حرفٌ تمييز الذي من جنس العاقل ﴿نَشَاءُ﴾: هذا قول ربنا ﷻ بمعنى: ما ضيعنا صبر يوسف على أذى إخوته، ولا ضيعنا صبره في السجن ﴿وَلَا﴾: حرف نفي ﴿نُضِيعُ﴾: نُذْهَبُ هباءً ﴿أَجْرُ﴾: ثواب ﴿الْمُحْسِنِينَ﴾: لا نضيع ثواب من خاف الله ﷻ في السر، هذه شهادة ربانية أن يوسف من المحسنين.

التكليف: المسافة طويلة بين غيابة البئر وعلو الشأن وحياة القصر فعلى الداعية عدم الاستعجال وقطف الثمرة.

﴿وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ (٥٧)

﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿ل﴾: حرف تخصيص ﴿أَجْرُ﴾: ثواب وجزاء ﴿الْآخِرَةِ﴾: إن ثواب يوسف ﷺ يوم القيامة قد ادخر الله ﷻ له؛ أجرًا عظيمًا ﴿خَيْرٌ﴾: أكثر بركةً ومنفعةً ﴿لِلَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد الجميع ﴿آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾: وهذا مدحٌ من الله ﷻ ليوسف ولعموم المؤمنين، الذين يعبدون الله ﷻ بقناعة، يرجون رحمته؛ وينتهون عن معصيته؛ ويخشون عذابه.

﴿وَجَاءَ إِخْوَةَ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُكْرِمُونَ﴾ (٥٨)

﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿جَاءَ﴾: حضر إلى مصر ﴿إِخْوَةَ يُوسُفَ﴾: قدم إخوة يوسف إلى مصر من الشام. كان سببُ مجيء إخوة يوسف أن أصاب القحط فلسطين أيضًا في زمن تولي يوسف ﷺ الوزارة، في مدة السنين السبع الخصبية، ولا بد أن يكون الإنتاج في سنوات الرخاء أعلى من الاستهلاك، ولا بد أن يكون احتياطي الموارد الغذائية كبيرًا، ومبنيًا على حسابات دقيقة، بحيث يغطي هذا الاحتياطي حاجة المجتمع خلال سنوات الأزمة. ﴿ف﴾: حرف استثنائي بهدف ترتيب الأمر يفيد سرعة التنفيذ، يفيد هنا سبب الدخول ﴿دَخَلُوا عَلَيْهِ﴾:

دخل إخوة يوسف العشرة عليه، وهو في أبهته، وعظمته، وسلطانه **﴿فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ﴾**: تحديداً **﴿لَهُ﴾**: ليوسف **﴿مُنْكَرُونَ﴾**: عرفهم وهم لم يعرفوه؛ فقد رموه في البئر صبياً؛ وهو اليوم رجلٌ عظيمٌ، هنا بدأت تظهر ثمار صبر الصابرين من أبناء يعقوب **﴿عليه السلام﴾**.

كانت بداية تنفيذ الخطة: عندما مسَّ القحطُ والجذبُ مصرَ والمناطق الأخرى، وعندما حدثت مجاعة؛ حدث بين الناس ثلاثة أشياء (التسول، الاحتكار، البطالة): قام يوسف بحل هذه المشاكل كما يلي:

أولاً: من يأتي يأخذ حمل بعير واحد فقط، لتجنب الاحتكار، وسيقوم بالرقابة بنفسه، فكل من يأتي من الخارج، يأتي له شخصياً، ولم يفعل ذلك ليهين أحداً، ولكنه كان يدعوهم لمكتبه ومكان إقامته، ويتعرف عليهم ثم يعطيهم ما يطلبون، أي أنه كان يكرمهم، ومن هنا تعرف على إخوته، وذلك بفضل تواضعه؛ الذي نزل لمقابلة الناس، وهذه قيمة عظيمة ألا تُهين الناس.

ثانياً: القضاء على البطالة؛ فقد تمثل ذلك بتشغيل الأيدي العاملة، ودليل ذلك قوله **﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأْبًا﴾** **﴿وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا﴾**.

ثالثاً: محاربة التسول كان بمطالبة كل من يأتي ليأخذ الزاد يطلب منه أن يأتيه أولاً ببضاعة من بلده، وهذا مبدأ أخلاقي لمحاربة التسول، وعرفنا ذلك من قوله **﴿قَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ.. وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُرْجَاةٍ﴾**، ومن هنا جاء بجل لمشكلة البطالة بتشغيل الناس في فرز وتصنيف البضاعة القادمة من الخارج.

مراحل خطة يوسف **﴿عليه السلام﴾** الإصلاحية:

١- الزراعة: **﴿تزرعون سبع سنين دأباً﴾**: الطابع الغالب على المرحلة الأولى هو الإنتاج والادخار، مع استهلاك محدود **﴿إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ﴾**.

٢- فإذا انتهت سنوات الإنتاج السبع بما فيها من جهد متصل دائب، واستهلاك محدود كان على الخطة أن تواجه تحدياً ضخماً، هو توفير الأوقات سبع سنين عجافاً. وبعبارة أخرى: بعد الإنتاج والجهد الدائب في المرحلة الأولى سيأتي تحمّل المرحلة الثانية أيضاً، وهو تحمل يحتاج إلى تنظيم دقيق يصل فيه الطعام إلى كلِّ فيه. ومع هذا التحمل والتنظيم الدقيق، ينبغي ألا تأتي هذه السنوات العجاف على كل المدخرات، وإنما كان يوسف واضحاً في قوله: **﴿ثم يأتي بعد ذلك عام يغاث فيه الناس﴾**: **﴿إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا نُحْصِنُونَ﴾** فكان هذا الجزء المدخر هو الخميرة التي تستطيع بها الأمة أن تقبل متطلبات البذر الجديد بعد سنوات

عجاف، أي إعادة استثمار المدخرات. وبهذا وازن يوسف عليه السلام في خطته بين ثلاثة جوانب؛ الجانب الأول: الإنتاج، والجانب الثاني: الاستهلاك، والجانب الثالث: الادخار وإعادة استثمار الادخار.

﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَّازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾ (٥٩)

﴿وَلَمَّا﴾: حينما ﴿جَهَّزَهُمْ﴾: أعد لهم ﴿ب﴾: باء الصلة ﴿جَهَّازِهِمْ﴾: أعطاهم يوسف عليه السلام بفتح حرف الجيم يعني ما يحتاج إليه المسافر في سفره من زادٍ وماء أعطاهم يوسف عليه السلام كفايةً من الزاد، والميرة؛ لأنهم قالوا إنَّ لهم عند أبيهم أخٌ، تركوه عند أبيهم، فقال يوسف ﴿قَالَ ائْتُونِي﴾: هاتوا أخاكم لي معكم في محبتكم القادم ﴿بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ﴾: يفيدُ بداية الغاية المكانية ﴿أَبِيكُمْ﴾: أحضروا معكم أخاكم غير الشقيق، فأعطيتكم زيادة، وكان فيما علمه منهم أنَّ لهم أخًا آخر اسمه بنيامين ليدلُّوا على صدقهم، كان يوسف يعرف أخاه؛ وأراده معهم، ولم يُخبرهم بشيءٍ عن نفسه ﴿أَلَا﴾: حرفٌ تنبيه ﴿تَرَوْنَ﴾: ألا تشهدون ﴿أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ﴾: هو تحديد الوزن والحجم على ما أكرمتكم به، وأوفيت لكم كيلكم، وأعطيت لكم خير مسألة ﴿وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾: وقد أنزلتكم خير منزلة، لقد كان يوسف عليه السلام يرغب في رجوعهم؛ فأكرمهم.

﴿فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُون﴾ (٦٠)

﴿فَإِنْ﴾: حرفٌ شرطٌ يفيدُ تأكيدًا للفعل ﴿لَمْ﴾: حرف نفي ﴿تَأْتُونِي بِهِ﴾: لم تحضروه معكم ﴿فَلَا﴾: أداة نهي تغيد طلب عدم الفعل ﴿كَيْلَ﴾: تحديد الوزن والحجم مساعدة أخرى ﴿لَكُمْ﴾: تمليًا ﴿عِنْدِي﴾: هنا جاء التهيب بعد الترغيب، الشرط أن تأتوا بأخيكم؛ لتبرهنوا على صدقكم، فإن لم تأتوا به؛ فإني لا أبيع لكم شيئاً فيما بعد لأنكم لا تستحقون الإحسان ﴿و﴾: عطفًا على هذا ﴿أَلَا﴾: حرف نفي ﴿تَقْرَبُون﴾: لا تقربوا البلاد.

﴿قَالُوا سَرَّوْا عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ﴾ (٦١)

﴿قَالُوا س﴾: حرف توكيد الفعل في المستقبل ﴿سَرَّوْا﴾: نحاول ونسعى بالحسنى ﴿عَنْهُ﴾: أباه؛ قالوا سنبذل كلَّ جهدٍ مع أبيه ولم يقولوا أبانا؛ حتى يسمح له بالمجيء معنا؛ لتتأكد من صدقنا ﴿وَإِنَّا﴾: نحن بالتأكيد ﴿ل﴾: حرف علّةٍ وسببٍ ﴿فَاعِلُونَ﴾: أكدوا أنّهم سيفعلون ما طلب، ولم يقولوا إن شاء الله تعالى.

﴿وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (٦٢)



﴿و﴾: عطفًا على هذا ﴿قَالَ﴾: يوسف عليه السلام ﴿ل﴾: حرف تخصيص ﴿فَتَيَانِيهِ﴾: الحرس والعاملين معه في الحكم، قال يوسف عليه السلام ﴿اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ﴾: ما جاؤوا به من بضاعة وهذا الأرجح، أو ضعوا ثمن ما اشتروه من بيع بضاعتهم، التي جاؤوا بها من فلسطين؛ للتبادل ﴿فِي رِحَالِهِمْ﴾: في أوعيتهم دون علمهم ﴿لَعَلَّهُمْ﴾: حرف يفيد الترجي، والتوقع عند الناس، وتعني طمعًا أو رغبة ﴿يَعْرِفُونَهَا إِذَا﴾: أداء عطفٍ ما بعدها على ما قبلها ﴿انْقَلَبُوا﴾: رجعوا ﴿إِلَى أَهْلِهِمْ﴾: إذا عادوا إلى أبيهم وعائلاتهم؛ ليدركوا أنّ يوسف لم يأخذها وهي من حقه، وكأنهم أخذوها بغير وجه حق ﴿لَعَلَّهُمْ﴾: رجاءً وطمعًا ﴿يَرْجِعُونَ﴾: والحكمة من ذلك خشية يوسف ألا يكون عندهم بضاعة يعودون بها إلى مصر مرةً أخرى، أو لأنه يعلم ورج أبيه، وصدقه، وأمانته فيأمر أولاده أن يرجعوا، ليعيدوا ليوسف بضاعةً أخذوا مقابلها، والله أعلم.

﴿فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَنَعَ مِنَّا الْكَيْلَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا آخَانًا نَكْتَلُ وَإِنَّا لَهُ لَخَافِظُونَ﴾ (٦٣)

﴿فَلَمَّا﴾: حرف يفيد التتابع والسبب ﴿رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ﴾: عادوا إلى فلسطين ﴿قَالُوا يَا﴾: حرف نداء للقريب، كما هنا، وللبعيد ﴿أَبَانَا﴾: مبررين ما حصل لهم في مصر ﴿مَنَعَ﴾: رُفِضَ ﴿مِنَّا﴾: حرفٌ يفيد التعليل، وبداية الغاية المكانية ﴿الْكَيْلَ﴾: تحديد الوزن والحجم عندما عادوا أخبروا أباهم أنّ عزيز مصر يمنع عنهم المساعدة إذا عادوا، إلا إذا كان معهم أخوهم ﴿ف﴾: حرف يفيد هنا السبب بهدف ترتيب الأمر يفيد سرعة التنفيذ ﴿أَرْسِلْ مَعَنَا آخَانًا﴾: بنيامين كما طلب عزيز مصر ﴿نَكْتَلُ﴾: نحصل على كيلٍ إضافي ﴿و﴾: عطفًا على هذا ﴿إِنَّا﴾: نحن بالتأكيد ﴿لَهُ﴾: تخصيصًا لأخيها ﴿لَخَافِظُونَ﴾: قالوا كما قالوها من قبل لأبيهم، يوم أخذوا يوسف عليه السلام.

﴿قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (٦٤)

﴿قَالَ﴾: أبوهم يعقوب عليه السلام ﴿هَلْ﴾: حرف استفهامٍ بغرض النفي ﴿آمَنُكُمْ عَلَيْهِ﴾: هل أنتم مؤتمنون عليه اليوم ﴿إِلَّا كَمَا﴾: مثلما ﴿آمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ﴾: حرفٌ يفيد بداية الغاية الزمانية ﴿قَبْلُ﴾: يوم ما عملتم بأخيه يوسف من قبل، لقد قلتم هذا من قبل، من الواضح أنّه رفض إرساله معهم فقد خاف أن يخونوه كما خانوه في يوسف من قبل ﴿ف﴾: حرف سبب ﴿اللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا﴾: يقول يعقوب عليه السلام: رغم حرصي على ولدي، لكن الله تعالى هو الحافظ،

وهو خير الحافظين **﴿وَهُوَ﴾** : **﴿أَرْحَمُ﴾** : صاحب الرحمة المطلقة **﴿الرَّاحِمِينَ﴾** : تعكس كلماته شعوره بالكبر، والعجز، والحزن على غياب يوسف **﴿يُوسُفَ﴾**، وتعكس أمله في عودة ولده، وجمع شملهم، هذه صورة الرحمة؛ التي ابتغاها يعقوب **﴿يَعْقُوبَ﴾**، والله أعلم.

**﴿وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ زُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا زُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ﴾ (٦٥)**

**﴿وَلَمَّا﴾** : حينما **﴿فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ﴾** : الأوعية، التي يحملون فيها متاعهم وبضاعتهم، المحمولة على الدواب **﴿وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ﴾** : طعامهم أو رحالهم التي كان يجب أن يُبادلوا بها في مصر، والتي أمر يوسف فتيانه بردها إليهم، في رحالهم دون علمهم **﴿زُدَّتْ﴾** : أرجعت **﴿إِلَيْهِمْ قَالُوا﴾** : أبناء يعقوب **﴿يَا﴾** : حرف نداء للقريب **﴿أَبَانَا مَا﴾** : مستفهمين **﴿نَبْغِي﴾** : ماذا نريد من إحسان العزيز بعد هذا؛ **﴿هَذِهِ بِضَاعَتُنَا زُدَّتْ إِلَيْنَا﴾** : فقد ردّ عزيز مصر إلينا بضاعتنا، وأوفي لنا الكيل، على غير ما فعله عزيز مصر مع الآخرين **﴿و﴾** : عطفًا على هذا **﴿نَمِيرُ أَهْلَنَا﴾** : نأتي بالميرة، وهي الطعام إلى أهلنا، وهي تبادل البضاعة بما عند عزيز مصر وهو يوسف **﴿يُوسُفَ﴾** **﴿وَنَحْفَظُ أَخَانَا﴾** : يُؤكدون على حمايتهم له **﴿وَنَزْدَادُ كَيْلَ﴾** : زيادة الوزن والحجم **﴿بَعِيرٍ﴾** : لأن يوسف **﴿يُوسُفَ﴾** كان يُعطي كلَّ رجلٍ حمل بعير **﴿ذَلِكَ﴾** : إشارة للبعيد، ما قلنا هو **﴿كَيْلٌ يَسِيرٌ﴾** : جاء لفظ يسير في القرآن الكريم على ثلاثة أوجه، هنا بمعنى سريع، هذا من تحسين الكلام وتزيينه، شيء يسيرٍ ونصحب أخانا، ونأخذ في مقابله حمل جمل، وهو أمر سهل على عزيز مصر.

**﴿قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ لَتَأْتُنِّي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ (٦٦)**

استجاب يعقوب **﴿يَعْقُوبَ﴾** تحت ضغط الحاجة، ولكنه أراد أن يُحصن الاتفاق؛ فقال **﴿قَالَ لَنْ﴾** : حرف نفي **﴿أُرْسِلَهُ﴾** : لن أبعث بنيامين وأتركه يذهب **﴿مَعَكُمْ﴾** : إلا بشرط **﴿حَتَّى﴾** : حرف جرّ يدلُّ على انتهاء الغاية الشرطية، أي لن يُصدقوا إلا بشرط أن **﴿تُؤْتُونِ﴾** : تعطوني **﴿مَوْثِقًا﴾** : عهدًا مُؤكِّدًا **﴿مِنَ اللَّهِ﴾** : تقسمون على عهد الله **﴿لَنْ﴾** : حرف علةٍ وسببٍ **﴿تَأْتُنِّي﴾** : ترجعون بالتأكيد **﴿بِهِ﴾** : أن تعودوا به **﴿إِلَّا﴾** : حرف استثناء منقطع **﴿أَنْ﴾** : حرف تأكيد الفعل **﴿يُحَاطَ بِكُمْ﴾** : أن تُهلكوا، وتُغلبوا جميعًا، ولا يبقى منكم أحدٌ، ولا تقدرُوا على دفع الضرر، ولا تستطيعوا العودة، ولا تقدرُوا على تخليصه **﴿فَلَمَّا﴾** : حرف يفيد التتابع والسبب **﴿آتَوْهُ﴾** : أعطوه، أقسموا **﴿مَوْثِقَهُمْ﴾** : عهدهم المؤكد باليمين **﴿قَالَ﴾** : يعقوب

﴿اللَّهُ عَلَى مَا﴾: الذي ﴿نُقُولٌ وَكَيْلٌ﴾: شهيدٌ؛ ضامنٌ، مطَّلَعٌ رقيبٌ، لقد أراد أن يُحصن الاتفاق بالله ﷻ، علَّ الخوف منه ﷻ يجعلهم يصدُقون.

التكليف: أن المؤمن لا يلدغ من جحرٍ مرتين ﴿قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ﴾ فالمؤمن كيس فطن لذلك يعتبر بما أصابه في الماضي ويمتتع عليه إن حصل له مثلما حصل له من قبل بفطنته وذكائه ولا يكون مُغفلاً كما بين ذلك نبينا ﷺ فعن أبي هريرة، عن النبي ﷺ، قال: «لَا يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ وَاحِدٍ مَرَّتَيْنِ»<sup>(١)</sup>.

▪ أن التوكل على الله هو السبب في دفع المكروهات، فيعقوب لم يقل لن أرسله معكم فقط بل اعتمد على الله ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ فتوكل يعقوب على الله عز وجل.

▪ يجوز للإنسان أن يستوثق لنفسه إذا رأى أنه محتاج إلى ذلك وأن يقول له عاهدني بالله العظيم أن تفعل كذا ولا تفعل كذا ﴿لَنْ أَرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُوا مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ﴾ مثل أن يحلفوا له بالله العظيم أنهم يردون أخاهم ويرجعونه ﴿لَتَأْتُنَّنِي بِهِ﴾.

▪ أن الإنسان إذا غلب على أمره فهو معذورٌ، وهذا من فقه يعقوب ﷻ، حينما قال إلا أن يُحاط بكم؛ فإذا غلبوا ولم يستطيعوا أبداً فهم معذورون ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة-٢٨٦].

▪ أن إعلان التوكل على الله بعد إبرام العقود مما يزيدُها بركه وخيراً وتذكيراً للطرفين بما تعاقدا عليه ﴿قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نُقُولُ وَكَيْلٌ﴾

﴿وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ (٦٧)

﴿وَقَالَ﴾: يعقوب ﷻ ﴿يَا﴾: حرف نداء للقریب هنا ﴿بَنِي﴾: مخاطباً أولاده الأحد عشر، وكأنه اطمأن إليهم مخاطباً بحكم أبوته لهم ﴿لَا﴾: حرف نهي ﴿تَدْخُلُوا﴾: مصر ﴿مِنْ﴾: حرف بيان النوع وتمييزه، وتقيد هنا بداية الغاية المكانية ﴿بَابٍ وَاحِدٍ﴾: نصحهم أبوهم إذا ذهبوا إلى مصر بعد اصطحاب بنيامين معهم ألا يدخلوا من بابٍ واحدٍ، وأكمل نصيحته ﴿و﴾: عطفاً على هذا ﴿ادْخُلُوا مِنْ﴾: حرف يفيد التمييز ﴿أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ﴾: قال ابن عباس، والسدي، وغيرهم: خشية الحسد، والعين، فلقد كانوا ذوي جمالٍ، وهيئة حسنة، ومنظرٍ، وبهاءٍ، إضافة إلى كثرتهم ﴿وَمَا﴾: عطفاً على هذا فأنا لا ﴿أُغْنِي﴾: أمتع ﴿عَنْكُمْ﴾: حرف يفيد

<sup>(١)</sup> صحيح مسلم ٢٢٩٥/٤ (٢٩٩٨).

السبب **﴿مِنْ﴾**: حرف يفيد بداية الغاية **﴿اللَّهِ مِنْ﴾**: جزء أو بعض **﴿شَيْءٍ﴾**: تفيد العموم رغم هذا الاحتراز؛ فإنَّ قدر الله ﷻ واقع، إذا أراد شيئاً لا يُخالف، ولا يُمنع **﴿إِنَّ الْحُكْمَ لِلَّهِ﴾**: حرف استثناء **﴿لِلَّهِ﴾**: هو المتصرف في عباده **﴿عَلَيْهِ﴾**: على الله ﷻ **﴿تَوَكَّلْتُ﴾**: بعد الأخذ بالأسباب، فإنني أكلُّ أمري إلى الله ﷻ، وأعتمد **﴿و﴾**: أيضاً **﴿عَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ﴾**: يعتمد **﴿الْمُتَوَكِّلُونَ﴾**: رسالة جامعة لأولاده؛ تدعوهم وغيرهم، إلى التوكل على الله ﷻ، في كلِّ الأحوال والأمور.

#### التكليف:

▪ كانت وصية يعقوب ﷺ لأولاده بالدخول من أبواب متفرقة مجرد خاطر خطر بقلب الأب، وتحريزاً ظاهرياً مع علمه من طريق الوحي بأمر دينه. كان أخذ الأسباب للوقاية من ولي الأمر أمراً مشروعاً دون وسوسة **﴿وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ﴾**.

▪ أن الإنسان المسلم عليه أن يدفع الريبة عن نفسه، فدخول هؤلاء العدد (أحد عشر) من باب واحد مرة واحدة، دفعة واحدة يمكن أن يثير الريبة؛ لئلا يظنُّ بهم ظنُّ أنهم لصوص أو يريدون أمراً خطيراً.

▪ الأخذ بالأسباب لا يمنع من وقوع قدر الله ﷻ؛ فإنَّ القدر إذا كان سيقع فسيقع لكن العقل والشرع يقتضيان الأخذ بالأسباب **﴿مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾**.

**﴿وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةٌ فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لُدُوِ عَلِيمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٦٨)**

**﴿وَلَمَّا﴾**: حينما حدث في الماضي **﴿دَخَلُوا﴾**: مصر **﴿مِنْ﴾**: حرف بيان النوع وتمييزه، ويفيد ابتداء بداية الغاية المكانية **﴿حَيْثُ﴾**: ظرف يدلُّ على الزمان والمكان **﴿أَمَرَهُمْ﴾**: نصحهم وأرشدهم **﴿أَبُوهُمْ﴾**: يعقوب ﷻ، من أبواب المدينة المتباعدة عن بعضها **﴿مَا﴾**: نفي **﴿كَانَ يُغْنِي﴾**: يدفع ويمنع **﴿عَنْهُمْ مِنْ﴾**: حرف يفيد بداية الغاية **﴿اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾**: ما كان دُخُولُهُم من أبواب متفرقة ليمنع قدر الله ﷻ فيهم، إنَّما هو خوفُ الأب على أبنائه، وأخذ بالأسباب **﴿إِلَّا﴾**: حرف استثناء منقطع **﴿حَاجَةٌ﴾**: رغبة وأمرًا **﴿فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا﴾**: حققها وهي دفع إصابة العين والحسد عنهم **﴿و﴾**: عطفًا على هذا **﴿إِنَّهُ﴾**: هو بالتأكيد **﴿لن﴾**: صاحب **﴿دُو﴾**: صاحب **﴿عِلْمٍ لِمَا﴾**: حدث في الماضي أن **﴿عَلَّمْنَاهُ﴾**: قال قتادة: صاحب علم، ذي

علم؛ لتعليمنا له ﴿وَلَكِنَّ﴾: حرف استدراكٍ ﴿أَكْثَرَ﴾: غالبية ﴿النَّاسِ﴾: بني آدم ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يَعْلَمُونَ﴾: عامة الناس لا يعلمون، وأن الذين يعلمون هم الذين يُعَلِّمُهُمُ اللهُ ﷻ. التكليف: نجد كلمات الله ﷻ ناصعة الوضوح في الإسلام وأهله، وسط غناء كلام الناس، الذين لا يعلمون، هي الشموع المضيئة في ظلام الجهل، وتفضيل المصلحة، والفساد، والخيانة، والتعاون مع الأعداء على دين هذه الأمة.

﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾  
(٦٩)

﴿وَلَمَّا﴾: اسم توكيد الفعل ﴿دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ﴾: وصل إخوة يوسف ومعهم أخوهم بنيامين؛ من أبواب متفرقة؛ فأدخلهم يوسف دار كرامته، ومنزل ضيافته ﴿آوَى﴾: ضمّ واختلى بأخيه ﴿إِلَيْهِ أَخَاهُ﴾: بنيامين، وأفاض عليه من كرمه، وأطلعته على الحقيقة، وعزّفه أنه هو أخوه يوسف ﴿قَالَ إِنِّي﴾: أنا بالتأكيد ﴿أَنَا أَخُوكَ﴾: لا يجهل قيمة أخيه إلا من جهل نفسه، وينبغي على كل مؤمن أن يعلم أن الإخاء ليس كلاماً يقال، ولا شعاراً يرفع، إنما هو حقوق وواجبات على رأسها التعهد بالنصح، وأن تحب له ما تحب لنفسك، وتكره له ما تكره لها، والوصل، والتزاور ﴿فَلَا﴾: أداة نهى تفيد طلب عدم الفعل ﴿تَبْتَئِسْ﴾: لا تحزن ولا تأسف ﴿بِمَا﴾: اسم موصول هنا بمعنى الذي ﴿كَانُوا﴾: في الماضي والحاضر ﴿يَعْمَلُونَ﴾: على صنيع إخوته معه، وكنتم الحقيقة، وقال له إنه سيعمل على بقاءه معه في مصر مكرماً.

﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَّازِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رِجْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيُّهَا الْعَيْرِ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾ (٧٠)

﴿فَلَمَّا﴾: حينما ﴿جَهَّزَهُم بِ﴾: باء الالتصاق ﴿جَهَّازِهِمْ﴾: أعطاهم يوسف ﷺ ما يحملون على عيرهم من الحبوب ﴿جَعَلَ﴾: وضع ﴿السَّقَايَةَ﴾: قال الأغلبية إنه الصواع وهو إناء من فضة، يشربون فيه، وُضع ﴿فِي رِجْلِ أَخِيهِ﴾: في الوعاء الخاص بأخيه بنيامين دون علم أحد، وقال ابن عباس: وعاء من ذهب، والأصح أنه الذي كان يوسف يكتال به، والله أعلم، وفي ذلك إشارة لجواز استعمال الحيل للوصول إلى الأغراض الصحيحة، ولاستخراج الحقوق ﴿ثُمَّ﴾: حرف يفيد التتابع الزمني مع التباعد والتراخي ﴿أَذَّنَ﴾: نادى ﴿مُؤَذِّنٌ﴾: رُفِعَ صَوْتُهُ، نادى مُنَادٍ وهم على وشك الخروج ﴿أَيُّهَا﴾: حرف نداء للمؤنث ﴿الْعَيْرِ﴾: المقصود هم أصحاب العير ﴿إِنَّكُمْ لَ﴾: حرف تأكيد ﴿سَارِقُونَ﴾: لقد سرقتم؛ فانتظروا.

﴿قَالُوا وَقَبِلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقِدُونَ﴾ (٧١)

﴿قَالُوا﴾: إخوة يوسف ﴿و﴾: عطفاً على النداء ﴿أَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ﴾: التفتوا مقبلين على المنادي، وأمرهم أن يقتربوا منه؛ فسألوا ﴿مَاذَا تَفْقِدُونَ﴾: ما الذي ضاع منكم؟

﴿قَالُوا نَفَقْدُ صُوعَ الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلٌ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ﴾ (٧٢)

﴿قَالُوا﴾: جاء حرس ورجال يوسف عليه السلام ﴿نَفَقْدُ﴾: ضاع منا ﴿صُوعَ﴾: مكيال ﴿الْمَلِكِ﴾: مكيال الدولة الذي نكيل به ﴿وَلِمَنْ﴾: للذي من جنس العاقل ﴿جَاءَ بِهِ﴾: تعرّف عليه وأحضره ﴿حِمْلٌ بَعِيرٍ﴾: فإنّ جائزته حمل بعير، أي ما يُخصص للرجل الواحد ﴿وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ﴾: أنا كافلٌ تحقيق الوعد.

﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ﴾ (٧٣)

﴿قَالُوا تَاللَّهِ﴾: أقسم إخوة يوسف بالله ﴿لَقَدْ﴾: حرف إثبات ما حدث أقوى ما يكون في الماضي والمضارع، ولا تفيد في المستقبل ﴿عَلِمْتُمْ﴾: تحققتم وعرفتمونا ﴿مَا﴾: حرف نفي ﴿جِئْنَا﴾: من بلادنا البعيدة عن أرض مصر ﴿ل﴾: حرف علّة وسبب، بمعنى من أجل أن ﴿نُفْسِدَ﴾: نُتلف أو نغيّر برامج الإصلاح ﴿فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا﴾: يوماً ما في الماضي ﴿سَارِقِينَ﴾: شاهدتم منا الأمانة والنزاهة، وشكرنا، ومعاملتكم الحسنة لنا، ولقد أخذنا كفاية،

فلماذا نسرق؟ وقد رددنا البضاعة التي كانت في رحالنا!

﴿قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ﴾ (٧٤)

﴿قَالُوا﴾: قال رجال الملك ﴿فَمَا﴾: ما خبر ﴿جَزَاؤُهُ﴾: ما عقوبة الذي سرق صواع الملك إن وجدناه معه؟ ﴿إِنْ﴾: حرف شرط ﴿كُنْتُمْ كَاذِبِينَ﴾: إذا ثبت أنكم كاذبون؟

﴿قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وَجَدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ (٧٥)

كان يوسف عليه السلام يعرف شريعة جدّه إبراهيم في عقوبة السرقة؛ فأراد أن يستعملها؛ ليحتفظ بأخيه ﴿قَالُوا﴾: إخوة يوسف ﴿جَزَاؤُهُ﴾: عقابه ﴿مَنْ وَجَدَ فِي رَحْلِهِ﴾: عقوبة من تثبت عليه السرقة ﴿ف﴾: حرف يُفيد السبب ﴿هُوَ﴾: ضمير رفع منفصل للغائب المفرد، وهو يعني هنا السارق ﴿جَزَاؤُهُ﴾: جاء هنا تقريراً للحكم السابق وتأكيداً له، بعد أن تأكدوا من براءتهم بأنفسهم، أن يُدفع السارق عبداً ومملوكاً لمن سُرِق منه؛ يأخذه مقابل السرقة ﴿كَذَلِكَ﴾: مثل هذا، هكذا ﴿نَجْزِي﴾: نُعاقب ﴿الظَّالِمِينَ﴾: وهذه هي العقوبة في شريعتنا نحن أبناء يعقوب.

﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرِجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ نَبِيٍّ عِلْمٌ

عَلِيمٌ﴾ (٧٦)

﴿ف﴾: حرف استئنافي بهدف ترتيب الأمر يفيد سرعة التنفيذ ﴿بِدْأُ بِأَوْعِيَّتِهِمْ﴾: بدأ التفتيش بأوعية إخوته، دفعاً للتهمة ومن باب الحيل المشروعة؛ لأنه إذا بدأ بوعاء أخيه ﴿قَبْلَ وَعَاءِ أَخِيهِ﴾: كأنه هو الذي وضعه ﴿ثُمَّ﴾: حرف يفيد التتابع الزمني مع التباعد والتراخي ﴿اسْتَخْرَجَهَا﴾: عثر عليها ﴿مِنْ﴾: حرف بيان النوع وتمييزه، وتفيد هنا بعض، يفيد بداية الغاية المكانية ﴿وَعَاءِ﴾: رخل ﴿أَخِيهِ﴾: هنا اعتقل بنيامين بحكم اعتراف إخوته، والتزامهم، والزامهم بتطبيق عقيدتهم ﴿كَذَلِكَ﴾: بمثل هذه ﴿كَذْنَا﴾: من المعلوم أن كيد الخلق في الشر، وكيد الله ﷻ هو إبطال كيدهم فقد دبر الله ﷻ ﴿لِيُوسِفَ﴾: وهذا من الكيد المحمود؛ لما فيه من مصلحةٍ للحق والعدل ﴿مَا﴾: حرف نفي ﴿كَانَ﴾: لا يقدر ﴿لِ﴾: حرف يفيد السبب ﴿يَأْخُذُ﴾: يحتفظ ويُبقي ﴿أَخَاهُ فِي دِينِ﴾: شريعة ملك مصر أو حكم ﴿الْمَلِكِ﴾: لا يستطيع يوسف أن يأخذ بنيامين في حكم ملك مصر؛ إلا بحسب شريعة أبناء يعقوب وبحكمهم ورضاهم، ولو أخذه بنظام ملك مصر لكان نصيبه الضرب والتغريم ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناءٍ منقطعٍ عما سبق ﴿أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿يَشَاءُ اللَّهُ﴾: إذا كان لله ﷻ تدبيرٌ آخر ﴿نَزَفُغُ﴾: جاءت بصيغة الجمع لعظم الحدث، ولا شيء يرفع مكانة العبد، ويعلي منزلته كما يرفعه أهل التقوى والعلم ﴿دَرَجَاتٍ﴾: منازل الخير ﴿مَنْ﴾: الذي من جنس العاقل ﴿نَشَاءُ﴾: هذه إرادة الله ﷻ؛ علمها ﷻ يوسف ﷻ؛ ليحقق غايته في رفع شأنه، ومرتبته ﴿وُ﴾: عطفاً على هذا فإن ﴿فَوْقَ﴾: أعلى وأشرف، وتستعمل في المكان والزمان والجسم والعدد والمنزلة، وتستعمل للعلو، وتستعمل في الكبر والصغر ﴿كُلَّ﴾: تغيد العموم ﴿ذِي﴾: صاحب ﴿عِلْمٍ﴾: مُتعلِّمٍ ﴿عَلِيمٍ﴾: ليس هناك من عالمٍ إلا فَوْقَهُ أعلم؛ حتى ينتهي العلم المطلق إلى الله ﷻ. التكليف: يجب عدم جواز التحاكم إلى القوانين الجاهلية والأنظمة الخبيثة وإنما التحاكم بشرع الله عز وجلّ وسنة رسوله ﷺ ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ﴾.

﴿قَالُوا إِنَّ يَسْرِقَ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾ (٧٧)

﴿قَالُوا﴾: إخوة يوسف ﴿إِنْ﴾: حرف شرط ﴿يَسْرِقُ﴾: فلا عجب أن يسرق يوسف ﴿ف﴾: حرف يفيد ربط الجواب ﴿فَدَّ﴾: حرف جزم دخل هنا على الفعل الماضي فأفاد التأكيد ﴿سَرَقَ﴾: شقيق ﴿لَهُ مِنْ﴾: حرف يفيد بداية الغاية الزمانية ﴿قَبْلُ﴾: يقصدون قبل اتهام يوسف ﷻ، ﴿فَأَسْرَهَا﴾: كتّمها وأخفاها ﴿يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ﴾: تأذى يوسف ﷻ، من كلامهم، وتعريضهم به، دون علمهم، جاءت على خاطره كلمات، ﴿وَلَمْ﴾: حرف نفي بمعنى امتنع

﴿يُبْدِهَا﴾: يُظهِرهم عليها، بِسْمَاعِهَا ﴿لَهُمْ قَال﴾: فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُسْمِعْهُمْ ﴿أَنْتُمْ﴾: يَا مَنْ تَقُولُونَ هَذَا عَلَى أَخِيكُمْ ﴿شَرًّا﴾: أَصْحَابُ سُوءٍ وَضَرِرٍ ﴿مَكَانًا﴾: فِي حَالَةِ سَيِّئَةٍ ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ﴾: الْأَكْثَرُ عِلْمًا ﴿بِمَا﴾: اسْمُ مَوْصُولٍ هُنَا بِمَعْنَى الَّذِي ﴿تَصِفُونَ﴾: تَقُولُونَ فَقَدْ ضَمَرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ ﷻ يَعْلَمُ كَذِبَهُمْ، وَافْتَرَاءَهُمْ عَلَى أَخِيهِمْ.

التكليف: ضَبَطَ النَّفْسَ مِنْ كَمَالِ الرَّجُولَةِ كَمَا فِي الْحَدِيثِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرْعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْعَضْبِ»<sup>(١)</sup>.

﴿قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدًا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٧٨) ﴿قَالُوا﴾: عِنْدَمَا تَعَيَّنَ وَتَحَدَّدَ أَخَذَ بِنِيَامِينَ بِمَقْتَضَى اعْتِرَافِهِمْ وَحُكْمِهِمْ عَلَيْهِ كَسَارِقٍ صَوَاعِ الْمَلِكِ؛ قَالُوا ﴿يَا﴾: حَرْفُ نِدَاءٍ لِلْقَرِيبِ ﴿أَيُّهَا الْعَزِيزُ﴾: قَالُوا لِيُوفُوا بِعَهْدِ أَبِيهِمْ يَتَرَفَقُونَ وَيَسْتَعْتَفُونَ يُوسُفَ الْعَزِيزِ ﴿إِنَّ﴾: حَرْفُ تَأْكِيدٍ وَنَفْيِ الشُّكِّ وَالْإِنْكَارِ ﴿لَهُ أَبًا﴾: وَالِدَهُ ﴿شَيْخًا كَبِيرًا﴾: هَذَا الْأَبُ يُحِبُّ ابْنَهُ حُبًّا شَدِيدًا، وَلَا يُطِيقُ بَعْدَهُ، وَيَتَسَلَّى بِهِ عَنْ وَلَدِهِ الَّذِي فَقَدَهُ ﴿فَخُذْ﴾: لِهَذَا السَّبَبِ اسْتَبَدَلَ ﴿أَحَدًا مَكَانَهُ﴾: خَذَ أَحَدًا مَنَّا بَدْلًا مِنْهُ ﴿إِنَّا﴾: نَحْنُ بِالتَّأْكِيدِ ﴿نَرَاكَ﴾: نَعُدُّكَ وَنَقْدُرُكَ ﴿مِنْ﴾: حَرْفُ تَمْيِيزٍ ﴿الْمُحْسِنِينَ﴾: لِلتَّرْلَفِ وَالتَّرْقُقِ؛ قَالُوا أَنْتَ مِنَ الْعَادِلِينَ الْمُنْصِفِينَ.

﴿قَالَ مَعَادُ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذًا لَنظَالِمُونَ﴾ (٧٩)

﴿قَالَ﴾: يُوسُفُ ﷺ ﴿مَعَادُ اللَّهِ﴾: نَعُوذُ وَنَعْتَصِمُ بِاللَّهِ ﷻ ﴿أَنْ﴾: حَرْفُ تَأْكِيدِ الْفِعْلِ، أَنْ ﴿نَأْخُذَ﴾: الْأَخْذُ هُوَ حُوزُ الشَّيْءِ وَتَحْصِيلُهُ بِالْقَهْرِ ﴿إِلَّا﴾: حَرْفُ اسْتِثْنَاءٍ ﴿مَنْ﴾: الَّذِي مِنْ جِنْسِ الْعَاقِلِ، وَهُوَ الْإِنْسَانُ ﴿وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ﴾: السَّارِقُ الْحَقِيقِيُّ، نَحْنُ لَا نَأْخُذُ بَرِيئًا، وَهَذَا مِنَ الْعَدْلِ الَّذِي تَعْتَرِفُونَ لَنَا بِهِ، بَلْ مِنَ الْعَدْلِ أَنْ نَأْخُذَ الَّذِي سَرَقَ مَتَاعَنَا، وَوَجَدْنَاهُ عِنْدَهُ ﴿إِنَّا﴾: نَحْنُ بِالتَّأْكِيدِ ﴿إِذَا﴾: حَرْفُ عَلَّةٍ وَجَوَابٍ ﴿لَنْ﴾: حَرْفُ تَخْصِيسٍ ﴿ظَالِمُونَ﴾: إِذَا فَعَلْنَا، وَتَرَكْنَاهُ، وَأَخَذْنَا أَحَدًا مَكَانَهُ نَكُونُ ظَالِمِينَ لِبَرِيٍّ بِذَنْبٍ غَيْرِهِ.

﴿فَلَمَّا اسْتِئْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمَنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكَمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ (٨٠)

﴿فَلَمَّا﴾: حَرْفُ يَفِيدُ التَّتَابِعَ وَالسَّبَبَ ﴿اسْتِئْأَسُوا﴾: لَمَّا يَثُسُ إِخْوَةَ يُوسُفَ ﴿مِنْهُ﴾: مِنْ إِجَابَتِهِ إِيَاهُمْ بِأَنْ يُفْرَجَ عَنْ أَخِيهِمْ بِنِيَامِينَ وَكَانُوا قَدْ التَّزَمُوا لِأَبِيهِمْ بَرْدَهُ إِلَيْهِ، وَبَدَأَ أَنْ عَهَدَهُمْ مَعَ أَبِيهِمْ

(١) صحيح البخاري ٢٨/٨ (٦١١٤).



لن يتحقق ﴿خَلَصُوا﴾: انفردوا عن النَّاسِ ﴿نَجِيًّا﴾: يتناجون، ويتشاورون فيما بينهم ﴿قَالَ كَبِيرُهُمْ﴾: إنّه كبير الرأي، الأخ الذي أشار عليهم أن يلقوا يوسف في البئر يوم كان صغيراً بدلاً من قتله ﴿أَلَمْ﴾: أداة استفهام بغرض الاستنكار ﴿تَعْلَمُوا﴾: هل نسيتم؟ ﴿أَنْ﴾: تأكيداً ونفيّاً للشك ﴿أَبَاكُمْ فَذُ﴾: حرف يُفيد تحقق في الماضي ﴿أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا﴾: عهداً ﴿مِنْ﴾: حرف يفيد بداية الغاية ﴿اللَّهِ﴾: أن تعيدوا أحوالكم إليه ﴿وَ﴾: عطفًا على هذا اذكروا ﴿مِنْ قَبْلُ﴾: ما حدث في الماضي ﴿مَا﴾: الذي ﴿فَرَطْنُمْ﴾: ضيعتم بلا سبب ﴿فِي يُوسُفَ﴾: وهل نسيتم ماذا فعلتم بأخيكم يوسف يوم ضيعتموه ﴿فَلَنْ﴾: حرف نفي ﴿أَبْرَحَ﴾: لن أعود هذه ﴿الْأَرْضِ﴾: أرض مصر ﴿حَتَّى﴾: حرف جرّ يدلُّ على انتهاء الغاية الشرطية، أي لن يُصدقوا إلا بشرط أن ﴿يَأْذَنَ﴾: يسمح ويوافق ﴿لِي﴾: تحديدًا ﴿أَبِي﴾: أن يقبل عودتي راضيًا عني ﴿أَوْ﴾: حرف تسوية بين شيئين ﴿يَخُفُّمُ اللَّهُ لِي﴾: أن أتمكن من أخذ أخي بوسيلة مقبولة ﴿وَهُوَ﴾: الله ﷻ ﴿خَيْرِ الْحَاكِمِينَ﴾: توضح الألفاظ درجة الرجوع إلى الله ﷻ في كثير من المواقف، وقد تعني توبة ورجعة حتى من قبل المجيء إلى مصر، والله أعلم.

﴿ارْجِعُوا إِلَىٰ آبَائِكُمْ فَاقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ

حَافِظِينَ﴾ (٨١)

﴿ارْجِعُوا إِلَىٰ﴾: عودوا إلى أرض فلسطين ﴿أَبِيكُمْ﴾: الذي يسكن فلسطين، وأنا سأبقى في مصر ﴿فَقُولُوا﴾: أخبروه بما حدث ﴿يَا﴾: نداء للأب القريب هنا ﴿أَبَانَا إِنَّ﴾: بالتأكيد ﴿ابْنَكَ﴾: بنيامين ﴿سَرَقَ﴾: قولوا لأبيكم ما شهدتم؛ حتى تتبرؤوا مما صنع، وجزاء السرقة استرقاقه، أي يكون من الرقيق للحاكم ﴿وَمَا﴾: حرف نفي ﴿شَهِدْنَا إِلَّا﴾: والشهادة لا تكون صحيحة إلا إذا كانت عن علم؛ أي يقين، فإذا طرأت عليها شكوك أو ظنون أو احتمالات بطلت ﴿بِمَا﴾: اسم موصول هنا بمعنى الذي ﴿عَلَّمْنَا﴾: ما قلنا إلا ما علمنا؛ ولقد شاهدنا صاع الملك الذي استخرجه الحراس من متاع بنيامين ﴿وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ﴾: ما سيحدث في المستقبل ﴿حَافِظِينَ﴾: قال قتادة: ما علمنا أن ابنك سرق، وهذا أمرٌ يدلُّ على تغير موقفهم السابق.

﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعَيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ (٨٢)

﴿وَاسْأَلِ﴾: أيضًا تحرر وبحث ﴿الْقَرْيَةَ﴾: مجاز مرسل علامته المكانية، أي أهل القرية ﴿الَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾: قولوا لأبيكم أن يُرسل من يسأل الذين كانوا معكم في مصر عن هذه الحادثة، سرقة صواع الملك ﴿وَالْعَيْرَ﴾: أيضًا من كان في مصر من أصحاب الإبل ﴿الَّتِي أَقْبَلْنَا

**فِيهَا**: وأسأل الذين رافقونا في رحلتنا من مصر عن صدقنا، وأمانتنا، وحفظنا، وحراستنا لأخي**نا** **﴿وَإِنَّا لَن﴾**: حرف توكيد القول **﴿صَادِقُونَ﴾**: فيما قلنا عن أخي**نا** أنه سرق، فأخذه بسرقة.

**التكليف**: استعظامُ شأنِ العهدِ، واستشعارِ المسؤولية، والعملُ لتحقيقِ ما أخذ من الموثق الغليظ.

**﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ (٨٣)**

بعد عودة أبناء يعقوب إلى فلسطين **﴿قَالَ﴾**: يعقوب **﴿عَلَيْهِ السَّلَامُ﴾**، مُشكِّكًا في قولهم عن سرقة ابنه **﴿بَلْ﴾**: حرف ينفي ما قبله؛ ويؤكد ما بعده **﴿سَوَّلَتْ﴾**: لقد زينت **﴿لَكُمْ﴾**: تخصيصًا **﴿أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا﴾**: مكرًا كمكرم لأخيه يوسف من قبل، كان يقين يعقوب **﴿عَلَيْهِ السَّلَامُ﴾**، أنهم كاذبون، كما كذبوا في قصة يوسف من قبل **﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾**: صبرٌ ليس فيه اعتراض، أو شكوى على حكم الله **﴿عَلَيْهِ السَّلَامُ﴾**، ولقد ذكر الله **﴿عَلَيْهِ السَّلَامُ﴾** في القرآن الهجر الجميل، والصفح الجميل، والصبر الجميل، وقد قيل: إن الهجر الجميل بلا أذى، والصفح الجميل صفح بلا معاتبة، والصبر الجميل صبر بغير شكوى إلى المخلوقين **﴿عَسَى﴾**: فعلٌ ماضٍ جامد يفيد هنا الترجي في الأمر المحبوب، وهي تدلُّ على التحقق والوجوب من **﴿اللَّهُ أَنْ﴾**: حرف تأكيد الفعل **﴿يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا﴾**: سأل يعقوب **﴿عَلَيْهِ السَّلَامُ﴾** الله **﴿عَلَيْهِ السَّلَامُ﴾** أن يرُدَّ عليه أولاده الثلاثة يوسف، وبنيامين، وروبين الأخ الأكبر الذي بقي في مصر، ينتظر أمر الله **﴿عَلَيْهِ السَّلَامُ﴾**، إمَّا أن يرضى عنه أبوه؛ فيأمره بالرجوع، وإمَّا أن يتمكن أن يأخذ أخاه خفية **﴿إِنَّهُ﴾**: **﴿عَلَيْهِ السَّلَامُ﴾** بالتأكيد **﴿هُوَ﴾**: ضمير منفصل مرفوع للغائب المفرد المذكور، ويعني هنا الله **﴿عَلَيْهِ السَّلَامُ﴾** **﴿الْعَلِيمُ﴾**: بحاله الغني عن سؤاله **﴿الْحَكِيمُ﴾**: صاحبُ الصواب في أفعاله، وقضائه، وقدره.

**﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسْفَى عَلَى يُوسُفَ وَأَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزَنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ (٨٤)**  
**﴿و﴾**: عطفًا على ما سبق **﴿تَوَلَّى﴾**: ابتعد وأعرض يعقوب **﴿عَلَيْهِ السَّلَامُ﴾** عن أولاده، وقد ضاق صدره بما قالوه **﴿وَقَالَ يَا﴾**: حرفُ نداءٍ للقريبِ والبعيد **﴿أَسْفَى﴾**: حسرتاه، الشديدة **﴿عَلَى يُوسُفَ﴾**: وتجددت أحزانه القديمة على يوسف، وعلى أخيه **﴿و﴾**: حرف عطفٍ يفيد هنا الحال **﴿أَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ﴾**: تحولت عدسات العينين الشفافة إلى مادّةٍ بيضاء؛ تحجب الرؤية، فيما يعرف في الطب الماء الأبيض أو الكتاركت **﴿مِنْ﴾**: حرفٌ يفيد التعليل والسبب

﴿الْحَزْنَ فَهُوَ﴾: ضمير رفع للغائب المفرد المذكر، هو يعقوب عليه السلام ﴿عَظِيمٌ﴾: يكثر حزنه، وألمه، وشوقه، إنه مكتئبٌ حزين.

﴿قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوْسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾ (٨٥)

﴿قَالُوا﴾: إخوة يوسف ﴿ت﴾: حرف التاء؛ لا تأتي إلا مع اسم الله في القسم به ﷻ ﴿اللَّهِ تَفْتَأُ﴾: يُقسمون بالله ﷻ، أنك لا تفارق الحزن ولا تنسى أن ﴿تَذْكُرُ يُوْسُفَ﴾: تتذكر يوسف ويشتد حزنك وأسفك لغياب يوسف عليه السلام ﴿حَتَّى﴾: حرف جرّ يدلُّ على انتهاء الغاية الشرطية، أي لن يُصدقوا إلا بشرط أن ﴿تَكُونَ﴾: تشرف على الهلاك وتصير ﴿حَرَضًا﴾: ضعيف القوة، هزيل الجسم، يزداد مرضك ﴿أَوْ﴾: حرفٌ عطفٍ يُفيد التسوية بين متعاطفين ﴿تَكُونَ مِنْ﴾: يفيد التمييز ﴿الْهَالِكِينَ﴾: نخشى إذا استمر حالك أن تموت.

﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٨٦)

﴿قَالَ﴾: الأب يعقوب عليه السلام ﴿إِنَّمَا﴾: أداة مركبة تُفيد الحصر والتحديد ﴿أَشْكُو﴾: أشتكى وأبثُّ همّي وحزني فقط إلى الله ﷻ ﴿بَثِّي﴾: حالة غياب القدرة على كتم الحزن، أشدَّ همّي وغمّي، وما أنا فيه من الحزن ﴿وَحُزْنِي﴾: حالة عدم القدرة على كتم الحزن بسبب المصاعب وآلام الفراق ﴿إِلَى اللَّهِ﴾: ﷻ وحده فقط ﴿وَأَعْلَمُ مِنْ﴾: حرف يفيد بداية الغاية ﴿اللَّهُ مَا﴾: الذي ﴿لَا تَعْلَمُونَ﴾: أرجو من الله ﷻ الخير، وأعلم استجابته ﷻ لمن يسأله، أعلم أن رؤية يوسف صادقة، وأتني سأجده.

التكليف: الإنسان المسلم يشكو إلى الله جل وعلا ولا يشكو أمره إلى الناس والشكوى للمخلوق هي شكوى الضعيف إلى الذي لا يرحم.

﴿يَا بَنِي آدَهْبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوْسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيَاسُوا مِنْ رُوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيَاسُ مِنْ رُوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ (٨٧)

﴿يَا﴾: حرفٌ نداءٍ هنا للقريب ﴿بَنِي﴾: خاطب الأب يعقوب أولاده بالودِّ واللطف، يذكّرهم بصلة القرابة العظيمة ﴿آدَهْبُوا﴾: عودوا واذهبوا إلى مصر والقبائل التي جاءت منها ﴿ف﴾: حرفٌ يفيد السبب والتحرك السريع ﴿تَحَسَّسُوا﴾: والسبب هو أن يستقصوا الأخبار؛ والتحسس هو طلب الشيء باستخدام الحواس، وهو في الخير، والتجسس هو طلب معرفة الشيء ولكنّه في الشرّ، فبعد غياب الابن بنيامين عن أبيه يطلب يعقوب عليه السلام، من بنيه؛ أن يذهبوا بروح الأمل والرجاء في الله ﷻ ﴿مِنْ يُوْسُفَ وَأَخِيهِ﴾: أن يبحثوا عن يوسف أيضًا ﴿وَلَا﴾: أداة نهي، فهو ينهاهم عن ﴿تَيَاسُوا﴾: مُحذّرًا وناهياً عن اليأس ﴿مِنْ رُوْحِ اللَّهِ﴾: الروح هنا

بمعنى رحمة: ومُحذراً أن ينقطع الأمل والرجاء في الله ﷻ، والسبب **﴿إِنَّهُ﴾**: بالتأكيد **﴿لَا يَيْئَسُ﴾**: يقنط ويفقد الأمل **﴿مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا﴾**: حرف استثناء **﴿الْقَوْمُ﴾**: الجماعة أصحاب منهج واحد هم هنا **﴿الْكَافِرُونَ﴾**: يضع يعقوب أمام أولاده قاعدة نورانية؛ أن المؤمن لا ييأس من رحمة الله ﷻ في كل رجاء، وأن اليائسين هم الكفار، هذه واحدة من قواعد التربية النبوية. التكليف: تحريم اليأس والقنوط من رحمه الله وأنه منافٍ لعقيدة التوحيد، فهو أمرٌ محرّم.

**﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلْنَا الضَّرَّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾ (٨٨)**

عاد أبناء يعقوب ﷻ، إلى مصر، وذهبوا إلى مقر يوسف ﷻ **﴿فَلَمَّا﴾**: حرف يُفيد التتابع والسبب، ذهبوا إلى مصر **﴿دَخَلُوا عَلَيْهِ﴾**: على يوسف **﴿قَالُوا يَا أَيُّهَا﴾**: حرف نداء هنا للقريب **﴿الْعَزِيزُ﴾**: تزلّفاً وتذلاً، قد تحقق **﴿مَسَّنَا﴾**: أصابنا القحط والجذب في مزارعنا، وأصابنا المرض في أجسادنا **﴿و﴾**: أصاب أيضاً **﴿أَهْلْنَا﴾**: عائلاتنا وقومنا **﴿الضَّرَّ﴾**: الهزال، بسبب القحط، وقلة الطعام بشدة **﴿و﴾**: عطفاً على هذا **﴿جِئْنَا بِ﴾**: حرف باء السببية **﴿بِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ﴾**: تدفع إلى التجار فلا يقبلونها؛ لقلتها ورداءتها، والإجزاء هو الدفع، أي دفعها بعيداً، وهي هنا بضاعة حقيرة زهيدة الثمن، قليلة الحجم، قال مجاهد: هي الرديء الذي لا يُنفق، وقال ابن عباس: الدراهم الرديئة التي لا تجوز إلا بنقصانٍ، وقال الضحاك: كاسدة **﴿ف﴾**: حرف يفيد السبب **﴿أَوْفِ﴾**: أكمل **﴿لَنَا﴾**: تمليكاً **﴿الْكَيْلَ﴾**: هو تحديد الوزن والحجم، المقصود هنا أعطنا مقابل اليسير الذي معنا دون إنقاصٍ عمّا أعطيتنا سابقاً **﴿وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا﴾**: قال ابن جريح: رُد إلينا أخانا، وقال السدي: خذ هذه البضاعة منّا، وأعطنا زيادة على بضاعتنا التي جئنا بها **﴿إِنَّ﴾**: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار **﴿اللَّهُ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾**: يكافئ بالحسنة عن الطاعة وهي التصدق.

التكليف: كانت مصر بخيرها ترعى من عليها، وتساعد من حولها وتدافع، وتتقدم، وترتقي، منذ العصور الأولى، ويوم تضعف مصر عن دورها هذا؛ تكون قد خرجت عن سياقها التاريخي، وهذا قدرُ الله ﷻ في مهمةِ الدولِ المركزيةِ.

**﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ﴾ (٨٩)**

عندما أسهب إخوة يوسف في شرح ما أصابهم، وما أصاب أبيهم من الحزن، والفقر، والضيق وقلة الطعام، وغلب شوق يوسف لأبيه؛ غلبته رفته، ورأفته، ورحمته، وشفقته على أبيه وإخوته، فبكى وأخبرهم **﴿قَالَ هَلْ﴾**: حرف يفيد هنا الاستفهام بغرض التوبيخ والتقريع على ما

فعلوه ﴿عَلِمْتُمْ﴾: هل تذكرون ﴿مَا﴾: الذي ﴿فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَ﴾: أيضًا فعلتم في ﴿أَخِيهِ﴾: أتذكرون ما صنعتم بأخيكم بنيامين، فعلتكم الشنيعة ﴿إِذْ﴾: حرفٌ يُفيد حدثًا في الماضي ويفيد هنا التعليل ﴿أَنْتُمْ جَاهِلُونَ﴾: لا تعلمون الحرام من الحلال، ولا الحق من الباطل.

﴿قَالُوا أَلَيْكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٩٠)

﴿قَالُوا﴾: إخوة يوسف ﴿أَلَيْكَ﴾: أنت بالتأكيد ﴿لَأَنْتَ يُوسُفُ﴾: حرف اللام للتخصيص، كان استفهامهم هل أنت يوسف؟ مستعظمين أن يكون هو؛ قالوا ذلك منهم على سبيل التعجب والاستغراب، وقيل بسبب معرفتهم له بمجرد أن قال لهم ﴿مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ [يوسف- ٨٩] ﴿قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي﴾: فقال صراحةً أنا يوسف المظلوم الذي أردتم قتله، وهذا أخي بنيامين ﴿قَدْ﴾: حرف جزم دخل هنا على الفعل الماضي فأفاد التأكيد ﴿مَنْ﴾: تفضل ﴿اللَّهُ عَلَيْنَا﴾: وتكرّم علينا، أنا وأخي ﴿إِنَّهُ﴾: هو بالتأكيد ﴿مَنْ﴾: الذي من البشر ﴿يَتَّقِ﴾: يعبد الله ﷻ كأنه يراه ﴿وَيَصْبِرْ فَإِنَّ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿اللَّهُ لَا﴾: حرف نفي ﴿يُضِيعُ أَجْرَ﴾: ثواب ﴿الْمُحْسِنِينَ﴾: الذين يعبدون الله ﷻ كأنهم يرونه.

التكليف: يضع يوسف ﷻ، قاعدة نورانية ربّانية: بأنّ التقوى والصبر مفتاح الفرّج، إذا كانت عبادة الله ﷻ صادقة؛ فالعناء، والتعب، والجهد تضحيات لا تضيع عند الله ﷻ، وما أعظمها من عبرة.

﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آتَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ﴾ (٩١)

﴿قَالُوا﴾: إخوة يوسف ﴿ت﴾: حرف التاء لا يأتي في قَسَمٍ إلّا مع اسم الله فقط ﴿اللَّهُ﴾: أقسم إخوة يوسف بالله ﷻ ﴿لَقَدْ﴾: حرف إثبات ما حدث أقوى ما يكون في الماضي والمضارع، ولا تفيد في المستقبل ﴿آتَرَكَ﴾: اختارك وفصّلك، حيث فضله بالتقوى ومكارم الأخلاق ﴿اللَّهُ عَلَيْنَا﴾: اعترف إخوة يوسف بفضله وتفضيله ﷻ، عليهم، في الخلق والخلق والرزق والمُلك ﴿وَإِنْ كُنَّا﴾: في الماضي ﴿ل﴾: حرف علّة وسبب ﴿خَاطِئِينَ﴾: واعترفوا بخطئهم في حقه، وحق أبيه، وحق أنفسهم، هذا الاعتراف يدلّ على أنهم فعلوا الخطأ عن قصدٍ فجاء الاعتراف منهم استجلابًا للعفو والصفح.

﴿قَالَ لَا تَتْرِبْ عَلَيْكُمُ النَّيِّمَ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (٩٢)

﴿قَالَ﴾: يوسف ﷻ ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿تَتْرِبْ﴾: لا تأنيب، ولا توبيخ، ولا عتاب، ولا لوم، ولا عقاب، من لطائف التربية أن من اعترف بخطئه، وأقر بذنبه، فلا تكثر لومه، ولا تترد في

الصفح عنه ﴿عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ﴾: قال يوسف بأخلاق المتسامح ﴿يَغْفِرُ﴾: يسامح ويصفح ﴿اللَّهُ لَكُمْ﴾: يرفع تخصيصاً عنكم غضبه ﷻ ﴿وَهُوَ﴾: ﷻ ﴿أَرْحَمُ﴾: الأكثرُ رحمةً في ﴿الزَّاحِمِينَ﴾: جاء دعاء يوسف ﷻ، لإخوته بعد اعترافهم واعتذارهم، أن يمحو الله ﷻ ما فعلوه برحمته ﷻ.

﴿أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٩٣)

﴿أَذْهَبُوا﴾: قال لهم يوسف امضوا راجعين بعيداً؛ ارجعوا إلى أبيكم ﴿بِقَمِيصِي هَذَا﴾: ما كان يلبسه يوسف يوم ترك والده وهو صبي، فقد يكون فيه رائحة عرق يوسف ﷻ ﴿فَب﴾: حرف استثنائي بهدف ترتيب الأمر يفيد سرعة التنفيذ ﴿الْقُوَّة﴾: اطرحوه، ضعه، غطوا به ﴿عَلَى وَجْهِ أَبِي﴾: كان يعقوب ﷻ قد فقدَ بصره من شدة الحزن، قال لهم يوسف ﷻ: ضعوا القميص على وجه أبي ﴿يَأْتِ﴾: يرجع ﴿بَصِيرًا﴾: يرتدُّ إليه بصره ﴿و﴾: عطفاً على هذا ﴿أْتُونِي﴾: هاتوا معكم ﴿بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾: أحضروا إلى مصر كلَّ من هو من ذرية يعقوب ﷻ، وهنا إشارة تاريخية نبوية أن الإقامة في مصر، أو الشام؛ تاريخية بلا حدود، ولا سدود. التكليف: تبقى قضية كيف ارتد البصر إلى يعقوب بقميص يوسف ﷻ، مفتوحة للعلماء؛ ليجدوا لها سبباً علمياً؛ ولأنَّ مشيئة الله ﷻ قاطعة، ولكلِّ شيءٍ أسباب، أن تكون القرنية في العين قد ابيضت فيما يُعرف "بالماء الأبيض" وفي اللغة العلمية الأجنبية بلفظ (كتاركت) وهي تحدث في البشر من طول العمر في غالبية النَّاس، فرفعها الله ﷻ عنه؛ فعادت كما كانت.

﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ﴾ (٩٤)

﴿وَلَمَّا﴾: اسمٌ توكيدٍ بمعنى حينما ﴿فَصَلَّتِ الْعِيرُ﴾: خرجت القافلة من أرض مصر متجهةً نحو فلسطين، وابتعدت عن المدينة ﴿قَالَ أَبُوهُمْ﴾: يعقوب ﷻ، وهو في فلسطين لمن حوله من الأحفاد والنساء ﴿إِنِّي﴾: أنا بالتأكيد ﴿ل﴾: حرف علةٍ وسببٍ ﴿أَجِدُ﴾: أشمُّ ﴿رِيحَ يُوسُفَ﴾: طيف أو رائحة يوسف ﴿لَوْلَا﴾: تعيد امتناع الشيء لوجود غيره ﴿أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿تُفَنِّدُونِ﴾: لولا أن تُسَفِّهوني، وتزعمون أن كلامي صدر منِّي بغير شعور، قال مجاهد: قد تتهموني بكبر السن، وقال ابن عباس: تُسَفِّهون قولي.

﴿قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾ (٩٥)

﴿قَالُوا﴾: الحاضرون عنده من أهله، من بقي من أولاده معه، من إخوة يوسف قالوا بغلظةٍ، وسوء لفظٍ ﴿تَاللَّهِ إِنَّكَ﴾: قسم بالله ﷻ للتأكيد ﴿ل﴾: حرف علةٍ وسببٍ ﴿فِي ضَلَالِكَ﴾:

خطئك البعيد عن الصواب **﴿الْقَدِيم﴾**: في حبك ليوسف؛ ولأنك لا تتساه، قال ابن عباس: في خطئك القديم، لازلت تُحب يوسف.

التكليف: قال السدي: من الألفاظ القرآنية "تغدنون"، نرى حدة وغلظة هؤلاء الأحفاد وهم يُخاطبون النبي ﷺ، ويخاطبون الوالد والجد، بهذه الألفاظ، علماً أن الفند هو خفة العقل، أي الخرف.

**﴿فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٩٦)**

**﴿فَلَمَّا﴾**: حرف يُفيد التتابع والسبب **﴿أَنْ﴾**: حرف تأكيد الفعل **﴿جَاءَ﴾**: وصل **﴿الْبَشِيرُ﴾**: حامل البشري لأبيهم؛ قال ابن عباس: البريد الذي يسبق القافلة، **﴿الْقَاهُ﴾**: وضعه **﴿عَلَى وَجْهِهِ﴾**: وضع قميص يوسف على وجه أبيه؛ **﴿ف﴾**: حرف استثنائي بهدف ترتيب الأمر ويفيد سرعة التنفيذ **﴿ارْتَدَّ بَصِيرًا﴾**: فعاد إلى النبي يعقوب بصره كما جاء في **﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾** [الأعراف-١٩٨] **﴿قَالَ﴾**: والقائل يعقوب ﷺ **﴿أَلَمْ﴾**: حرف استفهام بغرض التوبيخ والاستنكار **﴿أَقُلْ﴾**: قلت لكم من قبل **﴿لَكُمْ﴾**: لأولاده العائدين من عند يوسف ﷺ **﴿إِنِّي﴾**: أنا بالتأكيد **﴿أَعْلَمُ﴾**: يقيناً **﴿مِنْ﴾**: يفيد بداية الغاية **﴿اللَّهُ مَا﴾**: الذي **﴿لَا﴾**: حرف نفي **﴿تَعْلَمُونَ﴾**: من فضل الله ﷻ ورحمته وكرمه، بأنه سيرد إلي يوسف ويُحقق رؤيته فيكم.

التكليف: إن في قضية قميص يوسف والتي جاءت في هذه السورة تحديداً تأثير معجزة كبيرة، فقد كان قميص يوسف بأمر الله ﷻ نصيراً للحق، ومدافعاً عنه في ثلاثة مواضع؛ ففي الآية (١٨) كان القميص تبرئاً للذئب، وإدانةً لإخوة يوسف، وفي الآية (٢٨) كان القميص تبرئاً ليوسف ﷻ وإدانةً لامرأة العزيز، وفي الآية (٩٣) كان القميص سبباً في عودة بصر يعقوب ﷻ.

**﴿قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾ (٩٧)**

**﴿قَالُوا﴾**: أبناء يعقوب ﷻ **﴿يَا﴾**: حرف نداء **﴿أَبَانَا﴾**: تودداً **﴿اسْتَغْفِرْ لَنَا﴾**: عندما أيقن إخوة يوسف بخطيئتهم؛ طلبوا من أبيهم أن يطلب المغفرة لهم من الله ﷻ **﴿ذُنُوبَنَا﴾**: خطاياهم في حق أخيه يوسف، ومعاناة أبيهم **﴿إِنَّا﴾**: قالوا نحن بالتأكيد **﴿كُنَّا﴾**: في السابق **﴿خَاطِئِينَ﴾**: جاء اللفظ خاطئ في القرآن الكريم على ثلاثة أوجه هنا بمعنى مُذنب.

التكليف: أخيراً اعترف إخوة يوسف أنهم كانوا مذنبين في حق يوسف، وفي كذبهم على أبيهم.

﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (٩٨)

﴿قَالَ﴾: النبي الأب ﴿سَوْفَ﴾: وعدٌ بعملٍ في المستقبل ﴿أَسْتَغْفِرُ﴾: أطلب المغفرة ﴿لَكُمْ﴾: تحديداً من ﴿رَبِّي﴾: هو المُعبود، والمُربي، وهو المنشئ كل شيء من طورٍ إلى طورٍ إلى حدِّ التمام وهو الخالق، والمالك، والعاطي، وكثيرُ الخير، والمُحيط، والمُدبّر، والجابرُ لكسر البرايا، والثابت، والقريب، والجامع، والمصلح، والسيّدُ أطلب الغفران لكم من الله ﷻ مالك الملك ﴿إِنَّهُ﴾: هو ﷻ بالتأكيد ﴿هُوَ الْغَفُورُ﴾: واسع المغفرة ﴿الرَّحِيمُ﴾: شامل الرحمة، هذه ثقة الأنبياء عليهم السلام، في غفرانٍ، وِعفوٍ، وِسماحٍ الذي يغفر الذنوب، ويرحم العاصين إن تابوا.

التكليف: خرج النبي يعقوبُ ﷻ وأهلُهُ من فلسطين إلى مصر؛ حيث كان يوسف ﷻ، في انتظارهم.

﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبْوِيهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾ (٩٩)

﴿فَلَمَّا﴾: حرفٌ يُفيد التتابع والسبب ﴿دَخَلُوا﴾: دخل إخوة يوسف ودخل أبوه يعقوب ﷻ، وبقية العائلة ﴿عَلَى يُوسُفَ﴾: على عزيز مصر؛ ﴿آوَى﴾: ضمَّ يوسف ﷻ، وجمع ﴿إِلَيْهِ أَبْوِيهِ﴾: أبويه في بيته وفي كنفه، وقيل أبوه وزوجة الأب ﴿و﴾: عطفاً على ما سبق ﴿قَالَ﴾: يوسف ﷻ ﴿ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ﴾: جعل يوسف ﷻ الأمان بمشيئة الله ﷻ؛ لا تخافون مما تكرهون، وقيل إنَّ يوسف استقبلهم منتظراً قدومهم خارج مصر ﴿آمِنِينَ﴾ مطمئنين، لا ينقص غذاء ولا ماء؛ فلا جوع ولا عطش، ولا خوف عليكم من معتدين.

التكليف: جعل يوسف مشيئة الله ﷻ متقدمةً على قوله ﷻ آمنين، بمعنى دخول مصر آمنين إن شاء الله ﷻ.

﴿وَرَفَعَ أَبْوِيهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ (١٠٠)

﴿و﴾: عطفاً على ما سبق ﴿رَفَعَ﴾: يوسف ﷻ ﴿أَبْوِيهِ﴾: والمقصود هو أبوه وأمه، أو خالته، قال ابن عباس: أجلسهما ﴿عَلَى الْعَرْشِ﴾: على المقعد الذي عليه يجلس، ﴿وَوَخَّرُوا﴾: أسرعوا ﴿لَهُ﴾: تخصيصاً ﴿سُجَّدًا﴾: سجد له أبواه، وسجد كلُّ إخوته الباقين؛ سجود تكريمٍ، وطاعةٍ، وليس سجود عبادة، قال قتادة: كان السجودُ مشروعاً، إذا سلم الصغير على الكبير؛ يسجد أمامه، وقد استمر ذلك من عهد آدم وحتى عهد عيسى، عليهما السلام، ثم حُرِّمَ،



وصار السجود لجناب الله ﷺ فقط **﴿وَقَالَ﴾**: يوسف **﴿يَا﴾**: نداء للقريب **﴿أَبْت﴾**: كم كان يوسف مشتاقاً أن يقول يا أبتى **﴿هَذَا﴾**: الذي نحن فيه اليوم **﴿تَأْوِيل﴾**: تفسير عملي ل **﴿رُؤْيَاي﴾**: ما رأيته في منامي **﴿مِنْ﴾**: حرف بيان النوع وتمييزه، ويفيد ابتداء الغاية الزمانية **﴿قَبْل﴾**: كان هذا تطبيقاً عملياً لرؤية يوسف **﴿الَّتِي﴾**، يوم كان طفلاً **﴿قَدْ﴾**: حرف جرّ يفيد هنا التحقق بالتأكيد؛ لأنه وقع هنا على الفعل الماضي **﴿جَعَلَهَا رَبِّي﴾**: مالك أمرهم كله **﴿حَقًّا﴾**: عندما تتحقق الرؤيا يسمى تأويلاً، لقد تحققت الرؤيا **﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي﴾**: أحسن بالخير والنعم عليّ **﴿إِنْ﴾**: حرف يفيد تحقق فيما مضى من الزمن بمعنى حين **﴿أَخْرَجَنِي مِنْ﴾**: حرف يفيد بداية الغاية المكانيّة **﴿السِّجْنِ﴾**: أخرجني من السجن بريئاً منتصراً على الظلم **﴿وَجَاءَ بِكُمْ مِنْ﴾**: يفيد بداية الغاية المكانيّة **﴿الْبَدْوِ﴾**: من البادية، بلاد البدو، قال ابن إسحق: وكان عددهم ستة وثمانين إنساناً صغيراً وكبيراً **﴿مِنْ بَعْدِ أَنْ﴾**: حرف تأكيد الفعل **﴿نَزَعَ الشَّيْطَانُ﴾**: بعد أن أفسد وحرّش وأوقع الشيطان البغضاء **﴿بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي﴾**: والأخ والأخت هم المشارك لآخر من الأب والأمّ أو أحدهما بين يوسف وإخوته، **﴿إِنْ﴾**: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار **﴿رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا﴾**: ما حدث في الماضي **﴿يَشَاءُ﴾**: إذا أراد الله شيئاً هياً له أسباباً، وقدره، ويسره **﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ﴾**: يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور **﴿الْحَكِيمُ﴾**: يفعل الحق في كل أمر للمسلمين المصدقين، ويعاقب بالحق كل المخالفين.

التكليف: عدّد يوسف **﴿الَّتِي﴾**، بعض النعم عليه وعلى أهله، منها الخروج من السجن، ومجيء أهله من البادية في أرض كنعان، واللفظ أو الرّفق الإلهي بالعباد حيث جمع الأسرة هذا الجمع الكريم الحافل السارّ، بعد إيقاع الشيطان الحسد بينه وبين إخوته، وذلك كله بفعل الله ﷺ وفضله. تحققت رؤيا يوسف **﴿الَّتِي﴾**، التي رآها في صغره، واختلف العلماء في مقدار المدّة بين زمن الرؤيا قوعها، فقيل: ثمانون سنة، وقيل: سبعون، وقيل: أربعون، وهو قول الأكثرين، ولذلك يقولون: إن تأويل الرؤيا إنّما صحّت بعد أربعين سنة. إذا أراد الله ﷺ شيئاً هياً أسبابه ويسرها، فحصول الاجتماع بين يوسف **﴿الَّتِي﴾** وأبيه وإخوته مع الألفة والمحبة، وطيب العيش، وفراغ البال، كان في غاية البعد، إلا أنّه **﴿لَطِيفٌ﴾** بعباده.

**﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ (١٠١)**

**﴿رَبِّ﴾**: يعترف يوسف **﴿الَّتِي﴾** في محطة العطاء الربّاني الكبير، كما اعترف وهو في البئر، وفي السجن؛ أنّ الله **﴿الَّتِي﴾** مالك أمره كله **﴿قَدْ﴾**: حرف جرّ يفيد هنا التحقق بالتأكيد؛ لأنه وقع

هنا على الفعل الماضي **﴿آتَيْتَنِي﴾**: وهبت لي **﴿مِنَ الْمَلِكِ﴾**: قال يوسف **﴿تَحِبُّا وَتَقَرُّبًا﴾** وشكرًا لله **﴿رَبِّ جَعَلْتَنِي عَزِيزٌ مِّمَّنْ﴾** مصر بما ولّاني ملكُ مصر من شأن خزائن الأموال **﴿وَوَ﴾**: أيضًا **﴿عَلَّمْتَنِي مِنْ﴾**: هنا تعني بداية الغاية كلّ، وليس جزءًا بالتأكيد **﴿تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾**: علمتني تفسير كلّ الرؤى الصادقة، أنت **﴿فَاطِرٌ﴾**: خالق بغير سابق وجود **﴿السَّمَاوَاتِ﴾**: هي كلّ ما علا الأرض وأحاط بها؛ لأنها ببيضاوية الشكل، مُبدعها ومُزَيِّنُهَا **﴿وَوَ﴾**: أيضًا أنت سبحانك فاطر، المنشئ للكون بمن وبما فيه بلا سابق مثال **﴿الْأَرْضِ أَنْتَ﴾**: وحدك لا شريك لك **﴿وَلِيَّتِي﴾**: المُتَوَلِّي لِأَمْرِي، وناصرِي، والمؤيِّدُ لي، وما أسعد العبد إذا كان الله وليه، ينصره حين يخذله الناس، يصدقه حين يكذبه الناس، يكون معه حين يتركه الناس، يقضي حاجته، ويكشف كربته، ويزيل غربته **﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾**: أنت حبيبي، وناصرِي، ومؤيِّدي في الآخرة **﴿تَوَفَّنِي﴾**: أقبضني إليك وأنا **﴿مُسْلِمًا وَ﴾**: على جادة الإسلام وثبتتني حتى ألقاك سبحانك؛ عطفًا على هذا **﴿الْحَقْنِي﴾**: ضمّني واجمعني **﴿بِ﴾**: حرف باء الالتصاق والصلة **﴿الصَّالِحِينَ﴾**: قيل لما لقي يوسف **﴿يُوسُفَ﴾** إخوته دعا الله **﴿يُوسُفَ﴾** أن يتوفاه مُسلمًا مع النبيين، والمرسلين، عليهم الصلاة والسلام، ويحتمل أنه قال هذا الدعاء عند احتضاره، ويُحتمل أن يوسف **﴿يُوسُفَ﴾**، سأل أن يموت على الإسلام واللحاق بالصالحين إذا جاء أجله، وانقضى عمره، ويُحتمل أنه طلب ذلك فورًا، فقد كان هذا في ملّتهم؛ فبعد هذا النعيم اشتاق يوسف **﴿يُوسُفَ﴾** لصحبة الصالحين.

**التكليف**: لا يجوز هذا الدعاء إلا في حالات حدوث الفتن؛ ومن الأمثلة السابقة عندما هدّد فرعون السحرة الذين آمنوا بموسى **﴿يُوسُفَ﴾**، فقد جاءت شهادةُ الله **﴿يُوسُفَ﴾** بقولهم: **﴿رَبَّنَا أفرغ علينا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾** [مريم- ٢٣] فلا يجوز في شريعتنا تمنّي الموت، بدليل ما ثبت عن أنس بن مالك **﴿رَضِيَ اللهُ عَنْهُ﴾**، قال النبي **﴿صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ﴾**: لَا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ مِنْ ضُرِّ أَصَابِهِ، فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ فَاعِلًا، فَلْيُقُلْ: اللَّهُمَّ أَحْبِبْنِي مَا كَانَتْ الْحَيَاةُ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتْ الْوَفَاةُ خَيْرًا لِي<sup>(١)</sup>، وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله **﴿صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ﴾**: «لَا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ، وَلَا يَدْعُ بِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُ، إِنَّهُ إِذَا مَاتَ أَحَدُكُمْ انْقَطَعَ عَمَلُهُ، وَإِنَّهُ لَا يَزِيدُ الْمُؤْمِنَ عُمُرَهُ إِلَّا خَيْرًا»<sup>(٢)</sup>.

**﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾ (١٠٢)**

(١) صحيح البخاري ١٢١/٧ (٥٦٧١).

(٢) صحيح مسلم ٢٠٦٥/٤ (٢٦٨٢).

﴿ذَلِكَ﴾: إشارةً للبعيد، ما قصصناه عليك يا محمد ﷺ في قصة يوسف عليه السلام، ﴿مِنْ﴾: حرفٌ جرٌّ يفيد النوع وتمييزه وتفيد هنا ابتغاء الغاية المكانية ﴿أَنْبَاءٍ﴾: من أخبار وقصص الأنبياء السابقين ﴿الْغَيْبِ﴾: التي لم تكن تعلمها من قبل ﴿نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾: نعلمك إياه يا محمد ﷺ؛ للعبارة والاعتاظ ﴿وَمَا﴾: حرف نفي ﴿كُنْتُ لَدَيْهِمْ﴾: لم تكن مع ولم تشاهد إخوة يوسف عليه السلام، وهذا يعني الغيب الذي غاب عنك يا محمد ﷺ؛ فلم تكن حاضرًا معهم؛ وغاب عن قومك ﴿إِنْ﴾: حرفٌ تعليل يُفيدُ هنا ما حدث في الماضي حين يوم ﴿أَجْمَعُوا﴾: توافقوا جميعًا على الكيد ﴿أَمْرَهُمْ﴾: مؤامرتهم على إلقاء يوسف في البئر ﴿وَهُمْ﴾: عطفًا على ما سبق، وهم تحديدًا ﴿يَمْكُرُونَ﴾: يُكيدون، ويتآمرون على إلقاء يوسف عليه السلام، في البئر العميقة. التكليف: الإخبار بقصة يوسف وغيرها من قصص الأنبياء السابقين مع أقوامهم وهي من أنباء الغيب الدالة على المعجزة: تؤكد كون القرآن كلام الله تعالى، وصدق النبي صلى الله عليه وآله في دعوته، فذلك معجزة لرسول الله صلى الله عليه وآله.

﴿وَمَا أَكْثَرَ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ (١٠٣)

﴿وَمَا﴾: حرف نفي ﴿أَكْثَرَ النَّاسِ﴾: يُخبر الحق تعالى نبيه محمدًا ﷺ أن غالبية الناس المشركين من قومك، ﴿وَلَوْ﴾: حرف يفيد الاستحالة ﴿حَرَصْتَ﴾: والحرصُ هو طلبُ الشيءِ باجتهادٍ، مهما سعيت، وبذلت جهودًا كبيرة؛ للحصول عليه أو تحقيقه، وهو هنا حرصك على إيمانهم ﴿بِمُؤْمِنِينَ﴾: لن يصدقوك ولن يتبعوك؛ ولن تستطيع أن تهديهم لتصميمهم البقاء على الكفر.

﴿وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾ (١٠٤)

﴿وَمَا﴾: حرف نفي ﴿تَسْأَلُهُمْ﴾: تطلب منهم يا محمد الإيمان بالله تعالى ﴿عَلَيْهِ مِنْ﴾: بعض أو جزء ﴿أَجْرٍ﴾: أي لا تطلب على ما تتلوه من القرآن، أو ما توضحه من أركان الإيمان، أو ما تُحدثهم به من حال الأمم السابقة، ومهما دعوتهم للهدى؛ لم تأخذ مُقابل ما تعظ به الناس، ﴿إِنْ﴾: بمعنى ما ﴿هُوَ﴾: ضمير منفصل مرفوع للغائب المفرد المذكر، ويعني هنا القصص القرآني ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿نِكْرٌ﴾: تذكرةٌ ومعرفةٌ ﴿لِ﴾: حرف تخصيص ﴿الْعَالَمِينَ﴾: تذكرة، وهداية، وطريق نجاة في الدنيا، للعالم أجمع، في كلِّ زمانٍ وكلِّ مكانٍ.

﴿وَكَايِنٍ مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ (١٠٥)

﴿وَ﴾: عطفًا على هذا ﴿كَايِنٍ﴾: اسمٌ مركبٌ يفيد الكثرة في العدد ﴿مِّنْ﴾: حرفٌ جرٌّ يفيد النوع وتمييزه وتفيد هنا ابتغاء الغاية المكانية ﴿آيَةٍ﴾: دليلًا على توحيد الله تعالى، توجد أعدادٌ

كثيرةً من الدلائل، والبراهين، للتفكر، والتقدير، والإيمان **﴿فِي السَّمَاوَاتِ﴾**: في كل ما علا الأرض، وأحاط بها؛ لونها بيضاوية الشكل الكواكب المنيرة، والسيارة **﴿و﴾**: أيضًا يمرّون عليها في **﴿الْأَرْضِ﴾**: كل المخلوقات التي على الأرض، من نبات وحيوانٍ وأشجارٍ ومياه وجمال وبحار وقفار وحيوانات وطيور وحشرات.. وغيرها من النعم **﴿يَمُرُّونَ عَلَيْهَا﴾**: يسيرون فيها أو بجانبها **﴿وَهُمْ﴾**: تحديدًا **﴿عَنْهَا﴾**: عن الآيات **﴿مُعْرِضُونَ﴾**: لا يلتفتون إليها، ولا يتدبرونها، ولا يستفيدون منها.

**التكليف**: ما أكثر الآيات، أي الدلائل الدالة على وجود الله ﷻ وقدرته وحكمته وعلمه ورحمته، في السماوات والأرض من نجوم، وكواكب، وبحار، وأنهار، وجمال، ونباتات وأشجار، وصحارٍ شاسعات، وأحياءٍ وأمواتٍ، وحيوانٍ وثمراتٍ مختلفة الطعم، والزواجر، والألوان، والصفات. وهذه كلها أدلة محسوسة.

**﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ (١٠٦)**

**﴿وَمَا﴾**: حرف نفي **﴿يُؤْمِنُ﴾**: تُصدّق قلوبهم ويقر ويعترف **﴿أَكْثَرُهُمْ﴾**: غالبية وأكثر الناس **﴿بِاللَّهِ﴾**: هنا تُظهر الآية الكريمة نموذج خلط الإيمان بالشرك في الشخص الواحد، قال ابن عباس و مجاهد، وعطاء، والشعبي، وقتادة، والضحاك: من إيمانهم إذا قيل لهم مَنْ خَلَقَ السموات والأرض ومن خلق الجبال؛ قالوا: الله **﴿إِلَّا وَ﴾**: عطفاً على هذا **﴿هُمْ﴾**: ضميرٌ منفصلٌ مرفوعٌ للجمع المذكر والمؤنث الغائب؛ للتحديد والتخصيص والتأكيد **﴿مُشْرِكُونَ﴾**: بالله ﷻ، يعبدون معه آلهةً أخرى، وهي تُقال على المنافق، الذي إذا عمل عملاً كان رياءً للناس، وهو مشركٌ بعمله، وهو الشرك الأصغر.

**﴿أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (١٠٧)**  
**﴿أ﴾**: حرف استفهام بغرض الاستنكار **﴿ف﴾**: حرف يفيد السبب وفي تتابع سريع **﴿أَمِنُوا﴾**: هل عندكم ما يجعلكم آمنين أيها المشركون **﴿أَنْ﴾**: حرف تأكيد الفعل **﴿تَأْتِيَهُمْ﴾**: تُصيبهم **﴿غَاشِيَةٌ﴾**: عقوبةٌ دنيويةٌ مفاجئةٌ تغشاهم **﴿مِنْ﴾**: حرف جرٍ يفيد النوع وتمييزه وتفيد هنا ابتغاء الغاية المكانية **﴿عَذَابِ اللَّهِ﴾**: من حيث لا يتوقعون، مثل الخسف، أو عذابٍ شديدٍ من مكونات الطبيعة، مثل الرياح العاصفة، التي تجتاح أمريكا مثلاً، أو ثورة البراكين، أو الزلازل، أو الخسف **﴿أَوْ﴾**: حرف يفيد التسوية بين متعاطفين **﴿تَأْتِيَهُمْ﴾**: تصيبهم في يوم **﴿السَّاعَةِ﴾**: أو تقوم القيامة، وهم لا يعلمون متى **﴿بَغْتَةً﴾**: فجأة، تفاجئ الجميع **﴿وَهُمْ﴾**: تحديدًا **﴿لَا﴾**:

حرف نفي ﴿يَشْعُرُونَ﴾: لا يعرفون، قال ابن مسعود: أكبر الكبائر الإشراك بالله، والأمن من مكر الله، والقنوط من رحمة الله، واليأس من روح الله.

﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١٠٨)

﴿قُلْ﴾: أمر ربّاني لمحمد ﷺ ﴿هَذِهِ سَبِيلِي﴾: معنى "السبيل" هنا: الدين والملة، يأمر الله ﷻ نبيه محمد ﷺ أن يقول للإنس، ولكلّ الخلق إنّ طريقه هذه الدعوة التي ﴿أَدْعُو إِلَى اللَّهِ﴾: أطلب فيها من الجميع عبادة الله ﷻ وحده، لا شريك له ﴿عَلَى بَصِيرَةٍ﴾: برؤية، ويقين، وبرهان، وتصديق، وحبّة واضحة، أولها شهادة: أنّ لا إله إلا الله، لا شريك له ﴿أَنَا وَمَنِ﴾: والذي من البشر ﴿اتَّبَعَنِي﴾: آمن برسالتي وصدّقني ونصرني ﴿و﴾: عطفاً على ما سبق ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ﴾: أنزه الله ﷻ عن أيّ نقص، وأعظمه، وأقدّسه ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾: لا أجعل مع الله ﷻ شريكاً، أو عديلاً، أو ولداً، أو والداً، أو صاحبةً، أو وزيراً، أو مشيراً. التكليف: طريقة النبي ﷺ وسنته ومنهاجه، ومنهاج أتباعه المؤمنين به الدعوة إلى ما يؤدي إلى الجنة، على يقين وحق، وشعار المؤمن دائماً: سبحان الله وما أنا من المشركين، أي أنزه الله عن أي شريك، ولست من الذين يتخذون من دون الله أنداداً أي نظراء لله.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (١٠٩)

﴿وَمَا﴾: حرف نفي لم يعهد يا محمد ﷺ ﴿أَرْسَلْنَا﴾: بعث الله ﷻ من رسول ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ يفيد النوع وتمييزه وتقيد هنا ابتغاء الغاية الزمانية ﴿قَبْلِكَ﴾: كل من سبقوك ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء منقطع ﴿رَجَالًا﴾: يُخبر الله ﷻ نبيه محمداً ﷺ أنّه أرسل من قبله رسلاً، من الملائكة لكن كلّ الذين سبقوك كانوا من الرجال، ولم يرسل من النساء أحدًا هذا قول جمهور العلماء، وزعم بعضهم أنّ سارة؛ امرأة إبراهيم الخليل، وأم موسى عليهم السلام، و مريم بنت عمران؛ أم عيسى من الأنبياء، هنّ قد أصبن من الفضل، ولكنهن لسن من الأنبياء، بل هن صديقات؛ كما أخبر عن مريم ابنة عمران؛ قال ﷻ: ﴿وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾ [المائدة-٧٥] ﴿نُوحِي إِلَيْهِمْ﴾: نبعت فيهم الملك وحيًا إِلَيْهِمْ ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ يفيد النوع وتمييزه وتقيد هنا بعض ﴿أَهْلِ﴾: سكان سگان ﴿الْقُرَى﴾: من سكان المُدن، وليسوا من أهل البادية أصحاب الأخلاق الصعبة، من أهل الحاضرة، فهم أقدر على فهم الدعوة والرسالة ﴿أَفَلَمْ﴾: أداة توكيد وجزم ﴿يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾: يقصد بهم الذين يكذبون برسالة محمد ﷻ ﴿ف﴾: حرف فاء السبب ﴿يَنْظُرُوا﴾:

يدرسوا الأسباب؛ يتأملوا، ويروا **﴿كَيْفَ﴾**: حرف استفهام بغرض التعجب والاستتكار **﴿كَانَ﴾**: في الماضي **﴿عَاقِبَةُ﴾**: نهاية **﴿الَّذِينَ﴾**: اسمٌ موصولٌ يفيد هنا جميع من كان من تجارب الأمم الكافرة السابقة **﴿مَنْ﴾**: حرف بيان النوع وتمييزه، وتقيد هنا بداية الغاية الزمانية **﴿قَبْلِهِمْ﴾**: كيف كانت نتيجة هؤلاء المكذبين من أمثالهم **﴿وَ﴾**: عطفاً على هذا **﴿لَدَا﴾**: بيت ومكان **﴿الْآخِرَةِ﴾**: إن نعيم الجنة في الآخرة **﴿خَيْرٌ﴾**: منفعة **﴿لِ﴾**: حرف تخصيص **﴿الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾**: للذين يعبدون الله **﴿بِإِيمَانٍ﴾**، برجاء الثواب، وينتهون عن المعاصي **﴿أَفَلَا﴾**: حرف استفهام بغرض الإنكار والتوبيخ **﴿تَعْقِلُونَ﴾**: تقولون وتفعلون الصواب؟

**﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مِنْ نَشْءٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ (١١٠)**

**﴿حَتَّى﴾**: حرف جرّ يدلُّ على انتهاء الغاية الشرطية، أي لن يُصدقوا إلا بشرط **﴿إِذَا﴾**: ظرف لما يُستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط ما بعدها بما قبلها، ربطاً منطقيّاً **﴿اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ﴾**: ينقطع الأمل والرجاء من النصر بعقوبة قومهم عندما يحيط ضيق الحال، وتشتد الصعاب، ويكون الرسول أو النبي في أشد الحاجة إلى عون الله **﴿وَظَنُّوا﴾**: أيضاً تأكدوا **﴿أَنَّهُمْ﴾**: هم بالتأكيد **﴿قَدْ﴾**: حرف جزم دخل هنا على الفعل الماضي فأفاد التأكيد **﴿كُذِّبُوا﴾**: بمعنى استبطأوا النصر قراءتان: كُذِّبُوا قراءة عائشة: استيقن الأنبياء أنّ أقوامهم قد كذبوهم والقراءة الثانية: كَذَّبُوا: ظنّ النَّاسُ أنّ الرُّسُلَ كذبوا عليهم **﴿جَاءَهُمْ نَصْرُنَا﴾**: جاء النصر لرسول الله **﴿فَجَاءَ﴾**، جاء اللفظ بصيغة الجمع؛ لتعظيم النصر **﴿ف﴾**: حرف يفيد السبب والتتابع السريع **﴿نُجِّيَ﴾**: نُنقذ **﴿مَنْ﴾**: الذي من جنس العاقل **﴿نَشْءٍ﴾**: يُنجي الله **﴿بِأَسْنَا﴾**: يمتنع **﴿بِأَسْنَا﴾**: قوتنا، وبطشنا، وعذابنا **﴿عَنِ﴾**: حرف جرّ بمعنى على **﴿الْقَوْمِ﴾**: الجماعة من أصلٍ واحدٍ أو أصحابٍ مذهبٍ واحدٍ **﴿الْمُجْرِمِينَ﴾**: لا أحد يمنع وقوع العذاب على الكافرين.

التكليف: إن نصر الله ثمين، ثمه باهظ، ثمه الصبر والجلد، وتحمل الأذى، وتحمل المعارضة والمكر، ثمه هذه المضايقات، هذه المحن التي ابتلي بها الأنبياء.

**﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (١١١)**

**﴿لَقَدْ﴾**: حرف إثبات ما حدث أقوى ما يكون في الماضي والمضارع، ولا تقيد في المستقبل **﴿كَانَ فِي قَصصِهِمْ﴾**: كان في الإخبار في قصص الأنبياء، وخبر المرسلين في عداوتهم

للمؤمنين، وهلاك المشركين ﴿عَبْرَةٌ﴾: تذكرة وموعظة ﴿أُولَى﴾: تخصيصاً لأصحاب ﴿الْأَلْبَابِ﴾: العقول، والفهم السليم؛ لأنَّ القصة وقعت بالفعل، وليست من صنوع الخيال، كما أنَّ العبر والعظات فيها واضحة الدلالة، وهي وسيلة مهمة في نشر الدين ﴿مَا﴾: حرف نفي ﴿كَانَ حَدِيثًا﴾: كلاماً ﴿يُفْتَرَى﴾: يدعيه، أو يختلقه شخصٌ أو جماعةٌ، أو يفترونه على الله ﷻ ﴿وَلَكِنْ﴾: حرف استدراكٍ وعطفٍ ﴿تَصْدِيقٌ﴾: تأكيد ﴿الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: مثلما كان في الكُتُبِ الْمُنزَّلَةِ من السماء من قبله، يُصدِّق ما فيها من الصحيح، وينفي ما وقع فيها من تحريف ﴿وَتَفْصِيلٌ﴾: أيضاً فيه شرح وتوضيح ﴿كُلٌّ﴾: تفيد العموم ﴿شَيْءٍ﴾: جاءت بصيغة نكرة لتؤكد العموم، فيها التحليل، والتحريم، وأمور الطاعات، والواجبات، والمستحبات، والنهي عن المحرمات، وما شاكلها، والإخبار عن الأمور الواضحة ﴿وَهْدَى رَحْمَةً﴾: جاء اللفظ "رحمة" هنا بمعنى القرآن الكريم ﴿لِقَوْمٍ﴾: تمليكاً لجماعةٍ كبيرةٍ من أصلٍ واحدٍ أو أصحابِ فكرٍ واحدٍ ﴿يُؤْمِنُونَ﴾: يهدي قلوب المؤمنين من التيه إلى الرشاد، ومن الضلال إلى الرشاد والسداد؛ فينالون رحمة الله ﷻ في الدنيا، وجنته في الآخرة.

لقد برز في سورة يوسف ﷻ، مجموعة من التهم الكبيرة والخطيرة في المجتمع الإنساني: الاتهام بالسرقة: والمتهم هو يوسف وأخوه بنيامين، والاتهام بالزنا والمتهم البريء يوسف، والاتهام الثالث هو القتل: والمتهم هو الذئب.

**التكليف:**

١- كان الهدف من هذه التهم الباطلة هو إجهاض مشروع الإسلام الذي يحمله يوسف ﷻ. لا شك أنَّ مقاصد قصة يوسف ﷻ رصيّدٌ تربويٌّ، وثقافيٌّ، متعددُ الفوائد، فقد أثبت القرآن وحياً خاصّة على سيدنا محمد ﷺ الذي أخبر قومه عن أقوامٍ لم يُخالطهم، ولم يسمع منهم، ولقد ربطت القصة بين إبراهيم ومحمد، عليهما الصلاة والسلام، وأكدت القصة على نتائج الأمم السابقة في النهاية، وأوضحت مخاطر طاعة الشيطان.

٢- إنَّ الإنسان مهما كان عليه من الصلاح والتقوى فيجب أن يكون محوطاً بالحذر والخوف من التغير والانحراف وإتباع الغواية.

- ٣- إن يعقوب عليه السلام، كان مؤمناً بمستقبل يوسف، صابراً على فقده، معتقداً وجوده في الدنيا، ولم يتطرق اليأس إلى قلبه طيلة هذه المدة الطويلة لغيبته.. ولا شك أن في هذا من العظة والعبرة ما يقوي الإيمان بفرج رب العالمين.
- ٤- إن لطف الله ﷻ بعباده ورعايته لحالهم مهما كان عامل اليأس فاعلاً ومسيطرًا عليهم فقد يتعرض الإنسان للكثير من المصائب. ولكن ذوو النفوس العالية لا تزيدهم الحوادث إلا ثباتاً وقوة وفلاحاً وإقداماً على تحقيق الأهداف.
- ٥- إن التوكل على الله ﷻ والاعتماد عليه جزء من أنواع العبادة ولكن هذا لا يمنع الأخذ بأسباب التوكل، والأسباب مهما كانت ليست رادة لقضائه. ومع ذلك فالأخذ بالأسباب لا يتنافى مع قضاء الله وقدره.



سُمّيت سورة الرعد بهذا الاسم في عهد السلف، ولم يختلف اثنان في اسمها، سُمّيت بالرعد بسبب قوله ﷻ ﴿ويسبح الرعد بحمده﴾ كما أنّ لفظ الرعد لم يُذكر في سورة مثل هذه السورة.

### ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿المر تلك آيات الكتاب والذي أنزل إليك من ربك الحق ولكن أكثر الناس لا يؤمنون﴾ (١)

﴿ال﴾: وكما هو معلوم فإن أصل الضمائر في الكلام أن تعود على متقدم في اللفظ والرتبة، ولا تعود على متأخر في اللفظ والرتبة، بمعنى ما هو الاسم الذي سبق، وعليه فإن الحرفين يدلان على اسم الله ﷻ، كما جاء سابقاً في سور البقرة، وآل عمران، والأعراف، ويونس، وهود، ويوسف، وما يعزز هذا هنا ما جاء في الآية رقم (١) ﴿تلك آيات الكتاب﴾؛ والكتاب هو القرآن الكريم الذي نزل من عند الله ﷻ، وجاء أيضاً في الآية رقم (٢) ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ﴾، وجاء أيضاً اسم الله في الآية رقم (٣) ﴿وهو﴾: والضمير عائد على الله ﷻ الذي مدَّ الأرض ﴿ولم يمد الأرض أحدٌ غير الله ﷻ﴾.



**حرف ﴿م﴾**: أراه، والله أعلم، يعني: اسم محمد ﷺ، والدليل ما جاء سابقًا في سور البقرة، وآل عمران، والأعراف وفي هذه السورة جاء في الآية رقم (١) **﴿وَالَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ﴾** والضمير يعود على محمد ﷺ، ولم يرد ما يشير إلى غير محمد ﷺ، ومن المعروف أنّ القرآن نزل من الله ﷻ على محمد ﷺ، وجاء في الآية رقم (٥) **﴿وَإِنْ تَعْجَبْ﴾** والخطاب هنا لمحمد ﷺ وجاء في الآية (٦) **﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾** والضمير هنا يعود لمحمد ﷺ، وجاء في الآية (٧) **﴿لَوْلَا أَنْزَلْ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾** والضمير يعود على محمد ﷺ، وجاء أيضًا إنما أنت مُنذِرٌ والضمير يعود على محمد ﷺ.

**حرف ﴿ر﴾**: أرى، والله أعلم، أنها بمعنى رب، وما يعزز ذلك ما جاء في النص الصريح في الآية رقم (١) **﴿مِنْ رَبِّكَ﴾** وقد جاء في الآية رقم (٢) **﴿بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ﴾**، وجاء أيضًا في الآية (٥) **﴿الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ﴾**، وجاء أيضًا في الآية رقم (٦) **﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾**، وجاء في الآية (٧) **﴿آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾**.

مع ملاحظة أنّ كلّ سورة بدأت بهذه الحروف المقطعة في أولها فيها انتصارات للقرآن، وتبيان أنّ القرآن الكريم هو كلمات الله ﷻ؛ لا ريب فيه **﴿تِلْكَ آيَاتُ﴾**: اسم إشارة للبعيد؛ للدلالة على علو شأن، مكونات السورة، إجمالاً بعد تفصيل، أو عمومٌ بعد تخصيص، أدلّة وبراهين **﴿ال﴾**: جاءت ال التعريف للتخيم والتعظيم، الكامل في بيانه، السامي في إعجازه **﴿كِتَابِ﴾**: القرآن الكريم **﴿وَالَّذِي أَنْزَلَ﴾**: وحي من السماء **﴿إِلَيْكَ﴾**: نزل على محمد ﷺ **﴿مِنْ﴾**: حرف بيان النوع وتمييزه، وتقيد هنا بداية الغاية الكلية **﴿رَبِّكَ﴾**: من مالك أمرك كلّهُ؛ هو **﴿الْحَقُّ﴾**: الذي أنزل إليك حق، ومن ربك الحق **﴿وَلَكِنَّ﴾**: حرف عطف يفيد الاستدراك **﴿أَكْثَرَ﴾**: غالبية **﴿النَّاسِ﴾**: من أهل مكّة، ويأتي لفظ الناس ليفيد عموم البشر، ليؤكد في هذا الزمان أنّ أربعة أخماس عدد سكان الكرة الأرضية ليسوا مسلمين، **﴿لَا﴾**: حرف نفي **﴿يُؤْمِنُونَ﴾**: شهادة من الله ﷻ أنّ أغلبية البشر غير مؤمنين بسبب عنادهم، ونفاقهم، ومخافتهم الرسل، وكُتِبَ الله ﷻ.

**التكليف**: بقراءة تاريخ البشرية تتأكد عمليًا هذه الحقيقة، أغلب النَّاس ليسوا مؤمنين، ومع ذلك سيبقى الإسلام ينتصر في أسوأ الظروف، فهذا القولُ تثبيتٌ لكلِّ رسول؛ وللمسلمين من بعده ألا يحزنوا لكثرة الكافرين والمنافقين، وهذا تعليمٌ لكلِّ حركةٍ إسلاميةٍ إصلاحيةٍ، أنّها ستعمل في أوساطٍ غير مؤمنة.

﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ (٢)

﴿اللَّهُ الَّذِي﴾: اسمٌ موصولٌ هنا للمفرد، الواحد، الأحد، ﷻ ﴿رَفَعَ﴾: جعلها بقدرته ﷻ عالية عن الأرض، وهي في الحقيقة تحيط بها ﴿السَّمَاوَاتِ﴾: هي كلُّ ما علا الأرض، وأحاط بها، والأرض ببيضاوية الشكل، فُطْرُهَا (٧٤٠، ١٢) كيلومتر تقريباً، تُدَوِّرُ في فضاءٍ هو السماء، الذي يعلوها في كلِّ موقعٍ ﴿بِغَيْرِ﴾: حرف استثناء ﴿عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾: فمن كمال قدرة الله ﷻ أنكم لا تُشاهدون أعمدة ترفع السماء عن الأرض، أنتم في عالمٍ تحكمه علاقاتٌ من الجاذبية، والطرْدِ المركزي، والجاذبية هي روابطٌ عظيمةٌ دائمةٌ تنشأ من وجود شحناتٍ كهربائيةٍ عظيمةٍ، تشدُّ هذه المخلوقات العظيمة؛ لتقترب؛ ولتلتصق ببعض، ويُعاكسها في الاتجاه، وبالقوة نفسها، قوة الطرد المركزي؛ التي تنشأ عن دوران أيِّ شيءٍ، وبخاصة دوران هذه الكواكب العظيمة، هو نظامٌ بديعٌ، ومُسخَّرٌ، لا يحتاج إلى أعمدة، بل يحتاج إلى دراسة علم الفلك، نحن لا نُشاهد أعمدة، ولكننا نعرف أنّ هناك ما يقوم بدورٍ أعظم من الأعمدة المرئية، يعرفها المؤمن والكافر، ولا ينكرونها، وهذه من آيات الله ﷻ التي جاءت في الآية السابقة ﴿ثُمَّ﴾: حرف يفيد التتابع الزمني ﴿اسْتَوَى﴾: علا على العرش وارتفع، استواءً يليق به ﷻ ﴿عَلَى الْعَرْشِ﴾: قال ابن عباس: كان فوق العرش حين خلق السماوات والأرض. يعلوها علواً كبيراً ﴿و﴾: عطفًا على هذا ﴿سَخَّرَ﴾: خلق المخلوقات، وأمرها، وهياها، ومنها ﴿الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾: أن يجريا بلا انقطاع، ولا امتناع، وقد سَخَّرَ اللهُ ﷻ غيرها من الكواكب، ولكن الشمس والقمر يظهران للإنسان على الأرض، فكلُّ الكواكب مُسخَّرةٌ أيضًا ﴿كُلٌّ﴾: نقيض الجميع ﴿يَجْرِي﴾: يتحرك بسرعة ﴿لِأَجَلٍ﴾: إلى ميعاد ﴿مُسمًى﴾: محدّدة في الليل والنهار، قدره الله ﷻ ﴿يُدَبِّرُ﴾: يُحكم ﴿الْأَمْرَ﴾: المخلوقات كلّها بإرادته ﴿يُفَصِّلُ﴾: يوضّح ﴿الآيَاتِ﴾: ويزيد في تبيان الأدلّة والبراهين على ربوبيته ﴿لَعَلَّكُمْ﴾: حرف يفيد التوقع والترجي عند البشر ﴿ب﴾: حرف باء الصلة ﴿لِقَاءِ رَبِّكُمْ﴾: عودتكم إلى الله ﷻ بالموت؛ وبعثتكم يوم القيامة ﴿تُوقِنُونَ﴾: تتأكدون أنكم عائدون إلى الله ﷻ أنكم ستتركون الدنيا بالموت، وتبعثون يوم القيامة؛ لعلكم تتأكدون من هذا اللقاء، وتؤمنون به، وتعملون له.

﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا رَوْحَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (٣)

﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿هُوَ﴾: ضميرٌ منفصلٌ مرفوعٌ للغائب المفرد المذكر، ويعني هنا الله ﷻ ﴿الَّذِي﴾: اسمٌ موصولٌ هنا للفرد الواحد الأحد ﷻ ﴿مَدَّ الْأَرْضَ﴾: بعد ذكر خلق السموات والأرض جاء ذكر الأرض، وذكر فيها ﷻ خاصيةٌ مُمتدةٌ متسعةٌ طولًا وعرضًا؛ رغم أنها كروية؛ فلا يشعر الإنسان إلا أنها بساط؛ ليتمكن الإنسان والحيوان من السير عليها والانتفاع بثرواتها ﴿و﴾: أيضًا ﴿جَعَلَ﴾: خلقها متسعة ممتدة مهياة لمعاشكم ﴿فِيهَا﴾: على الأرض ﴿رَوَاسِي﴾: والرواسي هي الجبال الشاهقة؛ التي تُثبِت الأرض، وفي هذه الكلمة إعجازٌ كبيرٌ، فالشيء هنا الذي يستحق أن يكون ثابتًا وراسخًا هو الشيء المتحرك، وفي هذا إشارة على حركة الأرض، جاءت لقومٍ لا يعلمون ذلك ﴿وَأَنْهَارًا﴾: بدراسة دورة ماء الأرض؛ يعرف الإنسان كيف يتبخر الماء، ثم يتجمع في السحاب، ثم ينزل في أماكن بعيدة ثم يجري في الأنهار، بمشيئة الله ﷻ ﴿وَمِنْ كُلِّ﴾: نقيذ العموم ﴿النَّمْرَاتِ﴾: ما ينتجه النبات ﴿جَعَلَ﴾: هيا وأعد ﴿فِيهَا﴾: في الأرض ﴿زُوجِينَ﴾: لم يكتفِ ﷻ بالقول زوجين ﴿أُنثَيْنِ﴾: فجعل ﷻ من جميع أنواع الثمار صنفين من كل ثمرة جزءًا مذكرًا، وجزءًا مؤنثًا، وبلقاء الجزأين، يتم الالتحام، وتتكوّن الثمرات، وجعل في مستوى الذرات جزءًا سالب الشحنة يعرف بالإلكترون، وجزءًا موجب الشحنة يعرف بالبروتون وجزءًا متعادلاً هو النيوترون، وجعل الحلو والحامض، والأبيض والأسود ﴿يُغْشِي﴾: يُغطي ويظلم. ﴿اللَّيْلِ النَّهَارِ﴾: شبه الله ﷻ إزالة نور النهار بظلمة الليل بالغطاء الكثيف، واستعار لفظ يغشي من الغطاء الحسي للأمر المعنوية، يأتي الليل ليغطي النهار، ثم يأتي النهار ليذهب الليل، في دورة باتت معروفةً فلكيًا بسبب دوران الأرض حول نفسها، ودوران الأرض حول الشمس ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿فِي ذَلِكَ﴾: بدراسة هذا الكون البديع ﴿ل﴾: حرف علةٍ وسببٍ ﴿آيَاتٍ﴾: أدلة وبراهين ﴿لِقَوْمٍ﴾: جماعة كبيرة من أصلٍ واحدٍ أو أصحاب فكرٍ واحدٍ ﴿يَتَفَكَّرُونَ﴾: يعملون عقولهم؛ ليتأملوا هذه الظواهر البديعة، إن حركة الشمس والأرض هي التي تحقق الليل والنهار، وفي خلق وفي حركة هذه الكواكب التي كشفها علماء العصر أدلة، وبراهين، أن الذي سخرهما هو الله ﷻ، بالقوة التي لا ينكرها عاقل.

﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزُرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنُونًا وَعَبْرٌ صِنُونًا يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُقْضِلُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (٤)

بدأت السورة الكريمة بالحديث عن الآيات الدالة على أن لهذا الكون ربًا يُسيِّره، فتحدثت عن السموات، وأبرزها الشمس والقمر، واستواء الله ﷻ على العرش، لا نعرف كيف، فهي في

علمه ﷺ، ثم ذكر الأرض وما فيها من جبالٍ وأنهارٍ وثمارٍ، كلُّ ذلك أدلَّةٌ لأصحاب العقول السليمة، **﴿وَفِي الْأَرْضِ﴾**: آيات مثل **﴿قَطْعُ﴾**: بقاع ومناطق أرضية؛ تصلح للزراعة **﴿مُتَجَاوِرَاتٍ﴾**: متقاربات، ترابها واحدٌ، وماؤها واحدٌ، ولكنها تُنبت أنواعًا من مختلفة من الثمار، متجاوزة، هذه جرداء صفراء، وهذه سوداء، وهذه خصبة تنبت الزرع، والخضروات والنخيل وهذا يقود إلى ذكر غير المتجاورات **﴿وَجَنَاتٍ﴾**: أيضًا حدائق **﴿مِنْ﴾**: حرف جرّ يفيد النوع وتمييزه وتفيد هنا ابتغاء الغاية المكانية **﴿أَعْنَابٍ﴾**: أنواع العنب المتعددة **﴿وَزَرْعٍ﴾**: من الخضروات **﴿وَنَخِيلٍ﴾**: وفيه أصناف متعددة المذاق والألوان **﴿صِنُونٍ﴾**: وهي صيغة للجمع والمعنى. النخلات التي من أصلٍ واحدٍ، ومن منبتٍ واحدٍ، وكالرمان والتين ومفردها صنو، بمعنى مثل **﴿وَعَيْرٍ﴾**: حرف استثناء **﴿صِنُونٍ﴾**: من منابت مختلفة، عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ **﴿صِنُونٌ وَعَيْرٌ صِنُونٍ﴾** [الرعد-٤] قَالَ: «الصِّنُونُ أَنْ يَكُونَ أَصْلُهَا وَاحِدًا ورؤوسها مُتَفَرِّقَةً، وَعَيْرٌ صِنُونٌ أَنْ تَكُونَ النَّخْلَةُ مُنْفَرِدَةً لَيْسَ عِنْدَهَا شَيْءٌ<sup>(١)</sup>، **﴿يَسْقَى بِ﴾**: حرف باء السببية **﴿مَاءٍ وَاحِدٍ﴾**: رغم أن المشرب واحدٌ إلا أن الطعم واللون وغيرها من الصفات مختلف **﴿وِ﴾**: عطفًا على هذا **﴿تُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكْلِ﴾**: رغم الأصول الواحدة؛ فإن الطعم يختلف بين الحلو والحامض، والمر والمالح **﴿إِنَّ﴾**: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار **﴿فِي ذَلِكَ﴾**: الاختلاف **﴿لآيَاتٍ﴾**: أدلَّة وبراهين **﴿لِ﴾**: حرف تخصيص **﴿قَوْمٍ﴾**: لجماعاتٍ بشريةٍ بعضها من أصلٍ واحدٍ وغيرها متعدّد الأعراق والأشكال والألوان **﴿يَعْقِلُونَ﴾**: يستفيد من هذا التنوع البديع أصحاب النهى والعقول الواعية السليمة من الانحرافات، المعادين والمكابرين؛ إنَّ اختلاف الطعم، واختلاف اللون، والرائحة، والشكل، كلُّ ذلك دليلٌ على أن الخالق واحد، والقدرة عظيمة، والكرم واسع، ولا يُدرك ذلك إلا صاحب العقل السليم.

**﴿وَإِنْ تَعَجَّبَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ إِذَا كُنَّا تُرَابًا أَلَمْ نَكُنْ لَكَ خَلْقًا جَدِيدًا أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَعْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٥)**

**﴿وَإِنْ تَعَجَّبَ﴾**: يا محمد ﷺ من تكذيب الكافرين بالبعث، بعد الآيات الدامغة من ابتداء الخلق، يوم القيامة، والحقيقة أن الله ﷻ لا يتعجب ولا يجوز أن نلقي عليه حالة التعجب؛ لأن التعجب هو تغيير في النفس بشيء خفيت أسبابه، والله ﷻ لا يخفى عليه شيء، ولكن المقصود هنا تعجب الأنبياء والرسل، وسائر البشر **﴿ف﴾**: حرف استثنائي بهدف ربط

(١) التفسير من سنن سعيد بن منصور (٥/٤٢٣) ١١٥٣

الجواب **﴿عَجَبٌ قَوْلُهُمْ﴾**: الأعجب هو قولهم **﴿إِذَا﴾**: حرف استفهام يفيد الاستنكار والتعجب لما يُستقبل من الزمان يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط ما بعدها بما قبلها **﴿كُنَّا﴾**: صرنا **﴿تُرَابًا﴾**: إذا متنا وصرنا مثل التراب رمادًا **﴿أَنَا﴾** هل نحن **﴿ل﴾**: حرف علّةٍ وسببٍ **﴿فِي خَلْقٍ﴾**: بعث وتكوين **﴿جَدِيدٍ﴾**: يعجبون أن يجمع الله ﷻ الذين صاروا رمادًا وترابًا في خلق جديد، وهم يعلمون أن هذا أهون عليه من خلق السموات والأرض **﴿أُولَئِكَ﴾**: إشارة للقريب والبعيد **﴿الَّذِينَ﴾**: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع من **﴿كَفَرُوا بِ﴾**: حرف باء الصلة **﴿بِهِمْ﴾**: تعني كلمة الرب: المعبود، والمُربي، مالك أمرهم في الدنيا وفي الآخرة **﴿وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ﴾**: أيضًا هذه الأطواق من السلاسل والحديد **﴿فِي أَعْنَاقِهِمْ﴾**: يوم يُسحبون من أعناقهم بسلاسل من النار، ملتقة حول أعناقهم يوم القيامة **﴿وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ﴾**: الملازمون بغير افتراق **﴿النَّارِ﴾**: الماكثون في النار أبدًا، لا يغادرونها، ولا يتحولون عنها **﴿هُمْ﴾**: ضميرٌ منفصلٌ مرفوعٌ للجمع المذكور والمؤنث الغائب؛ للتحديد والتخصيص والتأكيد **﴿فِيهَا﴾**: في النار **﴿خَالِدُونَ﴾**: دائمون فيها بلا خروج.

**﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَاتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ**

**عَلَى ظَلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (٦)**

**﴿و﴾**: عطفًا على ما سبق؛ فإنهم **﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ﴾**: يطلبون بإلحاح، بطلب ما يستحسنونه من الصحة والمال والعافية، وهم المكذبون في كلِّ زمانٍ، وفي كلِّ مكانٍ، مع كلِّ نبيٍّ، أو داعية، أو حركة إصلاحية، وهذا بسبب جهلهم وكفرهم، ويتعجلون بك **﴿بِالسَّيِّئَةِ﴾**: جاء لفظ "السيئة" في القرآن على خمسة وجوه؛ هنا بمعنى العذاب الذي توعدّه الله ﷻ بهم، وقد جاء: **﴿وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطْنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ﴾** [ص-١٦] وأيضًا **﴿سَأَلِ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾** [المعارج-١] **﴿قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾**: العافية والسلامة، ما وعدهم رسلهم من خير في الدنيا والآخرة، طلبوا العقوبة قبل السلامة **﴿وَقَدْ﴾**: حرف جرٌّ يُفيد هنا التحقق بالتأكيد؛ لأنّه وقع هنا على الفعل الماضي **﴿خَلَتْ﴾**: مضت وانتهت **﴿مِنْ﴾**: حرف بيان النوع وتمييزه، وتفيد هنا بداية الغاية الزمانية **﴿قَبْلِهِمْ﴾**: في الذين سبقوهم **﴿الْمَثَلَاتُ﴾**: وهذه جمع مُثَلَّة، هي العقوبات المماثلة في الأمم السابقة؛ ليعتبروا، ويتعظوا **﴿وَإِنَّ﴾**: حرف تأكيد **﴿رَبِّكَ﴾**: مالك أمرك كله **﴿ل﴾**: حرف تخصيص **﴿ذُو﴾**: صاحب **﴿مَغْفِرَةٍ﴾**: سترٍ وإمهالٍ **﴿ل﴾**: حرف تخصيص **﴿النَّاسِ﴾**: عموم بني آدم **﴿عَلَى ظَلْمِهِمْ﴾**: إنَّ الله ﷻ صاحبٌ صفحٍ ومغفرةٍ، وسترٍ للخلق رغم خطئهم في الليل والنهار **﴿وَإِنَّ رَبَّكَ ل﴾**: حرف علّةٍ وسببٍ **﴿شَدِيدِ الْعِقَابِ﴾**: مع العفو

المقدم؛ فإنَّ عقاب الله ﷻ شديد، الهدف من ربط المغفرة والرحمة والعقاب الشديد، ليختار الإنسان أي السبيلين: عاقبةً حسنةً، أو عقابًا شديدًا.

التكليف: عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَأَدُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الرعد-٦] قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَوْلَا عَفْوُ اللَّهِ وَتَجَاوُزُهُ مَا هُنَا أَحَدٌ الْعَيْشِ، وَلَوْلَا وَعِيدُهُ وَعِقَابِهِ لَأَتَّكَلَ كُلُّ أَحَدٍ<sup>(١)</sup>.

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ (٧)

﴿وَيَقُولُ﴾: يدعي ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ ﴿كَفَرُوا﴾: يجاهرون بكفرهم في تحدٍ ﴿لَوْلَا﴾: هلاً، حرف يفيد امتناع لوجود ما بعدها؛ أي نزول الآية بسبب كفرهم ﴿أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ﴾: دليلٌ وبرهانٌ ﴿مِنْ﴾: حرف بيان النوع وتمييزه، وتفيد هنا بداية الغاية الكلية ﴿رَبِّهِ﴾: مالك أمرهم كلّه، بكفرهم، وعنادهم، ورجبتهم في تكذيب رسلم، وتبريراً لعنادهم يطلبون مطالب مثل أن يُحوّل لهم محمداً ﷺ جبل الصفا ذهباً، وكالذين طلبوا من عيسى عليه السلام أن يُنزل عليهم مائدةً من السماء ﴿إِنَّمَا﴾: أداة تقيّد التحديد والتخصيص ﴿أَنْتَ﴾: يا محمد ﴿مُنذِرٌ﴾: يخبر الله ﷻ نبيه محمداً ﷺ أن مهمته إنذار الناس وتبليغ الرسالة ﴿وَ﴾: عطفاً على هذا؛ اعلم أن ﴿لِكُلِّ﴾: تفيد جميع ﴿قَوْمٍ﴾: لكل مجموعةٍ من البشر رسلٌ ﴿هَادٍ﴾: يهدونهم، جاء اللفظ القرآني الهادي بمعنى الداعية قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ﴿هَادٍ﴾: دَاعٍ<sup>(٢)</sup>، أنت يا محمد مُنذرٌ، وأنا هادي كلِّ قومٍ، وقال مجاهد: نبيّ، وقل يحيى بن رافع: قائد.

﴿اللَّهُ يَغْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ (٨)

﴿اللَّهُ يَغْلَمُ﴾: يُخبر الله ﷻ عن تمام علمه بكلِّ شيءٍ ﴿يَغْلَمُ مَا﴾: الذي ﴿تَحْمِلُ﴾: الجنين الذي في رحمها من ذكرٍ أو أنثى؛ سعيد أو شقي، وعلى أيِّ حالٍ ﴿كُلُّ﴾: عموم ﴿أُنْثَى﴾: إنَّ الله ﷻ يعلم ما في رحم كلِّ أنثى من صفات حُسنٍ أو قبحٍ، شقيٍّ أو سعيدٍ، طويلٍ أو قصيرٍ، علم الذي قدّر وشاء ﴿وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ﴾: قال ابن عباس: سقط الجنين من الرحم، وقال مجاهد: إراقة الدم من الرحم حتى ينقص الولد. عَنْ عُثْمَانَ بْنِ الْأَسْوَدِ قَالَ: سَأَلْتُ مُجَاهِدًا عَنْ امْرَأَتِي رَأَتْ دَمًا وَأَنَا أَرَاهَا حَامِلًا. قَالَ: ذَلِكَ غِيضُ الْأَرْحَامِ ﴿اللَّهُ يَغْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ﴾ فَمَا غَاضَتْ مِنْ شَيْءٍ رَأَتْ مِثْلَهُ فِي الْحَمْلِ<sup>(٣)</sup>، وَعَنْ عِكْرِمَةَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ ﴿اللَّهُ يَغْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ

(١) تفسير ابن أبي حاتم، ٧/٢٢٢٤ (١٢١٤٥). قال الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف ١٨٣/٢ (٦٤٥): مرسل.

(٢) صحيح البخاري (٧٩ / ٦)

(٣) سنن الدارمي (٣ / ١١٩، ٩٦٤)

بِمَقْدَارٍ ﴿ قَالَ: ذَلِكَ الْحَيْضُ عَلَى الْحَبْلِ، لَا تَحِيضُ يَوْمًا فِي حَبْلِهَا إِلَّا زَادَتْهُ طَاهِرًا فِي حَبْلِهَا <sup>(١)</sup> ﴿ وَ: أَيْضًا ﴿ مَا: جاء اللفظ "ما" ليدلّ على غير العاقل؛ لأنّه عائد على الأرحام ﴿ تَزَادُ: المراد زيادة حجم الرحم، يزداد مع نمو الجنين في الرحم يومًا بعد يوم، ويحدث نقص حجمه بخروج المولود ﴿ وَكُلُّ: تُفيد أيضًا عموم ﴿ شَيْءٍ: جاءت بصيغة النكرة؛ لتؤكد الجميع ﴿ عِنْدَهُ: في علم الله ﷻ ﴿ ب: حرف باء الصلة والتوكيد ﴿ مِقْدَارٍ: والقيمة من الرزق والعمر له أجلّ معلوم، لا يزيد ولا ينقص عما قدره الله ﷻ.

### ﴿ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرِ الْمُتَعَالِ ﴾ (٩)

﴿ عَالِمِ: أحاط علمه بكلّ ذرّةٍ في الكون ﴿ الْغَيْبِ: يعلم الله ﷻ كلّ شيءٍ يغيب عن وسائل إدراك عباده، وهذا يأتي توضيحًا لما جاء في الآية السابقة، حيث الجنين غير معروفٍ للبشر ﴿ وَ: أَيْضًا الشَّهَادَةِ: ويعلم ﷻ كلّ شيءٍ يُشاهده العباد ﴿ الْكَبِيرِ: بمعنى العظيم، الذي هو أكبر من كلّ الأكوان التي خلقها ﴿ الْمُتَعَالِ: المتعالي فوق كلّ شيءٍ، الذي قهر كلّ شيءٍ، ودان له العباد طوعًا وكرهًا.

﴿ سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ﴾ (١٠)

﴿ سَوَاءٌ: يستوي، يتساوى ﴿ مِنْكُمْ: حرفٌ يُفيد بداية الغاية المكانية ﴿ مَنْ: الذي، من جنس العاقل ﴿ أَسَرَ: كتم ﴿ الْقَوْلَ: الذي يخفى ما في نفسه؛ فلا يقول به ﴿ وَمَنْ: الذي ﴿ جَهَرَ بِهِ: الذي أسمع غيره ما يقول، إنّ الله ﷻ يعلم السرّ والعلن، سواءً كان خيرًا أو شرًّا ﴿ وَمَنْ: الذي ﴿ هُوَ: ضميرٌ منفصلٌ مرفوعٌ للغائب المفرد المذكور ﴿ مُسْتَخْفٍ: المختبئ، أو الذي يسير ﴿ ب: حرف باء الظرفية ﴿ اللَّيْلِ: في ظلمات الليل أو في بيته، أو في أي مكانٍ مُعتمٍ ﴿ وَسَارِبٌ: الذي يسير في وسط سربه، جماعته ﴿ ب: حرف باء الصلة ﴿ النَّهَارِ: تحت ضوء الشمس، المُشاهد.

التكليف: إنّ علم الله ﷻ محيطٌ بالخلق في كلّ أحوالهم، وأوقاتهم، صرّحوا به، أو كتموه.

﴿ لَهُ مَعْقَبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ ﴾ (١١)

﴿ لَهُ: لكلّ إنسانٍ ﴿ مَعْقَبَاتٌ: ورد في التفسير أنّ المعقبات هي الملائكة؛ يأتي بعضهم عقب بعض. وتعني أيضًا أنّ الملائكة تتعقبهم بالليل والنهار. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «مَلَائِكَةٌ

(١) السنن الدارمي (٣/ ١٢٠، ٩٦٥)

حَفَظَةً، تُعَقَّبُ الْأُولَى مِنْهَا الْأُخْرَى، وَمِنْهُ قِيلَ الْعَقِيبُ، أَيَّ عَقَّبْتُ فِي إِثْرِهِ»<sup>(١)</sup>، وفي الحديث عَنْ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «مُعَقَّبَاتٌ لَا يَخِيبُ قَائِلُهُنَّ، أَوْ فَاعِلُهُنَّ، ثَلَاثٌ وَثَلَاثُونَ تَسْبِيحَةً، وَثَلَاثٌ وَثَلَاثُونَ تَحْمِيدَةً، وَأَرْبَعٌ وَثَلَاثُونَ تَكْبِيرَةً، فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ»<sup>(٢)</sup>، فَإِنْ كَانَتْ الرُّسُلُ تَلْتَقُتُ أَعْمَالَنَا مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ مَعْتَمِدِينَ عَلَى الْحَقَائِقِ الطَّبِيبَةِ، وَالتَّشْرِيحِ، وَعِلْمِ وَظَائِفِ الْأَعْضَاءِ، فَاللَّهُ ﷻ أَقْرَبُ إِلَيْنَا مِنْ ذَلِكَ، وَهَذَا أَذْكَرُ حَقَائِقِ طَبِيبَةٍ: حَيْثُ يُجْمَعُ الْأَطْبَاءُ أَنْ عَلَى مَنْحَى الشَّرِيانِ الْأَبْهَرِ الْأُورْطِي وَهُوَ أَكْبَرُ شَرِيانٍ يَنْقُلُ الدَّمَ مِنَ الْقَلْبِ إِلَى أَنْحَاءِ الْجِسْمِ، يَوْجِدُ جَيْبَ الْمُسْتَقْبَلَاتِ الْأُورْطِي Aortic sinus، وَعَلَى كُلِّ تَفْرَعَاتِهِ فِي الصَّدْرِ وَالظَّهْرِ تَنْتَشِرُ مَا يَسْمِيهِ الْأَطْبَاءُ مُسْتَقْبَلَاتِ الضَّغْطِ Pressure receptors أَسْمَاهُ اللَّهُ ﷻ مِنْ قَبْلِ مُعَقَّبَاتٍ، وَإِنْ اخْتَلَفَ الْأَسْمَاءُ إِلَّا أَنَّ الْعُلَمَاءَ، عِلْمُوا التَّرَكِيبِ الْعَضْوِيِّ، وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَعْقِلُوا الْوِظِيفَةَ الْكَبْرَى؛ أَدْرَكُوا أَنَّ الْمُسْتَقْبَلَاتِ تَسْتَقْبَلُ الْمَوْجَةَ الصَّادِرَةَ مِنَ الْقَلْبِ، وَلَمْ يَدْرِكُوا أَنَّهُ يَتِمُّ تَعَقُّبُ تِلْكَ الْمَوْجَةِ الْكَهْرُومَغْنَاطِيْسِيَّةِ، وَلَمْ يَدْرِكُوا أَنَّهُ يَتِمُّ تَتَبُّعُ تِلْكَ الْإِشَارَاتِ، سِوَاءِ أَسْرَ الْإِنْسَانِ الْقَوْلِ أَوْ جَهْرَ بِهِ، وَلَمْ يَدْرِكُوا أَنَّهَا تَتَعَقَّبُ تِلْكَ الرِّسَالَةَ، وَتَحْفَظُهَا، وَيَعْلَمُهَا اللَّهُ ﷻ، قَبْلَ أَنْ تَصِلَ إِلَى حَبْلِ الْوَرِيدِ، إِنَّ الْأَعْمَالَ تُخْتَرَنُ فِي الصَّدْرِ إِلَى اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ إِلَى أَنْ يَأْتِيَ ذَلِكَ الْيَوْمَ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَتُحْصَلُ الْأَعْمَالُ الَّتِي رُصِدَتْ وَتُسْتَنْسَخُ مِنْ صَدْرِ ذَلِكَ الْإِنْسَانِ الْحَقِيقِيِّ، الْمَرْكَبِ دَاخِلَ ذَلِكَ الْجَسَدِ، بِالنَّهَارِ، وَاللَّهُ ﷻ أَعْلَمُ **﴿مَنْ بَيَّنَّ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ﴾**: يَتَعَاقَبُ عَلَيْهِ، حَرَسٌ بِاللَّيْلِ، وَحَرَسٌ بِالنَّهَارِ **﴿يَحْفَظُونَهُ﴾**: يَحْمُونَهُ وَيَحْرَسُونَهُ **﴿مَنْ﴾**: حَرْفٌ جَرٌّ يَفِيدُ النَّوْعَ وَتَمْيِيزُهُ وَتَفْيِيدُهُ هُنَا ابْتِغَاءَ الْغَايَةِ الْكَلْبِيَّةِ **﴿أَمْرُ اللَّهِ﴾**: يَحْمُونَهُ مِنَ الْأُمُورِ السَّيِّئَةِ، وَمِنَ الْحَوَادِثِ بِأَمْرِ اللَّهِ ﷻ، كَمَا لَهُ مَلَائِكَةٌ آخَرُونَ لِحَفْظِ وَتَسْجِيلِ الْأَعْمَالِ خَيْرِهَا وَشَرِّهَا، اثْنَانِ؛ وَاحِدٌ عَنِ الْيَمِينِ، وَوَاحِدٌ عَنِ الشَّمَالِ، الَّذِي عَلَى الْيَمِينِ يَكْتُبُ الْحَسَنَاتِ، وَصَاحِبُ الشَّمَالِ يَكْتُبُ السَّيِّئَاتِ، وَلَهُ أَيْضًا مَلَكَانِ يَحْرُسَانِ، وَاحِدٌ مِنْ أَمَامِهِ، وَوَاحِدٌ مِنْ خَلْفِهِ، إِنَّ الْإِنْسَانَ بَيْنَ أَرْبَعَةِ مَلَائِكَةٍ فِي النَّهَارِ، وَأَرْبَعَةِ مَلَائِكَةٍ فِي اللَّيْلِ؛ حَافِظَانِ وَكَاتِبَانِ؛ حَفَظَهُمْ لَهُ بِأَمْرِ مِنَ اللَّهِ ﷻ **﴿إِنْ﴾**: حَرْفٌ تَأْكِيدٌ وَنَفْيٌ الشُّكِّ وَالْإِنْكَارِ **﴿اللَّهُ لَا﴾**: حَرْفٌ نَفْيٌ **﴿يُغَيِّرُ﴾**: يَبْدُلُ **﴿مَا﴾**: الَّذِي **﴿بِ﴾**: بَاءُ الصَّلَةِ **﴿قَوْمُ﴾**: جَمَاعَةٌ مِنَ النَّاسِ مِنْ أَصْلٍ وَاحِدٍ أَوْ أَصْحَابِ فِكْرٍ وَاحِدٍ **﴿حَتَّى﴾**: حَرْفٌ جَرٌّ يَدُلُّ عَلَى انْتِهَاءِ الْغَايَةِ الشَّرْطِيَّةِ، أَي لَنْ يُصَدَّقُوا إِلَّا بِشَرَطِ أَنْ **﴿يُغَيِّرُوا مَا﴾**: الَّذِي **﴿بِأَنْفُسِهِمْ﴾**: مَا فِي جَوْهَرِهِمْ، مَا مِنْ أَهْلِ طَاعَةٍ يَتَحَوَّلُونَ عَنْهَا إِلَى أَهْلِ

(١) صحيح البخاري (٦ / ٧٨)

(٢) صحيح مسلم (١ / ٤١٨) - ١٤٥ - (٥٩٦)



معصية إلا حَوْلَ الله ﷻ عنهم ما يُحِبُّونَ إلى ما يكرهون ﴿و﴾: عطفًا على هذا ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يُستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط ما بعدها بما قبلها ﴿أَرَادَ﴾: شاء ﷻ ﴿اللَّهُ بِقَوْمٍ﴾: جماعة من النَّاسِ متجانسة ﴿سُوءًا﴾: إذا أراد الله ﷻ أن يعاقب قومًا أو شخصًا، ابتعد عنه الملك فينزل الله به عقابه ﴿فَلَا﴾: أداة نهى تفيد طلب عدم الفعل ﴿مَرَدًّا﴾: مانع ﴿لَهُ﴾: لا يزود عن العاصي أحدٌ ﴿وَمَا﴾: حرف نفي ﴿لَهُمْ﴾: تخصيصًا ﴿مِنْ دُونِهِ﴾: غيره ﴿مِنْ وَالٍ﴾: يلي ويلبي مطالبهم، ناصر، أو مُحب، أو مؤيد، أو معين، ليس لهم من الله ﷻ وعقابه، أو من يتول أمره؛ فيدفع عنه العذاب.

التكليف: إنَّ الله ﷻ يحفظ على الخلق أعمالهم ويحصي عليهم أقوالهم ويعلم نياتهم وما تكن صدورهم فلا تغيب عنه غائبة ولا تخفى عليه خافية ويحفظ أوليائه فيعصمهم عن اقتراف الذنوب ويحرسهم من مكائد الشيطان ليسلموا من شره وفتنته.

### ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ حَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ﴾ (١٢)

﴿هُوَ﴾: ضميرٌ منفصلٌ مرفوعٌ للغائب المفرد المذكور، ويعني هنا الله ﷻ ﴿الَّذِي﴾: اسمٌ موصولٌ بالمفرد ﴿يُرِيكُمْ﴾: يجعلكم تشاهدون ﴿الْبَرْقَ﴾: إنَّ الله ﷻ هو الذي يُسَخِّرُ البرق، الذي يتكون من تصادم غيمتين مختلفتين في الشحنة، السالب مع الموجب؛ ينتج عن هذا التصادم شرارةٌ قويةٌ تسمى البرق، وهو النور اللامع الساطع من خلال السحاب، أمَّا الصاعقة فتنتج من التفريغ الكهربائي للعواصف الرعدية؛ فيؤدي إلى تسخين الهواء لدرجة خمسة أضعاف حرارة الشمس التي تبلغ (١٥) مليون درجة مئوية؛ أي سترتفع درجة الحرارة إلى (٧٥) مليون درجة مئوية؛ علمًا بأن درجة غليان الماء هي (١٠٠) درجة فقط؛ فيتمدد الهواء في الجو؛ مما يحدث انفجارًا ضخمًا يسمى الرعد ﴿حَوْفًا﴾: قال قتادة: خوف المسافر من الأذى والمشقة، وخوفًا من العذاب ﴿وَطَمَعًا﴾: والطمع للحاضر، هو نزوع النفس إلى شيءٍ شهوةً له، هنا طمع المقيم، الذي يرجو رحمته، ومنفعته، ورزق الله ﷻ بهطول المطر ﴿وَيُنشِئُ﴾: أيضًا يُكوِّن ﴿السَّحَابَ﴾: الذي هو بخارٌ ماءٍ محمولٌ في الهواء ﴿الثِّقَالَ﴾: يُكوِّنُ الله ﷻ السحابَ المُثقلَ ببخار الماء؛ فلكثرته؛ هي ثقيلة تقترب من الأرض.

﴿وَيَسْبِغُ الرِّعْدَ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾ (١٣)

﴿و﴾: حرف عطفٍ يفيد هنا الحال ﴿يَسْبِغُ﴾: التسبيح بلسان الحال لا بلسان المقال "القول" ينزه الخالق، ويمجده، ويثني عليه، ويعلن خضوعه وانقياده له ﷻ ﴿الرِّعْدَ﴾: هذه الظاهرة

شاهدةً بعظمة الله ﷻ وقدرته، هذا الصوت والبرق الناتج من شحنات كهربائية في السماء إذا أصابت الأرض سببت ضرراً بالغاً، فهي شاهدة بعظمة الله ﷻ وقدرته. قَالَ عِكْرِمَةُ: كَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ إِذَا سَمِعَ صَوْتَ الرَّعْدِ قَالَ: سُبْحَانَ الَّذِي سَبَّحْتَ لَهُ، قَالَ: إِنَّ الرَّعْدَ مَلَكٌ يَنْعِقُ بِالْغَيْثِ، كَمَا يَنْعِقُ الرَّاعِي بَعَنَمِهِ<sup>(١)</sup> ﴿بِحَمْدِهِ﴾: بالثناء عليه، ﷻ ﴿وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ﴾: حرف يفيد بداية الغاية ﴿خِيفَتِهِ﴾: وتسبح الملائكة خوفاً من غضب الله ﷻ، وطمعاً في رضاه ﴿وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ﴾: التي تنتج من التفريغ الكهربائي للعواصف الرعدية؛ مما يحدث انفجاراً ضخماً يسمى الرعد يسلطها الله ﷻ على أي مكانٍ في الأرض ﴿ف﴾: حرف يفيد هنا السبب؛ بهدف ترتيب الأمر يفيد سرعة التنفيذ ﴿يُصِيبُ بِهَا مَنْ﴾: من جنس البشر ﴿يَشَاءُ﴾: تنزل على من قدر الله ﷻ أن تصيبه؛ فتحرقه وتدمره ﴿وَهُمْ﴾: ضمير يفيد الجماعة الذكور ﴿يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ﴾: يناقشون من موقع الخصومة التي لا تقود إلى معرفة الحقيقة، جاء لفظ الجدل هنا بمعنى الخصومة كما في قوله ﷻ ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾ [هود-٧٤] ومع أنهم يُشاهدون ذلك العذاب، يخاصمون الله ﷻ وأوليائه، ويُشككون في وجود الله ﷻ، أو يُشركون معه من المخلوقات، ويعصونه، ويسألون: أهو من ذهبٍ، أو من نحاسٍ، أو من فضةٍ ﴿وَهُوَ﴾: ﷻ ﴿شَدِيدُ الْحَالِ﴾: شديد قوئ الحول، شديد المكيدة أو القوة أو العقوبة، وكان رسول الله ﷺ إِذَا سَمِعَ صَوْتَ الرَّعْدِ وَالصَّوَاعِقِ، قَالَ: اللَّهُمَّ لَا تَقْتُلْنَا بِغَضَبِكَ، وَلَا تُهْلِكْنَا بِعَذَابِكَ، وَعَافِنَا قَبْلَ ذَلِكَ<sup>(٢)</sup>. وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷻ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِذَا سَمِعْتُمُ الرَّعْدَ فَادْكُرُوا اللَّهَ، فَإِنَّهُ لَا يُصِيبُ ذَاكِرًا<sup>(٣)</sup>.

﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطٍ كَفَيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ (١٤)

﴿لَهُ﴾: لله ﷻ من ملكه ﴿دَعْوَةُ الْحَقِّ﴾: لله ﷻ وحده دعوة التوحيد؛ لا إله إلا الله، لا يشاركه فيها أحد ﴿وَالَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ ﴿يَدْعُونَ﴾: يُطِيعُونَ ﴿مِنْ﴾: حرفٌ جرٌّ يفيد النوع وتمييزه وتفيد هنا ابتغاء الغاية الكلية ﴿دُونِهِ﴾: غيره ﷻ مثل الذين يعبدون غيره ﷻ من الأصنام ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يَسْتَجِيبُونَ﴾: لا يسمعون، ولا يطيعون ﴿لَهُمْ﴾: تملياً ﴿بِشَيْءٍ﴾: تفيد العموم، كالذي يدعو حجراً أو صنماً أن يزرقه أو يدفع عنه مرضاً ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿ك﴾: حال أو مثل، يشبه الذي ﴿بَاسِطٍ﴾: ماداً ﴿كَفَيْهِ إِلَى الْمَاءِ﴾:

(١) الأدب المفرد (ص: ٢٥٢) ٧٢٢ (قال الشيخ الألباني): حسن.

(٢) سنن الترمذي / ٥٠٣/٥ (٣٤٥٠). وضعفه الترمذي وقال: هذا حديثٌ غريبٌ لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

(٣) المعجم الكبير للطبراني / ١١/ ١٦٤ (١١٣٧١). قال الألباني: ضعيف جداً صحيح وضعيف الجامع ٤٥/٣.

مثله كمثل الذي رفع كفيّه فوق الماء، ويطلب من الماء أن يصل إلى فيه "قمه"، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ﴿كَبَّاسِطٌ كَفَيْهِ﴾ [الرعد-١٤]: «مَثَلُ الْمُشْرِكِ الَّذِي عَبَدَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ غَيْرُهُ، كَمَثَلِ الْعَطْشَانِ الَّذِي يَنْظُرُ إِلَى ظِلِّ خَيْالِهِ فِي الْمَاءِ مِنْ بَعِيدٍ وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَتَنَاوَلَهُ وَلَا يَقْدِرُ»<sup>(١)</sup>، ﴿ل﴾: حرف علة وسببٍ ﴿يَبْلُغُ فَاهُ﴾ قال علي بن أبي طالب ؓ: يدعو الماء بلسانه، ويشير إليه؛ فلا يأتيه أبدًا، وقال مجاهد: كالقابض على الماء، فلا ينال منه شيئًا. والحقيقة أن من يمدُّ يده إلى الماء إمَّا قابضًا عليه، أو يطلبه عن بعد؛ فلن يشرب أبدًا ﴿وَمَا﴾: حرف نفي ﴿هُوَ﴾: ﴿: ضميرٌ منفصلٌ مرفوعٌ للغائب ﴿بِبَالِغِهِ وَ﴾: عطفاً على ما سبق ﴿مَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿فِي ضَلَالٍ﴾: ضياع وتيه.

التكليف: هذا حال الأفراد، والأحزاب، والحكومات التي تطلب من أعداء الله ﷻ من الصليبيين، ومن يهود، وغيرهم أن يمذوهم بما يحفظ حياتهم، من المال، والجاه، والسلطان، فإن أخذوا منهم عهدًا أو مالًا؛ فلن يُوقفهم الله ﷻ.

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ (١٥)

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ﴾: هذا سجود الطوعية؛ له الأجر والثواب من الله ﷻ، هو علامة الانقياد لأمر الله ﷻ، والرضا بحكمه في خلقه من الصحة والمرض، والحياة والموت، والفقر والغنى، عليه أن يُطيع الخلق خالقهم، الله ﷻ؛ لعظمته، وسلطانه، فيسجدوا له ﴿مَنْ﴾: كل الخلق تسجد لله ﷻ ولكنه ﷻ ذكر الذي من جنس العاقل لشرفه عند الله ﷻ ﴿فِي السَّمَاوَاتِ﴾: في كل ما علا الأرض، وأحاط بها، ومنهم الملائكة ﴿وَالْأَرْضِ﴾: كل مخلوقٍ من إنسٍ أو غيره من المخلوقات تحت قهر الله ﷻ وقوته وسلطانه ﴿طَوْعًا﴾: والطوع هو الانقياد بإرادتهم، وورغبتهم، وبحبٍ وهم الذين يؤمنون؛ فيسجدون لله ﷻ طوعًا؛ يحبون ذلك ويطيعونه ﴿و﴾: أيضًا يسجدون ﴿كَرْهًا﴾: هذا سجود الكراهية؛ رغما عنهم، هؤلاء الكفار الذين يسجدون، ويطيعون، كارهين ﴿وظِلَالُهُمْ﴾: ظل المخلوقات ﴿ب﴾: حرف باء الظرفية ﴿الْغُدُوِّ﴾: في الصباح ﴿وَالْآصَالِ﴾: هي جمع أصل وأصل جمع أصيل، وهي الفترة ما بين العصر والمغرب وجمع آخر النهار، ويعني ذلك أن هذه المخلوقات مثل الشمس وظلالهم هم في طاعة الله ﷻ دائمًا أحبوا ذلك أم كرهوا، طوال النهار.

﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ

(١) صحيح البخاري (٦/٢٨).

**شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿١٦﴾**

﴿قُل﴾: يأمر الله ﷻ نبيه محمداً ﷺ أن يسأل المشركين ﴿مَنْ رَبُّ﴾: تعني كلمة الرب: المعبود، والمُرَبِّي، مالك أمر الكون كله، استفهامٌ للتقرير والتوبيخ ﴿السَّمَاوَاتِ﴾: هي كلُّ ما علا الأرض، وأحاط بها؛ لكونها ببيضاوية الشكل ﴿وَالْأَرْضِ قُل﴾: أحبهم بوضوح هو ﴿اللَّهُ﴾: فكأنه قال جوابه وما يعتقدون، أي الله ﷻ هو خالق السماوات والأرض ﴿قُلْ أ﴾: حرف استفهام؛ يفيد الإنكار والتوبيخ ﴿ف﴾: حرف استثنائي يفيد سبب بهدف ترتيب الأمر ﴿اتَّخَذْتُمْ﴾: فما باللحم اعتمدتم ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ يفيد النوع وتمييزه وتفيد هنا ابتغاء الغاية ﴿دُونِهِ﴾: غير الله ﷻ ﴿أَوْلِيَاءَ﴾: قل لهم يا محمد لماذا اتخذتم أنصاراً وأحباباً غير الله ﷻ، وهؤلاء ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾: لا ينفعون أنفسهم؛ ولا يضرّونها إذا أرادوا؛ فكيف ترجون نفعهم ﴿قُل﴾: يا محمد ﷺ ﴿هَلْ﴾: حرف استفهام؛ يفيد الإنكار والتشكيك ﴿يَسْتَوِي﴾: يتساوى في القدر، والقيمة، والفعل ﴿الْأَعْمَى﴾: الذي لا يبصر شيئاً ﴿وَالْبَصِيرُ﴾: الذي يشاهد كلَّ شيءٍ؛ فيمشي، ويعمل، وينتج، أو تخافون ضرهم، إنّ هؤلاء مثلهم كالأعمى، ومثل المؤمنين كالبصير ﴿أَمْ﴾: حرف للإضراب الانتقالي من قضية إلى أخرى أو ﴿هَلْ تَسْتَوِي﴾: تتساوى ﴿الظُّلُمَاتِ﴾: العمى والعمّة، والمقصود هو الكفر ﴿وَالنُّورِ﴾: الإبصار والمقصود هو الإيمان، هل الأعمى كمن يرى؟ ﴿أَمْ﴾: وهي إنكار وتوبيخ من الله ﷻ على فعلهم ﴿جَعَلُوا﴾: اصطنعوا، واختلقوا ﴿لِلَّهِ شُرَكَاءَ﴾: كيف يجعل هؤلاء لله ﷻ شركاء لا تناظره، ولا تماثله ﴿خَلَقُوا﴾: هل أوجد هؤلاء مخلوقاتٍ من غير سابق وجود ﴿ك﴾: مثل ﴿خَلْقِهِ﴾: هل هؤلاء خلقوا خلقاً كما خلق الله ﷻ، الله خلق النَّاسَ؛ فهل خلق ما تعبدون من دونه أناساً مثل الذين خلقهم الله ﷻ ﴿ف﴾: سبب هذا ﴿تَشَابَهَ﴾: تماثل في الشكل ﴿الْخَلْقِ عَلَيْهِمْ﴾: فاحترتم هؤلاء من خلق الله أم من خلق شركائكم ﴿قُل﴾: يا محمد ﴿اللَّهُ خَالِقُ﴾: الذي أوجد من غير سابق وجود ﴿كُلِّ﴾: عموم وكل ﴿شَيْءٍ﴾: في الوجود بلا استثناء، يجب القول بوضوح تام؛ لا خالق إلا الله ﷻ؛ اصدع بها أيها المؤمن، ولا تخش من اليهود أو عملائهم، أو من النصارى ومن والاهم، أو العلمانيين، أو الشيوعيين ﴿وَهُوَ﴾: ﷻ ﴿الْوَاحِدُ﴾: الأحد الفرد الصمد ﴿الْقَهَّارُ﴾: وقل لهم إنّ الله ﷻ فاطر كلِّ الخلق، وقاهرهم إنّ أراد، ولا يظلم ربك أحداً.

﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَهُ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾ (١٧)

يضرب الله ﷻ في هذه الآية مثلين للحق في الثبات والبقاء، وفي الباطل وزواله، بهدف التشبيه ﴿أَنْزَلَ مِنْ﴾: حرف يفيد بداية الغاية المكانية ﴿السَّمَاءِ﴾: من كل ما علا الأرض وأحاط بها؛ كونها ببيضاوية الشكل ﴿مَاءً﴾: هو الغيث أو المطر ﴿فَ﴾: حرف يفيد التتابع السريع والسبب ﴿سَالَتْ﴾: تدفق الماء على الأرض وأحاط بها؛ لكونها بيضاوية الشكل ﴿أَوْدِيَةً﴾: المناطق المنخفضة الطويلة ﴿بِقَدَرِهَا﴾: بمقدار مائها الذي يجري فيها، وهو ما اقتضت حكمة الله ﷻ؛ فامتلاً كل وادٍ بالماء بسعته، فالمجرى الكبير يمتلئ بسعته، والمجرى الصغير يمتلئ بسعته. إن صغر الوادي قل الماء وإن اتسع الوادي كثر الماء.

التكليف: هذا المثل يعني أنزل الله ﷻ رسالته؛ فامتلات القلوب الكبيرة بقدر يقينها، فينفعها القرآن يعم كعموم نفع نزول المطر وامتلات القلوب الصغيرة بقدر شكها ﴿فَاحْتَمَلَ﴾: حمل فوق سطحه ﴿السَّيْلُ زَبَدًا﴾: الغناء والخبث والرغوة المنتفخة على وجه السيل ﴿رَابِيًا﴾: طلع على سطح الماء، هي الرغوة، والخبث، والقش، والورق في الأودية، ليس بسبب قوته، وليس لسموه، ولكن لخفة وزنه، ومثل آخر ﴿و﴾: أيضاً حمل السيل فوق الماء ﴿مِمَّا﴾: من الذي ﴿يُوقِدُونَ عَلَيْهِ﴾: يُشعلونه ﴿فِي النَّارِ ابْتِغَاءً﴾: رغبة ﴿حِلْيَةٍ﴾: ما يتزينون به من المعادن ﴿أَوْ﴾: حرف يفيد التسوية بين المتعاطفين ﴿مَتَاعٍ﴾: جاء اللفظ القرآني المتاع هنا؛ لبيان منافع المعادن، انظر بقية المعاني في [البقرة-٣٦]، والمثل الثاني هو وضع خام السبائك من الذهب، والفضة، والمعادن على النار؛ بنية استخلاص النقيس من هذه المعادن، سيخرج منها أيضاً ﴿زَبَدٌ﴾: غناء، وخبث ﴿مِثْلُهُ﴾: أيضاً سيعلو على سطح هذه السبائك الثمينة زبدٌ مثل زبد الماء، وهو الشك في الله ﷻ ﴿كَذَلِكَ﴾: أيضاً ﴿يَضْرِبُ﴾: يذكر ﴿اللَّهُ الْحَقَّ﴾: أما الحق في هذين المثلين فهما الماء والمعادن النفيسة، وأما ﴿وَالْبَاطِلَ﴾: هنا فهو زبد الماء والرغوة والأخشاب وغيرها، وزبد الحديد من الصدا، والرمل، والفضلات، فما مصير كل نوع؟ ﴿فَأَمَّا﴾: حرف تفضيل وتوكيد ﴿الزَّبَدُ﴾: هنا تشبيه الزبد الذي يزول بسيره في الوادي، الذي فوق الماء أو الذي فوق النار كالباطل يزول ويبقى ما ينفع الناس، ﴿فَيَذْهَبُ﴾: ينقضي ويزول ويمضي ﴿جُفَاءً﴾: يتفرق، ويتمزق على جانبي الوادي، أو في القدور، ويلقى بالجوانب، أو تأخذه الريح، أو يلقي به الإنسان على الأرض ﴿وَمَّا﴾: حرف تفضيل وتوكيد

﴿مَا﴾: الذي ﴿يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمُكْتُ﴾: ينزل ﴿فِي الْأَرْضِ﴾: الماء، أو المعدن النفيس؛ فينتفع به الإنسان في زراعته، ومشربه، أو في صناعته، فيبقى في الأرض، والمقصود بهذا الإيمان ﴿كَذَلِكَ﴾: مثل وأيضًا ﴿يُضْرَبُ﴾: يذكر ﴿اللَّهُ الْأَمْثَالُ﴾: للتوضيح.

التكليف: لقد كان أهل الدين من الرسل وأتباعهم، وآخزهم محمد ﷺ وأتباعه هم النافعون للناس جميعًا، ولهذا كان أهل الزيد يقتلونهم، وينقلبون عليهم، ويكيدون لهم بالحصار، والتجويع، والتشويه، والسجن، والإبعاد. كما شبه الله ﷻ نفع نزول القرآن الجامع للهدى والبيان بنزول المطر، وشبه الأودية بالقلوب، فمن القلوب ما يتسع لخير، وعلم كثير، ومنها خلاف ذلك.

﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَى وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ (١٨)

﴿ل﴾: حرف تخصيص ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ ﴿اسْتَجَابُوا ل﴾: حرف تخصيص ﴿رَبِّهِمْ﴾: هو ﷻ المعبود، والمُرَبِّي، مالك أمرهم كله ﴿الْحُسْنَى﴾: لهم الجزاء الحسن، ومواصفاته، جاء في المعنى: ﴿وَسَنُفَعِلُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾ [الكهف-٨٨]، وجاء أيضًا: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس-٢٦] ﴿و﴾: أيضًا ﴿الَّذِينَ لَمْ﴾: حرف نفي ﴿يَسْتَجِيبُوا لَهُ﴾: العاصين، والرافضين، والكافرين ﴿لَوْ﴾: حرف يفيد الاستحالة ﴿أَنَّ﴾: تأكيد ﴿لَهُمْ﴾: تمليكًا ﴿مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا و﴾: أيضًا لهم ﴿مِثْلَهُ مَعَهُ﴾: لو امتلكوا ضعف مساحة الأرض، يوم القيامة ﴿لَافْتَدَوْا بِهِ﴾: لأرادوا دفعها فدية؛ حتى لا يُعَذَّبهم الله ﷻ، حتى لو كان ما يملكون أضعافًا مضاعفة ﴿أُولَئِكَ﴾: إشارة للقريب، والبعيد؛ هؤلاء ﴿لَهُمْ﴾: تمليكًا وتخصيصًا بكل تأكيد ﴿سُوءُ﴾: ما يجلب الشرّ والضرر ﴿الْحِسَابِ﴾: عقابهم الأسوأ في الآخرة، يُحاسَبون على النقيير والقطمير، والكبير والحقير ﴿و﴾: حرف عطف يفيد هنا حال ﴿مَأْوَاهُمْ﴾: ملاذهم في الآخرة ﴿جَهَنَّمُ وَبِئْسَ﴾: أسوأ ﴿الْمِهَادُ﴾: سوء المسكن، ومقامهم جهنم، أسوأ الملاذ.

التكليف: عَنْ عَائِشَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ نُوقِسَ الْحِسَابَ عُدِّبَ» قَالَتْ: قُلْتُ: أَلَيْسَ يَقُولُ اللَّهُ ﷻ: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق-٨] قَالَ: «ذَلِكَ الْعَرْضُ»<sup>(١)</sup>.

﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (١٩)

(١) صحيح البخاري (١١١ / ٨) ٦٥٣٦

﴿أَفَمَنْ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد الاستفهام والاستتكار، بمعنى هل يستوي الذي ﴿يَعْلَمُ﴾: علم يقين ﴿أَنَّمَا﴾: أداة حصرٍ تُفيد التوكيد ﴿أَنْزَلَ إِلَيْكَ﴾: وحيًا من السماء ﴿مِنْ﴾: حرفٌ جرٌّ يفيد النوع وتمييزه وتفيد هنا ابتغاء الغاية الكلية ﴿رَبِّكَ﴾: من مالك أمرك كله ﴿الْحَقُّ﴾: إنَّ القرآن الذي أنزله الله ﷻ على محمد ﷺ هو حقٌّ وصدقٌ وعدلٌ؛ إنَّ من يؤمن بذلك فهو بصير ﴿كَ﴾: حال، مثل ﴿مَنْ﴾: الذي من جنس العاقل ﴿هُوَ﴾: ضميرٌ منفصلٌ مرفوعٌ للغائب المفرد المذكر، ويعني هنا ﴿أَعْمَى﴾: لا يستوي المؤمن مع الكافر، الذي هو أعمى البصيرة، مُغلق القلب ﴿إِنَّمَا﴾: أداة حصرٍ؛ تُفيد التحديد والتخصيص ﴿يَتَذَكَّرُ﴾: يضع الله في حسابه في القول والعمل ﴿أُولُو﴾: أصحاب ﴿الْأَلْبَابِ﴾: هذه شهادة من الله ﷻ للذين يؤمنون بالله ﷻ الذين يعقلون ما سمعوا، ويعرفون لماذا خلق الله ﷻ الخلق، ويعقلون ما أنزل إليهم. والمعنى: لا يتذكر إلا أولو الأبواب.

التكليف: كلُّ بعيدٍ عن الله ﷻ وعن كتابه فهو أعمى. يشهدُ كلُّ عصرٍ أنَّ رجال الحركة الإسلامية هم من أصحاب العقول النيرة، والبصيرة، والرؤية الثاقبة، والأخلاق الحميدة، من أجل ذلك يصنفهم كفار كلِّ زمانٍ بصفات ليست فيهم، ويحاصرونهم، ويسجنون أفرادهم، ويضيقون عليهم في مالهم، وعملهم، وسفرهم.

### ﴿الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ﴾ (٢٠)

تبدأ الآية لتوضح صفات ﴿أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ في الآية السابقة ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع من ﴿يُؤْفُونَ﴾: يُتَمَوَّنَ ويُكْمَلُونَ ﴿بِ﴾: حرف باء المصاحبة ﴿عَهْدٍ﴾: هم الذين يؤدون الواجب الذي فرضه ﴿اللَّهُ﴾: ﷻ عليهم ﴿وَلَا﴾: حرف نفي ﴿يَنْقُضُونَ﴾: لا يُخلفون العهد والوعد ﴿الْمِيثَاقَ﴾: لا يُخلفون عهدًا مع أحدٍ من الخلق، بعكس ما يفعل المنافقون، الذين إذا عاهدوا غدروا، وإذا خاسموا فجروا، وإذا أتمنوا خانوا، وينقضون عهدهم مع خالقهم.

﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾ (٢١)  
﴿وَالَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع من ﴿يَصِلُونَ﴾: لا يقطعون ﴿مَا﴾: الذي ﴿أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿يُوصَلَ﴾: كصلة الأرحام، والإحسان إلى الفقراء، والسعي بالإصلاح بين الناس ﴿وَيَخْشَوْنَ﴾: يخافون غضب ﴿رَبِّهِمْ﴾: المُعبود، والمُربي، مالك أمرهم كله ﴿وَقَوْ﴾: عطفًا على هذا ﴿يَخَافُونَ سُوءَ﴾: ضرر وشر ﴿الْحِسَابِ﴾: ويضعون الآخرة نُصب أعينهم، ويخافون عذاب النار.

﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرُءُونَ  
بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾ (٢٢)

﴿وَالَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع من ﴿صَبَرُوا﴾: امتنعوا عن المحارم، وعن المعصية وصبروا على الأذى، وعلى الطاعة ﴿ابْتِغَاءَ﴾: رغبة وطمعاً في ﴿وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾: الذين منعوا أنفسهم من المحرمات؛ لرضا ربهم ﷻ ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾: أدوا الصلاة في أوقاتها، بحدودها، وهيئتها سجوداً، وركوعاً، وخشوعاً ﴿و﴾: أيضاً ﴿أَنفَقُوا مِمَّا﴾: بعضاً أو جزءاً ﴿رَزَقْنَاهُمْ﴾: أدوا الزكاة على وجهها لمن يستحق من أفراد مجتمعهم، وأقربائهم، والفقراء، والمساكين من حولهم ﴿سِرًّا﴾: في الخفاء دون استعراض ﴿وَعَلَانِيَةً﴾: قدم الله ﷻ الإنفاق في السر على الإنفاق في العلن، وفي كلِّ خير، في الليل وفي النهار ﴿وَيَدْرُءُونَ﴾: يدفعون ويجازون الإساءة بسبب الجهل ﴿بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾: حسنة العلم الصادق؛ يقابلون كلَّ شرٍّ وضررٍ بالإحسان، ويدفعون القبح بالحسن، والأذى بالجميل، والصبر والصفح، والاحتمال والعفو ﴿أُولَئِكَ﴾: اسم إشارة للقريب ﴿لَهُمْ﴾: تخصيصاً ﴿عُقْبَى الدَّارِ﴾: العاقبة المحمودة وجزاء هؤلاء في الآخرة، التي مواصفاتها في الآية التالية، ملخص الآية: يدفع المؤمنون بالعمل الصالح كلَّ عملٍ فاسدٍ.

﴿جَنَّاتٍ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ  
مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾ (٢٣)

﴿جَنَّاتٍ﴾: عددٌ من الجنّات؛ هي من جوائز الذين أقاموا الصلاة، ولم ينقضوا الميثاق، وغيرها مما سبق ﴿عَدْنٍ﴾: نقول العرب: عدن الرجل في المكان: أي أقام فيه فلم يرتحل، وكذا الداخل إلى الجنة لا يرتحل عنها أبداً، ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾: ليقيموا فيها أبداً ﴿و﴾: أيضاً يقيم فيها ﴿مَنْ صَلَحَ﴾: جاء اللفظ القرآني صلح على سبعة أوجه؛ هنا بمعنى الإيمان؛ كما في قوله ﷻ أيضاً ﴿وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور-٣٢] ﴿مِنْ﴾: حرف بيان النوع وتمييزه، وتفيد هنا بداية الغاية المكانية ﴿آبَائِهِمْ﴾: الأب والأم ومن فوق، هم الأجداد ﴿وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ﴾: يجمع الله أهل الإيمان في الدنيا مع أحبائهم الصالحين من الآباء، والزوجات، والأبناء، والبنات، وبقية الأهل، وترفع درجات الأدنى إلى درجة الأعلى، فضلاً من الله ﷻ وإحساناً ﴿و﴾: حرف عطف يفيد هنا حال ﴿الْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ﴾: هذه بشارة ربّانية، يزورونهم في مقامهم الدائم، وهذه تهنئة من الملائكة، حيث تقد عليهم، وتهنئهم وتحمد الله على نجاتهم،



وعلى إنعام الله عليهم، وعلى إقامتهم في دار السلام، في جوار الرحمن ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ يفيد النوع وتمييزه وتفيد هنا ابتغاء الغاية الكلية ﴿كُلِّ﴾: تفيد العموم ﴿بَابٍ﴾: وهذا يدلُّ على تعدد الأبواب؛ لسعة المكان وفخامته، حيث تكتمل صورة الحضور في الجنة الخالدة، بدخول الملائكة قائلين:

﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ (٢٤)

﴿سَلَامٌ﴾: الأمان والأمان هذا دعاء الملائكة لأهل الجنة، سلمكم الله ﷻ ﴿عَلَيْكُمْ﴾: سلمتم من الآفات في العقيدة، وهذا ما علمه الله ﷻ لعباده الصالحين، تحييتهم قول الملائكة، عندما يدخلون من أبواب الجنة المتعددة، على أصحاب الجنة للتهنئة ﴿بِمَا﴾: اسم موصول هنا بمعنى الذي؛ بسبب أن ﴿صَبَرْتُمْ﴾: بسبب صبركم على تقوى الله ﷻ قال رسول الله ﷺ: إِنَّ أَوَّلَ ثُلَّةٍ تَدْخُلُ الْجَنَّةَ لَفُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ، الَّذِينَ يُتَّقَى بِهِمُ الْمَكَارَهُ، وَإِذَا أُمِرُوا، سَمِعُوا وَأَطَاعُوا، وَإِذَا كَانَتْ لِرَجُلٍ مِنْهُمْ حَاجَةٌ إِلَى السُّلْطَانِ لَمْ نُفِضْ لَهُ، حَتَّى يَمُوتَ وَهِيَ فِي صَدْرِهِ، وَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَدْعُو يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْجَنَّةَ، فَتَأْتِي بِرُحْرِفِهَا وَزِينَتِهَا فَيَقُولُ: أَيُّ عِبَادِي الَّذِينَ قَاتَلُوا فِي سَبِيلِي وَقُتِلُوا، وَأُودُوا فِي سَبِيلِي، وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِي، ادْخُلُوا الْجَنَّةَ، فَيَدْخُلُونَهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ<sup>(١)</sup> ﴿فَ﴾: حرف يفيد السبب ﴿نِعْمَ﴾: مدح ﴿عُقْبَى﴾: آخرة، ونهاية، وجائزة ﴿الدَّارِ﴾: هذا مدح لمن أعطاهم الله ﷻ في الدار الآخرة وهي الجنة، وهذه شهادة الملائكة.

﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ (٢٥)

بعد وصف حال أهل الجنة في الجنة، وتبيان أعمالهم وأقوالهم، جاء في هذه الآية وصف الأشقياء، أعمالهم، ومصيرهم ﴿وَ﴾: أيضاً ﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول يفيد هنا جميع من ﴿يَنْقُضُونَ﴾: والنقض هو هدم الشيء بعد بنائه، بمعنى الذين لم يلتزموا ولم يبقوا على عهدهم مع ربهم يُخلفون وينكثون ما عاهدوا الله ﷻ عليه من قبل، ﴿عَهْدَ اللَّهِ﴾: وقد جاء في الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبًا، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا أُؤْتِمِنَ خَانَ<sup>(٢)</sup>. ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ يفيد النوع وتمييزه وتفيد هنا ابتغاء الغاية ﴿بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾: كما يدخل هنا الذين يكفرون بالله ﷻ، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وينكثون القضاء والقدر ﴿وَ﴾: حرف عطف يفيد هنا الحال ﴿يَقْطَعُونَ﴾: يمنعون التواصل

(١) مسند أحمد / ١١/ ١٣٣ (٦٥٧١). وصححه الأرنؤوط.

(٢) صحيح البخاري / ١٦/ ١ (٣٣).

﴿مَا﴾: الذي ﴿أَمَرَ﴾: شرَّعه ﴿اللَّهُ بِهِ أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿يُوصَلُ﴾: لا يُحَقِّقُونَ أوامر الله ﷻ في الأرض، في العبادات، والمعاملات، يقول أبو العالية: هي ستُّ خِصَالٍ في المنافقين، فإن كان فيهم الظهرة على النَّاسِ إذا تسيدوا وحكموا، أظهروا هذه الخصال: إذا حدَّثوا كذبوا، وإذا وعدوا أخفوا، وإذا أوتمنوا خانوا، ونقضوا عهد الله ﷻ بعد ميثاقه، وقطعوا ما أمر الله ﷻ به أن يُوصَل، وأفسدوا في الأرض، وإذا كانت الظهرة عليهم هُزموا؛ أظهروا الثلاث خصال: إذا حدَّثوا كذبوا، وإذا وعدوا أخفوا، وإذا أوتمنوا خانوا ﴿وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾: يعملون بالكفر، وارتكاب المعاصي، والإضرار بالنفس، والأموال، هم أصحابُ عملٍ كلِّ ما حرَّم الله ﷻ، في العبادات، والمعاملات ﴿أُولَئِكَ﴾: اسم إشارة للجمع للقريب والبعيد ﴿لَهُمْ﴾: تخصيصًا وتمليغًا ويستحقون ﴿اللَّعْنَةَ﴾: هي الطردُ والإبعاد من رحمة الله ﷻ ﴿وَلَهُمْ سُوءٌ﴾: ويستحقون كلَّ شرٍّ وضررٍ ﴿الدَّارِ﴾: ولهم سوءُ العاقبة في دار الدنيا وعذاب النَّار في الآخرة.

﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ﴾ (٢٦)

﴿اللَّهُ يَبْسُطُ﴾: يُوسِّع، ويزيد، ويمدُّ ويمهِّدُ وليس في هذا دلالةٌ على رضا الله ﷻ على الكافرين ﴿الرِّزْقَ﴾: كلُّ متاع الدنيا، من المال، والجاه، والولد، والسلطان ﴿لِ﴾: حرف تمليك ﴿مَنْ﴾: الذي من جنس العاقل ﴿يَشَاءُ﴾: أراد استدراجهم ﴿و﴾: أيضًا ﴿يَقْدِرُ﴾: ولا يحرم المؤمن، ولا يقلل، ويقتر هذا الرزق، وليس هذا دليل غضبه في كلِّ الأحوال؛ إنما لحكمة الابتلاء، أرادها ﷻ ﴿و﴾: عطفًا على هذا ﴿فَرِحُوا﴾: من الفرح والسرور ﴿ب﴾: حرف باء المصاحبة، جاء اللفظ القرآني فرح هنا بمعنى الرضا، رضي الكفار والمنافقون بهذا المتاع، واستدرجًا لهم وإمهالًا لهم في ﴿الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: العيش على الأرض ﴿وَمَا﴾: حرف نفي، واستثناء وهي من أدوات القصر وتخصيص فقد قصر ﴿الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ﴾: مقارنة متاع الدنيا بمتاع الآخرة ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء، بمعنى كونها ﴿مَتَاعٌ﴾: شيءٌ قليلٌ ذاهبٌ زائلٌ، يتمتع بها الكافر والمنافق، وهذا قليلٌ إذا قورن بالجنة؛ يقول ﷻ: ﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ (النساء-٧٧)، وقال ﷻ: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ [الأعلى-١٦]، دخل عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَإِنَّهُ لَعَلَى حَصِيرٍ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ شَيْءٌ، وَتَحَتَّ رَأْسِهِ وَسَادَةٌ مِنْ أَدَمٍ حَشَوْهَا لَيْفٌ، وَإِنَّ عِنْدَ رِجْلَيْهِ قَرْطًا مَصْبُوبًا، وَعِنْدَ رَأْسِهِ أَهْبٌ مُعَلَّقَةٌ، فَرَأَيْتُ أَنْتَ الْحَصِيرَ فِي جَنْبِهِ فَبَكَيْتُ، فَقَالَ: «مَا يُبْكِيكَ؟» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ

اللَّهِ إِنَّ كِسْرَى وَقَيْصَرَ فِيمَا هُمَا فِيهِ، وَأَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، فَقَالَ: «أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ لَهُمُ الدُّنْيَا  
وَلَنَا الآخِرَةُ»<sup>(١)</sup>، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: نَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى حَصِيرٍ فَقَامَ وَقَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِهِ،  
فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ اتَّخَذْنَا لَكَ وِطَاءً، فَقَالَ: مَا لِي وَلِلدُّنْيَا، مَا أَنَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا كَرَكَبٍ  
اسْتَنْظَلَ تَحْتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا<sup>(٢)</sup>.

**﴿يَقُولُونَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ  
أَنَابَ﴾ (٢٧)**

**﴿و﴾**: عطفًا على ما سبق **﴿يَقُولُونَ الَّذِينَ﴾**: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ **﴿كَفَرُوا﴾**: أنكروا  
وأخفوا الإيمان؛ عنادًا **﴿لَوْلَا﴾**: لولا هنا للعرض، والطلب، بمعنى هل تستطيعون **﴿أَنْزَلَ عَلَيْهِ  
آيَةً﴾**: يطلبون أن ينزل عليه معجزةً محسوسةً كمعجزات موسى وعيسى؛ عليهما السلام، دليلًا  
وبيئةً **﴿مَنْ﴾**: حرفٌ جرٌّ يفيد النوع وتمييزه وتفيد هنا ابتغاء الغاية الكلية **﴿رَبِّهِ﴾**: المعبود،  
والمُرَبِّي، مالك الأمر كله **﴿قُلْ﴾**: أخبرهم **﴿إِنَّ﴾**: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار **﴿اللَّهُ  
يُضِلُّ﴾**: يصرف القلوب والعقول عن الصواب **﴿مَنْ﴾**: الذي من جنس بني آدم المعاندين عن  
الهداية، ولم تنفعه المعجزات **﴿يَشَاءُ﴾**: إن أمر الله ﷻ أن يُضِلَّ أحدًا يتحقق بوجود آيةٍ أو  
بعدم وجودها **﴿و﴾**: أيضًا **﴿يَهْدِي﴾**: يُرشد ويدلُّ على دينه الحق **﴿إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾**: ويسهل  
الله ﷻ لمن شاء أن يهتدي للدين الحق، وخاصةً الذين يرجعون عن ضلالهم؛ والذين طلبوا  
رضوانه.

التكليف: لقد خلق الله ﷻ ابن آدم على الفطرة، فمن شاء فليؤمن، ويُسهل له الإيمان، ويزينه  
في قلبه، ومن اختار الكفر يُضِلُّ الله ﷻ قلبه؛ إذا لم يرجع.

**﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (٢٨)**

هنا استكمال صفات الذين آمنوا **﴿الَّذِينَ﴾**: اسمٌ موصولٌ، جاءت في محل نصب الفعل يهدي  
أو إنها بدلاً من قوله أناب **﴿آمَنُوا﴾**: صدَّقوا بالله ﷻ، وملائكته، وكتبه، ورسله، والقيامة،  
والجنة والنار، والقضاء، والقدر **﴿و﴾**: عطفًا على إيمانهم جاء حرف العطف ليفيد هنا الحال  
**﴿تَطْمَئِنُّ﴾**: ترتاح وتهدأ، وتطيب، وتسكن مشاعرهم، وأحاسيسهم **﴿قُلُوبُهُمْ﴾**: ولأنَّ سرَّ  
الإيمان والاطمئنان في القلب، ولأنَّ القلب هو مراكز الوعي والإدراك **﴿بِ﴾**: بآء المصاحبة  
**﴿بِذِكْرِ اللَّهِ﴾**: بالحمد والتسبيح، وتلاوة القرآن **﴿أَلَا﴾**: حرف يفيد التنبيه **﴿بِذِكْرِ اللَّهِ﴾**: وحده

(١) صحيح البخاري (١٥٦ / ٦) ٤٩١٣

(٢) سنن الترمذي ت بشار (٤ / ١٦٦) ٢٣٧٧ وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

دون سواه، وذلك باستحضار عظمة وقوة وفضل **﴿تَطْمِئِنُّ﴾**: تهدأ وترضى وترتاح **﴿الْقُلُوبُ﴾**:  
 يبين الله ﷺ هذه الحقيقة: اطمئنان قلب المؤمنين بذكر الله ﷻ، عن أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَبِي سَعِيدِ  
 الْخُدْرِيِّ أَنَّهُمَا شَهِدَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لَا يَفْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا حَفَّنَهُمُ  
 الْمَلَائِكَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ»<sup>(١)</sup>.

**﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾ (٢٩)**

**﴿الَّذِينَ﴾**: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ **﴿آمَنُوا﴾**: صدَّقوا بالله ﷻ وبرسوله ﷺ، لا يكفي  
 الإيمان بل يجب، أن يصاحبه **﴿وَعَمِلُوا﴾**: أيضًا نفَّذوا وطَبَّقوا **﴿الصَّالِحَاتِ﴾**: فنُقبِل العبادات،  
 وتُصلح المعاملات **﴿طُوبَى﴾**: هي شجرةٌ في الجنة يخرج من أكنانها ملابس أهل الجنة؛ حيث  
 العيش الطيب **﴿لَهُمْ﴾**: تمليكًا، هذا جزء الذين تطمئن قلوبهم بذكر الله ﷻ، وفيها قال ابن  
 عباس: فرجٌ من الله وقُرَّةٌ عينٍ هدوءٍ نفس، وقال عكرمة: نعم ما لهم، وقال الضحاك: غبطةٌ  
 وسرورٌ، وقال النخعي: خيرٌ لهم، وقال قتادة: يصيبه خيرٌ، وقال السدي عن عكرمة،  
 ومجاهد: لهم الجنة **﴿و﴾**: أيضًا لهم **﴿حُسْنُ﴾**: أفضل **﴿مَآبٍ﴾**: مرجعٌ ومُنْقَلِبٌ.

**﴿كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِيَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ  
 بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابٍ﴾ (٣٠)**

**﴿كَذَلِكَ﴾**: كما، مثل ذلك **﴿أَرْسَلْنَاكَ﴾**: يقول الله ﷻ لمحمدٍ ﷺ أرسلناك كتقرير نبوةٍ ولم يقل  
 ﷻ بعثناك، أرسلناك مثلما أرسلنا رسلاً من قبلك **﴿فِي أُمَّةٍ﴾**: جماعة من النَّاس من مصدر  
 عرقي واحدٍ أو أصحاب مذهبٍ واحدٍ، جاء اللفظ القرآني "أُمَّة" على تسعة وجوه، هنا بمعنى  
 أُمَّة محمدٍ ﷺ الإسلامية، وفيهم كفَّار، وملحدون، ومناققون **﴿قَدْ﴾**: حرفٌ جرٌّ يفيد هنا التحقق  
 بالتأكيد؛ لأنه وقع هنا على الفعل الماضي **﴿خَلَّتْ﴾**: سبقتها ومضت **﴿مِنْ﴾**: حرف بيان  
 النوع وتمييزه، وتقيد هنا الغاية الزمانية **﴿قَبْلِهَا﴾**: في الماضي **﴿أُمَّةٍ﴾**: سبقتها أممٌ مضت  
 وزالت؛ كفرت، وكذَّبت الرسل الذين أرسلهم اللهُ ﷻ إليهم، من قبلك **﴿لِ﴾**: حرف علَّةٍ وسببٍ  
**﴿تَتْلُو﴾**: تقرأ **﴿عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾**: لتعلمهم القرآن الكريم الذي أوحينا إليك **﴿وَهُمْ﴾**:  
 تحديداً **﴿يَكْفُرُونَ﴾**: يُنكرون، ويخفون حقيقة **﴿بِ﴾**: حرف باء الالتصاق **﴿الرَّحْمَنِ﴾**: هذه  
 الجماعة الكافرة تأنف ذكر الرحمن الرحيم، وهو من وصف الله ﷻ، ولذلك رفضوا في صلح  
 الحديبية أن تحتوي الوثيقة على بسم الله الرحمن الرحيم، وقالوا ما ندري ما الرحمن الرحيم،

<sup>(١)</sup>صحيح مسلم (٤/ ٢٠٧٤) - ٣٩ - (٢٧٠٠)

عَنِ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: أَحَبُّ الْأَسْمَاءِ إِلَى اللَّهِ عَبْدُ اللَّهِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ<sup>(١)</sup>. ﴿قُل﴾:  
 أَمْرٌ رَبَّانِيٌّ ﴿هُوَ﴾: ضميرٌ منفصلٌ مرفوعٌ للغائب المفرد المذكر، ويعني هنا الله ﷻ ﴿رَبِّي﴾:  
 فَإِنْ سَأَلُوا عَنِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ فَقُلْ هُوَ رَبِّي، الْمُعْبُودُ، وَالْمُرَبِّي ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿إِلَهُ﴾: معبود  
 ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾: اعتمدتُ عليه في كلِّ أمرٍ من أموري ﴿وَالنَّيِّبِ﴾  
 ﴿مَتَابٍ﴾: إليه أرجع، وأتوب من كلِّ ذنبٍ، فلا يستحق ذلك أحدٌ سواه.

التكليف: لا شك أن كُفَّار هذا الزمان يُنكرون كما أنكرت الأمم من قبلهم الرحمن الرحيم، لا  
 يرجعون إليه، بل جعلوا مرجعهم آلهة، وأصنامًا وأنماطًا أخرى؛ مثل الاحتكام إلى الدستور،  
 والقانون الذي يضعه البشر، وميثاق حقوق الإنسان الذي يطبقونه فقط على من يريدون.

﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمَ بِهِ الْمَوْتَى بَل لِّلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا  
 أَفَلَمْ يَنبَأِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ  
 بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾  
 (٣١)

﴿وَلَوْ﴾: حرف يفيد الاستحالة ﴿أَنَّ﴾: حرف يفيد تأكيد، ونفي الإنكار والشك ﴿قُرْآنًا﴾: لو  
 كان هناك قرآنٌ قبل هذا القرآن الذي نزل على محمد ﷺ، وسائر الكتب المنزلة قبله  
 ﴿سُيِّرَتْ﴾: تزول به ﴿بِهِ الْجِبَالُ﴾: يُحْرَكُهَا وَيُبْعِدُهَا مِنْ أَمَاكِنِهَا ﴿أَوْ﴾: حرف عطف يفيد  
 التخيير والتسوية بين متعاطفين؛ الأول سير الجبال، والثاني ﴿قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ﴾: أي قام  
 بتشقيق مسافات طويلة من الأرض ﴿أَوْ كَلِمَ بِهِ الْمَوْتَى﴾: صاروا أحياءً بقرائه عليهم، فكانوا  
 يفهمونه عند تكليمهم به كما يفهم الأحياء، أو جرى به كلام الموتى، وهم في قبورهم، والله  
 ﷻ أعلم، لو كان هناك كتب بهذه الصفات؛ فهذا القرآن الكريم الأحق من سائر الكتب أن  
 يُحقق هذا، لما فيه من إعجازٍ، لا يستطيع إنسٌ أو جنٌّ أو كلُّهم جميعًا أن يأتوا بسورةٍ من  
 مثله ﴿بَل﴾: حرف ينفي ما قبله؛ ويؤكد ما بعده ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا﴾: كلُّ الأمور ترجع إلى  
 الله ﷻ ﴿أَفَلَمْ﴾: أداة توكيدٍ وجزمٍ ﴿يَنبَأِ﴾: يعلم ويتبين ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد هنا  
 جميع مَنْ ﴿آمَنُوا﴾: المقصود أنهم يؤمنون من إيمان الخلق جميعًا، ويعلمون ﴿أَنَّ﴾: حرف  
 تأكيد الفعل ﴿لَوْ﴾: حرف يفيد الاستحالة ﴿يَشَاءُ﴾: يريد ﴿اللَّهُ لَن﴾: حرف علةٍ وسببٍ  
 ﴿هَدَى﴾: دلَّ وأرشد ﴿النَّاسَ﴾: عموم بني آدم ﴿جَمِيعًا﴾: لو أراد الله ﷻ لجعل الناس كلَّهم  
 مؤمنين؛ لآمن أهل الأرض جميعًا من غير معجزةٍ لما في هذا القرآن من معجزاتٍ ﴿وَلَا﴾

<sup>(١)</sup> سنن الترمذي ٤/٤٢٩ (٢٨٣٣). حسنه الترمذي وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ.

**يَزَالُ**: سيبقى الحال مستمراً في **الَّذِينَ كَفَرُوا**: غطّوا حقيقة الإيمان **ثَصِيبُهُمْ**: تحل بهم، وتنال منهم **بِمَا**: اسم موصول هنا بمعنى الذي **صَنَعُوا**: يصيب الكافرين بظلمهم وكفرهم **قَارِعَةً**: التي تفرع القلوب بالخوف والحزن وتهلكهم وتستأصلهم، هي داهية من دواهي وكوارث الدنيا، أو عذاب من السماء؛ نكبة، أو خسائر **أَوْ**: حرف عطف يفيد التخيير بين المتعاطفين **تَحُلُّ**: تنزل **قَرِيبًا مِنْ**: حرف يفيد بداية الغاية المكانية **دَارِهِمْ**: رسالة محمد ﷺ بجوارهم **حَتَّى**: حرف جرّ يدلّ على انتهاء الغاية الشرطية، أي لن يُصدقوا إلا بشرط أن **يَأْتِي وَعْدُ اللَّهِ**: قال عكرمة: سيكون فتح مكة بسبب وعد الله ﷺ، وقال الحسن البصري: يوم القيامة **إِنَّ**: حرف تأكيد **اللَّهُ لَا يُخْلِفُ**: يُغيّر **الميعاد**: لا ينقض وعده لرسله وأتباعه؛ بالنصر في الدنيا، والفوز في الآخرة.

**وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَمَلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ** (٣٢)

يُسْرَى الله ﷻ عن رسوله ﷺ تكذيب واستهزاء الكفار بدعوته؛ فيذكره، ويذكر المؤمنين من بعده **وَلَقَدْ**: حرف جرّ يفيد هنا التحقق بالتأكيد لأنه وقع هنا على الفعل الماضي **اسْتَهْزَيْ**: سخروا، وكذبوا، واحتقروا **بِرُسُلٍ** الله ﷻ **مِنْ**: حرف جرّ يفيد النوع وتمييزه وتفيد هنا ابتغاء الغاية الزمانية **قَبْلِكَ**: والأمثلة عديدة، والقائمة طويلة، والقرآن عرضها **فَ**: حرف يفيد السبب بهدف ترتيب الأمر المذكور وتنفيذه بسرعة دون تأخير **أَمَلَيْتُ**: أمهلت، أمددت وأطلت لهم **لِلَّذِينَ**: اسم موصول يفيد جميع من **كَفَرُوا**: أنكروا الأدلة والبراهين عن حقيقة الإيمان بالله ﷻ **ثُمَّ**: حرف يفيد التتابع الزمني غير السريع **أَخَذْتُهُمْ**: عاقبتهم عقاباً شديداً، ولقد أبلغتك يا محمد ﷺ عمّن أخذتهم الصيحة، ومنهم من أغرقنا، ومنهم من خسفنا بهم، فتأمل كيف كان عقابي لهم **فَكَيْفَ**: حرف استفهام بغرض التقريع **كَانَ**: حدث في الماضي **عِقَابِ**: ما أنزلت فيهم من عقوباتٍ شديدةٍ لاستهزائهم بالرسول.

**أَفَمَنْ هُوَ قَانِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ بظَاهِرٍ مِنَ الْقَوْلِ بَلْ زَيْنٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرَهُمْ وَضُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ** (٣٣)

**أَفَمَنْ**: حرف يفيد الاستفهام والتوبيخ، والتعجب، وعدم التساوي، بمعنى هل يستوي الذي **هُوَ**: ضمير مرفوع للغائب المفرد المذكر، ويعني هنا الذي **قَانِمٌ**: مسئول **عَلَى كُلِّ**: تفيد العموم **نَفْسٍ**: جاءت بصيغة؛ لتؤكد عموم الأنفس، أيهم أحق بالطاعة؟

هل الذي هو مسئول عن حياة كل نفس، وهو يرزقها، وهو الرقيب عليها **﴿بِمَا﴾**: اسم موصول هنا بمعنى الذي **﴿كَسَبَتْ﴾**: ما عملت من خيرٍ وشرٍ؟ أم الأصنام، والأوثان، والأفكار الضالة؟ **﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ﴾**: كالأصنام التي لا تسمع ولا تبصر، ولا تعقل ولا تتفهم؛ التي جعلوها شركاء لله ﷻ في عبادتهم وطاعتهم **﴿قُلْ﴾**: فعلٌ أمرٌ ربّاني **﴿سَمَوْهُمْ﴾**: من أجل تحقيرهم يأمر الله ﷻ رسوله ﷺ أن يطلب من للكفار أن يذكروا أسماء الذين يشركونهم في العبادة، قولوا هذا حجرٌ، وهذا بقرةٌ، والهدف هو التحقير **﴿أَمْ﴾**: بمعنى هل هنا أداة استفهام إنكاري وتوبيخي **﴿تَنْبِئُونَهُ﴾**: تخبرونه، وتعلمونه **﴿بِمَا لَا﴾**: حرف نفي **﴿يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ﴾**: هل تذكرون معلوماتٍ لله ﷻ، لا يعرفها، وهو الذي خلقها **﴿أَمْ﴾**: بمعنى هل **﴿بِ﴾**: حرف باء الظرفية **﴿ظَاهِرٍ مِنْ﴾**: بعض **﴿الْقَوْلِ﴾**: قال مجاهد: بظنٍ، وقال الضحاك وقتادة: بباطلٍ من القول؛ أي أنكم عبدتم هذه الأصنام، بظنٍ منكم أنها تنفع وتضر **﴿بَلْ﴾**: حرف ينفي ما قبله؛ ويؤكد ما بعده **﴿زَيْنٍ﴾**: التزيين التجميل والتحسين **﴿لِ﴾**: حرف تخصيص **﴿الَّذِينَ﴾**: اسمٌ موصولٌ يفيد الجميع **﴿كَفَرُوا﴾**: غطّوا، وأنكروا الدين **﴿مَكْرَهُمْ﴾**: كيدهم، أعجبتهم أقوالهم في أصنامهم **﴿وَ﴾**: حرف عطفٍ يفيد هنا الحال **﴿صُدُّوا﴾**: منعوا وقاوموا **﴿عَنِ﴾**: حرف جر يفيد المجاوزة **﴿السَّبِيلِ﴾**: رفضوا سبيل الله ﷻ، فقد زين لهم مكْرهم **﴿وَمَنْ﴾**: الذي من جنس العاقل **﴿يُضِلُّ اللَّهَ﴾**: من كتب الله ﷻ عليه الضلال؛ أي التيه والكفر **﴿فَمَا﴾**: حرف يفيد الخبر **﴿لَهُ﴾**: تخصيصاً **﴿مِنْ﴾**: حرف جرٍ يفيد النوع وتمييزه وتفيد هنا ابتغاء الغاية **﴿هَادٍ﴾**: لن يهديه أحدٌ.

التكليف: كانت الأصنام والأوثان آلهة زمان، واليوم ظهرت آلهة بمسمياتٍ ومضامين جديدة؛ كالفكرة الشيوعية، والعلمانية، والرأسمالية، والديمقراطية، وغيرها.

**﴿لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَعَذَابٌ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ﴾ (٣٤)**

**﴿لَهُمْ﴾**: تخصيصاً وتعليقاً **﴿عَذَابٌ﴾**: ما يؤلم ويضُرُّ **﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾**: يُخبر الله ﷻ الذين آمنوا بهذه الآلهة قديماً وحديثاً، أنّ العذاب هو مصيرهم في الدنيا، عندما يفشلون، ويخسرون، ويُعذبون، يوم يأتي عذابهم على أيدي المؤمنين قتلاً وأسرًا **﴿وَلِعَذَابِ الْآخِرَةِ﴾**: الذي هو **﴿أَشَقُّ﴾**: أكثر صعوبة وإيلامًا، هنا ذكر ما ادخر الله ﷻ لهم يوم القيامة، وهو أشدُّ عذاباً من عذاب الدنيا، فعذاب الدنيا له نهاية، حتى لو ماتوا، ولكن عذاب الآخرة مستمر؛ جاء في المعنى: **﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ﴾** [الفجر-٢٥] **﴿وَمَا﴾**: عطفًا على ما سبق

ليس ﴿لَهُمْ﴾: تخصيصًا ﴿مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ﴾: لن يجدوا من يحميهم من العذاب في الدنيا، ولا في الآخرة فلا حامي، ولا حافظ، ولا ناصر، وحُذِفَ حرف "ي" بسبب الوقوف عليها.

﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكْلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾ (٣٥)

﴿مَثَلٌ﴾: حال وشبهه ﴿الْجَنَّةِ الَّتِي وَعِدَ الْمُتَّقُونَ﴾: تأتي صفة الجنة التي وعدها الله ﷻ المتقين، الذين عبدوا الله ﷻ كأنهم يرونه ﴿تَجْرِي﴾: تسير باستمرار وبسرعة ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ يفيد النوع وتمييزه وتفيد هنا ابتغاء الغاية المكانية ﴿تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾: أنهار تجري من كل مكان، وإذا شاء أهلها غيروا مسارها، وفجروا منها أنهارًا؛ تفجيرًا، أي يصرفونها كيف شاؤوا، وأين شاؤوا ﴿أُكْلُهَا﴾: الطعام فيها ﴿دَائِمٌ﴾: طعامها، وفاكهتها، وشرابها دائم لا ينقطع ولا يفنى، ولا يُمنع. عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّكَ لَتَنْتَظِرُ إِلَى الطَّيْرِ فِي الْجَنَّةِ فَتَشْتَهِيهِ فَيَجِيءُ مَشْوِيًا بَيْنَ يَدَيْكَ<sup>(١)</sup>. ﴿و﴾: أيضًا ﴿ظِلُّهَا﴾: دائم في ظلها لا يُنسخ كما يُنسخ في الدنيا بالشمس ﴿تِلْكَ﴾: إشارة للمؤنث البعيد؛ والمقصود ﴿عُقْبَى﴾: هي العاقبة، نهاية وثواب وجزاء جائزة ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع من ﴿اتَّقَوْا﴾: عبدوا الله ﷻ بقناعة، طمعًا في رحمته، وخوفًا من عذابه، عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ، يَقُولُ: إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَأْكُلُونَ فِيهَا وَيَشْرَبُونَ، وَلَا يَنْقَلُونَ وَلَا يَبُولُونَ وَلَا يَتَغَوَّطُونَ وَلَا يَمْتَخِطُونَ قَالُوا: فَمَا بَالُ الطَّعَامِ؟ قَالَ: جُشَاءٌ وَرَشْحٌ كَرَشِحِ الْمِسْكِ، يُلْهَمُونَ الشَّيْبِخَ وَالنَّحْمِيدَ، كَمَا تُلْهَمُونَ النَّعْسَ<sup>(٢)</sup>. عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمٍ يَقُولُ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ الرَّجُلَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ يُعْطَى قُوَّةَ مِائَةِ رَجُلٍ فِي الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ وَالشَّهْوَةِ وَالْجِمَاعِ<sup>(٣)</sup>. ﴿وَعُقْبَى﴾: فإن مآل وآخرة ﴿الْكَافِرِينَ النَّارِ﴾: جهنم وبئس المصير.

﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَخْرَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبٌ﴾ (٣٦)

﴿و﴾: عطفًا على ما سبق؛ فإن ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع من ﴿آتَيْنَاهُمْ﴾: أنزلنا فيهم ﴿الْكِتَابَ﴾: هم أهل الكتاب الذي أنزل قبلك يا محمد ﷺ وهم أهل التوراة والإنجيل يفرحون لكونهم يجدون القرآن الكريم موافقًا لما في كتبهم ومصداقًا لهم، الذين آمنوا به، وأقاموه في واقعهم، عبادات، ومعاملات، وهم أهل الكتاب، كل كتاب، وختامه القرآن الكريم ﴿يَفْرَحُونَ﴾

(١) مسند البزار ٤٠١/٥ (٢٠٣٢). قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٤١٤/١٠: فيه حميد بن عطاء الأعرج وهو ضعيف.

(٢) صحيح مسلم ٢١٨٠/٤ (٢٨٣٥).

(٣) مسند أحمد ٦٥/٣٢ (١٩٣١٤). وصححه الأرنؤوط.



**بِمَا**: بالذي **أُنزِلَ إِلَيْكَ**: يفرحون بنزول آيات القرآن؛ لما فيه من الشواهد على صدقه بشارات نزلت من قبل **﴿وَمِنَ الْأَحْزَابِ﴾**: من اليهود والنصارى **﴿مَنْ﴾**: بني آدم الذي **﴿يُنْكِرُ﴾**: ينفي **﴿بِعِصْيَةِ﴾**: بعضهم يؤمن بالله ﷻ، وينفي بعض ما أنزل على محمد ﷺ **﴿قُلْ﴾**: أمر من الله ﷻ **﴿إِنَّمَا﴾**: حرف يفيد التحديد والحصر **﴿أُمِرْتُ﴾**: أمرني الله ﷻ **﴿أَنْ﴾**: حرف تأكيد الفعل وهو **﴿أَعْبُدَ اللَّهَ﴾**: أرسلت لأطيع الله ﷻ، وادعوا الناس جميعاً إلى عبادة الله ﷻ وحده **﴿وَلَا﴾**: حرف تحريم أن **﴿أَشْرَكَ بِهِ﴾**: وأمرت ألا يكون لله ﷻ شريك في الطاعة، كما كان في الأنبياء قبلي **﴿إِلَيْهِ أَدْعُو﴾**: أَدْعُو إلى الله ﷻ **﴿وَالِئِنَّهُ مَآبٍ﴾**: الرجوع؛ أي أدعوا الناس إلى الإيمان؛ بالرجوع إليه.

**التكليف**: هذه السورة تُعالج آفات المسلمين اليوم، أنهم يُشركون مع الله ﷻ دولاً، وقيادات، وأحزاباً، كعلماء وشيوخ السلاطين، وبعض الحركات التي تصف نفسها الإسلامية التي تتحرف؛ فنقتل المسلم، وتوالي وتُطَبِّع علاقاتها، وترتبط بالصليبيين، والشويعيين، واليهود.

**﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنَّ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَمَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ﴾ (٣٧)**

**﴿وَك﴾**: حرف الكاف للتشبيه **﴿ذَلِكَ﴾**: هنا إشارة تشبيهه للبعيد، مثل هذا **﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾**: كما أنزلنا على رسل من قبلك من كتب من السماء؛ أنزلنا القرآن **﴿حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾**: أنزل الله ﷻ القرآن مُحْكَمًا بلسان العرب، شرفاً وفضلاً لك يا محمد ﷺ على من سواك وأنزلناه مشتملاً على أصول الشرائع، وفروعها، نبينه بلسان عربي لتحكم بين العرب بلغتهم، كما أنزلنا الكتب السابقة على الرسل بلغاتهم **﴿و﴾**: عطفاً على هذا **﴿لَئِنَّ﴾**: حرف شرط يتبع ما بعده، بهدف إثارة السامعين على الثبات على الدين والتمسك الصلب به كما التمسك بالحُجَّة الصادقة **﴿اتَّبَعْتَ﴾**: سرت على **﴿أَهْوَاءَهُمْ﴾**: إذا اتبعت رغباتهم، وآراءهم، وأفكارهم **﴿بَعْدَمَا﴾**: بعد الذي **﴿جَاءَكَ مِنْ﴾**: بعض أو جزء **﴿الْعِلْمِ﴾**: الرباني الصحيح **﴿مَا لَكَ﴾**: تخصيصاً **﴿مِنْ﴾**: غير **﴿اللَّهُ مِنْ وَلِيٍّ﴾**: لن تجد لك ناصرًا، ومُحِبًّا، أو مُؤَيِّدًا **﴿وَلَا﴾**: لا تجد لك من **﴿وَاقٍ﴾**: ولا تجد من يحميك، من غضب الله ﷻ، وغضب المؤمنين.

**التكليف**: هنا تحذير شديد لأهل العلم، وخاصة رجال الدين كما يُسمَّون أنفسهم، الذين باعوا دينهم بعدما علموا تعاليم ربهم، ودرسوها، وتوسعوا فيها، ثم ذهبوا لينصروا وليبرروا جرائم السلطان الجائر أو الخائن أو الفاسد؛ هؤلاء لن يجدوا من ولي ولا واقٍ.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ (٣٨)

﴿وَلَقَدْ﴾: حرف جرّ يفيد هنا التحقق بالتأكيد لأنه وقع هنا على الفعل الماضي ﴿أَرْسَلْنَا﴾: بعث الله ﷻ ﴿رُسُلًا مِنْ﴾: حرف يفيد بداية الغاية الزمانية ﴿قَبْلِكَ﴾: يخبر الله ﷻ نبيه ﷺ والمسلمين أنه ﷻ أرسل رسلاً من قبل محمد ﷺ يأكلون الطعام، ويخرجون الفضلات، ويمشون في الأسواق؛ سعياً للرزق ﴿و﴾: أيضاً ﴿جَعَلْنَا﴾: هيأنا وأوجدنا ﴿لَهُمْ﴾: تخصيصاً ﴿أَزْوَاجًا﴾: زوجات ﴿وَذُرِّيَّةً﴾: ويأتون زوجاتهم، اللاتي يحملن، ويضعن أولادهن، كان الرسل من جنس البشر، لهم أزواج من النساء، وذرية توالدوا منهم ومن أزواجهم، ولم نرسل الرسل من الملائكة الذين لا يتزوجون؛ ولا يكون لهم ذرية ﴿وَمَا﴾: حرف نفي ﴿كَانَ﴾: لا يجب، ولا يحق ﴿ل﴾: حرف تخصيص ﴿رَسُولٍ أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿يَأْتِيَ بِ﴾: حرف باء التوكيد ﴿آيَةٍ﴾: بمعجزةٍ ومن جملتها ما طلبه الكفار كدليل ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿ب﴾: حرف باء الصلة ﴿إِنْ﴾: أمرٍ وسماحٍ من ﴿اللَّهِ﴾: ما جاء رسول بآيةٍ مُعْجِزَةٍ أو خارقةٍ إلا من الله ﷻ، وبأمره، وبإذنه ﴿ل﴾: حرف تخصيص ﴿كُلِّ﴾: تفيد العموم ﴿أَجَلٍ﴾: وقتٍ وليعلموا أنّ لكل إنسانٍ وكلّ مخلوقٍ وكلّ أمةٍ ﴿كِتَابٌ﴾: حكم معيّن، عُمر؛ مدّة زمنية مكتوبة في كتاب الله ﷻ، وكل شيءٍ عنده بمقدار، قال الضحاك: لكل كتاب أجل، كل شيء نزل من السماء له مدّة محدودة عند الله ﷻ، ومقدارٌ مُعيّن.

﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ (٣٩)

﴿يَمْحُو﴾: يُزِيل ويمحو الأحكام؛ كمحو الكلام المكتوب، يزيل المنسوخ ﴿اللَّهُ﴾ ﷻ من هذه الشرائع ﴿مَا﴾: الذي من غير جنس العاقل ﴿يَشَاءُ﴾: ما يريده ﴿و﴾: أيضاً ﴿يُثَبِّتُ﴾: يبقي المحكم من الأحكام كما هي؛ فلا ينسخه ﴿و﴾: عطفاً على هذا؛ فإن الله ﷻ يمحو من الكتاب المذكور ما يشاء من شقاوةٍ، أو سعادةٍ أو رزقٍ أو عمرٍ أو خيرٍ أو شرٍّ ويُبدّل هذا بهذا، ويجعل هذا مثل هذا، وقيل يمحو ما يشاء من الشرائع؛ فينسخه أو يثبتته ﴿عِنْدَهُ﴾: هو يملك ﴿أُمَّ﴾: دلالة على الأصل، وهو أصل الكتاب، كما قيل أم القرى عن مكة المكرمة. والأم في اللغة هي الوالدة القريبة التي ولدت وليدها، وهي أيضاً للأُم البعيدة مثل أم البشرية حواء عليها السلام، وهنا هي بمعنى أم الشيء، أي رأسه، وأعله ﴿الْكِتَابِ﴾: اللوح المحفوظ، والمقصود جنس الكتاب الذي نزل قبل القرآن الكريم، كلّهُ نُسخ بالقرآن الذي نزل على محمد ﷻ وثبته الله ﷻ، قال الثوري عن ابن عباس: يريد أمر السنة فيمحو الله ما يشاء إلا الشقاء

والسعادة، والحياة والموت، وقال مجاهد: يمحو الله كل شيء إلا الموت والحياة والشقاء والسعادة، فإنه قد فرغ منهما، عَنْ ثَوْبَانَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ الرَّجُلَ لَيُحْرَمُ الرَّزْقَ بِالذَّنْبِ يُصِيبُهُ، وَلَا يَزِدُّ الْقَدَرَ إِلَّا الدُّعَاءَ، وَلَا يَزِيدُ فِي الْعُمْرِ إِلَّا الْبِرَّ<sup>(١)</sup>. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَا يَنْفَعُ حَذْرٌ مَنْ قَدَرَ، وَالِدُّعَاءُ يَنْفَعُ مَا لَمْ يَنْزَلِ الْقَضَاءُ، وَإِنَّ الْبَلَاءَ وَالِدُّعَاءَ لِيَلْتَقِيَانِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَيَعْتَلِجَانِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ<sup>(٢)</sup>، وقال الكلبي: يمحو الله من الرزق، ويزيد فيه، ويمحو من الأجل، ويزيد فيه، وقال العوفي عن ابن عباس: هو الرجل يعمل الزمان بطاعة الله، ثم يعود لمعصية الله ﷻ؛ فيموت على ضلاله فهو الذي يمحو، والذي يُثبت: الرجل يعمل بمعصية الله، وقد كان سبق له خير حتى يموت، وهو في طاعة الله، هو الذي يثبت، وعن ابن أبي طلحة عن ابن عباس: يبدل ما يشاء؛ فينسخه، ويثبت ما يشاء، فلا يبدله في ملكه قيل: كل ذلك عند الله ﷻ في أم الكتاب الناسخة، وما يُبدل، وما يُثبت كل ذلك في كتاب، وقيل الحلال والحرام، وقال قتادة: جملة الكتاب وأصله، وقال ابن جرير: هو الذكر، وهي في البشر الوالدة القريبة التي ولدت وليدها وهي أيضًا للأم البعيدة مثل أم البشرية حواء عليها السلام.

﴿وَإِنْ مَا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفِّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ (٤٠)

﴿وَإِنْ﴾: حرف شرط ﴿مَا﴾: الذي ﴿نُرِيَنَّكَ﴾: نجعلك يا محمد تُشاهد وترى ﴿بَعْضَ﴾: جزءًا من كلٍ ﴿الَّذِي﴾: اسمٌ موصولٌ للمفرد ﴿نَعِدُهُمْ﴾: ما وعدناهم في حياتهم الدنيا من الخزي والعذاب ﴿أَوْ﴾: حرف عطفٍ يُفيد هنا التسوية بين الوفاة والوعد في الآية ﴿نَتَوَفِّيَنَّكَ﴾: أو نميتك قبل مشاهدة ما يقع فيهم من العذاب ﴿فَإِنَّمَا﴾: حرف يفيد التخصيص والتحديد ﴿عَلَيْكَ﴾: إنَّ مهمتك ﴿الْبَلَاغُ﴾: هنا أسلوب قصر الموصوف على الصفة، أي ليس لك إلا صفة التبليغ، إنَّ رسالتك ومهمتك أن تُبلِّغ ما أنزل إليك من ربِّك، وقد بلغت ﴿وَعَلَيْنَا﴾: أوجب الله ﷻ على نفسه ﴿الْحِسَابُ﴾: جزاؤهم الجنة، إنَّ هذه الآية الكريمة تحمل إلى رسول الله ﷺ، وإلى الدعاة ما يُسعدهم، حيث إنَّ مهمتهم التبليغ الصادق؛ بكلِّ جدٍ واجتهادٍ، وليسوا مُوكلين بالنتائج، كما أنَّ جهدهم لا يضيع؛ لأنَّ الثواب والعقاب من عند الله ﷻ.

﴿أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُضُهَا مِنْ أَطْرَفِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعٌ

الْحِسَابِ﴾ (٤١)

<sup>(١)</sup>مسند أحمد ٦٨/٣٧ (٢٢٣٨٦). وحسنه الأرناؤوط فقال: حسن لغيره.

<sup>(٢)</sup>مسند البزار ٤٠٠/١٤ (٨١٤٩). وحسنه الألباني في صحيح وضعيف الجامع الصغير ١٩٧/٢٨.

﴿أَوْلَم﴾: اسم مركب؛ يفيد الاستفهام، والإنكار والتوبيخ ﴿يَرَوْا﴾: يشاهد ويعلم أهل مكة ﴿أَنَا﴾: أننا نحن الله، قيلت بصيغة الجمع؛ للتعظيم ﴿نَاتِي﴾: نصيبها ونعمل في ﴿الأرض﴾: جاء اللفظ القرآني الأرض هنا بمعنى أرض مكة خاصة، عَنِ الضَّحَّاكِ، قَالَ: أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّا نَفْتَحُ لِمُحَمَّدٍ ﷺ الأَرْضَ بَعْدَ الأَرْضِ أَفَهُمُ الغَالِبُونَ؟ بَلِ اللّهُ وَرَسُولُهُ هم الغالبون<sup>(١)</sup>. ﴿نَنْقُصُهَا مِنْ﴾: حرف يفيد بداية الغاية المكانية ﴿أَطْرَافِهَا﴾: تأتي أرض الكفر ننقصها بالفتوحات على المسلمين منها شيئاً فشيئاً؛ حتى يتم الأمر بفتح مكة، فقد قال: ابن عباس: ألا يرون أننا نفتح لمحمد ﷺ أرض مكة، وقال مجاهد وعكرمة: خراب الأرض عموماً، وقال الحسن، والضحاك، والشعبي: ظهور المسلمين على المشركين، وأيضاً نقص الأنفس والثمرات وخراب الأرض، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمَا فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿أَوْلَمَ يَرَوْا أَنَّا نَاتِي الأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ [الرعد-٤١] قَالَ: مَوْتُ عُلَمَائِهَا وَفُقَهَائِهَا<sup>(٢)</sup>، وأهل الخير والصلاح فيها، والحققة والوعد أنه سيظهر الإسلام على الشرك قرية قرية، ويُعزز ذلك قول الحق ﷻ: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَى﴾ [الأحقاف-٢٧] ﴿وَاللَّهُ يَحْكُمُ﴾: يقضي بالحق لكل خلقه ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿مُعَقَّبٌ﴾: هو الذي يتعقب الشيء؛ فيبطله بالنقد، بمعنى لا ناقض ولا راد، ولا مُبطل ﴿لِحُكْمِهِ﴾: قضائه ﴿وَهُوَ﴾: ضمير رفع منفصل للغائب الفرد والمقصود هنا هو الله ﷻ ﴿سَرِيْعٌ﴾: لا يؤجل إلا ما يشاء من ﴿الحِسَابِ﴾: الجزاء، ثواباً، حسناً، أو عقاباً سيئاً.

﴿وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ﴾ (٤٢)

﴿وَقَدْ﴾: حرف جرّ يفيد هنا التحقق بالتأكيد، لأنه وقع هنا على الفعل الماضي ﴿مَكَرَ﴾: كاد وتآمر ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ ﴿مِنْ﴾: حرف بيان النوع وتمييزه، وتقيد هنا بداية الغاية الزمانية، هم الذين ﴿قَبْلِهِمْ﴾: يخبر الله ﷻ رسوله ﷺ أَنَّ الكُفَّارَ الَّذِينَ سَبَقُوا مَكْرًا، وكادوا، وتآمروا على رسلهم؛ وخططوا لطردهم، وكذبوهم، وافتروا عليهم، وأرادوا قتلهم ﴿فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا﴾: هنا نمط المشاكلة فمكر الله ﷻ ليس كمكر الناس، فأبطل الله ﷻ مكرهم، وأوقع بهم، وجعل العاقبة للمتقين، جاء في المعنى: ﴿وَمَكْرُوا مَكْرًا وَمَكْرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النمل-٥٠] ﴿يَعْلَمُ﴾: الله ﷻ العلم المطلق ﴿مَا﴾: الذي ﴿تَكْسِبُ﴾: تجني ﴿كُلُّ﴾: تفيد العموم ﴿نَفْسٍ﴾: يعلم الله ﷻ ما تفعله كل نفسٍ مكرًا للإسلام، أم مكرًا للكفار،

(١) التفسير من سنن سعيد بن منصور - محققاً (٥/ ٤٤١)

(٢) المستدرک على الصحيحين للحاكم (٢/ ٣٨١) «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ إِسْنَادًا وَلَمْ يُخْرِجَاهُ»

ويحاسبُ على كلِّ شيءٍ ﴿و﴾: عطفاً على هذا ﴿سَيَعْلَمُ﴾: حرف لتأكيد الفعل والقول في المستقبل؛ سيدرك يقيناً ﴿الْكَفَّارُ﴾: المنكرون لحقيقة الدين ﴿ل﴾: حرف تخصيصٍ وتمليك ﴿مَنْ﴾: الذي من جنس العاقل ﴿عَقَبَى الدَّارِ﴾: أنَّ العاقبة للمتقين، للمؤمنين، سيظهرون، وينتصرون، وعندها سيعلم الذين كفروا من أمثال أبي جهل، والمنافقين أنَّ النهاية هي النصر لاتباع الرسل في الدنيا والآخرة.

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾  
(٤٣)

﴿و﴾: عطفاً على هذا ﴿يَقُولُ الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ ﴿كَفَرُوا لَسْتَ﴾: أداة نفْيٍ ﴿مُرْسَلًا﴾: من وسائل الكفار أنهم يقولون: أنَّ محمداً ليس برسول من ربِّه إلى الناس من الله ﷺ؛ عندما يفشلون في دحض آياته، جاء الردُّ عليهم واجبٌ ربَّاني ﴿قُلْ﴾: فعلٌ أمرٌ ربَّاني ﴿كَفَى﴾: يكفي ﴿بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾: بمعنى شاهداً ﴿بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾: إنَّ علاج كذبهم هذا هو أن تُردَّ الشهادة لله ﷻ بينك وبينهم؛ هو ﷺ شاهدٌ على صدق دعوتي ويشهد لي بما أجزاه على يدي من المعجزات، وتلك شهادةٌ كافيةٌ، فقد بلغت الرسالة، وهو ﷺ شاهدٌ عليكم؛ أنكم تُكذِّبون وتفترون ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ﴾: الذي يملك الحقيقة هو المؤمن بما جاء على محمد ﷺ من أمثال عبد الله بن سلام، وسلمان الفارسي، وتميم الداري وغيرهم ﴿عِلْمُ الْكِتَابِ﴾: قال ابن عباس: ويشهد على ذلك اليهود والنصارى، ويعلم ذلك من أسلم من علمائهم الذين يجدون صفة محمد ﷺ مكتوبةً في التوراة والإنجيل؛ جاء في المعنى ﴿أَوْلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الشعراء-١٩٧].

التكليف: بدراسة مقاصد هذه السورة الكريمة؛ أن مهمة الرسل أوسع من إبلاغ الرسالة، وأنَّ الله ﷻ هو المغير للأحوال، والمتكفل بنصرة عباده المؤمنين، وهي تبشر بانتشار الإسلام في ربوع الدنيا، ولا راد لقضاء الله ﷻ وقدره، وأنَّ الله سريع الحساب، والعاقبة للمؤمنين. نُدرِك كيف واجه الرُّسل عليهم السلام، أمم المُكذِّبين في قومهم، وحجم المعاناة التي عانوها.



﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

سورة إبراهيم هذا اسمها، ولا يُعرف لها اسم غيره، هي سورةٌ كلّها مكيّة عند الجمهور، نزلت بعد سورة الشورى، وقبل سورة الأنبياء، وترتيبها السبعون في ترتيب نزول السور، وعدد آياتها (٥٢) عند أهل الكوفة

**﴿الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ (١)**

اعتمادًا على ما يقوله علماء النحو والبلاغة أن الضمائر في الكلام الأصل أن تعود على متقدم في اللفظ والرتبة، ولا تعود على متأخر في اللفظ والرتبة، بمعنى ما هو الاسم الذي سبق، وعليه فإن الحرفين **﴿أل﴾**: أرى، والله أعلم، أنّهما يدلّان على اسم الله ﷻ، كما ورد سابقًا في سور: البقرة، وآل عمران، والأعراف، ويونس، وهود، ويوسف، والرعد، ويعزز هذا ما جاء هنا في هذه السورة الكريمة في الآية رقم (١) **﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ﴾**، والكتاب هو القرآن الكريم، أنزله الله ﷻ، ولم يدّع أحدٌ أنّه أنزل القرآن، ويعزز هذا ما جاء في الآية رقم (٢) **﴿اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾**، وجاء في الآية رقم (٣) **﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾**، وجاء في الآية (٤) **﴿فَيُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ﴾** وجاء في الآية رقم (٨) **﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَغَفِيٌّ حَمِيدٌ﴾**، وفي الآية (٩) **﴿لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ﴾**، وفي الآية رقم (١٠) **﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ﴾**، وفي الآية (١١) جاء ذكر الله ثلاث مرات، وفي الآية (١٢) جاء ذكر الله مرتين.. وغيرها.

**حرف ﴿ر﴾**: أرى، والله أعلم، أنّها تعني "رب"، ويُعزز هذا إضافة على ما سبق في سور يونس، وهود، ويوسف، والرعد ما جاء هنا في الآية رقم (١) من هذه السورة لفظ **﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾**، وفي الآية رقم (٦) **﴿بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾**، وفي الآية رقم (٧) **﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ﴾**، ومن المعلوم أنّ الله هو ربُّ كلِّ شيءٍ وجاء ذكر اسم الله ﷻ في هذه السورة في الآيات [٢، ٣، ٤، ٥، ٦] وغيرها.

**﴿كِتَابٌ﴾**: هو القرآن الكريم **﴿أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ﴾**: معنى أنزل الله ﷻ القرآن جملةً واحدةً على محمد ﷺ، من اللوح المحفوظ أشرف كتاب على أشرف نبيٍّ إلى أهل الأرض جميعًا عربيًا وغيرهم وكلمة الإنزال تعني من العلو لتشير إلى عظمة المنزل وبركة المنزل، وكرامة المنزل عليه **﴿ل﴾**: حرف علّةٍ وسببٍ **﴿تُخْرِجُ﴾**: تُنقذ **﴿النَّاسِ﴾**: عموم البشر كلّ الناس **﴿مِّن﴾**: حرف يفيد التمايز **﴿الظُّلُمَاتِ﴾**: جاءت بصيغة الجمع والكفر واحد، ولكنه يستر جميع منافذ الجوارح، من البصر والسمع والكلام؛ فيؤدّي إلى والجهل، والضلال، والغّي، والظلم، والنتيه، والضياع وكلّها مُهلكاتٌ ومُسبباتٌ للنتيه **﴿إِلَى النُّورِ﴾**: إلى الإيمان، والرشد، والرشاد، والهدى

والتقوى، والعفاف، والسعادة، والفوز ﴿ب﴾: حرف باء التوكيد ﴿إِذْنَ﴾: بتيسير وتوفيق، وأمر، وإرادة ﴿رَبِّهِمْ﴾: المعبود، والمُربي، مالك أمرهم كله ﴿إِلَى صِرَاطٍ﴾: إلى طريق الحق والرشاد ﴿الْعَزِيزِ﴾: الذي به يعز الخلق؛ وإنه عزيز بذاته وليس بغيره من الخلائق، هو الغالب الذي لا يمنعه أحدٌ، ولا يغالبه أحدٌ، بل هو القاهرُ فوق عباده، ﴿الْحَمِيدِ﴾: الذي لا يلحقه الذم في فعله، المحمود في كل أفعاله، وأقواله، وشرعه، وأمره، ونواهيهِ، المشكور على فضله ومنته، الصادق في خبره، هي طريقة الله ﷺ الواضحة؛ التي شرعها لعباده.

﴿اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ (٢)  
 ﴿اللَّهُ﴾: جاء اسم الجلال بالجر لأن قبلها كانت الآية ﴿إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ ﴿الَّذِي﴾: اسم موصولٌ للفرد الواحد الأحد الفرد الصمد ﷻ ﴿لَهُ﴾: ملكه ﴿مَا﴾: الذي من جنس غير العاقل ﴿فِي السَّمَاوَاتِ﴾: هي كل ما علا الأرض، وأحاط بها؛ لكونها بيضاوية الشكل ﴿وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾: مالك هذه الأكوان، منها السموات والأرض، لم يدع ذلك أحدٌ من خلقه ﴿و﴾: عطفًا على هذا ﴿وَيْلٌ﴾: هلاكٌ، وحسرةُ العذاب الشديد، وقيل هو وادٍ في جهنم، وهو الغضب وهي كلمة تُقال للعذاب والهلاك فحقت بذلك على من كفر برسالة محمد ﷺ ﴿ل﴾: حرف تخصيص ﴿الْكَافِرِينَ﴾: الذين أنكروا، وحجبوا، وغطّوا حقيقة الإيمان، وأدواته ﴿مِنْ﴾: حرف بيان النوع وتمييزه، وتفيد هنا ﴿عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾: الإيلام والوجع.

﴿الَّذِينَ يَسْتَحْبُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ (٣)

﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع من ﴿يَسْتَحْبُونَ﴾: يطلبون، ويختارون، ويحبون ويؤثرون ﴿الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾: التمتع بنعيم العيش في الأرض ﴿عَلَى الْآخِرَةِ﴾: ويفضلونها على عيش الآخرة ﴿وَيَصُدُّونَ﴾: الذين أعرضوا عن الإيمان بأنفسهم، أو ويمنعون الناس عن الإيمان بالله ﷻ ﴿عَنْ﴾: حرف جرٍ يُفيدُ المجاوزة ﴿سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا﴾: يطلبونها، ويريدونها أن تكون الحياة ﴿عِوَجًا﴾: معوجة، زائغة، مائلة؛ بتباع الهوى، ولا يريدونها مستقيمةً في ذاتها وأفعالها ﴿أُولَئِكَ﴾: إشارة للبعيد ﴿فِي﴾: قلب، وداخل ﴿ضَلَالٍ﴾: في بطلانٍ في تيهٍ عن الحق يؤدي إلى فسادٍ فلا يصلح حالهم أبدًا ﴿بَعِيدٍ﴾: هؤلاء الكفار يعيشون في تيه، وجهل، وضياح، بعيدين عن الحق، فلا صلاح لهم، ولا خير فيهم؛ لأنهم ذهبوا بعيدًا في كفرهم.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٤)

﴿وَمَا﴾: حرف نفي ﴿أَرْسَلْنَا مِنْ﴾: حرف يفيد التمايز ﴿رَسُولٍ﴾: لم نرسل رسولاً ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء منقطع يعني فقط ﴿بِلِسَانٍ﴾: جاء ذكر اللسان لأنه أداة النطق، والمقصود هو بلغة ﴿قَوْمِهِ﴾: من كرم الله ﷺ وتيسيره على خلقه من بني آدم أنه أرسل الرسل، بلغات المرسل إليهم ﴿لِيُبَيِّنَ﴾: ليشرح، ويوضح ﴿لَهُمْ﴾: ليفهموا المعاني الصحيحة، ويعقلوا ما لهم وما عليهم ﴿ف﴾: حرف يفيد السبب، وقيل هي فاء الاستئناف للكلام بعدها ﴿يُضِلُّ﴾: تضع خطاه، ويضل السبيل إلى الحق بإرادة ﴿اللَّهُ مِنْ﴾: الذي من البشر ﴿يَشَاءُ﴾: بعد أن يبين الرسول للناس رسالته؛ ويصّر الكفار على كفرهم، فيضلهم الله ﷻ عن الهدى ﴿وَيَهْدِي﴾: أيضاً يقود إلى الدين الحق، جاء "الضلال" في هذه الآية قبل الهدى والإيمان؛ لكثرة الضالين على أهل الهدى ﴿مَنْ يَشَاءُ﴾: العاقل الذي استجاب وأمن؛ فسهل الله ﷻ الهدى لمن شاء من عباده ﴿وَهُوَ﴾: ﷻ ﴿الْعَزِيزُ﴾: الذي لا يغلبه ولا يمنعه شيء، وإذا أراد شيئاً كان ﴿الْحَكِيمُ﴾: في أفعاله، يضل من يستحق الضلال، ويهدي من يستحق الهدى، وهو ﷻ أهل الهداية.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ (٥)

﴿و﴾: عطفاً على ما سبق ﴿ل﴾: حرف اللام هنا للتأكيد ﴿قَدْ﴾: حرف جر يفيد هنا التحقق بالتأكيد؛ لأنه وقع هنا على الفعل الماضي ﴿أَرْسَلْنَا﴾: جاءت بصيغة الجمع؛ لفضلها ﴿مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا﴾: المعجزات التسع التي كانت لموسى، وهي أدلة وبراهين قاطعة الدلالة، كما أرسلناك يا محمد؛ قال مجاهد: فقد أرسلنا موسى ﷺ ﴿أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿أَخْرِجْ﴾: أبعد تماماً ﴿قَوْمَكَ﴾: هم أهل عشيرتك، وأقاربك بالنسب، والعقيدة ﴿مِنْ﴾: حرف يفيد التعليل والتمايز ﴿الظُّلُمَاتِ﴾: من ظلمات وعمة الجهل، والشرك، والضلال، والنتية ﴿إِلَى النُّورِ﴾: إلى نور الهدى والإيمان أو إلى العلم أو الحرية ﴿و﴾: حرف عطف يفيد هنا الحال ﴿ذَكِّرْهُمْ﴾: اذكر لهم حال المستقبل ﴿ب﴾: حرف باء الصلة ﴿أَيَّامِ اللَّهِ﴾: ذكّرهم بنعم الله ﷻ؛ وما فعله في الأمم السابقة، وفضله عليهم، يوم أخرجهم الله ﷻ من أسر فرعون، وقهره، وظلمه، وقتله لهم، وقد نجاهم من عدوهم، وفلق لهم البحر، وظلّل عليهم الغمام، وأنزل عليهم المن والسلوى، وغيرها من النعم ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿فِي ذَٰلِكَ﴾: فيما فعله الله ﷻ لكم من هذه النعم ﴿لآيَاتٍ﴾: هي أدلة، وبراهين، وحجج، وعبر ﴿لِكُلِّ صَبَّارٍ﴾: تخصيصاً لكل صابر شديد الصبر، في الضراء ﴿شَكُورٍ﴾: شاكراً، كثير الشكر.



التكليف: عَنْ صُهَيْبٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَصَابَتُهُ سَرَاءٌ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَاءٌ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ<sup>(١)</sup>.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ ادْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيَدَّبِحُونَ أَنْبَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ فِي دَلِكُمْ بَلَاءٍ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٍ﴾ (٦)

﴿وَإِذْ﴾: حرفٌ يدلُّ على حدثٍ في الماضي، واذكر يا محمد لقومك قصة موسى ﷺ يوم ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ﴾: تخصيصًا وتأكيديًا للذين من نسل يعقوب ﷺ؛ يقول الله ﷻ مُخْبِرًا عن موسى مع قومه ﴿ادْكُرُوا﴾: ليس بالكلام؛ بل بالتطبيق والفعل ﴿نِعْمَةً﴾: ذكر النعمة من العبد تستوجب الشكر على ما يُمتنعكم، وبما امتنَّ عليكم ﴿اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾: بأنَّ عدَدَ عليهم نعمه ﴿وَدَكَّرَهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ ﷻ، التي جاءت في الآية السابقة ﴿إِذْ﴾: ظرف زمان يفيد في الغالب الوقت الماضي؛ وبمعنى حين ﴿أَنْجَاكُمْ﴾: حافظ على حياتكم ﴿مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ﴾: يذيقونكم ﴿سُوءَ﴾: ما فيه شرٌّ وضرٌّ ﴿الْعَذَابِ﴾: أشدَّ العذاب ﴿و﴾: أيضًا ﴿يَدَّبِحُونَ أَنْبَاءَكُمْ﴾: والذبح هو شق الحلق وقطع الأوعية الدموية التي تصل الدم للمخ فيموت عندما كانوا يقتلون ذبحًا، كلٌّ من يُولد من بني إسرائيل في عامٍ بعد عام ﴿وَيَسْتَحْيُونَ﴾: يُبقون ﴿نِسَاءَكُمْ﴾: يُبقون نساء بني إسرائيل أحياء؛ ليستعبدهن في خدمة بيوتهم ﴿وَفِي دَلِكُمْ﴾: اسم إشارة للبعيد، هو ما أمر به ﷻ، حرف الذال اسم إشارة وحرف اللام للبعد ﴿بَلَاءٍ﴾: امتحانٌ واختبارٌ لإيمانهم، وقيل معناه النعمة عندما أنجاهم الله ﷻ من البلاء، وقيل هو اختبارٌ عظيمٌ ﴿مِنْ﴾: حرف جرٍ يفيد بيان النوع وتمييزه وتفيد هنا ابتغاء الغاية الكلية ﴿رَبِّكُمْ﴾: هو المُعبود، والمُربي، وهو إنشاء الشيء حالًا فحال إلى حدِّ التمام والخالق، والمالك، والعاطي، وكثيرُ الخير، والمُحيط، والمُدبِّر، والجابرُ لكسر البرايا، والثابت، والقريب، والجامع، والمصلح، والسيد، فهو ﷻ مالكٌ أمركم كله ﴿عَظِيمٍ﴾: معاناةٌ شديدة، وضرٌّ، وفيها اختبارٌ شديدٌ على النفس والجسد.

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ (٧)

﴿وَإِذْ﴾: حرفٌ يدلُّ على ما مضى من الزمن، واذكر حين ﴿تَأَذَّنَ﴾: أعلمكم ربكم، وأذنكم، إعلامًا لا شبهة فيه، ومعنى آخر: وإذ أقسم ﴿رَبُّكُمْ لَئِن﴾: حرف شرط ﴿شَكَرْتُمْ﴾: شكرتموه على نعمه عليكم بما ذكر ﴿لَ﴾: حرف علّة وسبب ﴿أَزِيدَنَّكُمْ﴾: لأزيد من نعمتي عليكم بالتأكيد. جاء عن أبي هريرة، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الطَّاعِمُ الشَّاكِرُ، كَالصَّائِمِ

(١) صحيح مسلم ٤/٢٢٩٥ (٢٩٩٩).

الصَّابِرِ»<sup>(١)</sup>. ﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿لَنْ﴾: حرف اللام للتأكيد ﴿كَفَرْتُمْ﴾: يا بني إسرائيل سترتم، وغطيتم، وجحدتم نعمة الله ﷻ؛ فاعلموا ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾: صعبٌ، وقاسٍ على النفس والجسد منها نزع هذه النعمة منكم، عَنْ نُوْبَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، رَفَعَهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: لَا يَزِيدُ الْقَدَرَ إِلَّا الدُّعَاءُ، وَلَا يَزِيدُ فِي الْعُمْرِ إِلَّا الْبِرُّ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لِيُحْرَمَ الرِّزْقَ بِالذَّنْبِ يُصِيبُهُ<sup>(٢)</sup>.

﴿وَقَالَ مُوسَى إِنَّ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ (٨)

﴿وَقَالَ مُوسَى﴾: عطفًا على قولهم قال موسى ﴿إِنَّ﴾: حرف شرط ﴿تَكْفُرُوا﴾: إن تغطوا وتحجبوا نعم الله ﷻ عليكم، وتخفوها وتكروها ﴿أَنْتُمْ﴾: تحديدًا ﴿و﴾: أيضًا ﴿مَنْ﴾: والذين غيركم من جنس العاقل ﴿فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾: لو كان حالكم حال كل البشر على الأرض ﴿فَإِنَّ﴾: حرف يفيد التأكيد على الفعل ﴿اللَّهُ لَغَنِيٌّ﴾: ليس في حاجة شكر عباده، لا يحتاج إليه؛ لأنه لا يزيد له في ملكه، ولا ينقص ﴿حَمِيدٌ﴾: المحمودُ على كل حالٍ وفي كل حين.

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ (٩)

﴿أَلَمْ﴾: أداة استفهامٍ بغرض التقرير ﴿يَأْتِكُمْ﴾: والمعنى أنّ هذا من كلام موسى ﷺ، لقد جاءكم؛ لقد قصصنا عليكم قد يكون هذا خطابًا من موسى ﷺ، لقومه؛ فيكون داخلًا تحت التذكير بأيام الله ﷻ، ويحتمل أن يكون من كلام الله ﷻ لقوم محمدٍ ﷺ، تحذيرًا لهم على مخالفته، على سبيل الاستطراد ﴿نَبَأٌ﴾: خبر ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع ﴿مِنْ﴾: حرف جرٍ يفيد بيان النوع وتمييزه وتفيد هنا ابتغاء الغاية الغاية الزمانية ﴿قَبْلِكُمْ قَوْمِ﴾: جماعةٍ من أصلٍ واحدٍ، وأصحاب عقيدةٍ واحدةٍ ﴿نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَ﴾: أيضًا قصصنا عليكم خبر ﴿الَّذِينَ مِنْ﴾: حرف يفيد بداية الغاية الزمانية ﴿بَعْدِهِمْ﴾: أقوامٌ كثيرةٌ ﴿أَلَا﴾: حرف نفي ﴿يَعْلَمُهُمْ﴾: أحدٌ منكم من كثرتهم ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء منقطع، فقط هو ﴿اللَّهُ﴾: لم يُخبرُ الله ﷻ عنهم، فبقوا في علمه وحده ﷻ ﴿جَاءَتْهُمْ﴾: حملت إليهم ﴿رُسُلُهُمْ﴾: المبعوثون من ربهم ﷻ ﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾: عرضت عليهم رسلهم الدلائل، والبراهين القاطعة، الباهرة ﴿ف﴾: حرف استثنائي يفيد هنا السبب بهدف ترتيب الأمر المذكور وتنفيذه بسرعة، دون تأخير ﴿رَدُّوا﴾: ثنوا أيديهم الممتدة ﴿أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ﴾: قيل عَضُوا على أصابعهم من الغيظ، وقيل:

(١) مسند أحمد ٢١٣/١٣-٢١٤ (٧٨٠٦) قال الأرنؤوط: حديث حسن، وقد ذكره البخاري تعليقًا في صحيحه.

(٢) مسند أحمد ٩٥/٣٧ (٢٢٤١٣). وحسنه الأرنؤوط فقال: حسن لغيره.

أشاروا إلى أفواه الرسل عندما دعوهم إلى الإيمان بالله ﷻ؛ ليسكتوا عنهم، وقيل وضعوا أيديهم على أفواه الرسل؛ ليسكتوهم؛ تكذيباً لهم، قال ابن عباس: لما سمعوا كلام الله ﷻ عجبوا، ورجعوا بأيديهم إلى أفواههم ﴿و﴾: عطفاً على ما جاء ﴿قَالُوا إِنَّا﴾: نحن بالتأكيد ﴿كَفَرْنَا﴾: لا نصدقكم وننكر ﴿بِمَا﴾: اسم موصول هنا بمعنى الذي ﴿أُرْسِلْتُمْ بِهِ﴾: جنتم به ﴿وَأِنَّا﴾: نحن بالتأكيد ﴿فِي شَكِّ﴾: وعندنا شك قوي ﴿مِمَّا﴾: كلمة مركبة من حرفي "من" و "ما" بمعنى الذي ﴿تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ﴾: تطلبون منا الإيمان به ﴿مُرِيبٍ﴾: من الريبة؛ مشكوك فيه، وقد قال قتادة ومجاهد: كذبوهم، وردوا عليهم قولهم.

﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ (١٠)

﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَ﴾: حرف استفهام بغرض الإنكار عليهم موقفهم ﴿فِي اللَّهِ﴾: في كلام الله ﷻ، الواحد الأحد ﷻ ﴿شَكٌّ﴾: لا شك في توحيده ﷻ لدلالته الظاهرة كخالق مبدع، كان هذا من المجادلة بين الرسل والكفار، فردت الرسل عليهم بهذا السؤال الاستنكاري، هل في وجود الله شك؟ ﴿فَاطِرِ﴾: الذي خلق وأبدع على غير مثال سابق ﴿السَّمَاوَاتِ﴾: هي كل ما علا الأرض وأحاط بها ﴿و﴾: أيضاً فاطر ﴿الْأَرْضِ﴾: خلقها ولم يكونوا من قبل، فهل يوجد مصنوعٌ بغير صانع، هل يوجد موجودٌ بغير واجد، فمن غير الله ﷻ خلقها؟ ﴿يَدْعُوكُمْ﴾: إلى الإيمان به وتوحيده، يطلب منكم لصالحكم ﴿ل﴾: حرف تخصيص ﴿يَغْفِرَ لَكُمْ﴾: يسامحكم ويزيلُ عنكم ﴿مِنْ﴾: حرف جرٍ يفيد بيان النوع وتمييزه وتقيد هنا بعض وليس كل؛ والقصد هو إخراج حقوق العباد ﴿ذُنُوبِكُمْ﴾: يوم القيامة ﴿و﴾: عطفاً على ما سبق ﴿يُؤَخِّرُكُمْ﴾: يُبقيكم في الدنيا ﴿إِلَى أَجَلٍ﴾: عمرٍ محددٍ كتبه الله ﷻ ﴿مُسَمًّى﴾: مُحدداً عنده ﷻ في كتاب، وهو الموت؛ فلا يُعذِّبكم في الدنيا ﴿قَالُوا إِنْ﴾: حرف تأكيد ﴿أَنْتُمْ﴾: تحديداً ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء منقطع، بمعنى أنتم فقط ﴿بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾: قال الكافرون نحن وأنتم بشر، سواءً بسواء، فلماذا نتبعكم؟ وتكون لكم القيادة، ولم نر منكم مُعجزة ﴿تُرِيدُونَ﴾: ترغبون ﴿أَنْ﴾: حرف تصور ﴿تَصُدُّونَا﴾: تمنعوننا بقوة ﴿عَمَّا﴾: عن الذي ﴿كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾: من الأصنام ﴿فَأْتُونَا﴾: هاتوا، وأحضروا ﴿بِسُلْطَانٍ﴾: بحجةٍ وبرهانٍ ﴿مُبِينٍ﴾: فأتونا بشيءٍ خارقٍ، معجزةٍ؛ تُؤكد صدقكم.

التكليف: إن موقف أهل الدنيا هو منهج كفار كل زمانٍ، محور الاختلاف عندهم هو القيادة من يقود؟ ولماذا يتخلون عنها؟ وهذه العقدة التي أوقعتهم في وحل الخيانة والتبعية للأجنبي، وهي أساس الانقلابات والاعتقالات!

﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (١١)

﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ﴾: كانت أقوال الرسل تُعبّر عن تعاليم الله ﷻ لهم ﴿إِنْ﴾: حرف نفي، بمعنى ما ﴿نَحْنُ﴾: ضمير رفع منفصل يُفيدُ الجمع، إلّا من أبناء آدم ﷺ، ما نحن ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء يفيد الحصر ﴿بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾: هذا قول الرسل إنهم بشر، أبناء آدم ﷺ؛ وليسوا ملائكة، ولا آلهة ﴿وَ﴾: حرف استدراك الكلام الذي بعده ﴿لَكِنَّ﴾: حرف استدراك ﴿اللَّهُ يَمُنُّ﴾: يتفضل ويتكرم ﴿عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ﴾: حرف يفيد بداية الغاية المكانية ﴿عِبَادِهِ﴾: إن الله ﷻ يتفضل، ويُعَمِّمُ، ويُكْرِمُ بالرسالة، وبالنبوة، وبالآيات على الخلق، وهذا هو الفرق بيننا وبينكم ﴿وَمَا﴾: حرف نفي ﴿كَانَ﴾: لا يجب ولا يصح ﴿لَنَا﴾: تحديداً ﴿أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿نَأْتِيَكُمْ﴾: نعرض عليكم ﴿بِ﴾: حرف باء المصاحبة ﴿سُلْطَانٍ﴾: لا يجوز لنا أن نأتي بما تطلبون وفق ما سألتهم ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿بِإِذْنِ﴾: بموافقة من ﴿اللَّهُ﴾: فيأذن لنا أو لا ﴿وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ﴾: يعتمد، ويتكل، ويستند ﴿الْمُؤْمِنُونَ﴾: المتوكلون على الله ﷻ في جميع أمورهم، ﷻ.

﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَىٰ اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ (١٢)

﴿وَ﴾: حرف الواو هنا لتكرار الاستدراك ﴿مَا﴾: حرف استنهام، بمعنى ليس ﴿لَنَا﴾: لا عذر لنا، ما الذي يمنعنا من التوكل على الله ﷻ؟ ﴿أَلَّا﴾: حرف تخصيص ﴿نَتَوَكَّلِ﴾: جاء تكرار التوكل لإلزام أنفسهم أولاً ثم أمر أتباعهم به واعتمادهم عليه ﷻ، بعد الأخذ بالأسباب ﴿عَلَىٰ اللَّهِ﴾: لماذا لا نعتمد على الله ﷻ ﴿وَقَدْ﴾: حرف جرّ يفيد هنا التحقق بالتأكيد؛ لأنه وقع هنا على الفعل الماضي ﴿هَدَانَا﴾: دلّنا وأرشدنا وعلمنا ﴿سُبُلَنَا﴾: أسلوب حياتنا الذي نسير عليه هو دستورنا، إن سبب اعتمادنا على الله ﷻ هو ما تفضّل به علينا بأنّ دلّنا لأفضل، وأقوم الطرق، وأوضحها، وأحسنها، والنتيجة أنّ الكافر يرفض، ويلجأ إلى العنف والإيذاء بكلّ الوسائل، فيردّ المؤمنون قائلين ﴿وَ﴾: عطفاً على عدوانكم ﴿لِ﴾: حرف يفيد السبب ﴿نَصْبِرَنَّ﴾: نصبر بكلّ تأكيد ﴿عَلَىٰ مَا﴾: الذي ﴿آذَيْتُمُونَا﴾: نوكد لكم أيّها الكافرون أنّنا

صابرون على كل أذى منكم، من كلامٍ فحشٍ، وأفعالٍ مؤذيةٍ سخيّةٍ، وسجنٍ وشنقٍ، وإبعادٍ عن الوطن، ومحاربةٍ في الوظائف وغيرها **﴿وَعَلَى اللَّهِ ف﴾**: حرف يفيد السبب **﴿لِيَتَوَكَّل﴾**: لهذا السبب يعتمد في كلِّ أمره **﴿الْمُتَوَكِّلُونَ﴾**: المعتمدون على الله ﷻ، وهذه قاعدة عامّة، وتوجيهٌ نافعٌ.

**التكليف**: لا تزال هذه الحالة تجري في كلِّ المجتمعات الإسلامية، تُحارب بالسجن، والإبعاد، والانقلاب، حرباً في المال والرزق، ولا يزال المتوكلون على الله ﷻ يقولون: ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا، ويظهر بين المؤمنين والمسلمين من يقول لا بد من ردِّ الصاع صاعين، وتوجيهات الله ﷻ تامّة وكاملة؛ تُجيب على كلِّ حالةٍ.

**﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ﴾ (١٣)**

**﴿و﴾**: أيضاً **﴿قَالَ الَّذِينَ﴾**: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ **﴿كَفَرُوا﴾**: المنكرون لكل عناصر الإيمان بالله ﷻ **﴿ل﴾**: حرف تخصيص **﴿رُسُلِهِمْ﴾**: الأنبياء، والرسل، والدعاة **﴿ل﴾**: حرف علةٍ وسببٍ **﴿نُخْرِجَنَّكُمْ﴾**: هو منهج الكافرين، عندما يفشلون في الحُجة؛ فيذهبون إلى خيار طرد الرسل والدعاة **﴿مِنْ﴾**: حرف جرٍّ يفيد بيان النوع وتمييزه وتفيد هنا ابتغاء الغاية المكانية **﴿أَرْضِنَا﴾**: من البلاد، فقد قالوا من قبل: **﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا﴾** [الأعراف-٨٨]، وقال غيرهم **﴿أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ﴾** [النمل-٦٥] **﴿أَوْ﴾**: حرف يفيد هنا التسوية؛ بهدف التخيير **﴿لَتَعُوذُنَّ﴾**: ترتدوا عن إيمانكم بالله أولاً **﴿فِي مِلَّتِنَا﴾**: في ديننا وشريعتنا؛ هنا مُقايضة الكافرين للمؤمنين أن يكفوا عن الدعوة إلى الله ﷻ، ويُصبحوا في دين الكافرين **﴿فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ﴾**: أخبر الله ﷻ المؤمنين **﴿رَبُّهُمْ﴾**: المُعبود، والمُربي، وهو المنشئ للكون بمن وبما فيه من حالٍ إلى حالٍ إلى حدِّ التمام، وهو الخالق، والمالك، والعاطي، وكثيرُ الخير، والمُحيط، والمُدبّر، والجابرُ لكسر البرايا، والثابت، والقريب، والجامع، والمصلح، والسيد **﴿لَنُهْلِكَنَّ﴾**: ندمرُ، ونزيلُ، ونستأصلُ بكلِّ تأكيدٍ **﴿الظَّالِمِينَ﴾**: جاء الردُّ بكلِّ وسائلِ التوكيد اللغوية، يُفيد هلاك الكافرين؛ بسبب ظلمهم لأنفسهم؛ وظلمهم للمؤمنين.

**﴿وَلَنُسَكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾ (١٤)**

**﴿و﴾**: حرف يفيد الجمع بين متعاطفين: الأول: هلاك الظالمين والثاني: **﴿ل﴾**: حرف سببٍ وعلةٍ **﴿نُسَكِّنَنَّكُمْ﴾**: بالتأكيد؛ نجعلكم تراثون أرضهم، وأموالهم، ونسكنكم فيها، جاء اللفظ القرآني "السكن" هنا بمعنى النزول أي نُنزلكم مساكنهم، انظر في قوله ﷻ **﴿وَسَكِّنَنَّهُمْ فِي﴾**

مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ ﴿إبراهيم-٤٥﴾  
**﴿الْأَرْضِ مِنْ﴾**: حرفٌ يفيدُ بدايةَ الغايةِ الزمانيةِ والمكانيةِ، أرضُ هؤلاءِ الكفارِ الذين توعدوكم من الإخراجِ أو العودةِ للكفر **﴿بَعْدِهِمْ﴾**: وهذه النتيجةُ الثانيةُ: أن يرث المؤمنون الأرض بعد النتيجة الأولى: وهي هلاك الظالمين **﴿ذَلِكَ﴾**: حرفٌ يُشيرُ إلى البعيد ما تقدم من هلاك **﴿لِ﴾**: حرفٌ تخصيصي **﴿مَنْ﴾**: للذي من جنس العاقل، وهو الإنسان **﴿خَافَ مَقَامِي﴾**: الذين يخافون مقام الله ﷻ في الدنيا، ويحسبون حساب العبد يوم القيامة، وأيضًا خاف عذاب الله ﷻ **﴿و﴾**: أيضًا الذي **﴿خَافَ وَعَبِد﴾**: ما توعده الله ﷻ به الكافرين من عذاب، وهذه صفات المُتقين، الذين يطيعون الله ﷻ بوعيٍ ويقينٍ؛ طمعًا في رحمته، وينتهون عن معصيته؛ خوفًا من عذابه. إنَّ مراقبةَ العباد لله ﷻ وخوفه تورث الأرض.

### **﴿وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ (١٥)**

**﴿و﴾**: عطفًا على ما سبق **﴿اسْتَفْتَحُوا﴾**: حروف است تقييد الطلب، فقد استتصر الرسل عليهم السلام، بالله ﷻ على أعدائهم، وقد يكون المعنى ما قال ابن عباس ومجاهد: طلبت الرسل من ربها النصر والفتح، وقال ابن أسلم: استفتحت الأمم الكافرة على نفسها، والظاهر من الآيات أن الحالتين وقعتا في الأمم **﴿وَخَابَ﴾**: النتيجة كانت خسارة **﴿كُلِّ﴾**: تقييد العموم **﴿جَبَّارٍ﴾**: والتجبر هو الذي لا يرى لأحدٍ عليه في نفسه **﴿عَنِيدٍ﴾**: معاندٍ للحق، إنَّ مصير هذا الصنف من الكافرين، جاء في المعنى: **﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾** [ق-٢٤].

### **﴿مَنْ وَرَّاهِ جَهَنَّمَ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ﴾ (١٦)**

**﴿مِنْ﴾**: حرفٌ جرٌّ يفيد بيان النوع وتمييزه وتقييد هنا ابتغاء الغاية الزمانية **﴿وَرَّاهِ جَهَنَّمَ﴾**: من أمامه، وما ينتظره في يوم القيامة؛ جهنم **﴿و﴾**: حرف عطفٍ يفيد هنا الحال **﴿يُسْقَى﴾**: وسيكون شراؤه فيها **﴿مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ﴾**: ما يسيل من جلود وجوف أهل النار، قال مجاهد: حميم، وغساق، القيح والدم، وقال قتادة: ما يسيل من لحمه وجلده، وما يخرج من جوف الكافر، مختلطًا بالقيح والدم، عَنْ جَابِرٍ، أَنَّ رَجُلًا قَدِمَ مِنْ جَيْشَانَ، وَجَيْشَانُ مِنَ الْيَمَنِ، فَسَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنْ شَرَابٍ يَشْرَبُونَهُ بِأَرْضِهِمْ مِنَ الدَّرَةِ، يُقَالُ لَهُ: الْمَرْزُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: أَوْ مُسْكِرٌ هُوَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ، إِنَّ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَهْدًا لِمَنْ يَشْرَبُ الْمُسْكِرَ أَنْ يَسْقِيَهُ مِنْ طِينَةِ الْخَبَالِ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا طِينَةُ الْخَبَالِ؟ قَالَ: عَرَقُ أَهْلِ النَّارِ أَوْ عُصَارَةُ أَهْلِ النَّارِ<sup>(١)</sup>، وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ **﴿وَيُسْقَى مِنْ**

(١) صحيح مسلم / ١٥٨٧/٣ (٢٠٠٢).

مَاءٍ صَدِيدٍ يَتَجَرَّعُهُ ﴿ [إبراهيم-١٧] قَالَ: يُقَرَّبُ إِلَيْهِ فَيَتَكْرَهُهُ، فَإِذَا أُذِنَ مِنْهُ شَوَى وَجْهَهُ، وَوَقَعَتْ فَرَوْهُ رَأْسِهِ، فَإِذَا شَرِبَ قَطَعَ أَمْعَاءَهُ، حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ دُبُرِهِ، يَقُولُ اللَّهُ ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ [محمد-١٥] وَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿وَإِنْ يَسْتَعِينُوا يُوَفِّئُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ﴾ [الكهف-٢٩] (١).

﴿يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ (١٧)

﴿يَتَجَرَّعُهُ﴾: يشربه غصبا عنه، غُصَّةٌ في حلقه، جرعةٌ بعد جرعةٍ كنايةً عن القهر والغلظة؛ يضره المَلَكُ بمطرقةٍ من حديدٍ ﴿وَلَا﴾: حرف نفي ﴿يَكَادُ﴾: يوشك ﴿يُسِيغُهُ﴾: لا يستطيع أن يبلعه؛ لسوء الطعم؛ وسوء اللون وكراهة الرائحة، ولحرارته الشديدة، أو برودته غير المحتملة ﴿و﴾: حرف يفيد أن الله ﷻ يجمع عليه أيضا ﴿يَأْتِيهِ﴾: يحلّ عليه ﴿الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ﴾: تفيد عموم الأماكن ﴿مَكَانٍ﴾: قال عكرمة: الألم أي الوجع الشديد في كلِّ مكانٍ من جسده، عظمٍ، وعصبٍ، وعرقٍ، حتى أطراف شعره. وهذه أنواع العذاب التي يعذب الله ﷻ بها المجرمين ﴿وَمَا﴾: حرف نفي ﴿هُوَ﴾: ضميرٌ منفصلٌ مرفوعٌ للغائب المفرد المذكر، وهنا تشمل الإناث ﴿بِ﴾: حرف باء السبب ﴿مَيِّتٍ﴾: لن يموت، سيبقى المجرم يتعذب فلا يموت ﴿وَمِنْ﴾: حرف يفيد بداية الغاية الزمانية والمكانية ﴿وَرَائِهِ﴾: ينتظره ﴿عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾: يتناسب مع غلظة أفعالهم، بعد هذه الفترة؛ هناك عذابٌ أشدُّ صعوبةً، وأكثرُ إيلاَماً، وأدهى وأمر، جاء في المعنى؛ قال ﷻ: ﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ \* ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ﴾ [الصافات-٦٧، ٦٨].

﴿مِثْلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ النَّبْعِيُّ﴾ (١٨)

﴿مِثْلُ الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ ﴿كَفَرُوا﴾: غطّوا، وأنكروا حقيقة الإيمان بالله ﷻ ﴿بِ﴾: حرف باء المجاوزة ﴿رَبِّهِمْ﴾: مالك أمرهم، وأمر الكون كله ﴿أَعْمَالُهُمْ﴾: يضر الله ﷻ مثلاً لأعمال الكفار يوم القيامة، وأعمال من على شاكلتهم؛ ستكون أعمالهم غير مقبولةٍ يمحَقها كما تمحق الريح الشديدة الرماد في يومٍ عاصفٍ؛ فهي تحمله بسرعةٍ وتنتشره في كلِّ مكانٍ؛ حتى لا يقدر عليه، ويبقى مكانه خالياً لا شيء فيه ﴿كَ﴾: مثل وحال ﴿رَمَادٍ﴾: وهو الهباء المتخلف من احتراق الشيء، خفيف الوزن، تطيره الرياح كُله بسهولة ﴿اشْتَدَّتْ﴾:

(١) المستدرک علی الصحیحین للحاکم ٢/٣٨٢ (٣٣٣٩) وقال: صحیح علی شرط مُسلم. ووافقه الذهبي.

ازدادت قوة وسرعة ﴿بِهِ﴾: عليه ﴿الرَّيْحُ﴾: كما جاءت ريحٌ عاصفةٌ شديدةٌ؛ فأخذته، ونثرته، وبعثرته ﴿فِي يَوْمٍ﴾: في وقتٍ من يومٍ، وقد يكون في لحظات، وقد يكون في يومٍ كاملٍ ﴿عَاصِفٍ﴾: شديد الهبوب، استمرت فيه العواصف ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يَقْدُرُونَ﴾: يستطيعون عملَ شيءٍ ﴿مِمَّا﴾: حرف يعني بعضًا أو جزءًا من الذي ﴿كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ﴾: ذهب كلُّ ما عملوه، قال ﷺ: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ [الفرقان-٢٣]، إنَّ ما يُقدِّمه الكفَّار والمُلحدون من مساعداتٍ غذائيةٍ، وأدويةٍ، وتبرعاتٍ وغيرها ﴿ذَلِكَ﴾: إشارة للبعيد ﴿هُوَ﴾: ضميرٌ منفصلٌ مرفوعٌ للغائب المفرد المذكر، ويعني هنا الله ﷻ ﴿الضَّلَالِ﴾: ﴿الْبَعِيدِ﴾: هذا نموذج التيه والضياع، وفقدان كلِّ شيءٍ، وفقدانِ ثوابِ كلِّ شيءٍ.

التكليف: كثيرون الذين يدعون أنهم يعملون لصالح الوطن، والمواطن، معتمدين على التعاون مع الصليبيين، أو مع اليهود، أو إبعاد الدين عن السياسة، أو باعتماد العلمانية، والشيعوية، وأمثالها، إنَّ أعمالهم في الآخرة وصفتها الآية.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ يَشَأُ يُدْهِبُكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ (١٩)

﴿أَلَمْ﴾: تفيد غالبًا الاستفهام بغرض التقرير، وتقيد الوجد، ﴿تَرَ﴾: الرؤية هنا تعني العلم، ألم تعلم يا محمد ﷺ وتُعاین، وتُدرك، وتتأكد بقلبك، والحديث إلى أمته أيضًا ﴿أَنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الإنكار والشك ﴿اللَّهُ خَلَقَ﴾: أوجد من غير سابق مثال ﴿السَّمَاوَاتِ﴾: هي كلُّ ما علا الأرض، وأحاط بها ﴿وَو﴾: أيضًا خلق ﴿الأَرْضِ﴾: إنَّ في دراسة السموات والأرض آيات لأصحاب العقول، ولم يقل أحدٌ غير الله ﷻ إنَّه خلقها ﴿بِ﴾: حرف باء المصاحبة ﴿الْحَقِّ﴾: الله ﷻ خلق السموات والأرض حقًا وعدلًا وصدقًا ﴿إِنَّ﴾: حرف شرط ﴿يَشَأُ﴾: يرغب ويريد ﷻ ﴿يُدْهِبُكُمْ﴾: تقضي، تزيل، تمضي، وتمحو ﴿وَيَأْتِ﴾: أيضًا يجيء ﴿بِ﴾: حرف باء السببية ﴿خَلَقٍ جَدِيدٍ﴾: إنَّ الله ﷻ الذي خلق أكبر منكم، وهي السموات والأرض، وما فيهن، هو ﷻ قادرٌ أن يُميتكم، ويُفنيكم، ويخلق غيركم من وما يشاء.

﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ (٢٠)

﴿وَمَا﴾: حرف نفي ﴿ذَلِكَ﴾: إشارة للبعيد ليس هذا الخلق، وما إهلاككم وإلتيان بغيركم بممتنعٍ ﴿عَلَى اللَّهِ بِ﴾: حرف باء التوكيد ﴿عَزِيزٍ﴾: عظيم، ولا مُمتنع، بل من السهل أن يزيلكم من الدنيا، ويأتي بغيركم، بصفات أفضل منكم، من الكواكب السيارة، والجبال والوديان والبحار والنبات والحيوان.



﴿وَبَرِّزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ  
عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرَعْنَا أَمْ صَبْرْنَا مَا لَنَا مِنْ  
مَحِيصٍ﴾ (٢١)

﴿و﴾: عطفاً على ما سبق ﴿بَرِّزُوا﴾: ظهرت الخلائق جميعاً يوم القيامة وخرجت من قبورها،  
المؤمن، والكافر، البر والفاجر، في بروزٍ على الأرض، ظهورٍ واضحٍ، لا يستترهم شيء ﴿لِلَّهِ  
جَمِيعًا﴾: بلا استثناء ﴿ف﴾: حرف يفيد السبب ﴿قَالَ الضُّعَفَاءُ﴾: الذين اتَّبَعُوا، وأطاعوا  
قادتهم ﴿ل﴾: حرف سبب ﴿الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾: وكبراءهم؛ والمتعالين عليهم؛ وبهذا ضلُّوا عن  
طاعة الله ﷻ ﴿إِنَّا﴾: نحن بالتأكيد ﴿كُنَّا﴾: في الدنيا ﴿لَكُمْ﴾: تخصيصاً ﴿تَبَعًا﴾: كنا  
تابعين، ملحقين بكم، نسمع منكم، ونطيع أوامرهم، ونقلدكم ونسير خلفكم ﴿فَهَلْ﴾: حرف يفيد  
الاستفسار مع الشك ﴿أَنْتُمْ مُغْنُونَ﴾: هل تدفعون عنا، أو تقللون شيئاً ﴿عَنَّا﴾: حرف يفيد  
المجاورة ﴿مِنْ﴾: حرف جرٍ يفيد بيان النوع وتمييزه وتقيده هنا بعض ﴿عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾:  
وهي تقيده العموم، كما وعدتمونا في الدنيا ﴿قَالُوا﴾: سادتهم وكبرائهم ﴿لَوْ﴾: حرف يفيد  
الاستحالة ﴿هَدَانَا اللَّهُ﴾: دلَّنا الله ﷻ للهدى؛ وهنا يُحْمَلُونَ الله ﷻ سبب عدم هداهم ﴿ل﴾:  
حرف علةٍ وسبب ﴿هَدَيْنَاكُمْ﴾: يفترون الكذب حتى في الآخرة، يقولون إنَّه لو هداهم الله  
وبسبب هداهم لهدوا غيرهم، ونسوا أنَّهم كفروا، وعاندوا، وامتنعوا، وآذوا الرسل، وآذوا أولياء الله  
ﷻ، وسجنوا وأبعدوا، وقتلوا الدعاة، وأكملوا قولهم ﴿سَوَاءٌ﴾: يتساوى ﴿عَلَيْنَا أَجْرَعْنَا﴾: أصابنا  
الخوف الشديد ﴿أَمْ﴾: أو ﴿صَبْرْنَا﴾: عن زَيْدِ بْنِ أَسْلَمٍ، في قوله: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرَعْنَا أَمْ  
صَبْرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ﴾، قال: «صَبْرُوا مِائَةَ سَنَةٍ، وَجَزَعُوا مِائَةَ سَنَةٍ، ثُمَّ قَالُوا: ﴿سَوَاءٌ  
عَلَيْنَا أَجْرَعْنَا أَمْ صَبْرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ﴾<sup>(١)</sup>؛ ﴿مَا﴾: ليس ﴿لَنَا﴾: تخصيصاً ﴿مِنْ﴾:  
حرف جرٍ يفيد بيان النوع وتمييزه وتقيده هنا ابتغاء الغاية الكلية ﴿مَحِيصٍ﴾: مالنا من مهربٍ،  
أو نجاةٍ، ولا غفرانٍ، ولا قبولٍ، عَنِ ابْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، عَنِ أَبِيهِ رَفَعَهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فِيمَا  
أَحْسَبُ فِي قَوْلِهِ: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرَعْنَا أَمْ صَبْرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ﴾، قَالَ: يَقُولُ أَهْلُ النَّارِ:  
هَلُمُّوا فَلْنَصِرْ، قَالَ: فَصَبْرُوا خَمْسَ مِائَةِ عَامٍ، فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ لَا يَنْفَعُهُمْ، قَالُوا: هَلُمُّوا فَلْنَجْرَعْ،  
قَالَ: فَيَبْكُونَ خَمْسَ مِائَةِ عَامٍ، فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ لَمْ يَنْفَعُهُمْ، قَالُوا: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرَعْنَا أَمْ صَبْرْنَا مَا  
لَنَا مِنْ مَحِيصٍ﴾<sup>(٢)</sup>.

(١) البعث والنشور للبيهقي ص: ٧٣٥ (١١٨٤)

(٢) المعجم الكبير للطبراني ٨٤/١٩ (١٧٢).

﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِي إِنْ كَفَرْتُمْ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٢٢)

﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا﴾: بمعنى حين؛ تدلُّ على حدوث شيء في الماضي ﴿قُضِيَ﴾: تم ﴿الْأَمْرُ﴾: جاء معنى الأمر هنا بمعنى الحساب، هذا المشهد يوم القيامة، دخل أهل الجنة الجنة، ودخل أهل النار النار، وقف إبليس اللعين خطيباً في أهل النار؛ ليزيد حسرتهم، وقال ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿اللَّهُ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقِّ﴾: بالبعث والحساب ومجازاة المحسن بإحسان والمسيء بإساءته؛ أرسل إليكم الأنبياء والرسول ﴿و﴾: أيضاً أنا ﴿وَعَدْتُكُمْ فَ﴾: حرف استثنائي بهدف ترتيب الأمر المذكور وتنفيذه بسرعة، دون تأخير وكان وعداً باطلاً، بأنه لا بعث ولا حساب ﴿أَخْلَفْتُكُمْ﴾: لم أنفذ شيئاً مما وعدتكم به، ولقد كذبت؛ فقد جاء في المعنى: ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [النساء-١٢٠] ﴿وَمَا﴾: حرف نفي ﴿كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ﴾: بعض؛ لم يكن لي أي ﴿سُلْطَانٍ﴾: لم يكن لي تسلط، أو حجة، أو دليل على ما وعدتكم به، ما كان عندي ما أجبركم على تصديقي فلا أتمكن من إدخالكم في الكفر رغماً عنكم ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء منقطع ﴿أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿دَعَوْتُكُمْ فَ﴾: حرف استثنائي بهدف ترتيب الأمر المذكور وتنفيذه بسرعة، ﴿اسْتَجَبْتُمْ لِي﴾: فسارعتم إلى إجابتي، يقول الشيطان: قلت لكم ستألون المال، والجاه، والسلطان، وتقيموا الدول؛ وأنتم صدقتم ﴿فَلَا﴾: أداة نهي تفيد طلب عدم الفعل؛ يريد منهم فقط عدم لومه ﴿تَلُمُونِي وَ﴾: عطفاً على ما سبق ﴿لُومُوا أَنْفُسَكُمْ﴾: لا لوم لكم علي؛ لوموا وأنبوا ووبخوا أنفسكم ﴿مَا﴾: حرف نفي ﴿أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ﴾: لست مُصْرِخِي، ولا مُخلصاً لكم، ولا نافعاً ولا منقداً ﴿و﴾: أيضاً ﴿مَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِي﴾: وأنتم لستم بمنقذي، ولا نافعين لي ﴿إِنِّي﴾: أنا بالتأكيد ﴿كَفَرْتُمْ﴾: تبرأت، وأنكرت، وأخفيت ﴿بِمَا﴾: اسم موصول هنا بمعنى الذي ﴿أَشْرَكْتُمُونِ﴾: ما جعلتم مني شريكاً ﴿مِنْ﴾: حرف جر يفيد بيان النوع وتمييزه وتفيد هنا ابتغاء الغاية الكلية الزمانية ﴿قَبْلُ﴾: أنا متبرئ من شرككم بي؛ بسبب ما أشركتموني، إني جددت أن أكون شريكاً لله عز وجل، وفي هذا جاء أيضاً، قال ﷺ: ﴿كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ [مريم-٨٢] ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿الظَّالِمِينَ﴾: الذين ظلموا أنفسهم بالكفر؛ فتركوا الحق، واتبعوا الباطل ﴿لَهُمْ﴾: نصيبهم تخصيصاً ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: يقول إبليس يوم القيامة ما قاله الله ﷻ للناس على لسان الرسل في الدنيا، عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ ؓ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: يَقُولُ

الْكَافِرُ: هَذَا قَدْ وَجَدَ الْمُؤْمِنُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَهُمْ، فَمَنْ يَشْفَعُ لَنَا؟ مَا هُوَ إِلَّا إِبْلِيسُ، هُوَ الَّذِي أَصَلْنَا، فَيَأْتُونَ إِبْلِيسَ فَيَقُولُونَ: هَذَا قَدْ وَجَدَ الْمُؤْمِنُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَهُمْ، ثُمَّ يَقُولُ الْكَافِرُونَ: فَقُمْ أَنْتَ وَاشْفَعْ لَنَا فَإِنَّكَ أَصَلَلْتَنَا، فَيُثَوِّرُ مَجْلِسَهُ مِنْ أَنْتَنِ رِيحٍ شَمَمَهَا أَحَدٌ قَطُّ، يَعْظُمُ لِحَنَّهُمْ، فَيَقُولُ الشَّيْطَانُ لِمَا فُضِيَ الْأَمْرُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُمْ فَأَخْلَفْتُمْ﴾ [إبراهيم-٢٢]، وَذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ قِرَاءَةَ الْمُنَافِقِينَ وَالْفَجَّارِ فَبَيْنَ مَا يَتَأَكَّلُونَ بِقِرَاءَتِهِمْ فَلَا يَرْتَابَنَّ أَحَدٌ فِي خُلُقِ الْمُنَافِقِينَ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ وَأَعْمَالِهِمْ (١).

**﴿وَأَدْخِلِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾ (٢٣)**

**﴿و﴾**: عطفًا على هذا **﴿أَدْخِلِ﴾**: حُشِرَ **﴿الَّذِينَ﴾**: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ **﴿آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾**: أطاعوا الله ﷻ ورسوله ﷺ وطبقوا في حياتهم وأعمالهم شريعة الله ﷻ؛ فدخلوا **﴿جَنَّاتٍ﴾**: وليس جنَّةً واحدة **﴿تَجْرِي﴾**: المياه مُتَحَرِّكةٌ مُتَجَدِّدةٌ **﴿مِنْ﴾**: حرفٌ جرٌّ يفيد بيان النوع وتمييزه وتفيد هنا بداية الغاية المكانية **﴿تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾**: أنهارٌ تجري حيث سار أهل الجنَّة في الجنَّة، في كلِّ مكانٍ **﴿خَالِدِينَ﴾**: ماكتين **﴿فِيهَا﴾**: في الجنَّة أبدًا، لا يحولون ولا يزولون **﴿بِإِذْنِ﴾**: أمرٌ وسماحٌ **﴿رَبِّهِمْ﴾**: بأمر مالك أمر الكون، والدنيا، والآخرة، وكان قراره ﷻ بخلودهم في الجنَّة **﴿تَحِيَّتُهُمْ﴾**: تحية الملائكة لهم **﴿فِيهَا﴾**: في الجنَّة **﴿سَلَامٌ﴾**: لقد ذكر الله ﷻ أن الملائكة تُسَلِّمُ عليهم، وجاء في المعنى: **﴿وَقَالَ لَهُمْ خِرَنَّتْهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾** [الزمر-٧٣]، وجاء في السياق: **﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ \* سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾** [الرعد-٢٣، ٢٤]، وجاء أيضًا: **﴿وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا﴾** [الفرقان-٧٥]

**﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ صَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ (٢٤)**

**﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ﴾** أداة استفهام للتعجب **﴿صَرَبَ﴾**: ذكر **﴿اللَّهُ مَثَلًا﴾**: لتشبيهه حال الفريقين **﴿كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾**: كلمة الإسلام، قال ابن عباس: هي شهادة لا إله إلا الله أو كل كلمة تأمرُ بمعروفٍ أو تنهى عن المنكر **﴿ك﴾**: حال ومثل **﴿شَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾**: هي تشبيه الكلمة الطيبة بالشجرة الطيبة المثمرة النافعة، وقيل هي النخلة، وقيل شجره في الجنَّة، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَخْبِرُونِي بِشَجَرَةٍ مِثْلَهَا مِثْلُ الْمُسْلِمِ، تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ

(١) خلق أفعال العباد للبخاري ص: ١١٧.

حِينَ يَأْذِنُ رَبِّهَا، وَلَا تَحْتُ وَرَقَهَا» فَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ، فَكْرِهْتُ أَنْ أَتَكَلَّمَ، وَتَمَّ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، فَلَمَّا لَمْ يَتَكَلَّمَا، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «هِيَ النَّخْلَةُ»، فَلَمَّا حَرَجْتُ مَعَ أَبِي قُلْتُ: يَا أَبَتَاهُ، وَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ، قَالَ: مَا مَنَعَكَ أَنْ تَقُولَهَا، لَوْ كُنْتَ قُلْتَهَا كَانَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ كَذَا وَكَذَا، قَالَ: مَا مَنَعَنِي إِلَّا أَنِّي لَمْ أَرَكْ وَلَا أَبَا بَكْرٍ تَكَلَّمْتُمَا فَكْرِهْتُ<sup>(١)</sup>، ﴿أَصْلُهَا﴾: جذورها ممتدة في الأرض، لا يقتلعها ريح ﴿ثَابِتٌ﴾: أصلها لا إله إلا الله في القلب، فالقلب هنا كالأرض الخصبة المثمرة، كجذور الشجرة في الأرض تُثَبَّتْهَا ﴿و﴾: حرف عطف يفيد هنا الحال ﴿فَرَعَهَا فِي السَّمَاءِ﴾: عاليةً باسقةً مرتفعةً أغصانها وثمارها.

﴿تُوْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ يَأْذِنُ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (٢٥)

﴿تُوْتِي﴾: تُخْرَجُ وَتُعْطِي ﴿أَكْلَهَا﴾: ثمرها دائماً ﴿كُلُّ﴾: جميع ﴿حِينٍ﴾: تقييد الاستمرار صباحاً، ومساءً، وقيل كل شهر، وكل شهرين، وقيل غير ذلك والمقصود هنا نخلة تُثمر كل ساعة من ساعات الليل والنهار، في جميع الأوقات من غير فرق بين صيفٍ أو شتاء ﴿يَأْذِنُ﴾: أمر وإرادة ومشية ﴿رَبِّهَا﴾: المُعبود، والمُربي، وهو المنشئ للكون بمن وبما فيه من حالٍ إلى حالٍ إلى حدِّ التمام والخالق، والمالك، والعاطي، وكثيرُ الخير، والمُحيط، والمُدبِّر، والجابرُ لكسر البرايا، والثابت، والقريب، والجامع، والمصلح، والسيد، فهم الذين غطوا، وأنكروا، ورفضوا البعث بعد الموت من مالك أمرهم في الدنيا وفي الآخرة تُرفع أعماله كاملة، حسنة طيبة، وكثيرةً مباركة ﴿و﴾: عطفاً على ما سبق ﴿يَضْرِبُ﴾: يذكر ﴿اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾: يسوق ﷻ الأمثال القريبة والواضحة للتذكير وتصوير المعاني المعقولة بالأمور المحسوسة يُرْسَخُ المعاني في نفوس الناس ويزيل الخفاء والشك ﴿ل﴾: حرف تخصيص ﴿النَّاسِ﴾: لعموم البشر ﴿لَعَلَّهُمْ﴾: حرف يفيد هنا الإشفاق ﴿يَتَذَكَّرُونَ﴾: يثوبون إلى رُشدِهم.

التكليف: الكلمة الطيبة شجرة مثمرة دائمة الخير والعتاء تؤلف القلوب، وتُصلح النفوس، وتُذهب الحزن، وتُزيل الغضب، وتُشعر بالرضا والسعادة، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ، لَا يُقْبَلُ لَهَا بَالًا، يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ، لَا يُقْبَلُ لَهَا بَالًا، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ»<sup>(٢)</sup>. مثل الإنسان المسلم كالشجرة؛ ثمرة عمله دائمة للناس، في كل وقت، صيفاً وشتاءً، ليلاً ونهاراً، كما أن عمله يُرفع ليلاً ونهاراً، وفي كل وقت.

(١) صحيح البخاري ٣٤/٨ (٦١٤٤).

(٢) صحيح البخاري ١٠١/٨ (٦٤٧٨).

﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾ (٢٦)

﴿و﴾: أيضًا ﴿مَثَلٌ﴾: تشبيهه ﴿كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ﴾: كلمة الكفر، والكافر الذي لا جذور له، ولا فروع مثمرة ﴿ك﴾: حرف تشبيه بمعنى مثل وحال ﴿شَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ﴾: اقتلعت واستئصلت، وهي شجرة الحنظل ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ يفيد بيان النوع وتمييزه وتقيد هنا ابتغاء الغاية المكانية ﴿فَوْقِ الْأَرْضِ﴾: لم يقل ﷺ من تحت الأرض؛ لأنها بلا جذور عميقة، لا أصل لها، ولا ثبات، كذلك الكفر، لا أصل ولا فرع، ولا ثمار ﴿مَا﴾: حرف نفي ﴿لَهَا﴾: حرف تمليك ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ يفيد بيان النوع وتمييزه ﴿قَرَارٍ﴾: جذور تثبتتها في مواجهة الريح وتغذيها من باطن الأرض.

التكليف: على المسلم انتقاء ألفاظه؛ فالكلمة الخبيثة كالشجرة الخبيثة في هيئتها ومنظرها وطعمها ومذاقها، ومع ذلك فلا أصل ثابت لها، وليس لها فرع في السماء، وإنما هي مقوضة الجذور، لا قرار لها ولا استقرار، تضرُّ صاحبها، وتضرُّ ناقلها، وتضرُّ متلقيها، وتضرُّ كلَّ من نطق بها، وتُسيءُ لكلِّ سامعٍ لها، إنها كلمةٌ سوء، لا خير فيها.

﴿يُنَبِّئُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ

وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ (٢٧)

﴿يُنَبِّئُ﴾: يقوي عزيمة الناس عندما يوضح منافعها ﴿اللَّهُ الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ ﴿آمَنُوا بِ﴾: حرف باء السببية ﴿الْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾: شهادة الحق ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ﴾: أيضًا يُثبت ﴿فِي الْآخِرَةِ﴾: في القبر عند السؤال، عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: الْمُسْلِمُ إِذَا سُئِلَ فِي الْقَبْرِ: يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ (١)، وَعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: ﴿يُنَبِّئُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾ [إبراهيم-٢٧] قَالَ: نَزَلَتْ فِي عَذَابِ الْقَبْرِ، فَيَقَالُ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّي اللَّهُ، وَنَبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يُنَبِّئُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [إبراهيم-٢٧] وعن ابن طاووس: في الدنيا لا إله إلا الله، وفي الآخرة السؤال في القبر، وقال قتادة: أمّا في الحياة الدنيا فيثيبهم بالخير، والعمل الصالح وفي الآخرة: في القبر، وقاله آخرون ﴿وَيُضِلُّ﴾: يسببُ لهم التيه والضياع ﴿اللَّهُ الظَّالِمِينَ﴾: هو تيه الكافرين؛ بضياع

(١) صحيح البخاري / ٨٠/٦ (٤٦٩٩).

(٢) صحيح مسلم / ٢٢٠١/٤ (٢٨٧١).

الشهادة منهم في الحياة الدنيا؛ وبعذابِ القبر في الآخرة ﴿وَيَفْعَلُ﴾: يعمل ويقول ﴿اللَّهُ مَا﴾: الذي ﴿يَشَاءُ﴾: يقرر ويُريد؛ فهو ﷺ صاحب الحق الكامل والقدرة المطلقة.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾ (٢٨)

﴿أَلَمْ تَرَ﴾: استنهامٌ بغرض التقرير، وهي تُفيدُ هنا التعجب من أمر كَفَّارِ مَكَّةَ ﴿إِلَى﴾: حرف جر يدل على انتهاء الغاية المكانية ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ ﴿بَدَلُوا﴾: غيروا شيئاً بشيءٍ ﴿نِعْمَتَ اللَّهِ﴾: فضله ﷺ، وكرمه، ورزقه، والأمن في الحرم، وبعثة الرسول ﷺ ﴿كُفْرًا﴾: التكذيب بالرسالة النبوية ﴿و﴾: عطفاً على ما سبق جعلوا بدل الشكر لنعمة الله ﷺ عليهم الكفر بها؛ وذلك بتكذيبهم محمداً ﷺ عندما بعثه الله ﷺ فيهم ﴿أَحَلُّوا﴾: أنزلوا ﴿قَوْمَهُمْ﴾: عشيرتهم، وأنصارهم ﴿دَارَ﴾: مسكن، وموقع، ومنزلة ﴿الْبَوَارِ﴾: دار الهلاك، والقوم البور هم الهالكون، والأرض البور هي التي لا تُنتج، وهم كَفَّارِ مَكَّةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ﴿الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا﴾ [إبراهيم-٢٨]. قَالَ: «هُمُ وَاللَّهُ كَفَّارُ فُرَيْشٍ» قَالَ عَمْرُو: هُمُ فُرَيْشٌ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ نِعْمَةُ اللَّهِ ﴿وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾ [إبراهيم-٢٨] قَالَ: «النَّارَ، يَوْمَ بَدْرٍ»<sup>(١)</sup>.

﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ﴾ (٢٩)

﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا﴾: يدخلونها، ويُعذبون بناها يوم القيامة ﴿و﴾: عطفاً على هذا ﴿بِئْسَ﴾: ساء، وأسوأ ﴿الْقَرَارُ﴾: المصيرُ والمُقام.

﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِن مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ﴾ (٣٠)

﴿و﴾: عطفاً على ما سبق، والسبب أنهم ﴿جَعَلُوا﴾: اختلقوا ﴿لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾: لله ﷻ شركاء في العبادة والربوبية ﴿ل﴾: حرفٌ يفيدُ هنا العاقبة ﴿يُضِلُّوا﴾: يصرفوهم، ويُبعدهم عن الإيمان، ويوقعوهم في الضلال ﴿عَنْ﴾: حرفٌ جرٌّ يفيدُ المجاوزة ﴿سَبِيلِهِ﴾: منهجه وطريقه؛ فدعوا النَّاسَ إلى عبادتهم ﴿قُلْ﴾: أمر رباني ﴿تَمَتَّعُوا﴾: تنعموا بالمال، والجاه، وغيره في الحياة الدنيا ﴿فَإِنَّ﴾: إنَّ حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿مَصِيرَكُمْ﴾: مآلكم، مرجعكم، مستقركم ﴿إِلَى النَّارِ﴾: إلى جهنم.

﴿قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمًا لَا بِنِعْ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ﴾ (٣١)

(١) صحيح البخاري ٧٦/٥ (٣٩٧٧).

﴿قُل﴾: أمرٌ من الله ﷻ لرسوله ﷺ ومنه ﴿ل﴾: حرف تخصيص ﴿عِبَادِي الَّذِينَ آمَنُوا﴾: لكلّ المسلمين المؤمنين يقينًا، هنا تشريفٌ من الله ﷻ للمؤمنين بأن خصّهم أن يكونوا عباده؛ وهذا يستوجب منهم أن ﴿يُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾: المحافظة على وقتها، وحدودها، ركوعًا، وسجودًا، وخشوعًا، ويُتبعون الصلاة ﴿و﴾: أيضًا ﴿يُنْفِقُوا مِمَّا﴾: من الذي ﴿رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا﴾: الإحسان بالمال على المحتاجين، دون أن يعلم أحدٌ، قال البيضاوي: والأحب إعلان الواجب "النفقة" وإخفاء "المتطوع به" أي المتبرع حتى لا يكون من باب الرياء ﴿وَعَلَانِيَةً﴾: الإنفاق والناس تعرف من باب تشجيع الآخرين، والحث على الإنفاق؛ لأنّ النيات خالصة في الحالتين ﴿مِنْ قَبْلِ﴾: تقاديًا أن يمر العمر ﴿أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿يَأْتِي يَوْمٌ﴾: يأمر الله ﷻ الناس أن يُبادروا بالإنفاق، ويُسارعوا قبل الموت وقبل يوم القيامة حيث ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يَبِغُ﴾: هو إعطاء الشيء المئتمن وأخذ الثمن ﴿فِيهِ﴾: لا بيع ولا شراء، ولا تُقبل فيه فدية عن النفس؛ حتى لو كانت ملاء الأرض ذهبًا ﴿وَلَا﴾: أيضًا لا يوجد ﴿خِلَالَ﴾: لا تتفع صُحبة صاحبٍ أو صديق.

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْفَلَكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْأَنْهَارَ﴾ (٣٢)

﴿اللَّهُ الَّذِي﴾: اسم موصول بالفرد هو الواحد الأحد، ﷻ ﴿خَلَقَ﴾: أوجد من غير سابق وجود ﴿السَّمَاوَاتِ﴾: هي كلّ ما علا الأرض وأحاط بها، أي حولها؛ يقول الله ﷻ لعباده مذكّرًا بأنعمه، بخلق السموات، وما فيهن من شمسٍ، وقمرٍ، ونجومٍ ﴿و﴾: أيضًا خلق ﴿الْأَرْضَ﴾: جاء ذكر خلق الأرض بمواصفاتها، التي تخدم الإنسان، بنزول المطر من السماء وانتفاع الأرض به من زراعةٍ، وإقامةٍ، وبناءٍ، ووسائل حياةٍ، وسقي الدواب وإخراج الثمار ﴿وَأَنْزَلَ مِنْ﴾: حرف يفيد بداية الغاية المكانية ﴿السَّمَاءِ مَاءً﴾: حيث ظاهرة تبخر الماء، وحمل الرياح له، ثم تمطر حيث أراد الله ﷻ، يُذَكِّرُ الله ﷻ فوائد المطر ﴿ف﴾: حرف يفيد السبب ﴿أَخْرَجَ﴾: أنبت ﴿بِهِ﴾: بالماء ﴿مِنْ﴾: بعض أو جزء ﴿الثَّمَرَاتِ﴾: أنواع الزرع ﴿رِزْقًا لَكُمْ﴾: يُعَدِّدُ نعم الله ﷻ على عباده؛ حيث علّمهم الزراعة التي بها يحيون هم وأنعامهم ﴿وَسَخَّرَ﴾: أيضًا هيأ وجّهز ﴿لَكُمْ﴾: أنواع الزرع ﴿الْفَلَكَ﴾: وضع لهذه العلاقة بين البحر والإنسان قانون الطفو ﴿لِتَجْرِيَ﴾: تسير بسرعة ﴿فِي الْبَحْرِ بِ﴾: حرف باء السببية ﴿أَمْرِهِ﴾: بقراره؛ الذي به تسير حاملات الطائرات، وحاملات البضائع العملاقة فوق سطح الماء؛ فلا تغرق، بينما قطعة

حديد صغيرة تغرق ﴿وَسَخَّرَ﴾: هيأً وجَهَّزَ ﴿لَكُمْ﴾: تخصيصًا وتمليغًا ﴿الْأَنْهَارَ﴾: التي تُورَعُ الماء على مناطق جرداء؛ فتجري فيها من مكانٍ إلى مكانٍ.  
التكليف: إن ذكر هذه النعم على وجه الخصوص التي تفضل بها ﷺ على العباد يستوجب منهم الإقرار بربوبيته وشكره قولاً وعملاً.

### ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبِينَ وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ (٣٣)

تستمر الآيات في ذكر نعم الله ﷻ على الخلق؛ فبعد ذكر خلق السماء والأرض، والمزروعات، والفلك، والأنهار ﴿وَسَخَّرَ﴾: أيضًا خصصها، وأمرها بدورانها، وإرسال أشعتها ﴿لَكُمْ﴾: تخصيصًا وتمليغًا ﴿الشَّمْسَ﴾: التي تُدْفئُ الكون، وتُبَخِّرُ مياه البحار؛ لتصير سحابًا، وهي التي لا ينمُّ التمثيلُ الغذائيُّ دونها، فتنمو المزروعات من الأشجار والخضروات ﴿وَالْقَمَرَ﴾: أيضًا سَخَّرَ لكم ﴿الْقَمَرَ﴾: الذي يُضيء الأرض، ودوره في حركة البحار ﴿دَائِبِينَ﴾: والشمس، والقمر مستمران في أداء دورهما النافع للخلق ﴿وَسَخَّرَ﴾: جعلها تعمل بأمره لا تتخلف ولا ترفض ﴿لَكُمْ﴾: تمليغًا وتخصيصًا ﴿اللَّيْلَ﴾: سكناً وراحة ﴿وَالنَّهَارَ﴾: الذي فيه النشاط للإنسان، والحيوان، والنبات.

### ﴿وَاتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعْدُوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ (٣٤)

﴿و﴾: أيضًا ﴿آتَاكُمْ﴾: أعطاكم دون ثمن، ولا عدد ما لا يُحصى من النعم التي هي ﴿مِنْ﴾: حرف جرٍ يفيد بيان النوع وتمييزه وتقيد هنا ابتغاء الغاية الكلية ﴿كُلِّ﴾: تقيد عموم ﴿مَا﴾: الذي ﴿سَأَلْتُمُوهُ﴾: كل ما طلبتم وتطلبون وما لم تطلبوا ﴿وَإِنْ﴾: حرف تأكيدٍ وشرطٍ ﴿تَعْدُوا نِعْمَتَ اللَّهِ﴾: إن حاولتم أن تُحصوا فضل الله ﷻ عليكم ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿تَحْصُوهَا﴾: لا تُطبقوا إحصاءها بوجهٍ من الوجوه، فهي أكبرُ من أن تُحصى وتُعدَّ ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيدٍ ونفي الشك والإنكار ﴿الْإِنْسَانَ﴾: جنس الإنسان عمومًا مجبولٌ على ﴿ل﴾: حرف علّةٍ وسببٍ ﴿ظَلُومٌ﴾: الظلم الكبير للنفس ﴿كَفَّارٌ﴾: جاحدٌ، منكّرٌ، ومغطٍ لنعم الله ﷻ.

### ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ (٣٥)

﴿وَإِذْ﴾: حرف يدلُّ على ما مضى من الزمن، يطلب الله ﷻ من محمد ﷺ أن يتذكر يوم ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ﴾: ابن آزر وهو أبو الأنبياء عليهم السلام ﴿رَبِّ﴾: هو تعالى المعبود، والمُرَبِّي، وهو المنشئ للكون بمن وبما فيه من حالٍ إلى حالٍ إلى حدِّ التمام والخالق، والمالك، والعاطي، وكثيرُ الخير، والمُحيط، والمُدبِّر، والجابز لكسر البرايا، والثابت، والقريب، والجامع، والمصلح،



والسيد، فهم الذين غطوا، وأنكروا، ورفضوا البعث بعد الموت من مالك أمرهم في الدنيا وفي الآخرة، داعيًا بعد أن أسكن ابنه إسماعيل وزوجته هاجر وادي مكة: يا مالك أمري كله **﴿اجعل﴾**: اكتب وهى **﴿هذا﴾**: اسم إشارة للفرد المذكور **﴿البلد﴾**: تذكر هذه الآية الكريمة دعاء إبراهيم عليه السلام أن اجعل هذا البل، مكة المكرمة التي سكنها آل إبراهيم يوم ترك فيها زوجته هاجر وابنها إسماعيل وحيدين **﴿أمنًا﴾**: فصارت مكة عامرة بأهله، وساكنيها، وزوارها **﴿واجنبني﴾**: عطفًا على هذا أبعدني أنا **﴿و﴾**: وأيضًا جنّب **﴿بني﴾**: جاء دعاء إبراهيم عليه السلام؛ أن يُجنّب ولديه، إسماعيل، وإسحاق الذي ولد بعد إسماعيل بثلاث عشرة سنة، ونسلهما من بعدهم جميعًا **﴿أن﴾**: حرف تأكيد الفعل أن ننصرف عن عبادتك ف **﴿نعبد﴾**: نطيع أو نشرك **﴿الأصنام﴾**: يدعو إبراهيم عليه السلام، أن يحفظه وذريته من عبادة الأصنام.

التكليف: جواز دعاء الأب والأمّ للأبناء بالخير وخاصة عبادة الله تعالى وحده، واستحضار أن مكة المكرمة عمّرت بآل إبراهيم زوجته هاجر، وابنه إسماعيل بعبادة الله تعالى وحده، والتبرؤ من الذين يعبدون من دون الله تعالى أفكارًا وأشخاصًا.

**﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾**  
(٣٦)

**﴿رَبِّ﴾**: يطيب لإبراهيم عليه السلام، أن يبدأ مُعتزًا، ومُعتزًا بربوبية الله تعالى قبل أن يطلب منه تعالى **﴿إِنَّهُنَّ﴾**: أي الأصنام، والأوثان، وأمثالهن **﴿أضللن﴾**: كانت سببًا في تيه وضياح **﴿كثيرًا من﴾**: حرف يفيد التمييز **﴿الناس﴾**: في الأجيال السابقة واللاحقة من أبناء آدم عليه السلام؛ كونها جمادات لا تعقل **﴿فمن تبعني﴾**: الذي آمن بي، وصدّقني **﴿فإنه﴾**: بالتأكيد **﴿مني﴾**: من أنصاري، ترزقه بالخير الذي ترزقني **﴿و﴾**: أيضًا **﴿من﴾**: من البشر **﴿عصاني﴾**: لم يؤمن بي ورفض **﴿ف﴾**: حرف يفيد السبب **﴿إنك﴾**: حرف تأكيد **﴿غفور رحيم﴾**: اعف عنه وسامحه فإنك عظيم الرحمة، واسع المغفرة.

التكليف: ضرورة استحضار دعوة الدعاة من المسلمين للأمة الإسلامية كما جاء في الحديث الشريف: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ: تَلَا قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي إِبْرَاهِيمَ: **﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي﴾** [إبراهيم-٣٦] الآية، وَقَالَ عِيسَى عليه السلام: **﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾** [المائدة-١١٨]، فَرَفَعَ يَدَيْهِ وَقَالَ: اللَّهُمَّ أُمَّتِي أُمَّتِي، وَبِكِي، فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: «يَا جِبْرِيلُ أَذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ، وَرَبِّكَ أَعْلَمُ، فَسَلْهُ مَا يُبْكِيكَ؟» فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فَسَأَلَهُ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ

الله ﷻ بِمَا قَالَ، وَهُوَ أَعْلَمُ، فَقَالَ اللهُ: يَا جِبْرِيْلُ، اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ، فَقُلْ: إِنَّا سَنُرْضِيْكَ فِي أُمَّتِكَ، وَلَا نَسُوْءُكَ<sup>(١)</sup>.

﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْنَدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ (٣٧)

﴿رَبَّنَا﴾: يا مالك أمرنا كله؛ يقول إبراهيم تحببًا وتقربًا ﴿إِنِّي﴾: أنا بالتأكيد ﴿أَسْكَنْتُ مِنْ﴾: يفيد بعض ﴿ذُرِّيَّتِي﴾: لأنه لم تكن ذريته كلها قد آمنت في ذلك الوقت، جاء هذا الدعاء من إبراهيم عليه السلام بعد بناء البيت الحرام، واستجابته لأمر الله ﷻ أن يترك إسماعيل وأمه في جوار الكعبة؛ إنه محرّم على الجابرة، ومحرّم أن تنتهك حرمة، أو يُستخفّ به ﴿ب﴾: حرف باء الصلة ﴿وَادٍ﴾: مكان، منبسطة وسط الجبال ﴿غَيْرِ﴾: حرف نفي هنا بمعنى ليس ﴿ذِي﴾: اسم إشارة للمفرد المؤنث القريب أي له ﴿زَرْعٍ﴾: منطقة قاحلة، لا تصلح للزراعة؛ فلا مأكّل لهم هنا ولا مشرب ﴿عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾: في جوار الكعبة؛ إنه مُحَرَّمٌ على الجابرة ومحرّم أن تنتهك حرمة، أو يُستخفّ به ﴿رَبَّنَا ل﴾: حرف علّة وسبب ﴿يُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾: يقول إبراهيم إنّ الله ﷻ جعل هذا البيت حرماً لإقامة الصلاة، وعبادته وحده ﷻ ﴿ف﴾: حرف يفيد السبب ﴿اجْعَلْ﴾: هيئ ﴿أَفْنَدَةً﴾: قلوب؛ التي هي مركز الوعي ﴿مِنَ النَّاسِ﴾: المسلمين، ولو قال أفنّدة الناس؛ واستجاب الله ﷻ له؛ لجاؤ كل العالم. ليكون هذا البيت خالصاً لعبادة الله ﷻ وحده، وليس سكناً لكل الناس ﴿تهوي﴾: الذي هو النزول من العلو إلى الانخفاض، تسرع إليهم شوقاً ومحبة ﴿إِلَيْهِمْ وَ﴾: عطفاً على ذلك ﴿ارْزُقْهُمْ﴾: امنحهم ﴿مِنْ﴾: حرف يفيد بداية الغاية المكانية ﴿الثَّمَرَاتِ﴾: طلب إبراهيم عليه السلام من ربه ﷻ داعياً أن يهيئ لهم سبل البقاء من رزقه ﷻ رغم أنّ مكة منطقة جرداء، لا شجر مثمرًا، تُجبي إليها ثمرات ما حولها استجابة لدعوة إبراهيم عليه السلام ﴿لَعَلَّهُمْ﴾: حرف يُفيد الترجي لأنه جاء من البشر ﴿يَشْكُرُونَ﴾: يعترفون بفضل الله ﷻ.

﴿رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ (٣٨)

﴿رَبَّنَا﴾: يتكرر النداء ربنا تعبيراً عن المبالغة المحمودة في التضرع واللجوء إلى الله ﷻ؛ طلباً للإجابة ﴿إِنَّكَ﴾: أنت سبحانك بالتأكيد ﴿تَعْلَمُ﴾: علم الذي أوجد الشيء من غير سابق وجود ﴿مَا﴾: الذي ﴿نُخْفِي﴾: ما نكتمه، تعلم قصدي من دعائي في السر ﴿و﴾: أيضاً تعلم ﴿مَا

(١) صحيح مسلم ١/١٩١ (٢٠٢).

**نُعَلِنُ**: تعلم كل شيء، نظهره، أي ما لا نكتمه **﴿وَمَا يَخْفَى﴾**: ما نكتمه، نبطنه؛ ويغيب عن الناس **﴿عَلَى اللَّهِ مِنْ﴾**: بعض أو جزء **﴿شَيْءٍ﴾**: جاءت بصيغة النكرة لتقيد العموم **﴿فِي﴾**: في باطن الأرض من ماء، وموتى، وثروات **﴿الأَرْضِ﴾**: وفي خلقك في الأرض وما على سطحها **﴿وَلَا﴾**: حرف نفي **﴿فِي السَّمَاءِ﴾**: هي كل ما علا الأرض وأحاط بها؛ لكونها ببيضاوية الشكل.

**﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ (٣٩)**  
**﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾**: هو حمدٌ وشكرٌ لله ﷻ من إبراهيم ﷺ، لربه ﷻ **﴿الَّذِي﴾**: اسم موصول للمفرد المذكر، وهي هنا للواحد الأحد، الفرد الصمد، ﷻ **﴿وَهَبَ﴾**: منح بلا ثمن، ولم يقل **﴿رَزَقَنِي﴾**: حرف تملك **﴿عَلَى الْكِبَرِ﴾**: الذي رزقني وأنا شيخٌ كبيرٌ في العمر بولدي **﴿إِسْمَاعِيلَ وَ﴾**: أيضًا بعده بثلاث عشرة سنة رزقه بابنه **﴿إِسْحَاقَ﴾**: بعدما بلغ إبراهيم وزوجته سارة الكبر **﴿إِنَّ﴾**: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار **﴿رَبِّي﴾**: مالك أمري كله **﴿ل﴾**: حرف علّة وسبب **﴿سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾**: إشارة إلى استجابة الله ﷻ للدعاء الخالص؛ حتى وإن تقطعت الأسباب الأرضية، وفي هذا حتٌ لكل مخلوق أن يسأل الله ﷻ في كل حين وحالٍ.

**﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ﴾ (٤٠)**  
**﴿رَبِّ﴾**: المُعبود، والمُرَبِّي **﴿اجْعَلْنِي﴾**: جاءت بصيغة الأمر، وهي دعاءٌ ورجاءٌ **﴿مُقِيمِ الصَّلَاةِ﴾**: أن يُعِينَهُ على أداء النعمة الكبرى؛ الصلاة، فسأل أن يعينه على إقامة الصلاة في وقتها، وحدودها، على الوجه الذي يرضي الله ﷻ **﴿و﴾**: أيضًا اجعل **﴿مِنْ﴾**: حرف جرّ بيان وتمييز النوع يفيد ابتداء هنا الغاية المكانية ويفيد البعض **﴿ذُرِّيَّتِي﴾**: واجعل من ذريتي من يُقيمون الصلاة **﴿رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ﴾**: استجب **﴿دُعَاءِ﴾**: وهذا من المبشرات بضرورة الدعاء والرجاء المستمر من الله ﷻ أن يتقبل ويستجيب.

**﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ (٤١)**  
**﴿رَبَّنَا﴾**: المُعبود، والمُرَبِّي، وهو المنشئ للكون بمن وبما فيه من حالٍ إلى حالٍ إلى حدّ التمام والخالق، والمالك، والعاطي، وكثيرُ الخير، والمُحيط، والمُدبّر، والجابرُ لكسر البرايا، والثابت، والقريب، والجامع، والمصلح، والسيد، يا مالك أمرنا كله؛ تقريبًا، ومحبةً من الله ﷻ **﴿اغْفِرْ﴾**: جاءت بصيغة الأمر وهي دعاء، سامحني على ما أذنبت **﴿لي﴾**: تخصيصًا **﴿و﴾**: أيضًا اغفر **﴿لِوَالِدَيَّ﴾**: سامح والدي ووالدتي، كان صلب الدعاء قد حدده إبراهيم ﷺ، وهو المغفرة له، أمّا والده فكان الدعاء له قبل أن يتبرأ منه، بعد أن بانّت عداوته **﴿وَالْمُؤْمِنِينَ﴾**: خصّ

المؤمنين من عباد الله ﷺ بدعاء المغفرة، من عظم شأن إبراهيم عليه السلام، حرصه على نجاة عموم المؤمنين كلهم ﴿يَوْمَ يُقَوْمُ الْحِسَابُ﴾: يوم القيامة حيث الحساب على الأعمال؛ والجزاء إن خيراً بخير، وإن شراً بعقاب.

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾  
(٤٢)

﴿وَلَا﴾: حرف نهي غرضه بيان العاقبة ﴿تَحْسَبَنَّ اللَّهَ﴾: الخطاب هنا لسيدنا محمد ﷺ لمواساته وتسريته؛ بهدف الثبات على ما كان عليه في عدم الحسبان، لا تظن بالتأكيد، ولا تعتقد جازماً أن الله ﷻ ﴿غَافِلًا﴾: ساهياً، أو لاهياً إذا أحر ﷻ ﴿عَمَّا﴾: عن ماذا ﴿يَعْمَلُ﴾: يقترف من ذنوب ﴿الظَّالِمُونَ﴾: الكافرون المكذبون بك وبغيرك من الرسل، والذين آذوا المؤمنين وارتكبوا غير ذلك من المعاصي، الذين ظلموا أنفسهم بكفرهم، إذا أحر ﷻ عقاب المجرمين، وأجلهم في الحياة الدنيا، أو أجل عقابهم. عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ حُبِسُوا بِعَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيَتَقَاصُونَ مَطَالِمَ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا حَتَّى إِذَا نُقُوا وَهُدُبُوا، أُذِنَ لَهُمْ بِدُخُولِ الْجَنَّةِ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَأَحْدَهُمْ بِمَسْكَنِهِ فِي الْجَنَّةِ أَدَلُّ بِمَنْزِلِهِ كَانَتْ فِي الدُّنْيَا<sup>(١)</sup>، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ، فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ، فَيَقُولُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا، أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ أَيُّ رَبِّ، حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ، وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكٌ، قَالَ: سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ، فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ وَالْمُنَافِقُونَ، فَيَقُولُ الْأَشْهَادُ: ﴿هُؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [هود-١٨]<sup>(٢)</sup>، ﴿إِنَّمَا﴾: حرف يفيد الحصر والتحديد؛ بل هو ﷻ ﴿يُؤَخِّرُهُمْ﴾: يؤجلهم ﴿لِيَوْمٍ﴾: شديد الهول، القيامة ﴿تَشْخَصُ﴾: تفتح العيون عن آخرها ﴿فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾: ترتفع الجفون، وتتسع الأعين، ولا ترمش؛ دون إغلاق؛ خوفاً من شدة الأهوال.

﴿مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْنَدْتُهُمْ هَوَاءً﴾ (٤٣)

﴿مُهْطِعِينَ﴾: يوم يقوم الظالمون من قبورهم؛ مسرعين إلى الداعي بذلة، جاء في المعنى: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا﴾ [المعارج-٤٣] ﴿مُقْنِعِي﴾: رافعين رؤوسهم إلى السماء، دون انقطاع؛ لهول الموقف، أو تتكيس الرأس؛ ذلّة ومهانة ﴿رُءُوسِهِمْ﴾: قال مجاهد، وابن

(١) صحيح البخاري ١٢٨/٣ (٢٤٤٠).

(٢) صحيح البخاري ١٢٨/٣ (٢٤٤١).

عباس: رافعين رؤوسهم لأعلى ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يَزِيدُ﴾: يعود ﴿إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾: لا تطرف ولا ترمش جُفُونَهُمْ؛ فأبصارهم شاخصة، تُدِيمُ النظر من الخوف والهلع ﴿وَأَفْنَدْتُهُمْ﴾: أيضاً قلوبهم، وهي مراكز الوعي والإدراك ﴿هَوَاءٌ﴾: قال قتادة: خاوية ليست على أي شيء، خالية من التفكير في أي شيء، من كثرة الخوف؛ كأن قلوبهم خرجت من أماكنها بين الصدر والحلق؛ هي كالخراب لا تعي شيئاً.

﴿وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخْرِنا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نَجِبِ دَعْوَتَكَ وَتَتَّبِعِ الرُّسُلَ أُولَئِكَ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلِ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ﴾ (٤٤)

﴿و﴾: عطفاً على هذه المشاهد ﴿أَنْذِرِ﴾: حذّر وذكّر وخوّفهم ﴿النَّاسِ﴾: أبناء آدم ﷺ كافة ﴿يَوْمَ﴾: القيامة ﴿يَأْتِيهِمْ﴾: يحلّ عليهم ﴿العَذَابُ﴾: يوم القيامة ﴿ف﴾: حرف يفيد السبب ﴿يَقُولُ الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ ﴿ظَلَمُوا﴾: بالكفر، والعناد، مع الاستغاثة، وخوفاً من العذاب الذي يرون يقولون ﴿رَبَّنَا﴾: اليوم يعترفون أنه ﷻ مالك أمرهم كله ﴿أَخْرِنا﴾: أجل عذابنا وأمهلنا ﴿إِلَى أَجَلٍ﴾: موعدٍ وأمدٍ ﴿قَرِيبٍ﴾: يطلبون تأجيل الحساب والعقاب، حتى ولو لوقت قصير ومعلوم غير بعيد ﴿نَجِبِ﴾: لذلك نُلبّي ونستجيب ﴿دَعْوَتَكَ﴾: ندخل في الدين الذي فرضته علينا على السنة أنبيائك ﴿وَتَتَّبِعِ﴾: فنعمل بما بلغونا به من شرائعك، ونتدارك ما صدر منا من الإهمال؛ ونسير على منهج ﴿الرُّسُلِ﴾: من أرسلتهم لنا من الرسل والأنبياء ﴿أُولَئِكَ﴾: حرف استفهام يفيد الاستهجان والتوبيخ ﴿تَكُونُوا﴾: في حياتكم الدنيا ﴿أَقْسَمْتُمْ مِنْ﴾: حرف يفيد بداية الغاية الزمانية ﴿قَبْلَ﴾: ألم تحلفوا وأنتم في الحياة الدنيا أنه لا معاد، ولا بعث، ولا جزاء، وقلتم ﴿مَا﴾: نفيتم وأنكرتم ليس ﴿لَكُمْ﴾: تخصيصاً ﴿مِنْ زَوَالٍ﴾: ليس لكم انتقالٌ من الحياة الدنيا إلى الحياة الآخرة؛ لقد أنكرتم يوم القيامة.

﴿وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِينِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ﴾ (٤٥)

﴿و﴾: عطفاً على قولهم ما لنا من زوال أيضاً حرف الواو هنا حرف عطفٍ يفيد هنا الحال ﴿سَكَنْتُمْ﴾: أقمتم واستقررتم فيها؛ لتسكنوا ﴿فِي مَسَاكِينِ﴾: حيث يسكن ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ ﴿ظَلَمُوا﴾: يقول الكفار ﴿أَنْفُسَهُمْ﴾: جاء اللفظ القرآني السكن على أربعة وجوه؛ هنا بمعنى النزول في بيوت الذين كفروا وأنكروا القيامة ﴿وَتَبَيَّنَ﴾: اتضح وظهر ﴿لَكُمْ﴾: تيقنتم بالرؤية والمعاشية ﴿كَيْفَ﴾: استفهام يفيد التعجب والتوبيخ ﴿فَعَلْنَا بِهِمْ﴾: كيف أخذناهم بالعذاب والزوال، وجنتم لتسكنوا في بيوتهم، ولم تعتبروا، ولم تتعظوا ﴿وَضَرَبْنَا لَكُمْ﴾

**الأمثال:** ﴿كُنَّا أَخْبَرْنَاكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا صِدْقًا عَنْ عَذَابِ الْأُمَمِ السَّابِقَةِ، الَّذِينَ عَمِلُوا مَا عَمِلْتُمْ، وَجَنُوا مَا سَوْفَ تَجْنُونَ.﴾

**﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾ (٤٦)**

**﴿وَقَدْ﴾**: حرف جرّ يُفيد هنا التحقق بالتأكيد؛ لأنه وقع على الفعل الماضي **﴿مَكَرُوا﴾**: كادوا وتآمروا **﴿مَكْرَهُمْ﴾**: كيدهم وخططهم ومؤامراتهم على الأنبياء وأوليائهم، مكرًا كبيرًا **﴿وَعِنْدَ﴾**: حرف ظرف زمانٍ، وظرف مكانٍ **﴿اللَّهِ﴾**: علمه ومعرفته **﴿مَكْرَهُمْ﴾**: إنَّ الله يعلم ويحيطُ بكيدهم **﴿وَإِنْ﴾**: حرف شرطٍ **﴿كَانَ مَكْرُهُمْ لِ﴾**: حرف علةٍ وسببٍ **﴿تَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾**: قال الحسن البصري: ما كان مكرهم لتزول منه الجبال، وقال أبو طلحة عن ابن عباس: مكرهم تعني ما كان شركهم، بالله ليزيل الجبال.

**التكليف**: ما فعلوه بأنفسهم من شركٍ، وكفرٍ؛ لم يضروا، ولا يضرّ الجبال الراسخات، ولا غيرها.

**﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِيفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ﴾ (٤٧)**

**﴿فَلَا﴾**: أداة نهْيٍ تفيد طلب عدم الفعل، نهْيٍ بهدف بيان العاقبة **﴿تَحْسَبَنَّ﴾**: لا تظن، أو تشك أن **﴿اللَّهِ مُخْلِيفَ﴾**: مُغَيِّرٍ أو مُبَدِّلٍ **﴿وَعْدِهِ رُسُلَهُ﴾**: لن يخلف الله ﷻ وعده بنصرة رسله وأتباعهم وما وعدهم الله ﷻ به **﴿إِنَّ﴾**: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار **﴿اللَّهُ عَزِيزٌ﴾**: ذو عزة، لا يمتنع عليه شيءٌ أرادته، أو يُغالبه أحدٌ **﴿ذُو﴾**: صاحب **﴿انتِقَامٍ﴾**: مالك وصاحب كلِّ أشكال الانتقام بيده للذين كفروا، وجحدوا وأمروا.

**﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ (٤٨)**

**﴿يَوْمَ﴾**: القيامة **﴿تُبَدَّلُ﴾**: تتغير **﴿الْأَرْضُ غَيْرَ﴾**: حرف استثناء بمعنى إلا **﴿الْأَرْضِ﴾**: في هذا اليوم؛ يوم القيامة؛ يتحقق وعد الله الحق، قال الرسول ﷺ: عن سهل بن سعدٍ، قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى أَرْضٍ بَيْضَاءَ عَفْرَاءَ، كَقُرْصَةِ نَقِيٍّ قَالَ سَهْلٌ أَوْ غَيْرُهُ: لَيْسَ فِيهَا مَعْلَمٌ لِأَحَدٍ<sup>(١)</sup>؛ أي مثلما يجتمع الدقيق النقي مع المغشوش النخاله، عن عائشة: أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ قَالَتْ: فَقُلْتُ: أَيُّ النَّاسِ يَوْمَئِذٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: عَلَى الصِّرَاطِ<sup>(٢)</sup>؛ وقال عمرو بن ميمون: أرض كالفضة البيضاء، نقية، لم يُسفك فيها دمٌ، ولم يُعمل فيها خطيئة، ينفذهم البصر، ويسمعهم الداعي، حفاة عراة، كما خُلقوا، وأقوال

(١) صحيح البخاري / ١٠٩/٨ (٦٥٢١).

(٢) مسند أحمد / ٧٩/٤٠ (٢٤٠٦٩)، صححه الأرنؤوط فقال: إسناده صحيح على شرط مسلم.

أخرى ﴿و﴾: حرف عطفٍ يفيد هنا الحال، على ما سيكون في يوم القيامة ﴿السَّمَاوَاتِ﴾: أيضًا يتبدل كل ما فوق الأرض وما عليها من الخلق، بأخرى من السماوات ﴿وَبَرَزُوا﴾: أيضًا خرجت الخلائق جميعها من قبورها، أو أظهر أعمالهم، وما كانوا يكتُمون ﴿لِلَّهِ الْوَاحِدِ﴾: الأحد، الفرد، الصمد ﴿الْقَهَّارِ﴾: الذي قهر النفوس، وخضعت له الرقاب ﷻ.

### ﴿وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقْرَنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾ (٤٩)

﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿تَرَى﴾: تشاهد أيها الإنسان ﴿الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ﴾: الخلائق الذين كفروا برَبِّهم وأفسدوا، والخطاب: سوف ترى يا محمد هؤلاء المجرمين ﴿مُّقْرَنِينَ﴾: مشدودين اجتمع بعضهم إلى بعض، وقيل جُعِلت أيديهم مقرونةً مع أرجلهم في الأغلال والقيود، جاء في المعنى: ﴿اٰخْشَرُوا الَّذِيْنَ ظَلَمُوا وَاٰزْوَاجَهُمْ﴾ [الصافات-٢٢] ﴿فِي الْأَصْفَادِ﴾: قال ابن عباس وآخرون: كلهم مربوطٌ بالآخر، بالسلاسل، والقيود.

### ﴿سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطْرِانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهُهُمُ النَّارُ﴾ (٥٠)

﴿سَرَابِيلُهُمْ﴾: قمصانهم، أو ثيابهم التي يلبسونها ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ بيان وتمييز النوع يفيد هنا ابتداء الغاية المكانية ﴿قَطْرِانٍ﴾: من الزفت الذي تُطلي به الإبل، وهو من المواد القابلة للاشتعال، وقال قتادة: هو أَلصقُ شيءٍ بالنَّارِ، وقال ابن عباس: هو النَّحاسُ الذائب المُذاب ﴿و﴾: أيضًا ﴿تَغْشَى﴾: تُغطي وتلفح وتُصيب وتُحرق ﴿وُجُوهُهُمُ﴾: ومقدمة أجسادهم ﴿النَّارُ﴾: لهيبُ جهنم، هنا الخوف الشديد بسبب الفجاءة والسرعة.

### ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (٥١)

﴿ل﴾: حرف استحقاق ﴿يَجْزِي﴾: يكافئ ﴿اللَّهُ كُلَّ﴾: تفيد العموم ﴿نَفْسٍ﴾: تؤكد عموم النفس التي هي جوهر الإنسان ﴿مَا﴾: الذي ﴿كَسَبَتْ﴾: ما جنت يوم القيامة، يوم الحساب، يجزي الله ﷻ الخلائق بما عملوا، الحُسنَى لمن أحسن، والسيئة لمن كفر وأساء؛ حسابًا وعدلاً ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿اللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾: قال مجاهد: في حال حسابِ المؤمنين يُنجزُ اللهُ ﷻ حسابَه بسرعة؛ لعلمه بكل شيء، وقال أيضًا: أحصى اللهُ ﷻ كلَّ شيءٍ بسرعة، وقد يكون كل هذه المعاني؛ فقد اقترب للناس حسابهم.

### ﴿هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (٥٢)

﴿هَذَا﴾: القرآن الكريم ﴿بَلَاغٌ﴾: إعلام وتبليغ وكفاية في الموعظة والتذكير من الرسل عليهم السلام، لأقوامهم كي يقيموا عليهم الحُجَّة ﴿ل﴾: حرف تخصيص ﴿النَّاسِ﴾: هو إخبار لجميع النَّاسِ وكذلك الجن؛ لكونهم مُكلفين بالرسالة ﴿وَلِيُنذِرُوا بِهِ﴾: أيضًا يتعظوا ويحذروا

﴿وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا﴾: أداة حصر؛ تُفيد التأكيد ﴿هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾: ليعلموا بالأدلة والبراهين الكونية المذكورة سابقاً، وبهذه الآيات القرآنية التي جاءت في هذه السورة وحدانية الخالق، وأنه لا شريك له؛ لنبلِّغهم العلم الصادق: أنه لا إله إلا الله وحده، لا شريك له، ليستدلوا بالقرآن على ذلك من أدلة، وبراهين، ودلالات كونية ﴿وَلِيَذَكَّرَ﴾: يعتبر، ويتعظ ﴿أُولُو﴾: أصحاب ﴿الْأَنْبَابِ﴾: ولتبقى هذه الحقائق راسخة في عقول وقلوب أصحاب العقول المستنيرة.

التكليف: بدراسة مقاصد هذه السورة الكريمة؛ ندرك كم ثبتت، وأكدت الرُّسل الدعوة إلى التوحيد برسالة محمد ﷺ.



### ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

سُمِّيت بهذا الاسم، ولا يُعرف لها اسم غيره، ووجه التسمية أنه لم يُذكر في غيرها من السور القرآنية، والحجر هو اسم البلاد المعروفة بحجر ثمود. هي سورة مكيّة بالإجماع، وهي السورة رقم (٥٤) في عدد نزول السور، نزلت بعد سورة يوسف وقبل سورة الأنعام، وعدد آياتها (٩٩) باتفاق العاديين. وافتتحت السورة بالحروف المقطعة التي فيها تعريض بالتحدي وبإعجاز قرآني كأخواتها مما سبقها من السور.

### ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُّبِينٍ﴾ (١)

اعتماداً على ما يقوله علماء النحو والبلاغة أن الضمائر في الكلام الأصل أن تعود على متقدم في اللفظ والرتبة، ولا تعود على متأخر في اللفظ والرتبة، بمعنى ما هو الاسم الذي سبق، وعليه فإن الحرفين ﴿أل﴾: أراها، والله أعلم، دالّة على اسم الله ﷻ، ويُعزز هذا إضافة إلى ما سبق من السور البقرة، وآل عمران، والأعراف، ويونس، وهود، ويوسف، والرعد، وإبراهيم، وما جاء هنا في سورة الحجر في الآية رقم (١) ﴿وَقُرْآنٍ مُّبِينٍ﴾، ومن المعلوم أنّ مصدر القرآن الكريم؛ هو الله ﷻ، وجاء في الآية رقم (٤) ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ﴾ والكلام من الله ﷻ، وجاء في الآية (٧) ﴿مَا نُنزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ ولم يدع أحد إنزال الملائكة غيره ﷻ، وجاء في الآية (٩) ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ﴾ والضمير يعود على الله ﷻ، وجاء في الآية رقم (١٠) ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شَيْعِ الْأُولِينَ﴾ والضمير أرسلنا يعود إلى الله ﷻ، وجاء في الآية (١٢) ﴿كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾ والضمير يعود على الله ﷻ.



**حرف ﴿ر﴾**: أرى، والله أعلم، أنها تعني رب؛ هو ﷺ صاحب آيات الكتاب والقرآن المبين، مثل ما سبق؛ فإذا تأكد ما سبق كان هذا في سياق ما لم يأت ما يخالفه، فقد جاء في الآية رقم (٣) **﴿ذُرَّهُمْ﴾**: والأمر من الله ﷻ هو رب محمد ﷺ (٦) **﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾** وما نزل الذكر في هذه الآية؛ إلا من الله ﷻ على محمد ﷺ **﴿تِلْكَ﴾**: اسم إشارة إلى ما تضمنته السورة من الآيات **﴿آيَاتُ﴾**: تشير إلى الآيات المعروفة عندكم، أدلة وبراهين **﴿الْكِتَابِ﴾**: هو سُورٍ وشرح **﴿وَقُرْآنٍ مُّبِينٍ﴾**: الذي نزل على محمد ﷺ للهداية والرشاد واضحا تام البيان، مفيدا للبيان الكامل، لا خلل ولا تناقض للموحدين؛ شارحا للشرائع وأصول الدين، موضحا الحق من الباطل.

### **﴿رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ (٢)**

**﴿رُبَّمَا﴾**: حرف استئناف ابتدائي بمعنى لئنا للتبنيه والإنذار يستعمل للتمني؛ وتدل في الأصل على القلة؛ أن ما بعدها قليل هنا من الندم، لأنهم أرادوا المزيد في بعض المواضع، وليس كلها، وقيل تُستخدم للكثير، **﴿يَوَدُّ﴾**: يتمنى ويرغب **﴿الَّذِينَ﴾**: اسم موصول يفيد جميع مَنْ **﴿كَفَرُوا﴾**: غطوا حقيقة الدين لأن الأهوال تدهشهم، وأوقات التمني فيها قليلة **﴿لَوْ﴾**: حرف يفيد الاستحالة، **﴿كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾**: عَنْ أَبِي مُوسَى ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: إِذَا اجْتَمَعَ أَهْلُ النَّارِ فِي النَّارِ، وَمَعَهُمْ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ مَنْ شَاءَ اللَّهُ قَالُوا: مَا أَعْنَى عِنْدَكُمْ إِسْلَامَكُمْ، وَقَدْ صِرْتُمْ مَعَنَا فِي النَّارِ؟ قَالُوا: كَانَتْ لَنَا ذُنُوبٌ، فَأَخَذْنَا بِهَا، فَسَمِعَ اللَّهُ مَا قَالُوا، قَالَ: فَأَمَرَ بِمَنْ كَانَ فِي النَّارِ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ فَأُخْرِجُوا فَيَقُولُ الْكُفَّارُ: يَا لَيْتَنَا كُنَّا مُسْلِمِينَ، فَنُخْرِجُ كَمَا أُخْرِجُوا، قَالَ: وَقَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُّبِينٍ رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾** مُثَقَّلَةً<sup>(١)</sup>.

**التكليف**: عندما ينكشف لهم الأمر، ويتضح بطلان ما كانوا عليه من الكفر، وأن الدين عند الله ﷻ هو الإسلام، ولا دين غيره؛ يحصل منهم التمني؛ أن يكونوا مسلمين، هذه الأمانى لمجرد التحسر والندم، ولوم النفس على ما فرطت في جنب الله ﷻ.

### **﴿ذُرَّهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ (٣)**

**﴿ذُرَّهُمْ﴾**: اتركهم وأمهلهم؛ فيها تهديد شديد **﴿يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا﴾**: وهذا هدف كل الكافرين؛ ملذات الدنيا، الطعام، والمتعة **﴿و﴾**: عطفا على ما سبق **﴿بِلَهُمْ﴾**: يصرفهم باللغو

(١) المستدرک علی الصحیحین للحاکم (٢/ ٢٦٥) ٢٩٥٤ «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ» [التعليق - من تلخيص الذهبي] ٢٩٥٤ - صحيح.

﴿الْأَمَلُ﴾: يتأملون في الدنيا فيحرصون عليها وينكبون على ملذاتها، ويغفلون عن التوبة؛ بما يقترفون في الدنيا ﴿فَ﴾: حرف استثنائي يفيد السبب ﴿سَوْفَ﴾: تفيد الوعد في المستقبل ﴿يَعْلَمُونَ﴾: عاقبة أمرهم يوم الموت، ويوم البعث؛ سيعرفون.

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عِنْدَ قَوْلِهِ ﷺ: ﴿ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا، وَيُلْهِيهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الحجر-٣] وَ: «ارْتَحَلَتِ الدُّنْيَا مُدْبِرَةً، وَارْتَحَلَتِ الْآخِرَةُ مُقْبِلَةً، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا بُنُورٌ، فَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الْآخِرَةِ، وَلَا تَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا، فَإِنَّ الْيَوْمَ عَمَلٌ وَلَا حِسَابَ، وَعَدَا حِسَابٍ وَلَا عَمَلٍ»<sup>(١)</sup>.

﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ﴾ (٤)

﴿وَمَا﴾: حرف نفي ﴿أَهْلَكْنَا﴾: إن عموم هلاك ﴿مِنْ قَرْيَةٍ﴾: الأمم والتجمعات السكانية ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء منقطع ﴿وَلَهَا﴾: تمليكًا ﴿كِتَابٌ﴾: أجلٌ مقدَّرٌ مكتوبٌ في اللوح ﴿مَعْلُومٌ﴾: غير مجهول، ولا منسي ويُعدُّ حُجَّةً واضحةً، بالغةً بالرسول والأنبياء أو المصلحين، يُعلمونهم، ويوضحون لهم؛ حتى إذا أبوا؛ جاءهم الهلاك وقد قامت عليهم الحُجَّة.

﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾ (٥)

﴿مَا﴾: حرف نفي ﴿تَسْبِقُ﴾: لا تأتي نهاية أمة وهلاكها قبل مجيء الموعد الذي حدده الله ﷻ ﴿مِنْ﴾: حرف جر يفيد هنا ابتداء الغاية المكانية والزمانية ﴿أُمَّةٍ﴾: جاء اللفظ القرآني "الأمة" هنا بمعنى من الأمم الكافرة السابقة ﴿أَجَلَهَا﴾: نهايتها ﴿وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾: ولا تتأخر الأمة، لا تبقى الأمم بعد الموعد المعلوم، كلٌّ يذهبُ بعمله إلى الهلاك المكتوب.

﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ (٦)

﴿وَ﴾: عطفًا على هذا ﴿قَالُوا﴾: يُخبر الله ﷻ عن سلوك كفار مكة لرسوله ﷺ متهمين به مسبقًا؛ لعلمه بما سيقولون، وما قال الذين من قبلهم ﴿يَا أَيُّهَا﴾: كلمة تواصل بين المُنَادِي وهو هنا الله ﷻ وبين المُنَادَى عليه ﴿الَّذِي﴾: اسم موصول للمفرد المُذَكَّر ﴿نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ﴾: من باب الاستهزاء والتندر، وهو الرسولُ الذي نزل عليه القرآن الكريم، الذين بسبب كفرهم، وعنادهم، وقلة أدبهم؛ لا يقولون يا أيُّها الرسول أو النبي، بل يقصدون يا من تدَّعي أنه نُزِّلَ عليك من السماء شيءٌ ﴿إِنَّكَ﴾: أنت بالتأكيد ﴿لَمَجْنُونٌ﴾: حرف اللام يفيد السبب، وهذا من فرط قلة أدبهم، وكفرهم أن يصفوا أَعْقَلَ الخلق بالجنون.

﴿لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِنْ كُنْتِ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (٧)

(١) صحيح البخاري ٨٩/٨ باب في الأمل وطوله.

﴿لَوْ مَا﴾: بمعنى هلاً ﴿تَأْتِينَا﴾: لو جئتنا ﴿بِ﴾: حرف باء السببية ﴿الْمَلَائِكَةَ﴾: ليشهدوا لك بأنتك مُرسلاً، وأن ما معك من كتابٍ هو من الله ﷻ ﴿إِنْ﴾: حرف شرط ﴿كُنْتَ مِنْ﴾: حرف تأكيد ﴿الصَّادِقِينَ﴾: هذه كلمات تُؤكدُ كفرهم، فلسان حالهم يقول: أنت كاذب، وائتنا بما يُصدّقك، وجاء في المعنى لو ما تأتينا الملائكة فيعاقبنا الله على تكذيبنا لك، يستعجلون العقاب.

### ﴿مَا نُنزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذَا مُنظَرِينَ﴾ (٨)

وفيما تقتضيه الحكمة الإلهية والمشیئة الربانية ﴿مَا﴾: بمعنى لا ﴿نُنزِّلُ الْمَلَائِكَةَ﴾: ما يرسل الله ﷻ من رسولٍ للبشر ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء منقطع ﴿بِالْحَقِّ﴾: بالوجه الذي تقتضيه الحكمة، قال مُجاهدٌ: ﴿مَا تَنْزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ «بِالرِّسَالَةِ وَالْعَذَابِ»<sup>(١)</sup>، ﴿وَمَا﴾: تعيدُ أن خبرهم ﴿كَانُوا إِذَا﴾: حرف جواب وجزاء ﴿مُنظَرِينَ﴾: لا يتأخرون ولا يؤجلون عذاب الله ﷻ لهم، ولو نزلنا الملائكة لعاجلناهم بالعقوبة.

### ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (٩)

﴿إِنَّا﴾: هو الله ﷻ، حرفُ نون العظمة ﴿نَحْنُ﴾: في هذا تأكيد؛ أن المقصود هو الله ﷻ؛ جاءت بصيغة الجمع بغرض التعظيم ﴿نَزَّلْنَا الذِّكْرَ﴾: يقول ﷻ بصيغة الجمع وهو واحدٌ أحد لتعظيم شأن القرآن الكريم الذي نزل من عنده ﷻ، أنزله على رسوله ﷺ بالحق، كما أنزل على الذين من قبل وهو الذي أنكروه، واتهموا نبيه ﷺ بسببه بالجنون ﴿وَإِنَّا﴾: أيضاً نحن ﴿لَهُ﴾: للقرآن الكريم بالتأكيد ﴿لِ﴾: حرف علّة وسبب ﴿حَافِظُونَ﴾: تكفل الله ﷻ بحفظ كتابه الكريم في صدور المؤمنين، ومما لا يليق به من تحريفٍ وزيادةٍ ونقصٍ وتكفله على الأرض واقعاً بعباداتٍ، ومعاملاتٍ؛ ليحفظه من الزوال؛ فهو الخاتم، عن أبي هريرة، قال: قال النبي ﷺ: «مَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ نَبِيٍّ إِلَّا أُعْطِيَ مَا مِثْلُهُ أَمَّنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيَتْ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ»<sup>(٢)</sup>.

التكليف: سيبقى كتابُ الله ﷻ حُجَّةً على كلِّ أمةٍ إلى يوم الدين.

### ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِعَابِ الْأَوَّلِينَ﴾ (١٠)

﴿وَلَقَدْ﴾: حرف جرٍ يُفيد هنا التحقق بالتأكيد لأنه وقع هنا على الفعل الماضي ﴿أَرْسَلْنَا مِنْ﴾: حرف يفيد بداية الغاية الزمانية ﴿قَبْلِكَ﴾: يُخفف الله ﷻ عن رسوله ﷺ بذكر سنن

(١) صحيح البخاري ١٥٢/٩ باب قوله: فلا تجعلوا لله أنداداً.

(٢) صحيح البخاري ١٨٢/٦ (٤٩٨١).

الكفار الذين سبقوا، فكما كذبت قريش، كذبت مثلها أمم سبقت ﴿فِي شَيْعٍ﴾: جمع شيعة وهي الفرقة المنفقة والمتألفة، كانت في الماضي فرقا كافرة ﴿الْأَوَّلِينَ﴾: في الأمم السابقة لرسالة محمد ﷺ.

﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ (١١)

﴿وَمَا﴾: حرف خبر ﴿يَأْتِيهِمْ﴾: يُرْسَلُ فِيهِمْ ﴿مِنْ رَسُولٍ﴾: يُرْسَلُ فِيهِمْ رَسُولٌ، أو نبي ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿كَانُوا بِهِ﴾: جاء هنا تقديم الجار والمجرور "به" على الفعل ليفيد القصر؛ أي كأنهم بسبب فساد قلوبهم لا هم لهم إلا الاستهزاء بالرسول ﷺ ﴿يَسْتَهْزِئُونَ﴾: من سنن الكفار تكذيب الرسل، والاستهزاء بهم، والسخرية، والتندر، عليهم.

﴿كَذَلِكَ نَسْأَلُكَ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾ (١٢)

﴿كَذَلِكَ﴾: هكذا أيضا ﴿نَسْأَلُكَ﴾: حرف "هـ" الضمير هنا تعود على القرآن الكريم فطالما أن الكبر والحسد والعناد قد سكن قلوبهم فلا يؤمنون به، هنا يسير الكفر والاستهزاء، وحرف الهاء هنا تفيد التكذيب أو الاستهزاء، أي كما جعلنا الكفر في شيع الأولين والاستهزاء بالرسول، كذلك جعلنا ذلك في قلوب المشركين من قومك يا محمد ﴿فِي قُلُوبِ﴾: مراكز الوعي والإدراك ﴿الْمُجْرِمِينَ﴾: في قلوب الكافرين إنّه الشرك.

﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾ (١٣)

﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾: لا تطمئن قلوبهم بالرسول؛ فيكفرونه يُغْطُونَ الحقيقة ﴿وَقَدْ﴾: حرف جرّ يُفِيدُ هُنَا التَّحَقُّقَ بِالتَّأَكُّدِ؛ لَأَنَّهُ وَقَعَ عَلَى الْفِعْلِ الْمَاضِي ﴿خَلَتْ﴾: تحققت ونُفِذَتْ ﴿سُنَّةُ﴾: طَرِيقَةٌ وَمَنْهَجٌ ﴿الْأَوَّلِينَ﴾: أَصَابَ الْمُكْذِبِينَ الْهَلَاكَ وَالذَّمَّارَ، وَنَجَّى اللَّهُ ﷻ الْأَنْبِيَاءَ وَالرُّسُلَ، وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُمْ، وَمِنَ الْأَمْثَلَةِ أَقْوَامَ لُوطٍ، وَفِرْعَوْنَ، وَثَمُودَ، وَكَفَّارَ مَكَّةَ.

﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ﴾ (١٤)

﴿وَلَوْ﴾: حرف يفيد الاستحالة ﴿فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنْ﴾: حرف يفيد بداية الغاية المكانية، بمعنى على هؤلاء المعاندين لمحمد ﷺ المكذبين والمستهزئين به، ﴿السَّمَاءِ﴾: يخبر الحق ﷻ عن طبيعة قلوب الكافرين، أنه إذا فُتِحَ لَهُمْ بَابٌ إِلَى السَّمَاءِ، وَمَكَّنَاهُمْ مِنَ الصُّعُودِ إِلَيْهِ، جَاءَتْ بِصِيغَةِ الْجَمْعِ؛ تَفْهِيمُ الْكثْرَةِ، وَرَأَوْا بِأَعْيُنِهِمُ الْمَلَائِكَةَ، وَصَدَّقَتْهُ جَوَارِحُهُمْ سَمْعًا وَبَصَرًا، تُفْتَحُ السَّمَاءُ مِنْ خِلَالِ عَمَلِيَّةِ التَّوَازُنِ مَا بَيْنَ الطَّرْدِ الْمَرْكَزِيِّ، وَالْجَازِبِيَّةِ ﴿فَ﴾: حرف استثنافي بهدف ترتيب الأمر ويفيد السرعة في التنفيذ ﴿ظَلُّوا﴾: بقوا ﴿فِيهِ يَعْرُجُونَ﴾: وأخذوا يصعدون فيه ليشاهدوا ما في السماء من عجائب الكون.

### ﴿لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ﴾ (١٥)

﴿ل﴾: حرف علّةٍ وسببٍ ﴿قَالُوا﴾: أكد الكافرون عنادهم وزيادة عتوهم ﴿إِنَّمَا﴾: حرف مركب يُفيدُ التحديد والتخصيص ﴿سُكِّرَتْ﴾: أغلقت وسُدّت عن الإحساس ﴿أَبْصَارُنَا﴾: قال: الضحاك، ومجاهد: سُدت أبصارنا، وقال قتادة، وابن عباس: أخذت أبصارنا، وقال العوفي عن ابن عباس: شُبّه علينا وإِنَّمَا سُحِرْنَا، وقال الكلبي: عُميت أبصارنا ﴿بَل﴾: حرف ينفي ما قبله؛ ويؤكد ما بعده ﴿نَحْنُ قَوْمٌ﴾: جماعة، أصحابٌ منهجٍ واحدٍ ﴿مَسْحُورُونَ﴾: يُنكرون البرهان؛ ويتهمونه بأنّه سحر محمد ﷺ إنّها آفة الإنكار؛ والذي يأخذ في العصر الحديث أشكالاً متعددة، منها قولهم أنّه لا يجب أن يكون دينٌ في السياسة، ولا سياسةٌ في الدين، ومنها الاستهزاء بالمسلمين من ملابسهم، وهيئاتهم، وخاصة اللحي.

التكليف: مهما كانت درجة نجاح هذه الحركات الإسلامية؛ فإنهم يصفونها بكلّ النعوت السيئة: والرجعية، والأصولية، والحزبية، والعميلة، والإرهابية، والمتطرفة وأنها ضد حقوق الإنسان.

### ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَرِيَاءًا لِلنَّاطِرِينَ﴾ (١٦)

﴿وَلَقَدْ﴾: حرف جرّ يُفيد هنا التحقق بالتأكيد؛ لأنّه وقع على الفعل الماضي ﴿جَعَلْنَا﴾: أوجدنا ﴿فِي السَّمَاءِ﴾: هي كلّ ما علا الأرض وأحاط بها؛ ﴿بُرُوجًا﴾: منازل الكواكب السّيارة، يُخبر الله ﷻ هذه الأمم، عن مخلوقاتٍ عظيمةٍ في ارتفاعها، ولقد جاء العصر الحديث ليؤكد هذا النبأ العظيم، والعلاقات الدقيقة بينها، لتؤكد أنّ الخالق العظيم حقيقة لمن له قلب يعقل ويفهم، قال: مجاهد، وقاتدة: الكواكب، وقيل منازل الشمس والقمر ﴿وَرِيَاءًا﴾: جعلناها جميلة ﴿ل﴾: حرف تخصيص ﴿النَّاطِرِينَ﴾: تخصيصًا للمشاهدين، إن التأمّل في خلق الله ﷻ كالشمس، وتكوينها، ودورها، وأهميتها لكلّ المخلوقات، والتأمّل في القمر، ودوره في الحساب، وعلاقته بالأرض وغيرها، والنجوم التي تهدي، ثم علم الفضاء المعاصر الذي يكشف عن حقائق وعلاقاتٍ باهرةٍ للعقول، كلّ ذلك يُفيد أنّ خلف هذا الكون البديع خالقًا عظيمًا.

### ﴿وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾ (١٧)

﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿حَفِظْنَاهَا﴾: جعل الله ﷻ لكلّ هذه المخلوقات قوانين لحفظه؛ منها الجاذبية، بين الكواكب، منها الطرد المركزي الناتج عنها وهي تدور، والجاذبية الكهربائية، والمغناطيسية التي تنشأ عن دورانها؛ والتي تحفظ سكان الأرض فوقها ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ وبيان لتميز النوع يفيد هنا ابتداء الغاية المكانية ﴿كُلِّ﴾: تعيد العموم ﴿شَيْطَانٍ

**رَجِيمٌ**: مطرود، ومرجوم بالنجوم والشهب، كانت إرادة الشياطين التي هي مُسْتَرْقَةُ السَّمْعِ، وَكَانَتْ الْجِرَاسَةُ قَدْ وَقَعَتْ بِالشُّهُبِ، كَمَا قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿وَحَفِظْنَاَهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾.

### ﴿إِلَّا مَنْ اسْتَرْقَ السَّمْعَ فَاتَّبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ﴾ (١٨)

**﴿إِلَّا﴾**: حرف استثناء **﴿مَنْ﴾**: الذي **﴿اسْتَرْقَ﴾**: خطف واختلس **﴿السَّمْعَ﴾**: من أعمال الشياطين التنصت على المؤمنين، ووسوسته للكافرين، في بعض الأوقات، ومن يفعل ذلك **﴿ف﴾**: حرف يفيد السبب والتتابع السريع **﴿أَتَّبَعَهُ﴾**: يُسَلِّطُ اللَّهُ ﷻ ما يدركه ويصيبه **﴿شِهَابٌ﴾**: قطعة من الكواكب مشتعلة **﴿مُبِينٌ﴾**: ظاهر واضح، من الشهب ما تحرقه، ومنها ما تمنعه، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ قَالَ: إِذَا قَضَى اللَّهُ الْأَمْرَ فِي السَّمَاءِ، ضَرَبَتْ الْمَلَائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ، كَالسَّلْسَلَةِ عَلَى صَفْوَانٍ، قَالَ عَلِيٌّ: وَقَالَ غَيْرُهُ: صَفْوَانٍ يَنْفُذُهُمْ ذَلِكَ - فَإِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ، قَالُوا: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ، قَالُوا لِلَّذِي قَالَ: الْحَقُّ، وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ، فَيَسْمَعُهَا مُسْتَرْقُو السَّمْعِ، وَمُسْتَرْقُو السَّمْعِ هَكَذَا وَاحِدٌ فَوْقَ آخَرَ، وَوَصَفَ سُفْيَانُ بِيَدِهِ، وَفَرَجَ بَيْنَ أَصَابِعِ يَدِهِ الْيُمْنَى، نَصَبَهَا بَعْضَهَا فَوْقَ بَعْضٍ، فَرَبَّمَا أَدْرَكَ الشَّهَابُ الْمُسْتَمْعَ قَبْلَ أَنْ يَرْمِيَ بِهَا إِلَى صَاحِبِهِ فَيَحْرِقُهُ، وَرَبَّمَا لَمْ يُدْرِكْهُ حَتَّى يَرْمِيَ بِهَا إِلَى الَّذِي يَلِيهِ، إِلَى الَّذِي هُوَ أَسْفَلَ مِنْهُ، حَتَّى يُلْقَوْهَا إِلَى الْأَرْضِ، وَرَبَّمَا قَالَ سُفْيَانُ: حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى الْأَرْضِ، فَتَلْقَى عَلَى فَمِ السَّاحِرِ، فَيَكْذِبُ مَعَهَا مِائَةَ كَذْبَةٍ، فَيَصَدِّقُ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ يُخْبِرْنَا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا، يَكُونُ كَذَا وَكَذَا، فَوَجَدْنَاهُ حَقًّا؟ لِلْكَلِمَةِ الَّتِي سَمِعْتَ مِنَ السَّمَاءِ<sup>(١)</sup>.

### ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْفَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ﴾ (١٩)

بعد حديث الله ﷻ عن خلق السماء، ذكر في هذه الآية فضله ﷻ في الأرض، التي سخرها لـ بني آدم **﴿و﴾**: حرف يجمع هنا بين متعاطفين الأول خلق السماء، والثاني خلق **﴿الْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا﴾**: لقد مدَّ الله ﷻ الأرض، ووسَّعها، وبسطها؛ لتسهلَ عليها حياة البشر، ويمكنهم زراعتها، وعمارتها **﴿وَأَلْفَيْنَا﴾**: أيضًا جعلنا **﴿فِيهَا رَوَاسِيَ﴾**: أي الجبال التي تُحافظُ على دوران الأرض؛ بتوازنٍ ربانيٍّ بديعٍ **﴿وَأَنْبَتْنَا﴾**: أيضًا جعلنا النبات ينمو **﴿فِيهَا مِنْ﴾**: حرف يفيد التمييز **﴿كُلِّ﴾**: تنقيد العموم **﴿شَيْءٍ﴾**: جاءت بصيغة نكرة؛ لتنقيد العموم أيضًا **﴿مَوْزُونٍ﴾**: مُقَدَّرٌ بِمِيزَانٍ أَوْ بِمِقْدَارِ الْحِكْمَةِ، بَحِيثٌ لَا يَزِيدُ عَنِ الْحَاجَةِ وَلَا يَزِيدُ زِيَادَةَ تَخْرُجُ عَنِ الْفَائِدَةِ، وَهَذَا مِنَ الْحِكْمَةِ، قَالَ: عَكْرَمَةُ، وَمَجَاهِدٌ، وَالْحَسَنُ، وَقَتَادَةُ: الْمَوْزُونُ هُوَ الْمَعْلُومُ، وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: مُقَدَّرٌ؛ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُوزَنُ بِقَدْرِ.

(١) صحيح البخاري ٨٠/٦ (٤٧٠١).

## ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ﴾ (٢٠)

﴿و﴾: عطفاً على ما سبق عن الأرض ﴿جَعَلْنَا﴾: هياً الله ﷻ بعظمته ﴿لَكُمْ﴾: لبني آدم ﴿فِيهَا﴾: في الأرض ﴿مَعَايِشَ﴾: جمع معيشة، وهو ما تعاشون به من الأرزاق التي يُعاش منها النَّاسُ، كالحياة في البادية، والحياة في الحضر، والحياة في السهل، والحياة في البيئات المختلفة وما تحتاجون إليه من طعام وكساء ﴿وَمَنْ﴾: الذين من الخلق ومنهم البشر ﴿لَسْتُمْ﴾: تُفيد النفي ﴿لَهُ﴾: تخصيصاً ﴿ب﴾: حرف باء التوكيد ﴿رَازِقِينَ﴾: كلُّ من يرزقه الله ﷻ، ولا تملكون له رزقاً؛ قال مجاهد: الدواب والأنعام، وقال ابن جرير: العبيد، والخدم، والإماء، والدواب، والأنعام.

التكليف: هذا من فضل الله ﷻ في صنوف الرزق، والركوب، والأكل، والخدمة؛ فالله ﷻ يرزقهم، ويرزق كلِّ النَّاسِ؛ دلالة على الاستمرارية.

## ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ (٢١)

﴿و﴾: عطفاً على ما سبق عن الأرض ﴿إِنْ﴾: حرف يفيد التأكيد ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ يفيد هنا ابتداء الغاية المكانية ويفيد البعض ﴿شَيْءٍ﴾: تفيد العموم، ما من مخلوقٍ، لا يوجد شيء، كلِّ الممكنات مقدرةً ومملوكةً لله ﷻ، يخرجها من العدم إلى الوجود بمقدارٍ كيف شاء ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء منقطع ﴿عِنْدَنَا﴾: عند الله ﷻ، جاءت بصيغة الجمع للتعظيم ﴿خَزَائِنُهُ﴾: هذه استعارة وتمثيل لكمال قدرته ﷻ على كلِّ شيء، هو ﷻ مالكُ خزائنه جميعاً ﴿وَمَا﴾: أيضاً هنا نفي ﴿نُنزِّلُهُ﴾: من السماء إلى الأرض ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿بِقَدَرٍ﴾: كميةٍ وعددٍ ﴿مَعْلُومٍ﴾: يرسله الله ﷻ بحكمةٍ بالغةٍ، رحمةً بعباده وخلقه، لا يجبره عليه أحدٌ؛ فقد كتب ﷻ على نفسه الرحمة، عَنِ الْحَسَنِ، رَحِمَهُ اللَّهُ ﷻ، ﴿وَمَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ [الحجر-٢١] قَالَ: «مَا مِنْ عَامٍ بِأَمْطَرَ مِنْ عَامٍ، وَلَكِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ، وَرُبَّمَا كَانَ ذَلِكَ فِي الْبَحْرِ يَنْزِلُ مَعَ الْمَطَرِ كَذَا وَكَذَا مِنَ الْمَلَائِكَةِ، فَيَكْتُبُونَ حَيْثُ يَقَعُ ذَلِكَ الْمَطَرُ، وَمَنْ يُرْزَقُهُ، وَمَا يَخْرُجُ مِنْهُ مَعَ كُلِّ قَطْرَةٍ»<sup>(١)</sup>.

## ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَّاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾ (٢٢)

﴿و﴾: عطفاً على ما سبق؛ حرف يجمع هنا بين ما سخره الله ﷻ في الأرض وما ﴿أَرْسَلْنَا﴾: بعثنا، وجعلنا ﴿الرِّيَّاحَ لَوَاقِحَ﴾: جاءت بمعنى حمل بخار الماء، وأيضاً تحمل الرياحُ الأعضاء المُذكَرَةَ في النباتات؛ فتضعها في أكمام العضو المؤنث في الشجر؛ فيحدث

(١) العظمة لأبي الشيخ الأصبهاني ١٢٧٤/٤.

التزواج اللقاح؛ فتُنبت الثمر ﴿ف﴾: حرف يفيد السبب تلحق السحاب بخار الماء فيمئلي ماءً وتلحق النبات والشجر ليثمر ﴿أَنْزَلْنَا﴾: جاءت بصيغة الجمع لأهمية الغيث ﴿مِنْ﴾: حرف يفيد بداية الغاية المكانية ﴿السَّمَاءِ﴾: هي كلُّ ما علا الأرض، وأحاط بها؛ ﴿مَاءً﴾: يسوق الله ﷻ الرياح؛ فتحملُ بخار الماء من الأرض إلى السماء، ثم يتكاثف البخارُ؛ فينزلُ الماء على الأرض، جاء اللفظ القرآني الماء على ثلاثة وجوه، هنا بمعنى المطر كما في ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾ [الفرقان-٤٨] ﴿فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ﴾: أنزلناه عذبًا لتشربوه أنتم ومواشيكم وأرضكم ﴿وَمَا﴾: حرف نفي ﴿أَنْتُمْ لَهُ﴾: حرف تملك للماء ﴿بِ﴾: حرف باء السببية ﴿خَازِنِينَ﴾: ولها ثلاثة معانٍ، الأول: لا تمنعون خروجه من أجسامكم مثل العرق، والبول، والدموع، وفي هواء التنفس، وفي البراز، وإذا منع الخروج حدثت أمراض، والثاني: لستم مانعين الماء من التبخر عن أيِّ سطحٍ صغيرٍ أو كبيرٍ، والثالث: لستم مانعين النَّاسَ من أخذه فهو في المحيطات، وفي البحار وفي باطن الأرض، وفي السحاب. وقال سفيان: لستم له مانعين وقيل لستم له بحافظين، بل الله ﷻ يجعله في باطن الأرض، وجعل منه ينابيع وأنهارًا؛ ليستمر استخدامه طوال الوقت، كان هذا في عهدٍ لم يعرف الإنسان السدود، ووسائل خزن المياه، وحفظها، ولا تزال هذه الحقيقة القرآنية ماثلة إلى ما شاء الله ﷻ.

### ﴿وَأِنَّا لَنَخُنُّ نَحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾ (٢٣)

﴿وَأِنَّا﴾: المقصود هو الله ﷻ؛ جاءت بصيغة الجمع؛ وهو واحدٌ أحدٌ للتفخيم ﴿ل﴾: حرف تخصيص ﴿نَخُنُّ﴾: جاءت بصيغة الجمع هنا لتعظيم الله ﷻ ﴿نَحْيِي﴾: نكتب الحياة ﴿و﴾: أيضًا هو الله تعالى ﴿نُمِيتُ﴾: بيد الله ﷻ خلق المخلوقات ومنها الإنسان، وبيده موت الخلق، بيده بدء الخلق، وإعادته؛ يوم يبعثهم جميعًا ﴿وَنَحْنُ﴾: الله ﷻ ﴿الْوَارِثُونَ﴾: الباقون أبدًا بعد هلاك الخلق كلِّه، الوارث الذي يرث الميِّت؛ لأنه الباقي بعد موت الخلائق لمن كان على الأرض، لأنه ﷻ الباقي بعد فناء خلقه، الحي الذي لا يموت.

### ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ﴾ (٢٤)

سبب النزول: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: «كَانَتْ امْرَأَةٌ تُصَلِّي خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَسَنَاءَ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ، فَكَانَ بَعْضُ الْقَوْمِ يَتَقَدَّمُ حَتَّى يَكُونَ فِي الصَّفِّ الْأَوَّلِ لئَلَّا يَرَاهَا، وَيَسْتَأْخِرُ بَعْضُهُمْ حَتَّى يَكُونَ فِي الصَّفِّ الْمُؤَخَّرِ، فَإِذَا رَكَعَ نَظَرَ مِنْ تَحْتِ إِبْطَيْهِ»، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ



﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ﴾<sup>(١)</sup>، ﴿وَلَقَدْ﴾: حرف جرّ يُفيد هنا التحقق بالتأكيد، لأنه وقع هنا على الفعل الماضي ﴿عَلِمْنَا﴾: أحطنا علمًا ﴿الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ﴾: قال ابن عباس، وابن جرير: هم الذين وُلدوا وماتوا بعد آدم ﷺ. ﴿وَلَقَدْ﴾: حرف جرّ يُفيد هنا التحقق بالتأكيد؛ لأنه وقع هنا على الفعل الماضي ﴿عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ﴾: الذين يُخلقون بعد ذلك ويموتون.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ (٢٥)

﴿وَإِنَّ﴾: حرف تأكيد ﴿رَبَّكَ﴾: المعبود، والمُرَبِّي ﴿هُوَ﴾: ضميرٌ منفصلٌ مرفوعٌ للغائب المفرد المذكر، ويعني هنا الله ﷻ ﴿يَحْشُرُهُمْ﴾: هذا إخبارٌ من الله ﷻ أنه سيجمع كلّ الذين ماتوا من يوم خلق آدم ﷻ وحتى قيام الساعة؛ وسيحشرهم يوم الحشر ﴿إِنَّهُ﴾: بالتأكيد ﴿حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾: فيقضي بينهم بالتأكيد بحكمته؛ البالغة، في القول، والعلم، والعمل، فهو العالم بكلِّ صغيرةٍ وكبيرةٍ.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾ (٢٦)

﴿وَلَقَدْ﴾: حرف جرّ يُفيد هنا التحقق بالتأكيد؛ لأنه وقع على الفعل الماضي ﴿خَلَقْنَا﴾: أوجدنا من غير سابق وجود ﴿الْإِنْسَانَ﴾: هو آدم ﷻ، وكلّ من جاء من نسله ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ وبيان لتمييز النوع يفيد هنا ابتداء الغاية المكانية ﴿صَلْصَالٍ﴾: طينٍ يابسٍ كالْفَخَّارِ، قال البخاري: ﴿صَلْصَالٍ﴾: طِينٌ خُطِّطَ بِرَمْلِ فَصَلَّصَلْ كَمَا يُصَلَّصِلُ الْفَخَّارُ، وَيُقَالُ: طِينٌ مُنْتِنٌ، يُرِيدُونَ بِهِ: صَلٌّ، يُقَالُ: صَلَّصَلَّ كَمَا يُقَالُ: صَرَّ النَّبَابُ عِنْدَ الْإِغْلَاقِ وَصَرَّصَرَ، مِثْلُ: كَبَّكَبْتُهُ يَعْنِي كَبَبْتُهُ<sup>(٢)</sup>، قال ابن عباس: الترابُ الرطبُ، وقال أيضًا الترابُ اليابسُ، وهو الذي إن نُقِرَ أُصدر صوتًا، وقال مجاهد: المُنتِن، المُتغير رائحته ﴿مِنْ حَمَائٍ﴾: طينٍ أسودٍ متغيرٍ ﴿مَسْنُونٍ﴾: من طول مكثه.

﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ﴾ (٢٧)

﴿و﴾: أيضًا خلقنا ﴿الْجَانَّ﴾: هو إبليس أبو الجن، وسمي إبليس لتواريه عن الأعين ﴿خَلَقْنَاهُ﴾: أوجدناه من غير سابق وجود ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ وبيان لتمييز النوع يفيد هنا ابتداء الغاية الزمانية ﴿قَبْلُ﴾: وكان ذلك قبل خلق آدم ﷻ، أي قبل خلق الإنسان ﴿مِنْ نَارِ

(١) سنن الترمذي ٢٩٦/٥ (٣١٢٢) قال الألباني: صحيح.

(٢) صحيح البخاري ١٤٤/٦ باب خلق الله آدم صلوات الله عليه وذريته.

**السَّمُومِ**: هي النار التي ليس لها دخان، وقيل هي الريح الحارّة القاتلة، وقال ابن عباس: هي النار القاتلة.

**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ﴿٢٨﴾**

**وَإِذْ**: حرف يدل على ما مضى من الزمن، واذكر يا محمد **﴿قَالَ رَبُّكَ﴾**: تعني كلمة الرب: هو تعالى المُعبود، والمُربي، ﷺ مالك أمرك كلّ **﴿ل﴾**: حرف تخصيص **﴿الْمَلَائِكَةِ﴾**: أخبرهم **﴿إِنِّي﴾**: أنا الله ﷻ **﴿خَالِقٌ﴾**: مُوجدٌ من غير سابق وجودٍ **﴿بَشَرًا﴾**: الإنسان **﴿مِنْ﴾**: حرف جرّ وبيان لتمييز النوع يفيد هنا ابتداء الغاية المكانية **﴿صَلْصَالٍ﴾**: من طينٍ يابس **﴿مِنْ حَمَإٍ﴾**: طينٍ **﴿مَسْنُونٍ﴾**: مُتغير الرائحة.

**فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٢٩﴾**

**فَإِذَا**: حرفٌ مفاجأة وأمر؛ يفيد معنى الشرط **﴿سَوَّيْتُهُ﴾**: أتممت خلقه، وعدّلت صورته الإنسانية وكملت أجزاءه، وهياته لنفخ الروح فيه، وتم بناء الخلق، واستوى جسدًا؛ أي على الوجه الذي أردته **﴿و﴾**: حرف عطفٍ يفيد هنا الحال **﴿نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ﴾**: حرفٌ يفيد بداية الغاية المكانية **﴿رُوحِي﴾**: بالكيفية التي لا نعرفها، ويعرفها الله ﷻ الذي حققها، صار بشرًا حيًّا مشرفًا من ربّه ﷻ **﴿ف﴾**: حرف لهذا السبب الذي سبق **﴿قَعُوا﴾**: انزلوا على الأرض **﴿لَهُ﴾**: تحديداً **﴿سَاجِدِينَ﴾**: أن يسجدوا تكريمًا وتحيّةً لمن خلق الله ﷻ، واعترافًا بفضله ﷻ.

**﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾**

**﴿ف﴾**: حرف سبب بهدف ترتيب الأمر ويفيد السرعة أن **﴿سَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ﴾**: بالتأكيد عند أمر الله ﷻ لهم بذلك من غير تأخير، **﴿أَجْمَعُونَ﴾**: تفيد تأكيد سجود العموم، سجد الملائكة تكريمًا لخلق الله ﷻ، والله أعلم.

**التكليف**: اجتمعت الكلمتان كلهم وأجمعون ليُدلّ هذا على أنّ كلّ الملائكة سجدوا لله ﷻ وفي آنٍ واحدٍ؛ دلالةً على كمال الطاعة لله ﷻ جلّ في علاه.

**﴿إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣١﴾**

**﴿إِلَّا﴾**: حرف استثناء **﴿إِبْلِيسَ أَبَى﴾**: الإباء هو شدّة الامتناع، فكل إباء امتناع، وليس كل امتناع إباء، فلقد رفض إبليس، لعنه الله ﷻ؛ وامتنع عن السجود؛ عنادًا واستكبارًا **﴿أَنْ﴾**: حرف تأكيد الفعل **﴿يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾**: تعني أنّ خلقًا آخرين وهم الملائكة أطاعوا الله ﷻ؛ فسجدوا لآدم؛ تكريمًا وطاعةً لله ﷻ. إنّ بداية الانحراف كانت عصيًّا في أمر السجود، وليس إنكارًا أن الله ﷻ قد خلق إبليس؛ فقد اعترف بذلك يوم قال: **﴿خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ﴾**

[الأعراف-١٢]، ولا إنكاراً لخلق الله ﷻ لآدم؛ فقد قال إبليس لعنه الله: ﴿وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ [الأعراف-١٢] كانت معصيةً في السجود؛ وبها خرج من رحمة ربه ﷻ ولم يتخلف أحد. التكليف: نستخلص هنا أنه لا قليل من الإثم في أوامر الله ﷻ وشرعه.

**﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾ (٣٢)**

**﴿قَالَ﴾**: الله ﷻ **﴿يَا﴾**: حرفٌ نداءٍ للقريب والبعيد **﴿إِبْلِيسُ﴾**: هو أبو الشياطين **﴿مَا لَكَ﴾**: ما عُذرك، وما يمنعك من السجود مع الملائكة الساجدين **﴿أَلَّا﴾**: حرف تخصيص **﴿تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾**: ما يمنعك من السجود؟ يسأل الله ﷻ وهو أعلم.

**﴿قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدْ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾ (٣٣)**

**﴿قَالَ﴾**: إبليس اللعين مُظهرًا كبره وحسده **﴿لَمْ﴾**: حرف جزم ينفي **﴿أَكُنْ﴾**: لا يصح لي، ولست أنا الذي يسجد، ولا يليق بي أن أسجد **﴿لِأَسْجُدْ ل﴾**: حرف تخصيص **﴿بَشَرٍ﴾**: إنسان **﴿خَلَقْتَهُ﴾**: أوجدته ولم يكن موجودًا **﴿مِنْ﴾**: حرف بيان النوع وتمييزه، ويفيد ابتداء الغاية المكانية وهو **﴿صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾**: من طينٍ أسودٍ يابسٍ منتنٍ الرائحة، إنَّ كلَّ عنصرية مصدرها الشيطان الرجيم.

التكليف: يعترف إبليس اللعين، بأنَّ الله خلقه وخلق آدم ﷺ، ويأبى طاعته ﷻ.

**﴿قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ (٣٤)**

**﴿قَالَ﴾**: الله ﷻ **﴿ف﴾**: حرفٌ يُفيدُ السبب، ودونَ تأخير **﴿أَخْرِجْ﴾**: القائل هو الله ﷻ لإبليس، أنت مطرودٌ **﴿مِنْهَا﴾**: حرف الهاء يعود على الجنة، من الجنة، مطرودٌ من رحمتي **﴿فَإِنَّكَ﴾**: أنت بالتأكيد **﴿رَجِيمٌ﴾**: ملعونٌ مطرودٌ مرجومٌ؛ لأنَّ من يُطرد يُرجم بالحجارة.

**﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾ (٣٥)**

**﴿وَإِنَّ﴾**: حرفٌ يُفيدُ التأكيد **﴿عَلَيْكَ﴾**: تقع تخصيصًا **﴿اللَّعْنَةَ﴾**: الإبعاد على سبيل السخط، يصيبك سخط الله ﷻ **﴿إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾**: إلى يوم القيامة، لعنةٌ متصلةٌ، قال سعيد بن جبير لما لعن الله ﷻ إبليس تغيرت صورته عن صور الملائكة، وررَّ رنةً فكلُّ رنةٍ في الدنيا إلى يوم القيامة منها، وهنا سأل إبليس الله ﷻ: أن يُؤجله إلى يوم القيامة؛ فكانت:

**﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ (٣٦)**

**﴿قَالَ رَبِّ﴾**: يُخاطب إبليس العاصي ربه، مالك أمره كله، ﷻ، ولا يُنكر ذلك كما يفعل كفَّار هذا الزمان، الذين يقولون لا إله **﴿فَأَنْظِرْنِي﴾**: أجل عذابي **﴿إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾**: طلب إبليس

اللعين من الله ﷻ أَنْ يُؤَجَلَ عَذَابُهُ أَوْ مَوْتُهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، يَوْمَ يَبْعَثُ اللَّهُ ﷻ الْخَلَائِقَ، وَلَمْ يَذَكَرْ يَوْمَ الْحِسَابِ؛ لِأَنَّ مَصِيرَهُ مَعْلُومٌ، وَهَذَا إِقْرَارٌ مِنْ إِبْلِيسَ بِيَوْمِ الْحِسَابِ.

﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾ (٣٧)

﴿قَالَ﴾: اللَّهُ ﷻ ﴿فَإِنَّكَ﴾: أَنْتَ بِالتَّأَكِيدِ ﴿مِنْ﴾: حَرْفُ بَيَانِ النُّوعِ وَتَمْيِيزِهِ، وَيَفِيدُ ابْتِدَاءَ الْغَايَةِ الْكَلِيَّةِ وَهُوَ ﴿الْمُنْظَرِينَ﴾: مِنَ الْمُؤَجَّلِينَ، إِنَّ مَوْتَكَ، وَحِسَابَكَ، مُؤَجَّلٌ لِحِكْمَةِ أَرَادَهَا ﷻ، وَاللَّهُ ﷻ أَعْلَمُ.

﴿إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ (٣٨)

﴿إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ﴾: الْمَوْعِدِ ﴿الْمَعْلُومِ﴾: أَحْرَى اللَّهُ ﷻ لِإِبْلِيسَ يَوْمَ مَوْتِهِ وَحِسَابِهِ؛ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ؛ لِحِكْمَةِ أَرَادَهَا، لِيُخْتَبَرَ بِهِ بَنِي آدَمَ.

﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٣٩)

﴿قَالَ﴾: إِبْلِيسَ ﴿رَبِّ﴾: يَعْتَرِفُ إِبْلِيسَ، لِعَنَةِ اللَّهِ، بِأَنَّ اللَّهَ ﷻ رَبَّهُ عَلَى عَكْسِ بَعْضِ كَفَّارِ هَذَا الزَّمَانِ مِنَ الشُّيُوعِيِّينَ، الَّذِينَ يَقُولُونَ: لَا إِلَهَ وَالْحَيَاةَ مَادَّةٌ ﴿بِمَا﴾: اسْمُ مَوْصُولٍ هُنَا بِمَعْنَى الَّذِي ﴿أَغْوَيْتَنِي﴾: بِسَبَبِ أَنَّكَ كَتَبْتَ عَلَيَّ الْغَوَايَةَ وَالضَّلَالَ؛ وَطَلَبَ السُّجُودَ لِآدَمَ؛ وَتَمَرَّدِي عَلَى ذَلِكَ ﴿لَأُزَيِّنَنَّ﴾: لِأَجْمَلَنَّ كُلَّ الْمَعَاصِي ﴿لَهُمْ﴾: تَخْصِيصًا ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ لِذُرِّيَّتِهِ فِي كُلِّ الْأَرْضِ، وَأَرْغَبَ لَهُمْ فِيهَا؛ حَتَّى تُكْتَبَ عَلَيْهِمْ، فَيُخْسِرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿وَقَوْ﴾: عَطْفًا عَلَى هَذَا ﴿ل﴾: حَرْفٌ يَفِيدُ السَّبَبَ ﴿أَغْوِيَنَّهُمْ﴾: أَضْلَنَّهُمْ، وَأَبْذَلَ قُصَارَى جُهْدِي فِي إِبْعَادِهِمْ عَنْ دِينِكَ، وَإِلْهَائِهِمْ عَنْ عِبَادَتِكَ ﴿أَجْمَعِينَ﴾: إِنَّ هَدَفَ إِبْلِيسَ غَوَايَةَ كُلِّ أَبْنَاءِ آدَمَ ﷻ، بِإِسْتِنَاءِ.

التكليف: يشمل التزيين أمرين: الأول التجميل والتحبيب في فعل المعاصي، والثاني إشغال النَّاسِ بِزِينَةِ الدُّنْيَا؛ حَتَّى يَنْصَرِفُوا عَنْ فِعْلِ الطَّاعَاتِ.

﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ (٤٠)

﴿إِلَّا﴾: وَاسْتَنْتَى إِبْلِيسَ اللَّعِينِ مِنَ الْغَوَايَةِ وَالضَّلَالَةِ ﴿عِبَادَكَ﴾: عِبَادَ اللَّهِ ﷻ ﴿مِنْهُمُ﴾: حَرْفٌ تَمْيِيزُ ﴿الْمُخْلَصِينَ﴾: الَّذِينَ اصْطَفَاهُمْ اللَّهُ ﷻ، الَّذِينَ يُطِيعُونَ اللَّهَ حَقَّ طَاعَتِهِ، الَّذِينَ سَخَّرُوا إِيْمَانَهُمْ لِلَّهِ ﷻ، وَدَعْوَتَهُ، وَرِسَالَتَهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَلَمْ يُوَثِّرْ فِيهِمْ إِبْلِيسَ اللَّعِينِ.

﴿قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ﴾ (٤١)

﴿قَالَ﴾: اللَّهُ ﷻ ﴿هَذَا﴾: اسْمُ إِشَارَةٍ لِلْمَفْرَدِ الْمَذْكَرِ ﴿صِرَاطٌ﴾: طَرِيقٌ وَمَنْهَجٌ حَيَاةٍ ﴿عَلَيَّ﴾: عَلَى اللَّهِ ﷻ ﴿مُسْتَقِيمٌ﴾: مَعْتَدِلٌ لَا عَوْجَ فِيهِ، هَذَا وَعْدِي، وَإِنْ رَجَعُوا إِلَيَّ؛ فَأُجَازِي

المُخلصين خيراً بخير، وأعاقبُ الكافرين شرّاً بشراً، قال مجاهد، والحسن، وقتادة: إنَّ طريق الحق مرجعها إلى الله ﷻ؛ واليه تنتهي.

﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ (٤٢)

﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ﴿عِبَادِي﴾: الذين قدّرت لهم الهداية؛ فأطاعوني وأخلصوا لي ﴿لَيْسَ﴾: فعل ماضٍ، يفيد النفي ﴿لَكَ﴾: لا أجعل لك ﴿عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾: تسلطٌ وقدرةٌ على قلوبهم، ليس لك يا إبليس عليهم من سبيل، ولا سيطرة، ولا طاعة، ولا وصول لك إليهم، لن تُسيطر عليهم، ولن تقودهم ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء منقطع ﴿مَنِ﴾: الذي من جنس بني آدم ﴿اتَّبَعَكَ﴾: سار على نهجك ﴿مَنِ﴾: بعض ﴿الْغَاوِينَ﴾: باستثناء الذين أطاعوك، والذين زينت لهم عصياني، ومخالفة أمري؛ فصدقوك واتبعوك.

﴿وَأَنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٤٣)

﴿وَأَنَّ﴾: عطفاً على هذا؛ اعلم ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿جَهَنَّمَ لَ﴾: حرف تخصيص ﴿مَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾: سيدخلون جميعاً جهنم في موعدٍ محددٍ، جميعُ أتباع إبليس، وجاء في المعنى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ﴾ [هود-١٧].

﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾ (٤٤)

﴿لَهَا﴾: لجهنم تخصيصاً ﴿سَبْعَةُ أَبْوَابٍ﴾: يصف الله ﷻ جهنم، لها سبع طبقات وقيل سبعة أبواب، وفي الحديث المرفوع: إِنَّ النَّارَ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ مَا فِيهِنَّ بَابَانِ إِلَّا وَبَيْنَهُمَا مَسِيرَةٌ الرَّكْبِ سَبْعِينَ عَامًا<sup>(١)</sup> ﴿لِكُلِّ﴾: جميع ﴿بَابٍ مِنْهُمْ﴾: حرف يفيد بداية الغاية المكانية، كل طبقة ﴿جُزْءٌ﴾: نصيب ﴿مَقْسُومٌ﴾: قُسم أتباع إبليس، لعنه الله، على الأبواب السبعة، يدخلون منها لا ريب في ذلك، يدخل كل واحدٍ بحسب عمله، ويستقر في دركٍ بحسب عمله، قَالَ قَتَادَةُ، سَمِعْتُ أَبَا نَضْرَةَ، يُحَدِّثُ عَنْ سَمُرَةَ، أَنَّهُ سَمِعَ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: «إِنَّ مِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى كَعْبِيهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ إِلَى حُجْرَتِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ إِلَى عُنُقِهِ»<sup>(٢)</sup>.

التكليف: إنَّ مراتب الكفر تختلف في شدتها وخفتها؛ بذلك اختلفت مراتب العذاب، قال الصّحاح: الأولى للعصاة، والثانية لليهود، والثالثة للنصارى، والرابعة للصابئين، والخامسة للمجوس، والسادسة للمشركين، والسابعة للمنافقين. والله ﷻ أعلم.

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ (٤٥)

(١) السنة لابن أبي عاصم ومعها ظلال الجنة للألباني ٢٨٦/١-٢٨٨(٦٣٦). وفي إسناده رواية مجهولون؛ لذا قال الألباني: إسناده ضعيف.

(٢) صحيح مسلم ٢١٨٥/٤(٢٨٤٥).

﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿الْمُتَّقِينَ﴾: وفي المقابل، ما مصير المؤمنين الذين عبدوا الله ﷻ بيقين؛ طمعاً في رحمته، وخوفاً من عذابه، فبعد ذكر النار وأصحابها؛ جاءت البشرى لأهل الجنة وهم المتقون ﴿فِي جَنَّاتٍ﴾: البساتين التي عرضها السماوات والأرض، وليس في جنة واحدة ﴿و﴾: أيضاً هم في ﴿عُيُونٍ﴾: في جنات تجري فيها المياه من عيون، والعسل واللبن وخمر الآخرة؛ هذه هي شراب أهل الجنة، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «سَأَلَ مُوسَى رَبَّهُ عَنْ سِتِّ خِصَالٍ، كَانَ يَظُنُّ أَنَّهَا لَهُ حَالِصَةٌ، وَالسَّابِعَةُ لَمْ يَكُنْ مُوسَى يُحِبُّهَا، قَالَ: يَا رَبِّ أَيُّ عِبَادِكَ أَتَّقَى؟ قَالَ: الَّذِي يَذْكُرُ وَلَا يَنْسَى، قَالَ: فَأَيُّ عِبَادِكَ أَهْدَى؟ قَالَ: الَّذِي يَتَّبِعُ الْهُدَى، قَالَ: فَأَيُّ عِبَادِكَ أَحْكَمُ؟ قَالَ: الَّذِي يَحْكُمُ لِلنَّاسِ كَمَا يَحْكُمُ لِنَفْسِهِ، قَالَ: فَأَيُّ عِبَادِكَ أَعْلَمُ؟ قَالَ: عَالِمٌ لَا يَشْبَعُ مِنَ الْعِلْمِ، يَجْمَعُ عِلْمَ النَّاسِ إِلَى عِلْمِهِ، قَالَ: فَأَيُّ عِبَادِكَ أَعَزُّ؟ قَالَ: الَّذِي إِذَا قَدَرَ غَفَرَ، قَالَ: فَأَيُّ عِبَادِكَ أَغْنَى؟ قَالَ: الَّذِي يَرْضَى بِمَا يُؤْتَى، قَالَ: فَأَيُّ عِبَادِكَ أَفْقَرُ؟ قَالَ: صَاحِبٌ مَنُقُوصٌ»، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَيْسَ الْغِنَى عَنْ ظَهْرٍ، إِنَّمَا الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا جَعَلَ غِنَاهُ فِي نَفْسِهِ وَتَقَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ شَرًّا جَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ»<sup>(١)</sup>.

### ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ﴾ (٤٦)

﴿ادْخُلُوهَا﴾: أمرٌ من الله ﷻ قبل أن يكونوا فيها وقيل إنهم لما صاروا في الجنات، فإذا انتقلوا من بعضها إلى بعض؛ يُقال لهم ادخلوها ﴿بِسَلَامٍ﴾: جاء اللفظ القرآني "بسلاّم" هنا بمعنى السلامة من الشر؛ سالمين من الآفات والأسقام، تُسلم عليكم الملائكة، وتُسلمون على أنفسكم ﴿آمِنِينَ﴾: من كل ما يُخيف، لا خوف ولا فزع، لا تخرجون منها، ولا تتقطعون عن نعيمها، ولا تقنون فيها.

### ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ (٤٧)

﴿و﴾: حرف عطف يفيد هنا الحال ﴿نَزَعْنَا﴾: أزال الله ﷻ ﴿مَا﴾: الذي ﴿فِي صُدُورِهِمْ﴾: ما في قلوبهم، حيث مركز الوعي والإدراك ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ وبيان لتمييز النوع يفيد هنا النوع ﴿غَلٍّ﴾: حقدٍ وضغينة، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يَخْلُصُ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ، فَيُحْبَسُونَ عَلَىٰ قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيَقْصُ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضِ مَظَالِمِ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا، حَتَّىٰ إِذَا هُدُّوا وَتَقُوا أُذُنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ،

(١) صحيح ابن حبان ١٠٠/١٤ (٦٢١٧) قال الأرناؤوط: إسناده حسن.

لَأَحَدُهُمْ أَهْدَى بِمَنْزِلِهِ فِي الْجَنَّةِ مِنْهُ بِمَنْزِلِهِ كَانَ فِي الدُّنْيَا<sup>(١)</sup>. ﴿إِخْوَانًا﴾: والأخ والأخت هم المشارك لآخر من الأب والأم أو أحدهما، وجاء اللفظ القرآني إخوان على خمسة وجوه؛ هنا بمعنى أخوة المحبة، والمودة؛ يجلسون ﴿عَلَى سُرُرٍ﴾: مجالس مرتفعة ﴿مُتَقَابِلِينَ﴾: عامّة في المسلمين ينظر كل واحد منهم في وجه أخيه، وليس في قفاه، وهذا دليل الألفة، والمحبة.

﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ (٤٨)

﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يَمَسُّهُمْ﴾: لا يصيبهم في العمق ﴿فِيهَا نَصَبٌ﴾: لا يصيب أجسادهم، ولا نفوسهم تعب، ولا مشقة، ولا أذى، ولا صخب؛ لأنهم ليسوا في حاجة إلى الكدح والتعب ولا مشقة، ولا أذى ﴿و﴾: عطفًا على ذلك ﴿مَا﴾: حرف نفي ﴿هُمْ﴾: ضميرٌ منفصلٌ مرفوعٌ للجمع المذكر والمؤنث الغائب؛ للتحديد والتخصيص والتأكيد ﴿مِنْهَا﴾: حرف يفيد بداية الغاية المكانية، من جهنم ﴿بِمُخْرَجِينَ﴾: وهذه تختلف عن اللفظ "مخرجين" لأنه خلودٌ أبدي، ينفي ﴿أَنَّهُمْ سَيَتْرَكُونَ الْجَنَّةَ﴾؛ بل هم فيها خالدون؛ جاء في المعنى: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾ [الكهف-١٠٨] عَنِ ابْنِ أَبِي أَوْفَى، قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ النَّوْمَ مِمَّا يُقْرَأُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَعِينَنَا فِي الدُّنْيَا، فَهَلْ فِي الْجَنَّةِ نَوْمٌ؟ قَالَ: لَا، إِلَّا إِنَّ النَّوْمَ شَرِيكُ الْمَوْتِ، وَلَيْسَ فِي الْجَنَّةِ مَوْتٌ، قَالَ: فَمَا رَاحَتُهُمْ؟ قَالَ: فَأَعْظَمَ النَّبِيُّ ﷺ ذَلِكَ وَقَالَ: لَيْسَ فِيهَا لُغُوبٌ، كُلُّ أَمْرِهِمْ رَاحَةٌ، قَوْلُهُ: ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

﴿نَبِيُّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (٤٩)

﴿نَبِيُّ﴾: أخبر يا محمد ﷺ وبلغ ﴿عِبَادِي﴾: هنا تكريم من الله ﷻ، لأنه أضاف العباد إلى نفسه ﷻ ﴿أَنِّي﴾: حرف تأكيد، ونفي الشك عن الله ﷻ ﴿أَنَا الْغَفُورُ﴾: كثير المغفرة لذنوبهم، واسع السماح، والعفو، ﴿الرَّحِيمُ﴾: قاله ﷻ أني كثير الرحمة والتأكيد بذكر أني وأنا وإدخال ال التعريف على الغفور الرحيم.

﴿وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾ (٥٠)

﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿أَنَّ﴾: حرف تأكيد الرحمة، ونفي الإنكار والشك؛ فكما أن رحمتي واسعة؛ فإن ﴿عَذَابِي﴾: لمن كتبت عليه العذاب، ولم يقل ﷻ إني أنا المُعَذَّب ﴿هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾: شديد الإيلام، قَوْلُهُ: ﴿نَبِيُّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ. وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ

(١) صحيح البخاري / ١١١/٨ (٦٥٣٥).

(٢) صفة الجنة لأبي نعيم الأصبهاني ٥٦/٢ (٢١٦). قال ابن كثير في كتابه النهاية في الفتن والملاحم ٣٤٧/٢: إسناده ضعيف.

الْأَلِيمِ ﴿عَنْ سَعِيدٍ، عَنْ قَتَادَةَ قَالَ: بَلَّغْنَا أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ قَالَ: لَوْ يَعْلَمُ الْعَبْدُ قَدْرَ عَفْوِ اللَّهِ لَمَا تَوَرَّعَ مِنْ حَرَامٍ، وَلَوْ يَعْلَمُ قَدْرَ عَذَابِهِ لَبَحَعَ نَفْسَهُ﴾<sup>(١)</sup>.

﴿وَتَبَيَّنَهُمْ عَنْ صَيْفٍ إِبْرَاهِيمَ﴾ (٥١)

﴿وَتَبَيَّنَهُمْ﴾: أخبرهم أيضًا خبر صدق ﴿عَنْ﴾: حرف يفيد الاتصال، والارتباط، والتعلق  
﴿صَيْفٍ﴾: الملائكة ضيوف ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾: الذين جاؤوا إلى إبراهيم ﷺ، ضيوفًا، وتُطلق كلمة صيف على الفرد والجمع.

﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ﴾ (٥٢)

﴿إِذْ﴾: حرف يفيد حدث في الماضي بمعنى حين ﴿دَخَلُوا عَلَيْهِ﴾: على إبراهيم ﷺ، حيث كان في بيته ﴿ف﴾: حرف يفيد السبب ﴿قَالُوا سَلَامًا﴾: سلّموا عليه ﴿قَالَ إِنَّا﴾: قالها بصيغة الجمع؛ دليلٌ خوفهم الشديد ﴿مِنْكُمْ﴾: تحديدًا ﴿وَجِلُونَ﴾: نحن منكم خائفون؛ عندما رأى أيديهم لا تصل إلى العجل المشوي.

﴿قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾ (٥٣)

﴿قَالُوا﴾: الملائكة ضيوف إبراهيم ﷺ ﴿لَا﴾: حرف نهي ﴿تَوْجَلْ﴾: لا تخف ﴿إِنَّا﴾: نحن بالتأكيد ﴿نُبَشِّرُكَ﴾: نحن ننبئك، نخبرك بما يسرُّك ﴿ب﴾: حرف باء السببية ﴿غُلَامٍ﴾: بسبب أن الله ﷻ يرزقك بولد هو إسحق ﷺ ﴿عَلِيمٍ﴾: كثير العلم بالدين، هو إسحق ﷺ، يُعلِّمه الله ﷻ من علمه العزيز.

﴿قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمِ تَبَشِّرُونِ﴾ (٥٤)

﴿قَالَ﴾: إبراهيم ﷺ متعجبًا ﴿أ﴾: حرف استفهام بغرض الاستنكار ﴿بَشَّرْتُمُونِي﴾: هل هذه بشرى ﴿عَلَى أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿مَسَّنِيَ﴾: أصابني في كلِّ جسدي ﴿الْكِبَرُ﴾: وصلت مرحلة الكبر في العمر والهرم، كيف يكون لي ولدٌ وقد بلغت من العمر عتياً، وزوجتي مثلي؛ قالها متعجبًا، يريد أن يتحقق ﴿ف﴾: حرف يفيد السبب ﴿بِمِ﴾: بماذا، على أيِّ وجهٍ ومنطقي ﴿تَبَشِّرُونَ﴾: أسلوب تعجب، بمعنى لما تعجبون من بشارة الملائكة له بالولد مع كبر عمره، وهو الذي يريد أن يتحقق ما هي البشري؛ أعيدوها عليّ، وقد يكون سؤاله استنكارًا بكلامهم، والله أعلم.

﴿قَالُوا بَشِّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ﴾ (٥٥)

(١) حسن الظن بالله عز وجل لابن أبي الدنيا ٣٢٦/٢ (٦٥). قلت: إسناده ضعيف لأنه مرسل.



﴿قَالُوا﴾: الملائكة الضيوف ﴿بَشَرْنَاكَ﴾: أخبرناك بما يسرك ﴿بِالْحَقِّ﴾: ما أخبرناك هو اليقين الذي لا خلاف فيه، هي بشارَةٌ عن حقيقةٍ من الله ﷻ ﴿فَلَا﴾: أداةٌ نهى تقييد طلب عدم الفعل ﴿تَكُنْ﴾: تصير ﴿مِنْ﴾: حرف يفيد التمييز ﴿الْقَانِطِينَ﴾: لا تكن من اليائسين من الخير أو الولد.

﴿قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ (٥٦)

﴿قَالَ﴾: إبراهيم ﷺ ﴿وَمَنْ﴾: مستكراً، ومستبعداً؛ من هو الذي ﴿يَقْنَطُ﴾: ييأس ﴿مِنْ﴾: حرفٌ جرٌّ وبيان لتمييز النوع يفيد هنا النوع ﴿رَحْمَةِ رَبِّهِ﴾: هو ﷻ المعبود، والمُربي، وهو المنشئ للكون بمن وبما فيه من حالٍ إلى حالٍ إلى حدِّ التمام والخالق، والمالك، والعاطي، وكثيرُ الخير، والمُحيط، والمُدبِّر، والجابرُ لكسر البرايا، والثابت، والقريب، والجامعُ، والمصلحُ، والسيّدُ، الكفّار هم الذين غطوا، وأنكروا، ورفضوا البعث بعد الموت من مالك أمرهم في الدنيا وفي الآخرة، قال إبراهيم ﷺ: لست قانتاً، ولكنّي أرجو الولد رغم كبر عمري، وعمر زوجتي ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿الضَّالُّونَ﴾: الخاطئون المنصرفون عن طريق الحق، ولكنّي استبعدت أن يرزقني الولد لكبر سني وليس لقنوطي من رحمة ربّي، ومن يقنط فهو لا يعرف قدرة ربّه ﷻ بحق.

التكليف: هذه الآية تحملُ البُشرى لكلِّ مؤمنٍ في كلّ زمانٍ؛ فقد يقنطُ إنسانٌ من صلاح الأُمّة الإسلامية، التي ذهبت في تبعيتها للضالّين المضلّين، وقد يقنطُ بعضهم من تحرير فلسطين، ومن وحدة المسلمين،... إلخ.

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ (٥٧)

﴿قَالَ﴾: إبراهيم ﷺ ﴿فَمَا﴾: حرف يفيد الخبر ﴿خَطْبُكُمْ﴾: شأنكم الخطير، بعد أن ذهب عن إبراهيم الروح سأل ما شأنكم، لماذا جئتم ﴿أَيُّهَا﴾: حرف نداء للقريب والبعيد ﴿الْمُرْسَلُونَ﴾: كلماته تدلُّ أنه اطمأن أنهم رسل الله ﷻ.

﴿قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾ (٥٨)

﴿قَالُوا﴾: الملائكة ﴿إِنَّا﴾: نحن بالتأكيد ﴿أُرْسِلْنَا﴾: أرسلنا الله ﷻ ﴿إِلَى قَوْمٍ﴾: جماعةٍ من جنسٍ واحدٍ، أو أصحاب مذهبٍ واحدٍ، هم ﴿مُّجْرِمِينَ﴾: إلى قوم لوط، ووصفهم بالمجرمين، والنص يفيدُ أن الملائكة كانوا كُثراً.

﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٥٩)

﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء يفيد أن الملائكة يستثنون من ﴿آل﴾: أهل، عائلة ﴿لوط﴾: أخبروه أنهم جاؤوا بالعذاب إلى قوم لوط ﴿إِنَّا﴾: الملائكة وهم رُسل، هو الله ﷻ بالتأكيد ﴿لَمُنْجُوهُمْ﴾: اللام تفيد العاقبة، منقذوهم ﴿أَجْمَعِينَ﴾: وأن في آل لوط ابن أخيه، وإنه مُستثنى من العذاب؛ وأنه من الناجين.

﴿إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ﴾ (٦٠)

﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿امْرَأَتَهُ﴾: باستثناء امرأة لوط؛ فإنها هالكة ﴿قَدَرْنَا﴾: شاء الله ﷻ جاءت بصيغة الجمع لعظم الحدث، وقد أسند الله ﷻ التقدير إلى الملائكة مجازًا، وليس حقيقة بسبب قربهم؛ لأن التقدير لا يكون إلا لله ﷻ وحده ﴿إِنَّهَا﴾: هي بالتأكيد ﴿ل﴾: حرف علّة وسبب ﴿مِنَ﴾: بعض ﴿الْغَابِرِينَ﴾: من الهالكين في الدنيا الباقين في العذاب مع الكفرة في جهنم.

﴿فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ﴾ (٦١)

﴿فَلَمَّا﴾: حرف يُفيدُ التتابع والسبب ﴿جَاءَ﴾: وصلت الملائكة في صورة شبانٍ حسانٍ الوجوه؛ فتنّةً للمنحرفين، وقابل ﴿آلَ لُوطٍ﴾: وزوجته ﴿الْمُرْسَلُونَ﴾: هم الملائكة.

﴿قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾ (٦٢)

﴿قَالَ﴾: لوط ﷺ ﴿إِنَّكُمْ﴾: أنتم بالتأكيد ﴿قَوْمٌ﴾: جماعة أصحاب مذهبٍ واحدٍ ﴿مُنْكَرُونَ﴾: أنا لا أعرفكم من قبل، أنتم غير معروفين، أو لأنه أنكر معرفتهم من قبل.

﴿قَالُوا بَلْ جِنَّاتِكُمْ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ (٦٣)

﴿قَالُوا﴾: الملائكة ﴿بَلْ﴾: حرف ينفي ما قبله؛ ويؤكد ما بعده ﴿جِنَّاتِكُمْ بِمَا﴾: بسبب الذي ﴿كَانُوا﴾: فيما سبق ﴿فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾: بسبب الذي يشكُّ فيه المجرمون، وهو العذاب العاجل، بسبب جرائمهم، والذي حدّرتهم يا لوط منها، وأنكروا ذلك؛ فجننا بهلاكهم الذي شكّوا في وقوعه.

﴿وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ (٦٤)

﴿وَ﴾: عطفاً على هذا ﴿أَتَيْنَاكَ﴾: وجئناك ﴿بِ﴾: حرف باء الصلة ﴿الْحَقِّ﴾: وهو عذابهم الواقع بهم لا محالة ﴿وَإِنَّا﴾: أيضًا نحن المرسلون بالتأكيد ﴿لَصَادِقُونَ﴾: في ذلك الخبر الذي أخبرناك، وصدّقوه القول: أنه ناجٍ من العذاب.

﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾

(٦٥)

﴿ف﴾: حرف استثنائي بهدف ترتيب الأمر ويفيد السرعة في التنفيذ لهذا السبب أسرع  
﴿أَسْرٍ﴾: أخرج من القرية قبل الصبح ﴿بِأَهْلِكَ﴾: مع أهلك ومن آمن من قومك ﴿بِقِطْعٍ﴾:  
جزءٍ من الليل أو آخره ﴿مِنْ﴾: حرف يفيد بداية الغاية الزمانية، وهي في ﴿اللَّيْلِ﴾: بعد  
مُضي جزءٍ من الليل ﴿وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ﴾: أيضاً امشِ خلف قومك؛ لتكون لهم أحفظ، وهذا منهج  
الرسول ﷺ أن يُساعد الضيف، ويُؤنس وحشته، ويحمل من ليس له ركوبة؛ وكى لا يتخلف  
منهم أحدٌ فينال العذاب ﴿وَلَا﴾: حرف نفى ﴿يَلْتَفِتْ﴾: ولا ينظر خلفه، وتعني كراهية الإشفاق  
عل الكافرين وأعاونهم ﴿مِنْكُمْ أَحَدٌ﴾: أحدكم، عندما تسمعون الصيحة؛ حتى لا تتخلع قلوبكم  
من الخوف، وذروا الذين حلّ عليهم العذاب فيما هم فيه ﴿وَامْضُوا﴾: عطفاً على هذا سيروا  
﴿حَيْثُ﴾: ظرفٌ يدلُّ على الزمان والمكان ﴿ثُمَّرُونَ﴾: إلى الجهة التي أمركم الله ﷻ  
بالمضي إليها، وقيل هي أرض الخليل في فلسطين كما أخبركم رسول الله ﷺ لوط ﷻ.

﴿وَقَصِينَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنْ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ﴾ (٦٦)

﴿وَقَصِينَا﴾: جاء اللفظ القرآني "قضى" في القرآن على عشرة وجوه، هنا بمعنى أوحينا أخبرنا،  
فبعد قرار الله ﷻ؛ أمر الله ﷻ الملائكة بإبلاغ ﴿إِلَيْهِ﴾: إلى لوط ﷻ ﴿ذَلِكَ﴾: إشارة للبعيد  
﴿الْأَمْرَ﴾: أخبر الله ﷻ لوطاً أن عذاب هؤلاء قدرٌ مقدور ﴿أَنَّ﴾: حرف يفيد التأكيد، ونفي  
الإنكار والشك ﴿دَابِرَ هَؤُلَاءِ﴾: وآخرهم يعني جميعهم ﴿مَقْطُوعٌ﴾: مُدمر ومنتهٍ ﴿مُصْبِحِينَ﴾:  
وقت الصباح.

﴿وَجَاءَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ (٦٧)

﴿وَجَاءَ﴾: حضر ﴿أَهْلُ﴾: سكان ﴿الْمَدِينَةِ﴾: مدينة سدوم بالقرب من البحر الميت، شرق  
فلسطين ﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾: يقولون يا بشرانا؛ هؤلاء رجالٌ حسانٌ، وهو المطلوب، علموا ذلك سرّاً  
من زوجة لوط ﷻ، قبل مجيئهم، والثاني هو قول لوط ﷻ.

﴿قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُون﴾ (٦٨)

﴿قَالَ﴾: لوط ﷻ ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿هَؤُلَاءِ﴾: الملائكة الذين على  
هيئة بشر ﴿ضَيْفِي﴾: احترموا ضيوفي وأعواني، وأنا كبيركم ورسولكم ﴿فَلَا﴾: أداة نهى تفيد  
طلب عدم الفعل ﴿تَفْضَحُونَ﴾: لا تجعلوني صاحب فضيحة، بتعرضكم لهم بالفاحشة؛  
فيعلموا أنني عاجزٌ عن حماية من نزل بي ضيفاً؛ كأنني استضفتهم لتقترفوا الفاحشة بعلمي.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُون﴾ (٦٩)

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾: عطفًا على ما جاء خافوا معصيته؛ وتجنبوا عذابه، واتقوا شر أعمالكم ﴿وَلَا﴾: حرف نفي ونهي ﴿تُخْزُونَ﴾: لا تشعروني بالعار من أعمالكم الحقيرة؛ فأنتم قومي.

﴿قَالُوا أَوْلَمْ نُنْهَكْ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ (٧٠)

﴿قَالُوا﴾: المجرمون من قوم لوط ﴿أَوْلَمْ﴾: اسمٌ مركبٌ يُفيد الاستنكار ﴿نُنْهَكْ﴾: نمنعك ﴿عَنِ﴾: حرفٌ يُفيدُ هنا الاتصال ﴿الْعَالَمِينَ﴾: من أن تكلمنا في شأن أحدٍ من الناس إذا قصدناهم بالفاحشة، وقيل نهوه عن ضيافة أحدٍ من الناس.

﴿قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ (٧١)

﴿قَالَ﴾: لوط عليه السلام حزينًا يائسًا ﴿هَؤُلَاءِ﴾: تنبيه وإشارة للبعيد ﴿بَنَاتِي﴾: هؤلاء النساء؛ خلقهن الله تعالى، واستباح لكم فروجهن بالحلال؛ فتزوجوهن بالحلال ﴿إِنْ﴾: حرف شرط ﴿كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾: إذا ثارت شهواتكم.

﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (٧٢)

﴿ل﴾: حرف لام القسم ﴿عَمْرُكَ﴾: يقسم الله تعالى بحياة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم؛ تشريفًا لمقامه الرفيع، وجاهه الكريم، رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ: مَا خَلَقَ اللَّهُ وَلَا بَرًّا وَلَا ذَرًّا أَكْرَمَ عَلَيْهِ مِنْ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم، وَمَا سَمِعْتُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَقْسَمَ بِحَيَاةِ أَحَدٍ إِلَّا بِحَيَاتِهِ صلى الله عليه وسلم قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحجر-٧٢] قَالَ: وَحَيَاتِكَ يَا مُحَمَّدُ، ﴿إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحجر-٧٢] وَاللَّهُ أَعْلَمُ<sup>(١)</sup>، قال ابن جرير: وحياتك وعمرك وبقاؤك في الدنيا، وقال ابن عباس: لعيشك ﴿إِنَّهُمْ﴾: هم قوم لوط بالتأكيد ﴿ل﴾: حرفٌ يفيد السبب ﴿فِي سَكْرَتِهِمْ﴾: في طغيانهم، وغوايتهم، وفي سكرة شهوتهم للرجال وضلالتهم في أمور الدنيا ﴿يَعْمَهُونَ﴾: يضربون على غير تعقلٍ وبصيرةٍ؛ فهم يتحيرون، وقال ابن عباس: يلعبون، وقيل يترددون.

﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ﴾ (٧٣)

﴿ف﴾: حرف يفيد السبب والتتابع السريع ﴿أَخَذَتْهُمُ﴾: ذهبت بهم، أصابتهم بشدةٍ وعنفةٍ ﴿الصَّيْحَةُ﴾: الصوتُ القاصفُ العظيم؛ وقيل كانت صيحةً جبريل عليه السلام، في حال كونهم ﴿مُشْرِقِينَ﴾: عند شروق الشمس، حيث رُفعت قطعة الأرض هذه إلى عنان السماء، ثم انقلبت عليهم.

﴿فَجَعَلْنَا عَلَيْهَا سَابِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ﴾ (٧٤)

(١) المجالسة وجواهر العلم للدينوري ١٨٠/٦ (٢٠٢٧). قال مشهور آل حسن: إسناده حسن.

﴿ف﴾: حرف يفيد السبب بدون تأخير ﴿جَعَلْنَا﴾: جاءت بصيغة الجمع؛ لهولها ﴿عَالِيَهَا﴾: قمم الجبال ﴿سَافِلَهَا﴾: قلبنا مدينتهم على من فيها من النَّاسِ حتى دُفِنُوا تحتها؛ فصاروا تحت، والقواعد من البيوت فوق ﴿و﴾: أيضًا جمع الله ﷺ عليهم بعد الزلزلة ﴿أَمْطَرْنَا﴾: جاءت بصيغة الجمع لتفيد عظم المطر؛ كان مطرًا عزيزًا ﴿عَلَيْهِمْ حِجَارَةً﴾: نزلت الحجارة من السماء، كالمطر، حجارة خلف حجارة. انظر تفاصيل أخرى في سورة هود ﴿مِنْ﴾: حرف بيان النوع وتمييزه، وتفيد هنا بداية الغاية المكانية، وهي ﴿سَجِّيلٍ﴾: طينٌ يابسٌ متحجّر، وقيل حجارة صلبة، ذات نتوءات، وقيل كانت من وادٍ في جهنم، وقيل هي أسم السماء الدنيا.

### ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ (٧٥)

﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿فِي ذَلِكَ﴾: في هذه الحادثة، التي كانت في البلاد فلسطين ﴿لآيَاتٍ﴾: أدلة شاهدة، وهي قرية سدوم ﴿ل﴾: حرف تخصيص ﴿الْمُتَوَسِّمِينَ﴾: تخصيصًا للمتفكرين الناظرين في الأمر؛ لمن يتأمل، ويتوسم المعرفة بعين ترى، وبصيرة تُدرك، وقال مجاهد: للمتفرسين، وقال ابن عباس والضحاك: للناظرين، وقال قتادة: للمعتبرين، وقال مالك: المتأملين.

التكليف: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

### ﴿وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ﴾ (٧٦)

﴿وَإِنَّهَا﴾: قرى ومدن قوم لوط ﷻ بالتأكيد ﴿ل﴾: تفيد حال ﴿بِسَبِيلٍ﴾: طريق، منهج ﴿مُقِيمٍ﴾: على طريق ثابت، معروف، هي قرية سدوم التي انقلبت، وقُدفت بالحجارة؛ فصارت بحيرة مُنتنة خبيثة، والله ﷻ أعلم، وقال مجاهد والضحاك: صارت معلمًا، وقال قتادة: هي طريق واضح، وقيل: بصقع من الأرض واحد.

### ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ (٧٧)

﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿فِي ذَلِكَ﴾: في الذي حدث لقوم لوط من هلاكٍ ودمارٍ، ونجاة لوط ﷻ، وأهله؛ ﴿ل﴾: حرف تخصيص ﴿آيَةً﴾: لعلبة جليلة ﴿ل﴾: تخصيصًا ﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾: يعتبر بها المؤمنون.

التكليف: لعل هذه الحادثة تُحثُّ المسلمين على الاختيار بين أن يكونوا على نهج قوم لوط أو على نهج لوط ﷻ، حيث جاء اليهود واحتلوا فلسطين وبعد سرقة الأرض، وتدنيس القدس،

<sup>(١)</sup> سنن الترمذي ٢٩٨/٥ (٣١٢٧). وقال: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ، إِنَّمَا نَعْرِفُهُ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ. قلت: الحديث ضعفه العلماء سلفًا وخلفًا.

وممارسة الفاحشة، وعدوانٍ مستمرٍ؛ لقد حقَّ عليهم ما حقَّ على قوم لوط؛ وبقي على المؤمنين أن يتوسموا بالإيمان بالله ﷻ، واتباع سنة محمد ﷺ.

### ﴿وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ نَظَالِمِينَ﴾ (٧٨)

﴿و﴾: عطفًا على هذا ﴿إِنْ﴾: حرفُ شرطٍ ﴿كَانَ﴾: في الماضي ﴿أَصْحَابُ﴾: سكانُ ﴿الْأَيْكَةِ﴾: قد كان أصحاب المدينة الملتفة الأشجار وهم قوم شعيب عليه السلام، وقال الضحاك: ذات الشجر الكثيف ﴿ل﴾: حرف علةٍ وسببٍ ﴿ظَالِمِينَ﴾: لأنفسهم بكفرهم بالله ﷻ، كانت جرائمهم الشرك بالله ﷻ، وقطعهم الطريق، والسرقه في الكيل سبب هلاكهم.

### ﴿فَأَنْتَقَمْنَا مِنْهُمُ وَإِنَّهُمَا لِيَإِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ (٧٩)

﴿ف﴾: لهذا السبب ﴿أَنْتَقَمْنَا مِنْهُمُ﴾: جاءتهم الصيحة، والرجفة الزلزال وعذاب يوم الظلة، وقد كانوا قريبًا من قوم لوط كانوا بعدهم في الزمان، وقريبًا في المكان ﴿وَإِنَّهُمَا﴾: قد يكون المقصود قوم لوط، وأصحاب الأيكة؛ والله أعلم ﴿ل﴾: حرف تخصيص ﴿ب﴾: حرف باء المصاحبة ﴿إِمَامٍ﴾: قال ابن عباس: لفظ "إمام" هنا يعنى الطريق ﴿مُبِينٍ﴾: الواضح، طريق ظاهر، جاء في المعنى؛ قال شعيب لقومه: ﴿وَمَا قَوْمٌ لُوطٍ مِّنْكُمْ بِبَعِيدٍ﴾ [هود-٨٩] زمانًا ومكانًا.

### ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحَجْرِ الْمُرْسَلِينَ﴾ (٨٠)

﴿وَلَقَدْ﴾: حرف جرٍ يُفيد هنا التحقق بالتأكيد لآتته وقع على الفعل الماضي ﴿كَذَّبَ﴾: أنكروا الحقائق وأخفوها ﴿أَصْحَابُ﴾: سكان منطقة ﴿الْحَجْرِ﴾: هم ثمود قوم صالح عليه السلام، الذين سكنوا وادي الحجر في طريق تبوك ﴿الْمُرْسَلِينَ﴾: كَذَّب هؤلاء رسولهم صالحًا عليه السلام؛ وجاءت بصيغة الجمع؛ لأن من كَذَّب برسولٍ فقد كَذَّب الرُّسُلَ جميعًا الذين أرسلهم الله ﷻ إلى من سبقهم؛ فلم يقل ﷻ كَذَّبوا الرسول صالح فقط، بل كَذَّبوا بالجميع، ونلاحظ هنا أن عدد حروف قوم ثمود هي أربعة، وهو عدد حروف اسم نبيهم صالح، كما كان عدد اسم قوم عادٍ ثلاثة حروف، وهو عدد حروف نبيهم هود، على كل الأنبياء، عليهم السلام.

### ﴿وَأَتَيْنَاهُمُ آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ (٨١)

﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿أَتَيْنَاهُمْ﴾: أعطيناهم؛ وجئناهم ﴿آيَاتِنَا﴾: بالأدلة والبراهين؛ لقوم صالح عليه السلام، ومنها الناقة التي دعا صالح عليه السلام ربه؛ فأخرج لهم الناقة من صخرة صماء، يشربون لبنها يومًا، وتشرب هي في اليوم نفسه الماء ﴿ف﴾: حرف يفيد السبب والتتابع في

التنفيذ السريع **﴿كَانُوا عَنْهَا﴾**: حرف يفيد انتهاء الغاية **﴿مُعْرِضِينَ﴾**: ابتعدوا عن الآيات، وقتلوا الناقة.

### **﴿وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ﴾ (٨٢)**

**﴿وَكَانُوا يَنْحِتُونَ﴾**: أيضًا هانوا يحفرون ويقطعون **﴿مِنْ﴾**: حرف يفيد ابتداء الغاية المكانية، وهي جزء أو بعض **﴿الْجِبَالِ﴾**: هل كانت بيوتهم كالمغارات، في داخل الجبال **﴿بُيُوتًا﴾**: مساكن **﴿آمِنِينَ﴾**: وفي الحالتين كانت بيوتهم قوية، ثابتة، دائمة، من غير خوفٍ من أحدٍ، ولكنه البطر والتباهي، فقد مرَّ رسول الله ﷺ وهو في طريقه إلى تبوك، فغطى رأسه، وأسرع دابته. عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِأَصْحَابِ الْحَجْرِ: لَا تَدْخُلُوا عَلَى هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ، فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا بَاكِينَ فَلَا تَدْخُلُوا عَلَيْهِمْ، أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَهُمْ<sup>(١)</sup>.

### **﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُضْجِينَ﴾ (٨٣)**

**﴿ف﴾**: حرف يفيد السبب وسرعة الفعل **﴿أَخَذَتْهُمُ﴾**: جاءتهم، وأصابتهم بعذاب **﴿الصَّيْحَةُ﴾**: الصوت الجبار فأصابتهم بعذاب شديد **﴿مُضْجِينَ﴾**: في وقت الصباح من اليوم الرابع.

### **﴿فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (٨٤)**

**﴿فَمَا﴾**: حرف يفيد نفي كل العمل **﴿أَغْنَى﴾**: لم تمنع ولم تدفع **﴿عَنْهُمْ﴾**: ولم تنفعهم **﴿مَا﴾**: الذي **﴿كَانُوا﴾**: فيما سبق **﴿يَكْسِبُونَ﴾**: من الأموال وما ينحتون من البيوت والحصون وكذلك الزرع، والثمار التي بخلوا أن يتركوا للناقة شرب يوم؛ ففقروها، حتى لا يقل الماء عن المزروعات؛ فخسروا كل شيء.

### **﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَأْتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلِ﴾ (٨٥)**

**﴿وَمَا﴾**: أيضًا هنا نفي **﴿خَلَقْنَا﴾**: أوجدنا من غير سابق وجود **﴿السَّمَاوَاتِ﴾**: هي كل ما علا الأرض، وأحاط بها؛ **﴿وَالْأَرْضَ وَمَا﴾**: الذي **﴿بَيْنَهُمَا إِلَّا﴾**: حرف استثناء **﴿بِ﴾**: حرف باء المصاحبة **﴿الْحَقِّ﴾**: بالعدل، في علاقاتٍ لهذه المخلوقات متوازنة لمصلحة الخلق **﴿وَإِنَّ﴾**: بالتأكيد **﴿السَّاعَةَ﴾**: إن القيامة **﴿لَأْتِيَةٌ﴾**: يا محمد ﷺ كائنة لا محالة، بلغ الناس أنها صدق **﴿ف﴾**: حرف يفيد السبب والفعل السريع **﴿اصْفَحِ﴾**: اغفر **﴿الصَّفْحَ﴾**: الغفران **﴿الْجَمِيلِ﴾**: الحقيقي الذي لا جزع فيه. قال قتادة: أمره الله ﷻ أن يصفح عن المشركين الذين آذوه

(١) صحيح البخاري ٨١/٦ (٤٧٠٢).

وكذبوه، وكان هذا قبل القتال فهذه الآية مكّية، ولكنه ﷺ شرّع القتال بعد الهجرة. ولقد نسختها الآية الكريمة: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْضُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ﴾

### ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَظِيمُ﴾ (٨٦)

﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿رَبِّكَ﴾: المعبود، والمُرَبِّي، مالك أمر الكون كلّهُ ﴿هُوَ الْخَلَّاقُ﴾: الذي يُوجدُ الشيءَ بغير سابق وجودٍ للمخلوقات، ولا مساعدٍ، ولا مستشارٍ ﴿الْعَظِيمُ﴾: الذي يعلمُ كلّ شيءٍ عن كلّ مخلوقٍ، كلّ في كتابٍ، قدره؛ ويحاسب عليه، يعلم الأجسام التي تبعثرت في سائر الأرض، وما ذاب، وما بلي، وما بقي.

### ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ (٨٧)

﴿وَلَقَدْ﴾: حرفٌ جرٌّ يُفيدُ هنا التحقق بالتأكيد لأنه وقع على الفعل الماضي ﴿آتَيْنَاكَ﴾: أعطيناك، ووهبناك أيها النبي ﴿سَبْعًا مِنْ﴾: حرف تمييز، بمعنى بعض ﴿الْمَثَانِي﴾: سورة الفاتحة؛ ذات الآيات السبع التي تُتلى مرتين وتكرر قراءتها في كلّ ركعة من الصلاة ﴿و﴾: أيضًا آتيناك ﴿الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾: قال ابن مسعود وابن عباس: هي السبع، السور الطوال البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، ويونس، وهذا قول ابن عمر، ومجاهد، وسعيد بن جبير، والضحاك، وغيرهم، وفي فضلهم قال سعيد: بين الله ﷻ فيهن الفرائض، والحدود، والقصاص، والأحكام، وقال ابن عباس: البسمة هي الآية السابعة؛ فتكون الفاتحة وآياتها السبع، وقد خصّ الله ﷻ المسلمين بها، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: فِي أُمَّ الْقُرْآنِ: هِيَ أُمَّ الْقُرْآنِ، وَهِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي، وَهِيَ الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ<sup>(١)</sup>.

﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (٨٨)

﴿لَا﴾: أداة نهي وتحريم ﴿تَمُدَّنَّ﴾: والخطاب لأمة محمد ﷺ تنظر بالتأكيد ﴿عَيْنَيْكَ﴾: أن تطلع، وترى ﴿إِلَىٰ مَا﴾: الذي ﴿مَتَّعْنَا بِهِ﴾: هي زخارف الدنيا، طموحًا ورغبةً بما فيها ﴿أَزْوَاجًا﴾: أصنافًا وأنواعًا ﴿مِنْهُمْ﴾: من الكفار وهم أصحاب المتع الزائلة للكفار الأغنياء الذين يتمتعون بثرواتهم في الحياة الدنيا من المال، والطعام، والزرع، قال ابن عباس في المعنى: نهي الرجل أن يتمنى ما لصاحبه ﴿وَلَا﴾: أيضًا هنا نهي وتحريم ﴿تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾: لأنهم لم يؤمنوا، وأصروا على الكفر والعناد ﴿و﴾: حرف عطفٍ يفيد هنا الحال ﴿اخْفِضْ﴾

(١) مسند أحمد / ٤٨٩/١٥ (٩٧٨٨). قال الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.



**جَنَاحَكَ**: هنا استعارة تبعية، شبه الله ﷻ خفض الجانب بخفض الجناح للدلالة على العطف والشفقة كما يفعل الطائر الذي يمد جناحيه على صغاره لحمايتهم أو تدفنتهم، المطلوب التواضع لحماية الضعفاء كما يفعل كبارُ الطيور على صغارهم **لِلْمُؤْمِنِينَ**: تخصيصًا للمُصدقين بقواعد الإيمان.

**﴿وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ﴾ (٨٩)**

**﴿وَقُلْ﴾**: أمر رباني لمحمد ﷺ أن يقول **﴿إِنِّي﴾**: أنا بالتأكيد **﴿أَنَا النَّذِيرُ﴾**: أنا الذي يُنذركم ويُحذركم **﴿الْمُبِينُ﴾**: الواضح، الصادق؛ أهدركم ممّا حلّ بالسابقين، ومن انتقام الله ﷻ.

**﴿كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ﴾ (٩٠)**

**﴿كَمَا﴾**: مثلما **﴿أَنْزَلْنَا﴾**: وأنذرتكم ما أنزلنا من عذابنا، وانتقامنا **﴿عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ﴾**: قيل: هم أهل الكتاب والمتحالفين معهم، الذين أقسموا فيما بينهم أن يكفروا، ويخالفوا، ويكذبوا؛ فتحالفوا، وتآمروا على الرسل عليهم السلام، وقال عبد الرحمن بن زيد: المقتسمون هم أصحابُ صالح عليه السلام الذين تقاسموا بالله: لنبيّته وأهله.

**﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾ (٩١)**

**﴿الَّذِينَ﴾**: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ **﴿جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾**: الذين جعلوا كتبهم أجزاءً متفرقةً، فآمنوا ببعض؛ وكفروا ببعض، وقال عكرمة: العِضَةُ هي السحر بلغة قريش، فيقال للساحرة؛ العاضة، وقال: مجاهد: عضواً، أعضاء، قالوا: سحر، وقالوا: كهانة، وقالوا: أساطير الأولين، وقال: بعضهم: ساحرٌ، وقالوا: كاهنٌ، وقالوا: مجنونٌ فذلك العُضِين، وهذا ما تمايلات عليه قريش وقد أقبلوا على الرسول ﷺ واتفقوا أن يقولوا عنه ساحرٌ.

**﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٩٢)**

**﴿ف﴾**: لهذا السبب **﴿و﴾**: واو القسم **﴿رَبِّكَ﴾**: قسمٌ من الله ﷻ مالك الملك، وجاء الأمرُ كُلُّهُ لمحمد ﷺ **﴿ل﴾**: حرفٌ يفيد السبب **﴿نَسْأَلَنَّهُمْ﴾**: نسأل هؤلاء الكفرة جميعاً يوم القيامة بالتأكيد، سؤالٌ حسابٍ وعقابٍ وتوبيخٍ وتأنيبٍ عن أعمالهم وأقوالهم ونجازيهم **﴿أَجْمَعِينَ﴾**: نسأل الجميع منهم، يتبع سؤالهم الجزاء الأوفى الذي يستحقون.

**﴿عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٩٣)**

**﴿عَمَّا﴾**: عن الذي، نسألهم عن قول: لا إله إلا الله، قال ابن مسعود: ما من أحدٍ منكم إلا وسيخلو به الله ﷻ، يسأله **﴿كَانُوا﴾**: في الحياة الدنيا **﴿يَعْمَلُونَ﴾**: ماذا عمل؟ وكيف أحببت

المرسلين؟ قال أبو جعفر: يسأل الله ﷻ العباد كلهم عن خلتين يوم القيامة؛ عما كانوا يعبدون، وماذا أجابوا المرسلين، وقال ابن عيينة: عن المال والعمل، والله أعلم.

### ﴿فَاضِدْعُ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضُ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ (٩٤)

﴿ف﴾: حرف استثنائي بهدف ترتيب الأمر ويفيد السرعة ﴿اضِدْعُ﴾: أعلن، واجهر وبيّن بصوت واضح، ونفَذ، والصدع هو الشق ﴿بِمَا﴾: اسم موصول هنا بمعنى الذي ﴿تُؤْمَرُ﴾: هذا أمر ربّاني بإبلاغ الرسول ﷺ النَّاسِ بما بعثه الله ﷻ به، وواجه به المشركين، وهذا هو الصدع، قال ابن عباس: أمضه، نفَذه، اعمل به، وقال مجاهد: اجهر بالقرآن في الصلاة ﴿و﴾: عطفاً على ما سبق ﴿أَعْرِضُ﴾: اجتنب وابتعد ولا تلتفت إليهم إذا لاموك على إظهار الدعوة ﴿عَنِ﴾: حرف يفيد المجاوزة، أي البعد، وعدم الاتصال ﴿الْمُشْرِكِينَ﴾: الذين يصدونك عن آيات الله ﷻ، لا تخف منهم؛ فالله كافيك. ولقد نسختها الآية الكريمة ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخَذُوهُمْ وَاحْضَرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

### ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ (٩٥)

﴿إِنَّا﴾: هو الله ﷻ، جاءت بصيغة الجمع؛ للتعظيم ﴿كَفَيْنَاكَ﴾: إِنَّا حفظناك من كيدٍ، وبطش ﴿الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾: أكابر الكفار، وأهل الشوكة فيهم، قال محمد بن إسحاق: كان عظماء المستهزئين خمسة رجال، أصحاب شرفٍ في قومهم، دعا رسول الله ﷺ على كل واحدٍ منهم.

### ﴿الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ (٩٦)

﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع فلم يكن ذنبهم مجرد الاستهزاء؛ بل لهم ذنب آخر، هم الذين ممن ﴿يَجْعَلُونَ﴾: يتخذون، ويشركون ﴿مَعَ اللَّهِ إِلَهًا﴾: معبوداً ﴿آخَرَ﴾: لم يُؤخِّدوا عبادتهم لله ﷻ، بل عبدوا غيره ﴿ف﴾: حرف يفيد السبب ﴿سَوْفَ﴾: حرف الفاء يفيد السبب، تدل على وعد في المستقبل ﴿يَعْلَمُونَ﴾: يُدركون حقاً عاقبة كفرهم وشركهم.

### ﴿وَلَقَدْ نَعَلْنَاكَ صَدْرَكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ (٩٧)

﴿وَلَقَدْ﴾: حرف جرّ يفيد هنا التحقق بالتأكيد لآتاه وقع على الفعل الماضي ﴿نَعَلْنَاكَ﴾: جاءت بصيغة الجمع؛ لشمول وكمال العلم ﴿أَنَّكَ﴾: تفيد التأكيد، ونفي الإنكار والشك عندك ﴿يَضِيقُ﴾: ينقبض ﴿صَدْرَكَ﴾: قلبك، مركز الوعي والإدراك؛ كنايةً عن غضبٍ، وحُزْنٍ ﴿بِمَا﴾: اسم موصول هنا بمعنى الذي ﴿يَقُولُونَ﴾: بما يفترون، ويكذبون، ويستهزئون، ويرموك بالسكر والجنون والكهانة.

## ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ (٩٨)

﴿ف﴾: حرف يفيد السبب لعلاج هذا ﴿سَبِّحْ﴾: نزه الله ﷻ ﴿بِحَمْدٍ﴾: بالشكر والثناء على ﴿رَبِّكَ﴾: هو ﷻ المُعبود، والمُرَبِّي، وهو المنشئ للكون بمن وبما فيه من حالٍ إلى حالٍ إلى حدِّ التمام والخالق، والمالك، والعاطي، وكثيرُ الخير، والمُحيط، والمُدبِّر، والجابِرُ لكسر البرايا، والثابت، والقريب، والجامع، والمصلح، والسيّد، فهم الذين غطوا، وأنكروا، ورفضوا البعث بعد الموت من مالك أمرهم في الدنيا وفي الآخرة مالك أمرك كلّه، واشكره على نعمه ﴿و﴾: عطفًا على هذا ﴿كُنْ مِنْ﴾: حرف تمييز ﴿السَّاجِدِينَ﴾: المصلّين؛ فإنك إن فعلت ذلك كشف الله ﷻ عنك همك، وشرح صدرك. قَالَ عَبْدُ الْعَزِيزِ أَخُو حُدَيْفَةَ، قَالَ حُدَيْفَةُ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ صَلَّى<sup>(١)</sup>.

التكليف: لقد خصَّ الله ﷻ المسلمين بالسجود؛ لأنّه ألصق بالشكر؛ ولأنَّ العبد يكون فيه أقرب إليه ﷻ.

## ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ (٩٩)

﴿و﴾: حرف يجمع هنا بين متعاطفين: الأول، هو التسبيح، و الثاني، هو العبادة ﴿اعْبُدْ﴾: أطع ﴿رَبِّكَ﴾: مالك أمرك كلّه ﴿حَتَّى﴾: حرف جرّ يدلُّ على انتهاء الغاية الشرطية، أي لن يُصدقوا إلّا بشرط أن ﴿يَأْتِيَكَ﴾: يصل إليك ﴿الْيَقِينُ﴾: أي عبد ربك ما دمت حيًّا. قال مجاهد، والحسن، وقتادة، وعبد الرحمن بن زيد، وغيرهم: هو الموت وليس كما يقول بعضُ المُلحدّين جاءته المعرفة.

التكليف: بدراسة مقاصد هذه السورة الكريمة؛ ندركُ بعضًا من مشاهدِ هلاكِ المُكذِّبين؛ موعظةٌ للمؤمنين من بعدهم.



سُمّيت سورة النحل بهذا الاسم عند السلف، وهو الاسم التوقيفي من الوحي، ووجه التسمية أنّ لفظ النحل لم يُذكر في سورةٍ أخرى، وقال قتادة: إنّ اسمها سورة النعم بسبب ما

(١) مسند أحمد ٣٨/٣٣٠ (٢٣٢٩٩). قال الأرنؤوط: إسناده ضعيف. قلت: الحديث حسن لغيره؛ فإن له شواهد كثيرة، أكثرها قوة حديث رواه أحمد ٣١/٢٦٨ (١٨٩٣٧) بإسناده عن صهيب ؓ مرفوعًا: قال: وَكَانُوا يَفْرَعُونَ إِذَا فَرَعُوا إِلَى الصَّلَاةِ. قال الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

عدد الله ﷻ فيها من النعم على عباده، هي سورة مكية في قول الجمهور، وقد نزلت بعد سورة الأنبياء، وقبل سورة السجدة، وهي في الترتيب الثانية والسبعون في ترتيب نزول السور، وآياتها مائة وعشرون بلا خلاف.

### ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

#### ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (١)

﴿أَتَى﴾: جاء بصيغة الماضي في موضع المستقبل، مع أن القيامة لم تقم، وذلك إيذاناً من الله ﷻ بقرب وقوعها، وللدلالة على التحقق والوقوع بلا شك، والإتيان هو المجيء بسهولة، ومنه قيل للسيل المار على وجه الأرض، والإتيان يقال للمجيء بالذات وبالأمْر وبالتدبر، ويقال في الخير وفي الشر، وفي الأعيان والأعراض، ولقد قيلت بصيغة الماضي الدالة على التحقق، والوقوع لا محالة، بلا شكٍ أو ريبٍ ﴿أَمْرٌ﴾: قدرُ ﴿اللَّهِ﴾: يوم القيامة، يوم الساعة، وقضاء الله ﷻ بعذابكم أيها الكفار، هو عقاب الله ﷻ للمشركين، وقيل خروج محمد ﷺ ﴿فَلَا﴾: أداة نهيٍ تفيد طلب عدم الفعل ﴿تَسْتَعْجِلُوهُ﴾: جاء حرف التاء هنا للمخاطبة، والكلام إلى أهل الكفر، لا تستعجلوا عذاب يوم القيامة؛ لأنَّ المشركين كانوا يطلبون وقوع الساعة كنوعٍ من التحدي ﴿سُبْحَانَهُ﴾: تنزيهٌ لله ﷻ عن النواقص ﴿وَ﴾: عطفاً على التنزيه ﴿تَعَالَى﴾: تسامى، وتكبر بذاته وصفاته الجليلة ﴿عَمَّا﴾: عن الذي ﴿يُشْرِكُونَ﴾: جاء هنا حرف الياء كلفظ المغايبة، والمقصود الذين يعبدون من الأوثان، والأنداد، والأفكار، والمعتقدات الباطلة.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، أَنَّهُ كَانَ وَاقِفًا بِعِرْفَاتٍ، فَنَظَرَ إِلَى الشَّمْسِ حِينَ تَدَلَّتْ مِثْلَ النَّرْسِ لِلْغُرُوبِ فَبَكَى وَاشْتَدَّ بُكَاءُهُ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ عِنْدَهُ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَدْ وَقَفْتَ مَعِيَ مِرَارًا لِمَ تَصْنَعُ هَذَا، فَقَالَ: ذَكَرْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ وَاقِفٌ بِمَكَانِي هَذَا فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْ دُنْيَاكُمْ فِيمَا مَضَى مِنْهَا إِلَّا كَمَا بَقِيَ مِنْ يَوْمِكُمْ هَذَا فِيمَا مَضَى مِنْهُ<sup>(١)</sup>.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؓ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطَّلَعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا طَلَعَتْ فَرَأَاهَا النَّاسُ آمَنُوا أَجْمَعُونَ، فَذَلِكَ حِينَ: ﴿لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ، أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام-١٥٨] وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ نَشَرَ الرَّجُلَانِ ثَوْبَهُمَا بَيْنَهُمَا فَلَا يَتَّبَاعِيَانِهِ، وَلَا يَطُوبِيَانِهِ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ انصَرَفَ الرَّجُلُ بِلَبَنِ لِفَحْتِهِ فَلَا يَطْعَمُهُ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَهُوَ يَلِيظُ حَوْضَهُ فَلَا يَسْقِي فِيهِ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ رَفَعَ

(١) مسند أحمد ١٠ / ٣١٤ (٦١٧٣) قال الأرنؤوط: صحيح لغيره.

أَحَدُكُمْ أَكَلَتْهُ إِلَى فِيهِ فَلَا يَطْعُمَهَا<sup>(١)</sup>، وَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: تَطْلُعُ عَلَيْكُمْ قَبْلَ السَّاعَةِ سَحَابَةٌ سَوْدَاءٌ مِنْ قِبَلِ الْمَغْرِبِ، مِثْلُ التُّرْسِ، فَمَا تَرَأَى تَرْتَفِعُ فِي السَّمَاءِ حَتَّى تَمَلَأَ السَّمَاءَ، ثُمَّ يُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ فَيَقْبَلُ النَّاسُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ هَلْ سَمِعْتُمْ؟ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: نَعَمْ وَمِنْهُمْ مَنْ يَشْكُ، ثُمَّ يُنَادِي الثَّانِيَةَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، فَيَقُولُ النَّاسُ: هَلْ سَمِعْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، ثُمَّ يُنَادِي: أَيُّهَا النَّاسُ أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّ الرَّجُلَيْنِ لَيُنْشِرَانِ النَّوْبَ فَمَا يَطْوِيَانِهِ أَوْ يَتَبَايَعَانِهِ أَبَدًا، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَمْدُرُ حَوْضَهُ فَمَا يَسْقِي فِيهِ شَيْئًا، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَحْلِبُ نَاقَتَهُ فَمَا يَشْرِبُهُ أَبَدًا، وَيَسْتَعْلُ النَّاسُ<sup>(٢)</sup>.

**﴿يَنْزِلُ الْمَلَائِكَةُ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ (٢)**

**﴿يَنْزِلُ الْمَلَائِكَةُ﴾**: يُعَلِّمُ اللَّهُ ﷻ أَنْبِيَاءَهُ بِالْوَحْيِ، عَلَى أَلْسِنِ الْمَلَائِكَةِ **﴿بِالرُّوحِ﴾**: يَعْنِي بِالْوَحْيِ، وَإِنَّمَا سُمِّيَ الْوَحْيُ رُوحًا لِأَنَّهُ حَيَاةٌ مِنَ الْجَهْلِ، فَكَذَلِكَ سُمِّيَ الْمَسِيحُ عَيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ رُوحًا، لِأَنَّ اللَّهَ ﷻ يَهْدِي بِهِ مَنْ اتَّبَعَهُ فَيُحْيِيهِ مِنَ الْكُفْرِ وَالضَّلَالَةِ<sup>(٣)</sup>، وَقَدْ جَاءَ اللَّفْظُ الْقُرْآنِيُّ "الرُّوحُ" عَلَى خَمْسَةِ أَوْجِهٍ؛ هُنَا بِمَعْنَى الْوَحْيِ عِبْرَ الْمَلَائِكَةِ؛ جَاءَ فِي الْمَعْنَى: **﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾** [الشورى-٥٢]، **﴿وَإِنَّهُ لَنَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ \* نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ \* عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾** [الشعراء-١٩٢، ١٩٣، ١٩٤] وَلَقَدْ جَاءَ الْحَرْفُ **﴿مِنْ أَمْرِهِ﴾**: لَا يَكُونُ النَّزُولُ وَالنَّزِيلُ إِلَّا بِأَمْرِ اللَّهِ ﷻ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ عَلَى أَرْبَعَةِ وُجُوهِ؛ أَيِّ بِأَمْرِ ﷻ **﴿عَلَى مَنْ﴾**: الَّذِي مِنْ جِنْسِ الْعَاقِلِ **﴿يَشَاءُ مِنْ﴾**: حَرْفٌ تَمْيِيزٌ، بَعْضُ **﴿عِبَادِهِ﴾**: هُمُ الْأَنْبِيَاءُ وَالرُّسُلُ **﴿أَنْ﴾**: حَرْفٌ تَوْكِيدُ الْقَوْلِ **﴿أَنْذِرُوا﴾**: حَذَرُوا النَّاسَ، وَخَوَّفُوهُمْ، وَقَوْلُوا لَهُمْ **﴿أَنَّهُ لَا﴾**: حَرْفٌ نَفْيٌ لِلْجِنْسِ **﴿إِلَهَ﴾**: مَعْبُودٍ **﴿إِلَّا﴾**: حَرْفٌ اسْتِثْنَاءٍ **﴿أَنَا﴾**: لَا مَعْبُودَ وَلَا مَالِكَ إِلَّا اللَّهُ ﷻ **﴿ف﴾**: حَرْفٌ يُفِيدُ السَّبَبَ؛ مِنَ الْمَسْتَحِيلِ أَنْ يَكُونَ إِلَهٌ غَيْرَ اللَّهِ ﷻ؛ وَلِهَذَا السَّبَبُ **﴿اتَّقُونِ﴾**: التَّقْوَى هِيَ عِبَادَةُ اللَّهِ ﷻ، كَأَنَّ الْعَبْدَ يَرَى رَبَّهُ فَإِنَّ لَمْ يَرَاهُ فَاللَّهُ تَعَالَى يَرَاهُ؛ تَجَنَّبُوا، وَأَحْمُوا أَنْفُسَكُمْ عِقَابَ اللَّهِ؛ لِلْمُخَالَفِينَ لِأَمْرِهِ؛ انظُرْ [النحل-٥٢].

**﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٣)**

**﴿خَلَقَ﴾**: أَوْجَدَ وَصَنَعَ مِنْ غَيْرِ سَابِقَةٍ وَجُودٍ **﴿السَّمَاوَاتِ﴾**: الْعَالَمُ الْعُلُويُّ لِلْأَرْضِ، وَمَا حَوْلَهَا؛ لِكُونِهَا بِيضَاوِيَّةَ الشَّكْلِ **﴿وَ﴾**: خَلَقَ أَيْضًا **﴿الْأَرْضَ﴾**: وَهُوَ الْعَالَمُ السُّفْلِيُّ، وَمَا يَحْوِي **﴿بِ﴾**:

(١) صحيح البخاري ١٠٦/٨ (٦٥٠٦).

(٢) المستدرک علی الصحیحین للحاکم ٥٨٢/٤ (٨٦٢٢) وقال: صحیحُ الإسنادِ علی شرطِ مُسْلِمٍ، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ. ووافقه الذهبي.

(٣) الأسماء والصفات للبيهقي ٢١٧/٢.

حرف باء المصاحبة ﴿الْحَقِّ﴾: لإظهار الحق، لغاية حدها الله ﷻ، وليست عبثاً؛ ليعبد سكاؤها الله ﷻ وحده، لا يشركون به شيئاً ﴿تَعَالَى﴾: تنزهه، وترفعه، وتسامى الله ﷻ ﴿عَمَّا﴾: عن الذي ﴿يُشْرِكُونَ﴾: عن عبادة الخلق لغيره، من أفكارٍ، وأوثانٍ، وأصنامٍ.

التكليف: بدأت السورة بيوم القيامة؛ كأنه يومٌ وقع، وتحدثت عن جوهر العبادة، وهي تقوى الله ﷻ، وتحدثت عن خلق السموات والأرض، ثم خلق الإنسان، ثم يأتي بعدها خلق ما على الأرض من دواب.

#### ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾ (٤)

﴿خَلَقَ﴾: أوجد من غير سابق وجود ﴿الْإِنْسَانَ﴾: آدم ومنه حواء، عليهما السلام، ثم نبه الله ﷻ على خلق جنس الإنسان، جميع الناس ﴿مِنْ﴾: حرف بيان النوع وتمييزه، وتقيد هنا بداية الغاية المكانية ﴿نُطْفَةٍ﴾: من المعروف اليوم أن مكونات خلق الإنسان هي حيوان منوي من الرجل وبويضة من الأنثى، وهي مكونات ضعيفة، مهينة، يخرج الحيوان المنوي من مجرى البول، وتخرج البويضة من مبيض أسفل البطن، إلى الرحم الذي أمامه مخزن البول، وخلفه مخزن البراز، من ماء مهين ﴿فَ﴾: حرف استثنائي بهدف ترتيب الأمر ويفيد السبب والسرعة ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط ما بعدها بما قبلها ﴿هُوَ﴾: ضمير منفصل مرفوع للغائب المفرد المذكر، ويعني هنا الإنسان عندما يكبر ويعنى ويصبح ﴿خَصِيمٌ﴾: شديد الخصومة، يُجادل ويُخاصم ربه، ويُكذب رسله، ويحاربهم ﴿مُبِينٌ﴾: واضح، ظاهر في عداوته، وجداله، وتمرده.

#### ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ (٥)

﴿وَالْأَنْعَامَ﴾: أيضاً الإبل، والبقر، والمعز، والغنم ﴿خَلَقَهَا﴾: أوجدها من غير سابق وجود ﴿لَكُمْ﴾: نعمة من الله ﷻ من أجلكم، مُسَخَّرَةٌ لطعامكم، لحمها، وشرب لبنها، وركوبها، والاستفادة من أوبارها ﴿فِيهَا دِفْءٌ﴾: تُصنع من أوبارها، وأشعارها ملابس؛ تُدْفئ الإنسان، يلبسها ويفترشها، وله فيها منافع أخرى ﴿وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا﴾: أيضاً من لحومها وشحومها وألبانها من الجبن ﴿تَأْكُلُونَ﴾: وتشربون اللبن ومشتقاته.

#### ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ (٦)

﴿وَلَكُمْ﴾: عطفًا على ما سبق ﴿لَكُمْ﴾: تمليكًا ﴿فِيهَا جَمَالٌ﴾: الزينة، وجمال المظهر، والوجاهة ﴿حِينَ﴾: وقت ﴿تُرِيحُونَ﴾: وقت رُجوعها من المراعي في الليل؛ وقد امتلأت بطونها ﴿وَلَكُمْ﴾:

حرف عطفٍ يفيد هنا الحال **﴿حِينَ﴾**: أيضًا وقت **﴿تَسْرَحُونَ﴾**: عندما تُؤخذ في الصباح إلى المراعي، فتتفرق، لترعى.

**﴿وَتَحْمِلُ أُنْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (٧)**

**﴿وَتَحْمِلُ أُنْقَالَكُمْ﴾**: تحمل الإنسان نفسه، وتحمل متاع الإنسان المسافر الذي لا يستطيع حمله، وتحملكم أنتم أيضًا **﴿إِلَىٰ بَلَدٍ﴾**: قرية أو مدينة **﴿لَمْ﴾**: حرف نفي **﴿تَكُونُوا بَالِغِيهِ﴾**: لم تكونوا واصلين إلى بلدكم لو لم يكن معكم إبل تحمل ما لا تطيقون، ولا تستطيعون الوصول إليه مشيًا على أرجلكم **﴿إِلَّا﴾**: حرف استثناء، يفيد هنا الحصر، لا تبلغونه إلا بالجهد والمشقة **﴿بِ﴾**: حرف باء السببية **﴿شِقِّ الْأَنْفُسِ﴾**: ما يُثقل على أجسادكم؛ كما السفر، والتجارة، والحج، والعمرة **﴿إِنَّ﴾**: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار **﴿رَبَّكُمْ﴾**: هو ﷻ المعبود، والمُرَبِّي، وهو المنشئ للكون بمن وبما فيه من حالٍ إلى حالٍ إلى حدِّ التمام والخالق، والمالك، والعاطي، وكثيرُ الخير، والمُحيط، والمُدبِّر، والجابِزُ لكسر البرايا، والثابت، والقريبُ، والجامعُ، والمصلحُ، والسيدُ المعبود، والمُرَبِّي مالِكُ أمرِكُم كلِّه **﴿لَرَءُوفٌ﴾**: عَطُوفٌ **﴿رَّحِيمٌ﴾**: بعد ذكر فضل الله ﷻ في خلقه لهذه الأنعام، وما جاء بعدها من سيارات، وطائرات، وبواخر؛ وغيرها كلُّ ذلك لأنَّ الله ﷻ رؤوفٌ ورحيمٌ بكم.

**﴿وَالْخَيْلِ وَالْبِغَالِ وَالْحَمِيرِ لَتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٨)**

**﴿و﴾**: أيضًا خلق الله ﷻ لكم كذلك **﴿الْخَيْلِ وَالْبِغَالِ وَالْحَمِيرِ لِ﴾**: حرف علَّةٍ وسببٍ من أجل **﴿تَرْكَبُوهَا﴾**: حدّدت الآية تقديم الخيل ثم البغال ثم الحمير لكرامة ما سبق على ما بعده؛ فجاء استخدام الخيل، والبغال، والحمير؛ وهو ركوبها، وغير الركوب كالتحميل عليها **﴿وَزِينَةً﴾**: واستخدامها كزينةٍ، والتباهي، والتمتع، وإدخال الفرح على النفوس، وقد حدّد الله ﷻ غيرها للأكل. جاء الحكم الشرعي في أكل الخيل: عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَهَى يَوْمَ حَيْبَرَ عَنْ أَكْلِ النَّوْمِ، وَعَنْ لُحُومِ الْحُمُرِ الْأَهْلِيَّةِ نَهَى عَنْ أَكْلِ الثُّومِ هُوَ عَنْ نَافِعٍ وَحَدَّثَهُ، وَلُحُومِ الْحُمُرِ الْأَهْلِيَّةِ (١)، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: الْخَيْلُ لِثَلَاثَةٍ: لِرَجُلٍ أَجْرٌ، وَلِرَجُلٍ سِتْرٌ، وَعَلَى رَجُلٍ وَزْرٌ، فَأَمَّا الَّذِي لَهُ أَجْرٌ: فَرَجُلٌ رَبَطَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَأَطَالَ فِي مَرْجٍ أَوْ رَوْضَةٍ، فَمَا أَصَابَتْ فِي طِيلِهَا ذَلِكَ مِنَ الْمَرْجِ أَوْ الرَّوْضَةِ كَانَتْ لَهُ حَسَنَاتٍ، وَلَوْ أَنَّهَا قَطَعَتْ طِيلَهَا فَاسْتَنْتَّ شَرْفًا أَوْ شَرْفَيْنِ كَانَتْ أَرْوَاتِهَا وَأَثَارُهَا حَسَنَاتٍ لَهُ، وَلَوْ أَنَّهَا مَرَّتْ بِنَهْرٍ، فَشَرِبَتْ مِنْهُ وَلَمْ يَرِدْ أَنْ يَسْقِيَهَا كَانَ ذَلِكَ حَسَنَاتٍ لَهُ، وَرَجُلٌ رَبَطَهَا فَخَرًّا

(١) صحيح البخاري ١٣٥/٥ (٤٢١٥).

وَرَبَّاءَ، وَنَوَاءَ لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ فَهِيَ وَزُرَّ عَلَى ذَلِكَ، وَسُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْحُمْرِ، فَقَالَ: «مَا أَنْزَلَ عَلَيَّ فِيهَا إِلَّا هَذِهِ الْآيَةُ الْجَامِعَةُ الْفَاعِلَةُ»: «فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ» [الزلزلة-٨] (١)، ﴿و﴾: أيضًا ﴿يَخْلُقُ﴾: يوجد من غير سابق وجودٍ ﴿مَا﴾: من غير العاقل الذي ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿تَعْلَمُونَ﴾: وجاء بعدها صناعة السيارات، والقطارات، والسفن، والطائرات، وسفن الفضاء.

﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٩)

﴿وَعَلَى اللَّهِ﴾: وضح الله ﷻ في الآية السابقة الوسائل والطرق التي توصل الناس إلى الأماكن البعيدة، وهنا تأتي الآية؛ لتوضح الطرق التي توصل الإنسان إلى الطريق السليم؛ لرضا الله ﷻ؛ جاء: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام-١٥٣]، وقال ﷻ: ﴿هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ﴾ [الحجر-٤١] ﴿قَصْدُ السَّبِيلِ﴾: دين الإسلام، فيه بيان الطريق إلى المطلوب ببسرٍ وسهولةٍ؛ بالبراهين، قال مجاهد: طريق الحق إلى الله ﷻ، وقال السدي: الإسلام، وقال قتادة: على الله البيان بين الهدى والضلالة ﴿و﴾: أيضًا ﴿مِنْهَا﴾: من الأنعام، والخيل، والمراكب ﴿جَائِرٌ﴾: منها سائر ملل الكفر، خارج عن الاستقامة، مُعَوَّجٌ؛ أي يميل عن القصد؛ فتطول الطريق، قال ابن عباس: حائرٌ، منحازٌ، مائلٌ، زائعٌ عن الحق، هي الطرق مختلفة الآراء، والأهواء، كاليهودية، والنصرانية، والمجوسية، وقد دخلت أفاكارٌ وسبلٌ جديدةٌ مثل الشيوعية، واليسارية، والعلمانية، والقومية، كبدائل عن الدين الحق؛ وقد جربها غيرُ المسلمين، وكفر بعضهم بها، وبقي من يتمسك بها من المسلمين حتى اليوم ﴿وَلَوْ﴾: حرف يفيد هنا النفي ﴿شَاءَ﴾: لو أراد الله ﴿ل﴾: حرف يفيد السبب والتحقق بدون تأخير ﴿هَذَاكُمْ﴾: لداكم على الصواب والطريق الصحيح ﴿أَجْمَعِينَ﴾: لو أراد الله ﷻ ذلك لكان، ولكنه ﷻ لحكمة تركها؛ جاء في المعنى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [هود-١١٨].

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ﴾ (١٠)

﴿هُوَ﴾: الله ﷻ ﴿الَّذِي﴾: اسم موصول يفيد هنا الواحد، الأحد، الفرد، الصمد ﷻ ﴿أَنْزَلَ مِنْ﴾: جزء، ويفيد بدء الغاية المكانية ﴿السَّمَاءِ﴾: من العلو؛ فسماء أي شيء ما يعلوها، وأيضًا ما أحاط بها؛ لكونها كروية الشكل ﴿مَاءً﴾: وهو الغيث، والمطر العذب ﴿لَكُمْ مِنْهُ﴾: تخصيصًا بعضُ ﴿شَرَابٌ﴾: جزء منه يشربه الإنسان والحيوان، فهو ماءٌ عذبٌ لا ملح فيه،

(١) صحيح البخاري ٢٩/٤ (٢٨٦٠).



تقبله وتُحبّه الأنفُس، ويُشكّل جزءًا كبيرًا من جسم الإنسان، ولا تُؤدّي وظائف الإنسان إلّا به، فهو ليس للشرب بغرض الشرب فقط، ولكنّه للحياة، والشرب وسيلة ﴿وَمِنْهُ﴾: أيضًا من الماء ﴿شَجَرٌ﴾: وينبت بالماء الشجر والزرع، وهو الجزء المكمل لوظائف الماء العظيمة؛ لاستمرار حياة الإنسان والحيوان ﴿فِيهِ﴾: تحت الأشجار ﴿سَيِّمُونَ﴾: ترعون الأنعام، السوم في الرعي من التسويم بالعلامات؛ التي يضعها الراعي، ليعرفها ويُميّزها عن غيرها.

﴿يُنْبِتْ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (١١)

﴿يُنْبِتْ﴾: يُخرج الله ﷻ من الأرض ﴿لَكُمْ بِهِ﴾: بهذا الماء النباتات المختلفة تنمو، وتكبر، وتثمر ﴿الزَّرْعَ﴾: كل ما هو مزروع ﴿و﴾: أيضًا ينبت ﴿الزَّيْتُونَ﴾: الذي يُستخرج منه الزيت ويستخدم طعامًا ودواءً، ومن فوائده مكافحة الالتهابات؛ لأنّه مضادٌّ للأكسدة، ويحافظ على صحة القلب، والعظام، ومقاومة السرطان، وتخفيف الألم أي الوجع الشديد ﴿وَالنَّخِيلَ﴾: بأنواعه وألوانه وأطعمته المختلفة، جاء ذكر شجرة الزيتون في قوله ﷻ ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتٍ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنْ النَّخْلِ مِنَ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرِّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام-٩٩]، وفي قوله أيضًا وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرِّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأنعام-١٤١]، وفي قوله ﷻ ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النور-٣٥]، وفي قوله ﷻ ﴿فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا \* وَعِنَبًا وَقَضْبًا \* وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا﴾ [عبس-٢٧، ٢٨، ٢٩]، وفي قوله ﷻ ﴿وَالتَّيْنِ وَالزَّيْتُونِ﴾ [التين-١] لما لهذه الشجرة المباركة من قيمة عظيمة ﴿وَالْأَعْنَابَ﴾: وأهم ما فيها هو سكر الفركتوز، أحادي الجزيء الذي عليه يتغذى كلٌ نسيج في الجسم؛ انظر [البقرة-٢٦٦] ﴿وَمِنْ﴾: بعض أو جزء ﴿كُلِّ﴾: تعيد العموم ﴿الثَّمَرَاتِ﴾: كل ما يُثمر ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿فِي ذَلِكَ﴾: هذه المخلوقات ﴿ل﴾: حرف تخصيص ﴿آيَةً﴾: دليلًا على عظمة الخالق ﴿ل﴾: حرف تخصيص ﴿قَوْمٍ﴾: هم أناس من جنسٍ وعرقٍ

واحدٍ وأصحابِ أفكارٍ واحدةٍ ﴿يَتَفَكَّرُونَ﴾: يُعْمَلُونَ عقولهم في هذا الماء الواحد، وهذه المنتجات المتعددة من النبات؛ دلالة وبرهان على أنه لا إله إلا الله الذي قال: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ دَاتٍ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنبِتُوا شَجَرَهَا أَلَيْهَ مَعَ اللَّهِ﴾ [النمل-٦٠].

﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (١٢)

﴿و﴾: عطفًا على الماء وفوائده؛ أنه ﷻ ﴿سَخَّرَ﴾: ذلَّ ﴿لَكُمْ﴾: هيا وسهل، لكم الآيات العظيمة، وسخرها لتكون نافعة لهم بحسب ما تقتضي مصالحهم، يتعاقبان دائماً، التي يُدرك عظمتها علماء الفلك في هذا الزمان، جعلها لخدمة الإنسان منها ﴿اللَّيْلَ﴾: وفي الليل تسكن المخلوقات وترتاح ﴿و﴾: أيضاً سخر لكم ﴿النَّهَارَ﴾: بغياب الشمس وظهورها يتعاقب الليل والنهار؛ دون الشمس ما نبت شجر، ﴿وَالشَّمْسَ﴾: أيضاً جعل الله ﷻ الشمس مصدر الإشعاع والدفع والإضاءة على الأرض كلها ﴿وَالْقَمَرَ﴾: وجعل القمر هدىً للناس في الظلمات، والنجوم والكواكب الأخرى تسير بحركة قدرها ﷻ؛ لا زيادة ولا نقص، مسخرة تحت قهره وإرادته ﴿وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِ﴾: حرف باء المصاحبة ﴿أَمْرِهِ﴾: ويكشف علماء الفلك اليوم هذه النجوم العظيمة، وحركتها، وخدمتها؛ كما سخرها الله ﷻ ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿فِي ذَلِكَ﴾: هذا الخلق البديع ﴿لآيَاتٍ﴾: براهين وحقائق ﴿لِقَوْمٍ﴾: اللام حرف تمليك، جماعة من الناس من مصدرٍ واحدٍ أو أصحاب مذهب واحد ﴿يَعْقِلُونَ﴾: يعملون عقولهم في هذه الآثار الدالة على وجود الصانع وتفردته. كانت آية الزرع في قوله ﴿يُنْبِتْ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل-١١] أدلة وبراهين لكل من تفكر؛ ليصل إلى الحقيقة، وجاءت آية الكواكب في قوله ﷻ ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [النحل-١٢]؛ دلائل وبراهين لكل صاحب عقلٍ من العلماء والخبراء، وتأتي آية الأرض في قوله ﴿وَمَا ذَرَأْنَا لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ [النحل-١٣].

﴿وَمَا ذَرَأْنَا لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ (١٣)

﴿و﴾: أيضاً ﴿مَا﴾: الذي ﴿ذَرَأَ﴾: خلق، وأوجد، وكثر، والذرة هو الإظهار؛ لهذه المخلوقات الأرضية ﴿لَكُمْ﴾: تخصيصاً وأبدع لمنافعكم ما خلق لكم من عجائب ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ مناطق

الأرض المختلفة **﴿مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ﴾**: خلق من جنس الطيور أنواعًا، ومن جنس الزرع أنواعًا، ومن جنس الحيوانات أنواعًا، ومن جنس المعادن كثيرًا، ومن الجمادات كالجبال أشكالًا، وألوانًا، وخواصَّ **﴿إِنَّ﴾**: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار **﴿فِي ذَلِكَ﴾**: الخلق المتنوع والبديع **﴿لَايَةً﴾**: برهانًا وحقائق عظيمة **﴿ل﴾**: حرف تخصيص **﴿قَوْمٍ﴾**: جماعة من مجتمعٍ واحدٍ **﴿يَذْكُرُونَ﴾**: هذه النعم في الأرض دليلٌ وبرهانٌ للإنسان أن لهذه النعم خالقًا عظيمًا، حنانًا، منانًا لا بد من ذكره وشكره في كل حينٍ على نعمائه.

التكليف: في هذه الآيات الثلاث يُخاطبُ الله ﷻ أصحاب العقول الذين يتفكرون، والذين يعقلون، ويذكرون.

**﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَبْلَةً حَلِيبَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَازِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (١٤)**

**﴿وَهُوَ﴾**: **﴿الَّذِي﴾**: اسمٌ موصولٌ هنا للفرد الواحد الأحد الصمد ﷻ **﴿سَخَّرَ﴾**: ذللَّ وهيأ **﴿الْبَحْرَ﴾**: بتمكينكم من الركوب عليه واستخراج ما فيه من صيد وجواهر؛ لقد سَخَّرَ اللهُ ﷻ البحار كلها، ذات الأمواج العالية، لنوحٍ عليه السلام، ومنها تعلَّم الإنسان جيلًا بعد جيل، صناعة السفن، وسَخَّرَ اللهُ ﷻ الرياح؛ لتدفع السفن، والتي وصلت أحجامها، وحمولتها إلى مئات، وآلاف الأطنان، وكلَّ العالم يعلم دورها في التجارة العالمية **﴿ل﴾**: حرف علَّةٍ وسببٍ **﴿تَأْكُلُوا مِنْهُ﴾**: جزءًا أو بعضًا **﴿لَحْمًا طَرِيًّا﴾**: وهي الأسماك ذات القيمة الغذائية العالية، سهلة الهضم **﴿وَتَسْتَخْرِجُوا﴾**: أيضًا استخلصوا **﴿مِنْهُ﴾**: بعضه **﴿حَبْلَةً تَلْبَسُونَهَا﴾**: وهي اللآلئ التي هي زينة، ورزق يُباع **﴿وَتَرَى﴾**: يشاهد الإنسان **﴿الْفُلْكَ﴾**: السفن الكبيرة العملاقة **﴿مَوَازِرَ﴾**: تشقُّ الماء؛ تجري، تروح، وتعود **﴿فِيهِ﴾**: في البحار والمحيطات والأنهار **﴿و﴾**: أيضًا **﴿لِتَبْتَغُوا﴾**: تستخلصوا **﴿مِنْ﴾**: حرف جرٍّ وبيانٍ لتمييز النوع يفيد هنا ابتداء الغاية **﴿فَضْلِهِ﴾**: تشير إلى الفوائد العظيمة التي هي من فضل الله ﷻ، ومنها ما في جوف البحار من بترول، وغاز **﴿وَلِعَلَّكُمْ﴾**: تفيد الترجي والتوقع عند البشر **﴿تَشْكُرُونَ﴾**: هذه النعم تستوجب شكر الله ﷻ.

**﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (١٥)**

**﴿و﴾**: أيضًا **﴿أَلْقَى﴾**: يقول ابن كثير: وضع، ويقول ابن خلدون: أنزل من السماء **﴿فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ﴾**: مع المعلوم أن كلَّ شيء رسا فقد ثبت، كما ترسوا السفن على الشواطئ، وكالجبال الضخمة؛ تُثبت الأرض حتى لا تميل ولا تضطرب بكم أثناء دورانها حول نفسها

وحول الشمس ﴿أَنَّ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿تَمِيدُ﴾: والميد هو الحركة والميل؛ حتى لا تتحرك وتميل، والميد هو اضطراب الشيء العظيم؛ كاضطراب الأرض ﴿بِكُمْ﴾: حرفُ بَاءِ السَّبِيبةِ؛ حتى لا تضطرب الأرض بما عليها، وفي هذه إشارة أنّ الأرض تتحرك، وهذا ما أثبتته العلم الحديث، فهي والكواكب تدور، وحتى لا تضطرب، ولا تتحرف عن مسارها، وتبقى خاضعةً لقوانين رباتية فلكية؛ كانت الجبال الراسيات الثابتات ﴿وَأَنْهَارًا﴾: أيضًا مجاري المياه العظيمة، التي تنشأ في أماكن وتجري إلى أماكن أخرى، تحمل الماء، والرزق للعباد، وتأمل نهرٍ من الأنهار العظيمة، وما يقطعه من منطقةٍ لأخرى، ومن بلدٍ لآخر، ومن مروره بين شعب وشعوب؛ نجد قدرة الله ﷻ، وإرادته تُعْمُ الأرض كلها ﴿وَسُبُلًا﴾: وهي الطرق التي تربط بين البلاد وسط الجبال، والوديان ﴿لِعَلَّكُمْ﴾: حرف يفيد الترجي عند البشر ﴿تَهْتَدُونَ﴾: تسهّل السير، وتيسر الحركة، ولا يتيه المسافر؛ فيضل وأضيفت إليها طرقٌ جويّةٌ تسير فيها الطائرات، وطرقٌ بحريةٌ تنقل ما خفّ وثقل وزنه فوق سطح الكرة الأرضية كلها.

### ﴿وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ (١٦)

﴿وَعَلَامَاتٍ﴾: وأيضًا جعل في الأرض علامات، وهي معالم الطرق، هي المخلوقات في الأرض الثابتة، كالجبال العظيمة والصغيرة، يستدلُّ بها النَّاسُ في سفرهم، وكما الجُزر والبحار ﴿و﴾: أيضًا ﴿بِ﴾: حرف بَاءِ السَّبِيبةِ ﴿النَّجْمِ﴾: جاء اللفظ القرآني "النجم" هنا بمعنى الكوكب الطارق المضيء، وهي التي تظهر في السماء ليلاً، قيل أنّ يكتشف النَّاسُ الوسائل والعلامات الحديثة، وجاء بمعنى نجم القرآن بنزوله مُنَجِّمًا عليه ﷺ ﴿هُم﴾: ضميرٌ منفصلٌ مرفوعٌ للجمع المذكور والمؤنث الغائب؛ للتحديد والتخصيص والتأكيد ﴿يَهْتَدُونَ﴾: يعرفون الاتجاهات في الليل.

### ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (١٧)

﴿أَفَمَنْ﴾: حرفٌ استفهامٌ يُفيدُ التوبيخ والتقريع، هل يستوي الذي ﴿يَخْلُقُ﴾: هذه المصنوعات العظيمة ويفعل كلّ هذه المفاعيل العجيبة، هل الذي يُوجد الشيء من غير سابق وجود ﴿ك﴾: بمعنى مثل وحال ﴿مَنْ﴾: مثل الذي ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يَخْلُقُ أَفَلَا﴾: حرف استفهام يُفيد الاستنكار والتوبيخ ﴿تَذَكَّرُونَ﴾: دعوة الإنسان أن يقارن بين صنْع الله وفضله وعظمته ﷻ، الذي خلق الإنسان وكرمه، وخلق له الأرض والبحر وما في السماء ورزقه، فهل عقل ذلك يسوي ذلك بالأصنام، والأفكار التائهة، والديانات الكاذبة، هنا تحقق الموعظة، وتُستخلص العبر.

﴿وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَعَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١٨)

﴿وَإِنْ﴾: حرف شرط ﴿تَعَدُّوا﴾: تعرفوا عددها ﴿نِعْمَةَ اللَّهِ﴾: وإذا أردتم أن تُحصوا فضل الله ﷻ عليكم ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿تُحْصُوهَا﴾: يقرّر الله ﷻ لخلقه أنكم لن تعرفوا حصراً نعم الله ﷻ عليكم، ولن تطيقوا، ولن تُحيطوا بعددها، وإذا طالبكم الله ﷻ بشكره على كلّ نعمة أنعمها عليكم؛ فسوف تعجزون ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿اللَّهُ لَعَفُورٌ﴾: حرف اللام يفيد أن الله ﷻ يغفر لكم تقصيركم في شكره على كلّ نعمة أنعمها ﴿رَحِيمٌ﴾: عطوف بكم إذا تبتم ورجعتم.

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا سِرُّونَ وَمَا تُغْلِبُونَ﴾ (١٩)

﴿و﴾: عطفاً على هذا؛ اعلّموا أن ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا﴾: الذي ﴿سِرُّونَ﴾: ما هو مخفي في نفوس البشر، وما يكتُمونه وما تضمرونه من الأمور ﴿وَمَا﴾: ويعلم أيضاً الذي ﴿تُغْلِبُونَ﴾: ويعلم ما تبوحون، وما تُظهرون منها.

﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ (٢٠)

﴿وَالَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ ﴿يَدْعُونَ﴾: الآلهة الذين يدعّوهم الكفار ﴿مِنْ دُونِ﴾: غير ﴿اللَّهِ﴾: من أصنام وأوثان، وما يعتقدون اليوم من أفكارٍ مناهضةٍ للإسلام كالشيعوية، والعلمانية، والرأسمالية ﴿لَا﴾: حرف نفي، وفيها تأكيدٌ لجهل وسفاهة من عبد الأصنام ﴿يَخْلُقُونَ شَيْئاً﴾: جاء اللفظ القرآني "الخلق" على سبعة وجوه، هنا بمعنى التصوير لا يخلقون إنساناً، ولا يخلقون شيئاً من لا شيء ﴿وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾: بل هم الذين خلقهم الله ﷻ، ولم يكونوا من قبل.

﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ (٢١)

﴿أَمْوَاتٌ﴾: كانت معبوداتهم من الجمادات؛ لا أرواح فيها، فلا تسمع، ولا ترى، ولا تعقل، ولا تنفع، ولا تضر، ومات عبدة الأصنام من الكافرين ﴿غَيْرُ﴾: حرف نفي هنا بمعنى ليس ﴿أَحْيَاءٍ﴾: تأكيد موتهم، وقيل اعتبار كلّ كافرٍ في حكم الميت وهو في الحياة الدنيا ﴿وَمَا﴾: حرف نفي ﴿يَشْعُرُونَ﴾: أي هذه الجمادات لا يعلمون، ولا يدرون، ولا يتوقعون ﴿أَيَّانَ﴾: وما يشعرون متى وقت ﴿يُبْعَثُونَ﴾: متى تقوم القيامة.

﴿إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾ (٢٢)

﴿إِلَهُكُمْ﴾: معبودكم وهو ربكم، وخالفكم، وبارئكم، ومُصوركم، وباعنكم ﴿إِلَهُ﴾: معبود ﴿وَاحِدٌ﴾: لا ثاني له، ولا شريك، ولا صاحبة، ولا ولد وهو يصرّح هنا بوحديته ﷻ ﴿ف﴾:

حرف استثنائي بهدف ترتيب الأمر ويفيد السرعة في التنفيذ ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ ﴿لَا﴾: حرفٌ ينفي عنهم، الذين ﴿يُؤْمِنُونَ بِ﴾: حرفٌ باء الصلة ﴿الْآخِرَةَ﴾: الذين لا يُصدّقون بيوم القيامة، حيث الثواب والعقاب، هو إنكارٌ للدعوة بكاملها ﴿قُلُوبُهُمْ﴾: مراكز الوعي والإدراك ﴿مُنْكَرَةً﴾: قلوبهم رافضةً، ومنكرةٌ للوحدانية ومشمّزةٌ من الدعوة الإسلامية، ظاهرة حدثت مع كلّ نبيٍّ ورسولٍ، ومستمرة حتى اليوم ﴿و﴾: عطفاً على هذا؛ فإنهم ﴿هُمْ﴾: ضميرٌ منفصلٌ مرفوعٌ للجمع المذكر والمؤنث الغائب؛ للتحديد والتخصيص والتأكيد ﴿مُسْتَكْبِرُونَ﴾: يشعرون بالتكبر عن طاعة الله ﷻ ورسوله ﷺ وأولي الأمر من المسلمين.

﴿لَا جَرَمَ أَنْ اللَّهُ يَعْلَمَ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ (٢٣)

﴿لَا جَرَمَ﴾: حقاً، وصدقاً، أي لا صد ولا منع من أنّ الله ﷻ يعلم ما خفي وما أعلن ﴿أَنَّ﴾: حرفٌ تأكيدٌ ونفي الإنكار والشك ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا﴾: الذي ﴿يُسِرُّونَ﴾: يخفون في أنفسهم من أقوالهم وأفعالهم ﴿و﴾: أيضاً يعلم ﴿مَا﴾: الذي ﴿يُعْلِنُونَ﴾: من ذلك تؤكد هذه الآية على ما جاء في الآية رقم (١٩) ﴿إِنَّهُ﴾: الله ﷻ بالتأكيد ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يُحِبُّ﴾: لا يرضى عن ولا يُقرّب منه ﴿الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾: ويقول ﷻ إنّ جزاء هؤلاء المُستكبرين خسارة حبّ الله ﷻ لهم، وسيجزئهم ما يستحقون من العذاب.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أُنزِلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أُسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ (٢٤)

﴿وَإِذَا﴾: أداة ربطٍ ما بعدها بما قبلها ﴿قِيلَ﴾: القائل هم المسلمون ﴿لَهُمْ﴾: للكافرين والمنافقين ﴿مَاذَا﴾: أداة استفهام ﴿أُنزِلَ﴾: أوامره ونواهيهِ عبر الرسل ﴿رَبُّكُمْ﴾: هو ﷻ المعبود، والمُرَبِّي، ومالك الأمر كلّهُ ﴿قَالُوا﴾: فأجاب المشركون المنكرون المُستكبرون ﴿أُسَاطِيرُ﴾: ما تدعونه أيها المسلمون هو أباطيلٌ وترّهاتٌ، وقصصٌ مأخوذةٌ، اكتبها بعضهم من قصص ﴿الْأَوَّلِينَ﴾: وهي تُملَى عليه، وهذا ما قاله الوليد بن المغيرة: إنّ هذا إلاً سحرٌ يُؤثر؛ أي سحرٌ يُنقل ويُحكي.

التكليف: يوجد في كلّ زمان، وفي مواجهة كلّ حركةٍ إسلاميةٍ آلاف الوليد بن المغيرة؛ فماذا ستكون عاقبتهم؟

﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ﴾ (٢٥)

﴿ل﴾: حرف علّةٍ وسببٍ ﴿يَحْمِلُوا﴾: يتحملوا ويعانوا عقاب ﴿أَوْزَارَهُمْ﴾: ذنوبهم وآثامهم؛ لينالوا عقوبة خطاياهم ﴿كَامِلَةً﴾: والإكمال على مراحل منفصلة بينما الإتمام مرحلة مستمرة

حتى ينتهي، يُحاسِبون على كلِّ صغيرةٍ وكبيرةٍ ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾: يوم الحساب والعقاب  
﴿وَمِنْ﴾: بعض ﴿أَوْزَارٍ﴾: آثام ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع من ﴿يُضِلُّونَهُمْ﴾: أي  
بعض أوزار من ضلَّ بسبب ضلالهم، الذين أخذوهم بعيداً عن الصواب، وسيحملون عقوبة  
الذين استمعوا إليهم، وصدّقوهم، واتّبعوهم؛ فضلوا مثلهم ﴿بِغَيْرِ﴾: حرف استثناء ﴿عِلْمٍ﴾: دون  
دليلٍ صحيح ﴿أَلَا﴾: حرف تنبيه ﴿سَاءَ﴾: بئس الضرر والشر ﴿مَا﴾: الذي ﴿يُزْرُونَ﴾: ما  
يحملون من الذنوب بسبب ما ارتكبوا ويرتكبون من المعاصي والمُحرمات.

التكليف: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى، كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ  
أُجُورِ مَنْ اتَّبَعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ، فَعَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ  
آثَامِ مَنْ اتَّبَعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا<sup>(١)</sup>.

﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَحَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ  
وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (٢٦)

﴿قَدْ﴾: حرفٌ جرٌّ يفيد هنا التحقق بالتأكيد لأنه وقع هنا على الفعل الماضي ﴿مَكَرَ﴾: يوجد  
في التاريخ من كاد وتأمّر ليحملوا الناس على التكذيب بما جاءت به الرسل ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ  
موصولٌ يفيد جميع من ﴿مِنْ﴾: حرفٌ جرٌّ وبيان لتمييز النوع يفيد هنا ابتداء الغاية المكانية  
﴿قَبْلِهِمْ﴾: في السابق، قال أكثرُ المفسرين أن المراد به ما جاء به؛ وفي ذلك قال ابن عباس:  
هو النمrod الذي بنى الصرح، وقيل إنه قولٌ عامٌ في كلِّ من احتال بكلِّ حيلةٍ؛ ليضلَّ النَّاسَ،  
في كلِّ زمانٍ ومكانٍ ﴿فَ﴾: حرف استثنائيٌ بهدف ترتيب الأمر ويفيد السرعة في التنفيذ  
﴿أَتَى﴾: الإتيان هو المجيء بسهولة، ومنه قيل للسيل المار على وجهٍ، والإتيان يقال للمجيء  
بالذات وبالأمر وبالتدبر، ويقال في الخير وفي الشر، وفي الأعيان والأعراض ﴿اللَّهُ  
بُنْيَانَهُمْ﴾: أعمالهم وأقوالهم وحججهم ﴿مِنَ الْقَوَاعِدِ﴾: هذا تشبيهٌ لحالِ هؤلاء، الهلاك، كالذي  
هدم مسكنه من القواعد، والدعائم، والأسس أصولها، وجذورها ﴿فَ﴾: حرفٌ يفيد السبب  
وتتابع الحدث السريع ﴿حَرَّ﴾: سقط ﴿عَلَيْهِمْ﴾: فوقهم مباشرة ﴿السَّقْفُ﴾: ما يغطي البيوت  
﴿مِنْ﴾: حرف بيان النوع وتمييزه، وتفيد هنا بداية الغاية المكانية ﴿فَوْقِهِمْ﴾: جاء سقوط  
السقف ليفيد تأكيد سقوط السقف، إحاطة أسباب الهلاك لهم من فوق لشدة إطباقه عليهم، مع  
أنه سبق ذكر فوقهم انهار عليهم البناء، أعمدته، وجدرانها، وسقوفها؛ فكان سبباً في تأكيد  
هلاكهم؛ جاء في المعنى: ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾ [المائدة-٦٤] ﴿وَأَتَاهُمْ﴾:

<sup>(١)</sup> سنن ابن ماجه ١/٧٥ (٢٠٦). صححه الألباني.

أيضاً جاءهم وحلّ بهم ﴿العَذَابُ﴾: غضبُ الله ﷻ المؤلم ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ وبيان لتمييز النوع يفيد هنا ابتداء الغاية ﴿حَيْثُ﴾: ظرفٌ يدلُّ على الزمانِ والمكانِ ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يَشْعُرُونَ﴾: من حيث لا يدركون ببصرهم وجسدهم، أنزل الله ﷻ عليهم عذاباً من عنده لم يكن في حساباتهم وتوقعاتهم.

التكليف: تحمل هذه المعاني الجميلة بشرى للمؤمنين، أنّ الله ﷻ يُدافع عنهم، ويُبطل كيد أعدائهم، كما تحمل النذرُ للمجرمين الذين يكيّدون للإسلام والمسلمين؛ فتأتيهم الهزيمة والخراب خارج حساباتهم وتوقعاتهم.

﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِي الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقِقُونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (٢٧)

﴿ثُمَّ﴾: حرف يفيد التتابع الزمني مع التباعد والتراخي ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾: بعد ذكر إبطال مكر الكافرين في الدنيا؛ يأتي عقابُ آخر يوم القيامة ﴿يُخْزِيهِمْ﴾: يبلّغهم النار ويفضحهم، يُذلّهم ويُهينُهُمْ؛ يُظهر الله ﷻ فضائحتهم وما حملت قلوبهم، وما حوت عقولهم؛ فيكشفها؛ فتعرفها الخلائق؛ جاء في المعنى: ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾ [الطارق-٩] ﴿وَيَقُولُ﴾: أيضاً المُجرمُ في حقّ الله ﷻ ﴿أَيْنَ﴾: حرف استفسار عن المكان؛ هنا للتوبيخ في زعمهم واعتقادهم ﴿شُرَكَائِي﴾: أين آهتكم الذين عبدتموهم من دوني، هذا التوبيخ العلي على رؤوس الخلائق؛ أين شركائي ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع من ﴿كُنْتُمْ﴾: في الحياة الدنيا ﴿تُشَاقِقُونَ فِيهِمْ﴾: الذين من أجلهم خاصمتم الله ﷻ ورسوله ﷺ وأوليائه، وحاربتهم، وعاديتهم في سبيلهم ﴿قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا﴾: حصلوا النافع من ﴿الْعِلْمِ﴾: يقول سعاداء الدنيا والآخرة، الذين آمنوا بالله ﷻ وملائكته، وكتبه، ورُسُله ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿الْخِزْيَ﴾: الذل، والهوان، والعار، والفضيحة، والعذاب ﴿الْيَوْمَ﴾: في هذا اليوم العظيم ﴿وَالسُّوءَ﴾: أيضاً العذاب، والضرر، والشرُّ بكلّ صنوفه ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ﴾: الذين غطّوا حقيقة الإيمان بالله ﷻ. ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوْا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٢٨)

﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع من ﴿تَتَوَفَّاهُمْ﴾: تقبض أرواحهم ﴿الْمَلَائِكَةُ﴾: يوم تأتي الملائكة تقبض أرواح الكفار، جاء لفظ توفي في القرآن على ثلاثة وجوه، هنا بمعنى قبض الروح، أي الموت ﴿ظَالِمِي﴾: وهم في حال ظلم ﴿أَنْفُسِهِمْ﴾: تلبس الكفر أنفسهم بما أنزل الله ﷻ، هم الذين أوردوا أنفسهم الخبيثة جهنم ﴿ف﴾: حرف يفيد السبب والتتابع السريع



﴿أَلْقُوا السَّلْمَ﴾: أظهروا السمع، والطاعة، والاتباع، وانقادوا بخضوع وأقروا بالربوبية وانقادوا عند الموت، وتركوا المشاقة عند رؤية ملائكة الموت ﴿مَا﴾: حرف نفي ﴿كُنَّا﴾: في حياتنا الدنيا ﴿نَعْمَلُ﴾: من سوء العمل وفُحشِ الكُفْرِ ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ وبيان لتمييز النوع يفيد هنا ابتداء الغاية المكانية ﴿سُوءٍ﴾: جاء اللفظ القرآني السوء على تسعة وجوه؛ هنا بمعنى الشرك؛ أيام كُنَّا مشركين، وبخاصّة كفرهم في الآخرة أنكروا ذلك، أنهم لم يعملوا سوءًا في اعتقادهم ﴿بَلَى﴾: حرف جواب وتصديق؛ يرد عليهم الله ﷻ إنّما كنتم تشركون وتُكذِّبون؛ والسبب ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿اللَّهُ عَلِيمٌ﴾: يعرف كلّ ما في أنفسكم ﴿بِمَا﴾: اسم موصول هنا بمعنى الذي ﴿كُنْتُمْ﴾: في الحياة الدنيا ﴿تَعْمَلُونَ﴾: لقد سجّلنا أقوالكم وأفعالكم، والله ﷻ شهيدٌ على كُفركم.

التكليف: هذا حال المجرمين، حين يقفون أمام الحاكم العدل؛ يُنكرون جرائمهم وأفعالهم.

﴿فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ (٢٩)

﴿ف﴾: لهذا السبب يقال لهم ﴿ادْخُلُوا أَبْوَابَ﴾: ليس من بابٍ واحدٍ؛ لأنّ كلّ طائفةٍ ستدخل من بابٍ مخصّصٍ ليستقروا في دركات ﴿جَهَنَّمَ﴾: صدر الحكم الربانيّ بدخولهم جهنّم ﴿خَالِدِينَ﴾: إقامة دائمة ﴿فِيهَا﴾: مؤبدة، لا تنتهي ﴿فَلَبِئْسَ﴾: هذا سوءٌ وشرٌّ وضرر ﴿مَثْوَى﴾: مقر، ومصير، ومآل، وعاقبة ﴿الْمُتَكَبِّرِينَ﴾: تدخل أرواحهم النّار من يوم موتهم، وتعاني أجسادهم في قبورهم، حتى إذا قامت القيامة؛ سلكت أرواحهم في أجسادهم، وذاقوا حرّ جهنّم وسُمومها؛ ويقوا خالدين في النّار، نتيجة تكبرهم عن الإيمان والعبادة.

﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلْ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلِذَلِكَ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾ (٣٠)

أوضحت الآية السابقة مصير الكافرين؛ أجسادهم وأرواحهم في الدنيا ويوم القيامة، وتأتي هذه الآية؛ لتوضح صورة المؤمنين ﴿و﴾: أيضًا ﴿قِيلَ﴾: يوم القيام هل القائل هو الله ﷻ أم الملائكة بأمر الله ﷻ؟ ﴿لِلَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ ﴿اتَّقَوْا﴾: سُؤل المؤمنون الذين اتقوا ربّهم فعبدوه بوعي؛ خشية عذابه، وطمعًا في ثوابه، والسائل هم الملائكة، والله ﷻ أعلم ﴿مَاذَا﴾: أداة للاستفهام ﴿أَنْزَلَ﴾: ما الذي أنزله الله ﷻ من العلو عليكم ﴿رَبُّكُمْ﴾: ما الذي أنزله الله ﷻ على النبيّ محمدٍ ﷺ ﴿قَالُوا﴾: أهل الجنّة ﴿خَيْرًا﴾: قالوا أنزل الله ﷻ على نبيه خيرًا، ورحمةً، وهدى وبركةً ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾: جعلوا عملهم خالصًا لله ﷻ ﴿فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾ أحسن الله ﷻ إليهم في الدنيا وفي الآخرة ﴿وَلِذَلِكَ﴾: مكان إقامة ومنزلة

﴿الْآخِرَةُ خَيْرٌ﴾: خصَّ الله ﷻ خير الآخرة؛ لأنه الأعظم والأبقى؛ فهو الجزاء التام الأوفى  
﴿وَلِنِعْمٍ﴾: أيضًا هنا مدح ﴿دَارٍ﴾: مقام ﴿الْمُتَّقِينَ﴾: وصف ربَّانِي لدار المتقين في الآخرة؛  
هي الأفضل.

﴿جَنَّاتٍ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ  
الْمُتَّقِينَ﴾ (٣١)

﴿جَنَّاتٍ﴾: ولم يقل ﷻ جنَّةً واحدةً ﴿عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾: وهي أفضل الجنان، وجاءت بالجمع؛  
فهي أرفع من دار المتقين ﴿تَجْرِي﴾: تسير دون ركود ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ وبيان لتمييز النوع  
يفيد يفيد هنا بداية الغاية المكانية ﴿تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾: تسيل أنهار الجنَّة، بين القصور  
والأشجار ﴿لَهُمْ﴾: هم يملكون ﴿فِيهَا﴾: في الجنَّة جاء تقدير الجار والمجرور هنا للتشويق  
والإثارة ﴿مَا﴾: كلّ الذي ﴿يَشَاءُونَ﴾: ما سينالون من الطعام، والشراب، والفاكهة، وصنوف  
النعم ﴿كَذَلِكَ﴾: مثل هذا ﴿يَجْزِي﴾: يكافئ ﴿اللَّهُ الْمُتَّقِينَ﴾: بهذا الكرم يُحسن الله ﷻ ثواب  
المتقين؛ فكيف كان حالهم عند الاحتضار؟.

﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٣٢)  
بمثل هذا الجزاء الطيب يجزي الله ﷻ أهل خشيته، وتقواه، جاء في الآية (٢٨) حال وفاة  
الكافرين، وهنا صورة وفاة المتقين ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ ﴿تَتَوَفَّاهُمْ﴾: تقبض  
الملائكة أرواحهم ﴿الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ﴾: هذا حال المتقين عند الاحتضار، طيبون مُخْلِصُونَ  
من دنس الشرك، ومن كلّ المعاصي ﴿يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾: هذا قول الملائكة، يطمئنونهم؛  
لا تخافوا، ولا تحزنوا ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ﴾: من باب التثبیت؛ جاء في المعنى: ﴿يَتَّبِعُ اللَّهُ الَّذِينَ  
آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾ [إبراهيم-٢٧] في لحظات قبض الروح للمؤمنين ﴿بِمَا﴾: اسم موصول  
بمعنى الذي ﴿كُنْتُمْ﴾: في الحياة الدنيا ﴿تَعْمَلُونَ﴾: جزاء طاعتكم وعبادتكم.

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِي أَمْرٌ رَبِّكَ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا  
ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (٣٣)

﴿هَلْ﴾: حرف استفهام يفيد التعجب والإنكار ﴿يَنْظُرُونَ﴾: هل ينتظر أهل الباطل في تماديهم  
واغترابهم بالدنيا وتصديق نبوتك ﴿إِلَّا﴾: غير ﴿أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾:  
كناية عن الموت؛ لتقبض أرواحهم ﴿أَوْ﴾: حرف عطف يفيد التسوية بين متعاطفين؛ مجيء  
الملائكة، ومجيء ﴿يَأْتِي أَمْرٌ﴾: قرار، ومشیئة ﴿رَبِّكَ﴾: قيل الموت من أمر مالك أمرك كلّه،  
وقال قتادة: يوم القيامة، والله ﷻ أعلم ﴿كَذَلِكَ﴾: مثل هذا، أو أيضًا ﴿فَعَلَ﴾: تصرف وعمل

من الإصرار على الكفر والتكذيب والاستهزاء فجاءهم أمرُ الله ﷻ؛ فهلكوا ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع ﴿مِنْ﴾: حرفٌ جرٌّ وبيانٌ لتمييز النوع يفيد هنا ابتداء الغاية الزمانية ﴿قَبْلِهِمْ﴾: هكذا تصرفت الملائكةُ مع الهالكين من قبل، من المشركين، نظرًا لهم وأشباههم ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ﴾: عطفًا واستدراكًا ﴿كَانُوا﴾: في الحياة الدنيا وفي الآخرة ﴿أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾: لم يظلمهم أحدٌ، ولكن بكفرهم دخلوا النار.

﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتٌ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ (٣٤)

﴿ف﴾: حرف يفيد السبب ﴿أَصَابَهُمْ﴾: إنَّ سبب ما حلَّ بهم، ووقع عليهم ﴿سَيِّئَاتٌ﴾: شرٌّ وسوءٌ ﴿مَا﴾: الذي ﴿عَمِلُوا﴾: جاء لفظ "السيئات" في القرآن على خمسة، وجوه، هنا بمعنى العذاب عقوبة أعمالهم ﴿و﴾: حرف عطفٍ يفيد هنا الحال، ما جاء من أعمالهم ﴿حَاقَ بِهِمْ﴾: أحاط، ونزل بهم العذاب الأليم بسبب ﴿مَا﴾: الذي ﴿كَانُوا﴾: في الحياة الدنيا ﴿بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾: بسبب سخريتهم من الرسل إذا أنذروهم بالعقاب يوم القيامة؛ وعندها سيقع عليهم ما أنذروا به في حياتهم؛ جاء في المعنى: ﴿هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ [الطور - ٤١].

﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ (٣٥)

﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿قَالَ الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ ﴿أَشْرَكُوا﴾: وهم من أهل مكة، كان من حيل المشركين في الدنيا أن يحتجوا، ويحملوا الله ﷻ مسئولية شركهم؛ فيقولون: إنه قدر لهم ﴿لَوْ﴾: حرف يفيد الاستحالة ﴿شَاءَ﴾: أراد ﴿اللَّهُ مَا﴾: حرف نفي ﴿عَبَدْنَا﴾: أطعنا ﴿مِنْ﴾: حرفٌ جرٌّ وبيانٌ لتمييز النوع يفيد هنا ابتداء الغاية ﴿دُونِهِ﴾: غيره ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾: وهي من عموم ما عبدوا مثل الأصنام، والحجارة، والسوائب، والوصال، والبحيرة من الأنعام، وغيرها من بدعهم؛ لسان حالهم يقول: ﴿نَحْنُ وَلَا﴾: أيضًا لا أشرك ﴿آبَاؤُنَا﴾: لو كان الله كارهاً ما عملنا، وما مكننا من عمله ﴿وَلَا حَرَمْنَا﴾: شرعنا الحرام ﴿مِنْ دُونِهِ﴾: دون إذن الله ﷻ ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾: تفيد النكرة، ولا سبيل لنا أن نحلل أو نحرم ما فعلناه ﴿كَذَلِكَ﴾: مثل هذا ﴿فَعَلَ﴾: عمل وقال ﴿الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾: حرفٌ يفيد بداية الغاية الزمانية ﴿فَهَلْ﴾: حرف استفهام يفيد هنا نفي أقوالهم ﴿عَلَى﴾: حرف يفيد الظرف بمعنى أن من مهمّة ﴿الرُّسُلِ إِلَّا﴾: حرف نفي ﴿الْبَلَاغُ﴾: الإخبار والتبليغ عن الله ﷻ ﴿الْمُبِينُ﴾: كان الردُّ عليهم أن على الرسل أن تُبلِّغ البلاغ الواضح؛ بالدليل، والحجج، وعلى العباد أن يختاروا، من بداية الرسالات نوح ﷺ، وانتهاءً بمحمد ﷺ.

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ (٣٦)

يُفَدُّ اللهُ ﷻ كذب المشركين الذي جاء في الآية السابقة ﴿وَلَقَدْ﴾: حرف جرّ يفيد هنا التحقق بالتأكيد؛ لأنه وقع على الفعل الماضي ﴿بَعَثْنَا﴾: أرسلنا ﴿فِي كُلِّ﴾: تعيد الجميع ﴿أُمَّةٍ﴾: جماعة كبيرة من أصل واحد ﴿رَسُولًا﴾: جاء كلُّ رسولٍ إلى كلِّ أُمَّةٍ برسالةٍ واضحةٍ، بمشيئةٍ شرعيةٍ ﴿أَنَّ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ﴾: أطيعوا الله ﷻ وحده ﴿وَوَ﴾: عطفًا على مجيء الرسل ﴿اجْتَنِبُوا﴾: ابتعدوا عن ﴿الطَّاغُوتِ﴾: هو كلُّ معبودٍ بباطلٍ من دون الله ﷻ، جاء اللفظ القرآني الطاغوت على ثلاثة وجوه؛ هنا بمعنى الأوثان لا تقتربوا من الأصنام ﴿فَ﴾: حرف يفيد السبب والتتابع الزمني السريع ﴿مِنْهُمْ﴾: من الأقوام ﴿مَنْ﴾: الذي من جنس العاقل من الأمم ﴿هَدَى اللَّهُ﴾: كان من اتبع الرسل، وجاءه ثواب الدنيا، وينتظر ثواب الآخرة ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ﴾: الذي من جنس العاقل ﴿حَقَّتْ﴾: وجبت صدقًا وعدلًا ﴿عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ﴾: ومنهم من استحق الضياع، والتهيه بإرادته، واختياره، وتحققت فيهم مشيئة الله ﷻ الكونية؛ وهي تمكينهم من الذي عملوا قضاءً وقدرًا ﴿فَ﴾: حرف يفيد السبب والتتابع السريع ﴿سِيرُوا﴾: في البحث والدراسة، ليس على سبيل الأمر ولكن المقصود هو لو سرتم ﴿فِي الْأَرْضِ فَ﴾: حرف يفيد السبب ﴿انظُرُوا﴾: فسوف ترون آثار وتاريخ الأمم السابقة التي كذبت، ماذا كانت آثار الذين هلكوا بتكذيبهم ﴿كَيْفَ﴾: استفهام يفيد التعجب ﴿كَانَ﴾: في الماضي ﴿عَاقِبَةُ﴾: نهاية وعقاب ﴿الْمُكْذِبِينَ﴾: وقد جاء في القرآن: ﴿دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا﴾ [محمد-١٠]، وجاء أيضًا ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ [الملك-١٨].

التكليف: جاء في هذه الآية الكريمة: المشيئة الشرعية وهي التي تتحقق بالرسول، والدعوة، والتوضيح، و المشيئة الكونية هي قرار كلِّ إنسان؛ وهذا قدر الله ﷻ سجّله في كتابه، وعليه أن يختار إما شاكراً وإما كفوراً.

﴿إِنْ تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ (٣٧)

﴿إِنْ﴾: حرف شرط ﴿تَحْرِصْ﴾: موجه إلى محمد ﷺ الذي كان يحرص بحقٍ ﴿عَلَى هُدَاهُمْ﴾: أن يكونوا من المهتدين إلى الحق ﴿فَإِنَّ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿اللَّهُ﴾: أمره وإرادته أنه ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يَهْدِي﴾: يدلُّ على الصحيح ﴿مَنْ﴾: الذي من جنس العاقل ﴿يُضِلُّ﴾: من تاه، ومن أضله الله ﷻ؛ فلا هداية له ﴿وَمَا﴾: ليس ﴿لَهُمْ﴾: لمن اختاروا الضلالة تخصيصًا ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ وبيان لتمييز النوع يفيد هنا ابتداء الغاية المكانية

﴿نَاصِرِينَ﴾: من ينصرهم وينقذهم من عذاب الله ﷻ، أو ينصرونهم بدفع العذاب عنهم، هؤلاء الذين اختاروا التيه والضلال على الهدى بعدما نزلت لهم البيّنات؛ فكتب الله ﷻ عليهم الضلال، هؤلاء لن يجدوا من ينصرهم من عذابه.

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعُثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَىٰ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٣٨)

﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿أَقْسَمُوا بِاللَّهِ﴾: حلف المشركون، ﴿جَهْدَ﴾: غلظوا، وبالغوا، واجتهدوا في ﴿أَيْمَانِهِمْ﴾: كان الكفار العرب لا يقسمون بالله ﷻ إلا في عظيم الأمور وفي الذي يعظم عليهم، فكانوا يقسمون بالأصنام والأوثان التي يعبدونها؛ فإذا حلفوا بالله ﷻ فهذا الحلف جهد أيمانهم ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يَبْعُثُ﴾: يُحيي من جديد ﴿اللَّهُ مَنْ﴾: الذي من جنس العاقل ﴿يَمُوتُ﴾: حلفوا أنّ الله ﷻ لا يبعث من يموت من البشر، وبذلك الكذب استبعدوا، وكذبوا الرسل عندما أخبروهم بذلك، وحلفوا عكس ذلك ﴿بَلَىٰ﴾: حرف جواب وتصديق؛ قال الله ﷻ نعم يموتون، وهذا تكذيب لهم من الله ﷻ ﴿وَعَدًّا﴾: هذا وعد الله ﷻ، ووعدده حق ﴿عَلَيْهِ حَقًّا﴾: نعم؛ سيكون ذلك، وهذا وعدٌ من الله ﷻ يتحقق ﴿وَلَكِنَّ﴾: حرف عطف واستدراك ﴿أَكْثَرَ﴾: غالبية ﴿النَّاسِ﴾: بني آدم ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يَعْلَمُونَ﴾: إنهم يجهلون؛ فيخالفون الرسل، ويكفرون بيوم القيامة، وبيوم البعث، وبالثواب، وبالعقاب.

﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يُخْتَلَفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ﴾ (٣٩)

﴿ل﴾: حرف علّةٍ وسببٍ ﴿يُبَيِّنَ﴾: يبعثهم ليوضح الله ﷻ ﴿لَهُمْ﴾: تحديدًا ﴿الَّذِي يُخْتَلَفُونَ فِيهِ﴾: الأمر الذي وقع الخلاف بينهم فيه؛ كل وجهٍ من وجوه الاختلاف ﴿و﴾: أيضًا ﴿لِيَعْلَمَ﴾: يُدرك يقينًا ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ ﴿كَفَرُوا﴾: ليتضح للكافرين بعلم اليقين ﴿أَنَّهُمْ﴾: حرف يفيد التأكيد، ونفي الإنكار ﴿كَانُوا﴾: في حياتهم الدنيا ﴿كَاذِبِينَ﴾: في جدالهم وإنكارهم البعث، عندما أقسم الذين كفروا بعدم البعث.

﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (٤٠)

﴿إِنَّمَا﴾: أداة حصر مركبة تفيد التوكيد، ونفي الإنكار والشك ﴿قَوْلُنَا﴾: ما قلنا، جاءت بالجمع للتعظيم ﴿لِشَيْءٍ﴾: كلمةٌ تفيد العموم، إذا قال الله ﷻ لأيّ شيءٍ ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يُستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط ما بعدها بما قبلها ﴿أَرَدْنَاهُ﴾: تفيد الإرادة الربّانية ﴿أَنْ﴾: حرف يفيد تحقيق الفعل ﴿نَقُولَ لَهُ كُنْ﴾: أي صرّ ﴿ف﴾: حرف يفيد السبب،

وسرعة الاستجابة؛ لأته أمر ربّاني ﴿يَكُونُ﴾: فيكون لا محالة؛ ولا يحتاج ذلك إلى تأكيد، لا يُمانع أحدٌ، ولا يُخالف أحدٌ، فهو القاهر بسلطانه، وعزّته كل شيء.

﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَأَلْجُزِ الْآخِرَةِ أَكْبَرَ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (٤١)

﴿و﴾: عطفاً على ما سبق فإنّ ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ ﴿هَاجَرُوا فِي اللَّهِ﴾: الذين أُجبرهم الكفّار على الهجرة؛ فخرجوا في سبيل الله ﷻ، تركوا الديار، والأهل، والأصدقاء ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ وبيان لتمييز النوع وتفيد هنا بداية الغاية الزمانية ﴿بَعْدِ مَا ظَلَمُوا﴾: بعدما ظلمهم الكفّار، وعذبوهم، وافتروا عليهم ﴿ل﴾: حرف تخصيص ﴿نُبَوِّئَنَّهُمْ﴾: ننزلهم بالتأكيد، ﴿فِي الدُّنْيَا﴾: حياتهم على الأرض ﴿حَسَنَةً﴾: قال ابن عباس: ندخلهم المدينة المنورة، وقال مجاهد: الرزق الطيب، وقيل المدينة، والرزق الطيب ﴿و﴾: عطفاً على ما سبق؛ يؤكد الله ﷻ ﴿لَأَجْزُ﴾: ثواب ﴿الْآخِرَةِ﴾: يوم القيامة ﴿أَكْبَرَ﴾: من فوزهم، وتمكينهم في الدنيا، كما ينتظرهم الأجر الأعظم يوم القيامة؛ بعدما صاروا دولةً في المدينة ﴿لَوْ﴾: حرف يفيد الاستحالة ﴿كَانُوا﴾: في الماضي ﴿يَعْلَمُونَ﴾: يقصد بهم الذين تخلفوا عن الهجرة، أمّا الذين هاجروا؛ فكان عمر بن الخطاب يعطيه من عطاء الدنيا للمهاجر؛ ويقول له: خذ بارك الله لك فيه، هذا ما وعدك الله في الدنيا، وما ادخر لك في الآخرة أفضل؛ ويقرأ هذه الآية.

﴿الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (٤٢)

﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ ﴿صَبَرُوا﴾: على أذى الكفّار، وعذاب الغربة، وفراق الأهل ﴿و﴾: أيضاً كانوا ﴿عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾: هو تعالى المعبود، والمُربي، وهو المنشئ للكون بمن وبما فيه من حالٍ إلى حالٍ إلى حدّ التمام، وهو الخالق، والمالك، والعاطي، وكثيرُ الخير، والمُحيط، والمُدبّر، والجابرُ لكسر البرايا، والثابت، والقريبُ، والجامعُ، والمصلحُ، والسيدُ ﴿يَتَوَكَّلُونَ﴾: يعتمدون عليه ﷻ في كلّ أمورهم.

التكليف: في تقديم الجار والمجرور ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ أسلوبٌ قصرٌ يفيد التخصيص، وقصر التوكل على الله ﷻ وحده.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٤٣)

قال ابن عباس: لما بعث الله محمداً ﷺ رسولاً؛ أنكر العرب ذلك، ومن حجّة الذين أنكروا: أنّ الله ﷻ أعظم من أن يكون رسوله بشراً؛ فجاءت الآية لترد عليهم ﴿وَمَا﴾: حرف نفي ﴿أَرْسَلْنَا مِنْ﴾: حرف يفيد بداية الغاية الزمانية ﴿قَبْلِكَ إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿رِجَالًا﴾: نزلت الكتب

السابقة على بشرٍ فقط، منهم نوح، وصالح، ولوط، وموسى،... عليهم السلام، ولم يرسل الله ﷺ من النساء رسلاً من الرجال إلى الرجال والنساء **﴿نُوحِي﴾**: جاءت بصيغة الجمع؛ لعظم النزول، وفضلُ الغاية **﴿إِنِّيهِمْ﴾**: إلى الرسل من البشر عن طريق الملائكة، وما محمد ﷺ إلا رسول مثلهم، وليس بدعاً من الرسل **﴿ف﴾**: حرف يفيد السبب **﴿اسْأَلُوا أَهْلَ﴾**: أصحاب **﴿الذِّكْرِ﴾**: الذكر هنا التوراة؛ يطلب الله ﷻ من المكذبين أن يسألوا أهل الكتب السماوية من اليهود والنصارى؛ عن أنبيائهم البشر **﴿إِنْ﴾**: حرف شرط **﴿كُنْتُمْ لَا﴾**: حرف نفي **﴿تَعْلَمُونَ﴾**: وهذا تكذيبٌ لهم، وفضحٌ لرفضهم؛ لأنهم يعلمون وينكرون، وإذا لم يعلموا؛ فليسألوا أهل الكتب السابقة على محمد ﷺ.

**﴿بِالنَّبِيِّاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (٤٤)**

**﴿ب﴾**: حرف باء الصلة **﴿النَّبِيِّاتِ﴾**: بالأدلة، والحجج، والبراهين **﴿و﴾**: أيضاً **﴿الزُّبُرِ﴾**: قال ابن عباس، ومجاهد: هي الكتب وهي جمع زبور، وفي لغة العرب: زبرت الكتاب؛ يعني كتبته، وجاء في المعنى: **﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ﴾** [الأنبياء-١٠٥]، **﴿و﴾**: حرف عطف يفيد هنا حال **﴿أَنْزَلْنَا﴾**: بعث الله من فوق؛ مصدره العلي القدير **﴿إِلَيْكَ﴾**: إلى محمد ﷺ **﴿الذِّكْرَ﴾**: هو القرآن الكريم **﴿ل﴾**: حرف علّة وسبب **﴿تُبَيِّنَ﴾**: لتوضّح، وتشرح، وتفصّل، وتُظهر معانيه **﴿ل﴾**: حرف تخصيص **﴿النَّاسِ﴾**: بني آدم؛ لعلم الله ﷻ بعلم محمد ﷺ به وحرصه عليه، وهو أفضل الخلائق، وسيّد ولدِ آدم **﴿مَا﴾**: الذي **﴿نُزِّلَ﴾**: أنزله الله ﷻ وحيّاً **﴿إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ﴾**: حرف يفيد الإشفاق؛ لأنّه من الله ﷻ، ويكون بمعنى الترجي، والطمع؛ إذا كان القول من عند البشر **﴿يَتَفَكَّرُونَ﴾**: يدرسون، ويفهمون، ويؤمنون؛ فيفوزون في الدنيا والآخرة.

**﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (٤٥)**

**﴿أ﴾**: حرف استفهام؛ بغرض الإنكار، والتوبيخ **﴿فَأَمِنَ﴾**: هل لأيّ سببٍ اطمأن وضمن **﴿الَّذِينَ﴾**: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ **﴿مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ﴾**: المدبرون للمكائد وكلّ ما يجلب الضرر والشر، سؤال توبيخ للذين يفعلون ما نهى الله ﷻ عنه؛ من سوء القول، ومن سوء العمل، هل أنتم يا أصحاب المكر السيئ بالناس **﴿أَنْ﴾**: حرف تأكيد الفعل **﴿يَخْسِفَ﴾**: يجعل عالي الأرض سافلها، وأنتم فيها كما فعل بقارون **﴿اللَّهُ بِهِمْ﴾**: الكافرين **﴿الْأَرْضِ﴾**: هل عندكم من يؤمّتمكم **﴿أَوْ﴾**: حرف يفيد التسوية بين متعاطفين الأول **﴿يَأْتِيَهُمْ﴾**: يصيبهم

﴿العَذَابُ مِنْ﴾: حرف يفيد بداية الغاية المكانية ﴿حَيْثُ﴾: ظرف يدلُّ على الزمان والمكان  
﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يَشْعُرُونَ﴾: يدركون بحواسهم فيعلمون؛ كما أغرق ﷺ آل نوح، وخسف  
بقوم لوط، وأرسل الصيحة على ثمود، وكما أغرق قوم فرعون، أو يأتيكم عذاب لم يأت الذين  
من قبلكم؛ هل عندكم ما يمنع هذا؟

﴿أَوْ يَأْخُذْهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ (٤٦)

﴿أَوْ﴾: عطفًا على ما جاء في الآية السابقة هنا حرف تسوية بين خيار واحتمال آخر أن  
﴿يَأْخُذْهُمْ﴾: يصيبهم بعذاب، أو يذهب بهم ﴿فِي تَقَلُّبِهِمْ﴾: وهم في أسفارهم، ومتاجرهم  
لاهون، والأشياء التي يعملونها والتي تلهيهم، قال قتادة والسدي: في أسفارهم، وقال مجاهد  
والضحاك: في الليل والنهار ﴿فَمَا﴾: حرف نفي العمل أجمعه ﴿هُمْ﴾: ضميرٌ منفصلٌ مرفوعٌ  
للجمع المذكر والمؤنث الغائب؛ للتحديد والتخصيص والتأكيد ﴿بِ﴾: حرف باء التوكيد  
﴿مُعْجِزِينَ﴾: إن عذابهم لا يُعجز الله ﷻ على أيِّ حالٍ كانوا.

﴿أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (٤٧)

﴿أَوْ﴾: حرف يفيد التسوية بين متعاطفين؛ الأول أخذهم في تقلبهم، والثاني هنا ﴿يَأْخُذْهُمْ﴾:  
يذهب بهم ﴿عَلَى تَخَوُّفٍ﴾: أن يصيبهم بعذابه وهم خائفون من الله ﷻ، وهذا أشد وأبلغ على  
نفوسهم، كالذي يتوقع الموت في كل لحظة ﴿فَإِنَّ﴾: حرف تأكيد ﴿رَبَّكُمْ﴾: هو سبحانه  
المعبود، والمُربي، وهو المنشئ للكون من حالٍ إلى حالٍ إلى حدِّ التمام، وهو الخالق، والمالك،  
والعاطي، وكثيرُ الخير، والمُحيط، والمُدبِّر، والجابرُ لكسر البرايا، والثابت، والقريب، وهو  
الجامعُ، والمصلحُ، والسيدُ، فهو مالك أمركم كلِّه ﴿ل﴾: حرف يفيد التخصيص ﴿رَءُوفٌ﴾:  
واسعُ الرأفة والرفق ﴿رَحِيمٌ﴾: فهو لا يعجل بالعذاب، عن أبي موسى، قال: قال رسولُ الله  
ﷺ: لَا أَحَدٌ أَضْبَرُ عَلَى أَدَى يَسْمَعُهُ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، إِنَّهُ يُشْرِكُ بِهِ، وَيُجْعَلُ لَهُ الْوَلَدُ، ثُمَّ هُوَ  
يُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ<sup>(١)</sup>.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَتًاهُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ  
دَاخِرُونَ﴾ (٤٨)

﴿أَوَلَمْ﴾: اسم مركب يفيد الاستفهام والاستنكار ﴿يَرَوْا﴾: ألا يشاهد الكافرون بأعينهم ﴿إِلَى  
مَا﴾: الذي ﴿خَلَقَ﴾: أوجد من غير سابق وجود ﴿اللَّهُ مِنْ﴾: جزء أو كلِّ ﴿شَيْءٍ﴾: إلى كل  
المخلوقات التي لها ظل من الإنس، والجن، والجماد، والحيوان ﴿يَتَفَتًاهُ ظِلَالُهُ﴾: تعني كل ما

(١) صحيح مسلم / ٤/ ٢١٦٠ (٢٨٠٤).



له ظلّ يتقياً ﴿عَنْ﴾: حرف يفيد الظرف ﴿الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ﴾: أي يميل ذات اليمين وذات الشمال؛ أي بُكْرَةً وَعَشِيًّا، وكلّه ﴿سُجْدًا﴾: منقادة لحكمه، وتسخيره ﷻ ﴿لِلَّهِ﴾: كلّ ذلك يسجد لله ﷻ بظّلّه؛ قال مجاهد: إذا زالت الشمس سجد كل شيء لله عز وجل، إنّ أمواج البحر صلاة لله ﴿وَهُمْ﴾: تحديداً الظلال ﴿دَاخِرُونَ﴾: صاغرون منقادون أذلاء.

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (٤٩)  
 ﴿و﴾: عطفاً على ما سبق ﴿ل﴾: حرف تملك وتخصيص ﴿اللَّهِ﴾: جاء تقديم المجرور هنا ليفيد التخصيص، أي كلّ العبادات تتحقق له وحده ﷻ ﴿يَسْجُدُ﴾: لله ﷻ يخضع ويذل ﴿مَا﴾: حرف يدل على غير العاقل بمعنى الذي ﴿فِي السَّمَاوَاتِ﴾: هي كلّ ما علا الأرض، وأحاط بها؛ لكونها كروية الشكل ﴿وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾: أيضاً دانت له ﷻ الجماد فله وحده يخضع وينقاد ما في السماوات والأرض ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ وبيان لتمييز النوع يفيد هنا بداية الغاية المكانية ﴿دَابَّةٍ﴾: كلّ ما يدبّ على الأرض من الإنس، والحيوان، والمكلفون بهم من الإنس والجن، والملائكة؛ طوعاً وكرهاً، وظلالهم بالعدو والآصال ﴿و﴾: أيضاً يسجد ﴿الْمَلَائِكَةُ وَهُمْ﴾: تحديداً ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يَسْتَكْبِرُونَ﴾: لا يتكبرون عن السجود لله ﷻ.

﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (٥٠)

﴿يَخَافُونَ﴾: يخشون ﴿رَبَّهُمْ﴾: مُعبودهم، ومُربّهم، ومالك أمرهم كلّه ﴿مِنْ فَوْقِهِمْ﴾: هو الذي فوقهم بقوته، وعظمته، وهم منه خائفون ﴿و﴾: حرف عطف يفيد هنا الحال ﴿يَفْعَلُونَ﴾: يعملون ويقولون ﴿مَا﴾: كلّ الذي ﴿يُؤْمَرُونَ﴾: يطيعون أمره ﷻ، ويفعلون ما أمرهم الله ﷻ به، وينتهون عما نهى ﷻ عنه، مثابرين، ممتثلين، وهم الملائكة.

﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ فَإِذَا يَفَاهَى فَارْهَبُونِ﴾ (٥١)

﴿وَقَالَ اللَّهُ﴾: قوله واجبٌ وحقٌّ ﴿لَا﴾: حرف نفي؛ ينهى ويحرّم ﴿تَتَّخِذُوا﴾: تعتمدوا، وترتضوا ﴿إِلَهَيْنِ﴾: معبودين ﴿اثْنَيْنِ﴾: لا يجوز أن تشركوا مع الله ﷻ إلهاً آخر، ولا يجوز أكثر من ذلك أيضاً؛ فالله وحده لا شريك له كما فعل الثنوية (الاثنان) الذين عبدوا إلهين: إله النور وإله الظلمة ﴿إِنَّمَا﴾: أداة حصر مركبة؛ تفيد التحديد والتخصيص ﴿هُوَ﴾: ضميرٌ منفصلٌ مرفوعٌ للغائب المفرد المذكر، ويعني هنا الله ﷻ ﴿إِلَهُ﴾: معبود مطاع ﴿وَاحِدٌ﴾: أحدٌ لا ثاني له، ولا شريك، ولا شبيه مثله ﴿ف﴾: حرف يفيد السبب ﴿إِيَّايَ﴾: أنا تحديداً ﴿فَارْهَبُونِ﴾: يقول الله ﷻ رافةً بالناس؛ خافوني وتقادوا غضبي، ولا تخافوا غيري وهذا أمرٌ واضحٌ وصریحٌ.

﴿وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ﴾ (٥٢)

﴿وَلَهُ﴾: من ملك الله ﷻ ﴿مَا﴾: حرف يفيد غير العاقل الذي ﴿فِي السَّمَاوَاتِ﴾: هي كل ما علا الأرض، وأحاط بها ﴿وَالْأَرْضِ﴾: هو أيضًا مالك كل المخلوقات في السموات من الملائكة، ونجوم، وأفلاك، وكواكب، ومالك كل ما دب على الأرض ﴿وَلَهُ﴾: تخصيصًا ﴿الدِّينِ﴾: الطاعة والانقياد ﴿وَاصِبًا﴾: أي ثابتًا واجبًا دائمًا، لا يزول. قال ابن عباس ومجاهد: الواصب هو الدائم، وقال ابن عباس: هو الواجب، وقال مجاهد: خالصًا له ﴿أ﴾: حرف استفهام ﴿فَغَيْرَ﴾: حرف استثناء بمعنى إلا، دون ﴿اللَّهُ تَتَّقُونَ﴾: جاء لفظ التقوى في القرآن على خمسة وجوه، هنا بمعنى اعبدوا، وهل بعد هذا تخافون غير الله ﷻ فتعبدهوه؟ استكثار من الله ﷻ.

﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجَاوَرُونَ﴾ (٥٣)

﴿وَمَا﴾: الذي ﴿بِكُمْ﴾: ما عندكم ﴿مِنَ﴾: حرف جرّ وبيان لتمييز النوع يفيد هنا ابتداء الغاية المكانية ﴿نِعْمَةٍ﴾: ما جاءكم من خير، ورزق، ووسائل عيش هنية، وعافية، وغيرها ﴿ف﴾: بسبب ﴿مِنَ﴾: حرف يفيد بداية الغاية ﴿اللَّهُ﴾: هي عطاءً منه وحده ﴿ثُمَّ﴾: حرف يفيد التتابع الزمني مع التباعد والتراخي، بعد ذلك ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يُستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط ما بعدها بما قبلها ﴿مَسَّكُمْ﴾: إذا أصابكم في أنفسكم، أو أولادكم، أو أموالكم ﴿الضُّرُّ﴾: الأذى من تلف أو نقص أو غياب ﴿ف﴾: حرف سبب ﴿إِلَيْهِ﴾: إلى الله ﷻ ﴿تَجَاوَرُونَ﴾: تتضرعون في كشفه؛ تلحون، وتضجون، وتستغيثون به ﷻ وتسالون؛ لعلمكم أنه لا يكشف الضّر إلا هو؛ ﷻ.

﴿ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ (٥٤)

﴿ثُمَّ﴾: حرف يفيد التتابع الزمني، مع التباعد والتراخي ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يُستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط ما بعدها بما قبلها ﴿كَشَفَ﴾: رفع وإزالة ﴿الضُّرَّ عَنْكُمْ﴾: إذا رفع عنكم ما أضركم ﴿إِذَا فَرِيقٌ﴾: جماعة ﴿مِّنْكُمْ﴾: بعض أو جزء من الناس وليس كلهم ﴿ب﴾: حرف باء التوكيد ﴿رَبِّهِمْ﴾: مالك أمرهم كله ﴿يُشْرِكُونَ﴾: يظنون أنّ كشف الضر جاء بتدخل فلان، ووساطة فلان، وجهد فلان، وهذا شرك، وهناك من يفاخر بذلك، ويدعي أنه هو الذي كشف الضر، وجاء بالحل، وهذه ظاهرة في كل المستويات؛ الأفراد العاديين، ورؤساء منظمات، وحكومات، وحكّام.

﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ (٥٥)

﴿ل﴾: فيها أقوال: هي لام العاقبة؛ كشفنا عنهم؛ وقيل لام التعليل بمعنى قيض الله تعالى لهم؛ ﴿يَكْفُرُوا﴾: أي يستروا، ويغطوا القرآن الكريم وهو فضل الله عليهم يحجبوا ﴿بِمَا﴾: اسم موصول هنا بمعنى الذي ﴿آتَيْنَاهُمْ﴾: القرآن الكريم، ينكروه؛ لتكون عاقبتهم الكفر ﴿ف﴾: حرف يفيد السبب ﴿تَمَتَّعُوا﴾: الشعور بالسعادة والمتعة بما أنتم فيه من عبادة غير الله ﷻ ﴿فَسَوْفَ﴾: بسبب ذلك هناك وعدٌ لعملٍ في المستقبل، ينزل عليكم ﴿تَعْلَمُونَ﴾: سيأتيكم العلم الصادق في الدنيا، أو في الآخرة، أو في الحالتين؛ أنَّ الفضل بيد الله ﷻ، وكشف الضر بيد الله وحده.

﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللَّهِ تَسْأَلُونَ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ﴾ (٥٦)

﴿و﴾: أيضًا ﴿يَجْعَلُونَ﴾: يُخَصِّصُونَ من أموالهم ﴿لِمَا﴾: للذي ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يَعْلَمُونَ﴾: ومن قبيح أعمالهم أنهم يجعلون للأصنام التي عبدوها جزءًا من أموالهم، وهي لا تعلم شيئًا ولا تتفح ولا تضر، كانوا في الماضي يخصصونها للأصنام، واليوم أصبحت تُتفق بسخاء على الأفكار، والمعتقدات، والدول، ﴿نَصِيبًا﴾: النصيب الأوفر ﴿مِمَّا﴾: من الذي ﴿رَزَقْنَاهُمْ﴾: وهي لا تعلم ولا تُقدِّر هذا المال الذي يوقف لها من الفضل والمنة؛ سواءً بنسب الرزق إليهم، أو بتوزيع الرزق عليهم بغير حق ﴿تَاللَّهِ﴾: هذا قسم لا يأتي إلا من الله ﷻ، يقسم الله ﷻ بنفسه الكريمة ﴿ل﴾: حرف تخصيص ﴿تَسْأَلُونَ﴾: تُحاسِبُونَ ﴿عَمَّا﴾: سؤال للتوبيخ عن الذي ﴿كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ﴾: ليحاسبكم الله ﷻ على ما كنتم تفترون من الكذب عليه ﷻ.

﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ﴾ (٥٧)

﴿وَيَجْعَلُونَ﴾: يُخَصِّصُونَ ﴿لِلَّهِ الْبَنَاتِ﴾: كانت خزاعة وكنانة تقول إنَّ الملائكة هن بنات الله، جعلوا البنات حصّة الله ﷻ، وهو ما يكرهونه لأنفسهم ﴿سُبْحَانَهُ﴾: جملةٌ معترضةٌ لا محل لها من الإعراب هدفها البلاغي هو تنزيه الله ﷻ عن كذبهم وافتراءهم؛ لأنهم نسبوا إليه الملائكة، وقالوا بنات الله وعبدوها ﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿لَهُمْ﴾: تمليكيًا احتفظوا ﴿مَا﴾: الذي ﴿يَشْتَهُونَ﴾: نسبوا إلى أنفسهم ما تريده أنفسهم، وما لا يرضونه لأنفسهم نسبوهُ لله ﷻ.

﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهَهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ (٥٨)

﴿وَإِذَا﴾: حرفٌ ربطٍ ما بعدها بما قبلها؛ وهو ﴿بُشِّرَ﴾: أخبر بما يسرُّ ﴿أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ﴾: بسبب إذا جاء من يخبرهم أن زوجاتهم قد أنجب البنات ﴿ظَلَّ﴾: بقي لفترة ﴿وَجْهَهُ مُسْوَدًّا﴾: بقي سوادٌ وجهه كناية عن الغضب والهَم وهذا ناتجٌ عن هرمون الأدرينالين، هرمون الغضب،

الذي يُضَيِّقُ أوعية الدم عن الجلد عموماً، ومنها جلد الوجه **﴿وَهُوَ﴾**: الإنسان **﴿كَبِيبٌ﴾**: ممتلئٌ حزناً؛ يكتُم غيظه بدلاً من الذكر والشكر.

**﴿يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ (٥٩)**

**﴿يَتَوَارَى﴾**: يتخفى **﴿مِنْ﴾**: حرفٌ يفيد التعليل **﴿الْقَوْمِ﴾**: عن وجوه النَّاسِ من قبيلته **﴿مِنْ سُوءِ﴾**: شرٍ أو ضررٍ **﴿مَا﴾**: الذي **﴿بُشِّرَ بِهِ﴾**: من الخزي والعار والحياء الذي يلحق به بسبب مجيء الأنثى، فبدلاً من ذكر كرم الله ﷻ والشكر، يُحدِّث نفسه. **﴿أ﴾**: حرف استفهام؛ بغرض الاستنكار؛ هل **﴿يُمْسِكُهُ﴾**: يُبقي على المولودة **﴿عَلَى هُونٍ﴾**: على كُرهِ، ومضضٍ؛ تتنازعه أفكارٌ ماذا يعمل، الأول: أيصبر على مجيء الأنثى، ويُبقيها مهانةً ذليلةً، ويحرمها من حقوق الميراث والعناية، ويُفضّل عليها الولد، و الثاني: **﴿أَمْ﴾**: أو الخيار الثاني **﴿يَدُسُّهُ﴾**: أو يدفنها وهي حيّة **﴿فِي التُّرَابِ﴾**: كما كان في عهد الجاهلية **﴿أَلَا﴾**: حرف يفيد الانتباه **﴿سَاءَ مَا﴾**: حدث الشرُّ والضررُ في الذي **﴿يَحْكُمُونَ﴾**: لقد عاملوها الأنثى معاملةً سيئةً؛ إمّا دفنها، وإمّا إهمالها، وفي الوقت نفسه ينسبون الإناث لله ﷻ؛ بنس هذا الحكم، وبنس النسبة إلى الله ﷻ.

التكليف: لا تزال هذا العادة قائمة؛ فإنّ قبائل السود والهنود الحمر في أمريكا الذين عاشوا قرونًا تحت الذل والمهانة، كما أنّ العرب الذين يعيشون تحت الاحتلال الإسرائيلي يُحرمون من كلّ شيءٍ، والقيادات في الدول جميعها تضطهد الشعوب، وتسرق أموالها، وتحرمها من حقوقها، وهذا أشدُّ جُرماً من وئد الأنثى؛ لأنّهم يئدون شعوباً.

**﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٦٠)**

**﴿ل﴾**: حرف تخصيص **﴿لِلَّذِينَ﴾**: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع من **﴿لَا﴾**: حرف نفي **﴿يُؤْمِنُونَ﴾**: يعتقدون يقيناً وهم الكفّار؛ وينكرون **﴿بِالْآخِرَةِ﴾**: لهؤلاء الذين ينكرون القيامة، وهم الكفّار بما أنزل الله ﷻ على رسله **﴿مَثَلُ﴾**: تشبيهه **﴿السَّوْءِ﴾**: أصحاب الصفات القبيحة، هم نماذج وأمثلة للسيئ من النَّاسِ، الناقص في العقل والإدراك، المتسببين في الشر والضرر **﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾**: الكمال المطلق في كلّ وجهٍ من الوجوه **﴿وَهُوَ﴾**: ﷻ أيضاً **﴿الْعَزِيزُ﴾**: الذي لا يغلبه شيءٌ، صاحب العزّة، والقوّة، والرفعة المطلقة **﴿الْحَكِيمُ﴾**: الذي يفعل ويقول الأوصوب والأكمل في كلّ شيءٍ.

﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فِإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ (٦١)

﴿وَلَوْ﴾: حرف يفيد الاستفهام والنفي ﴿يُؤَاخِذُ﴾: يحاسب ﴿اللَّهُ النَّاسَ﴾: الخلق من البشر الكافرين أو جميع العصاة ﴿بِظُلْمِهِمْ﴾: حرف الباء يفيد السببية؛ بما اقترفوا من مظالم لأنفسهم وللناس بادعائهم أنّ الأصنام أو الملائكة بنات الله ﴿مَا﴾: حرف نفي ﴿تَرَكَ﴾: أبقى ﴿عَلَيْهَا﴾: على الأرض ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ وبيان لتمييز النوع يفيد هنا ابتداء الغاية المكانية ﴿دَابَّةٍ﴾: لأهلك الله ﷻ كلّ من وما يمشي على وجه الأرض من دواب الأرض التي خلقها للإنسان، وإذا أهلك الإنسان لأهلك الدواب أيضًا ﴿وَلَكِنْ﴾: حرف استدراك ﴿يُؤَخِّرُهُمْ﴾: يؤجل عقوبتهم ﴿إِلَىٰ أَجَلٍ﴾: موعدٍ وزمنٍ محددٍ ﴿مُسَمًّى﴾: بحلمه ورحمته ﷻ يستر عليهم؛ ليتوبوا، ولا يعجل لهم بالعقوبة. ﴿فِإِذَا﴾: حرف ظرف لما يُستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط ما بعدها بما قبلها ﴿جَاءَ﴾: حلّ بهم ﴿أَجْلُهُمْ﴾: موعد موتهم ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يَسْتَأْخِرُونَ﴾: يؤجل ﴿سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾: يتعجلون قبل الأوان المُحدد.

﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُّفْرَطُونَ﴾ (٦٢)

﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ﴾: ينسبون إليه ﷻ ﴿مَا﴾: الذي ﴿يَكْرَهُونَ﴾: من نسبة البنات لأنفسهم، وهم يكرهون البنات، ويكرهون أنّ يكون لهم شركاء ﴿وَتَصِفُ﴾: أيضًا تقول ﴿أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ﴾: يصفهم الله ﷻ بالكذابين الذين يقولون ﴿أَنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك ﴿لَهُمْ﴾: تخصيصًا وتمليكيًا ﴿الْحُسْنَىٰ﴾: هم فقط؛ الذين لهم الخير، والمنزلة الرفيعة، والأحسن في الدنيا ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿جَرَمَ﴾: حقًا، صدقًا، لا محالة واقع ﴿أَنَّ لَهُمْ﴾: تخصيصًا وتمليكيًا ﴿النَّارَ﴾: لهم مكان ما جعلوه لأنفسهم يوم القيامة ﴿وَ﴾: عطفًا على هذا ﴿أَنَّهُمْ﴾: بالتأكيد ﴿مُفْرَطُونَ﴾: قال مجاهد، وسعيد بن جبير، وقتادة، وغيرهم: منسيون، مُضَيِّعون من رحمة الله. مُعْجَلُونَ إلى النار.

﴿تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَرِئَنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٦٣)

﴿تَاللَّهِ﴾: يُقسم الله ﷻ بنفسه الكريمة ﴿لَقَدْ﴾: حرف جرّ يفيد هنا التحقق بالتأكيد؛ لأنه وقع هنا على الفعل الماضي ﴿أَرْسَلْنَا﴾: بعث الله ﷻ ﴿إِلَىٰ أُمَمٍ﴾: جماعات كبيرة من الناس من أصلٍ واحدٍ أو مذهبٍ واحدٍ ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ وبيان لتمييز النوع وتفيد هنا بداية الغاية

الزمانية ﴿قَبْلِكَ﴾: أرسلنا رسلنا إلى أممٍ خلت، بالحق ﴿ف﴾: حرف يفيد هنا السبب بهدف ترتيب الأمر ﴿زَيْنَ﴾: جمَل ﴿لَهُمْ﴾: تحديداً ﴿الشَّيْطَانُ﴾: جمَل الشيطان لهذه الأمم، وحبب لهم ﴿أَعْمَالَهُمْ﴾: كفرهم، وتكذيبهم، وإعراضهم، وإيذاءهم الرسل ﴿فَهُوَ وَلِيَهُمُ الْيَوْمَ﴾: هو الشيطان المُحب، والنصير، والقريب لهم ﴿وَلَهُمْ﴾: أيضاً وتخصيصاً وتمليكا سيصيبهم ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: هذا جزاء أولياء الشيطان؛ العذاب المؤلم يوم القيامة.

﴿وَمَا أُنزِلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾  
(٦٤)

﴿وَمَا﴾: حرف نفي ﴿أُنزِلْنَا﴾: من عند الله ﷻ ﴿عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾: القرآن الكريم ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿لِ﴾: حرف سبب ﴿تُبَيِّنَ﴾: حتى يكون الفصل واضحا، مفهوماً، وجلياً ﴿لَهُمْ﴾: تخصيصاً ﴿الَّذِي﴾: اسمٌ موصولٌ للفرد أو الشيء ﴿اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾: من الدين والأحكام ولتقوم الحجة عليهم ببيانك الذي لا يترك للباطل مسلماً إلى النفوس، ومن كل أشكال النزاع بينهم ﴿وَهُدًى﴾: ودليل القلوب إلى الطريق الصحيح ﴿وَرَحْمَةً﴾: أيضاً يخفف ويعطف على من تمسك به ﴿لِقَوْمٍ﴾: تخصيصاً جماعةً من أصلٍ واحدٍ وأصحاب منهجٍ واحدٍ ﴿يُؤْمِنُونَ﴾: الذين آمنوا بالله ﷻ، وكتبه، ورسله، والملائكة، والقيامة، والبعث، والنشور، والثواب، والعقاب.

﴿وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾  
(٦٥)

﴿و﴾: أيضاً ﴿اللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ﴾: حرف يفيد بداية الغاية المكانية ﴿السَّمَاءِ﴾: هي كل ما علا الأرض، وأحاط بها لكونها كروية الشكل ﴿مَاءً﴾: إن الماء الذي يحمله السحاب، ويسوقه ﷻ إلى من يشاء، والتشبيه هنا بين نزول القرآن ونزول الماء من السماء، فكما نزول الماء فيه إحياء الإنسان، والحيوان، والنبات؛ فإن نزول القرآن الكريم فيه إحياء القلوب ﴿ف﴾: حرف يفيد السبب ﴿أَحْيَا﴾: جعلها حية ﴿بِهِ﴾: بالماء ﴿الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾: نبت فيها الزرع والشجر، وشبّت الأرض، واختزنت، وأحيا به الحيوان، والطيور أيضاً بعد أن مات كل شيء مما على سطحها ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿فِي ذَلِكَ﴾: في هذا المثل كما أحيا الله ﷻ الأرض بالماء؛ أحيا نفوس البشر بالقرآن الكريم ﴿لَآيَةً﴾: دليل، واثبات، وبرهان ﴿لِقَوْمٍ﴾: تخصيصاً جماعةً من أصلٍ أو مذهبٍ واحدٍ ﴿يَسْمَعُونَ﴾: قدم الله ﷻ هنا السمع على البصر، فالذي يسمع يتعلم ويتكلم؛ حتى لو كان فاقداً البصر، ويفهم الكلام، ويعي معانيه؛ فيؤمن بوعي وقناعة.

﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبْنَا خَالِصًا سَائِغًا  
لِلشَّارِبِينَ﴾ (٦٦)

﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿لَكُمْ﴾: تخصيصًا آيات القرآن ﴿فِي الْأَنْعَامِ﴾: البقر، والغنم، والمعز ﴿لَعِبْرَةً﴾: موعظة، وآية، ودليلاً على حكمة خالقها ﷻ وقدرته، ورحمته، ولطفه ﴿نُسْقِيكُمْ﴾: جاءت بصيغة الجمع؛ لأهمية اللبن العظيمة ﴿مِمَّا﴾: من الذي ﴿فِي بُطُونِهِ﴾: تُسقي الإنسان ما في بطون الأنعام، وفي آية أخرى: ﴿مِمَّا فِي بُطُونِهَا﴾ [المؤمنون-٢] ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ وبيان لتمييز النوع يفيد هنا ابتداء الغاية المكانية ﴿بَيْنِ فَرْثٍ﴾: يأكل الحيوان الغذاء؛ فيصبح في أحشائه مادةً مستحلبة، وهذا هو الفرث، تُمتصّ فتذهب في الدم، ثم تذهب إلى الثدي، وقيل الفرث: هو ما أكله الحيوان، وهضمته أمعائه، وقيل هو ما يحتويه الكرش، وقيل ما أنتجته عملية الاجترار من الحشائش، والحبوب في المعدة الثانية، والثالثة، والرابعة، ثم يذهب إلى الأمعاء؛ لامتناعه ﴿و﴾: أيضاً من بين ﴿دَمٍ﴾: الذي يحتوي المواد المهضومة ﴿لَبْنَا خَالِصًا﴾: فيُستخرج منها الحليب، الذي يشربه الإنسان والحيوان، وما بقي في بطون الحيوان من سوائل يذهب إلى الكلية؛ ليطردها بولاً، والذي يبقى في أحشاء الحيوانات ينزل برازاً، روث دون امتزاج أو اختلاط باللبن ﴿سَائِغًا ل﴾: حرف تخصيص ﴿الشَّارِبِينَ﴾: يشربه الإنسان بطعمٍ مستساغٍ طيبٍ، مستفيداً من مكوناته الغذائية؛ للكبار والصغار، ليس كل لبن يُستساغ، بل هو لبن الحيوانات المجترة كالماعز، والغنم، والإبل، والغزال، والبقر، والجاموس، ومن المعلوم أنّ في أمعاء الحيوانات إنزيم السليوليز الذي يهضم ما لا تهضمه أمعاء الإنسان، كقشور الشجر؛ مثل التبن، والبرسيم، والورق التي يحولها إلى سكريات كبيرة الجزيء، ثم إلى سكريات أحادية الجزيء؛ التي يسهل هضمها.

﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (٦٧)

﴿و﴾: أيضاً ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ وبيان لتمييز النوع يفيد هنا ابتداء الغاية المكانية ﴿ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ﴾: هو البلح والرطب ﴿وَالْأَعْنَابِ﴾: من العنب. انظر [البقرة-٢٦٦] ﴿تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا﴾: ما يسكر، وهو ما حرّم الله ﷻ من ثمارها، النبيذ المسكر قبل تحريمه ﴿وَرِزْقًا حَسَنًا﴾: أيضاً ما أحلّ الله ﷻ من ثمارها، من التمر والزبيب، والدبس، والخل ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿فِي ذَلِكَ﴾: إشارة للبعيد ﴿لَآيَةً﴾: دليلاً وبرهاناً ﴿لِقَوْمٍ﴾: جماعة

من النَّاسِ مِنْ أَصْلِ وَاحِدٍ أَوْ أَصْحَابِ فِكْرٍ وَاحِدٍ **﴿يَعْقِلُونَ﴾**: إِنَّ الْعَقْلَ هُوَ مَنْ أَشْرَفَ مَا فِي الْإِنْسَانِ، فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ ﷻ الْمَسْكِرَاتِ؛ صِيَانَةً لِلْعَقْلِ، وَحِفْظًا لِدَوْرِهِ فِي حَيَاةِ الْإِنْسَانِ، فَذَهَابَ الْعَقْلَ مَضِيْعَةً لِلْعِبَادَاتِ، وَمُفْسِدَةً لِلْمَجْتَمَعَاتِ.

**﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ (٦٨)**

**﴿وَأَوْحَى﴾**: أَلْهَمَ وَقَذَفَ فِي أَنْفِهَا **﴿رَبُّكَ﴾**: الْمُعْبُودُ، وَالْمُرَبِّي، وَهُوَ الْمُنْشِئُ لِكُلِّ شَيْءٍ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ إِلَى حَدِّ التَّمَامِ وَالْخَالِقِ، وَالْمَالِكِ، وَالْعَاطِي، وَكَثِيرُ الْخَيْرِ، وَالْمُحِيطُ، وَالْمُدَبِّرُ، وَالْجَابِرُ لِكَسْرِ الْبِرَايَا، وَالثَّابِتُ، وَالْقَرِيبُ، وَالْجَامِعُ، وَالْمَصْلُحُ، وَالسَّيِّدُ، هُوَ اللَّهُ ﷻ **﴿إِلَى النَّحْلِ﴾**: أَرْشَدَهَا إِلَى الْإِلْهَامِ الْفَطْرِيِّ فِي خَلْقِهَا، وَقَذَفَ فِي أَنْفِهَا فَفَهَمَتِ الَّذِي جَاءَ بِغَرِيضَتِهَا **﴿أَنْ﴾**: حَرْفُ تَأْكِيدِ الْفِعْلِ **﴿اتَّخِذِي﴾**: اعْتَمَدِي وَاخْتَارِي **﴿مِنْ﴾**: حَرْفُ يَفِيدُ بَدَايَةَ الْغَايَةِ الْمَكَانِيَّةِ **﴿الْجِبَالِ بُيُوتًا﴾**: أَوْكَارًا تَبْنِيهَا؛ لِتَسْكُنَ فِي مَنَاطِقِ الشَّقُوقِ فِي الْجِبَالِ؛ وَتَضَعُ عَسَلَهَا فِيهَا **﴿و﴾**: أَيْضًا اتَّخِذِي **﴿مِنْ﴾**: بَعْضُ **﴿الشَّجَرِ﴾**: أَنْ اسْكُنِي فِي الْأَشْجَارِ **﴿وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾**: أَيْضًا مِمَّا يُعْطَى؛ مَا يُعْرَفُ بِخَلَايَا النَّحْلِ، وَهَذِهِ أَوَّلُ خَطْوَةٍ فِي إِنتَاجِ عَسَلِ النَّحْلِ؛ وَحَتَّى تَصِلَ النَّحْلَةُ إِلَى هَذِهِ الْأَمَاكِنِ؛ خَلَقَ اللَّهُ ﷻ فِي أَجْنَحَةِ النَّحْلِ عَضَلَاتٍ مَذْهَلَةً لِتَضْرِبَ الْهَوَاءَ خَمْسَمِائَةَ مَرَّةً فِي الثَّانِيَةِ الْوَاحِدَةِ.

**﴿ثُمَّ كَلِمًا مِنْ كُلِّ النَّمْرَاتِ فَاَسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (٦٩)**

**﴿ثُمَّ﴾**: حَرْفُ يَفِيدُ التَّتَابِعَ الزَّمْنِيَّ مَعَ التَّرَاخِي **﴿كَلِمًا﴾**: أَنْ تَأْكُلِ **﴿مِنْ﴾**: حَرْفُ جَرِّ وَبَيَانٍ لِتَمْيِيزِ النَّوْعِ يَفِيدُ هُنَا ابْتِدَاءَ الْغَايَةِ الْمَكَانِيَّةِ **﴿كُلِّ﴾**: لَيْسَ الْمَقْصُودُ جَمِيعَ **﴿النَّمْرَاتِ﴾**: وَلَكِنْ لَتَقِيدِ الْكَثْرَةَ؛ هَذَا إِذْنٌ مِنَ اللَّهِ ﷻ؛ قَدْرِيًّا، تَسْخِيرًا؛ لِلنَّحْلِ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ زَهْرِ النَّمْرَاتِ فِي الْفَوَاكِهِ وَغَيْرِهَا **﴿ف﴾**: حَرْفُ يَفِيدُ السَّبَبَ **﴿اسْلُكِي﴾**: طَيْرِي فِي **﴿سُبُلِ﴾**: طُرُقِ **﴿رَبِّكِ﴾**: مَالِكِ أَمْرِكِ كَلِمَةً **﴿ذُلُلًا﴾**: فَكُلُّ شَيْءٍ مِثْلُ فِي الْجِبَالِ، وَالْوُدْيَانِ وَالْغَابَاتِ، ثُمَّ تَعُودُ جَمَاعَةُ النَّحْلِ بِمَا أَكَلَتْ إِلَى بُيُوتِهَا الَّتِي بَنَتْهَا حَتَّى **﴿يَخْرُجُ مِنْ﴾**: حَرْفُ يَفِيدُ بَدَايَةَ الْغَايَةِ الْمَكَانِيَّةِ **﴿بُطُونِهَا﴾**: إِنَّ مَصْدَرَ الْعَسَلِ هُوَ أَمْعَاءُ النَّحْلِ، بَيْنَمَا بِنَاءُ الشَّمْعِ مِنْ أَجْنَحَةِ النَّحْلِ **﴿شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ﴾**: إِنَّ الْعَسَلَ الْمُسْتَخْرَجَ مِنْ نَبَاتِ الْقَطْنِ لَوْنُهُ أَسْوَدٌ، وَعَسَلُ الْبِرْسِيمِ فَاتِحُ اللَّوْنِ، وَمِنْ أَلْوَانِ الْعَسَلِ الْأَبْيَضِ، وَالْأَصْفَرِ، وَالْأَحْمَرِ؛ وَكُلُّهَا أَلْوَانٌ جَمِيلَةٌ **﴿فِيهِ﴾**: فِي الْعَسَلِ **﴿شِفَاءٌ﴾**: جَاءَ اللَّفْظُ "شِفَاءٌ" بِصِيغَةِ نَكْرَةٍ لِتَقِيدَ عَمُومَ مَا يَشْفِي **﴿ل﴾**: حَرْفُ تَخْصِيصِ **﴿النَّاسِ﴾**: يَخْبِرُ الْخَالِقَ ﷻ أَنَّ فِي الْعَسَلِ دَوَاءً لِلنَّاسِ، مِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ الْعَسَلَ مَادَّةٌ سَكْرِيَّةٌ مُرَكَّزَةٌ، تَمْتَصُّ الْمَاءَ مِنْ



مواد في غيرها، فإذا وقع عليها ميكروب؛ امتص العسل مائه؛ فيموت الميكروب، كما أن كيلوجرام من العسل يُعطى سرعات حرارية تعادل ثلاثة كيلو جرامات من اللحم، واثني عشر كيلو جرام من الخضروات، وفي الحديث أن الرسول ﷺ نصح بتناول العسل في حالات الإسهال، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ قال: الشفاء في ثلاثة: في شربة محجم، أو شربة عسل، أو كية بنار، وأنا أنهى أمي عن الكي<sup>(١)</sup> وعن أبي سعيد: أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: أخي يشتكي بطنه، فقال: «اسقه عسلاً» ثم أتى الثانية، فقال: «اسقه عسلاً» ثم أتاه الثالثة فقال: «اسقه عسلاً» ثم أتاه فقال: قد فعلت؟ فقال: «صدق الله، وكذب بطن أخيك، اسقه عسلاً» فسقاه فبرأ<sup>(٢)</sup> **﴿إِنَّ﴾**: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار **﴿فِي ذَلِكَ﴾**: النحل والعسل **﴿لَايَةٌ﴾**: دليلاً، وبرهاناً خاصاً **﴿لِقَوْمٍ﴾**: تخصيصاً لجماعة من أصل واحد مثل العرب، أو أصحاب منهج واحد مثل المسلمين **﴿يَتَفَكَّرُونَ﴾**: إن دراسة ظاهرة إنتاج النحل، وما سبقها من بناء بيوت النحل، وخروج العسل، وكيفية تخزينه، وكونه طعاماً وعلاجاً؛ كلها آيات دالة على قدرة الله ﷻ.

**﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمْرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ (٧٠)**

**﴿و﴾**: حرف عطف على ما سبق من فضل الله ﷻ **﴿اللَّهُ خَلَقَكُمْ﴾**: خلق الإنسان من عدم؛ جاء في المعنى: **﴿لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا﴾** [الإنسان-١] **﴿ثُمَّ﴾**: يفيد التتابع الزمني غير السريع **﴿يَتَوَفَّاكُمْ﴾**: يميت **﴿وَمِنْكُمْ مَنْ﴾**: الذي من جنس العاقل **﴿يُرَدُّ﴾**: يرجع **﴿إِلَى أَرْدَلٍ﴾**: أردأ فترات **﴿الْعُمْرِ﴾**: أن يصير الإنسان إلى الخرف؛ فيصير كالصبي الذي لا يعقل، قال عليّ ﷺ: المقصود خمس وسبعون سنة؛ حيث يحدث ضعف القوى، والخرف، والنسيان، وقلة العلم **﴿لِكَيْ﴾**: اللام هنا تفيد العلة والسبب، من أجل **﴿لَا﴾**: حرف نفي **﴿يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا﴾**: يفقد ما كان يعلم **﴿إِنَّ﴾**: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار **﴿اللَّهُ عَلِيمٌ﴾**: ما من شيء في السماوات والأرض إلا يعلمه **﴿قَدِيرٌ﴾**: صاحب القدرة المطلقة ما يدركه وما لا يخطر على بال أحد.

**التكليف**: جاء دعاء الرسول ﷺ عن أنس بن مالك ﷺ: أن رسول الله ﷺ كان يدعو: أعوذ بك من البخل والكسل، وأردل العمر، وعداب القبر، وفتنة الدجال، وفتنة المحيا والممات<sup>(٣)</sup>.

(١) صحيح البخاري ١٢٣/٧ (٥٦٨١).

(٢) صحيح البخاري ١٢٣/٧ (٥٦٨٤).

(٣) صحيح البخاري ٨٢/٦ (٤٧٠٧).

﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِعِنْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ (٧١)

﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ﴾: زاد في رزق ﴿بَعْضَكُمْ﴾: جزءًا منكم ﴿عَلَى﴾: حرف جر يفيد الاستعلاء الحقيقي ﴿بَعْضٍ﴾: جزءٍ آخر ﴿فِي الرِّزْقِ﴾: رزق بعضكم أكثر من غيرهم فوسَّع على بعض عباده، وضيَّقه على آخرين، حتى صار لا يجد القوت ﴿فَمَا﴾: حرف نفي ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ ﴿فُضِّلُوا﴾: المالكون والمماليك ﴿بِ﴾: حرف باء التوكيد ﴿رَادِي﴾: لن يتخلوا عن ﴿رِزْقِهِمْ﴾: الذين رزقهم الله ﷻ ﴿عَلَى مَا﴾: الذي ﴿مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾: يعطونه لعبيدهم أو نسائهم؛ لا يرضى الغني أن يتنازل للفقراء الذين عنده من ماله ﴿ف﴾: حرف يفيد بسبب ﴿هُمْ﴾: ضميرٌ منفصلٌ مرفوعٌ للجمع المذكر والمؤنث الغائب؛ للتحديد والتخصيص والتأكيد ﴿فِيهِ﴾: في الرزق ﴿سَوَاءٌ﴾: أي يتساوى السيد والعبد، والغني والفقير طواعية ﴿أ﴾: حرف استفهام؛ بغرض الإنكار والتوبيخ ﴿فَبِعِنْمَةِ﴾: خير ﴿اللَّهُ يَجْحَدُونَ﴾: ينكرون، هل يُعقل أن يُنكروا فضل الله ﷻ بنعم الوجود، والعافية، والعبادة، والجنَّة؟.

التكليف: هنا توبيخ وتأنيب للبشر الذين لا يتخلون عن رزق رزقهم الله ﷻ لعبيدهم، أو فقرائهم، أو نسائهم؛ فكيف يُشركون بالله ويساوون بين سلطانه ﷻ وسلطان آلهتهم من الأصنام، والأوثان، والأفكار!؟

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِعِنْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ (٧٢)

﴿و﴾: حرف عطفٍ يفيد هنا الحال ﴿اللَّهُ جَعَلَ﴾: خلق وهياً ﴿لَكُمْ﴾: تخصيصًا وتمليًا ﴿مِنْ﴾: حرف جرٍ وبيان لتمييز النوع يفيد هنا ابتداء الغاية المكانية ﴿أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾: من نعم الله ﷻ أن الزوج والزوجة من جنسٍ وشكلٍ واحدٍ؛ فيحدث الائتلاف، والمودة، والرحمة ﴿وَجَعَلَ﴾: هياً وأوجد ﴿لَكُمْ﴾: تخصيصًا، خلق ﴿مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ﴾: من هذه الأسر الذكور والإناث؛ ليكونوا أزواجًا؛ فيأتي الولد ﴿وَحَفَدَةً﴾: قال ابن عباس: هو ولد الولد، وقال عكرمة: الحفدة من خدمك، من ولدك، وولد ولدك، وقال الضحاك، وابن عباس: كان الأبناء يخدمون الآباء وهم الأصهار، وقال ابن جرير: كلُّ ما قيل هو الحفدة؛ لأنَّ هؤلاء في كنف الوالد ﴿وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾: أيضًا منحكم ما يستمتع به الجسم، وتقبله النفس في المأكَل والمشرب ﴿أ﴾: حرف استفهام بغرض الإنكار والتوبيخ ﴿ف﴾: حرف يفيد السبب ﴿بِالْبَاطِلِ﴾: بسبب الباطل وهي الأنداد، والأصنام، وكلُّ معبودٍ من دون الله ﷻ ﴿يُؤْمِنُونَ﴾: هل يؤمنون

بهؤلاء؟ ﴿وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ﴾: تحديداً ﴿يَكْفُرُونَ﴾: يُغْطُونَ وينكرون نعم الله ﷻ، وينسبونها لغيره.

التكليف: إنّ التفكير في تكوين الأسرة ودورها في المجتمعات؛ قيمة إيمانية، وعملية، وعلمية عظيمة.

﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾  
(٧٣)

﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿يَعْبُدُونَ﴾: يطيعون ويتبعون ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ وبيان لتمييز النوع يفيد هنا ابتداء الغاية المكانية ﴿دُونِ﴾: غير ﴿اللَّهِ﴾: هم المشركون الذين عبدوا مع الله ﷻ غيره ﴿مَا﴾: الذي من جنس غير العاقل ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا﴾: لا تملك أن ترزقهم من رزق، أو طعام، وشراب، ومالٍ ﴿مِنْ﴾: حرف يفيد بداية الغاية المكانية ﴿السَّمَاوَاتِ﴾: هي كلُّ ما علا الأرض، وأحاط بها ﴿وَالْأَرْضِ﴾: أي لا يُنزل ماءً من السماء؛ فيُنبت به الزرع، وتجري به الأنهار ﴿شَيْئًا﴾: ولا أي شيءٍ ﴿وَلَا﴾: حرف نفي ﴿يَسْتَطِيعُونَ﴾: لا يقدرّون على تلبية أيّ طلب.

﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٧٤)

﴿فَلَا﴾: أداة نهية تفيد طلب عدم الفعل ﴿تَضْرِبُوا﴾: تذكروا، تجعلوا مثلاً ﴿اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾: يأمر الله ﷻ الامتناع عن ضرب الأمثال لله ﷻ، جاء اللفظ القرآني "ضرب" على ثلاثة وجوه؛ هنا بمعنى وصف؛ أي لا تصفوا لله ﷻ أندادًا، وأشباهاً، وأمثالاً ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ﴾: إنّه لا إله إلا هو، يعلم ما له من صفات الجلال، والكمال، والعظمة ﴿وَأَنْتُمْ﴾: أيها البشر ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿تَعْلَمُونَ﴾: أنتم والمشركون جاهلون لا تعرفون شيئاً.

﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٧٥)

﴿ضَرَبَ﴾: ذكر ﴿اللَّهُ مَثَلًا﴾: جاء اللفظ القرآني "مثل" على أربعة وجوه؛ هنا بمعنى التشبيه كما في قوله ﷻ ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالَ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر-٢١]، وفي قوله ﷻ ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ

اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿الفتح-٢٩﴾ **﴿عَبْدًا مَمْلُوكًا﴾**: هذا مثل الكافر الذي لا يملك شيئاً **﴿لَا﴾**: حرف نفي **﴿يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ﴾** يكسبه؛ فهو لا يملك شيئاً، وينطبق هذا أيضاً على الأصنام **﴿وَمَنْ﴾**: أيضاً الذي اسم مبهم يصلح للواحد والاثنتين والجمع المذكر والمؤنث **﴿رَزَقْنَاهُ﴾**: وهبه الله الرزق **﴿مِنَّا﴾**: من فضل الله ﷻ **﴿رِزْقًا حَسَنًا﴾**: المرزوق بالرزق الحسن الطيب وهو المؤمن **﴿ف﴾**: حرف يفيد السبب **﴿هُوَ﴾**: ضميرٌ منفصلٌ مرفوعٌ للغائب المفرد المذكر، ويعني هنا المرزوق المؤمن **﴿يُنْفِقُ مِنْهُ﴾**: حرف يفيد التعليل **﴿سِرًّا﴾**: دون علم أحدٍ من الناس **﴿وَجَهْرًا﴾**: هو الذي ينفق، ويتصدق في السر والعلن وهو المؤمن **﴿هَلْ﴾**: حرف استفهام بغرض التشكيك والنفي؛ أي لا **﴿يَسْتَوُونَ﴾**: هل يتساوى المنفق مع ما لا يملك مالا؛ هل يستوي الأحرار والعبيد؟ هل يتساوى الصنم مع الله ﷻ؟! **﴿الْحَمْدُ﴾**: الشكر والفضل **﴿لِلَّهِ﴾**: قل يا أيها النبي، وليقل كلُّ مؤمنٍ: الحمد والشكر والثناء لله ﷻ **﴿بَلْ﴾**: حرف ينفي ما قبله؛ ويؤكد ما بعده **﴿أَكْتَرَهُمْ﴾**: غالبيتهم **﴿لَا﴾**: حرف نفي **﴿يَعْلَمُونَ﴾**: فالفرق بين من ينفق ولا يملك وبين من يؤمن وبين الكافر الذين يمثلون أكثرية جاهلة لا تعلم. ذَكَرَ عُرْوَةَ أَنَّ مَرْوَانَ، وَالْمِسْوَرَ بْنَ مَخْرَمَةَ، أَخْبَرَاهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَامَ حِينَ جَاءَهُ وَقَدْ هَوَّازَنَ، فَسَأَلُوهُ أَنْ يَرُدَّ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَسَبْيَهُمْ، فَقَالَ: إِنَّ مَعِيَ مَن تَرَوْنَ، وَأَحَبُّ الْحَدِيثِ إِلَيَّ أَصْدَقُهُ، فَاخْتَارُوا إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ: إِمَّا الْمَالَ وَإِمَّا السَّبْيَ، وَقَدْ كُنْتُ اسْتَأْنَيْتُ بِهِمْ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ انْتظَرَهُمْ بِضَعِّ عَشْرَةِ أُنْثَى حِينَ قَعَلَ مِنَ الطَّائِفِ، فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ غَيْرُ رَادِّ إِلَيْهِمْ إِلَّا إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ، قَالُوا: فَإِنَّا نَخْتَارُ سَبْيَنَا، فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ فِي النَّاسِ، فَأَتَتْهُ عَلَى اللَّهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ إِخْوَانَكُمْ قَدْ جَاءُونَا تَائِبِينَ، وَإِنِّي رَأَيْتُ أَنْ أُرَدَّ إِلَيْهِمْ سَبْيَهُمْ، فَمَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ أَنْ يُطَيَّبَ ذَلِكَ فَلْيَفْعَلْ، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ عَلَى حَظِّهِ حَتَّى نُعْطِيَهُ إِيَّاهُ مِنْ أَوَّلِ مَا يُفِيءُ اللَّهُ عَلَيْنَا فَلْيَفْعَلْ»، فَقَالَ النَّاسُ: طَيَّبْنَا لَكَ ذَلِكَ، قَالَ: «إِنَّا لَا نَدْرِي مَنْ أَدْرَنَ مِنْكُمْ مِمَّنْ لَمْ يَأْذَنْ، فَارْجِعُوا حَتَّى يَرْفَعَ إِلَيْنَا عُرْفَاؤُكُمْ أَمْرَكُمْ» فَرَجَعَ النَّاسُ، فَكَلَّمَهُمْ عُرْفَاؤُهُمْ، ثُمَّ رَجَعُوا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَأَخْبَرُوهُ: أَنَّهُمْ طَيَّبُوا وَأَدْنُوا، فَهَذَا الَّذِي بَلَّغْنَا عَنْ سَبْيِ هَوَّازِنَ، وَقَالَ أَنَسٌ: قَالَ عَبَّاسٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ: فَادَيْتُ نَفْسِي، وَفَادَيْتُ عَقِيلًا<sup>(١)</sup>.

**﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمٌ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٧٦)**

(١) صحيح البخاري ١٤٧/٣ (٢٥٣٩).

﴿و﴾: أيضًا ﴿ضَرَبَ اللّٰهُ مَثَلًا﴾: مثلاً آخر ﴿رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ﴾: هنا استعارة، واحد منهما، رجلٌ منذ ولادته وهو أخرس، لا يسمع ولا ينطق، هنا استعارة؛ لأنَّ المقصود هو الصنم ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ﴾: لا يستطيع أن يفعل أي شيء لنفسه أو لغيره ﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿هُوَ كَلٌّ﴾: يعيش عبثًا، وكُفَّةً، وعالَةً ﴿عَلَى مَوْلَاهُ﴾: على مالكة وصاحبه ﴿أَيْنَمَا﴾: في أي اتجاه ﴿يُوجِّهُهُ﴾: يُرسله، أو يطلب منه عملاً ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يَأْتِ بِخَيْرٍ﴾: لا ينجح في عمل ﴿هَلْ﴾: حرف استفهام بغرض النفي والتشكيك ﴿يَسْتَوِي﴾ ﴿هُوَ﴾: هل يُعادل في صفاته ويتساوى مع من ﴿وَمَنْ يَأْمُرُ بِ﴾: حرف باء التوكيد ﴿الْعَدْلِ﴾: الذي يسمع، ويعقل، وينطق بالقسط، في قوله، وعمله، مستقيمًا نافعًا ﴿وَهُوَ﴾: ضمير للغائب المفرد المُذَكَّر ﴿عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾: على طريق مستوٍ، لا انحراف فيه، ولا اعوجاج، قال ابن عباس: هذا مثل المؤمن والكافر أيضًا.

سبب النزول: نزلت في رجلٍ من قريشٍ وعبدته مملوكًا: والذي كان على الصراط المستقيم هو عثمان بن عفان، والأبكم هو عبد مولى عثمان الذي كان يُنفق عليه ويعينه، وكان هذا يكره الإسلام، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، فِي قَوْلِهِ: ﴿ضَرَبَ اللّٰهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا﴾ [النحل-٧٥] قَالَ: نَزَلَتْ فِي رَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ وَعَبْدِهِ، وَفِي قَوْلِهِ: ﴿مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمٌ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ﴾ [النحل-٧٦] إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [النحل-٧٦] قَالَ: «هُوَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانٍ» قَالَ: «وَالْأَبْكَمُ الَّذِي أَيْنَمَا يُوَجَّهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ، ذَلِكَ مَوْلَى عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانٍ، كَانَ عُثْمَانُ يُنْفِقُ عَلَيْهِ وَيَكْفُلُهُ وَيَكْفِيهِ الْمُنُونَةَ، وَكَانَ الْآخِرُ يَكْرَهُ الْإِسْلَامَ وَيَأْبَاهُ وَيَنْهَاهُ عَنِ الصَّدَقَةِ وَالْمَعْرُوفِ، فَنَزَلَتْ فِيهِمَا»<sup>(١)</sup>، وقيل إنَّ الأبكم هو أبو جهل - عمرو بن هشام بن المغيرة، وأن الذي يأمر بالعدل هو عمار بن ياسر الذي عدَّبه أبو جهل وقتل أمه سمية أول شهيدة في الإسلام.

﴿وَلِلّٰهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمَحٍ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللّٰهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٧٧)

﴿و﴾: عطفًا على ما سبق؛ اعلّموا أنّ ﴿لِلّٰهِ غَيْبٌ﴾: تخصيصًا وتمليًا علم الغيب، كمال علمه، وقدرته على المخلوقات، يختص ﷻ به لا يشاركه فيه غيره ﷻ التي في ﴿السَّمَاوَاتِ﴾: وهي كلّ ما علا الأرض وأحاط بها لكونها ببيضاوية الشكل ﴿وَالْأَرْضِ﴾: لم يُطلع عليه أحدًا إلّا بأمره، ما كان في السماء، وما غاب في الأرض ﴿وَمَا﴾: حرف نفي ﴿أَمْرٌ﴾: موعِدٌ

(١) تفسير الطبري ٣١٢/١٤ قال د. عبد الملك بن دهبش ٩٢/١٣: إسناده صحيح.

وطبيعة **﴿السَّاعَةِ﴾**: يوم القيامة في سرعة مجيئها **﴿إِلَّا﴾**: حرف استثناء منقطع **﴿ك﴾**: مثل وحال **﴿لَمَحِ الْبَصَرِ﴾**: ما قيام الساعة إلا كظرفة عين، قوله **﴿لَمَحِ﴾** للأمر: كن؛ فيكون **﴿أَوْ﴾**: حرف عطف يساوي بين المتعاطفين **﴿هُوَ أَقْرَبُ﴾**: حتى هو أسرع من طرفة العين، يقول العلم في شأن يوم القيامة: إنه قد يحدث بأحد احتمالين: الأول انفجار الشمس، ولأنها كتلة لهبٍ عظيمة، ستخرج منها ألسنة تصل إلى الأرض؛ فتُهلك كلَّ شيءٍ، وهذا ما قاله القرآن الكريم، وتدُلُّ على ذلك السرعة التي تتم بها، والثاني تناقص أشعة الشمس؛ فتبرد الأرض؛ فتستحيل الحياة، وهذا لا يتطلب سوى نقص كمية الشعاع الشمسي بنسبة (١) % حتى يحدث هذا الدمار، وفي الحديث عَنْ سَهْلِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ هَكَذَا» وَيُشِيرُ بِإِصْبَعَيْهِ فَيَمُدُّ بِهِمَا<sup>(١)</sup>، **﴿إِنَّ﴾**: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار **﴿اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾**: تغيد العموم **﴿شَيْءٍ﴾**: جاءت بصيغة النكرة لتفيد عموم الخلق **﴿قَدِيرٌ﴾**: إن قدرته **﴿لَهُ﴾** على كلِّ شيءٍ بلا استثناء، هي القدرة المطلقة؛ بلا نقصٍ أو ضعفٍ.

**﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (٧٨)**

**﴿و﴾**: عطفًا على ما سبق؛ اعلموا أن **﴿اللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ﴾**: حرف يفيد بداية الغاية المكانية **﴿بُطُونِ﴾**: أرحام **﴿أُمَّهَاتِكُمْ﴾**: هذه حالة توضح مولد الطفل، جزءًا من المعجزات المتعددة التي كشف الطب عن أسرار بعضها؛ تكوين الحيوان المنوي في الرجل، والبويضة في الأنثى، وتوقيت اللقاء بينهما في رحم الأم، ومرحلة النمو من قناة المبيض إلى الرحم، ومرحلة تطورها نطفة، ثم علقه، ثم مضغه، ثم تكوين الطفل في أربعين أسبوعًا، بأسرع من كلِّ عملية نمو، ثم الميلاد، وتهيئة الأم للرضاعة **﴿لَا﴾**: حرف نفي **﴿تَعْلَمُونَ﴾**: لا يعلم المولود **﴿شَيْئًا﴾**: هذا الجهل كان في الزمان السابق، وبقيت أسرار هذا الخلق قائمة رغم ما عُرف حتى اليوم **﴿و﴾**: أيضًا **﴿جَعَلَ﴾**: خلق الله ﷻ **﴿لَكُمْ﴾**: تخصيصًا **﴿السَّمْعَ﴾**: وهي عملية معقدة، تتحول فيها ذبذبات في الهواء إلى طبلة الأذن؛ من حركة تحرك إلى طاقة كهربائية، في عصب السمع، ثم تصل الموجة الكهربائية إلى مركز السمع في المخ ثم تعرف كحالة وعي الإنسان بما قيل **﴿و﴾**: حرف عطف يفيد هنا حال معجزة **﴿الْأَبْصَارَ﴾**: وهي عملية من أعقد العمليات؛ حيث تتحول الرؤية إلى صورة على جدارٍ محجر العين الداخلي الشبكية ثم تسري كموجات كهربائية في أعصاب البصر، إلى المركز في الجزء الخلفي للمخ، وتُترجم في وقتٍ قصيرٍ

<sup>(١)</sup> صحيح البخاري ١٠٥/٨ (٦٥٠٣).

جداً إلى معلومة ﴿وَالْأَفئِدَةَ﴾: هي التي تدرك الحقائق، وهي القلوب التي لا يقف دورها على الحركة الآلية لاستقبال الدم وضخه لباقي الجسم، بل هو مركز الوعي والإدراك والشخصية، وكلها قضايا لا يزال العلم يجتهد؛ ليصل إلى بعض جوانبها، سبق وأن جاء أن الأفئدة هي القلوب، هي مركز الإدراك الحقيقي في الإنسان، وأن أدوات الإدراك المختلفة في جسم الإنسان معها على تواصلٍ عضويٍّ ووظيفيٍّ تامٍّ ﴿لَعَلَّكُمْ﴾: حرف يفيد الإشفاق من الله ﷻ ﴿تَشْكُرُونَ﴾: إنَّ شكر الله ﷻ واجبٌ، وليتأمل الإنسان أنه فقد بصره، أو سمعه، أو أيًّا من باقي النعم؛ فأَيُّ ثمنٍ يمكن أن يُعوضه؟

التكليف: إنَّما الشكر في الرخاء، والطاعة هي الدواء.

﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (٧٩)

﴿أَلَمْ﴾: أداة استفهام بغرض الأمر ﴿يَرَوْا﴾: يشاهدوا ويتأملوا ﴿إِلَى الطَّيْرِ﴾: كلَّ ذي أجنحة يسبح في الهواء سؤال: ألم يلاحظوا مرّةً الطير فوقهم بين السماء والأرض، ألم يحتّم هذا على التفكير والتدبر وهي الطيور ﴿مُسَخَّرَاتٍ﴾: مُذَلَّلَاتٍ للطيران تسير بإرادة الله ﷻ، ﴿فِي جَوِّ السَّمَاءِ﴾ جعل من الجناحين دافعاً للهواء من فوق الطائر، فيخفف ضغط الهواء فوق الطائر؛ فيدفعه الهواء الذي تحته إلى أعلى بقدر ما يرتفع أو ينخفض أو يسير في مستوى واحدٍ ﴿مَا﴾: حرف نفي ﴿يُمْسِكُهُنَّ﴾: يبقين في موقعهن في الهواء ولا يقعن ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿اللَّهُ﴾: إنَّ قدرة الله ﷻ التي سخرها لكلِّ طائرٍ هي التي تجعله يطير، ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿فِي ذَلِكَ﴾ في هذه الظاهرة التي استخدمها العلماء في صناعة الطائرات الضخمة؛ التي تنقل البشر، والبضائع، واستخدموها في الحروب وغيرها ﴿لَآيَاتٍ﴾: جاء اللفظ "آيات" في القرآن الكريم على أربعة وجوه، هنا بمعنى عبرة وعظة ﴿لِقَوْمٍ﴾: تخصيصاً لجماعة من أصلٍ واحدٍ أو أصحاب منهجٍ واحدٍ ﴿يُؤْمِنُونَ﴾: إنَّ التأمل دليل وبرهانٌ لكلِّ إنسانٍ يؤمن، لقد حاكى الإنسان صنع الله بإرادة وعلم الله له، فصنع الطائرة التي تحمل الأطنان من النَّاسِ والبضائع والأسلحة.

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَانًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ﴾ (٨٠)

يُذَكِّرُ الله ﷻ الإنسان بجزءٍ من فضله عليه ﴿و﴾: أيضاً ﴿اللَّهُ جَعَلَ﴾: سخر وهياً ﴿لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا﴾: تملكونها وراحةً واستقراراً مع الأهل، إنَّ بيوت هذا الزمان آياتٌ مبيّئاتٌ على

فضل الله ﷻ، من البيت الصغير، إلى الأبراج، إلى ناطحات السحاب ينام فيها الإنسان بعد تعب، وتهدأ نفسه في أسرته، يستترون فيها من الحر، والبرد، ويُريون فيها أولادهم **﴿وَجَعَلَ﴾**: أيضًا سَحَر **﴿لَكُمْ﴾**: تخصيصًا **﴿مِنْ﴾**: حرف جرّ وبيان لتمييز النوع ويفيد هنا بداية الغاية المكانية **﴿جُلُودِ الْأَنْعَامِ نَبُوتًا﴾**: وكان هذا في العصور الأولى؛ حيث صنع الإنسان من جلد الأنعام، الخيام المُظَلَّات؛ **﴿تَسْتَخْفُونَهَا﴾**: تجدونها خفيفة الحمل، لاستخدامها في سفرهم وفي إقامتهم، يحملونها خفيفة وهم ينتقلون من مكانٍ إلى مكانٍ **﴿يَوْمٍ﴾**: اليوم هنا بمعنى زمن ووقت **﴿ظَعْنِكُمْ﴾**: ترحلكم في الهودج التي تجلس فيه المرأة فوق الدابة مثل الجمل **﴿وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ﴾**: حرف يفيد بداية الغاية المكانية، جزءٍ أو بعضٍ **﴿أَصْوَابِهَا﴾**: إنّ المتأمل لملابس الرجال والنساء الشتوية **﴿وَأُوبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا﴾** وكيف تحولت أصواف و أوبار وشعر الأنعام إلى ملابس غاية في الرقة، والدقة، والمتعة **﴿أَتَانًا﴾**: من مستلزمات البيوت **﴿وَمَتَاعًا﴾**: استمتاعًا بالمال، ووسائل المتاع، والثياب، والحقيقة أوسع؛ فالיום السجاد، والبسط، والثياب، والتجارة **﴿إِلَى حِينٍ﴾**: أجلٍ معلومٍ مكتوبٍ.

**﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمُ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾ (٨١)**

**﴿و﴾**: عطفًا على ما سبق؛ فإنَّ **﴿اللَّهُ جَعَلَ﴾**: سَحَر وهياً **﴿لَكُمْ﴾**: تمليكًا **﴿مِمَّا﴾**: حرف يفيد بعض أو جزء، من الذي **﴿خَلَقَ﴾**: أوجد من غير سابق وجود **﴿ظِلَالًا﴾**: ما تستظلون به من الأشجار وغيرها. قال قتادة: الشجر؛ ولكنَّ المتأمل يرى أنّ ظلَّ الشمس هو الذي يُحدد الليل والنهار، وظلُّ القمر هو الذي يُحدد مواقيت الأيام والشهور، إضافةً إلى فضلِ ظلِّ الشجر الذي سَحَرَهُ اللهُ ﷻ للناس **﴿وَجَعَلَ لَكُمْ﴾**: تخصيصًا و تمليكًا **﴿مِنْ﴾**: جزءًا أو بعضًا **﴿الْجِبَالِ﴾**: حرف يفيد بداية الغاية المكانية **﴿أَكْنَانًا﴾**: كان في الجبال في العصور السابقة بيوتٌ ومغارات، واليوم من الجبال ما يؤخذ منها الحجر الرخام، والصخور، والمواد الحديثة مثل الأسمنت والجير، وهي مواد البناء الحديث **﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ﴾**: وهي الثياب من النباتات والأصواف **﴿تَقِيكُمُ﴾**: تحميكم، وتحفظكم من **﴿الْحَرِّ﴾**: ارتفاع درجة الحرارة **﴿وَسَرَابِيلَ﴾**: الثياب **﴿تَقِيكُمُ بَأْسَكُمْ﴾**: كالدرع، والسيارات، والدبابات، وغيرها **﴿كَذَلِكَ﴾**: مثل هذا **﴿يُنِّمُ﴾**: يُكْمَلُ ويتفضل **﴿نِعْمَتَهُ﴾**: فضله وكرمه **﴿عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ﴾**: حرف يفيد الإشفاق من عند الله **﴿تُسْلِمُونَ﴾**: بعد تعداد نعم الله ﷻ على الإنسان، والتي لا تُحصى، ما على الإنسان إلا أن يؤمن، ويسلم لله ﷻ؛ شاكرًا.



﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ (٨٢)

﴿فَإِنْ﴾: حرف يفيد تأكيد الفعل ﴿تَوَلَّوْا﴾: ابتعدوا وأعرضوا بعد هذا البيان ﴿فَإِنَّمَا﴾: حرف يفيد التحديد والحصر ﴿عَلَيْكَ الْبَلَاغُ﴾: ما عليك سوى أن تبلغهم دعوة الله ﴿الْمُبِينُ﴾: الواضح.

﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾ (٨٣)

﴿يَعْرِفُونَ﴾: يدرك هؤلاء المشركون حقًا ﴿نِعْمَتَ اللَّهِ﴾ عليهم بإرسال محمد ﷺ إليهم ويعرفون فضل الله ﷻ وكرمه عليهم، ومن أفضلها إرسال النبي محمد ﷺ ﴿ثُمَّ﴾: حرف يفيد التتابع الزمني غير السريع ﴿يُنْكِرُونَهَا﴾: يجحدون نبوته وينفون أمام الناس فضل الله ﷻ عليهم، وينسبونه إلى جهدهم، ومهارتهم، ومساعدة أعوانهم لهم ﴿وَأَكْثَرُهُمُ﴾: غالبيتهم العددية هم ﴿الْكَافِرُونَ﴾: كان أكثر قومه من الجاحدين لنبوته، هم الذين يُغطون، ويسترون، وينكرون حقيقة الدين وحقيقة الخالق، وفضل الله ﷻ عليهم.

﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤَدُّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ (٨٤)

﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ﴾: هذا يوم القيامة يرسل الله ﷻ ﴿مِنْ كُلِّ﴾: عموم ﴿أُمَّةٍ﴾: من كل قوم، والأمة هي جماعة من الناس من أصلٍ واحدٍ أو أصحاب مذهبٍ واحدٍ ﴿شَهِيدًا﴾: وهو نبيهم؛ يشهد عليهم: أنه بلغ رسالة الله ﷻ، وأنهم لم يستجيبوا ﴿ثُمَّ﴾: حرف يفيد التتابع الزمني غير السريع؛ هنا دلالة على أن منعهم من الكلام والاعتذار أشدَّ عليهم من شهادة نبيهم؛ أي إنهم يستأذنون ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يُؤَدُّنَ﴾: لا يسمح الله ﷻ ﴿لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾: تخصيصًا للكافرين أن يعتذروا؛ وجاءت الآية توضح في المعنى: ﴿هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ \* وَلَا يُؤَدُّنَ لَهُمْ فَيَعْتَرُونَ﴾ [المرسلات-٣٥، ٣٦] ﴿و﴾: أيضًا ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿هُمْ﴾: تحديدًا للجمع المذكور والمؤنث ﴿يُسْتَعْتَبُونَ﴾: لا يُطلب منهم العتبي، أي الرجوع إلى إرضاء ربهم، يوم يطلبون العودة إلى الدنيا؛ ليعملوا على رفع العتب عنهم؛ بلا استجابة، لقد انتهى يوم العمل، وجاء يوم القيامة، يوم حساب؛ عقابًا؛ أو ثوابًا.

﴿وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفِّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ (٨٥)

﴿وَإِذَا﴾: أداة عطف ما بعدها على ما قبلها ﴿رَأَى﴾: إذا شاهد شهود عيان ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع من ﴿ظَلَمُوا﴾: عندما أشركوا؛ ظلموا أنفسهم، وظلموا أنبياءهم في الحياة الدنيا، وعندما يعاينون ﴿الْعَذَابَ﴾: في يوم القيامة ﴿فَلَا﴾: أداة نهية تفيد طلب عدم الفعل ﴿يُخَفِّفُ﴾: يُنقص ويُقلل ﴿عَنْهُمْ﴾: يطلبون مستعنيين بالله ﷻ أن يُخفف عنهم ولو ساعة

من العذاب الأليم؛ فلا يخفف عنهم ﴿وَلَا﴾: حرف نفي ﴿هُمْ﴾: ضميرٌ منفصلٌ مرفوعٌ للجمع المذكر والمؤنث الغائب؛ للتحديد والتخصيص والتأكيد ﴿يُنظَرُونَ﴾: ولا يؤجل عنهم العذاب، ولا يلغى؛ ولا يُمهلون، بل يأخذهم سريعًا.

﴿وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُو مِنْ دُونِكَ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ (٨٦)

﴿وَإِذَا﴾: أداة ربط ما بعدها بما قبلها ﴿رَأَى﴾: شاهد وعاین وأبصر ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ ﴿أَشْرَكُوا﴾: جعلوا مع الله آلهة تُعبد، يبين الله ﷻ مشهد أهل النار؛ عندما يرى الذين أشركوا بالله ﷻ يوم القيامة ﴿شُرَكَاءَهُمْ﴾: الذين عبدوهم، من الأصنام والأوثان، وهم الكافرون في الدنيا ﴿قَالُوا رَبَّنَا﴾: يا مالك، أمرنا ﴿هَؤُلَاءِ﴾: إشارة للبعيد ﴿شُرَكَائُنَا الَّذِينَ كُنَّا﴾: في الحياة الدنيا ﴿نَدْعُو﴾: نطيع ونعبد ﴿مِنْ﴾: حرف جرٍ وبيان لتمييز النوع يفيد هنا ابتداء الغاية المكانية ﴿دُونِكَ﴾: غيرك، هنا يُلقي المشركون اللوم على من عبدوا، ويتزلفون إلى الله ﷻ بقولهم رَبَّنَا عبدناهم من دونك، ولأنَّ هذا يوم تخاصم أهل النار؛ يرد الآلهة المزيفون المعبدون في الدنيا ﴿ف﴾: حرف يفيد السبب ﴿أَلْقَوْا﴾: وجَّهوا ﴿إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ﴾: كلامهم ﴿إِنَّكُمْ﴾: أنتم بالتأكيد ﴿لَكَاذِبُونَ﴾: حرف اللام يفيد السبب، نحن لم نأمركم أن تعبدونا؛ جاء في المعنى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ [البقرة-١٦٦].

التكليف: إنَّ أكثر أصحاب هذا المشهد في زماننا هم الذين عبدوا الصليبيين واليهود، وعبدوا أصحاب الأفكار التي يسمونها تقدمية، وإنسانية.. فلم تعد عبادة الفرد، أو الحزب لوحدها.

﴿وَأَلْقَوْا إِلَى اللَّهِ يَوْمئِذٍ السَّلْمَ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ (٨٧)

﴿و﴾: عطفًا على هذا ﴿أَلْقَوْا﴾: أظهر المشركون، قال قتادة وعكرمة: ذلَّوا، واستسلموا ﴿إِلَى اللَّهِ يَوْمئِذٍ﴾: يوم القيامة ﴿السَّلْمَ﴾: الاستسلام الكامل والانقياد لله ﷻ جميعًا في هذا اليوم العظيم؛ فلا أحد إلا سامعٌ ومطيعٌ؛ جاء في المعنى: ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾ [طه-١١١]، وتعني أيضًا ذهب وتلاشى ما كانوا يعبدون من دون الله ﷻ، افتراءً عليه؛ فلا ناصر، ولا معين، ولا مجير ﴿وَضَلَّ﴾: غاب وتاه وتكب الطريق ﴿عَنْهُمْ﴾: حرف يفيد المجاوزة ﴿مَا﴾: الذي ﴿كَانُوا﴾: في الحياة الدنيا ﴿يَفْتَرُونَ﴾: يدعون من الأكاذيب، والقول الزور.

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾ (٨٨)

﴿الذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ ﴿كَفَرُوا﴾: الذين غَطَّوا حقائق الإيمان ﴿وَصَدُّوا﴾: منعوا النَّاسَ ﴿عَنْ﴾: حرف جر يفيد المجاوزة ﴿سَبِيلِ﴾: طريق الإيمان ب ﴿اللَّهِ﴾: أن يعبد الناس الله ﷻ وحده، ومنعوه من التصديق بالرسول؛ فإن نصيبهم اليوم ﴿زِدْنَاهُمْ﴾: زاد الله ﷻ لهم الشديد أكثر ﴿عَذَابًا فَوْقَ﴾: إضافة على ﴿الْعَذَابِ﴾: هذا يعني أنَّ العذاب تتفاوت شدته يوم القيامة كما تتفاوت درجات الجنة؛ فالذين تحمَّلوا عبء منع النَّاسِ عن الإيمان لهم عذابٌ أكبر، جاء في المعنى: ﴿قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٍ﴾ [الأعراف-٣٨] ﴿بِمَا﴾: اسم موصول هنا بمعنى الذي ﴿كَانُوا﴾: في الحياة الدنيا ﴿يُفْسِدُونَ﴾: غيروا طبيعة العلاقة بين الخلق وخالقهم؛ فأفسدوها؛ لأنهم إضافة إلى كفرهم، منعوا الناس أن يؤمنوا، وبذلك أفسدوا كلَّ عملٍ وكلَّ طاعةٍ وكلَّ ثوابٍ.

﴿وَيَوْمَ نَبِّئُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ (٨٩)

﴿وَيَوْمَ نَبِّئُ﴾: نُرسل ونكلف ﴿فِي﴾: هنا بمعنى من ﴿كُلِّ﴾: تعيد العموم ﴿أُمَّةٍ﴾: قوم، جماعةٍ من أصلٍ عرقيٍّ واحدٍ ﴿شَهِيدًا عَلَيْهِمْ﴾: يخاطب الله ﷻ رسوله ﷺ كما بعثنا في كلِّ أُمَّةٍ رسولًا يشهد أنه بلغ رسالته، ويشهد على قومه لمن آمن، ولمن كفر، ويخصُّ بالثناء محمدًا ﷺ: ﴿مِنْ﴾: حرف جرٍ وبيان لتمييز النوع يفيد هنا ابتداء الغاية المكانية ﴿أَنْفُسِهِمْ﴾: المعروف نسبه في قومه، من عائلات معروفة في القوم، ليس غريبًا عنهم، وليس من جنسٍ آخر، كجنس الملائكة ﴿وِ﴾: عطفًا على هذا ﴿جِئْنَا بِكَ﴾: أحضرنالك ﴿شَهِيدًا﴾: تخصيصًا وتفضيلًا لمحمدٍ ﷺ ﴿عَلَى هَؤُلَاءِ﴾: هي أُمَّةُ العرب في قريشٍ والجزيرة العربية ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾: القرآن الكريم ﴿تِبْيَانًا﴾: إظهارًا، وتوضيحًا ﴿لِكُلِّ﴾: حرف اللام للتخصيص، تعيد العموم ﴿شَيْءٍ﴾: جاءت بصيغة نكرة لتؤكد العموم، قال ابن مسعود: بيّن الله ﷻ في القرآن الكريم كل علم، وهو لفظ نكرة يفيد كلَّ شيءٍ فهو شامل، وقال مجاهد: كلُّ حلالٍ، وكلُّ حرامٍ ﴿وَهُدًى﴾: أيضًا دليلًا ومنازة للقلوب ﴿وَرَحْمَةً﴾: في الدنيا، حتى ولو كان هناك ابتلاء؛ فالعاقبة للمتقين ﴿وَبُشْرَى﴾: وهي الأخبار بما يسرُّ ويفرحُ بنصرٍ في الدنيا، حتى مع الابتلاء، وبشري بالجنة يوم القيامة ﴿لِلْمُسْلِمِينَ﴾: الذين أسلموا أمرهم لله ﷻ؛ فأطاعوه، وعملوا بما أنزل ﷻ، وبسنة رسوله ﷺ.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالنَّبْغِي يَعِظْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (٩٠)

﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿اللَّهُ يَأْمُرُ﴾: وأمره واجب النفاذ ﴿بِالْعَدْلِ﴾: بالقسط، وعدم الظلم، وقال ابن عباس: العدل هو شهادة أن لا إله إلا الله، وقال سفيان بن عيينة: العدل في هذا الموضع هو استواء السريرة والعلانية من كل عامل لله عملاً عينية: ﴿وَالْإِحْسَانَ﴾: إتقان العمل ونفع الخلق ﴿وَإِيْتَاءٍ﴾: يأمر أيضاً بالإعطاء والإحسان ﴿ذِي﴾: أصحاب ﴿الْقُرْبَى﴾: صلة الأرحام؛ جاء في المعنى: ﴿وَأَتِذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ [الإسراء-٢٦] ﴿وَيَنْهَى﴾: يُحْرِمُ ﴿عَنِ﴾: حرف جر يفيد المجاوزة ﴿الْفَحْشَاءِ﴾: الفواحش هي الذنوب المفرطة في القبح من المحرمات ﴿وَالْمُنْكَرِ﴾: الجرائم المحرمة التي تظهر من فاعلها؛ جاء في المعنى: ﴿حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ﴾ [الأعراف-٣٣] ﴿وَو﴾: أيضاً حرّم الله ﷻ ﴿الْبَغْيِ﴾: هنا بمعنى التناول، والتجبر، وظلم الناس ﴿يُعِظُكُمْ﴾: يأمركم بما أمر من الخير، وينهاكم عما نهاكم من الشر ﴿لَعَلَّكُمْ﴾: حرف إشفاق من الله ﷻ على عباده ﴿تَذَكَّرُونَ﴾: قال ابن مسعود: إن أجمع آية في القرآن جاءت في سورة النحل: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾. هنا نلاحظ نمط المقابلة ثلاثة بثلاثة حيث جمع الله ﷻ بين الأمر بثلاثة، وهي العدل، والإحسان، وإيتاء ذي القربى، ونهى ﷻ عن ثلاثة، وهي الفحشاء، والمنكر، والبغي.

التكليف: ولأن الأمر هنا، وهو النعم داخل في المقابلة لا يفهم الإنسان أنه من قبيل المقابلة ثلاثة بثلاثة. عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ» قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً، قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطْرُ الْحَقِّ، وَغَمَطُ النَّاسِ»<sup>(١)</sup>.

﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يُعَلِّمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ (٩١)

﴿و﴾: أيضاً إن الله ﷻ يأمركم أن ﴿أَوْفُوا﴾: حققوا، ونفذوا، وطبقوا ﴿ب﴾: حرف باء المصاحبة ﴿عَهْدٍ﴾: ميثاق ووعد ﴿اللَّهُ إِذَا﴾: حرف عطف ما بعدها على ما قبلها ﴿عَاهَدْتُمْ﴾: هنا أمر رباني بالوفاء بما جرى التعاقد عليه، فهذه من سمات الإيمان المؤكدة في العهود والمواثيق ﴿وَلَا﴾: أيضاً ينهاكم الله ﷻ أن ﴿تَنْقُضُوا﴾: لا تخلفوا ﴿الْأَيْمَانَ﴾: تعني الحلف، أي حلف الجاهلية المسابق ﴿بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾: بعد تثبيتها، يؤكد ذلك ما جاء عن عمرو بن شعيب، عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: المسلمون تتكافأ دِمَاؤُهُمْ: يَسْعَى

(١) صحيح مسلم ٩٣/١ (٩١).

بذمتهم أذناهم، ويُجِيرُ عليهم أقصاهم، وهم يَدُّ على مَنْ سِوَاهُمْ.<sup>(١)</sup> عن جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَا حِلْفَ فِي الْإِسْلَامِ، وَأَيُّمَا حِلْفٍ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ لَمْ يَزِدْهُ الْإِسْلَامُ إِلَّا شِدَّةً<sup>(٢)</sup>. قَالَ عَاصِمُ الْأَحْوَلُ: قِيلَ لِأَنْسِ بْنِ مَالِكٍ بَلَّغَكَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «لَا حِلْفَ فِي الْإِسْلَامِ؟» فَقَالَ أَنْسُ: «قَدْ خَالَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ فُرَيْشٍ، وَالْأَنْصَارِ فِي دَارِهِ»<sup>(٣)</sup>، ﴿وَقَدْ﴾: حَرْفٌ جَرٌّ يُفِيدُ هُنَا التَّحَقُّقَ بِالتَّأَكِيدِ لِأَنَّهُ وَقَعَ عَلَى الْفِعْلِ الْمَاضِي ﴿جَعَلْتُمْ﴾: اعْتَمَدْتُمْ ﴿اللَّهُ عَلَيْنَكُمْ كَفِيلًا﴾: شَاهِدًا، وَرَقِيبًا، وَضَامِنًا ﴿إِنَّ﴾: حَرْفٌ تَأَكِيدُ وَنَفِي الشُّكِّ وَالْإِنْكَارِ ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا﴾: الَّذِي ﴿تَفْعَلُونَ﴾: هَذِهِ كَلِمَاتٌ تَهْدِيدٌ وَوَعِيدٌ لِمَنْ نَقَضَ الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا، وَلَيْسَ مُجْرَدَ إِخْبَارٍ أَنَّهُ ﷺ يَعْلَمُ.

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَقَصَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلِيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾  
(٩٢)

﴿وَلَا﴾: بِمَعْنَى مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ، نَهَى عَنِ فِعْلِ ﴿تَكُونُوا﴾: تَصِيرُوا، وَتَصْبَحُوا ﴿ك﴾: مِثْلُ ﴿الَّذِينَ﴾: اسْمٌ مُوصُولٌ بِالْفَرْدِ الْمُؤَنَّثِ ﴿نَقَصَتْ﴾: هَدَمَتْ ﴿غَزْلَهَا﴾: هُنَا تَشْبِيهُ تَمَثِيلِي شَبِهَ اللَّهُ ﷻ مِنْ يُعْطِي عَهْدًا ثُمَّ يَنْقُضُهُ كَالْمَرْأَةِ الَّتِي غَزَلَتْ ثَوْبًا أَوْ فَرَاشًا ثُمَّ نَقَضَتْهُ، وَمِثْلُهُ مَا يُصْنَعُ بِالْغَزْلِ ﴿مِنْ﴾: حَرْفٌ جَرٌّ وَبَيَانٌ لِتَمْيِيزِ النَّوْعِ يُفِيدُ هُنَا ابْتِدَاءَ الْغَايَةِ ﴿بَعْدَ قُوَّةٍ﴾: إِبْرَامٌ وَإِحْكَامٌ هِيَ مِثْلُ نَقْضِ الْعَهْدِ بَعْدَ تَوْكِيدِهِ ﴿أَنْكَاثًا﴾: جَعَلْتَهُ أَنْقَاصًا، قِطْعًا مُفَكِّكَةً لَا تَرْجِعُوا فِي عَهْدِكُمْ فَيَكُونُ مِثْلَكُمْ مِثْلُ امْرَأَةٍ غَزَلَتْ غَزْلًا وَأَحْكَمْتَهُ، ثُمَّ نَقَضْتَهُ، لَا تَرْجِعُوا فِي عَهْدِكُمْ ﴿تَتَّخِذُونَ﴾: تَعْتَمِدُونَ مِنْ ﴿أَيْمَانِكُمْ﴾: حَلْفِكُمْ وَعَهْدِكُمْ ﴿دَخَلًا﴾: خَدِيعَةً، وَمَكْرًا، وَحِيلًا وَمُفْسَدَةً وَخِيَانَةً ﴿بَيْنَكُمْ﴾: فِي عِلَاقَاتِكُمْ مَعَ بَعْضِ ﴿أَنْ﴾: حَرْفٌ تَأَكِيدُ الْفِعْلَ، بِمَعْنَى أَنْ ﴿تَكُونَ أُمَّةٌ﴾: جَاءَ اللَّفْظُ الْقُرْآنِيُّ "أُمَّةٌ" فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ عَلَى تِسْعَةِ وُجُوهِ؛ هُنَا بِمَعْنَى قَوْمٍ ﴿هِيَ أَرْبَى﴾: أَعَزُّ وَأَوْفَرٌ مَالًا، وَأَكْثَرُ عَدَدًا ﴿مِنْ أُمَّةٍ﴾: بِمَعْنَى أَنْ يَكُونَ قَوْمٌ كَقَارٍ أَكْثَرُ عَدَدًا مِنْكُمْ؛ فَتَحَلَّفُوا لَهُمْ لِيَطْمَئِنُوا إِلَيْكُمْ، حَتَّى إِذَا تَقَوَّيْتُمْ عَلَيْهِمْ؛ غَدَرْتُمْ بِهِمْ، أَوْ حَالَفْتُمْ غَيْرَهُمْ مِمَّنْ هُوَ أَكْثَرُ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَعَزُّ مَكَانَةً ﴿إِنَّمَا﴾: أَدَاةٌ حَصَرَ مَرْكَبَةَ تَفِيدُ التَّحْدِيدَ وَالتَّخْصِيسَ ﴿يَبْلُوكُمُ﴾: يَخْتَبِرُكُمْ ﴿اللَّهُ بِهِ﴾: بِذَلِكَ الْعَهْدِ وَالْوَفَاءِ بِهِ ﴿وَلِيُبَيِّنَنَّ﴾: يُظْهِرُ وَيُوضِحُ أَيْضًا بِالتَّأَكِيدِ ﴿لَكُمْ﴾: تَخْصِيسًا ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾: يُظْهِرُ وَيُخْرِجُ اللَّهُ ﷻ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿مَا﴾: الَّذِي

<sup>(١)</sup> اسنن أبي داود ٣٧٩/٤ (٢٧٥١) قال الأرناؤوط: صحيح لغيره.

<sup>(٢)</sup> سنن أبي داود ٥٥٠/٤ (٢٩٢٥) قال الأرناؤوط: إسناده صحيح.

<sup>(٣)</sup> صحيح مسلم ١٩٦٠/٤ (٢٥٢٩).

**﴿كُنْتُمْ﴾**: في الحياة الدنيا **﴿فِيهِ﴾**: في الذي **﴿تَخْتَلِفُونَ﴾**: يكون الحكم الفصل بين المختلفين في الإيمان والكفر؛ فيجازي من عمل ومن لم يعمل بأمر الله ﷻ.

**التكليف**: يوجد في هذا العصر موثيق حقوق الإنسان، وهي من الأمثلة الكبيرة التي تنطبق عليها معاني هذه الآية الكريمة، لكنّ الوقائع العملية شاهدة على مخالفة المجتمعات غير المسلمة لها عند تطبيقها على المسلمين، فقتل المسلم، والانتقال على عهوده، وموثيقه؛ لا تحرك لهذه المنظمات ساكنًا، وإذا مسّ اليهود أو النصارى شيءٌ نصبوا المشانق لمن يخالف حقوق الإنسان بزعمهم.

**﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلِنَسْأَلَنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٩٣)**

**﴿وَلَوْ﴾**: حرف يفيد هنا النفي **﴿شَاءَ﴾**: لو أراد **﴿اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً﴾**: جماعة أصحاب ملّة واحدة، وهي الإسلام **﴿وَاحِدَةً﴾**: متفقة على الحق، ما جعل اختلافات بينكم، ولا تبغض، ولا شحناء **﴿وَلَكِنْ﴾**: حرف عطف واستدراك **﴿يُضِلُّ﴾**: من التيه والضياح **﴿مَنْ﴾**: جنس العاقل **﴿يَشَاءُ﴾**: يترك منكم من يضلّ عن سبيله **﴿وَيَهْدِي﴾**: ويُسهّل هداية ورشاد **﴿مَنْ يَشَاءُ﴾**: من رغب وأراد **﴿وَلِنَسْأَلَنَّ﴾**: تحاسبون بالتأكيد **﴿عَمَّا﴾**: عن الذي من غير جنس العاقل **﴿كُنْتُمْ﴾**: في الحياة الدنيا **﴿تَعْمَلُونَ﴾**: والسؤال لوصف حالة التوبيخ من الله ﷻ وحالة ندمهم يوم القيامة يحاسب كل مجرم على جريمته، ويُحسنُ إلى كل محسن بما يستحق ويسأل سؤال توبيخ وليس سؤال تفهم.

**التكليف**: إنّ الله ﷻ بعلمه كتب ما سيفعل البشر؛ فمنهم من سيضل، ومنهم من سيهتدي، وسيحاسب الجميع على أفعالهم وأعمالهم؛ فينجو المؤمن ويقع الكافر في الندم والحسرة.

**﴿وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (٩٤)**

**﴿وَلَا﴾**: عطفًا على ما سبق **﴿لَا﴾**: حرف تحريم **﴿تَتَّخِذُوا﴾**: تحذير من اعتماد واستخدام **﴿أَيْمَانَكُمْ﴾**: الحلف والقسم **﴿دَخَلًا﴾**: خديعة ومكرًا، وحيلاً **﴿بَيْنَكُمْ﴾**: في المعاملات، والاتفاقيات وغيرها **﴿ف﴾**: حرف يفيد السبب، وقيل لا تنقضوا أيمان بيعتكم التي بايعتموها لرسولكم ﷺ بنصرة الإسلام **﴿تَزِلَّ﴾**: تضطرب ولا تثبت **﴿قَدَمٌ﴾**: هنا كناية عن الرسوخ في الدين والتمكّن فيه؛ لأنّ ثبوت الجسم كلّه بثبوت الأقدام، والمقصود ما يقف عليها الإنسان عن محاجة الإسلام، المثال يعني الانزلاق المعنوي والحسي؛ دليل مبالغة في النهي **﴿بَعْدَ﴾**

**ثُبُوتَهَا**: هنا مبالغة في النهي، هذا مثل القدم التي كانت ثابتة على أرض ثابتة؛ فحادثت وتاهت، وتعني الحياد عن الاستقامة؛ بطريق الاستعارة **﴿و﴾**: عطفاً على ما سبق؛ تكون عاقبتها **﴿تَدُوْفُوا﴾**: والذوق أصله بوجود قليل من الطعام في الفم لمعرفة الطعم، هنا بمعنى اصلوا، وعانوا، وقاسوا **﴿السُّوء﴾**: تعانون وتقاسون الشر، والضرر، ونتائج السيئ من الفعل، والقول، وهو الكفر **﴿بِمَا﴾**: اسمٌ موصولٌ هنا بمعنى الذي **﴿صَدَدْتُمْ﴾**: منعتم **﴿عَنْ﴾**: حرف جرّ يفيد المجاوزة **﴿سَبِيل﴾**: دين **﴿اللَّهِ﴾**: إذا رأى الكافر أنّ المؤمن قد غدر بعهده، ولم يحفظ ميثاقه؛ فسوف يكره الإسلام، ويصدّ عنه، ويبتعد عن الإسلام والإيمان **﴿وَلَكُمْ﴾**: تخصيصاً **﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾**: شديد الإيلام والوجع.

التكليف: تكاد هذه الآية تغطي وجه العالم الإسلامي اليوم، من حكام وحكومات، وأحزاب وأدعياء بممارستهم لكلّ الجرائم باسم الإسلام، ويزين لهم شيوخ وفقهاء السلاطين المجرمين؛ فشوهوا الإسلام، وصدّوا الناس عنه.

**﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ تَمَنَّا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٩٥)**

**﴿وَلَا﴾**: ومحرمٌ عليكم أن **﴿تَشْتَرُوا﴾**: نهى الله ﷻ عن بيع الآخرة، والبيع هو إعطاء الشيء المثلث وأخذ الثمن استبدال الإيمان بالله ﷻ الذي هو **﴿بِعَهْدٍ﴾**: حرف الباء يفيد المصاحبة، العهد أي الميثاق **﴿اللَّهِ﴾**: الإيمان بالله والتزام أوامره **﴿تَمَنَّا قَلِيلًا﴾**: مقابل ثمن بخسٍ، وقليل، وحقيرٍ مقارنةً بنعيم وجزاء الله ﷻ في الآخرة **﴿إِنَّمَا﴾**: أداة حصرٍ مركبةٌ تفيد التحديد والتخصيص **﴿عِنْدَ﴾**: ظرف زمان، وظرف مكان، ما أعدّه الله ﷻ له في الآخرة **﴿اللَّهُ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾**: لو حيزت لابن آدم الدنيا كلّها؛ لكان ما عند الله ﷻ خيراً من كلّ ذلك **﴿إِنْ﴾**: حرف شرطٍ **﴿كُنْتُمْ﴾**: في الحياة الدنيا **﴿تَعْلَمُونَ﴾**: فاعلموا هذه الحقائق إن كنتم لا تعلمون، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ صَبْرٍ، يَقْتَطِعُ بِهَا مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضَبَانُ» فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَصْدِيقَ ذَلِكَ: **﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ تَمَنَّا قَلِيلًا﴾** [آل عمران-٧٧] إلى آخر الآية<sup>(١)</sup>.

**﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾**

(٩٦)

**﴿مَا عِنْدَكُمْ﴾**: من مالٍ، وعيالٍ، وجاهٍ، وسلطانٍ، وكلّ متاع الدنيا **﴿يَنْفَدُ﴾**: يزول وينتهي يفرغ، ويذهب، وينتقص؛ مهما كثر؛ فكلّ شيءٍ أجل، إذا جاء لا يتأخر لحظة **﴿وَمَا﴾**: أيضاً

(١) صحيح البخاري ١٣٧/٨ (٦٦٦٦).

الذي **عِنْدَ**: حرف ظرف زمان ومكان **اللَّهِ**: ما كتبه الله ﷻ **بَاقٍ**: ثواب العمل والقول باقٍ في الجنة، لا ينقطع ولا ينفد **و**: عطفًا على هذا **ل**: حرف سبب **نَجْرَيْنَ**: نكافئ بالتأكيد بصيغة الجمع لتفيد التعظيم **الَّذِينَ**: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ **صَبَرُوا**: على ما قاسوا في سبيل الله **أَجْرَهُمْ**: ثوابهم **ب**: حرف باء توكيد **أَحْسَنَ مَا**: الذي **كَانُوا يَعْمَلُونَ**: صيغة توكيد ربّانية أنه ﷻ سيكافئ ويجازي الصابرين أجرهم، وهو قسمٌ مؤكدٌ بلام التوكيد بجزء الصابرين أجرهم، وغفران ذنوبهم.

**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾**

**مَنْ**: الذي من جنس العاقل **عَمِلَ صَالِحًا**: هذا وعد الله ﷻ لمن عمل صالحًا في الحياة الدنيا؛ وفق كتاب الله ﷻ، وسنة رسوله ﷺ **مَنْ**: حرف جرّ وبيان لتمييز النوع يفيد هنا ابتداء الغاية المكانية وهي **ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى**: حرف عطف يفيد التسوية بين متعاطفين **أَنْثَى**: من دون تمييز بين رجلٍ وامرأةٍ **وَهُوَ**: ضمير يفيد الفرد المذكر **مُؤْمِنٌ**: وقلبه مطمئنٌ بالله ﷻ وبرسوله **ف**: حرف يفيد ربط جواب الشرط بهدف ترتيب الأمر ويفيد السرعة في التنفيذ **ل**: حرف واقع في جواب القسم **نُحْيِيَنَّهٗ**: نجعل حياته في الدنيا **حَيَاةً طَيِّبَةً**: سعيدة مطمئنة ولو كان فقيرًا، يستمتع بها الجسم، وتقبلها النفس. عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ ﷻ: **مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً** [النحل-٩٧] قَالَ: الرِّزْقُ الطَّيِّبُ فِي الدُّنْيَا، وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ فِي الْآخِرَةِ<sup>(١)</sup>، وقال أيضًا وغيره: السعادة، وقال مجاهد وقتادة: لا يطيب لأحدٍ حياةٍ إلّا في الجنة، وقال مجاهد: الرزق الحلال **و**: أيضًا **لَنَجْزِيَنَّهُمْ**: وفي الآخرة نكافئهم ثوابًا بأحسن ما عملوا، تأكيدًا **أَجْرَهُمْ**: ثوابهم **ب**: حرف باء المجاوزة **أَحْسَنَ**: أكثر وأفضل **مَا**: الذي **كَانُوا**: في الحياة الدنيا **يَعْمَلُونَ**؛ يؤكد الحق ﷻ أنه سيكرمهم في الآخرة؛ جزاء عملهم.

**فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾**

**فَإِذَا**: حرف مفاجأة وأمر يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط ما بعدها بما قبلها **قَرَأْتَ الْقُرْآنَ**: أمر نذب من الله ﷻ وليس واجبًا؛ لعباده على لسان محمد ﷺ، الذي شرفه الله ﷻ بنزول القرآن عليه، لكلٍ ذكرٍ وأنثى من بني آدم **فَاسْتَعِذْ**: قل أعوذ؛ أي ألوذ وألتجئ **بِاللَّهِ**: أطلب الحماية والعون من الله ﷻ، وألتجئ لحماه **مِنْ**: حرف يفيد بداية الغاية

(١) الزهد لأبي داود ص ٢٩٧ (٣٤٢).



المكانية **﴿الشَّيْطَانِ﴾**: إبليس لعنه الله **﴿الرَّجِيمِ﴾**: جاء اللفظ القرآني "الرجيم" على خمسة وجوه؛ هنا بمعنى الملعون، وجاء بمعنى الظن في قوله **﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةً رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةً سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةً وَتَأْمِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَّا يَظُنُّهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾** [الكهف-٢٢]، وبمعنى الرجم بالحجارة في قوله **﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ﴾** [الملك-٥]، وبمعنى الشتم في قوله **﴿قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لئن لَمْ تَنْتَهَ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾** [مريم-٤٦]، وبمعنى القتل في قوله **﴿قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لئن لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾** [يس-١٨]، وفي قوله أيضا **﴿وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ﴾** [الدخان-٢٠]، وفي قوله **﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾** [هود-٩١].

التكليف: جاء اللفظ قرأت مجازًا مُرسلاً، بمعنى إذا أردت قراءة القرآن فاستعذ بالله **﴿اللَّهُ﴾**.

**﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (٩٩)**

**﴿إِنَّهُ﴾**: الشيطان الرجيم بالتأكيد **﴿لَيْسَ﴾**: فعل ماضٍ ناقص؛ يفيد النفي **﴿لَهُ﴾**: ملك، أو سطوة أو **﴿سُلْطَانٌ﴾**: قال الثوري: ليس للشيطان على الذين آمنوا تسلط، أو يوقعهم في ذنبٍ لا يتوبون منه، وقيل لا حجة له **﴿عَلَى الَّذِينَ﴾**: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع من **﴿آمَنُوا﴾**: إيماناً راسخاً **﴿و﴾**: عطفًا على ما سبق **﴿عَلَى رَبِّهِمْ﴾**: مالك أمرهم كله **﴿يَتَوَكَّلُونَ﴾**: يعتمدون بعد الأخذ بالأسباب.

**﴿إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ (١٠٠)**

**﴿إِنَّمَا﴾**: أداة حصرٍ مركبة، تفيد التحديد والتخصيص **﴿سُلْطَانُهُ﴾**: تسلطه وسيطرته **﴿عَلَى الَّذِينَ﴾**: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع من **﴿يَتَوَلَّوْنَهُ﴾**: على الذين يحبونه، ويطيعونه، ويناصرونه **﴿وَالَّذِينَ هُمْ﴾**: تحديدًا **﴿بِهِ﴾**: حرف باء السببية؛ هنا تعني بالشيطان **﴿مُشْرِكُونَ﴾**: هم الذين أشركوه في العبادة، أي أطاعوه؛ وصاروا بسببه مشركين.

**﴿وَإِذَا بَدَأْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنزِلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١٠١)**

**﴿وَإِذَا﴾**: أداة تربط ما بعدها بما قبلها **﴿بَدَأْنَا﴾**: غير الله **﴿آيَةً﴾**: دليلاً أو حجة وبرهاناً **﴿مَكَانَ﴾**: بدل **﴿آيَةٍ﴾**: إذا نُسخَت آيةٌ بأخرى، وتغيرت الأحكام، **﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ﴾**: صاحب

العلم الكلى المطلق ﴿بِمَا﴾: اسم موصول هنا بمعنى الذي ﴿يُنَزَّلُ قَالُوا﴾: وهذا علم الله ﷻ، وإرادته، وحكمه، قال مجاهد معناها: وأثبتنا غيرها، وقال: أصحاب العقول السخيفة، والقلوب القاسية ﴿إِنَّمَا﴾: حرف تخصيص وتحديد ﴿أَنْتَ﴾: يا محمد ﴿مُفْتَرٍ﴾: كذاب؛ افتريت بالتبديل ﴿بَلْ﴾: حرف ينفي ما قبله؛ ويؤكد ما بعده ﴿أَكْثَرَهُمْ﴾: غالبيتهم ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يَعْلَمُونَ﴾: إنَّ الجهل هو مرض الكافرين، ولو علموا؛ لأدركوا حقيقة الإيمان.

﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ (١٠٢) ﴿قُلْ﴾: لهم يا محمد ﷺ أمرٌ من الله ﷻ لكل مسلم أن يصدق ﴿نَزَّلَهُ﴾: جاء بالقرآن من عند الله ﷻ، والتنزيل كما هو من معنى الكلمة كان تدريجيًا بحسب الحوادث والمصالح وبالتالي التشريعات ﴿رُوحُ الْقُدُسِ﴾: حملة تكليفيًا، الروح المطهر جبريل ﷺ؛ جاء في قوله ﷻ: ﴿نَزَّلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ [الشعراء-١٩٣] ﴿مِنْ﴾: حرف جرٍ وبيان لتمييز النوع يفيد هنا ابتداء الغاية وهي بعض أوامر ونواهي ﴿رَبِّكَ﴾: هو المُعبود، والمُربي، وهو المنشئ للكون بمن وبما فيه من حالٍ إلى حالٍ؛ إلى حدِّ التمام، وهو الخالق، والمالك، والعاطي، وكثيرُ الخير، والمُحيط، والمُدبِّر، والجابِرُ لكسر البرايا، والثابت، والقريبُ، والجامعُ، والمصلحُ، والسيدُ، ليس من عند محمد ﷺ بل نزل به جبريلُ ﷺ من الله، ﷻ ﴿بِ﴾: حرف باء الصلة والتوكيد ﴿الْحَقِّ﴾: بالصدق والعدل، وليس افتراءً من محمد ﷺ أو من أحدٍ غيره ﴿لِ﴾: حرف يفيد السبب ﴿يُثَبِّتُ﴾: يربط على قلب ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ ﴿آمَنُوا﴾: يُصدِّقون بما أنزل جبريل ﷺ، أولًا وثانيًا؛ فتطمئن القلوب وتخبث ﴿وَهْدًى﴾: دليل ونور ﴿وَبُشْرَى﴾: أيضًا ما يُفرح النفس ﴿لِ﴾: تخصيصًا ﴿الْمُسْلِمِينَ﴾: بشارة خيرٍ، للذين آمنوا بالله تعالى ورسوله ﷺ.

﴿وَلَقَدْ نَعَلُمْ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ (١٠٣)

﴿وَلَقَدْ﴾: حرف جرٍ يفيد الشك واحتمال التوقع؛ لأنها دخلت على الفعل المضارع عند البشر ولكن لا تخفى على الله ﷻ ﴿نَعَلُمْ﴾: يخبر الله ﷻ نبيه ﷺ أنه يعلم ﴿أَنَّهُمْ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك ﴿يَقُولُونَ﴾: هم المشركون ﴿إِنَّمَا﴾: حرف يفيد التحديد والتخصيص ﴿يُعَلِّمُهُ﴾: قالوا إن الذي يُعلم محمدًا ﷺ ﴿بَشَرٌ﴾: رجل، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ [النحل-١٠٣] قالوا: إِنَّمَا يُعَلِّمُ مُحَمَّدًا عَبْدُ بَنِي الْحَضْرَمِيِّ وَهُوَ صَاحِبُ الْكُتُبِ. فَقَالَ اللَّهُ ﴿لِّسَانُ الَّذِي

يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِي وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكُذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ<sup>(١)</sup>، ﴿لِسَانٌ﴾: جاء التعبير هنا عن اللسان باللغة والكلام؛ لأنَّ العرب تستعمل لفظ اللسان بمعنى اللغة، كما جاء: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِسَانٌ قَوْمِهِ﴾ [إبراهيم-٤] ﴿الَّذِي﴾: اسمٌ موصولٌ للمفرد المذكر ﴿يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ﴾: يميلون، وينسبون إليه، أنه يعلمه، إن لغة هذا الغلام ﴿أَعْجَمِي﴾: غير عربية؛ فكيف يُعلم الرسول ﷺ العربية الفصيحة وهو لا يجيد هذه اللغة؟ ﴿وَهَذَا﴾: اسم موصول للمفرد، أي لغة القرآن ﴿لِسَانٌ﴾: لغة هذا الإنسان ﴿عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾: هي اللغة العربية الفصحى بكل ما فيها من إعجازٍ لغوي.

﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١٠٤)

﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع من ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يُؤْمِنُونَ بِ﴾: حرف باء السببية ﴿آيَاتِ﴾: الأدلة، والبراهين ﴿اللَّهُ﴾: الذين ليس في قصدهم ونياتهم أن يؤمنوا؛ الذين لا يحددون مصيرهم ﴿لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ﴾: لا يدلهم على الطريق الحق، ولا يساعدهم الله ﷻ على الإيمان مهما نزل من البراهين ﴿و﴾: عطفًا على كفرهم ﴿لَهُمْ﴾: تحديداً وتخصيصاً ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: هؤلاء أصحاب العذاب شديد الوجع في الآخرة.

﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكُذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ (١٠٥)

﴿إِنَّمَا﴾: حرف يفيد التحديد والتخصيص ﴿يَفْتَرِي﴾: يختلق ﴿الْكَذِبَ﴾: هؤلاء الذين يكذبون على الله ﷻ ورسوله ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع من ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يُؤْمِنُونَ﴾: هم يكفرون ﴿بِ﴾: حرف باء السببية ﴿آيَاتِ﴾: البراهين، والحقائق الدالة على ﴿اللَّهُ﴾: لا تؤثر فيهم الأدلة والبراهين على صدق رسالة الإسلام ﴿و﴾: عطفًا على ما جاء هنا ﴿أُولَئِكَ﴾: اسم إشارة القريب والبعيد ﴿هُمُ﴾: ضميرٌ منفصلٌ مرفوعٌ للجمع المذكر والمؤنث الغائب؛ للتحديد والتخصيص والتأكيد ﴿الْكَافِرُونَ﴾: هؤلاء معروفون بالكذب عند الناس أصلاً، وكان الجميع يعرف مسبقاً أن محمداً هو الصادق الأمين، كان أصدقهم وأكملهم علماً وعملاً وإيماناً و يقيناً، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، أَخْبَرَنِي أَبُو سُوَيْدٍ بْنُ حَرْبٍ أَنَّهُ كَانَ بِالشَّامِ فِي رِجَالٍ مِنْ قُرَيْشٍ قَدِمُوا تِجَارًا فِي الْمُدَّةِ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَبَيْنَ كُفَّارِ قُرَيْشٍ، قَالَ أَبُو

(١) المستدرك على الصحيحين ٣٨٩/٢ (٣٣٦٣) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.

سُفْيَانُ، فَيَصِرُ عَظِيمُ الرُّومِ، قَالَ سَأَلْتُكَ: هَلْ كُنْتُمْ تَتَّهَمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ، فَزَعَمْتَ أَنْ لَا، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَدَعَ الْكَذِبَ عَلَى النَّاسِ وَيَكْذِبَ عَلَى اللَّهِ<sup>(١)</sup>.

﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيْمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكَفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ عَذَابٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (١٠٦)

﴿مَنْ﴾: هو الذي من جنس العاقل ﴿كَفَرَ﴾: غطى، وأنكر، وكنم ﴿بِ﴾: حرف باء الصلة ﴿اللَّهُ مِنْ﴾: حرف يفيد بداية الغاية الزمانية ﴿بَعْدَ إِيْمَانِهِ﴾: الكلام عن الذين عرفوا الإيمان، وأدلتهم، وبراهينه، وآياته، واطمأنوا بها، ثم كفروا، وغطوا كل ذلك ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿مَنْ﴾: الذي من جنس العاقل ﴿أَكْرَهَ﴾: الذي أظهر الكفر كرهاً وخوفاً من القتل، أو غير ذلك ﴿وَقَلْبُهُ﴾: وهنا دليلٌ أنّ القلب هو مركز الكفر والإيمان ﴿مُطْمَئِنٌّ﴾: راضٍ ومرتاح ﴿بِإِيْمَانِهِ﴾: ولم يتغير إيمانه في صدره؛ والأولى أن يصبر ويجاهد ﴿وَلَكِنْ﴾: حرف يفيد الاستدراك ﴿مَنْ﴾: الذي من جنس العاقل؛ وهو الإنسان ﴿شَرَحَ﴾: سهل، وزين، وحبب ﴿بِالْكَفْرِ صَدْرًا﴾: الذي فيه القلب؛ وهو مركز الوعي والإدراك ﴿فِ﴾: حرف يفيد السبب سيقع ﴿عَلَيْهِمْ عَذَابٌ مِنَ﴾: حرف يفيد بداية الغاية ﴿اللَّهُ﴾: هذا إخبارٌ عن مصير هؤلاء، غضب الله ﷻ عليهم ﴿وَلَهُمْ﴾: تمليكاً ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾: ولم تحدد الآية هل العذاب في الدنيا أم في الآخرة، ولأن عذاب الآخرة أشد وأبقى؛ كان هذا العقاب الأكبر.

التكليف: هذه الآية تتحدث عن الذي يرتد بأن ينطق كلمة الكفر بعد إيمانه بالله ﷻ.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ (١٠٧)

﴿ذَلِكَ﴾: حرف إشارة للبعيد ﴿بِ﴾: حرف باء السببية ﴿أَنَّهُمْ﴾: حرف يفيد التأكيد، ونفي الإنكار بسبب أنهم ﴿اسْتَحَبُّوا﴾: اختاروا وطلبوا ورغبوا في ﴿الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾: فضلوا، وطلبوا متاع الدنيا، وأحبوها ﴿عَلَى الْآخِرَةِ﴾: على حساب الآخرة؛ فطبع الله ﷻ على قلوبهم ﴿وَأَنَّ﴾: حرف تأكيد، ونفي الشك والإنكار ﴿اللَّهُ لَا﴾: حرف نفي ﴿يَهْدِي﴾: يذلُّ ويرشد ﴿الْقَوْمَ﴾: جماعة من أصلٍ واحدٍ أو أصحاب عقيدة واحدة ﴿الْكَافِرِينَ﴾: أنّ الله ﷻ لا يسهل لهم طريق الهداية إلى الإيمان؛ لأن قلوبهم غطت الآيات وغيّبت الحقيقة.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ (١٠٨)

﴿أُولَئِكَ﴾: إشارة للقريب والبعيد؛ هؤلاء الذين جاء وصفهم ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد الجميع ﴿طَبَعَ﴾: ختم فلا تُحى ﴿اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾: فلم يُنبتهم على الإيمان ﴿و﴾: أيضاً

(١) صحيح البخاري ٤٥/٤ (٢٩٤١).

طبع على ﴿سَمِعِهِمْ﴾: وهي من أدوات الفهم، والإدراك، والوصول إلى الحقيقة ﴿وَأَبْصَارِهِمْ﴾: أيضاً طبع على أعينهم؛ فهم والعمي سواء؛ لأنَّ عيونهم التي يرون بها الأدلَّة والبراهين قد أظلمت ﴿وَأُولَئِكَ﴾: الجماعة ﴿هُمُ﴾: ضميرٌ منفصلٌ مرفوعٌ للجمع المذكر والمؤنث الغائب؛ للتحديد والتخصيص والتأكيد ﴿الْغَافِلُونَ﴾: هؤلاء هم اللاهون عن الحقيقة، الغائبون عن العقل، والإدراك، عن وعد الله ﷻ في الآخرة.

﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْخَاسِرُونَ﴾ (١٠٩)

﴿لَا جَرَمَ﴾: حقًا، ثبت لا محالة ﴿أَنَّهُمْ﴾: هم بالتأكيد؛ سيكون مصيرهم ﴿فِي الْآخِرَةِ﴾: يوم القيامة ﴿هُمُ﴾: ضميرٌ منفصلٌ مرفوعٌ للجمع المذكر والمؤنث الغائب؛ للتحديد والتخصيص والتأكيد ﴿الْخَاسِرُونَ﴾: الذين خسروا أنفسهم؛ فأوردوها النار، وخسروا أهلهم الذين فارقوهم؛ لأنهم ذهبوا إلى الجنة.

﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا تُمْ جَاهِدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَعَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١١٠)

﴿ثُمَّ﴾: تفيد التتابع الزمني غير السريع ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿رَبَّكَ﴾: الذي أنشأك من حالٍ إلى حالٍ إلى حدِّ التمام، فهو مالكك، ومالك أمرك كله؛ وهو الله ﷻ ﴿ل﴾: حرف تخصيص ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ ﴿هَاجَرُوا﴾: هؤلاء كانوا قومًا مستضعفين في مكة، مهانين في قومهم؛ فخافوا من الفتنة؛ فهاجروا، وتركوا بلادهم وأهلهم، وأموالهم؛ ابتغاء مرضات الله ﷻ ﴿مِنْ﴾: حرف جرٍّ وبيان لتمييز النوع يفيد هنا ابتداء الغاية الزمانية ﴿بَعْدِ مَا فُتِنُوا﴾: من بعد أن ابتلوا، فامتثلوا لضغط الكفار، ونطقوا بكلمة الكفر ﴿ثُمَّ﴾: بعد فترة من الزمن غير السريع ﴿جَاهِدُوا﴾: مع المسلمين ﴿وَصَبَرُوا﴾: على الفرق والأذى وتركوا مكة مهاجرين ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿رَبَّكَ مِنْ﴾: حرف يفيد بداية الغاية الزمانية ﴿بَعْدِهَا﴾: بعد الفتنة والتوبة ﴿ل﴾: حرف علّةٍ وسببٍ ﴿عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾: غفر الله ﷻ لمن قبل بالفتنة مكرها؛ بسبب التعذيب، حتى إذا جاءته الفرصة للجهاد والصبر على الأذى؛ عاد إلى الإيمان؛ فإنَّ الله ﷻ يبشره بالعفو والمغفرة.

﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (١١١)

يا أيها الرسول ذكّر هؤلاء ﴿يَوْمَ﴾: القيامة ﴿تَأْتِي﴾: تبعث ﴿كُلُّ﴾: تفيد العموم ﴿نَفْسٍ﴾: تؤكد العموم؛ لأنها جاءت بصيغة النكرة ﴿تُجَادِلُ﴾: تُخاصم عن ذاتها تحاجج، وتبرر كلُّ نفس، وتعتذر بكلِّ المعاذير ﴿عَنْ﴾: حرف جرٍّ يفيد البدل وبمعنى على ﴿نَفْسِهَا﴾: لا معين،

لا أب، ولا أم، ولا أخ، ولا أخت، ولا زوجة، ولا أولاد، ولا عشيرة ﴿و﴾: عطفاً على ما سبق ﴿تَوْفَى﴾: تأخذ ثوابها وعقابها ﴿كُلُّ﴾: تفيد العموم ﴿نَفْسٍ﴾: جاءت بصيغة نكرة؛ لتؤكد العموم ﴿مَا﴾: الذي ﴿عَمِلْتَ﴾: في الحياة الدنيا، يوم تُجازى كلُّ نفسٍ جزاء ما عملت من خيرٍ وشرٍ ﴿وَهُمْ﴾: ضمير رفع للجمع المذكر الغائب وهي للتخصيص ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يُظَلَمُونَ﴾: لا يُنقص من ثواب الخير شيئاً، ولا يزيد على عقاب الشر شيئاً.

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ (١١٢)

﴿وَضَرَبَ﴾: ذكر ﴿اللَّهُ مَثَلًا﴾: إنَّ الأمثال في القرآن منهج يوضح الحقائق، وهنا يذكر الحق ﷻ قصة ﴿قَرْيَةً﴾: قال ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والزهري: هي مكة المكرمة ﴿كَانَتْ﴾: فيما سبق ﴿آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً﴾: كانت أمناً وأماناً لكل من دخلها، وكانت الحروب من حولها مستمرة ﴿يَأْتِيهَا﴾: يصلها ﴿رِزْقُهَا رَغَدًا﴾: تجارتها مزدهرة، ورزقها هنيئاً، واسعاً سهلاً بلا تعب ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ وبيان لتمييز النوع يفيد هنا ابتداء الغاية المكانية ﴿كُلِّ﴾: جاءت بصيغة نكرة لتؤكد العموم ﴿مَكَانٍ﴾: من جميع الجزيرة العربية وغيرها ﴿ف﴾: حرف يفيد السبب ﴿كَفَرَتْ﴾: جحدن، وغطت وأنكرت ﴿بِأَنْعُمِ﴾: كرم وفضل ﴿اللَّهُ﴾: ﷻ عليها، وأعظم هذا الفضل كان بعثه محمد ﷺ ﴿فَأَذَاقَهَا﴾: جعلها تحس وتشعر ﴿اللَّهُ لِبَاسٍ﴾: بمعنى أخفاها بالكامل ﴿الْجُوعِ﴾: نقص الغداء ﴿وَالْخَوْفِ﴾: أيضاً ألبسها الخوف؛ أخفاها من كل جوانبها، وأذاقها الجوع بعد النعم الوفيرة؛ صحيح البخاري (٢/ ٢٦).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكْعَةِ الْآخِرَةِ، يَقُولُ: اللَّهُمَّ أَنْجِ عِيَّاشَ بَنِ أَبِي رَبِيعَةَ، اللَّهُمَّ أَنْجِ سَلَمَةَ بِنَ هِشَامٍ، اللَّهُمَّ أَنْجِ الْوَلِيدَ بَنَ الْوَلِيدِ، اللَّهُمَّ أَنْجِ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، اللَّهُمَّ اشْدُدْ وَطْأَتَكَ عَلَى مُضَرَ، اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا سِنِينَ كَسِنِي يُوسُفَ: وَأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ وَسَلَّمَ قَالَ: غَفَارُ غَفَرِ اللَّهِ لَهَا وَأَسْلَمُ سَأَلَمَهَا اللَّهُ<sup>(١)</sup> ﴿بِمَا﴾: اسم موصول هنا بمعنى الذي، بسبب ﴿كَانُوا﴾: فيما سبق ﴿يَصْنَعُونَ﴾: بسبب كفرهم، وتعديهم على المؤمنين، ومحاولة قتلهم محمداً ﷺ.

﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ (١١٣)

﴿وَلَقَدْ﴾: حرف جرّ يفيد هنا التحقق بالتأكيد لأنه وقع على الفعل الماضي ﴿جَاءَهُمْ﴾: بُعث فيهم ﴿رَسُولٌ مِنْهُمْ﴾: حرف يفيد بداية الغاية المكانية، لقد كانت هذه منة من الله ﷻ،

(١) صحيح البخاري ٢/٢٦ (١٠٠٦).

وتفضلاً عليهم، ولو آمنوا به لكانت منة لهم على الأمم ﴿ف﴾: حرف يفيد السبب، والتتابع السريع ﴿كذَّبُوهُ﴾: بدلاً من أن يؤمنوا به كذبوه ﴿فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ﴾: ذهب بأرواحهم، وأموالهم، وتجارتهم، وقيمتهم، وقدرهم في الجزيرة العربية ﴿وَهُمْ﴾: ضمير رفع للجمع المذكور الغائب وهي للتخصيص ﴿ظَالِمُونَ﴾: ظلموا أنفسهم بشركهم؛ فإنَّ الشرك ظلمٌ عظيمٌ.

﴿فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنَّ كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ (١١٤)

﴿ف﴾: لهذا السبب ﴿كُلُوا مِمَّا﴾: أيها المؤمنون الطعام الذي ﴿رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾: يأمر الله عباده المؤمنين بأكل ما رزقهم من فضله ﴿حَلَالًا﴾: ما أحله الله ﷻ لهم ﴿طَيِّبًا﴾: في البيع، والشراء، والفداء، والذبح، وكل ما علمهم ﴿وَاشْكُرُوا﴾: أيضاً احمدا ﴿نِعْمَتِ﴾: ما ينعم به من صحة، وعافية، ومال، وبنين، ومغفرة ﴿اللَّهِ﴾: المطلوب فقط شكر الله ﷻ على كرمه ونعمته، وهذا لا يكلفهم شيئاً إلا الإيمان، وهو نعمة، وفضل ﴿إِنْ﴾: حرف شرط أي بشرط ﴿كُنتُمْ إِيَّاهُ﴾: هو ﷻ بالتأكيد ﴿تَعْبُدُونَ﴾: إذا كنتم آمنتم بالله ﷻ، وبرسوله، وأطعتموه جلَّ في علاه، وأقمتم شريعته.

﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١١٥)

﴿إِنَّمَا﴾: حرف يفيد التخصيص والتحديد ﴿حَرَّمَ﴾: جعله الله ﷻ محرماً ﴿عَلَيْكُمْ﴾: على من أكله، وهي ﴿الْمَيْتَةَ﴾: التي لم تُذبح والذبح هو شق الحلق وقطع الأوعية الدموية التي تصل الدم للمخ فيموت ويصفي دُمها ﴿و﴾: أيضاً حرّم ﴿الدَّمَ﴾: المسفوح المهورق ﴿وَلَحْمَ الْخَنزِيرِ﴾: أيضاً حرّم أكل كلِّ الخنزير بلا استثناء؛ وقد ثبت أن هذه الحيوانات تُصاب بأمراض خطيرة؛ تنتقل إلى الإنسان إذا أكلها وقد تطرقنا لتفسير هذه المواضيع وشرحها في سورة البقرة الآية [١٧٣] ﴿و﴾: محرّم عليكم أيضاً ﴿مَا﴾: الذي ﴿أُهْلَ ل﴾: حرف تخصيص ﴿غَيْرِ﴾: حرف استثناء بمعنى إلا ﴿اللَّهِ بِهِ﴾: ذكر، عند ذبحه، اسم غير الله ﷻ والذبح هو شق الحلق وقطع الأوعية الدموية التي تصل بالدم للمخ فيموت ﴿فَمَنْ﴾: حرف استفهام استثنائي يفيد هنا ﴿اضْطُرَّ﴾: أجبرته الضرورة ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾: غير طالب للمحرّم ﴿وَلَا عَادٍ﴾: ولا متجاوز ما يسد الرمق ﴿فَإِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك ﴿اللَّهِ غَفُورٌ﴾: مسامح ﴿رَحِيمٌ﴾: واسع الرحمة، ورؤوف.

﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِنَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ (١١٦)

﴿وَلَا﴾: حرف نهي وتحريم ﴿تَقُولُوا﴾: أيها المشركون ﴿لِمَا﴾: حرف يدل على ما مضى من الزمن ﴿تَصِفُ﴾: تتكلم به وتتطرق ﴿أَلْسِنَتُكُمْ الْكَذِبُ﴾: يدخل في هذه الآية كل من كذب، أو ابتدع بدعة غير شرعية، ﴿هَذَا﴾: حرف تنبيه وإشارة ﴿حَلَالٌ﴾: حلل حراماً ﴿وَهَذَا حَرَامٌ﴾ أو حرم حلالاً ﴿لِ﴾: حرف علة وسبب ﴿تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾: لتكذبوا بهتاناً على الله ﷻ ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول يفيد جميع من ﴿يُفْتَرُونَ﴾: يختلقون ﴿عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾: تُقرر هذه الكلمات مصير الكذابين على الله ﷻ من شيوخ سلاطين السوء، وفقهاء الحكام الظالمين، وشيوخ البدع، والمفتين بما يريد الحاكم، ويدخل في ذلك النساء أيضاً: إن مصير هؤلاء وأمثالهم لا نجاح، ولا فوز، ولا فلاح لهم، ولن يفلتوا من عقابه ﷻ، فعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَفْتِيَ بِغَيْرِ عِلْمٍ كَانَ إِثْمُهُ عَلَى مَنْ أَفْتَاهُ» زاد سليمان المهري في حديثه، «وَمَنْ أَشَارَ عَلَى أَخِيهِ بِأَمْرٍ يَعْلَمُ أَنَّ الرُّشْدَ فِي غَيْرِهِ فَقَدْ خَانَهُ»<sup>(١)</sup>.

### ﴿مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١١٧)

﴿مَتَاعٌ قَلِيلٌ﴾: إن ما يجنيه هؤلاء المفترون على الله الكذب من مال، أو جاه، أو سلطان هو إلى زوال؛ فكل الحياة الدنيا متاع قليل؛ أياماً وسنوات، ثم تذهب ﴿و﴾: حرف عطف يفيد هنا الحال ﴿لَهُمْ﴾: نصيبهم؛ تمليكاً وتخصيصاً ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: يوم يرجعون إلى الله ﷻ ويضمهم القبر، ويوم القيامة يذوقون العذاب الشديد الأليم.

### ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (١١٨)

﴿وَعَلَى الَّذِينَ﴾: اسم موصول يفيد جميع من ﴿هَادُوا﴾: اليهود ﴿حَرَّمْنَا﴾: جعلناه عليهم حراماً ﴿مَا﴾: الذي ﴿قَصَصْنَا﴾: ما أخبرناك به أيها الرسول؛ ما ذكرناه في قصص ﴿عَلَيْكَ مِنْ﴾: حرف يفيد بداية الغاية الزمانية ﴿قَبْلُ﴾: حرّمنا عليهم الميتة، والدم، ولحم الخنزير، وما أهل لغير الله به، وما حرّمه عليهم في شريعتهم، وما كانوا فيه من الأصرار، والتضييق، والأغلال، والحرّج، وهو ما جاء في قوله ﷻ ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

(١) سنن أبي داود (٣/ ٣٢١) ٣٦٥٧ [حكم الألباني]: حسن.



[البقرة-١٧٣]، وفي قوله ﷺ ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالِدَمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذُكُّكُمْ فَسِقُّ الْيَوْمِ يَسِّرَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة-٣]، وفي قوله ﷺ ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالِدَمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل-١١٥] ﴿وَمَا﴾: حرف نفي ﴿ظَلَمْنَاَهُمْ﴾: لم يكن تحديد الحرام والحلال الذي ظنوه تضييقاً عليهم؛ لم يكن ظلاماً لهم، بل هو تربيةً نفسٍ، وتقويماً سلوكٍ، وإصلاحٍ اعوجاجٍ ﴿و﴾: عطفاً على ما جاء ﴿لَكِنَّ﴾: حرف يفيد الاستدراك ﴿كَانُوا﴾: في الماضي ﴿أَنْفُسَهُمْ﴾: جوهرهم ﴿يَظْلِمُونَ﴾: هم الذين ظلموا أنفسهم، وكانوا يستحقون ما نالوا من العقاب.

﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمَلُوا الشُّوْءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١١٩)

﴿ثُمَّ﴾: تعني التتابع الزمني غير السريع ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿رَبَّكَ﴾: المعبود، والمُرَبِّي مالك أمرك كله ﴿ل﴾: حرف تخصيص ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ ﴿عَمَلُوا الشُّوْءَ﴾: الذين ارتكبوا ما يُسبِّب الشر والضرر من الذين عصوا ﴿ب﴾: حرف باء السببية ﴿جَهَالَةٍ﴾: بسبب غضب شديد أو دون علم؛ فكلُّ الذين عصوا الله ﷻ فهم جاهلون؛ لأنهم لم يعلموا الأمر الرَبَّانِيَّ، أو علموه بعد ذلك ﴿ثُمَّ تَابُوا﴾: ندموا، و أقبلوا عما كانوا يعملون ﴿مِنْ﴾: حرف جرٍ وبيان لتمييز النوع يفيد هنا ابتداء الغاية المكانية وتفيد هنا بداية الغاية الزمانية ﴿بَعْدَ ذَلِكَ﴾: أي أقبلوا عما كانوا يعملون، وأقبلوا بفعل الطاعات على الله ﷻ ﴿و﴾: عطفاً على توبتهم ﴿أَصْلَحُوا﴾: علاقتهم بالله ﷻ، وأصلحوا أعمالهم، وأقوالهم ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿رَبَّكَ﴾: مالك أمرك كله ﴿مِنْ بَعْدِهَا﴾: من بعد هذه الزلَّة والفعلة من عباده ﴿ل﴾: حرف علَّةٍ وسببٍ ﴿غَفُورٌ﴾: واسع المغفرة ﴿رَحِيمٌ﴾: كثير الرحمة بعباده.

﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١٢٠)

﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾: أبا الأنبياء ﴿كَانَ أُمَّةً﴾: هذا مدح من الله ﷻ لإبراهيم الخليل عليه السلام، ووالد الأنبياء، إمام الحنفية كان معلماً للخير وجامعاً لخصال

الخير عالمًا بما علمه الله ﷻ من الشرائع؛ يعني أنّ إبراهيم كان وحده إمامًا في الخير، جامعًا خصال الخير، إمام الحنفية السمحة، يعمل الخير الذي يقتدي به ﴿قَانِنًا لِلَّهِ﴾: المطيع الخاشع لربه ﷻ ﴿حَنِيفًا﴾: المائل قصدًا عن الباطل وعن الشرك كلّه؛ إلى دين الحق، التوحيد لله ﷻ ﴿وَلَمْ﴾: حرف نفي ﴿يَكُ﴾: ما كان ﴿مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾: لم يكن يهوديًا، ولا نصرانيًا، كان وحده في جانب يمثل أمة الإيمان، وكانت في مقابلة أمة الشرك والكفر والإلحاد.

﴿شَاكِرًا لِأَنْعَمِهِ اجْتِنَابَهُ وَهَذَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (١٢١)

﴿شَاكِرًا﴾: حامدًا لله ﷻ ﴿لِأَنْعَمِهِ﴾: قائمًا بشكر الله ﷻ على نعم الله التي أنعمها عليه، فقام بجميع ما أمره الله ﷻ ﴿اجْتِنَابَهُ﴾: اختاره الله ﷻ، واصطفاه للنبوة ﴿و﴾: أيضًا ﴿هَذَاهُ﴾: دلّه، وسهّل له، وقاده ﴿إِلَى صِرَاطٍ﴾: طريق ﴿مُسْتَقِيمٍ﴾: عبادة الله وحده.

﴿وَأَتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (١٢٢)

﴿و﴾: حرف عطف هنا بين اجتنابه ربه وأيضًا ﴿آتَيْنَاهُ﴾: أعطيناه، منحناه، وهبنا له ﴿فِي الدُّنْيَا﴾: حياته على الأرض ﴿حَسَنَةً﴾: لسان صدق، وهي النبوة، والثناء الطيب، والولد الصالح ﴿وَإِنَّهُ﴾: هو بالتأكيد ﴿فِي الْآخِرَةِ﴾: يوم القيامة ﴿ل﴾: حرف تخصيص ﴿مِنَ﴾: جزء أو بعض ﴿الصَّالِحِينَ﴾: أصحاب الدرجات العلا.

﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١٢٣)

﴿ثُمَّ﴾: حرف يفيد التتابع الزمني غير السريع ﴿أَوْحَيْنَا﴾: أرسلنا الوحي ﴿إِلَيْكَ﴾: يا خاتم الأنبياء وإمامهم يا محمد ﷺ ﴿أَنْ﴾: حرف تأكيد الحرف ﴿اتَّبِعْ﴾: سر واعتمد ﴿مِلَّةَ﴾: دين وعقيدة ﴿إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾: في دين الإسلام؛ الذي هو دين إبراهيم الموحّد بالله ﷻ ﴿وَمَا﴾: حرف نفي ﴿كَانَ﴾: في حياته الدنيا ﴿مِنَ﴾: حرف يفيد التمييز، عن زمرة وجماعة ﴿الْمُشْرِكِينَ﴾: الذين عبدوا من دون الله ﷻ، أو عبدوا مع الله ﷻ آلهة أخرى، ما أنزل الله بهم من سلطان، أي التبرؤ من كلّ ما عبدوا من دون الله ﷻ.

﴿إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (١٢٤)

﴿إِنَّمَا﴾: أداة حصر؛ تفيد التوكيد ﴿جُعِلَ﴾: تعيّن، وفرض، من الله ﷻ ﴿السَّبْتُ﴾: لقد شرّع الله ﷻ لكل أمة يومًا من أيام الأسبوع؛ يجتمع فيه الناس للعبادة؛ فشرع لأمة محمد ﷺ يوم الجمعة، وهو اليوم السادس الذي أكمل الله تعالى فيه الخليقة، واجتمعت فيه، وتمت عبادة الله ﷻ ونعمته عليهم ﴿عَلَى الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ ﴿اخْتَلَفُوا﴾: تفرقوا

﴿فيه﴾: ولقد شرع الله ﷻ هذا اليوم لموسى ﷺ، فرفضوه، واختاروا السبت؛ لأنه اليوم الذي لم يخلق الله فيه شيئاً من المخلوقات، فرفضه الله ﷻ عليهم في التوراة، وأمرهم أن يتبعوا محمداً ﷺ إذا بعثه الله ﷻ، وأخذ عليهم العهود والمواثيق. قال مجاهد: جعل السبت على الذين اتبعوه ورفضوا يوم الجمعة ﴿وإن﴾: بالتأكيد ﴿ربك﴾: والرب هو المعبود، والمُرَبِّي، مالك أمرك كله ﴿ل﴾: حرف تمليك ﴿يحكم﴾: يقضي قضاءً عادلاً ﴿بينهم﴾: بين المختلفين ﴿يوم القيامة فيما﴾: في الذي ﴿كانوا فيه﴾: في الحياة الدنيا ﴿يختلفون﴾: اختلفت اليهود وجعلوا يومهم السبت، وجعل النصارى يومهم الأحد، وجعل الله ﷻ لمحمد ﷺ يوم الجمعة؛ فاتبعه المسلمون، وسيحكم الله ﷻ لمن أطاع، وهم أمّة محمد ﷺ بالخير، ولمن خالف بما حذر الله ﷻ منه.

﴿ادعُ إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضلَّ عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين﴾ (١٢٥)

﴿ادعُ﴾: فعل أمر ربّاني لمحمد ﷺ، وللمسلمين من بعده بالدعوة ﴿إلى سبيل﴾: منهج ودين الإسلام، جاء اللفظ القرآني "السبيل" على أربعة أوجه؛ هنا بمعنى الدين والعقيدة كما في قوله ﴿تعالى ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونضله جهنم وساءت مصيراً﴾ [النساء-١١٥] وفي قوله أيضاً ﴿إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرغوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً﴾ [النساء-١٥٠]؛ حيث يأمر الله ﷻ رسوله ﷺ بدعوة الناس، أي أنه أمر ربّاني، مفروض على كل مسلم، في كل وقت ومكان؛ الدعوة إلى الإسلام، وهو طريق ﴿ربك﴾: مالك أمرك كله ﴿ب﴾: حرف باء السببية ﴿الحكمة﴾: جاء اللفظ القرآني الحكمة على خمسة وجوه؛ هنا بمعنى القرآن الكريم. انظر [البقرة-٢٥١] قال ابن جرير: الحكمة هي ما نزل من الكتاب والسنة ﴿والموعظة﴾: الدعوة الخالصة بالنصح، والإرشاد ﴿الحسنة﴾: هي ما في الكتاب من الزواجر، وما أصاب الناس، وذكّرهم بها؛ ليحذروا بأس الله ﷻ في الأمم السابقة ﴿و﴾: حرف عطف يفيد هنا الحال ﴿جادلهم﴾: من يحتاج إلى مناظرة ومناقشة وتفهم وتوضيح وجدال. وهنا تعاليم أدب ومبادئ المخاطبة التي هي من حقوق الإنسان ﴿ب﴾: حرف باء الصلة ﴿التي﴾: اسم موصول بالمفرد المؤنث ﴿هي أحسن﴾: أن يكون الجدل والنقاش بالوجه الحسن؛ برفق، ولين، وحسن خطاب، وهو منهج كل الأنبياء؛ جاء في المعنى: ﴿فقولا له قولاً لينا لعله يتذكر أو يخشى﴾ [طه-٤٤]، ولقد

نسختها الآية الكريمة: ﴿الْحُرْمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَخْصِرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ﴾ ﴿إِنْ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿رَبِّكَ هُوَ﴾: عطفًا على هذا ﴿أَعْلَمُ﴾: أدرى ﴿بِمَنْ﴾: بالذي من جنس العاقل ﴿ضَلَّ﴾: تاه وانحرف ﴿عَنْ﴾: حرف جر يفيد المجاوزة ﴿سَبِيلِهِ﴾: طريق الإيمان؛ لقد علم الله ﷻ ما فعل الشقي التعيس، وكتب ذلك عنده، وانتهى الأمر ﴿وَهُوَ﴾: ضمير رفع منفصل للغائب المذكور، فإن الله ﷻ ﴿أَعْلَمُ﴾: صاحب العلم الكامل ﴿بِالْمُهْتَدِينَ﴾: ويعلم الله ﷻ بالسعيد المؤمن أيضًا.

﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ (١٢٦)

أسباب النزول: قَالَ أَبِي بِنُ كَعْبٍ: لَمَّا كَانَ يَوْمَ أُحُدٍ أُصِيبَ مِنَ الْأَنْصَارِ أَرْبَعَةٌ وَسِتُّونَ رَجُلًا، وَمِنَ الْمُهَاجِرِينَ سِتَّةٌ مِنْهُمْ حَمْرَةٌ، فَمَثَلُوا بِهِمْ، فَقَالَتِ الْأَنْصَارُ: لَئِنْ أَصَبْنَا مِنْهُمْ يَوْمًا مِثْلَ هَذَا لَنُرِيَنَّ عَلَيْهِمْ قَالَ: فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ [النحل-١٢٦] فَقَالَ رَجُلٌ: لَا فُرَيْشَ بَعْدَ الْيَوْمِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كُفُّوا عَنِ الْقَوْمِ إِلَّا أَرْبَعَةً»<sup>(١)</sup> ﴿وَإِنْ﴾: حرف شرط ﴿عَاقَبْتُمْ﴾: إذا جاء القصاص ومعاقبة أحد ﴿ف﴾: حرف استثنائي بهدف ترتيب الأمر، ويفيد السرعة في التنفيذ ﴿عَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ﴾: فليكن عقابكم لهم بالحق، والمماثلة في استرداد الحقوق، قال مجاهد، وابن سيرين، والحسن البصري، وابن جرير: إذا أخذ منكم رجل شيئًا؛ فخذوا مثله ﴿وَلَئِنْ﴾: حرف شرط يتبع ما بعده ﴿صَبَرْتُمْ﴾: تحمّلت ﴿ل﴾: حرف علة وسبب ﴿هُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾: يحث الله ﷻ على الصبر؛ لأن الجزاء في الآخرة على المجرمين أشد وأعظم.

﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾ (١٢٧)

﴿و﴾: حرف عطف يفيد هنا الحال ﴿اصْبِرْ﴾: أمر من الله ﷻ لمحمد ﷺ وأتباعه من بعده بالصبر على البلاء والأذى، وهذا تأكيد على الصبر ﴿وَمَا﴾: اعلم أن ﴿صَبْرُكَ﴾: ما يكون من توفيق أو تثبيت ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿بِاللَّهِ﴾: يؤكد الله ﷻ أن الصبر يكون بمشيئة الله ﷻ وعونه، وحوله، وقوته ﴿وَلَا﴾: حرف نفي ﴿تَحْزَنْ﴾: يصيبك الألم أي الوجد الشديد والحسرة ﴿عَلَيْهِمْ﴾: لا تحزن على من خالفك، ولم يؤمن بك؛ فالله أعلم به ﴿وَلَا﴾: حرف نهي ﴿تَكُ﴾: تكون ﴿فِي ضَيْقٍ﴾: غضبٍ، لا تغضب ولا تغتم، ولا تحزن ﴿مِمَّا﴾: من بعض الذي

(١) أسنن الترمذي ت شاکر (٥/ ٢٩٩) ٣١٢٩ «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ مِنْ حَدِيثِ أَبِي بِنِ كَعْبٍ» [حكم الألباني]: حسن صحيح الإسناد.

﴿يَمْكُرُونَ﴾: ما يجهدون أنفسهم في التخطيط والتدبير؛ للإيقاع بالنبى ﷺ وأصحابه إلى يوم الدين، وهم يكيدوا ليؤذوهم.

### ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ (١٢٨)

حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار حرف تأكيد ﴿اللَّهُ مَعَ﴾: إِنَّ اللَّهَ ﷻ مؤيد وناصر ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع من ﴿اتَّقَوْا﴾: الذين عبدوه بقناعةٍ، ووعيٍّ؛ وإدراكٍ؛ طمعاً في ثوابه، ورحمته، وتجنبوا المحارم؛ خوفاً من عذابه ﴿و﴾: أيضاً إِنَّ اللَّهَ مَعَ ﴿الَّذِينَ هُمْ﴾: ضمير رفع للجمع المذكر الغائب وهي للتخصيص ﴿مُحْسِنُونَ﴾: إن الله مع الذين عبدوه كأئهم يرونه، فإن لم يكونوا يرونه؛ فهو يراهم بعينه الساهرة عليهم.

التكليف: بدراسة مقاصد هذه السورة الكريمة؛ ندرك فضل الله ﷻ على عباده؛ مما يلزم العباد بطاعته.



سُمِّيَتْ في كثير من المصاحف بسورة الإسراء، وسُمِّيَتْ بسورة بني إسرائيل، وسُمِّيَتْ بسورة سبحان؛ لأنها افتتحت بهذه الكلمة، هي سورة مكيّة عند الجمهور، نزلت قبل هجرة الرسول ﷺ بنحو سنةٍ وخمسة أشهر، نزلت بعد سورة القصص، وقبل سورة يونس، وترتيبها الخمسين في تعداد نزول سور القرآن، وعدد آياتها (١١١) آية في عدّ أهل الكوفة.

### ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (١)

﴿سُبْحَانَ﴾: قال ابن عباس رضي الله عنهما إنَّ كلَّ تسبيحةٍ في القرآن تدخل في معنى الصلاة. كلمةٌ ممتعةٌ على الخلق لا يجوز أن يُوصف بها غير الله ﷻ؛ لأنها مبالغة في التعظيم لا تليق لغير الله ﷻ؛ ينزه الله ﷻ نفسه الشريفة، ويُعظّم شأنه، لقدرته التي لا يقدر عليها شيء، فلا إله غيره، ولا ربّ سواه ﴿الَّذِي أَسْرَى﴾: سَيرَ عبده محمداً ﷺ ليلاً زيارةً تشريف، وتكريم بالنفس، والروح، والجسد، دونما رفعٍ أو قبضٍ، جعل البراق يسري بمحمّد ﷺ، بالبدن والروح، وهذا قول أكثر العلماء؛ للأسباب التالية:

الأول: قول الله ﷻ **سُبْحَانَ**: لا يأتي التسبيح إلا في الأمور العظيمة، فلو كان منامًا ما احتاج إلى القول **الَّذِي أُسْرِيَ**، الثاني: لو كان منامًا ما اعترضت قريش، وما نكص بعض الذين آمنوا، الثالث: اللفظ "**بَعْبِدِهِ**" تعني "بالجسد والروح" وفي هذا الربط تكريمًا وكمال التشريف لمحمد ﷺ، الرابع: جاء في المعنى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾ [الإسراء-٦٠]؛ وهي رؤية عين، وليست منامًا، الخامس: جاء أيضًا: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾ [النجم-١٧]؛ والبصر من الجسد وحواسه، وليس من الروح. والسادس: كان حمله ﷻ على "البراق" وهي دابة بيضاء براقّة لها لمعان، وهذا لحمل الجسد، وليس لحمل الروح.

من أسري به و عرج به حيًا: هذه حالة خاصّة، وفريدة في موكب مهيب، في رحلة تكريم، وتشريف، وتعظيم، هي رحلة الإسراء والمعراج لسيد الخلق سيدنا محمد ﷺ حيث صعد إلى حيث أراد الله ﷻ في السماء بالنفس، والروح، والجسد دونما موتٍ أو قبض، كيف يحيي ويميت، كيف يقبض ويرسل، كيف يقبض ويمسك، وكيف أسرى بعبده ﷺ، فإنه ﷻ هو: الذي خلق آدم ﷻ من دون أبٍ أو أمّ، وخلق حواء من آدم دون أمّ ﴿لَيْلًا﴾: جاءت بصيغة النكرة للدلالة على تقليل مدّة الإسراء، بمعنى جاء الإسراء بجزء من الليل ﴿مِنْ﴾: حرف يفيد بداية الغاية الزمانية، والغاية المكانية ﴿المسجد الحرام﴾: وهو "الكعبة" المشرفة في "مكة" المُكرّمة ﴿إلى المسجد الأقصى﴾: الأقصى تعني الأكثر بعدًا من القصي، البيت البعيد عن مكة المُكرّمة وهو "بيت المقدس" في "فلسطين"، وكان اسمها "إيلياء" ويعني "بيت الله"، معبد الأنبياء؛ من عهد "إبراهيم" ﷺ، وهذه المسافة تستغرق مسيرة أربعين ليلة ﴿الذي باركنا﴾: التي جعلنا فيها الخيرات الدنيوية كثيرة، من الأنهار والثمار؛ ولأنّها موضع الأنبياء، ومهبط الملائكة، ومنها يُحشر النَّاس يوم القيامة ﴿حوّله﴾: فيه وحوله في "فلسطين"، بركة في الماء، والزرع، والثمار، ولقد بارك الله في فلسطين، وسماها الأرض المباركة، فصارت تُعرف بالبركة والقداسة؛ لوجود المسجد الأقصى في قلبها، ولقد بُرکت فلسطين في آياتٍ عديدةٍ من القرآن الكريم؛ مما جعل أفئدة المسلمين تهوي إليها على مرّ السنين، وفي هذا يقول الله ﷻ مُخبرًا عن سيدنا إبراهيم ﷻ ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء-٧١]، فالله ﷻ نجّى إبراهيم ووطًا عليهما السلام بدخولهما فلسطين المباركة، مهاجرين من أرض العراق، ومن جبروت الطاغوت "النمرود"، وهذه إشارة لما بعد زوال اليهود؛ لأنّ هذا دورها في التاريخ، وهنا يضيف "د. نصر فحجان": لكننا نجد أنّ من العلماء من وسّع في

الأرض المباركة؛ فجعلها من النيل إلى الفرات، فالآية لم تُحدد حدودًا للبركة التي جعلها ﷺ حول المسجد الأقصى، ومنهم من جعل الأرض المباركة هي كل بلاد الشام؛ لتشمل فلسطين، والأردن، وسوريا، ولبنان، وأيًا كان الأمر؛ فإن فلسطين مباركة باتفاق جميع العلماء، وعند كل المذاهب، فلو قلنا إن الأرض المباركة هي بلاد الشام؛ ففلسطين قلب الشام، ولو قلنا: إن الأرض المباركة من النيل إلى الفرات؛ فإن فلسطين في قلب هذه الأرض المباركة للعالمين، سنذكر هنا بعضًا من الأحداث الكبرى التي وقعت في فلسطين أو ما حولها: في فلسطين كان فتح يوشع بن نون عليه السلام، وكان القضاء على القوم الجبارين، وفي فلسطين كان تحرير طالوت بفتنة قليلة من بني إسرائيل، وفي فلسطين كان انتصار فارس على الروم، ثم انتصار الروم من بعد غلبهم ببضع سنين، وفي فلسطين كان غزو الأشوريين والبابليين، وسبي اليهود على يدي نبوخذ نصر، وسنحاريب، وفي فلسطين كان الفتح الإسلامي بمعركة اليرموك، وفي فلسطين كانت موقعة حطين، وفي فلسطين كانت موقعة عين جالوت، وفي فلسطين كانت موقعة أجنادين، وبيسان، وفي فلسطين سيكون التتبير لعلو بني إسرائيل بإذن الله ﷻ، وفي فلسطين سيقتل سيدنا عيسى بن مريم عليه السلام الأعر الدجال، وفي فلسطين ستنتهي زحوف يأجوج ومأجوج، وفي فلسطين سيحكم سيدنا عيسى عليه السلام بالإسلام أربعين سنة قبل يوم القيامة، وإلى فلسطين سيكون المحشر، ومنها سيكون المنشر، إما إلى الجنان، وإما إلى النيران **﴿ل﴾**: حرف علةٍ وسبب **﴿ثُرِيَّة﴾**: نرفعه في السماء لنجعله ﷻ يُشاهد ويرى، إن حرف لام التعليل في الفعل "لثريه" تنبئ بأن رحلة الإسراء من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى تحديدًا، ومنه إلى السموات العلاء؛ كانت من أجل أن يرى محمد ﷺ من آيات الله ﷻ الكبرى ما لم يره وهو في مكة، ولا بطريق الوحي، وهي آيات سيرها محمد بنفسه، وسيعاينها بقلبه وبصره ﷻ **﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى لَقَدْ \* رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾** [النجم-١٧، ١٨]، والتي تقول إن معظم الآيات التي رآها النبي ﷺ في رحلة الإسراء والمعراج لها علاقة بالرحلة نفسها، وبالمسجد الأقصى، وبالأرض المباركة، وبما سيحدث في هذه الأرض المباركة والمسجد من أحداث كبرى، وبما تعرضت له الأمة الإسلامية خلال مسيرتها، خاصة من اليهود الذين تتحدث عنهم سورة الإسراء، بل عن نهايتهم على أرض فلسطين، على أيدي عبادٍ لله أولي بسٍ شديد.

أولاً: إن رؤية النبي ﷺ لبعض الأنبياء والمرسلين الكرام في السموات؛ و بقليلٍ من التدبر نجد أن هؤلاء الأنبياء هم من بني إسرائيل، أو أنهم تعرضوا للأذى من بني إسرائيل، أو أن لهم

علاقة بالأرض المباركة والمسجد الأقصى، وقد رأى ﷺ في السماء الأولى آدم، وفي السماء الثانية ابني الخالة يحيى وعيسى بن مريم، ورأى في السماء الثالثة يوسف، وفي الرابعة إدريس، وفي الخامسة هارون، وفي السادسة موسى، ورأى في السابعة إبراهيم، عليهم جميعاً السلام، مُسنِّداً ظهره إلى البيت المعمور؛ رآهم كلٌّ في مكانه عليهم السلام أجمعين، وفي رؤيته ﷺ لهذه المجموعة من الأنبياء دلالاتٌ عظيمةٌ وكبيرةٌ؛ فموسى ﷺ، من بني إسرائيل، وقد تعرَّض للأذى منهم، ومن هنا نستنتج أنك يا محمد ﷺ أنت وأمتك ستتعرضون للأذى من بني إسرائيل كما تعرض موسى، ولكن أذاهم لكم لن يضركم، وفي رؤيته لهارون ﷺ دلالة؛ فهو كذلك تعرض لأذى من بني إسرائيل حتى كادوا يقتلونه ولكنه صبر؛ فاصبر يا محمد أنت وأمتك على أذى اليهود، ولتقاتلهم يا محمد، وليقاتلهم المسلمون كافة كما يقاتلونكم كافة، وفي رؤيته لإدريس ﷺ دلالةٌ كبيرةٌ فقد كانت نهايتهم مع إدريس الزوال والسبي، وهو ما سيحدث يا محمد في إفسادهم الثاني في فلسطين في وعد الآخرة، وفي رؤيته ليحيى ﷺ وقصته مع بني إسرائيل معروفة وهو الذي أمره الله ﷻ بأن يكون قوياً في الحق، ويثبت عليه، فلا تشبه التهديدات عن المضي في الدعوة تحقيقاً وامتثالاً لأمر الله ﷻ ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتِنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ [مريم-١٢]، إنَّ تعبير القرآن الكريم عن هذه الرحلة بالرؤيا وليس الرؤية؛ لأن الرؤية تدل على إِبصار الحاضر، بينما الرؤيا تدل على إِبصار المستقبل؛ يدل على أنَّ رؤيا النبي لليهود "الشجرة الملعونة" في هذه الرحلة كان كشفاً غيبياً لما سيقرّفه اليهود في الأرض المقدسة ﴿مِنْ﴾: حرفٌ جرٌّ وبيانٌ لتمييز النوع يفيد هنا ابتداء الغاية المكانية ﴿آيَاتِنَا﴾: من الأدلّة والبراهين العظيمة؛ وقد جاء في المعنى: ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ [النجم-١٨] ﴿إِنَّهُ﴾: بالتأكيد ﴿هُوَ﴾ الله ﷻ ﴿السَّمِيعُ﴾: الذي يسمع لأقوال عباده المسموعة، والوسوسة ﴿الْبَصِيرُ﴾: الذي يرى كلَّ شيءٍ؛ فيُعطي كلَّ ما يستحق في الدنيا والآخرة.

عَنْ مَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ حَدَّثَهُمْ عَنْ لَيْلَةِ أُسْرِي بِهِ: " بَيْنَمَا أَنَا فِي الْحَطِيمِ، وَرُبَّمَا قَالَ: فِي الْحَجْرِ، مُضْطَجِعًا إِذْ أَتَانِي آتٍ، فَقَدَّ: قَالَ: وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: فَشَقَّ مَا بَيْنَ هَذِهِ إِلَى هَذِهِ - فَقُلْتُ لِلْجَارُودِ وَهُوَ إِلَى جَنْبِي: مَا يَعْني بِهِ؟ قَالَ: مِنْ ثَغْرَةِ نَحْرِهِ إِلَى شِعْرَتِهِ، وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: مِنْ قَصَبِهِ إِلَى شِعْرَتِهِ - فَاسْتَخْرَجَ قَلْبِي، ثُمَّ أَتَيْتُ بِطُسْتٍ مِنْ دَهَبٍ مَمْلُوءَةٍ إِيْمَانًا، فَعَسَلْتُ قَلْبِي، ثُمَّ حُشِيْتُ ثُمَّ أُعِيدَ، ثُمَّ أَتَيْتُ بِدَابَّةٍ دُونَ الْبَعْلِ، وَفَوْقَ الْحِمَارِ أَبْيَضَ، - فَقَالَ لَهُ الْجَارُودُ: هُوَ الْبُرَاقُ يَا أَبَا حَمْرَةَ؟ قَالَ أَنَسٌ: نَعَمْ - يَضَعُ حَطْوَهُ عِنْدَ أَقْصَى طَرْفِهِ،



فَحَمِلْتُ عَلَيْهِ، فَأَنْطَلَقَ بِي جِبْرِيلُ حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الدُّنْيَا فَاسْتَفْتَحَ، فَقِيلَ مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ فَفَتَحَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا فِيهَا آدَمُ، فَقَالَ: هَذَا أَبُوكَ آدَمُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ السَّلَامَ، ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالْإِبْنِ الصَّالِحِ، وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الثَّانِيَةَ، فَاسْتَفْتَحَ قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ فَفَتَحَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ إِذَا يَحْيَى وَعِيسَى، وَهُمَا ابْنَا الْخَالَةِ، قَالَ: هَذَا يَحْيَى وَعِيسَى فَسَلِّمْ عَلَيْهِمَا، فَسَلَّمْتُ فَرَدَّا، ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ، وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، ثُمَّ صَعِدَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الثَّلَاثَةِ، فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ فَفَتَحَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ إِذَا يُوسُفُ، قَالَ: هَذَا يُوسُفُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الرَّابِعَةَ فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: أَوْقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ فَفَتَحَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ إِلَى إِدْرِيسَ، قَالَ: هَذَا إِدْرِيسُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، ثُمَّ صَعِدَ بِي، حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الْخَامِسَةَ فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا هَارُونُ، قَالَ: هَذَا هَارُونُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ، وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ السَّادِسَةَ فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: مَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا هَارُونُ، قَالَ: هَذَا هَارُونُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ، وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ السَّابِعَةَ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا إِبْرَاهِيمُ قَالَ: هَذَا أَبُوكَ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، قَالَ: فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ السَّلَامَ، قَالَ: مَرْحَبًا بِالْإِبْنِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، ثُمَّ رُفِعَتْ إِلَيَّ سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى، فَإِذَا نَبْهَهَا مِثْلُ قِلَافِ هَجَرَ، وَإِذَا وَرْفُهَا مِثْلُ آذَانِ الْفَيْلَةِ، قَالَ: هَذِهِ سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى، وَإِذَا أَرْبَعَةُ أَنْهَارٍ: نَهْرَانِ بَاطِنَانِ وَنَهْرَانِ ظَاهِرَانِ، فَقُلْتُ: مَا هَذَانِ يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: أَمَّا الْبَاطِنَانِ فَنَهْرَانِ فِي الْجَنَّةِ، وَأَمَّا

الظَاهِرَانِ فَالْتَّيْلُ وَالْفُرَاتُ، ثُمَّ رُفِعَ لِي الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ، ثُمَّ أُتِيْتُ بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ، وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ، وَإِنَاءٍ مِنْ عَسَلٍ، فَأَخَذْتُ اللَّبَنَ فَقَالَ: هِيَ الْفِطْرَةُ الَّتِي أَنْتَ عَلَيْهَا وَأُمَّتُكَ، ثُمَّ فُرِصَتْ عَلَيَّ الصَّلَوَاتُ خَمْسِينَ صَلَاةً كُلَّ يَوْمٍ، فَرَجَعْتُ فَمَرَرْتُ عَلَى مُوسَى، فَقَالَ: بِمَا أُمِرْتُ؟ قَالَ: أُمِرْتُ بِخَمْسِينَ صَلَاةً كُلَّ يَوْمٍ، قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لَا تَسْتَطِيعُ خَمْسِينَ صَلَاةً كُلَّ يَوْمٍ، وَإِنِّي وَاللَّهِ قَدْ جَرَّبْتُ النَّاسَ قَبْلَكَ، وَعَالَجْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ الْمُعَالَجَةِ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ لِأُمَّتِكَ، فَرَجَعْتُ فَوَضَعَ عَلَيَّ عَشْرًا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ مِثْلَهُ، فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ فَوَضَعَ عَلَيَّ عَشْرًا، فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ فَأَمَرْتُ بِعَشْرِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ، فَرَجَعْتُ فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ فَأَمَرْتُ بِخَمْسِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى، فَقَالَ: بِمِ أُمِرْتُ؟ قُلْتُ: أُمِرْتُ بِخَمْسِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ، قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لَا تَسْتَطِيعُ خَمْسَ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ، وَإِنِّي قَدْ جَرَّبْتُ النَّاسَ قَبْلَكَ وَعَالَجْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ الْمُعَالَجَةِ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ لِأُمَّتِكَ، قَالَ: سَأَلْتُ رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ، وَلَكِنِّي أَرْضَى وَأُسَلِّمُ، قَالَ: فَلَمَّا جَاوَزْتُ نَادَى مُنَادٍ: أَمْضِيْتُ فَرِيضَتِي، وَحَقَّقْتُ عَنْ عِبَادِي<sup>(١)</sup>.

عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَمَّا كَذَّبْتَنِي فُرَيْشٌ، فَمُتُّ فِي الْحَجْرِ، فَجَلَّ اللَّهُ لِي بَيْتَ الْمَقْدِسِ، فَطَفَفْتُ أُخْبِرُهُمْ عَنْ آيَاتِهِ وَأَنَا أَنْظَرُ إِلَيْهِ»<sup>(٢)</sup>.  
التكليف: جاء هذا الربط في بداية الدعوة بين بيتين من البيوت المقدسة، بين بيت الأنبياء "مكة المكرمة" إلى مُصَلَّى، وإمامة الأنبياء "المسجد الأقصى" في "فلسطين"؛ رابطاً بين أول الدعوة وخاتمها، في تناسبٍ واضحٍ يوم يُحقق الله ﷻ وعد الآخرة؛ بفتح "بيت المقدس" أن يمتد ملك أمة "محمد" ﷺ على مشارق الدنيا ومغاربها، ومن هنا ضرورة قراءة الأحاديث في قصة الإسراء والمعراج.

﴿وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكَيْلًا﴾ (٢)

﴿و﴾: حرف عطف هنا بين حادثة الإسراء وبين ﴿آتَيْنَا﴾: أعطينا ﴿مُوسَى﴾: أنزل الله ﷻ على موسى ﷺ ﴿الْكِتَابَ﴾: وهو التوراة ﴿وَجَعَلْنَاهُ﴾: أيضاً جعلنا الكتاب، أي التوراة، فالضمير يعود على ما سبق مباشرة، أو المقصود هو موسى ﷺ، والله ﷻ أعلم ﴿هُدًى﴾: هادياً، ومرشداً ﴿ل﴾: حرف تخصيص ﴿بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾: تخصيصاً ذرية النبي يعقوب ﷺ،

(١) صحيح البخاري ٥٢/٥ (٣٨٨٧).

(٢) صحيح البخاري ٥٢/٥ (٣٨٨٦).

وفي هذا تشجيعٌ لإدراك شرف بني يعقوب للتذكير بعظم المنة عليهم، ويقول سيد قطب: لو قد قضى الله لبني إسرائيل في الكتاب الذي آتاه لموسى أنهم سيفسدون في الأرض مرتين، ولا يستقيم أن نقول إن الكتاب هنا هو القرآن الكريم؛ فالقرآن الكريم لم يكن نازلًا في زمن موسى ﷺ، ولا يصلح أيضًا أن نقول: إن الكتاب هنا هو اللوح المحفوظ، أو الكتاب المكنون؛ لأن المراد أن يعلم بنو إسرائيل في الكتاب بين أيديهم بهذا القضاء ﴿الآ﴾: حرف تخصيص بمعنى أن لا ﴿تَتَّخِذُوا﴾: تتبعوا، وتطيعوا ﴿من﴾: حرف جرّ وبيان لتمييز النوع يفيد هنا ابتداء الغاية ﴿ذونى﴾: من غير الله ﷻ ﴿وكيلاً﴾: من يتكفل بأمركم، ربًا، أو وليًا، أو نصيرًا، أو معبودًا تقوّضون، وتكلون أمركم إليه.

### ﴿ذُرِّيَّةٌ مِّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ (٣)

﴿ذُرِّيَّةٌ﴾: هنا قبل الكلمة ذرية أداة نداءٍ مقدّرة، بمعنى يا ذرية، أنتم نسل وأتباع ﴿من﴾: يفيد جنس العاقل الذي ﴿حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾: الناجين من قوم نوح ﷺ، الذين ركبوا معه السفينة الناجية مع نوح ﷺ، من أولاده ﴿إِنَّهُ﴾: نوح ﷺ ﴿كَانَ عَبْدًا﴾: لله ﷻ ﴿شَكُورًا﴾: كان نوح ﷺ يحمد ربه على أكله وشربه، ولباسه، وشأنه كله، عن مجاهدٍ في قول الله ﷻ: في هذه الآية: " لَمْ يَأْكُلْ شَيْئًا قَطُّ إِلَّا حَمِدَ اللَّهَ ﷻ، وَلَمْ يَشْرَبْ شَيْئًا قَطُّ إِلَّا حَمِدَ اللَّهَ ﷻ، وَلَمْ يَمْشِ مَمْشَى قَطُّ إِلَّا حَمِدَ اللَّهَ ﷻ، وَلَمْ يَبْطِشْ بِشَيْءٍ قَطُّ إِلَّا حَمِدَ اللَّهَ ﷻ، فَأَثْنَى اللَّهُ ﷻ عَلَيْهِ.

### ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوقًا كَبِيرًا﴾ (٤)

﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿قَضَيْنَا﴾: حكمنا وقدّرنا، وأوحينا، وأخبرنا، وأعلمنا، وبلغنا، أي: قضينا وانتهينا ﴿إِلَىٰ بَنِي﴾: أبناء ﴿إِسْرَائِيلَ﴾: يعقوب ﷺ ﴿فِي الْكِتَابِ﴾: في التوراة التي نزلت عليهم ﴿ل﴾: حرف سببٍ وعلّةٍ بالتأكيد ﴿تُفْسِدُنَّ﴾: الفساد هنا بمعنى الهلاك، كانوا يخربون كلّ شيءٍ صالحٍ، العبادات، والمعاملات، والزرع والحراث، ويطغون على الناس انظر [البقرة-١٢] ﴿فِي الْأَرْضِ﴾: في الأرض المقدسة التي فيها المسجد الأقصى المبارك، وهي أرض بيت المقدس، في فلسطين، جاءت الأرض بصيغة التعريف فهي ليست نكرة، فالأرض المقصودة هنا يجب أن تكون معروفةً ومحددةً لبني إسرائيل في زمان سيدنا موسى ﷺ، ولا يمكن أن يكون المراد كلّ الكرة الأرضية؛ فهذا يكاد يكون مستحيلًا، وغير واقعي، ولا بد أن يكون في هذه الأرض المسجد الأقصى؛ لقوله ﷻ ﴿وَلْيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا﴾ [الإسراء-٧]، ولذا فإن كلّ توجيهٍ لكلمة الأرض هنا بعيدًا عن فلسطين أو عن المسجد الأقصى هو نوع من العبث، وهو تعسفٌ لا يفيد، أي إنكم يا بني

إسرائيل سيقع منكم هذا الإفساد الجماعي "المجمعي" في الأرض المباركة "فلسطين" مرتين في عصرين مختلفين وزمنيين متباينين **﴿مَرَّتَيْنِ﴾**: قيل المرّة الأولى قتل أشعياء، أو حبس أرمياء، أو مخالفة أحكام التوراة، والمرّة الثانية قتل يحيى بن زكريا والعزم على قتل عيسى عليه السلام، وقيل وقعت الأولى وهو ما سبق ولم تأت الثانية، والله ﷻ أعلم، ويقول الدكتور نصر فحجان: إنّ الإفساد المقصود هنا هو الإفساد الجمعي "المجمعي" والذي يظهر في صورة مختلفة؛ كما يلي: الإفساد السياسي: عن طريق إنشاء السلطات العميلة لهم، والإفساد الاقتصادي من خلال البنوك والربا، والإفساد العسكري من خلال التعاون الأمني والاستخباراتي معهم، والإفساد الأخلاقي من خلال نشر الرذيلة والزنا، والسرقه والاحتيال، والإفساد القانوني بعدم نصره المظلوم، وإعانة الظالم، والإفساد الديني بنشر العلمانية والشيعوية والرأسمالية، والإفساد التشريعي في عدم تطبيق الشريعة الإسلامية وتطبيق الشريعة الفردية، والإفساد الإعلامي والذي أساسه الكذب. **﴿و﴾**: أيضًا **﴿لَتَعْلَنَ﴾**: تستعلون عن الناس؛ ويظهر أمركم ودولتكم؛ بالظلم، والبغي، والعدوان، تُفردون في الظلم والعدوان؛ ويظهر أمركم ودولتكم بالظلم والعدوان **﴿عُلُوءًا﴾**: إفراطًا **﴿كَبِيرًا﴾**: يكون سلطانكم ونفوذكم واسعًا، ومالككم كثيرًا، حيث سيقع مع الإفساد المجتمعي لبني إسرائيل في الأرض المباركة "فلسطين" منهم علوٌ كبير في المرتين، والعلو هنا علو استكبار وطغيان، وقتل، وتجبر، وغلبة، وظلم كما في الآية "﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُدَّبِحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص-٤]، فالعلو عادة ما يكون معه الإفساد، كما في قوله ﷻ **﴿تِلْكَ الدَّارُ الْأَخْرَى نَجَعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾** [القصص-٨٣]، إن علو فرعون هو طغيانه وظلمه وإفساده، ومثله العلو الذي سيقع من بني إسرائيل في المرتين، قتل وظلم وطغيان وبغي وانحراف في كل صور الإفساد المذكورة، إن هذه الآية تُظهر لنا أنّ علو بني إسرائيل في الأرض المباركة فلسطين في المرتين سيكون علوًا كبيرًا، ويكون فيه الاستكبار كبيرًا، ويكون فيه الظلم كبيرًا، والقتل كبيرًا، والعدوان كبيرًا. عن أبي ذرٍ رضي الله عنه قال: "تذاكرنا ونحن عند رسول الله ﷺ أيهما أفضل: صلاة في مسجدي هذا أفضل أم أربع صلوات فيه، ولنعم المصلّي، وليوشكن أن يكون للرجل مثل شطن فرسه من الأرض حيث يرى منه بيت المقدس خيرٌ له من الدنيا جميعًا - أو قال خيرٌ من الدنيا وما فيها." <sup>(١)</sup> معنى هذا أنّ المسجد الأقصى سيكون من

(١) المستدرك على الصحيحين للحاكم، كتاب الفتن والملاحم، (٤/ ٥٥٤) ح ٨٥٥٣ وقال الحاكم عقيبة: هذا حديثٌ صحيحٌ الإسناد

العسير على المسلمين أن يصلوا إليه، بل إن بعضهم سيتمنون أن يروه بأعينهم مجرد الرؤية، فهو في الأسر وتحت الاحتلال؛ ولا يستطيع أن يصل إليه المسلمون حتى من أبناء الأرض المقدسة (فلسطين) وأحياناً حتى من أبناء بيت المقدس ذاته".

**﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا﴾ (٥)**

**﴿ف﴾**: حرف مفاجأة وأمر للمستقبل **﴿إِذَا﴾**: ظرف لما يُستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط بين ما بعدها بما قبلها **﴿جَاءَ﴾**: حَلَّ بِكُمْ **﴿وَعْدُ﴾**: العقاب الموعود على **﴿أُولَاهُمَا﴾**: العقاب على أولى الإفساد **﴿بَعَثْنَا﴾**: أرسل الله ﷻ **﴿عَلَيْكُمْ﴾**: أرسلنا إليكم بصيغة الجمع للتضخيم وهنا معنى العلو والغلبة والاستحواذ والقهر والسيطرة **﴿عِبَادًا لَنَا﴾**: من خلق الله ﷻ هم المؤمنون المتصفون بصفات الذين أزالوا ملككم وقضوا على إفسادكم يتصفون بالتقوى والصلاح أي إنهم مملوكون لنا، ومأمورون منا ويتصرفون وفق مشيئتنا **﴿أُولِي﴾**: أصحاب **﴿بَأْسٍ﴾**: قوة وجبروت في الحروب **﴿شَدِيدٍ﴾**: لهم سلطان، وقوة، وعدة كبيرة، وشجاعة عظيمة، يقول الدكتور محمد راتب النابلسي المقصود "بختنصر" ومن معه، فقد غزاهم، واستباح أموالهم ونساءهم كان هذا قد وقع، لكن "بختنصر" ومن كان معه لا يُوصفون بأنهم عباد الله ﷻ؛ لذلك الأرجح أن الفساد الأول هو فساد اليهود الذي كان في عهد النبي محمد ﷺ بعد مجيء القرآن الكريم؛ فأرسل الله عليهم نبياً وأصحابه فقاتلوهم وأجلوهم عن أرض الحجاز؛ فبنوا النضير وبنو قينقاع قد أجلوا من الجزيرة العربية **﴿فَجَاسُوا﴾**: إنَّ الجَّوْسَ هو التردد ذهاباً وإياباً، بهدف التفتيش، والفحص، والتقصي، وإنما يحدث هذا الجوس من أولي البأس الشديد وهم يدخلون المدينة المقدسة، يفتشون خلال الديار عن المختبئين من بني إسرائيل، لقتلهم، أو أسرهم، أو معاقبتهم، أو طردهم، وفي هذا إشارة إلى انعدام فرص النجاة لدى بني إسرائيل أمام هؤلاء الذين يجوسون في كل مكان بحثاً عمّن يقتلونه يقول د نصر فحجان: ومن التاريخ نعلم أن الذين دخلوا المدينة المقدسة في أول مرة هم البابليون بقيادة الملك نبوخذ نصر في عام ٥٨٦ قبل الميلاد **﴿خِلَالَ﴾**: تعني في كل مكان، فالخلال هو الانفراج بين الشينين **﴿الدِّيَارِ﴾**: البيوت، تقول د. وهبة الزحيلي؛ أي ترددوا وسط دياركم؛ لطلبكم، وقتلكم، وسبيكم؛ فقتلوا الكبار، وسبوا الصغار، وأحرقوا التوراة، وخربوا المسجد الأقصى، وبيت المقدس. ويقول الشيخ محمد أبو زهرة: إنهم لا يقنعون في

ولم يخرجاه، وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٨/ ١٤٨) ح ٨٢٣٠.

حروبهم بأماكن الجند، ومعسكرات الحرب، بل يدخلون المدائن، ويجوسون خلال دورها، ويترددون خلال هذه الدور ﴿و﴾: عطفاً على ما سبق ﴿كَانَ﴾: تعني قد تحقق في الماضي ولا راد لقضاء الله ﷻ ﴿وَعَدَا مَفْعُولًا﴾: أي كائنًا نافذًا لا محالة، حيث من المعلوم بدهاءة أن إفساد بني إسرائيل في المرتين كان مكانه الأرض المقدسة فلسطين، وأن خصوصية المسجد الأقصى لا بد أن تكون حاضرة في المرتين لقوله ﷻ ﴿وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا﴾ [الإسراء-٧]. ويحتمل أن يكون المقصود هو أن السنة الإلهية في المجتمعات البشرية تقتضي دائماً معاقبة المفسدين بمقدار ما اقترفوا؛ فالإفساد والعلو الكبير الذي وصله بنو إسرائيل يستحقون عليه هذه النهاية الحاسمة جزاءً وفاقاً.

**التكليف:** إنَّ الملاحظ أنَّ الأفعال المستخدمة في الحديث عن الوعد الأول جاءت بصيغة الماضي؛ مثل "بعثنا"، و"جاسوا"، وأنَّ الأفعال المستخدمة في الوعد الآخر "الثاني" جاءت بصيغة المضارع والمستقبل؛ مثل "ليسوؤوا"، و"ليدخلوا"، و"ليتبروا"؛ مما يجعلنا نفهم حدوث الوعد الأول وانتهائه؛ قبل البعثة النبوية.

من صفات "العباد أولي البنس الشديد": صفة الاستمرارية، وعدم اليأس، والظهور على الحق، والدفاع عنه، والتمسك به، والقوة، والشجاعة، والإقدام؛ فلا تفر لهم عين، ولا يهنأ لهم عيش، ولا تستقر لهم إقامة إلا بعد تحقيق مبتغاهم، ولا يضرهم خذلان قريب، ولا مخالفة بعيد.

**﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكُرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ (٦)**

**﴿ثُمَّ﴾:** حرف عطف يدلُّ على التراخي في الزمن؛ فسقطت دولتهم سنة ٥٨٦ ق. م.

**﴿رَدَدْنَا﴾:** جاءت بصيغة الجمع؛ لعظم الحدث، وهو التكرار أي سيكون الأمر لصالحكم، وسيردُّ الله ﷻ لكم ما كنتم عليه من القوة والسيطرة على الأرض المباركة فلسطين **﴿لَكُمْ﴾:** تخصيصاً لصالحكم تخصيصاً **﴿الْكُرَّةَ﴾:** أعدنا الغلبة والدولة لكم فيها تكرر ورجوع إلى المكان نفسه، أي الرجوع إلى الأرض المباركة فلسطين، والكرَّة يُعبَّر بها عن الدولة كما يقول علماء اللغة، والتاريخ يشهد أنه لم تكن لليهود دولة في تاريخ المسلمين، والواقع يقول: إنَّ هذه الدولة إنما كانت في أيامنا هذه **﴿عَلَيْهِمْ﴾:** بعد توبتكم فيها علوٌ وغلبة وانتصار، والضمير في عليهم يعود على الذين أزالوا إفساد بني إسرائيل الأوَّل، وهم البابليون، هم الكلدانيون الذين ورثوا دولة آشور العراق وهم قبائل عربية جاءت من الجزيرة العربية وسيطرت على منطقة العراق، فهم عربٌ من أصولٍ عربيةٍ وهم أجداد أهل العراق والشام الحاليين

**﴿وَأَمْدَدْنَاكُمْ﴾**: أيضًا بعد نهب أموالكم وسبي أبنائكم؛ زدناكم **﴿بِأَمْوَالٍ﴾**: المراد بالأموال مثل: المال نقدًا، والمشاريع الاقتصادية، والإمدادات العسكرية، والمصانع والمعدات والآلات، والمواد الخام من المعادن والمزروعات، وكل ما يُعتمد عليه في بناء الدولة **﴿و﴾**: أيضًا أمددناكم بـ **﴿بِنِينٍ﴾**: هم الأبناء الذكور اليافعون؛ وهي أدوات القوة والنصر، وقد قدّم الله ﷻ المال لدوره الأكبر في القوة والمنعة، وقد اهتم اليهود بهجرة الشباب وخاصة الذكور؛ وقد تمكنت الحركة الصهيونية من نقل ثلاثين ألف طفلٍ يهوديٍّ أغلبهم من ذكور أوروبا إلى فلسطين في عام ١٩٣٣ حتى عام ١٩٤٨م، ونقلت ٤٠، ٠٠٠ طفل يهوديٍّ من روسيا ورومانيا، وكانوا من الفلسين المغامرين **﴿وَجَعَلْنَاكُمْ﴾**: هيأناكم لتكونوا **﴿أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾**: يقول الرَّجَّاجُ أي أكثر أنصارًا ومؤيدين، أي جعلنا لكم الكثرة في جيشكم وجنودكم الذين يخوضون المعارك، وينفرون في الحرب؛ ففي حرب فلسطين سنة ١٩٤٨م كان عدد الجيوش العربية السبعة ٢١٥٠٠ جنديٍّ أي ثلث الجيش اليهودي الذي كان عدده ٦٨١٠٠ جندي، وتعني أكثر استفازًا للدول الكبرى التي تساندهم بوسائل القتال والمال والدعم السياسي في المحافل الدولية.

**﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعَدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا﴾ (٧)**

وهنا مقدّر كلمةٌ سبقت بمعنى قلنا لكم **﴿إِنْ﴾**: حرف شرط، وقلنا لكم **﴿أَحْسَنْتُمْ﴾**: بالإيمان، والطاعة في فعل الخير في أقوالكم على الوجه المطلوب منكم، وقدمتم الخير **﴿أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ﴾**: جنيئتم ثمار عملكم، والإحسان هو الابتعاد عمّا يُغضب الله ﷻ، وفعلتم الحسنات والتزمتم بشرع الله ﷻ وطبقتم أوامره وانتهيتم عمّا نهى **﴿وَإِنْ أَسَأْتُمْ﴾**: إذا فعلتم السيئات؛ وتسببتم في الضرر، والشرّ **﴿ف﴾**: حرف يفيد هنا ربط الجواب **﴿لَهَا﴾**: للهزيمة والخزي في الدنيا، ولجهنم في الآخرة، وجاء بالمعنى نفسه: **﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾** [فصلت-٤٦]، وهذه قاعدة عامة، وسنة ماضية، وقد يكون الأمر موجهاً للمسلمين تعقيباً على الحكاية عن بني إسرائيل، ووصية للمسلمين بأن لا يكونوا أمثال اليهود؛ وهذا احتمال أضعف **﴿إِذَا﴾**: ظرف لما يُستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط ما بعدها بما قبلها **﴿جَاءَ﴾**: حلّ ووقع **﴿وَعَدُ الْآخِرَةِ﴾**: أي الثانية والأخيرة، لقد جاء وعد الآخرة،

وهو الوعد بزوال مُلكِكُمْ، ونهاية إفسادكم وعلوكم الكبير، وتشريدكم من جديد، وتتبير كلِّ مظاهر إفسادكم في الأرض المباركة فلسطين. جاء اللفظ القرآني "الآخرة" على "خمسة" أوجه، هنا بمعنى "الأخير" وهي ملة "عيسى" ﷺ، التي تسبق دين الإسلام، الذي نزل على "محمد" ﷺ ومن بعده الذين سيحققون طرد اليهود من أكبر تجمع لهم، وكسر شوكتهم ﴿ل﴾: حرف علّة وسبب ﴿يَسُوءُوا﴾: إن إساءة الوجه تعبير مجازي يستخدم للتعبير عن كشف السوات، والافتضاح، والخط من القدر؛ أي نقويهم عليكم ليفعلوا بكم ما ينصرهم عليكم ويظهر عليكم آثار السوء الذي هو ضررٌ وشرٌ، بسب هزيمتكم ﴿وَجُوهَكُمْ﴾: سيأتي أعداؤكم، يهينونكم، ويقهرونكم، ويهزمونكم، ويجعلون وجوهكم سيئة، وهذا كناية عن الخزي والعار والخسة والفضائح في أموركم وسمعتكم وهزيمتكم ﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿ل﴾: حرف يفيد السبب ﴿يَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ﴾: يقول أبو الفرج بن الجوزي في زاد المسير إن المهمة الثانية للعباد الذين يبعثهم الله ﷻ في وعد الآخرة، بعد إساءة وجوه اليهود، هي الدخول والصلاة في المسجد الأقصى، هو البيت المقدس في فلسطين الذي كان الإسراء إليه، ومنه كان العروج إلى السموات، وهو الذي بارك الله فيه وحوله، فكانت فلسطين من حوله هي الأرض المباركة ﴿ك﴾: حرف يفيد التشبيه ﴿مَا﴾: مثل الذي ﴿دَخَلُوا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾: عندما جاسوا خلال الديار ﴿وَلِيَتَّبِعُوا﴾: أيضًا التنبير هو الإهلاك والتدمير، يشمل الجانب المعنوي، والتحطيم والتكسير والتفتيت المادي، بحيث لا يبقى ممّا تبروه شيء يقوم بذاته، ولن يقع هذا التنبير إلا بعد دخول بيت المقدس، وتحرير المسجد الأقصى. تنبيرًا مفعول مطلق، جاء ليؤكد الفعل (وليتبروا)، فهو تنبيرٌ حقيقيٌّ مُطلقٌ الحدوث، يجعلنا نتصور الدمار والإهلاك كأنه يقع أمامنا دون قيود على هذا الدمار والإهلاك والتفتيت ﴿مَا﴾: كل الذي ﴿عَلُوا﴾: كل ما حصلوه، واستولوا وسيطروا عليه بالقوة والقهر والغلبة ﴿تَنْبِيرًا﴾: تدميرًا كاملاً، ولا يقتصر التنبير على الجانب المادي؛ بل سيمتد إلى تنبير العلو المعنوي، وتحطيم ما ترمز إليه "إسرائيل" من القوة والعنجهية، والسيطرة والغنى.

التكليف: هذه قاعدة؛ أصابت وتصيب اليهود وتصيب المسلمين وغيرهم؛ إذا فسدت الأمة؛ سَلَطَ اللهُ ﷻ عليها من يبيدها.

﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُذْتُمْ عَدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾ (٨)



﴿عَسَى﴾: فعلٌ ماضٍ جامد جاء هنا للترجي في الأمر المحبوب، وهي تدلُّ على التحقق والوجوب، إنَّ قدر الله ﷻ كائنٌ واقعٌ لا محالة ببني إسرائيل بعد زوال إفسادهم، وتبوير ملكهم، وسقوط دولتهم ﴿رَبُّكُمْ﴾: هو سبحانه المُعبود، والمُربي، وهو المنشئ للكون بمن وبما فيه من حالٍ إلى حالٍ؛ إلى حدِّ التمام وهو تعالى الخالق، والمالك، والعاطي، وكثيرُ الخير، والمُحيط، والمُدبِّر، والجابرُ لكسر البرايا، والثابت، والقريبُ، والجامعُ، والمصلحُ، والسيِّدُ ﴿أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿يَرْحَمَكُم﴾: أي يصرف أعداءكم عنكم بعد انتقامه منكم في المرّة الثانية ﴿وَإِنْ﴾: حرف شرط ﴿عُدْتُمْ﴾: إذا رجعتُم إلى الإفساد، في المرّة الثالثة ﴿عُدْنَا﴾: إخبارٌ من الله ﷻ بأنَّ اليهود سيُحاولون العودة إلى الإفساد في الأرض المباركة فلسطين من جديد، وذلك بعد زوال دولتهم وإفسادهم في وعد الآخرة، وفيها إشارة إلى سرعة انتقام الله ﷻ من اليهود وقائدهم الدجال، وإبادتهم عن آخرهم، حتى الذين يستترون بالغرق، فإنَّ المسلمين سيلاحقونهم في شجرهم ليقتلوهم ولأنَّ الجزء من جنس العمل، إنَّ عُدتم إلى الإفساد والعصيان؛ عُدنا إلى معاقبتكم؛ بتسليط أعدائكم عليكم في الدنيا، ولكم في الآخرة عذابٌ ونكالٌ ﴿و﴾: عطفًا على ما جاء ﴿جَعَلْنَا﴾: هيأنا ﴿جَهَنَّمَ ل﴾: حرف تخصيص ﴿الكافرين﴾ ﴿حَصِيرًا﴾: وخصصنا لكم جهنم سجنًا؛ تتحصرون فيه، ومستقرًا؛ لا خروج منه، قال ابن عباس: "الحصير هو السجن، وقال الحسن: فراشًا، ومهدًا، وقال قتادة: "لقد عاد بنو إسرائيل؛ فسَلطَ الله عليهم محمدًا ﷺ؛ يأخذ منهم الجزية، وهم صاغرون، و"حَصِيرًا": يحمل اللفظ من الإيحاءات بالتضييق، والحبس، والمنع، والحشر؛ فهم ليسوا في نار جهنم فحسب؛ بل في سجن جهنم وظلامها.

التكليف: تؤكد الآية الكريمة أنَّ دخول المسلمين المسجد الأقصى يعني دمار اليهود، وفي هذا الزمان الذي نعيشه؛ فإنَّ انتصار المسلمين على اليهود في فلسطين، ودخولهم المسجد الأقصى، في معركة وعد الآخرة، هو انتهاء دولة "إسرائيل" وعلوها في العالم أجمع، وبداية دورة حضارية جديدة. ﴿وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا﴾: لا يوجد فاصل بين "عدتم" و"عدنا"؛ فالعقوبة حاضرة، وفورية، والإهلاك سريع، ونهائي.

﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ (٩)

﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي والشك والإنكار ﴿هَذَا﴾: تتكون من حرف ﴿الهاء﴾: للتبويه وحرف إشارة ﴿ذَا﴾: للإشارة ﴿الْقُرْآنَ﴾: يمدح الله ﷻ كتابه الكريم القرآن أنه ﴿يَهْدِي﴾: يقودُ ويدلُّ ﴿ل﴾: حرف تخصيص ﴿الَّتِي﴾: اسم موصول للمفرد المؤنث ﴿هِيَ أَقْوَمُ﴾: لأقوم الطرق،

وأوضح السُّبُلَ السَّديدة، المستقيمة، في الدنيا وقيل هي ملة الإسلام التي هي أقوم الحالات وهي توحيد الله ﷻ والإيمان برسله ﷺ **﴿وَيُبَشِّرُ﴾**: والبشارة هي بقول ما يسرُّ ويُفرح أيضًا **﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾**: يبشر بالخير للمؤمنين في الآخرة، أن لهم ثوابًا عظيمًا وفي الدنيا نصرًا وتمكينًا **﴿الَّذِينَ﴾**: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع من **﴿يَعْمَلُونَ﴾**: واقعًا وليس كلامًا فقط **﴿الصَّالِحَاتِ﴾**: كلٌّ ما أمر به الله ﷻ ليصلح ما فسد **﴿أَنَّ﴾**: حرف تأكيد الفعل، ونفي الشك **﴿لَهُمْ﴾**: تخصيصًا وتمليكَ **﴿أَجْرًا﴾**: ثوابًا **﴿كَبِيرًا﴾**: جزيلاً.

**﴿وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (١٠)**

**﴿وَأَنَّ﴾**: حرف يُفيد تأكيد الفعل، ونفي الإنكار **﴿الَّذِينَ﴾**: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع من **﴿لَا﴾**: حرف نفي **﴿يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾**: هم الكفار، ومنهم اليهود، والنصارى **﴿أَعْتَدْنَا﴾**: جهزنا ومهدنا **﴿لَهُمْ﴾**: تخصيصًا **﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾**: يبشرهم أن الله ﷻ أعدَّ لهم عذابًا شديد الإيلام يوم القيامة.

**﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانَ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾ (١١)**

**﴿وَيَدْعُ﴾**: يروِّج، ويحبب **﴿الْإِنْسَانَ﴾**: من بني آدم **﴿بِ﴾**: حرف باء السبب **﴿الشَّرِّ﴾**: قال "ابن عباس، ومجاهد، وقتادة": يذكر الله ﷻ أن من الناس من يدعو في الحياة الدنيا على نفسه، وولده، وماله بالشر، أو الموت، أو الهلاك، والدمار مثل **﴿دُعَاءَهُ﴾**: لربِّه ﷻ **﴿بِ﴾**: حرف باء المقابلة **﴿الْخَيْرِ﴾**: كما يدعو لنفسه وأهله بالخير كطلب العافية والرزق وغيرها من وجوه النعم **﴿وَكَانَ﴾**: وسبق **﴿الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾**: مطبوعًا على العجلة، ومن عجلته أنه يسأل الشر كما يستعجل الخير.

التكليف: عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ إِلَّا بِخَيْرٍ، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ يُؤْمِنُونَ عَلَى مَا تَقُولُونَ»<sup>(١)</sup>، وقال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَوْلَادِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَمْوَالِكُمْ، لَا تُؤْفِقُوا مِنَ اللَّهِ سَاعَةً يُسْأَلُ فِيهَا عَطَاءٌ، فَيَسْتَجِيبُ لَكُمْ»<sup>(٢)</sup>.

**﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا﴾ (١٢)**

(١) صحيح مسلم ٦٣٤/٢ (٩٢٠).

(٢) صحيح مسلم ٢٣٠٤/٤ (٣٠٠٩).

﴿وَجَعَلْنَا﴾: قدّر الله ﷻ بالتعظيم ﴿اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾: خلق الله ﷻ الشمس والقمر؛ لتتحقق ظواهر طبيعية عظيمة الشأن والأثر في الخلق: سخر الله ﷻ غياب الشمس لتكون ظلمة الليل، ثم بعدها تكون أشعة الشمس على الأرض؛ فيكون نور النهار؛ ليكون الليل والنهار ﴿آيَتَيْنِ﴾: لما فيهما من الاختلاف بالطول والقصر، دليلين وبرهانين، قال "مجاهد": الشمس آية النهار، والقمر آية الليل، وقال "ابن عباس": محو السواد الذي في القمر، وقال أيضًا: تعني ليلاً ونهاراً ﴿ف﴾: حرف يفيد السبب ﴿مَحْوُنَا﴾: إن الغاية المقصودة هي ظلام الليل الدامس ومحو الضوء الذي يتلاءم مع راحة النفس والعين والسمع ﴿آيَةً﴾: دليل ﴿اللَّيْلِ﴾: جعلنا الليل مظلمًا ﴿وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾: أيضًا جعل الله ﷻ الشمس تُضيء في النهار، وفي الضوء يناسب الحركة والعمل ومشاهدة الأشياء، وهذا إضافة لليل هو من فضل الله ﷻ على الخلق جميعًا. إن الحقيقة الثابتة علميًا أنّ عدم انعكاس أشعة الشمس على الأرض يسبب الليل، وانكشاف الأرض أمام أشعة الشمس؛ يُسبب النهار ﴿ل﴾: حرف يفيد السبب ﴿تَبَنُّوْا﴾: تحققوا ما تريدون ﴿فَضْلًا﴾: من كرم الله ﷻ ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ وبيان لتمييز النوع يفيد هنا ابتداء الغاية الكلية ﴿رَبِّكُمْ﴾: المُعبود، والمُربي، مالك أمركم كله ﴿و﴾: حرف عطف يفيد هنا الحال ﴿لِتَعْلَمُوا﴾: تحدّدوا بدقّة ﴿عَدَدَ﴾: ذكر الشوكاني الفرق بين لفظ عدد وهو إحصاء أمثال الشيء التي منها يتكون ﴿السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾: هو إحصاء طائفة مُعيّنة يتكون منها الشيء، فالسنة عددها (٣٦٥ يومًا) وهذا هو العدد، أمّا الحساب فعلى "وجهين" فالسنة تتكون من اثني عشر شهرًا، وكلُّ شهرٍ يتكون من (١٢) شهرًا وكلُّ شهرٍ يتكون من (٣٠) يومًا، وكلّ يوم يتكون من (٢٤) ساعة، وأيضًا في قوله ﷻ ﴿فَالِقِ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [الأنعام-٩٦] فتعاقب الليل والنهار تتجدد الأيام، والأسبوع، والشهر، والعام، وهذا يفيد البشر في المواعيد المتفق عليها؛ للديون، والعبادات، والمعاملات، والإجازات ﴿وَكُلَّ﴾: تفيد عموم ﴿شيء﴾: جاءت بصيغة النكرة لتؤكد كلّ شيء ﴿فَصَلَّنَا﴾: ذكرناه بالتفصيل؛ للفهم، والإدراك الصحيح ﴿تَفْصِيلًا﴾: واضحًا بكلّ مكوناته.

﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا﴾ (١٣)

﴿وَكُلَّ﴾: تفيد العموم ﴿إِنْسَانٍ﴾: من بني آدم، وجاءت بصيغة نكرة؛ لتؤكد الجميع ﴿أَلْزَمْنَاهُ﴾: جعلنا إلزامًا لكلّ إنسانٍ عمله، ملازمًا له، كما ملازمة ﴿طَائِرَهُ﴾: والمعنى هنا هو كلّ ما يصدر عن الإنسان من قولٍ وعملٍ. وقد كانوا في الجاهلية يُطلقون الطير في الهواء

فإن ذهب إلى جهة اليمين تقاءلوا وإن ذهب جهة اليسار تشاءموا فأطلقوا اسم الخير والشر على الطائر بطريق الاستعارة، هو عندهم الحظ، ويقال له أيضًا البخت؛ وأصله أنهم كانوا يتطيرون، يتشاءمون بمرور الطيور، ويزعمون أنهم يعرفون الخير من الشر، فعمله كما القلادة، فالمعلومة تطير، والخبر يطير إنَّ المقصود هنا ليس الطائر الحي، بل إنَّه العمل الذي يأخذه مخلوقٌ مُكَلَّفٌ؛ يطير به إلى حيث يشاء الله ﷻ، وقد أوضح الله ﷻ ذلك، فقال: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام-٣٨] **﴿فِي عُنُقِهِ﴾**: إنَّ عمل الإنسان محفوظ عليه، ملازمٌ له لزوم القلادة في العنق، قليل منه وكثير، يُكتب عليه ليلاً ونهاراً، من خيرٍ وشرٍ، واختار الله ﷻ العنق؛ لأنه وحيدٌ في جسم الإنسان، عندما يموت الإنسان يُطوى كتابه، ويوضع في عنقه فعمله ملازمٌ له؛ سيحاسب عليه **﴿وَنُخْرِجُ﴾**: يُبرز الله ﷻ **﴿لَهُ﴾**: تخصيصاً **﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾**: يوم الحساب والجزاء **﴿كِتَابًا﴾**: يوم القيامة كتاب عمله كله، إمَّا يأخذه بيمينه إن كان سعيداً، **﴿يَلْقَاهُ﴾**: يجده حاضرًا أحصى كل شيء، صغيره وكبيره، يأخذه بيمينه إن كان مؤمناً، أو يأخذه بشماله إن كان شقيًّا **﴿مُنشُورًا﴾**: مفتوحاً أمامه، يقرأه صاحبه، فيه جميع ما عمل من أول عمره إلى آخره، الخير والشر؛ ويُقال له:

**﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ (١٤)**

يُقال له يوم القيامة **﴿اقْرَأْ﴾**: فعلٌ أمرٌ ربَّاني **﴿كِتَابَكَ﴾**: كتاب تسجيل أعمالك؛ حتى تعلم أيها الإنسان أنك لم تُظلم؛ هذه أعمالك مكتوبة أمامك، وفي يدك كتابك، لم تُظلم فيه، يقرأ الإنسان كتابه كان متعلماً أو أمياً يقال له **﴿كَفَى﴾**: يكفيك **﴿بِنَفْسِكَ﴾**: جوهرك، وحقيقتك **﴿الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾**: إنَّ نفسك هي الشاهد عليك؛ وكفى بها شاهداً، وهذا من عدل الله ﷻ.

التكليف: أخطر صغائر الذنوب كما الكبائر فكلُّه مكتوب وأنت مُحاسبٌ عليه.

**﴿مَنْ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ (١٥)**

**﴿مَنْ﴾**: الذي من جنس العاقل **﴿اهْتَدَى﴾**: هو العاقل الذي عرف الحق؛ وسار على نهج النبوة **﴿فَإِنَّمَا﴾**: أداة حصرٍ مركبة تقيّد التحديد والتخصيص **﴿يَهْتَدِي﴾**: يعرف ويعمل الصواب **﴿لِنَفْسِهِ﴾**: له تخصيصاً، لا ينتفع منها سواه، فهو الذي يجني ثمارها **﴿وَمَنْ ضَلَّ﴾**: من تاه عن الحق، وزاغ عن طريق الرشاد **﴿فَإِنَّمَا﴾**: تحديد وتخصيص **﴿يَضِلُّ﴾**: يتسكب الطريق وهو في تيه **﴿عَلَيْهَا﴾**: فإنَّه يجني على نفسه، ويجني وزرها **﴿وَلَا﴾**: حرف نفي

﴿تَزِرُ﴾: لا يحمل أحدٌ ﴿وَاِزْرَةً﴾: نفسٌ آثمةٌ ﴿وِزْرًا﴾: إثمٌ، ذنبٌ نفسٌ ﴿أُخْرَى﴾: نفسٌ أحدٍ آخرٍ، أمّا الذين دعوا إلى ضلالةٍ غيرهم؛ فلهم إثمٌ آخرٌ بسبب ما أضلوا الذين ضلوا ﴿و﴾: عطفاً على ما سبق ﴿مَا﴾: حرفٌ نفيٌ ﴿كُنَّا﴾: المقصود هو الله ﷻ ﴿مُعَذِّبِينَ﴾: موقعين عقوبة العذاب ﴿حَتَّى﴾: حرفٌ جرٌّ يدلُّ على انتهاء الغاية الشرطية، أي لن يُصدقوا إلا بشرط أن ﴿نُبْعَثَ﴾: نرسل فيهم ﴿رُسُولا﴾: كتب الله ﷻ ألا يعذب أحدًا إلا بعد قيام الحُجَّةِ عليه، والحُجَّةُ هي الرسل؛ جاء في المعنى: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ﴾ [الزمر-٧١]، وهذا من عدل الله ﷻ، أن يأتي الرسولُ، فيبلغ عن ربِّه، ويحمل الدعوة رسالته من بعده؛ يبشرون من آمن، وينذرون، ويحذرون، ويخوفون الذين ضلوا بوعي وإدراكٍ وإصرارٍ، وماذا عن أبناء الكفار؟ قيل: هم مع آبائهم، وقيل هم خدم أهل الجنة، وأمثلةٌ أخرى مثل الأصم، والشيخ الخرف، ومن لم يشهد الرسول، والمجنون، وهذه مبحث الدارسين.

التكليف: قد يبدو أنّ سياق الآية إخباريًا إلا أنه يحمل معنى التهديد والوعيد.

﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاَهَا تَدْمِيرًا﴾

(١٦)

﴿وَإِذَا﴾: أداة ربط ما بعدها بما قبلها، وهو ﴿أَرَدْنَا﴾: شاء الله ﷻ ﴿أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿نُهْلِكَ قَرْيَةً﴾: هلاك تجمع سكانيٍّ كبيرٍ بظلمهم، أمّةٌ في قريةٍ أو مدينةٍ ﴿أَمَرْنَا﴾: من الذين أمرهم الله ﷻ بعمل الطاعات ﴿مُتْرَفِيهَا﴾: المتنعمين، الذين بطروا الحياة، وتنعّموا ظلمًا وعدوانًا ﴿فَ﴾: حرف يفيد السبب ﴿فَسَقُوا﴾: عصوا ربهم وفعلوا الشرّ، خرجوا عن المسموح؛ وعصوا، وأصل الفسوق هو الرطب من البلح إذا نضجت وضغطت اللبّة على القشرة الخارجية فتتفسخ ﴿فِيهَا﴾: خرجوا عن طاعة الله ﷻ ﴿فَحَقَّ﴾: وجب ﴿عَلَيْهَا﴾: عليهم، استحقوا تنفيذ ﴿الْقَوْلِ﴾: هو العذاب الذي لا مردّ له، هو أمر الله ﷻ ﴿فَدَمَّرْنَاَهَا﴾: أهلكتها ﴿تَدْمِيرًا﴾: هلاكًا عظيمًا عجلنا؛ لهم العقاب؛ فأهلكتناهم واستأصلناهم.

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ (١٧)

﴿وَكَمْ﴾: تفيد الكثرة، ما أكثر ما ﴿أَهْلَكْنَا﴾: زوالًا كاملاً ﴿مِنْ﴾: بعض ﴿الْقُرُونِ﴾: من الأمم المكذبة في العصور الطويلة ﴿مِنْ﴾: حرفٌ جرٌّ وبيان لتميز النوع يفيد هنا ابتداء الغاية المكانية، وتفيد هنا بداية الغاية الزمانية ﴿بَعْدِ نُوحٍ﴾: كان الناس ما بين "آدم، ونوح"، عليهما السلام، ألف سنة، أمّا الذين كفروا من بعد "نوح"؛ فهم أممٌ كثيرةٌ، دمرهم الله ﷻ، وهذا إنذارٌ لكفار "قريش"؛ لأنهم ليسوا أكرم ولا أغنى ممن سبقهم، وقد جاء ذكرهم في القرآن الكريم

﴿وَكَفَى﴾: يكفي ﴿بِرَبِّكَ﴾: المُعبود، والمُربي، والجابرُ لكسر البرايا، والثابت، والقريبُ، والجامعُ، والمصلحُ، والسيدُ، لتحقيق العدل ﷻ أنه ﴿بِذُنُوبٍ﴾: خطايا وآثام ﴿عِبَادِهِ﴾: خلقه من البشر ﴿خَبِيرًا﴾: يعرف تفاصيلها خبرًا، خبرًا ﴿بَصِيرًا﴾: يعلم ذنوب وأعمال الخلائق جميعًا، علم المشاهد بالعين؛ ويعاقب عليها بلا ظلم.

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَذْحُورًا﴾ (١٨)

﴿مَنْ﴾: العاقل الذي ﴿كَانَ يُرِيدُ﴾: من يرغب ويريد في ﴿الْعَاجِلَةَ﴾: متاع الحياة الدنيا ﴿عَجَّلْنَا﴾: أسرعنا، وقدمنا ﴿لَهُ﴾: تحديدًا ﴿فِيهَا﴾: آتيناها في حياته الدنيا ﴿مَا﴾: الذي ﴿نَشَاءُ﴾: ما قدر الله ﷻ أن يمنحه من النعيم ﴿لِمَنْ﴾: الذي من جنس العاقل تخصيصًا ﴿نُرِيدُ﴾: لمن قسم الله ﷻ له من الخلق ﴿نُتْمًا﴾: حرفٌ يفيد التتابع الزمني غير السريع ﴿جَعَلْنَا﴾: هيأنا ﴿لَهُ﴾: تحديدًا ﴿جَهَنَّمَ﴾: بسبب تركه لما أمر الله ﷻ من العمل الصالح؛ قدر الله ﷻ له جهنم في الآخرة ﴿يَصْلَاهَا﴾: ينغمس كُله في النار؛ يعاني عذابها ﴿مَذْمُومًا﴾: مذکورًا بالسوء على عمله السيئ ﴿مَذْحُورًا﴾: مُبعدًا، منبذًا، مفضوحًا، ذليلاً، ومهانًا.

﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾ (١٩)

﴿وَمَنْ﴾: الذي من جنس العاقل ﴿أَرَادَ﴾: الذي رغب بأعماله ثواب الدار ﴿الْآخِرَةَ﴾: والذي اختار العمل للآخرة، وترك الاختيار الأول، وهو العمل لمتاع الدنيا فقط؛ بما أحلّ الله ﷻ ﴿وَسَعَى﴾: عمل ﴿لَهَا﴾: تخصيصًا ﴿سَعْيَهَا﴾: عملاً جادًا، وأسرع باتباع الرسول ﷺ ﴿و﴾: حرف الواو هنا يسمى واو الحال بمعنى كونه مؤمنًا ﴿هُوَ﴾: ضميرٌ منفصلٌ مرفوعٌ للغائب المفرد المذكر ﴿مُؤْمِنٌ﴾: قلبه مطمئنٌ لوعده الله ﷻ، ومصدقٌ بالثواب والجزاء في الآخرة ﴿فَأُولَئِكَ﴾: اسم إشارة للجميع القريب والبعيد ﴿كَانَ﴾: وسيبقى ﴿سَعْيُهُمْ﴾: عملهم، وجهدهم ﴿مَشْكُورًا﴾: أن جزء هؤلاء هو الثواب، الجزاء الذي وعدهم الله ﷻ.

﴿كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ (٢٠)

﴿كُلًّا﴾: نزيد العطاء مرة بعد مرة؛ للجميع، بلا استثناء، كلٌ واحدٍ من الفريقين، "من أراد العاجلة، ومن أراد الآخرة" ﴿نُمِدُّ﴾: نُعطي ويزيدُ الله ﷻ من عطائه على تتابعٍ من غير انقطاع، نرزق ﴿هَؤُلَاءِ﴾: إشارة للجمع البعيد المؤمنين ﴿وَهَؤُلَاءِ مِنْ﴾: العاصين الكافرين ﴿عَطَاءِ﴾: منح وثواب ورزق ﴿رَبِّكَ﴾: فهو ﷻ يعطي من السعادة ومن الشقاء، يُعطي

الفريقين من المال، والجاه، والسلطان ما قدره لهم، ولا أحد يمنع ذلك ﴿وَمَا﴾: حرف نفي ﴿كَانَ عَطَاءً﴾: رزق ﴿رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾: ممنوعًا، لا أحد من الخلق يمنع ما قدر الله ﷻ للخلق، قال "قتادة": منقوصًا، ولا مقطوعًا.

﴿انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلِالْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ (٢١)

﴿انظُرْ﴾: تأمل وارقب ﴿كَيْفَ﴾: حرف استفهام يفيد التعجب والاستنكار ﴿فَضَّلْنَا﴾: رفعا درجات ﴿بَعْضَهُمْ﴾: جزءا منهم ﴿عَلَى بَعْضٍ﴾: المقصود في الدنيا، فمن الناس الغني، ومنهم الفقير، ومنهم الحسن ومنهم القبيح، ومن يطول عمره، ومن يموت صغيرًا، وما بين ذلك ﴿و﴾: عطفاً على هذا ﴿لِلْآخِرَةِ﴾: الجنة ﴿أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ﴾: إن التفاوت في ثواب الآخرة أعظم وأكبر؛ فالذين في جهنم في دركات، وسلاسل، وأغلال، والذين في الجنة في درجات عليا، ونعيم، وسرور، فإن درجات الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين؛ كما بين السماء والأرض فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ «مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ، وَأَقَامَ الصَّلَاةَ، وَصَامَ رَمَضَانَ كَانَتْ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، جَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ جَلَسَ فِي أَرْضِهِ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا»، فقالوا: يا رسول الله، أفلا نُبَشِّرُ النَّاسَ؟ قال: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ، أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ، فَاسْأَلُوهُ الْغُرْدُوسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ - أَرَاهُ - فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَجَرَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ» قال مُحَمَّدُ بْنُ فُلَيْحٍ، عَنْ أَبِيهِ: وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ<sup>(١)</sup>. ﴿وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾: منزلة ومقامًا.

التكليف: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّ أَهْلَ الدَّرَجَاتِ الْعُلَى لَيَرَاهُمْ مَنْ تَحْتَهُمْ كَمَا تَرَوْنَ النَّجْمَ الطَّالِعَ فِي أَفْقِ السَّمَاءِ، وَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ، وَعَمَرَ مِنْهُمْ وَأَنْعَمًا"<sup>(٢)</sup>.

﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَدْحُولًا﴾ (٢٢)

﴿لَا﴾: حرف تحريم ونهي ﴿تَجْعَلْ﴾: كان الخطاب الأول لمحمد رضي الله عنه ثم اصبح واجبًا على المسلم المكلف بطاعة الله وعبادته، حرامٌ أن تجعل ﴿مَعَ اللَّهِ إِلَهًا﴾: معبودًا ﴿آخَرَ﴾: أن تشرك في طاعتك غير الله رضي الله عنه، وتجعل له شريكًا ﴿ف﴾: حرف يفيد هنا السبب ﴿تَقْعُدَ﴾: تصير ﴿مَذْمُومًا﴾: مذکور المساوئ وهي عكس المدح فتكون المذموم من الله رضي الله عنه، وملائكته، والمؤمنين ﴿مَدْحُولًا﴾: لا تجد من ينصرك، وسيكلك الله رضي الله عنه إلى نفسك وإلى الناس.

(١) صحيح البخاري ١٦/٤ (٢٧٩٠).

(٢) سنن الترمذي ٤٨/٦ (٣٦٥٨). وقال: هذا حديث حسن.

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٌ وَلَا تُنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ (٢٣)

﴿و﴾: أيضًا ﴿قَضَى﴾: جاء اللفظ القرآني "قضى" على "عشرة" وجوه؛ هنا بمعنى "وصى"، ووصية الله ﷻ أمر وتعني أيضًا، وحكمٌ، وإلزامٌ بإفراد ﴿رَبِّكَ﴾: المُعبود، والمُربي، مالك أمركم كله ﴿أَلَّا﴾: حرف تخصيص، بمعنى أن لا ﴿تَعْبُدُوا﴾: تطيعوا ﴿إِلَّا﴾: أداة حصر، فقد حصر ﷻ العبادة لذاته وحده فقط ﴿إِيَّاهُ﴾: إن غاية التعظيم لا يستحقها سواه، هنا نفى العبودية لأي شيءٍ إلا لله ﷻ ﴿و﴾: حرف عطفٍ يفيد هنا الحال وهو الإيمان بالله ﷻ أيضًا ﴿بِالْوَالِدَيْنِ﴾: الأب، والأم، وما علا من الأجداد ﴿إِحْسَانًا﴾: وهذا مبدأ حق الوالدين؛ الذي هو من أعظم حقوق الإنسان، الذي يشمل عمل البر، والطاعة، والإنفاق، ورعاية كلِّ شئون حياتهما، قضى أن تُحسنوا إلى الوالدين ﴿إِمَّا﴾: بمعنى عندما ﴿يَبُلُغَنَّ﴾: تصل أعمارهما ﴿عِنْدَكَ﴾: وهما في كنفك وحياتك ورعايتك ﴿الْكِبَرَ﴾: بلوغ الأعمار الكبيرة، وما فيها من ضعف الجسد، وقلة المال، والجهد ﴿أَحَدُهُمَا﴾: الأب أو الأم ﴿أَوْ﴾: حرف عطف يفيد التسوية بين متعاطفين هنا كبر العمر ﴿كِلَاهُمَا﴾: الاثنان ﴿فَلَا﴾: أداة نهى تفيد طلب عدم الفعل ﴿تَقُلْ لَهُمَا﴾: عدم القول لهما تخصيصًا ﴿أُفٌ﴾: حرف يفيد الاستنكار، والتبرم، والضجر، وكراهية بمعنى تبا، وتعسا لكما، تعبيرًا عن الضجر، وهذا أدنى مراتب القول السيئ ﴿وَلَا﴾: نهى عن أن ﴿تُنْهَرْهُمَا﴾: تزجرهما عما لا يعجبك، وقال عطاء: لا تنفض اليد عن رعايتهما، أو تقول لهما قولًا قبيحًا ﴿وَقُلْ﴾: هذا أمرٌ من الله ﷻ، وهو واجب ﴿لَهُمَا﴾: تحديدًا وتخصيصًا ﴿قَوْلًا كَرِيمًا﴾: القول الطيب، الحسن، اللين، بتأدبٍ، وتوقيرٍ، واحترامٍ لأنَّ التخلية مقدمة على التحلية، ومنع الأذى أولى من إحسان القول والفعل؛ ولأنَّ عدم الإحسان لا يترتب عليه ضررٌ كالذي يترتب على إيذاء الآخرين.

التكليف: هذا الخلق القرآني في عبقات الأسرة افتقدته منظمات حقوق الإنسان الدولية التي إذا لامسته لم تصل إلى هذا العمق والتفضيل، حتى أدنى كلمات الضجر، وهذا ما جاء في سياق الآيات التالية أيضًا.

﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ (٢٤)

﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿اخْفِضْ﴾: الكلمة هنا تفيد التواضع؛ تعني اجعلها أدنى إلى الأرض، والمقصود البسط والتوسعة للوالدين، التواضع في الفعل ﴿جَنَاحَ الذَّلِّ﴾: شبه الله ﷻ الذلَّ بطائر له جناح، ثم حذف الطائر ورمز له بشيء من أعضائه اللازمة، وهو الجناح



لإظهار الشفقة والرحمة بالوالدين والرعية والخدم والعاملين عنده؛ كنايةً عن الرعاية والاهتمام، كما يضم الطائر جناحه لصغاره، يُدْفَنُهُمْ، ويحميهم، ويعينهم على تعلم المشي ﴿مَنْ﴾: تفيد بعض ﴿الرَّحْمَةِ﴾: التي هي من صفات الله ﷻ، اكفل والديك بأن تضمهما إلى نفسك كما فعلا بك في حال صغرك ﴿وَقُلْ﴾: أيضًا يكون القول ﴿رَبِّ﴾: يا مالك أمري كله ﴿ارْحَمْهُمَا﴾: خص الله ﷻ الوالدين بالذكر الطيب، على ما قدما من حمل ورعاية وتربية وإنفاقٍ في التعليم، ورعايتهما في حال المرض والتربية، كان هذا في الفعل، وأتبعه ﷻ بالقول؛ بطلب المغفرة والرحمة لهما ﴿كَمَا﴾: مثلما ولأتهما ﴿رَبَّيَانِي﴾: تعهداني بالتربية، والطعام، والشراب، والتأديب، والتعليم ﴿صَغِيرًا﴾: منذ صغري، إن أحاديث الرسول ﷺ عن الرحمة بالوالدين، وفضل ذلك على الولد متعددة؛ منها: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: "رَغِمَ أَنْفٌ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفٌ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفٌ"، قِيلَ: مَنْ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: "مَنْ أَدْرَكَ أَبَوَيْهِ عِنْدَ الْكِبَرِ، أَحَدَهُمَا أَوْ كِلَيْهِمَا فَلَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ"<sup>(١)</sup>.

﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا﴾ (٢٥)

﴿رَبُّكُمْ﴾: المُعبود، والمُرَبَّى، مالك أمركم كله ﴿أَعْلَمُ﴾: صاحب العلم المطلق ﴿بِمَا﴾: اسم موصول هنا بمعنى الذي ﴿فِي نُفُوسِكُمْ﴾: هو ﷻ الأكثر، وصاحب العلم الشامل، ولاشك أن الله ﷻ، أعلم بما في نفوس الخلائق، التي هي جوهر وذات الإنسان ﴿إِنْ﴾: حرف شرط يفيد عادة عدم التحقق ﴿تَكُونُوا صَالِحِينَ﴾: تتبعون تعاليم ربكم فلن يضركم ما وقع من الذنوب التي تبتم عنها ﴿فَإِنَّهُ﴾: حرف توكيد القول وتأكيد الفعل ﴿كَانَ﴾: وسيبقى بلا انقطاع ﴿ل﴾: تخصيصًا ﴿الْأَوَّابِينَ﴾: الكلمة مشتقة من الأوب، وهو الراجع، من الرجوع، قال "مجاهد": هو التائب من الذنب، الراجع عن المعصية؛ وهذا الأصح، وقال "قتادة": أهل الصلاة، وقال "ابن عباس": المطيعين المحسنين وهو كثير الرجوع إلى الله ﷻ ﴿غَفُورًا﴾: مسامحًا ماحيًا للذنوب.

﴿وَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ (٢٦)

وفي سياق حقوق الإنسان عامّة بعد حقوق الوالدين؛ جاءت الآية بحق الأقارب والأرحام ﴿و﴾: أيضًا ﴿آتِ﴾: وأعطِ وأحسن ﴿ذَا﴾: اسم إشارة للمفرد القريب ﴿الْقُرْبَىٰ﴾: أعطِ القريب وأكرمه ﴿حَقَّهُ﴾: وصف الله ﷻ الإحسان إلى القريب كناية عن الأقارب بالحق، والواجب، وليس تفضلاً؛ من باب العطف، والرحمة، والمال، والعون، قال ﷺ: "يُدُّ الْمُعْطِيَ الْعُلْيَا، وَابْدَأُ

<sup>(١)</sup> صحيح مسلم ٤/١٩٧٨ (٢٥٥١).

يَمَنْ تَعُولُ: أُمَّكَ، وَأَبَاكَ، وَأُخْتَكَ، وَأَخَاكَ، ثُمَّ أَدْنَاكَ، أَدْنَاكَ<sup>(١)</sup>. ثم قال ﷺ: أَيضًا: "مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحْمَةَ"<sup>(٢)</sup>. ﴿وَالْمَسْكِينِ﴾: أَيضًا آتٍ مِنْ لَا يَجِدُ قُوَّتَهُ الضَّرُورِي مِنَ الْفُقَرَاءِ ﴿وَابْنَ السَّبِيلِ﴾: وَمَنْ انْقَطَعَتْ بِهِ السُّبُلُ وَالسَّبَبُ لِلْحَصُولِ عَلَى الرِّزْقِ ﴿وَق﴾: حَرْفٌ عَطْفِيٌّ يَفِيدُ هُنَا الْحَالَ ﴿لَا﴾: نَاهِيَةٌ تَقِيدُ التَّحْرِيمَ ﴿تُبْذِرُ تَبْذِيرًا﴾: التَّبْذِيرُ هُوَ الْإِسْرَافُ الزَّائِدُ جَدًّا فِي الْإِنْفَاقِ.

﴿إِنَّ الْمُبْذِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ (٢٧)

﴿إِنَّ﴾: حَرْفٌ تَأْكِيدٌ وَنَفْيٌ الشُّكِّ وَالْإِنْكَارِ ﴿الْمُبْذِرِينَ﴾: هُمُ الْمُنْفِقُونَ لِلْمَالِ فِي الْمَعَاصِي وَنَشْرُ الْبَاطِلِ، وَهُوَ كُلُّ إِنْفَاقٍ غَيْرِ مَشْرُوعٍ، دُونَ فَائِدَةٍ لِأَحَدٍ، وَالتَّبْذِيرُ هُوَ التَّفْرِيقُ، وَأَصْلُهُ إِلقاءُ الْبِذْرِ وَطَرَحُهُ ﴿كَانُوا﴾: وَسَيَقُونَ ﴿إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾: لَا يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِمَنْ يَسْتَحِقُّ، وَفِي الطَّاعَاتِ، بَلْ يَنْفِقُونَهَا فِي الْبَاطِلِ وَالشَّرِّ وَالْمَعْصِيَةِ فَهَمُ رِفْقَاءُ الشَّيَاطِينِ وَالْأَخِ وَالْأَخْتِ هُمُ الْمَشَارِكُ لِآخِرِ مِنَ الْأَبِّ وَالْأُمِّ أَوْ أَحَدِهِمَا، جَاءَ اللَّفْظُ الْقُرْآنِيُّ "إِخْوَانٌ" عَلَى "سِتَّةٍ" أَوْجَهُ؛ هُنَا بِمَعْنَى "أَخٌ فِي الدِّينِ"، وَوَلَاءٌ فِي الشَّرِّ؛ هُوَ لَاءٌ إِخْوَةٌ فِي الشَّرِّ، لِأَنَّهُ إِنْفَاقٌ بِغَيْرِ حَقٍّ، وَفِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ ﷻ ﴿وَكَانَ﴾: وَسَيَقِي ﴿الشَّيْطَانُ لَ﴾: حَرْفٌ تَخْصِيصٌ ﴿رَبِّهِ﴾: فَهُوَ مَالِكٌ كُلِّ أَمْرٍ كُلِّ الْخَلْقِ، وَمِنْهُمْ الشَّيْطَانُ ﴿كَفُورًا﴾: كَانَ الشَّيْطَانُ مَغْطِيًّا فَضْلَ اللَّهِ ﷻ، جُودًا، مَنكَرًا، مَعْرُضًا عَنِ طَاعَتِهِ، وَمَقْبَلًا عَلَى مَعْصِيَتِهِ.

﴿وَأَمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمْ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا﴾ (٢٨)

﴿وَأَمَّا﴾: حَرْفٌ رِبْطٌ بِمَعْنَى إِذَا ﴿تُعْرِضَنَّ﴾: تَتَبَّعَتْ عَنْهُمْ إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَتَبَّعَ ﴿عَنْهُمْ ابْتِغَاءَ﴾: عَنِ ذِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ لِأَمْرِ اضْطِرَّارِيٍّ مِثْلَ فَقْدِ رِزْقِ رَبِّكَ وَتَرْجُو أَنْ يَفْتَحَ اللَّهُ ﷻ بِهِ عَلَيْكَ رِجَاءً، وَطَمَعًا فِي ﴿رَحْمَةٍ﴾: رِزْقٍ ﴿مِنْ﴾: حَرْفٌ جَرٌّ وَبَيَانٌ لِتَمْيِيزِ النَّوْعِ يَفِيدُ هُنَا ابْتِدَاءَ الْغَايَةِ الْمَكَانِيَّةِ الْكَلْبِيَّةِ ﴿رَبِّكَ﴾: مَالِكٌ أَمْرُكَ كُلِّهَا ﴿تَرْجُوهَا﴾: تَطْلُبُ مِنَ اللَّهِ ﷻ أَنْ يَرْزُقَكَ، وَقَدْ سَأَلْتَكَ وَالذَّاكِ ﴿فَ﴾: حَرْفٌ يَفِيدُ هُنَا السَّرْعَةَ فِي الرَّدِّ وَتَبْيَانِ السَّبَبِ ﴿قُلْ﴾: أَمْرٌ رِبَّانِيٌّ ﴿لَهُمْ﴾: تَحْدِيدًا ﴿قَوْلًا﴾: كَلَامًا ﴿مَيْسُورًا﴾: عَدِيمٌ وَعَدًّا بِسَهُولَةٍ؛ لِئِنْ جَاءَنِي الرِّزْقُ؛ فَسَأَعْطِيكُمْ إِنْ شَاءَ ﷻ.

التكليف: إِنَّ التَّكَاثُلَ الْاجْتِمَاعِيَّ فِي الْإِسْلَامِ جِزْءٌ مِنَ الدِّينِ، وَلَيْسَ تَفْضُلًا مِنْ أَحَدٍ عَلَى أَحَدٍ.

﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا﴾ (٢٩)

<sup>(١)</sup> سنن النسائي ٥/٦١ (٢٥٣٢). وصححه الألباني.

<sup>(٢)</sup> صحيح البخاري ٥/٨ (٥٩٨٦).

﴿وَلَا﴾: ناهية تفيد التحريم ﴿تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً﴾: كناية عن الشح؛ كأنها مربوطة بقوة ﴿إِلَى عُنُقِكَ﴾: لا تكن بخيلاً شحيح العطاء كالذي ربط يده في عنقه؛ فلا تمتد إلى جيبه بالعطاء ﴿وَلَا﴾: أيضاً محرّم عليك أن ﴿تَبْسُطَهَا﴾: لا توسع في الإسراف فتكن مسرفاً في الإنفاق ﴿كُلُّ﴾: تفيد الجميع ﴿النَّبْطُ﴾: تعطي أكثر مما تملك؛ لأن اليد المبسوطة "المفتوحة" لا تحتفظ بشيء ﴿فَتَقْعُدَ﴾: فتكون من العاجزين ﴿مَلُومًا﴾: يعيب عليك الناس، مذموماً بذكر المساوي، عكس المدح ﴿مَحْسُورًا﴾: نادماً مُعدّماً، الحسر هو وصف الدابة التي قعدت عن السير، تسمى هذه الدابة "الحسير"، بمعنى تقف ضعيفاً عاجزاً، قال ﷺ: ﴿يَنْقَلِبُ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ [الملك-٤] أي لا يرى شيئاً، عن "أبي هريرة" ﷺ قال: "قال رسول الله ﷺ: إِنَّ اللَّهَ قَالَ لِي: أَنْفِقْ أَنْفِقْ عَلَيْكَ"<sup>(١)</sup>. وقال أيضاً ﷺ: ثَلَاثٌ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، إِنْ كُنْتُ لِحَالِفاً عَلَيْهِنَّ لَا يَنْقُصُ مَالٌ مِنْ صَدَقَةٍ فَتَصَدَّقُوا، وَلَا يَغْفُو عَبْدٌ عَنْ مَظْلَمَةٍ يَنْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ بِهَا عِزًّا " وَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ مَوْلَى بَنِي هَاشِمٍ: " إِنْ زَادَهُ اللَّهُ بِهَا عِزًّا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَفْتَحُ عَبْدٌ بَابَ مَسْأَلَةٍ إِلَّا فَتَحَ بِالْبُخْلِ فَبَخُلُوا، وَأَمَرَهُمْ بِالْقَطِيعَةِ فَقَطَعُوا، وَأَمَرَهُمْ بِالْفُجُورِ فَفَجَرُوا"<sup>(٢)</sup>.

التكليف: من المحسنات البديعية جاء في هذه الآية ذكر النهي كناية عن البخل كالذي يده مربوطة بعنقه، وأعقبت بكناية عن عدم التبذير؛ حتى لا يضيع المال بلا منفعة فتكون الحسرة، إنّ أصول الإنفاق هو الاقتصاد في العيش، بالتوسط في الإنفاق دون بخل الذي هو إفراط في الإمساك، ولا تبذير الذي هو إسراف في الإمساك، والحالتان مذمومتان، وخير الأمور أوسطها.

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ (٣٠)

﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿رَبِّكَ﴾: هو ﷻ المعبود، والمُرَبِّي، وهو المنشئ للكون بمن وبما فيه من حالٍ إلى حالٍ إلى حدّ التمام والخالق، والمالك، والعاطي، وكثيرُ الخير، والمُحيط، والمُدبِّر، والجابِزُ لكسر البرايا، والثابت، والقريب، والجامع، والمصلح، والسيد ﴿يَبْسُطُ﴾: يُوسِّعُ ويزيد ويمهد في ﴿الرِّزْقِ﴾: المال والعيال ﴿ل﴾: حرف تملك ﴿مَنْ﴾: الذي من جنس العاقل ﴿يَشَاءُ﴾: الله ﷻ وهو الباسط، المُعطي، المُغني من يشاء من عباده ﴿وَيَقْدِرُ﴾: أيضاً يُقَلِّلُ الرِّزْقَ، لحكمة يعلمها ﷻ ﴿إِنَّهُ﴾: حرف توكيد ﷻ ﴿كَانَ﴾: بلا نهاية

<sup>(١)</sup> صحيح مسلم ٦٩١/٢ (٩٩٣).

<sup>(٢)</sup> سنن أبي داود ١٣٣/٢ (١٦٩٨). وصححه الألباني.

﴿بِعِبَادِهِ خَبِيرًا﴾: يعرف كلَّ خبرٍ في السرِّ والعلن، إن الله هو العارف بعباده، المتصرف في خلقه، يُغني من يشاء لحكمة، ويُفقِر من يشاء لحكمة، وفي كلِّ خيرٍ، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: "أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ شَيْءٍ يُقَرِّبُكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ وَيُبَاعِدُكُمْ مِنَ النَّارِ إِلَّا وَقَدْ أَمَرْتُمْ بِهِ وَلَيْسَ مِنْ شَيْءٍ يُقَرِّبُكُمْ مِنَ النَّارِ وَيُبَاعِدُكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ إِلَّا قَدْ نَهَيْتُمْ عَنْهُ، وَإِنَّ الرُّوحَ الْأَمِينَ نَفَثَ فِي رُوعِي أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ نَسَمَةٍ تَمُوتُ حَتَّى تَسْتَوْفِيَ رِزْقَهَا، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمَلُوا فِي الطَّلَبِ وَلَا يَحْمِلَنَّكُمْ اسْتِطْبَاءُ الرِّزْقِ أَنْ تَطْلُبُوهُ فِي مَعَاصِي اللَّهِ، فَإِنَّهُ لَا يُنَالُ مَا عِنْدَ اللَّهِ إِلَّا بِطَاعَتِهِ"<sup>(١)</sup>، ﴿بَصِيرًا﴾: مُطَّلَعًا إِطْلَاعَ الْمُشَاهِدِ الْحَقِّ عَلَى كُلِّ صَغِيرَةٍ وَكَبِيرَةٍ فِي شُؤْنِ الْخَلْقِ جَمِيعًا، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ خَافِيَةٌ.

التكليف: قد يكون الغنى للبعض استدراجًا، وقد يكون الفقر عقوبة، والعياذ بالله ﷻ من هذا.

﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾ (٣١)

﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿لَا﴾: هذا أمر تحريم ربّاني، واجب النفاذ، بمعنى حرّام عليكم أن **﴿تَقْتُلُوا﴾**: قتل **﴿أَوْلَادِكُمْ خَشْيَةَ﴾**: خوفًا من **﴿إِمْلَاقٍ﴾**: من الفقر؛ إنَّ الله ﷻ يؤكد أنه أرحم بالأولاد من آبائهم عليهم، فحفظَ عليهم حياتهم، وسنَّ لهم الميراث، فقد كان النَّاسُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ لَا يورثون البنات، ومنهم من كان يقتل البنات؛ حتى لا تُفقره؛ إنَّ هذا التشريع من أعظم مبادئ حقوق الإنسان **﴿نَحْنُ﴾**: الله الواحد الأحد، جاءت بصيغة الجمع؛ للتعظيم **﴿نَرْزُقُهُمْ﴾**: قدّم الله ﷻ أنه هو ﷻ الذي يرزق الأولاد **﴿وَإِيَّاكُمْ﴾**: وهو ﷻ يرزقكم أنتم أيضًا، والكلام للآباء **﴿إِنَّ﴾**: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار **﴿قَتْلَهُمْ كَانَ﴾**: في شرع الله ﷻ **﴿خِطْئًا﴾**: الخطأ هنا هو الذنب، وهو الإثم **﴿كَبِيرًا﴾**: فقتلهم كان ذنبًا عظيمًا. في هذه الآيات قدّم الله ﷻ قوله برزق الأولاد في حال خشية الآباء من الفقر، قال ﷻ في المعنى: **﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ﴾** [الأنعام-١٥١] أي لا تقتلوهم لأنكم فقراء، وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ: "أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ؟ قَالَ: "أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلْقَكَ". قُلْتُ: إِنَّ ذَلِكَ لَعَظِيمٌ، قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: "وَأَنْ تَقْتُلَ وَوَلَدَكَ تَخَافُ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ". قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: "أَنْ تُزَانِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ"<sup>(٢)</sup>.

التكليف: ختم الله ﷻ آيات الحفاظ على أرواح البشر خوفًا من، أو بسبب الفقر، وهذا حفظ لحياة المجتمع، ثم تأتي آيات الحفاظ على شرف المجتمع المسلم.

<sup>(١)</sup> الزهد لهناد بن السري ٢٨١/١ (٤٩٤). قال الفريوائي "المحقق" رجاله ثقات، وإسناده منقطع. وله شاهد من حديث جابر.

<sup>(٢)</sup> صحيح البخاري ١٨/٦ (٤٧٧).

### ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْنَةَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ (٣٢)

﴿وَلَا﴾: هذا أمرٌ ربّاني، حرف نهي وتحريم واجب النفاذ، والنهي عن الاقتراب، التي تُعِيدُ الابتعاد عن أي فعلٍ يقربه من الزنا، إضافةً إلى المنع بسبب أنه حرامٌ أن ﴿تَقْرَبُوا﴾: ذمّ الله ﷺ مساوئ الاقتراب من الزنا، وهذا أشمل وأعمّ من أن يقول له: لا تفعل ما يُشجّع عليه؛ من النظرِ بشهوةٍ، والانفرادِ بين الذكر والأنثى، والحديثِ المُكنى فضلاً عن الحديث الصريح، والمُقدّمات التي تُفضي إليه؛ من اختلاطٍ، وتبرّجٍ، وخلوةٍ ﴿الزَّيْنَةَ﴾: ارتكاب فاحشة الجماع مع من لا تحل ﴿إِنَّهُ﴾: تأكيد على أنّ الزنا ﴿كَانَ﴾: في طبيعته ﴿فَاحِشَةً﴾: ذنبٌ عظيمٌ ﴿و﴾: حرف عطفٍ يفيد هنا الحال ﴿سَاءَ﴾: من الشر والضرر ﴿سَبِيلًا﴾: وبئس الطريق والمسلك، قال أنسٌ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ» وَإِمَّا قَالَ: «مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ، أَنْ يُرْفَعَ الْعِلْمُ، وَيُظْهَرَ الْجَهْلُ، وَيُشْرَبَ الْخَمْرُ، وَيُظْهَرَ الزَّيْنَةُ، وَيَقْلَ الرَّجَالُ، وَيَكْثُرَ النِّسَاءُ حَتَّى يَكُونَ لِلْخَمْسِينَ امْرَأَةً الْقَيْمُ الْوَاحِدُ»<sup>(١)</sup>، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ؟ قَالَ: «أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ بَدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ» قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ» قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «أَنْ تُزَانِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ»<sup>(٢)</sup>

التكليف: بعد أن وضحت الآيات كيفية تحصين الأسرة: الآباء، والأبناء، والذرية بالحلال؛ جاءت آيةٌ تُحدد حرمة الاعتداء على النفس؛ بالقتل.

### ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قَتَلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾ (٣٣)

﴿و﴾: عطفًا على ما سبق من تحريم الزنا؛ الذي يُفضى إلى عدم وجود الإنسان، ويقفل من نسله، وما تأثير مرض الإيدز ببعيد، يأتي الأمر الخاص بتحريم قتل النفس ﴿لَا﴾: حرف نهي يفيد التحريم ﴿تَقْتُلُوا﴾: إزهاق روح الإنسان ﴿النَّفْسَ﴾: التحريم قاطعٌ في قتل النفس؛ التي هي جوهر الإنسان وذاته ﴿الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ﴾ ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء منقطع ﴿بِ﴾: حرف باء السببية ﴿الْحَقِّ﴾: إلّا بشروط؛ أي القتل في الحالات التي حدّدها الرسولُ في الحديث الشريف: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّي رَسُولُ اللَّهِ، إِلَّا يَأْخُذِي ثَلَاثٌ: النَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالثَّيْبُ الزَّيْنِيُّ، وَالْمَارِقُ مِنَ الدِّينِ النَّارِكُ لِلْجَمَاعَةِ»<sup>(٣)</sup>. ﴿وَمَنْ﴾: الذي من جنس العاقل ﴿قَتَلَ مَظْلُومًا﴾: لم تنطبق عليه شروط

<sup>(١)</sup> صحيح البخاري ١٦٤/٨ (٦٨٠٨).

<sup>(٢)</sup> صحيح البخاري ١٦٤/٨ (٦٨١١).

<sup>(٣)</sup> صحيح البخاري ٥/٩ (٦٨٧٨).

القتل التي جاءت في الحديث الشريف **﴿فَقَدْ﴾**: حرف يفيد تحقيق الفعل في الماضي **﴿جَعَلْنَا ل﴾**: حرف تخصيص **﴿وَلِيَّهِ﴾**: القريب **﴿سُلْطَانًا﴾**: جعلنا لوليِّ الدم سلطة وتسلط على القاتل، إمَّا أَنْ يقتص فيقتل، وإنَّ شاء أخذ الدية، وإنَّ شاء عفا عنه **﴿فَلَا﴾**: أداة نهى تفيد طلب عدم الفعل **﴿يسرف﴾**: لا يبالغ ولي الدم **﴿في القتل﴾**: في قتل القاتل، مثل أن يُمَثَّل به، أو يقتل غيره، أو معه، مثل الولد أو الأخ **﴿إنه﴾**: وليُّ الدم **﴿كان﴾**: في شرع الله ﷺ **﴿منصُورًا﴾**: بشرع الله ﷺ وحكمه، أمر الله ﷺ أهل الولاية بمعاونته والقيام بحقه حتى يستوفيه؛ مؤيدًا، ومعانًا، إنَّ نصرته وتأييد ومعاونة ولي القتل أمر شرعي.

**﴿وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ (٣٤)**

**﴿وَلَا﴾**: حرف نهى وتحريم **﴿تقربوا﴾**: تعني مجرد التفكير في الاقتراب **﴿مال اليتيم﴾**: يُحذَّر الله ﷻ من مجرد الاقتراب من مال اليتيم؛ فيغري ذلك بأخذه، مثل ولا تقربوا الزنا، واليتيم ضعيف؛ وهذا يغري الآخرين على أخذ ماله **﴿إلا﴾**: حرف استثناء **﴿بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾**: بالشروط التي يجيزها، مقابل ما يُقدِّم له من خدمات، والإنفاق منه على اليتيم دون إسراف **﴿حتى﴾**: حرف جرّ يدلُّ على انتهاء الغاية الشرطية، أي لن يُصدقوا إلا بشرط أن **﴿يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾**: حين تزول عنه ولاية غيره عنه، يبلغ سنُّ الرشد، وكمال العقل، والجسد؛ ليحافظ على ماله ويدافع عن مصالحه **﴿وأوفوا بالعهد﴾**: العهد هو اتفاق ووعدٌ كتابي بين طرفين يُشكِّلُ تعهدًا وامتناعًا من فعل شيء الوفاء بجنس العهود؛ فالعهود هي وعود النَّاسِ، والعقود هو ما يتفق عليه النَّاسُ **﴿إن﴾**: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار، الوفاء بـ **﴿العهد﴾**: هو اتفاق ووعدٌ كتابي بين طرفين يشكِّلُ تعهدًا وامتناعًا من فعل شيء **﴿كان﴾**: عند الله ﷻ **﴿مسئولًا﴾**: يُحاسب الله ﷻ على عدم الوفاء به.

**﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ (٣٥)**

**﴿وأوفوا﴾**: حققوا العدل في **﴿الكيل﴾** تحديد الوزن والحجم بغرض الزيادة **﴿إذا﴾**: ظرف لما يُستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط ما بعدها بما قبلها **﴿كلتُم﴾**: يأمر الله ﷻ بالعدل في تمام الميزان من غير تطفيف جاء في المعنى: **﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾** [المطففين-١] لا تخسيس؛ لا تقليل للسعر **﴿وزنوا﴾**: أيضًا يكون ميزانكم **﴿بالقسطاس﴾**: الميزان الذي توزن به البضائع، وقيل العدل **﴿المستقيم﴾**: بغير اعوجاج، ولا انحراف، لا زيادة، ولا نقصان **﴿ذلك﴾**: إشارة للبعيد **﴿خير﴾**: في هذا خيرٌ للنَّاسِ وفيه البركة في الحياة الدنيا **﴿وأحسن﴾**:

أيضًا أفضل **﴿تَأْوِيلًا﴾**: أحسنُ مآلًا ومصيرًا يوم القيامة، وقال "قتادة": أكثر ثوابًا، وأحسنُ عاقبة.

**﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ (٣٦)**  
**﴿وَلَا﴾**: حرف نهي وتحريم **﴿تَقْفُ﴾**: لا تتبع، وقال "ابن عباس": لا تقل، وقال العوفي لا تتهم أحدًا **﴿مَا﴾**: حرف نفي **﴿لَيْسَ﴾**: فعل ماضٍ ناقص، يفيد النفي **﴿لَكَ﴾**: تخصيصًا **﴿بِهِ عِلْمٌ﴾**: بما ليس لك به علم، بمعنى لا تقل رأيت، وأنت لم تر، أو سمعت كذبًا، أو علمت وأنت لم تعلم **﴿إِنَّ﴾**: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار **﴿السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ﴾**: وهذه أدوات الإدراك السمع والرؤية التي تغذي القلب بالمعلومات، الذي مركز الإدراك والوعي **﴿كُلُّ﴾**: عبّر الله ﷻ عن السمع والبصر وهي أدوات الإدراك؛ التي تغذي القلب الذي هو مركز الوعي والإدراك **﴿أُولَئِكَ﴾**: اسم إشارة للقريب وللبعيد من الأقوال والأفعال **﴿كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾**: كل أدوات الإدراك مثل السمع، والبصر، والقلب، سيسأل الله ﷻ عنها كل إنسان يوم القيامة. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الخَدِيثِ، وَلَا تَحَسَّسُوا، وَلَا تَجَسَّسُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا»<sup>(١)</sup>.

**﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ (٣٧)**

**﴿وَلَا﴾**: حرف جمع بين المتعاطفين مع الآيات السابقة التي بدأت بالمحرمات **﴿لَا﴾**: حرف نهي وتحريم **﴿تَمْشِ﴾**: هو السير على القدمين، وأيضًا في السيارات وغيرها **﴿فِي﴾**: على **﴿الْأَرْضِ مَرَحًا﴾**: ينهى الله ﷻ عن مشية التجبر، والتبختر، والتمايل والخيلاء والفخر كما يفعل الجبارون؛ وأيضًا ينهى أن يكون منهج المسلم البهجة **﴿إِنَّكَ﴾**: أنت بالتأكيد **﴿لَن﴾**: حرف نفي **﴿تَخْرِقُ﴾**: لن تقطع سطح **﴿الْأَرْضِ﴾**: بمشيتك؛ فإنّ رواسي الجبال وقواعدها تحت سطح الأرض تبلغ على الأقل ضعفًا ارتفاعها فوق السطح **﴿وَلَن﴾**: حرف نفي **﴿تَبْلُغُ﴾**: تصل **﴿الْجِبَالَ طُولًا﴾**: القدرة، والسعة مهما تبختر الإنسان؛ فلن يكون بطول الجبال.

**﴿كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ (٣٨)**

**﴿كُلُّ﴾**: جميع **﴿ذَلِكَ﴾**: إشارة للبعيد، كل ما جاء في هذه الآيات السابقة، مال اليتيم، والكيل، والميزان، والسمع، والبصر، والفؤاد، والمشية **﴿كَانَ﴾**: في حكم الله ﷻ وسيبقى **﴿سَيِّئُهُ﴾**:

<sup>(١)</sup> صحيح البخاري ١٩/٨ (٦٠٦٤).

كان قبيح هذه الأفعال، والأقوال "المخالف للشرع" **عِنْدَ**: في حساب وتقدير **رَبِّكَ**: مالك أمرك كلّه، هو في حكم الله ﷻ **مَكْرُوهًا**: غير مقبول.

**ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَذْحُورًا** ﴿٣٩﴾

**ذَلِكَ**: إشارة لكل ما سبق من الأوامر والنواهي فهي جزء من الأحكام الشرعية التي يجب أن تُراعى في واقع الناس **مِمَّا**: من الذي **أَوْحَى**: وصلك من الله ﷻ وحيًا **إِلَيْكَ رَبُّكَ**: والرب هو المُعبود، والمُربي، وهو المنشئ للكون البديع من السماء والأرض من طورٍ إلى طورٍ إلى حدّ التمام، وهو تعالى الخالق، والمالك، والعاطي، وكثيرُ الخير، والمُحيط، والمُدبّر، والجابز لكسر البرايا، والثابت، والقريب، والجامع، والمصلح، والسيد، هو ﷻ مالك أمرك، هذا الذي أوصى الله ﷻ نبيه ﷺ **مِن**: بعض **الْحِكْمَةِ**: من الأخلاق الحميدة وهي "السنة النبوية" المُشرّفة **و**: عطفًا على ما سبق **لَا**: حرف نهي وتحريم **تَجْعَلْ**: تضع في حسابك، والأمر ليس للفرد فقط؛ فهو لكلّ الأمة، في كلّ زمانٍ ومكانٍ، والمبلغ هو الرسول ﷺ **مَعَ اللَّهِ إِلَهًا**: معبودًا **آخَرَ**: جاء التكرار هنا للتبنيه على أنّ التوحيد هو أساس الأمر؛ وأنّ النية هي أساس الفعل، فمن لم يتوافر قصده فلا يُقبل عمله؛ فلا تشرك بالله ﷻ **ف**: حرف يفيد التتابع السريع ويكون سببًا أن **تُلْقَى**: تُقذف باحتقار ومذلة المشرك **فِي جَهَنَّمَ**: في النار **مَلُومًا**: تلومه نفسه، والخلق ويلومه ﷻ **مَذْحُورًا**: قال "ابن عباس": منبؤدًا، مُبعدًا عن كلّ خير الآخرة، مطرودًا.

التكليف: ظاهر الخطاب موجهة إلى النبي "محمد" ﷺ، وهو خطابٌ للأمة المسلمة في كلّ زمانٍ ومكانٍ، وبلّغها الرسول، فالنبي ﷺ معصوم.

**أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا** ﴿٤٠﴾

قال الكفّار إنّ الملائكة هم بنات الله، ثم وصفوهم بالإناث، ثم عبدوهم؛ فأخطؤوا في مقامات تصوّرهم الثلاثة **أ**: حرف استفهام؛ بغرض الإنكار والتكذيب والتوبيخ بسبب ما تقولون **ف**: حرف يفيد السبب **أَصْفَاكُمْ**: خطابٌ للكفّار، هل خصّم الله ﷻ أيّها الذكور دون الإناث؟ وفضلكم **رَبُّكُمْ**: مالك أمركم كلّه **ب**: حرف باء السببية **الْبَنِينَ**: بالذكور **و**: حرف عطف يفيد هنا الحال **اتَّخَذَ**: اعتمد **مِن**: بعضًا **الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا**: وهل اختار لنفسه ﷻ البنات بكذبكم؟ **إِنَّكُمْ**: أنتم بالتأكيد **لَتَقُولُونَ**: تقولون **قَوْلًا**: أن تتسبوا لله ﷻ الأولاد، وجعلتم له البنات؛ وهو ما لا ترضونه لأنفسكم؛ إنّه قولٌ كان



﴿عَظِيمًا﴾: إنَّ ما تقولونه بالغ في العظمة والجرأة على الله ﷻ إلى مكانٍ لا يُقادر قدره؛ فتستحقون من الله ﷻ العذاب، هذه الأقوال عقابها عظيمٌ عند الله ﷻ؛ تكاد السمواتُ يتقطرن منها، وتتشق الأرض، وتخر الجبال من مقالكم.

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ (٤١)

﴿وَلَقَدْ﴾: حرفٌ يفيد التحقق في الماضي بمعنى الإثبات والجرم ﴿صَرَّفْنَا﴾: ذكرنا، وكررنا وفصلنا، وأوضحنا الحُجج، والبيانات، والمواعظ بأساليبٍ مختلفةٍ ﴿فِي هَذَا﴾: حرفٌ تنبيه ﴿الْقُرْآنِ لِ﴾: حرفٌ تخصيص ﴿يَذَكَّرُوا﴾: ليتعظ بها البشر؛ فيكفوا عن ارتكاب جريمة الشرك والكفر ويخافوا الله ﷻ ولكن ﴿وَمَا﴾: حرفٌ نفي ﴿يَزِيدُهُمْ﴾: بالرغم من ذلك فالكافر ما يزداد ﴿إِلَّا﴾: حرفٌ استثناءٍ منقطعٍ ﴿نُفُورًا﴾: إلَّا كرهًا للحق، وبعْدًا عنه، وإعراضًا عن الإيمان.

﴿قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَأَبْتَعُوا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ (٤٢)

﴿قُلْ﴾: أمرٌ من الله ﷻ لمحمدٍ ﷺ أن يقول للكافرين ﴿لَوْ﴾: حرفٌ يفيد الاستحالة ﴿كَانَ مَعَهُ﴾: مع الله ﷻ ﴿آلِهَةٌ﴾: معبودات ﴿كَمَا يَقُولُونَ﴾: هذا قول المشركين أنَّ لله شركاء في العبادة، وهم الذين يعبدون غيره، يطيعونهم؛ ليكونوا لهم وسطاء، يقربونهم من الله ﷻ جاء في المعنى: ﴿إِلَّا لِيُقْرَبُونَا إِلَىٰ اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾ [الزمر-٣] ﴿إِذَا﴾: حرفٌ جوابٍ وجزاءٍ يعطف ما بعده على ما قبله ﴿لِ﴾: حرفٌ علّةٍ وسببٍ ﴿أَبْتَعُوا﴾: لطلبوا ورجبوا ﴿إِلَىٰ ذِي﴾: صاحب العرش ﴿سَبِيلًا﴾: إلى الله ﷻ وسيلةً بالمغالبة والممانعة.

﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُقُولُونَ غُلُوًّا كَبِيرًا﴾ (٤٣)

﴿سُبْحَانَهُ﴾: يُنزه الله ﷻ نفسه عن قولهم أنَّ له شركاء، أو وسطاء، يعبدهم النَّاس معه ﴿و﴾: حرفٌ جرٌّ يفيد الحال ﴿تَعَالَىٰ﴾: له العلو والكبرياء ﴿عَمَّا﴾: عن الذي ﴿يُقُولُونَ﴾: يفترون ويكذبون من الأقوال الشنيعة والفرية العظيمة، والشرك، وعبادة غير الله ﷻ ﴿غُلُوًّا﴾: سموا ومنزلاً ﴿كَبِيرًا﴾: المتعالي الكبير عن قولهم، صاحب الصفات العلى.

﴿تَسْبِحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّنْبُغُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَقْهَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ (٤٤)

﴿تَسْبِحُ﴾: تُقدّس، وتنزه، وتعظم، وتبجل، وتكبر ﴿لَهُ﴾: الله ﷻ، عمّا يقول هؤلاء المشركون ﴿السَّمَاوَاتُ﴾: هي كلُّ ما علا الأرض وأحاط بها ﴿السَّنْبُغُ﴾: علمها وتنظيمها عند الله ﷻ ﴿و﴾: أيضًا تُسبح له ﴿الْأَرْضُ وَمَنْ﴾: وكلُّ من هو من جنس العاقل ﴿فِيهِنَّ﴾: في السماوات السبع من مخلوقاته الذين لهم عقول وغيرها. عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ

ﷺ: "إِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ نُوحًا ﷺ لَمَّا حَضَرْتُهُ الْوَفَاةُ قَالَ لِابْنِهِ: إِنِّي قَاصٌّ عَلَيْكَ الْوَصِيَّةَ، أَمْرُكَ بِإِثْنَتَيْنِ، وَأَنْهَاكَ عَنِ اثْنَتَيْنِ: أَمْرُكَ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَإِنَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرْضِينَ السَّبْعَ، لَوْ وُضِعْنَ فِي كِفَّةٍ وَوُضِعَتْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فِي كِفَّةٍ لَرَجَحَتْ بِهِنَّ، وَلَوْ أَنَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرْضِينَ السَّبْعَ كُنَّ حَلْفَةَ مُبْهَمَةً لَقَصَمْتُهُنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، فَإِنَّهَا صَلَاةٌ كُلِّ شَيْءٍ، وَبِهَا يُرْزَقُ كُلُّ شَيْءٍ، وَأَنْهَاكَ عَنِ الشِّرْكِ وَالْكِبْرِ<sup>(١)</sup>. ﴿وَإِنْ﴾: حرف شرط، تفيد هنا ما ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ وبيان لتمييز النوع يفيد هنا ابتداء الغاية المكانية ﴿شَيْءٍ﴾: عموم الأشياء؛ لأنها جاءت بصيغة النكرة ﴿إِلَّا يُسَبِّحُ﴾: يُقَدِّسُ، وَيَنْزَهُ، وَيَعْظُمُ، وَيَجْبَلُ، وَيَكْبُرُ ﴿بِحَمْدِهِ﴾: بِشُكْرِهِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ ﷺ ﴿وَلَكِنْ﴾: حرف استدراك ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿تَفْقَهُونَ﴾: تدرّون معاني ومقاصد ﴿تَسْبِيحَهُمْ﴾: كلُّ شَيْءٍ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ إِلَّا وَيُسَبِّحُ بِحَمْدِ اللَّهِ ﷻ، وَهَذَا عَامٌ فِي الْحَيَوَانَاتِ وَالْجَمَادَاتِ، وَالنَّبَاتَاتِ، حَدِيثٌ لَا تَسْمَعُهُ الْأَذَانُ، كُلٌّ يَسْبِحُ بِلُغَتِهِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: كُنَّا نَعُدُّ الْآيَاتِ بَرَكَهَ، وَأَنْتُمْ تَعُدُّونَهَا تَحْوِيْفًا، كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي سَفَرٍ، فَقَلَّ الْمَاءُ، فَقَالَ: «اطْلُبُوا فَضْلَةً مِنْ مَاءٍ» فَجَاءُوا بِإِنَاءٍ فِيهِ مَاءٌ قَلِيلٌ فَأَدَخَلَ يَدَهُ فِي الْإِنَاءِ، ثُمَّ قَالَ: «حَيَّ عَلَى الطُّهُورِ الْمُبَارِكِ، وَالْبَرَكَهَ مِنَ اللَّهِ» فَلَقَدْ رَأَيْتُ الْمَاءَ يَنْبُعُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلَقَدْ كُنَّا نَسْمَعُ تَسْبِيحَ الطَّعَامِ وَهُوَ يُؤْكَلُ<sup>(٢)</sup>، وَعَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ مَرَّ عَلَى قَوْمٍ وَهُمْ وَقُوفٌ عَلَى دَوَابِّ لَهُمْ وَرَوَاحِلَ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ارْكَبُوهَا سَالِمَةً وَدَعُوها سَالِمَةً، وَلَا تَتَّخِذُوهَا كِرَاسِيَّ، لِأَحَادِيثِكُمْ فِي الطُّرُقِ، وَالْأَسْوَاقِ قُرْبَ مَرْكُوبَةٍ خَيْرٌ مِنْ رَاكِبِهَا هِيَ أَكْثَرُ ذِكْرًا لِلَّهِ ﷻ مِنْهُ<sup>(٣)</sup>، وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عُثْمَانَ قَالَ: ذَكَرَ طَبِيبٌ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ دَوَاءً، وَذَكَرَ الصُّفْدَعُ يُجْعَلُ فِيهِ، "فَنَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ قَتْلِ الصُّفْدَعِ"<sup>(٤)</sup>، قَالَ عِكْرَمَةُ: وَالشَّجَرَةَ تَسْبِيحٌ، وَقِيلَ صِرَارُ الْبَابِ تَسْبِيحُهُ، وَخَرِيرُ الْمَاءِ تَسْبِيحُهُ، قَالَ قَتَادَةُ، وَالْحَسَنُ، وَالضَّحَّاكُ: "إِنَّمَا يُسَبِّحُ مَنْ كَانَ فِيهِ رُوحٌ مِنْ حَيَوَانٍ وَنَبَاتٍ؛ وَاللَّهُ أَعْلَمُ ﴿إِنَّهُ﴾: هُوَ اللَّهُ ﷻ بِالتَّأَكِيدِ ﴿كَانَ﴾: وَيَبْقَى بِلَا انْقِطَاعٍ أَوْ زَوَالٍ ﴿حَلِيمًا﴾: إِنَّ اللَّهَ ﷻ لَا يُعْجَلُ عَقُوبَةً مِنْ عَصَاهُ، بَلْ يُؤْجِلُهُ، فَإِنْ اسْتَمَرَ فِي كُفْرِهِ؛ أَخَذَهُ بِقُوَّةٍ، وَقَدْ جَاءَ فِي الْمَعْنَى: ﴿وَكَايِنٍ مِّنْ قَرْيَةٍ أَمَلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾ [الحج-٤٨] ﴿غَفُورًا﴾: يَعْفُو وَيَسَامِحُ الَّذِينَ يَتُوبُونَ وَيَرْجِعُونَ إِلَيْهِ ﷻ.

(١) الألب المفرد مخرجا (ص: ١٩٢) ٥٤٨ [قال الشيخ الألباني]: صحيح

(٢) صحيح البخاري (٤/ ١٩٤) ٣٥٧٩.

(٣) مسند أحمد ٤٠٤/٢٤ (١٥٦٤٦). وحسنه الأرناؤوط.

(٤) مسند أحمد ٣٦/٢٥ (١٥٧٥٧). وصححه الأرناؤوط.

﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا﴾ (٤٥)

﴿وَإِذَا﴾: أداة ربط ما بعدها بما قبلها ﴿قَرَأْتَ﴾: تلوت ﴿الْقُرْآنَ﴾: والحديث إلى "محمد" ﷺ  
﴿جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يُؤْمِنُونَ﴾: هم الكفار، الذين لا يُصدقون ﴿بِ﴾: حرف باء السببية ﴿الْآخِرَةِ﴾: يوم القيامة ﴿حِجَابًا﴾: هي الأكنة، الأغشية التي على قلوبهم، هي الموانع التي تحول أن يصل المعنى القرآني إلى القلوب وكأته ﴿مَسْتُورًا﴾: ساترًا مانعًا من أن يفهموا، وقيل يستر الأبصار؛ فلا ترى أعين الكافرين المؤمنين، كما حدث لزوجة "أبي لهب" فعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها، قالت: لَمَّا نَزَلَتْ ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ [المسد-١] أَقْبَلَتِ الْعَوْرَاءُ أُمَّ جَمِيلٍ بِنْتُ حَرْبٍ وَلَهَا وَلَوْلَا وَفِي يَدَيْهَا فَهْرٌ وَهِيَ تَقُولُ: مُدَمَّمًا أَبِينَا وَدِينَهُ قَلِينَا وَأَمْرُهُ عَصِينَا، وَالنَّبِيُّ ﷺ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ فَلَمَّا رَأَاهَا أَبُو بَكْرٍ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ أَقْبَلْتُ وَأَنَا أَخَافُ أَنْ تَرَكَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّهَا لَنْ تَرَانِي» وَقَرَأَ قُرْآنًا فَاعْتَصَمَ بِهِ كَمَا قَالَ: وَقَرَأَ ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا﴾ [الإسراء-٤٥] فَوَقَفْتُ عَلَى أَبِي بَكْرٍ وَلَمْ تَرَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ: يَا أَبَا بَكْرٍ، إِنِّي أُخْبِرُ أَنَّ صَاحِبَكَ هَجَانِي. فَقَالَ: لَا وَرَبِّ هَذَا النَّبِيِّ مَا هَجَاكَ. فَوَلَّتْ وَهِيَ تَقُولُ: قَدْ عَلِمْتُ فُرَيْشَ أَبِي بِنْتُ سَيِّدِهَا<sup>(١)</sup>

﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَوَّا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا﴾ (٤٦)

﴿وَجَعَلْنَا﴾: هيأنا جاءت بصيغة الجمع للتعظيم ﴿عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾: وهي مراكز الإدراك والوعي ﴿أَكِنَّةً﴾: أغلفة، أغطية كثيرة، جمع غلاف ﴿أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿يَفْقَهُوهُ﴾: حتى لا يفهموه، كيلا، لئلا ﴿و﴾: حرف جر يفيد الحال ﴿فِي آذَانِهِمْ﴾: أدوات السمع ﴿وَقْرًا﴾: صممًا وثقلًا يمنع سماع القرآن، فلا يتبعه نفع وفهم؛ فيهدتوا، وفي ذلك إشارة إلى جهلهم وليس إلى عدم سماعهم ﴿وَإِذَا﴾: أداة ربط ما بعدها بما قبلها ﴿ذَكَرْتَ﴾: جئت باسم ﴿رَبِّكَ﴾: هو ﷻ المعبود، والمُربي، وهو المنشئ للكون بمن وبما فيه من حالٍ إلى حالٍ إلى حدّ التمام، وهو الخالق، والمالك، والعاطي، وكثيرُ الخير، والمُحيط، والمُدبّر، والجابرُ لكسر البرايا، والثابت، والقريب، والجامع، والمصلح، والسيّد ﴿فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ﴾: إذا وحدت الله ﷻ في تلاوتك؛ فقلت لا إله إلا الله ﴿وَلَوَّا﴾: أداروا ظهورهم، ﴿عَلَى أَدْبَارِهِمْ﴾: وأدبروا راجعين مبتعدين

<sup>(١)</sup>المستدرک علی الصحیحین للحاکم ٢/٣٩٣ (٣٣٧٦) وقال: صحیح الإسناد ولم یُخرجاه. ووافقه الذهبي.

﴿نُفُورًا﴾: قد تكون جمع نافر كشاهد وشهود أو تكون مصدرًا من نفر نفورًا والله ﷻ أعلم، والمقصود اشمأزت قلوب الكافرين كثيرًا.

التكليف: هي لا إله إلا الله من خصم بها فلج "شق أعداءه"، ومن قاتل بها نصر.

﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾ (٤٧)

﴿نَحْنُ﴾: المقصود هو الله ﷻ؛ جاءت بصيغة الجمع للتعظيم ﴿أَعْلَمُ﴾: يُخبر الله ﷻ نبيه ﷺ أنه يعلم كل ما يتجاسر به كفار قريش من الاستخفاف بك يا محمد وبالقرآن الكريم واللغو في ذكرك لربك ﷻ ﴿بِمَا﴾: اسم موصول هنا بمعنى الذي ﴿يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ﴾: حرف يفيد ما حدث في الماضي ﴿يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾: يسمعون تلاوة النبي ﷺ سرًا، عن ابن إسحاق: حَدَّثَنِي الرَّهْرِيُّ قَالَ: حَدَّثْتُ أَنَّ أَبَا جَهْلٍ وَأَبَا سُفْيَانَ وَالْأَخْنَسَ بْنَ شَرِيْقٍ خَرَجُوا لَيْلَةَ يَلْتَمِسُونَ يَتَسَمَّعُونَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي بِاللَّيْلِ فِي جَوْفِ بَيْتِهِ، وَأَخَذَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ مَجْلَسًا، وَكَلَّا لَا يَعْلَمُ بِمَكَانِ صَاحِبِهِ، فَلَمَّا أَصْبَحُوا تَفَرَّقُوا، فَجَمَعَهُمُ الطَّرِيقُ، فَتَلَاوَمُوا وَقَالُوا: لَا نَعُودُ، فَلَوْ رَأَيْنَا بَعْضَ الشَّفَهَاءِ لَوَقَعْنَا فِي نَفْسِهِ شَيْءٌ، ثُمَّ عَادُوا لِمِثْلِ لَيْلَتِهِمْ، فَلَمَّا تَفَرَّقُوا تَلَاوَمُوا كَذَلِكَ، فَلَمَّا كَانَ فِي اللَّيْلَةِ الثَّلَاثَةِ وَأَصْبَحُوا جَمَعَهُمُ الطَّرِيقُ، فَتَعَاهَدُوا أَنْ لَا يَعُودُوا، ثُمَّ إِنَّ الْأَخْنَسَ بْنَ شَرِيْقٍ أَتَى أَبَا سُفْيَانَ فِي بَيْتِهِ فَقَالَ: أَخْبِرْنِي عَنْ رَأْيِكَ فِيْمَا سَمِعْتُ مِنْ مُحَمَّدٍ؟ فَقَالَ: يَا أَبَا ثَعْلَبَةَ، وَاللَّهِ لَقَدْ سَمِعْتُ أَشْيَاءَ أَعْرِفُهَا وَأَعْرِفُ مَا يُرَادُ بِهَا. فَقَالَ الْأَخْنَسُ: وَأَنَا وَالَّذِي حَلَفْتُ بِهِ. ثُمَّ أَتَى أَبَا جَهْلٍ فَقَالَ: مَا رَأَيْتُكَ؟ فَقَالَ: مَاذَا سَمِعْتُ؟ تَتَّارَعْنَا نَحْنُ وَبَنُو عَبْدِ مَنَافٍ الشَّرَفِ؛ أَطْعَمُوا فَأَطْعَمْنَا، وَحَمَلُوا فَحَمَلْنَا، وَأَعْطُوا فَأَعْطَيْنَا، حَتَّى إِذَا تَجَاثَيْنَا عَلَى الرُّكْبِ وَكُنَّا كَفَرَسِي رَهَانٍ قَالُوا: مِمَّا نَبِيٌّ يَأْتِيهِ الْوَحْيُ مِنَ السَّمَاءِ، فَمَتَى نُدْرِكُ هَذِهِ! وَاللَّهِ لَا نُؤْمِنُ بِهِ أَبَدًا وَلَا نُصَدِّقُهُ. فَقَامَ الْأَخْنَسُ عَنْهُ<sup>(١)</sup>. ﴿وَإِذْ هُمْ﴾: الكفار ﴿نَجْوَى﴾: وهم يتناجون يتبادلون الحديث في أمرك فيما بينهم سرًا ﴿إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ﴾: حرف شرط ﴿تَتَّبِعُونَ﴾: تتقادون ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿رَجُلًا مَسْحُورًا﴾: يتهمون النبي ﷺ بأنه مغلوب على عقله، كرجل مسحور، وليس نبيًّا؛ افتراءً، وكذبًا، وزرورًا.

التكليف: سيبقى اتهام المجرمين للمسلمين مستمرًا، لا أحد منهم يسلم منه حتى "محمد" ﷺ.

﴿انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ (٤٨)

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٢٧٥/١-٢٧٦. والحديث مرسل، الزهري مرفوعًا. وروي بسند صحيح عن سعيد بن المسيب.

﴿انظُرْ﴾: تأمل؛ حتى تتيقن بعد استماعهم إليك سرًّا ﴿كَيْفَ﴾: حرف استفهام ﴿ضَرْبُوا﴾: ذكروا واستخدموا واستعانوا ﴿لَكَ﴾: تحديدًا ﴿الْأَمْثَالُ فَ﴾: حرف يفيد السبب ﴿ضَلُّوا﴾: تاهوا عن طريق الصواب؛ قالوا منَّا نبيُّ يأتيه الوحي من السماء، فمتى ندرِك هذا، والله لا نؤمن به أبدًا ولا نصدقه ﴿فَلَا﴾: أداة نهْي تفيد طلب عدم الفعل ﴿يَسْتَطِيعُونَ﴾: يقدرُون أو يطيقون ﴿سَبِيلًا﴾: لا يصلون إلى الطريق الصحيح.

التكليف: هذا مرضٌ متجددٌ في كلِّ عصر، وخاصَّةً عصر الزينة، والبهرجة، والتكبر، والمنافسة على حُطام الدنيا؛ يُمارسه الأفراد، والرؤساء، والأمراء، والأحزاب.

﴿وَقَالُوا إِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَلَيْسَ لِمَنْبُغُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ (٤٩)

﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿قَالُوا﴾: هم الكفار الذين استبعدوا، ورفضوا التصديق بالبعث والنشور ﴿أ﴾: حرف استفهام يفيد الاستتكار والتعجب لما يُستقبل من الزمان ﴿إِذَا﴾: يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط ما بعدها بما قبلها ﴿كُنَّا﴾: صرنا ﴿عِظَامًا وَ﴾: أيضًا كنا ﴿رُفَاتًا﴾: إذا متنا، وتحللت أجسادنا، وأصبحنا ترابًا ﴿أ﴾: الحرف لتأكيد الاستتكار ﴿إِنَّا﴾: هل نحن للتأكيد ﴿لِمَنْبُغُوثُونَ﴾: هل يعقل أن تعود أجسادنا التي بليت ﴿خَلْقًا﴾: مخلوقًا تكوينًا بشريًّا بمعنى مخلوقًا ﴿جَدِيدًا﴾: إلى بعثٍ جديدٍ؟ وهو استفهامٌ للإنكار والاستبعاد.

﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا﴾ (٥٠)

﴿قُلْ﴾: أمر الله ﷻ نبيه ﷺ أن يرد عليهم ﴿كُونُوا﴾: الأمر هنا للتعجيز والإهانة؛ صيروا ﴿حِجَارَةً أَوْ﴾: حرف يفيد التسوية بين شيئين أو كونوا ﴿حَدِيدًا﴾: أي إذا كنتم خلقًا أقوى من البشر كالحديد، أو الحجارة، وهي أقوى من الرفات والعظام.

﴿أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا﴾ (٥١)

﴿أَوْ﴾: حرف عطف يفيد التسوية هنا كونوا ﴿خَلْقًا مِمَّا﴾: بعضًا أو جزءًا ﴿يَكْبُرُ﴾: يعظم عن قبول الحياة وهو أكبر من الحجارة الحديد ﴿فِي صُدُورِكُمْ﴾: في موقع الوعي والإدراك، عن مجاهد، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: سأَلناه عن قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ﴾ [الإسراء-٥١] ما الذي أراد به؟ قال: "الموت" <sup>(١)</sup>، والمعنى لو كنتم موتى لأحييتكم، ويقصد بالخلق الأكبر: السماء والجبال، أو كونوا ما شئتم فسيعيدكم الله ﷻ بعد الموت ﴿ف﴾: حرف استثنائي بهدف ترتيب الأمر ويفيد السرعة في التنفيذ ﴿س﴾: حرف

(١) المستدرک علی الصحیحین للحاکم ٣٩٤/٢ (٣٣٧٧) قال الحاکم: حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ. ووافقه الذهبي.

توكيد القول في المستقبل **﴿يَقُولُونَ﴾**: يقول الكفار **﴿مَنْ﴾**: الذي من جنس العاقل **﴿يُعِيدُنَا﴾**: من سُرِّجَعْنَا إلى الحياة الدنيا إذا كُنَّا حجارةً، أو حديدًا، أو جبلاً أو أيّ خلقٍ آخر **﴿قُل﴾**: أمر ربّاني أن يقول **﴿لَهُمْ﴾** **﴿الَّذِي فَطَرَكُمْ﴾**: أبداع خلقكم، وأحدثكم، أي خلقكم من عدمٍ، من غير سابق وجود **﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾**: قل لهم سيعيدكم الذي خلقكم أوّل مرّة، ولم تكونوا شيئاً مذكوراً، فجعلكم بشراً. جاء في المعنى: **﴿وَهُوَ الَّذِي بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾** [الروم- ٢٧] **﴿فَسَيُنْغِضُونَ﴾**: يحركونها استهزاءً من أعلى لأسفل **﴿إِلَيْكَ﴾**: لك **﴿رُءُوسَهُمْ﴾**: أو من أسفل لأعلى وهي "الأصح"، وهي إشارة إلى الاستهزاء بالبعث **﴿و﴾**: حرف جرّ يُفيد الحال **﴿يَقُولُونَ مَتَى هُوَ﴾**: في أيّ زمن يكون؟ سؤال يفيد الاستبعاد **﴿قُل﴾**: أمر ربّانيّ بالقول **﴿عَسَى﴾**: فعلٌ ماضٍ جامد هنا يفيد للترجيّ في الأمر المحبوب، وهي تدلّ على التحقق والوجوب **﴿أَنَّ﴾**: حرف تأكيد الفعل **﴿يَكُونُ قَرِيبًا﴾**: إنّ الرسول **﴿وَأَتْبَاعَهُ مَأْمُورُونَ﴾** أن يقولوا للكفار والمشركين: احذروا فإن وعد الله **﴿آت﴾**، سيأتي لا محالة، وكل آت قريب. التكليف: لم يتغير منهج المُتَشَكِّكِينَ والمُشْرِكِينَ والمُتَبَطِّئِينَ منذ فجر الرسالة، وهي معرفة متى؟ فإنّ قالت المقاومة الفلسطينية بتحرير فلسطين، قالوا متى؟ وإذا قالت حركة إسلامية عربية، أو في أيّ قارة بسيادة منهج الإسلام؟ قالوا كيف ومتى؟ وحبّثهم أنّ الغرب والشرق أكثر قوّة، وتسليحاً، وأغنى منكم مآلاً.

**﴿يَوْمَ يَذُوعُكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَبِئْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (٥٢)**

**﴿يَوْمَ﴾**: يوم القيامة، حيث يأمر الله **﴿بِالْخُرُوجِ﴾** من الأرض إلى المحشر **﴿يَذُوعُكُمْ﴾**: جاء اللفظ القرآني "الدعاء" على "سته" أوجه، هنا بمعنى "نداء" وجاءت بنفس المعنى في قوله أيضاً **﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكْرٍ﴾** [القمر-٦]، وفي قوله **﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ﴾** [القمر-١٠] فيوم يناديكم الله **﴿فَلَا يَرِضُ أَحَدٌ﴾**، ولا يتخلف أحدٌ، حيث يخرج الناس من باطن الأرض إلى ظهرها **﴿ف﴾**: حرف يفيد السبب **﴿تَسْتَجِيبُونَ﴾**: الاستجابة السريعة منقادين له **﴿بِحَمْدِهِ﴾**: انقياد الحامدين، قال "ابن عباس": بأمره، وقال "قتادة": بمعرفته وطاعته، وله الحمد في كلّ حال؛ يقولون الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن **﴿و﴾**: حرف جرّ يفيد الحال **﴿تَظُنُّونَ﴾**: تعتقدون وتتأكدون أنكم **﴿إِنَّ﴾**: حرف نفي بمعنى ما **﴿لَبِئْتُمْ﴾**: مكثتم أقمتم إقامة دائمة **﴿إِلَّا﴾**: حرف استثناء **﴿قَلِيلًا﴾**: ما عثتم في الدنيا إلّا زمنًا، قصيراً وجاء في المعنى: **﴿لَمْ يَلْبِتُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾** [النازعات-

٤٦] وقوله ﷺ يعزز: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ [الروم- ٥٥].

﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ  
عَدُوًّا مُبِينًا﴾ (٥٣)

﴿و﴾: عطفاً على ما سبق ﴿قُل﴾: فعل أمر بالقول ﴿ل﴾: حرف تخصيص ﴿عِبَادِي﴾: يأمر الله ﷺ نبيه ﷺ أن يقول لعباد الله المؤمنين: إنهم من خلق الله ﷻ، وخاصة الذين يعبدونه ﷻ أن ﴿يَقُولُوا﴾: عند محاورتهم للمشركين، دون تردد ﴿الَّتِي﴾: اسم موصول للمفرد المؤنث ﴿هِيَ﴾: ضمير رفع منفصل للمفرد الغائب المؤنث ﴿أَحْسَن﴾: انتقاء الكلمة الطيبة في حوارهم، وخطابهم، وتعاملهم؛ فهذا يُحصنهم ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿الشَّيْطَانَ﴾: إبليس وذريته لعنهم الله ﷻ ﴿يَنْزِعُ﴾: يُفسد ويُهَيِّج، ويوقع الشرَّ ﴿بَيْنَهُمْ﴾: العداوة والبغضاء؛ فتحدث المشاجرة والمخاصمة، ولا يجب هذا؛ فالمسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿الشَّيْطَانَ كَانَ﴾: وسيبقى إلى يوم القيامة ﴿لِلْإِنْسَانِ﴾: تخصيصاً للبشر ﴿عَدُوًّا مُبِينًا﴾: عدواً واضحاً، شديد الوضوح والعداء للإنسان.

﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنَّ يَشَأُ يَرْحَمَكُمْ أَوْ إِنَّ يَشَأُ يُعَذِّبْكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾ (٥٤)

﴿رَبُّكُمْ﴾: المُعبود، والمُربي، مالك أمركم كله ﴿أَعْلَمُ﴾: صاحب العلم الشامل المطلق ﴿بِكُمْ﴾: إن الله ﷻ مالكم، وهو ﷻ صاحب العلم الكامل بخلقه جميعاً ﴿إِنَّ﴾: حرف شرط ﴿يَشَأُ﴾: إذا أراد أن ﴿يَرْحَمَكُمْ﴾: يوفقكم للإسلام فيرحم من يستحق، أصحاب الهداية؛ يوفقه لطاعته ﷻ؛ فيدخله في رحمته ﴿أَوْ﴾: حرف يفيد التسوية بين شيئين ﴿إِنَّ يَشَأُ﴾: يرى ويرغب ﴿يُعَذِّبْكُمْ﴾: يدخلكم النار ﴿وَمَا﴾: حرف نفي ﴿أَرْسَلْنَاكَ﴾: بعثناك رسولا، جاءت بصيغة الجمع لعظم البعثة ﴿عَلَيْهِمْ﴾: إليهم ﴿وَكِيلًا﴾: هو الحفيظ والكفيل لست موكلاً بأمرهم، لست أمراً تجبرهم على الإيمان، وتمنعهم من الكفر بالقوة، وتعدُّ عليهم أعمالهم وأقوالهم، بل أنت نذيرٌ وبشيرٌ؛ فمن أطاعك فاز، ومن عصاك خسر الدنيا والآخرة، وليس عليك في ذلك ذنب.

﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ  
زَبُورًا﴾ (٥٥)

﴿و﴾: عطفاً على ذلك اعلم أن ﴿رَبُّكَ﴾: هو مالك أمرك كله ﴿أَعْلَمُ﴾: أعلم بهم ذاتاً، وحالاً، واستحقاقاً، صاحب العلم المطلق ﴿بِمَنْ فِي السَّمَاوَاتِ﴾: هي كلُّ ما علا الأرض، وأحاط بها ﴿و﴾: أيضاً هو تعالى مالك ﴿الْأَرْضِ﴾: إن الله ﷻ يعلم مراتبهم في الطاعة والمعصية

﴿وَلَقَدْ﴾: حرف يفيد إثبات ما حدث في الماضي بتفضيل النبي وخاتم الرسل ﴿فَضَّلْنَا﴾: تمييزاً وأكثر خيرية والتفضيل هنا للتخصيص لكل واحدٍ منهم فضائل خاصة به كموسى بالكلام، وإبراهيم بالخلّة، ومحمد، بالإسراء، وداود بالزبور ﴿بَعْضٌ﴾: جزءاً ﴿النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ﴾: لاشكّ أنّ بعض الرسل أفضل من بعض، وأولو العزم منهم أفضل، وهم الخمسة المذكورون "محمد، ونوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى" عليهم السلام، قال ﷺ: "لَا تُفَضِّلُوا بَيْنَ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ"<sup>(١)</sup>، بكثرة الأتباع وإبزال الكتب، وما وقع الانحراف بين الناس إلا على سبيل الشهوة والعصبية؛ لا بمقتضى الدليل ﴿وَو﴾: أيضاً ﴿آتَيْنَا﴾: منحنا وأعطينا ﴿دَاوُدَ زُبُورًا﴾: وهو الكتاب الذي أعطاه الله ﷺ لداود ﷺ، هذا ذكر فضل، فيه تمجيد، وتحميد، ومواعظ، عن أبي هريرة ؓ، عن النبي ﷺ، قال "خُفِّفَ عَلَى دَاوُدَ ﷺ الْقُرْآنُ، فَكَانَ يَأْمُرُ بِدَوَائِهِ فَتُسْرَجُ، فَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ قَبْلَ أَنْ تُسْرَجَ دَوَائِهِ، وَلَا يَأْكُلُ إِلَّا مِنْ عَمَلِ يَدِهِ"<sup>(٢)</sup>.

﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفِ الضَّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ (٥٦)

﴿قُلِ﴾: يأمر الله ﷺ رسوله ﷺ أن يقول للمشركين ﴿ادْعُوا الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ ﴿زَعَمْتُمْ﴾: أدعيتم زوراً وبهتاناً أنهم آلهة ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ وبيان لتمييز النوع يفيد هنا ابتداء الغاية ﴿دُونِهِ﴾: أدعوا من الذين ادّعوا أنهم آلهة غير الله ﷺ ﴿فَلَا﴾: أداة نهيستفيد طلب عدم الفعل ﴿يَمْلِكُونَ﴾: لا يستطيعون، لا يقدرّون على ﴿كَشْفِ﴾: رفع ﴿الضَّرِّ عَنْكُمْ﴾: الضرر والأذى عن المشركين بالله ﷺ ﴿وَو﴾: حرف جرّ يفيد الحال ﴿لَا﴾: حرف نفي، أي لا يملكون ﴿تَحْوِيلًا﴾: ولا يستطيعون تحويل الضرر إلى غير ما قدره الله ﷺ، أو تبديله بالخير، إنّه ﷺ القادر الرازق، وكاشف الضرر وحده.

التكليف: لا شك أنّ علوّ الغرب الصليبي واليهودي الصهيوني في هذا العصر قد أوجد آلهةً جُددًا، يظنّ كثير من المسلمين أنهم يعتقدون أنّ هؤلاء يفيدونهم، أو يضرّونهم، رغم أنّ هؤلاء هم الذين يُنصّبون الزعماء، ويُشكّلون الأحزاب، ويُحاصرون، المؤمنين، ووجدوا لهم بين المسلمين عبّادًا؛ صاروا أدواتهم، حكموا بلادهم بأوامر أسيادهم.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْدُورًا﴾ (٥٧)

<sup>(١)</sup>صحيح البخاري / ١٥٩/٤ (٣٤١٤).

<sup>(٢)</sup>صحيح البخاري / ١٦٠/٤ (٣٤١٧).



﴿أُولَئِكَ﴾: اسم إشارة للجمع القريب والبعيد، إلى تلك المعبودات التي تدعونها من دون الله ﷻ. عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: قَالَ: "كَانَ نَقْرٌ مِنَ الْجِنِّ أَسْلَمُوا، وَكَانُوا يُعْبُدُونَ، فَبَقِيَ الَّذِينَ كَانُوا يَعْبُدُونَ عَلَى عِبَادَتِهِمْ، وَقَدْ أَسْلَمَ النَّقْرُ مِنَ الْجِنِّ"، وَفِي رِوَايَةٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: "نَزَلَتْ بِنَقْرِ مِنَ الْعَرَبِ كَانُوا يَعْبُدُونَ نَقْرًا مِنَ الْجِنِّ، فَأَسْلَمَ الْجِنِّيُّونَ، وَالنَّقْرُ مِنَ الْعَرَبِ لَا يَشْعُرُونَ بِذَلِكَ"<sup>(١)</sup>، وَقَالَ "ابْنُ عَبَّاسٍ": هُم "عَيْسَى، وَعُزَيْرٌ، وَالشَّمْسُ، وَالْقَمَرُ"، وَقَالَ "مُجَاهِدٌ": هُم "عَيْسَى، وَعُزَيْرٌ، وَالْمَلَانِكَةُ" ﴿الَّذِينَ﴾: اسْمٌ مُوصُولٌ هُنَا جَمِيعٌ مَنْ ﴿يَدْعُونَ﴾: يَطْلُبُونَ وَيَرْجُونَ ﴿يَبْتَغُونَ﴾: يَسْعُونَ وَيُرِيدُونَ ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾: الْمُعْبُودِ، وَالْمُرَبِّي، مَالِكٌ أَمْرُهُم ﴿الْوَسِيلَةَ﴾: قَالَ "قَتَادَةُ": الْقُرْبَىٰ بِالطَّاعَةِ وَالْعِبَادَةِ ﴿أَيُّهُمْ﴾: مِنْ مِنْهُمْ ﴿أَقْرَبُ﴾: إِلَىٰ رَحْمَةِ اللَّهِ ﴿وَ﴾: أَيْضًا ﴿يَرْجُونَ﴾: يُرِيدُونَ وَيُنشِدُونَ ﴿رَحْمَتَهُ﴾: مَغْفِرَةُ الذُّنُوبِ وَدُخُولِ الْجَنَّةِ ﴿وَيَخَافُونَ﴾: يَخْشَوْنَ وَيَحْسَبُونَ حِسَابَ ﴿عَذَابِهِ﴾: وَالرَّجَاءَ وَالْخَوْفَ هُمَا أَعْمَدَةُ النُّقُودِ، بِالْخَوْفِ يَكْفُ الْمَخْلُوقِ عَنِ النَّوَاهِي، وَبِالرَّجَاءِ يُكْثِرُ الْمَخْلُوقُ مِنَ الطَّاعَاتِ ﴿إِنَّ﴾: حَرْفُ تَأْكِيدٍ وَنَفْيِ الشُّكِّ وَالْإِنْكَارِ ﴿عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ﴾: وَبَاقِي ﴿مَحذُورًا﴾: مِنْ شِدَّتِهِ يَسْتَحِقُّ الْحَذَرَ مِنْهُ.

﴿وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾ (٥٨)

﴿وَإِنْ﴾: حَرْفُ شَرْطٍ ﴿مِنْ﴾: حَرْفُ جَرٍّ وَبَيَانٍ لَتَمْيِيزِ النَّوْعِ وَتَقْيِيدِ هُنَا بَدَايَةِ الْغَايَةِ الْمَكَانِيَّةِ ﴿قَرْيَةٍ﴾: مَا مِنْ قَرْيَةٍ، أَيْ كُلِّ الْقُرَى، وَالْمُدُنِ، وَالتَّجْمَعَاتِ الْبَشَرِيَّةِ، مِنَ الْكُفَّارِ، الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ ﷻ عَنْده فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ ﴿إِلَّا﴾: حَرْفُ اسْتِثْنَاءٍ مَنْقُطِعٌ ﴿نَحْنُ﴾: اللَّهُ ﷻ، جَاءَتْ بِصِيغَةِ الْجَمْعِ وَهُوَ وَاحِدٌ أَحَدٌ لِّلْتَعْظِيمِ ﴿مُهْلِكُوهَا﴾: سَيَهْلِكُهُمْ إِمَّا بِمَوْتٍ وَإِمَّا أَنْ يُصِيبَهُمْ بِعِقَابٍ شَدِيدٍ، وَمِنْهَا أَنَّهُ ﷻ يَبِيدُ أَهْلَهَا جَمِيعًا، أَوْ يَعَذِّبُهُمْ، أَيْ ﴿قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾: فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴿أَوْ مُعَذِّبُوهَا﴾: حَرْفٌ يَفِيدُ خِيَارًا آخَرَ ﴿عَذَابًا شَدِيدًا﴾: أَشَدُّ وَأَقْصَى وَأَكْثَرُ إِيْلَامًا وَتَعَذِّيبًا، مِنْ صُنُوفِ الْإِبْتِلَاءِ؛ بِسَبَبِ ذُنُوبِهِمْ وَخَطَايَاهُمْ ﴿كَانَ ذَلِكَ﴾: إِنَّ قَدْرَ اللَّهِ ﷻ بِتَعَذِّيبِهِمْ ﴿فِي الْكِتَابِ﴾: فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ ﴿مَسْطُورًا﴾: مَكْتُوبًا مِنْ قَبْلِ.

﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأُولُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ (٥٩)

(١) صحيح مسلم ٤/٢٣٢١ (٣٠٣٠)

أسباب النزول: عن ابن عباس، قال: سأل أهل مكة النبي ﷺ، أن يجعل لهم الصفا ذهبًا، وأن ينجي الجبال عنهم، فيزرعوا، فقيل له: إن شئت أن تستأني بهم، وإن شئت أن تؤتيهم الذي سألو، فإن كفروا أهلكوا كما أهلكت من قبلهم، قال: "لا، بل أستأني بهم" فأنزل الله عز وجل هذه الآية: ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوْلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً﴾ [الإسراء-٥٩]<sup>(١)</sup>، ﴿و﴾: حرف جر يفيد الحال ﴿مَا﴾: حرف نفي ﴿مَنَعْنَا﴾: بحيث لم نفعل ﴿أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿نُرْسِلُ﴾: نبعث ﴿بِالْآيَاتِ﴾: إن الذي أحر ما طلبه أهل مكة، على ظاهر ما تفهم العرب؛ أن يحول الجبال ذهبًا، وغيرها كما أوتي "موسى" عصا البحر، و"عيسى" الذي يحيي الموتى، وناقاة "صالح"، وغيرها ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء أي بسبب ﴿أَنْ كَذَّبَ﴾: لم يصدقوا ﴿بِهَا﴾: بحق وصدق الآيات ﴿الْأَوْلُونَ﴾: أوائل الأقسام الذين نزلت عليهم الآيات البينات، وكفروا؛ فنزل عليهم غضب الله ﷻ ﴿وَآتَيْنَا﴾: أيضًا وهبنا وأعطينا ﴿ثَمُودَ﴾: قوم صالح ﷺ ﴿النَّاقَةَ مُبْصِرَةً﴾: آية واضحة، رأوها تخرج من الصخرة دون أم وأب ﴿ف﴾: حرف استثنائي بهدف ترتيب الأمر ويفيد السرعة في التنفيذ ﴿ظَلَمُوا بِهَا﴾: كفروا بها؛ ظالمين أنفسهم، ولما كفروا أخذهم العذاب ﴿وَمَا﴾: حرف نفي ﴿نُرْسِلُ﴾: نبعث ونظهر ﴿بِالْآيَاتِ﴾: الأدلة والبراهين على ظاهر ما تفهم العرب ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء يفيد تحديد الغرض فقط ﴿تَخَوُّفًا﴾: يبعث الله ﷻ الآيات؛ ليخوف الناس؛ لعلهم يرجعون. التكليف: لا تزال آيات الله ﷻ باقية حتى يومنا هذا؛ فالزلازل، والبراكين، وكسوف الشمس، وخسوف القمر، والعواصف وغيرها كافية للتذكير بقدرة الله ﷻ.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُحُوفُهُمْ مَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾ (٦٠)

﴿وَإِذْ﴾: حرف يفيد التحقق في الماضي ﴿قُلْنَا﴾: قول الله ﷻ، جاءت بصيغة الجمع؛ للتعظيم ﴿لَكَ﴾: لمحمد ﷺ تحديدًا ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ﴿رَبِّكَ﴾: مالك أمرك كله ﴿أَحَاطَ﴾: علمًا وقدرة، كلهم جميعًا في قبضته، وتحت قدرته ﴿بِ﴾: حرف باء السببية ﴿النَّاسِ﴾: جاء اللفظ القرآني "الناس" على "تسعة" أوجه؛ هنا بمعنى "أهل مكة" خاصة. انظر [البقرة-١٣]، يا "محمد" إن الله عصمك من أهل مكة، فهم في قبضته وتحت قهره ﴿وَمَا﴾: أيضًا هنا نفي ﴿جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ﴾: عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: «هي رؤيا عين، أريها رسول الله ﷺ ليلة أسري به إلى بيت المقدس»، قال: ﴿وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ﴾

(١) مسند أحمد ١٧٣/٤ (٢٣٣٣). وصححه الأرناؤوط.

[الإسراء-٦٠]، قَالَ: «هِيَ شَجَرَةُ الزُّقُومِ»<sup>(١)</sup>، ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿فِتْنَةً﴾: اختبارًا ﴿ل﴾: حرف تخصيص ﴿النَّاسِ﴾: اختبار إيمان ذرية آدم ﷺ ﴿وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ﴾: أيضًا جاء ذكر مساوي شجرة الزقوم المذمومة وهي عكس المدح من الله ﷻ ﴿فِي الْقُرْآنِ وَنُحُوفِهِمْ﴾: نخوف الكفار بالعذاب ﴿فَمَا﴾: حرف يفيد الخبر ﴿يَزِيدُهُمْ﴾: يستنفرهم ويحثهم ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾: يزدادون في الكفر والضلال والتمرد.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ (٦١)

﴿وَإِذْ﴾: حرف يفيد ما تحقق من الزمن ﴿قُلْنَا﴾: جاء بصيغة الجمع؛ لعظم قوله ﷻ ﴿ل﴾: حرف تخصيص ﴿الْمَلَائِكَةَ اسْجُدُوا﴾: كان تكريم الملائكة ﴿لِآدَمَ﴾: الذي خلقه الله ﷻ من أديم الأرض ﷻ؛ سجدوا تكريم، وليس سجود عبادة ﴿ف﴾: حرف يفيد السبب والاستجابة السريعة ﴿سَجَدُوا﴾: جميعًا دون تأخير أو تردد ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء منقطع، رفض ﴿إِبْلِيسَ﴾: لعنه الله طاعة الله ﷻ ﴿قَالَ﴾: إبليس ﴿أ﴾: حرف استفهام بغرض الإنكار والتعجب للتعبير عن ﴿أَسْجُدُ﴾: هل أسجد؟ مستغربًا مستهجنًا، ومتكبرًا على "آدم" ﷻ ﴿لِمَنْ﴾: تخصيصًا للذي من جنس العاقل ﴿خَلَقْتَ﴾: أوجدت من غير سابق وجود ﴿طِينًا﴾: من طين، وخلقنتي من نار.

﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَنْ أُوْحِرَّنَّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لِأُحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (٦٢)

﴿قَالَ﴾: "إبليس" اللعين ﴿أَرَأَيْتَكَ﴾: أخبرني أرايت هذا المخلوق الذي كرمت علي هل تراني أسجد لهذا المخلوق الذي من طين؟ ﴿الَّذِي﴾: اسم موصول بالفرد المذكور ﴿كَرَّمْتَ﴾: أعليت شأنه ﴿عَلَيَّ﴾: التكريم هنا بمعنى التقضيل. انظر [النساء-٣١] ﴿لَنْ﴾: حرف شرط ﴿أُوْحِرَّنَّ﴾: أبقيتني ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾: إذا كتبت علي أن أحيأ ليوم القيامة ﴿ل﴾: حرف سبب ﴿أُحْتَنِكَنَّ﴾: لاستولين عليهم بالإغواء والإضلال وأقودهم كما تقاد الدابة كما يشاء راکبها، كما يحنك الفرس، كناية عن إغواء الشيطان الناس؛ لأستميلن أولاده وبناته، واستأصلن ذرئته ﴿إِلَّا﴾: باستثناء ﴿قَلِيلًا﴾: قال "ابن عباس": سوف أستولي "أسيطر" على ذرئته إلا قليلاً منهم، وقال "مجاهد": أحتوي ذريته، وقال "ابن زيد": لأضللنهم، ولأعاملنهم كما أعامل الدواب التي يوضع الرسن في أفواههم؛ وأوجههم كيف أشاء؛ والله أعلم.

(١) صحيح البخاري ٥/٥٤٠ (٣٨٨٨).

التكليف: لقد خرج إبليس من رحمة الله ﷻ، وهو يعترف له ﷻ أنه الذي خلقه، ويعترف أنه الذي خلق "آدم"، ولكن اللعين عصا في خيرية النار على الطين؛ واليوم كَفَّار هذا العصر تجاوزوا إبليس برفضه؛ فأنكروا وجود الله ﷻ، وسَفَّهوا رسولهم، وحاربوا المؤمنين وسجنوهم، وعذبوهم، واحتلوا أرضهم، وانقلبوا على سلطتهم؛ فكفَّار هذا الزمان كأنهم أشدُّ كُفْرًا من إبليس لعنه الله ﷻ.

**﴿قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاءُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا﴾ (٦٣)**

**﴿قَالَ﴾**: الله ﷻ لإبليس بعد طلبه النظرة **﴿أَذْهَبَ﴾**: امض وغانر وابتعد **﴿فَمَنْ﴾**: حرف استفهام عن العاقل وهم بنو آدم **﴿تَبِعَكَ﴾**: من أطاعك وسلك سبيلك **﴿مِنْهُمْ﴾**: حرف يفيد بعض بني آدم **﴿فَإِنَّ﴾**: حرف تأكيد الفعل **﴿جَهَنَّمَ جَزَاءُكُمْ﴾**: إن عاقبة أمركم، ثمن أعمالكم؛ عدم دخولكم الجنة **﴿جَزَاءً﴾**: عقابكم **﴿مَوْفُورًا﴾**: كاملاً موفراً قال "مجاهد": جزاءً وافراً، وقال "قتادة": موفوراً عليكم؛ لا يُنقص منه.

**﴿وَاسْتَفْرَزَ مِنْ اسْتَطَعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَ أُجْلِبَ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدْتُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ (٦٤)**

**﴿و﴾**: عطفاً على ما سبق **﴿استفْرَزَ﴾**: استخف واستعجل وأزعج دائماً بسبب معصية الله ﷻ كل **﴿مِنْ﴾**: الذي من جنس العاقل **﴿استطعت منهم﴾**: حرف يفيد بعضاً أو جزءاً **﴿بِصَوْتِكَ﴾**: أرفع صوتك عليهم، قال "مجاهد": باللهو والغناء، وقال "ابن عباس، وابن جرير": كل من دعا إلى معصية، فكلف من سمع الصوت بذيء النداء **﴿وَأُجْلِبَ﴾**: أيضاً واجمع حرباً **﴿عَلَيْهِمْ﴾**: وأحمل عليهم **﴿بِخَيْلِكَ﴾**: هنا استعارة تمثيلية حيث شبه حال الشيطان في سيطرته وتحكمه في المفتونين به بالفارس الذي يأمر جنوده للهجوم على خصومه للتغلب عليهم، الذين يركبون الخيل وكل وسائل النقل والمواصلات من سيارات، ودبابات، وطائرات **﴿وَرَجِلِكَ﴾**: وأيضاً كل من هم مشاة، وفرسان إبليس، فرسانك من الرجال من الإنس، الذين يطيعون **﴿وَشَارِكُهُمْ﴾**: اقتسم معهم **﴿فِي الْأَمْوَالِ﴾**: كل ما يُنفق في معصية الله ﷻ، وكل ما جُمع من حرام، وقال "عطاء" المقصود الربا **﴿وَالْأَوْلَادِ﴾**: قال مجاهد، وابن عباس، والضحاك: أولاد الزنا، وقال الحسن البصري: مُجَسَّو وَهُودُوا وَنُصِرُوا وَصُبَّغُوا غير صبغة الإسلام، وقيل من تسموا عبد حارث، وعبد فلان أي كل مولودٍ سُمِّي بما يكره الله ﷻ، أو بإدخاله الدين الذي لا يرضيه الله ﷻ، وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال النبي ﷺ: "لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَأْتِيَ أَهْلَهُ قَالَ: بِاسْمِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ جَنَّبْنَا الشَّيْطَانَ، وَجَنَّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا،

فَإِنَّهُ إِنْ يُقَدَّرَ بَيْنَهُمَا وَوَلَدٌ فِي ذَلِكَ لَمْ يَضُرَّهُ شَيْطَانٌ أَبَدًا"<sup>(١)</sup>، **﴿وَعِذْهُمْ﴾**: يقول الله ﷻ للشيطان عد أتباعك وعودًا **﴿وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا﴾**: حرف استثناء **﴿غُرُورًا﴾**: إنما يدعوهم لوهم زائل، وكذب، وباطل.

**التكليف**: لقد امتلأت أسماء الأولاد في العالم العربي والإسلامي بأسماء كُفَّار مثل أسماء الشيوعيين، ورموز المشركين، والمغنين، والمغنيات الغربيين تقريبًا وترزفًا للشيطان.

**﴿إِنْ عِبَادِي نَسِيَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ (٦٥)**

**﴿إِنْ﴾**: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار **﴿عِبَادِي﴾**: هم المطيعون لله ﷻ في كل أمر، المؤمنون بالله ﷻ، وملائكته، ورسله **﴿نَسِيَ﴾**: فعل ماضٍ يفيد النفي **﴿لَكَ﴾**: تخصيصًا **﴿عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾**: إخبارٌ من الله ﷻ بحفظه لعباده وحراسته لهم من الشيطان الرجيم؛ فلن يكون للشيطان وأوليائه تسلطٌ أو سطوة، أو سيطرة، عليهم **﴿وَوَ﴾**: حرف جرٍ يفيد هنا الاستثناء **﴿كَفَىٰ بِرَبِّكَ﴾**: المعبود، والمُربي، مالك أمركم كلّه **﴿وَوَكِيلًا﴾**: حافظًا، ومؤيدًا، وناصرًا.

**﴿رَبُّكُمْ الَّذِي يُزْجِي لَكُمْ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِيَتَّبِعُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ (٦٦)**

**﴿رَبُّكُمْ﴾**: مالك أمركم كلّه **﴿الَّذِي يُزْجِي﴾**: يسوق، ويُسير، ويُجري **﴿لَكُمْ﴾**: تمليكًا وتخصيصًا **﴿الْفُلْكَ﴾**: السفن، والبواخر، والقوارب **﴿فِي الْبَحْرِ﴾**: خلق الله البحر؛ يصل بين البلاد، وعلم "نوحًا" ﷺ صناعة السفن، وكشف للإنسان قوانين الطفو؛ فأصبحت السفن والبوارج تحمل آلاف الأطنان، لا يغرق منها شيء، تنقل البضائع والبتترول، والغذاء، والناس، وهذا من كرم الله ﷻ على الإنسان **﴿ل﴾**: حرف علّةٍ وسببٍ **﴿لِيَتَّبِعُوا﴾**: لتتمكنوا من السفر في البلاد، وما تريدوا، وترغبوا **﴿مِنْ﴾**: حرف جرٍ وبيان لتمييز النوع يفيد هنا ابتداء الغاية المكانية الكلية **﴿فَضْلِهِ﴾**: خصكم بهذه النعم؛ ليستفيد الناس من فضل الله عليهم في النقل والتجارة، وليستخرجوا منها الطعام، ويحقق لهم الشراب الماء العذب ببخار الماء، ومن البخار تتكون السحب، وانتقالها إلى اليابسة، ثم استخراج البترول من باطن البحر **﴿إِنَّهُ﴾**: وبالتأكيد هنا تعليل لما سبق من حديث عن السفن بقصد الربح والتجارة **﴿كَانَ﴾**: باقيا بلا زوالٍ **﴿بِكُمْ رَحِيمًا﴾**: شديد الرحمة لعباده: المؤمن والكافر، والطير والدواب؛ ولكنّه كرم الإنسان وفضله.

**﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَٰهَهُ فَلَمَّا نَجَّكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا﴾ (٦٧)**

<sup>(١)</sup> صحيح البخاري ٨٢/٨/٦٣٨٨.

﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿إِذَا﴾: حرفٌ جرٌّ يُفيدُ الحالَ لما يُستقبلُ من الزمانِ، يفيدُ معنى الشرطِ وهي أداةُ ربطٍ ما بعدها بما قبلها ﴿مَسْكُكُمْ﴾: أصابكم في العمق منكم ﴿الضُّرُّ﴾: مثل الغرق ﴿فِي النَّبْحِ﴾: أي إذا أوشك النَّاسُ على الغرق والموت ﴿صَلَّ﴾: غاب عن بالكم ونسيتم ﴿مَنْ﴾: الذي ﴿تَدْعُونَ﴾: من كنتم تعبدونه من دون الله ﷻ ﴿أَلَا﴾: حرف يفيد الاستثناء، فقد نسوا كل معبود وذكروا فقط ﴿يَاهُ﴾: لم يجد الإنسان من يستغيث به غير الله ﷻ في قلبه وعلى لسانه ﴿فَلَمَّا﴾: حرف يفيد التتابع والسبب ﴿نَجَاكُمْ﴾: أنقذكم ﴿إِلَى النَّبْرِ﴾: وإذا استجاب الله ﷻ لكم، وأخرجكم سالمين من الغرق، والبرُّ خلاف البحر، وتصور منه التوسع؛ فاشتق منه البرُّ: أي التوسع في فعل الخير ﴿أَعْرَضْتُمْ﴾: ابتعدتم ونأيتم عن عبادة الله ﷻ ﴿وَكَانَ﴾: وسيبقى ﴿الْإِنْسَانُ﴾: ابن آدم ﴿كَفُورًا﴾: هنا توضيح أسباب وتعليل الإعراض عن الإيمان بالله ﷻ وحده، من هذا الإنسان الكافر الجاحد لفضل الله ﷻ، ونعمه عليه.

﴿أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ النَّبْرِ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا﴾ (٦٨)

يصف الله ﷻ حال الذين نجوا من الغرق ﴿أ﴾: حرف استفهام هنا بغرض التوبيخ ﴿ف﴾: حرف استئنافي ﴿أَمِنْتُمْ﴾: هل اطمأنتم واعتقدتم وأنتم على الأرض ﴿أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل، أَنْ الله ﷻ ﴿يَخْسِفُ﴾: تغور بكم الأرض؛ فيجعل عاليها سافلها ﴿بِكُمْ جَانِبَ النَّبْرِ﴾: أي يخسف بكم الأرض ﴿أَوْ﴾: حرف عطف يفيد التسوية بين متعاطفين ﴿يُرْسِلُ﴾: يُسلط ﴿عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾: ريحًا شديدة؛ تحمل الحصباء، أو حجارةً من السماء، مثلما فعل في قوم "لوطٍ" ﷺ، أو هو المطر الذي ينزل فيه البرد الذي هو كالحجارة ﴿ثُمَّ﴾: حرف يفيد التباعد الزمني غير السريع ﴿لَا تَجِدُوا لَكُمْ﴾: تحديدًا ﴿وَكِيلًا﴾: عندها لن تجدوا ناصرًا، معينًا يرفع ويرد عنكم المطر، والحجارة؛ وينجيكم.

﴿أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا﴾ (٦٩)

يصف الله ﷻ حال الذين نجوا من البحر أول مرة ﴿أَمْ﴾: هل ﴿أَمِنْتُمْ﴾: اطمأنت قلوبكم ﴿أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿يُعِيدُكُمْ﴾: يرجعهم ﴿فِيهِ﴾: في البحر ﴿تَارَةً﴾: مرة وكرة أخرى ﴿أُخْرَى﴾: ثانية، أَنْ ترجعوا مضطرين إلى ركوب البحر، واليوم صار ركوب الجو بالطائرات أخطر ﴿ف﴾: حرف يفيد السبب والتتابع السريع ﴿يُرْسِلُ﴾: يسلط ﴿عَلَيْكُمْ قَاصِفًا﴾: عاصفًا شديدًا مهلكًا ﴿مِنَ الرِّيحِ﴾: قال "ابن عباس" تكسر صواري السفن، وتغرق المراكب،

فالقاصف هي ريحُ البحر التي تُغرق ﴿ف﴾: حرفٌ يفيد السبب ﴿يُغْرِقُكُمْ﴾: بسرعة وبسبب الفعل، تموتون غرقاً ﴿بِمَا﴾: اسم موصول هنا بمعنى الذي ﴿كَفَرْتُمْ﴾: تغرقون بسبب كفركم أي تغطية الحقائق الربانية ﴿نَمَّ﴾: نقيد التباعد غير السريع في الزمن ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿تَجِدُوا لَكُمْ﴾: تحديداً ﴿عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعَا﴾: قال: "ابن عباس": نصيراً، وقال "مجاهد": نصيراً يأخذ بثأركم، وقال "قتادة": لا نخاف أحداً يتبعنا بشيءٍ من هذا؛ أي الغرق.

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي النَّبْرِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (٧٠).

﴿و﴾: أيضاً ﴿لَقَدْ﴾: حرف يفيد التحقق في الماضي ﴿كَرَّمْنَا﴾: جاء التكريم بصيغة الجمع؛ تعبيراً عن عظم التكريم كانت الخلقة على هذه الهيئة الحسنة وميّزهم بالنطق والعقل والتمييز ﴿بَنِي آدَمَ﴾: أبناء آدم ﷺ، جاء معنى "التكريم" هنا "التفضيل"، ومن أوجه التكريم: كان الإنسان أحسن الهيئات، وأكملها "أحسن التقويم"، ويمشي منتصباً على رجليه، ويأكل بيديه، ووهبناه أدوات الإدراك "السمع، والبصر، والفؤاد" يفقه بها، وينتفع بها، ويفرق بها بين الصالح والضار ﴿وَحَمَلْنَاهُمْ﴾: أيضاً جعلنا ركوبهم ﴿فِي النَّبْرِ﴾: على الدواب وما يصنعون من مركبات تسير على الأرض، أيضاً ركوبهم ﴿وَالْبَحْرِ﴾: كما علمناهم ركوب الدواب على الأرض، علمناهم صناعة السفن لركوبها في البحر، وركوب الطائرات في الجو ﴿و﴾: أيضاً ﴿رَزَقْنَاهُمْ مِنْ﴾: حرف يفيد بداية الغاية المكانية بعض ﴿الطَّيِّبَاتِ﴾: ما يستمتع به الجسد وتقبله النفس، من زروع الأرض، واللحوم، والألبان؛ طعاماً وشراباً، والمناظر الجميلة، والملابس الأنيقة وغيرها من النعم ﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ﴾: في العديد ﴿مِمَّنْ﴾: من الذين ﴿خَلَقْنَا﴾: غيرهم ﴿تَفْضِيلًا﴾: من تفضيل خلق الله ﷻ بأن خلق آدم بيديه، بينما قال للملائكة كونوا؛ فكانوا، ومن هنا يُستدل على تفضيل الإنسان على الملائكة، والله ﷻ أعلم.

التكليف: إنَّ التفضيل ليس مُطلقاً، فالعاصي والكافر ليس مُفضلاً؛ بل الذي أطاع واتفق.

﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ (٧١)

﴿يَوْمَ﴾: القيامة ﴿نَدْعُو﴾: ننادي ﴿كُلَّ﴾: جميع ﴿أُنَاسٍ﴾: كلِّ مجموعةٍ أو قومٍ من بني آدم ﴿بِ﴾: حرف باء المصاحبة ﴿إِمَامِهِمْ﴾: بالكتاب الذي أنزل إليهم، الذي كان يهديهم، قال "مجاهد": هو النبي، وهنا أمة "محمد" ﷺ هي الأشرف، وقال "ابن جرير، وابن زيد": كتابهم الذي نزل على نبيهم، وقال "الحسن، والضحاك، وابن عباس": كتاب أعمالهم؛ وهو الأرجح،

جاء في المعنى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس-١٢]، الذين يُؤْمِنُونَ قومهم؛ فأهل الإيمان إئتموا بالأنبياء والرسول، وأهل الكُفر كان أئمتهم كافرين ﴿فَمَنْ﴾: اسمٌ استفهام استثنائي هنا بمعنى الذي ﴿أُوتِيَ﴾: أُعطي ﴿كِتَابَهُ﴾: كتاب عمله في الدنيا ﴿بِ﴾: حرف باء الالتصاق ﴿يَمِينِهِ فَ﴾: حرفٌ يفيد السبب ﴿أُولَئِكَ﴾: إشارة للقريب والبعيد ﴿يَقْرَأُونَ﴾: ﴿كِتَابَهُمْ﴾: الذي أُوتوه؛ فيأخذون يقرؤون كتابهم ﴿وَلَا﴾: حرف نفي ﴿يُظَلِّمُونَ﴾: يجورُ عليهم أو يهضم حقهم ﴿فَتِيلاً﴾: بقدر الخيط المستطيل الذي في شق النواة؛ دلالةٌ على صغره وضعفه.

﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ (٧٢)

﴿وَمَنْ﴾: والذي ﴿كَانَ﴾: في الحياة الدنيا ﴿فِي﴾: هنا بمعنى "عن"؛ أي فمن كان عن ﴿هَذِهِ﴾: في الدنيا ﴿أَعْمَى﴾: الأعمى حقًا هو الفاقد للبصر أمّا المعنى المجازي هنا فهو صاحب القلب الأعمى، عمى القلوب "البصيرة"؛ الذي لا يرى آيات الله ﷻ وبراهينه بقلبه، وعقله في هذه الدنيا ﴿ف﴾: حرف يفيد السبب ﴿هُوَ﴾: ضميرٌ منفصلٌ مرفوعٌ للغائب المفرد المذكر، وهنا للمؤنث أيضًا ﴿فِي الْآخِرَةِ﴾: يُعاقب يوم القيامة كذلك لأنه ﴿أَعْمَى﴾: سيكون كذلك، لا يرى ما لم يره، أي لا يؤمن بما لم يؤمن به في الحياة الدنيا ﴿وَ﴾: حرف جرّ يفيد الحال ﴿أَضَلُّ﴾: أكثر تيهًا، وجهلاً، وضلالًا ﴿سَبِيلًا﴾: منهجًا وطريقًا. التكليف: من كان في هذه الدنيا أعمى القلب لن يهتدي إلى الحق ولا إلى سبل الخير فهو في الآخرة أشدَّ عمىً وضلالةً عن طريق السعادة والنجاة.

﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أُوحِئْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِي عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذَا لَا تَأْخُذُوكَ خَلِيلًا﴾ (٧٣)

﴿وَ﴾: عطفًا على ما سبق ﴿إِنْ﴾: حرف شرط ﴿كَادُوا﴾: أوشكوا وقاربوا ﴿ل﴾: حرف يفيد العلة والسبب ﴿يَفْتِنُونَكَ﴾: أن يخدعوك؛ فيصيبوك بفتنة، وهي انصراف وابتعاد ﴿عَنِ﴾: حرف جرّ يفيد المُجاورة ﴿الَّذِي أُوحِئْنَا﴾: تقول وتعمل ما لم نأمرك به ﴿إِلَيْكَ﴾: الذي جاءك وحيا، هو القرآن الكريم ﴿ل﴾: حرف يفيد السبب ﴿تَفْتَرِي﴾: الفري هو قطع الجلد للخرز والإصلاح، والافتراء للإفساد، والافتراء فيهما، واستعمل في القرآن في الكذب، والشرك، والظلم ﴿عَلَيْنَا غَيْرَهُ﴾: حرف استثناء بمعنى إلا لتقول غير الذي أوحينا إليك؛ كذبًا وادعاء على الله ﷻ ﴿وَإِذَا﴾: حرف جواب وجزاء ﴿لَا تَأْخُذُوكَ﴾: جعلوك واعتمدوك ﴿خَلِيلًا﴾: صديقًا، إذا اقترفت جريمة الفتنة عمّا أوحى الله ﷻ كانوا لك أخلاء، وأصدقاء، ورفقاء، وأصحابًا.

﴿وَلَوْلَا أَنْ تَبَنَّكَ لَفَدَّ كِدْت تَرَكُنْ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾ (٧٤)



﴿وَلَوْلَا﴾: حرف شرط أو الدلالة على أمرٍ لوجود غيره، أي تفيد الثاني لوجود الأول ﴿أَنَّ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿تُبَيِّنَاكَ﴾: بفضل الله ﷻ ثبت نبيّه "محمدًا" ﷺ على دينه رغم الفتن، والضغوط، والإغراءات؛ فقد عصمه الله ﷻ من كيد وحيل الكاذبين، ولم يكله لنفسه أو لغيره؛ فكان ﷻ حافظه، ومعينه، وناصره ﴿لَقَدْ﴾: حرف إثبات ما حدث أقوى ما يكون في الماضي والمضارع، ولا تفيد في المستقبل ﴿كِدْتَ﴾: أوشكت ﴿تَرْكُنُ﴾: تميل وتعتمد ﴿إِلَيْهِمْ﴾: أن تقبل منهم ﴿شَيْنًا﴾: جزءًا ﴿قَلِيلًا﴾: بعض الذي طلبوه، وهو قليل؛ لكنه يُفسد الكل. التكليف: كانت النجاة بسبب أن هذه الجملة لم تتحقق، لو ركن إليهم لأذاقه الله ﷻ عذابًا مضاعفًا.

﴿إِذَا لَأَذُنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾ (٧٥)

﴿إِذَا﴾: حرف يفيد جزءًا وجواب ﴿لَ﴾: حرف علّة وسبب ﴿أَذُنَاكَ﴾: بمعنى يصيبك ﴿ضِعْفَ﴾: عذابًا مضاعفًا في ﴿الْحَيَاةِ﴾: لو أطعتم لعذبتكم ضعف العذاب في الحياة الدنيا ﴿و﴾: حرف جرّ يفيد الحال ﴿ضِعْفَ الْمَمَاتِ﴾: وعذابًا مضاعفًا يوم القيامة ﴿ثُمَّ﴾: تفيد التباعد الزمني ليس فورًا ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿تَجِدُ لَكَ﴾: تخصيصًا ﴿عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾: لن تجد لك من ينصرك لا في الدنيا ولا في الآخرة.

التكليف: عنوان هذه الآية "لا قليل من الإثم؛ فقد خرج "إبليس" من الجنة بزعم أفضليته على "آدم"؛ مع أنه لم يُنكر أن الله ﷻ هو الذي خلقه، وأيضًا خلق "آدم" ﷺ فقد جاء: ﴿خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ [الأعراف-١٢]، وهذه واحدة من أخطر آفات الإيمان في كلّ العصور؛ هم يُصلّون ويصومون، ويؤيدون الشيوعيين والعلمانيين.

﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خِلافَكَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (٧٦)

﴿وَإِنْ﴾: حرف شرط ﴿كَادُوا﴾: هم اليهود، الذين أوشكوا ﴿لَ﴾: حرف علّة وسبب ﴿يَسْتَفِزُّوكَ﴾: المقصود هو إخراج الرسول محمد ﷺ يستخفون بك، يزعمونك بعداوتهم ﴿مِنْ﴾: حرف يفيد بداية الغاية المكانية ﴿الْأَرْضِ لَ﴾: حرف يفيد السبب ﴿يُخْرِجُوكَ﴾: يطردوك من مكة المكرمة ولكن لم يحدث ذلك منهم؛ بل منعهم الله ﷻ حتى هاجر الرسول ﷺ بأمر الله بعد أن تأمروا على قتله ﴿مِنْهَا﴾: لتترك مكة ﴿وَإِذَا﴾: حرف يفيد الجواب والجزاء ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يَلْبَثُونَ﴾: يمكنون يقيمون إقامة دائمة يبقون ﴿خِلافَكَ﴾: بعد إخراجك ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء منقطع ﴿قَلِيلًا﴾: لا يمكث الكافرون بعدهم إلا زمنًا قصيرًا، وقد كانت "بدر" بعد عام ونصفٍ من هجرته ﷺ، فكانت هزيمتهم، وقُتل زعماءهم.

﴿سُنَّةٌ مِّنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾ (٧٧)

﴿سُنَّةٌ﴾: هس قواعد وأصول وقوانين ﴿مِّنْ﴾: الذي من جنس العاقل ﴿قَدْ﴾: حرف جزم دخل هنا على الفعل الماضي فأفاد التأكيد ﴿أَرْسَلْنَا﴾: بعثناهم رسلاً ﴿قَبْلَكَ مِنْ أَرْسَلْنَا﴾: قبل بعث "محمد" ﷺ هذه سُنَّةُ الله ﷻ في الذين يكفرون برسالته، في أقوام الأنبياء والرسل الذين خلوا من قبل "محمد" ﷺ؛ إذا أخرجوا رسلهم؛ يأتيهم العذاب. قال سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ، فِي قَوْلِهِ ﷺ ﴿سُنَّةٌ مِّنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُّسُلِنَا﴾ «لَمْ نُرْسِلْ قَبْلَكَ رَسُولًا فَأَخْرَجَهُ قَوْمُهُ إِلَّا أَهْلِكُوا»<sup>(١)</sup>، ﴿و﴾: عطفًا على هذا ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿تَجِدُ لِسُنَّتِنَا﴾: أوامر وتعاليم الله ﷻ ﴿تَحْوِيلًا﴾: لا تتغير هذه القوانين.

التكليف: تسري هذه السنن على الرسل وأتباع الرسل أيضًا؛ فما من دعوة إسلامية صادقة إلا حوربت وأخرجت إلا كتب الله لها النصر والتأييد، وعذب الكافرين.

﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنِ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ (٧٨)

﴿أَقِمِ﴾: فم بتأدية شعائر الله ﷻ على الوجه المقبول وهي ﴿الصَّلَاةُ﴾: أمر رباني لمحمد ﷺ والمؤمنين بأداء الصلاة المكتوبة، في أوقاتها الخمسة ﴿لِذُلُوكِ الشَّمْسِ﴾: حرف اللام الأولى بمعنى "بعد" أي عند زوال الشمس في كبد السماء وهي صلاة الظهر ﴿إِلَى غَسَقِ﴾: إلى ظلام ﴿اللَّيْلِ﴾: والهدف هنا التضمنين، أي ضمن هذه الأوقات ويشمل ذلك العصر، والمغرب، والعشاء.

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ، قَالَ: كَانَ عَبْدُ اللَّهِ ﷺ، يُصَلِّي الْمَغْرِبَ وَنَحْنُ نَرَى أَنَّ الشَّمْسَ طَالِعَةٌ قَالَ: فَتَطْرُنَا يَوْمًا إِلَى ذَلِكَ فَقَالَ: «مَا تَنْظُرُونَ؟» قَالُوا: إِلَى الشَّمْسِ. قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: «هَذَا وَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ مِيقَاتُ هَذِهِ الصَّلَاةِ»، ثُمَّ قَالَ: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ﴾، فَهَذَا ذُلُوكُ الشَّمْسِ<sup>(٢)</sup>، ﴿و﴾: أيضًا أقم ﴿قُرْآنَ الْفَجْرِ﴾: صلاة الفجر ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿قُرْآنَ الْفَجْرِ﴾: جاءت قرآن منصوبة إما على سبيل التحفيز بمعنى إلزم قراءة قرآن الفجر أو منصوبة للفعل أقم الصلاة وأقم قرآن الفجر؛ وجاء التكرار لمزيد من العناية؛ هنا من باب المجاز المرسل، إطلاق الجزء على الكل، المعنى قراءة الفجر، أي صلاة الفجر؛ لأنَّ القراءة جزءٌ من الصلاة ﴿كَانَ مَشْهُودًا﴾: مُحَضَّرًا؛ تشهد الملائكة

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٧ / ٧٨).

(٢) المستدرک على الصحيحين للحاكم ٢/٣٩٥ (٣٣٨٢). وقال: صحيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخْرِجَاهُ. ووافقه الذهبي.

صلاة الفجر، ملائكة الليل، وملائكة النهار، فعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: "يَتَعَاقِبُونَ فِيكُمْ إِذَا كَانَتْ صَلَاةُ الْفَجْرِ نَزَلَتْ مَلَائِكَةُ النَّهَارِ، فَشَهِدَتْ مَعَكُمْ الصَّلَاةَ جَمِيعًا وَصَعِدَتْ مَلَائِكَةُ اللَّيْلِ وَمَكَّنَتْ مَعَكُمْ مَلَائِكَةُ النَّهَارِ، فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ مَا تَرَكْتُمْ عِبَادِي يَصْنَعُونَ؟ فَيَقُولُونَ: جِئْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ وَتَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ، فَإِذَا كَانَ صَلَاةُ الْعَصْرِ نَزَلَتْ مَلَائِكَةُ اللَّيْلِ، فَشَهِدُوا مَعَكُمْ الصَّلَاةَ جَمِيعًا، ثُمَّ صَعِدَتْ مَلَائِكَةُ النَّهَارِ وَمَكَّنَتْ مَعَكُمْ مَلَائِكَةُ اللَّيْلِ، قَالَ: فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ فَيَقُولُ: مَا تَرَكْتُمْ عِبَادِي يَصْنَعُونَ؟ قَالَ: فَيَقُولُونَ: جِئْنَا وَهُمْ يُصَلُّونَ وَتَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ" (١).

### ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ (٧٩)

﴿وَمِنَ﴾: حرف يفيد بداية الغاية الزمانية، جزء أو بعض ﴿اللَّيْلِ﴾: أمر الله ﷻ رسوله ﷺ بعد الصلوات المكتوبة بصلاة الليل ﴿ف﴾: حرف يفيد السبب ﴿تَهَجَّدْ بِهِ﴾: قال "علقمة والأسود، والنخعي، وآخرون": معروف في لغة العرب أن التهجد ما كان بعد نوم، أي أقم صلاة القيام بالليل من بعد النوم، وقيل إنها تعني نام وتعني سهر ﴿نافلة﴾: زائدة على الفريضة ﴿لك﴾: تخصيصاً عن المغيرة ﷺ، قال: قام النبي ﷺ حتى تورمت قدماه، فقيل له: غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، قال: «أفلاً أكون عبداً شكوراً» (٢)، وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: «أن رسول الله ﷺ: كان يصلي إحدى عشرة ركعة، كانت تلك صلاته يسجد السجدة من ذلك قدر ما يقرأ أحدكم خمسين آية، قيل أن يرفع رأسه، ويركع ركعتين قبل صلاة الفجر، ثم يضطجع على شقه الأيمن حتى يأتيه المنادي للصلاة» (٣)، وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: كان النبي ﷺ: إذا قام من الليل يتهجّد قال: "اللهم لك الحمد أنت قيم السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت نور السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت ملك السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت حق ووعدك الحق، ولقاؤك حق، وقولك حق، والجنة حق، والنار حق، والنبؤون حق، ومحمد ﷺ حق، والساعة حق، اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، وإليك حاكمت، فاغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، أنت المقدم، وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت، أو: لا إله غيرك" (٤)، وكان ﷺ

(١) صحيح ابن حبان / ٤٠٩/٥ (٢٠٦١). وصححه الألباني.

(٢) صحيح البخاري ١٣٥/٦ (٤٨٣٦).

(٣) صحيح البخاري ٤٩/٢ (١١٢٣).

(٤) صحيح البخاري ٤٨/٢ (١١٢٠).

يشجع المسلمين على التهجد وقيام الليل، فقال عن عبد الله بن عمر: «نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللَّهِ، لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ» فَكَانَ بَعْدُ لَا يَنَامُ مِنَ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلًا<sup>(١)</sup>، ﴿عَسَى﴾: فعلٌ ماضٍ جامد يفيد هنا الترجي في الأمر المحبوب، وهي تدلُّ على التحقق والوجوب ﴿أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿يَبْعَثُكَ﴾: ينزلك يوم القيامة ﴿رَبِّكَ﴾: مالك أمرك كله ﴿مَقَامًا مَحْمُودًا﴾: حتى يبعثك الله ﷺ يوم القيامة على المقام المحمود، هي الشفاعة العظمى، وتحمدك الخلائق كلها يومها. ما هو المقام المحمود: قال ابن عباس، ومجاهد، والحسن البصري: هي الشفاعة يوم القيامة للناس، قال ﷺ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنَا سَيِّدُ وَادٍ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ»<sup>(٢)</sup>.

﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا﴾  
(٨٠)

﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿قُلْ﴾: أمر رباني للرسول ﷺ وأتباعه أن يقولوا، داعين متذللين، كما قال رسولهم ﴿رَبِّ﴾: والرَّبُّ هو المُعبود، والمُرَبِّي، مالك أمرك كله ﴿أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾: عند دخول المدينة دعاء يقول رب اجعل كلَّ مداخلِي ومخارجي في طاعتك؛ ونيل مرضاتك، وقال قتادة: أدخلني المدينة ﴿و﴾: أيضًا ﴿أَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾: عند الإخراج من مكة، قال قتادة: أخرجني من مكة ﴿وَاجْعَلْ﴾: هيئ ﴿لِي﴾: تخصيصًا ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ وبيان لتمييز النوع وتفيد هنا بداية الغاية الكلية ﴿لَدُنْكَ﴾: من عندك لا بحول مني ولا قوة ﴿سُلْطَانًا نَصِيرًا﴾: قوة نهزم بها الأعداء، والحُجَّة الواضحة التي تُقنع المؤمنين، وتدحض الكافرين، قال الحسن البصري: «مُلْكُ فارس ومُلْكُ الروم، وقال قتادة، وابن جرير: «سأل محمدٌ ﷺ ربه ﷻ أن يُعطيهِ سُلْطَانًا نَصِيرًا؛ ليحقق غايته، يُنصر بكتاب الله ﷻ، وحدود الله ﷻ وفرائضه، وقال مجاهد: أعطني الحُجَّة البيّنة.

التكليف: لا يأتي طلب السلطان النصير من الله عزّ وجل، ولا يأتي مجيء الحق وإزهاق الباطل وتمكين دين الله ﷻ إلا بعد إقامة الصلاة، وبالذات صلاة الفجر، وقرآن الفجر، وإلا بعد قيام الليل ومن الليل فتهجده به نافلة لك، فهذه هي أهمُّ أدوات النصر!

﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ (٨١)

(١) صحيح البخاري ٤٩/٢ (١١٢٢).

(٢) صحيح مسلم ١٧٨٢/٤ (٢٢٧٨).

﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿قُل﴾: أمر ربّاني أيضًا بقول ﴿جَاء﴾: انتصر ﴿الحَقُّ﴾: الدين الصحيح ﴿وَزَهَقَ﴾: زال، واضمحل، وانهمز ﴿الباطِلُ﴾: الشرك والمشركون، هذا تهديدٌ، ووعيدٌ لكفار قريش ولكل كافر، أنّ الإسلام قادم، والنصر قادم؛ لا محالة، فقد جاء الحق، وهي رسالة "محمد" ﷺ، وبقي أنّ يذهب الباطل وهو الشرك، عن عبد الله بن مسعودٍ ﷺ، قال: دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ مَكَّةَ، وَحَوْلَ الْبَيْتِ سِتُونَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ نُصِبٍ، فَجَعَلَ يَطْعُنُهَا بِعُودٍ فِي يَدِهِ، وَيَقُولُ: ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ، إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾<sup>(١)</sup>، ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿الباطِلُ﴾: الكفر والإلحاد ﴿كَانَ﴾: وسيبقى ﴿زَهُوقًا﴾: ما بُني على كفرٍ؛ فهو زائلٌ؛ أي مهزومٌ، ومُتلاشٍ.

﴿وَنُنزِلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ (٨٢)

﴿وَنُنزِلُ مِنَ﴾: الآيات القرآنية المذكورة في القرآن، جاء اللفظ القرآني "من" هنا بمعنى "جنس القرآن"، وليس للتبويض ﴿الْقُرْآنِ﴾: كتاب الله ﷺ، الذي نزل على رسوله "محمد" ﷺ ﴿مَا هُوَ﴾: ضمير للغائب المفرد ﴿شِفَاءٌ﴾: والشفاء هنا من وصف القرآن للقرآن؛ يداوي أمراض القلوب: الشك، والنفاق، والشرك بالله، والميل، والزيغ عن الحق ﴿و﴾: أيضًا من فوائده أنّه ﴿رَحْمَةٌ﴾: سببٌ في رحمة الله ﷺ ﴿ل﴾: التخصيص هنا ل ﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾: بسبب الإيمان والحكمة، وطلب الخير، والرغبة فيه، الشفاء والرحمة للمؤمن المصدق المتبع، عن أبي سعيد الخدري، قال: كُنَّا فِي مَسِيرٍ لَنَا فَنَزَلْنَا، فَجَاءَتْ جَارِيَةٌ، فَقَالَتْ: إِنَّ سَيِّدَ الْحَيِّ سَلِيمٍ، وَإِنَّ نَعْرَتَنَا غَيْبٌ، فَهَلْ مِنْكُمْ رَاقٍ؟ فَقَامَ مَعَهَا رَجُلٌ مَا كُنَّا نَأْبُهُ بِرُقِيَّةٍ، فَرَقَاهُ فَبِرًّا، فَأَمَرَ لَهُ بِثَلَاثِينَ شَاةً، وَسَقَانَا لَبَنًا، فَلَمَّا رَجَعْنَا لَهُ: أَكُنْتَ تُحْسِنُ رُقِيَّةً أَوْ كُنْتَ تَرَقِي؟ - قال: لا، مَا رَقِيْتُ إِلَّا بِأَمْرِ الْكِتَابِ، فُلْنَا: لَا تُحَدِّثُوا شَيْئًا حَتَّى نَأْتِيَ - أَوْ نَسْأَلْ - النَّبِيَّ ﷺ، فَلَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ ذَكَرْنَاهُ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «وَمَا كَانَ يُدْرِيهَ أَنَّهَا رُقِيَّةٌ؟ أَفَسِمُوا وَاصْبِرُوا لِي بِسَهْمٍ»<sup>(٢)</sup>، ﴿وَلَا﴾: حرف نفي ﴿يَزِيدُ﴾: لا يزيد سماع القرآن ﴿الظَّالِمِينَ﴾: الكافرين ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿خَسَارًا﴾: إلّا هلاكًا؛ بسبب كفرهم، ليس بسبب قصورٍ في محتوى القرآن، ولكن الكافر لا ينتفع به، ولا يدرك معانيه؛ فيزداد ضلالًا، فهجروا القرآن ولم تشافوا، ولم تعافوا، ولم تقوا به.

﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا﴾ (٨٣)

(١) صحيح البخاري ٨٦/٦ (٤٧٢٠).

(٢) صحيح البخاري ١٨٧/٦ (٥٠٠٧).

﴿و﴾: أيضًا ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يُستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط بين ما بعدها بما قبلها ﴿أَنْعَمْنَا﴾: أعطى الله ﷻ ﴿عَلَى الْإِنْسَانِ﴾: المقصود هنا الإنسان الكافر، من بني آدم، أنعم الله ﷻ عليه من النعم التي تُوجب الشكر؛ مالا، أو جاهًا، أو نعمة، أو رزقًا وعافيةً ونصرًا ﴿أَعْرَضَ﴾: تجاهل ﴿وَنَأَى﴾: أيضًا ابتعد ﴿بِجَانِبِهِ﴾: لوى وجهه تكبرًا؛ وعنادًا؛ عن عبادة الله ﷻ وطاعته، والعمل بأوامره ﴿وَإِذَا مَسَّهُ﴾: أصابه في العمق، هو أو غيره ﴿الشَّرُّ﴾: المصائب، والحوادث، والنوائب ﴿كَانَ﴾: صار ﴿يَتُوسَّأُ﴾: شديد اليأس، ظنَّ أنَّ الخير لن يعود له، وهذه ليست من صفات المؤمنين؛ أنهم يقنطون من رحمة الله ﷻ، ويعتقدون بالفرج بعد الابتلاء.

﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا﴾ (٨٤)

﴿قُلْ﴾: أمر ربِّي بالقول ﴿كُلٌّ﴾: واحدٍ من البشر ﴿يَعْمَلُ﴾: كلٌّ واحدٌ من المؤمنين، وكلٌّ واحدٍ من الكافرين يعبد ﴿عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾: مذهبه الذي يناسب عقيدته، يطيع على قناعته وطريقته، قال "ابن عباس": يعمل على ناحيته، وقال "مجاهد": على حدته وطبيعته، وقال "قتادة": على نيته، وقال "ابن يزيد": على دينه، عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا أَنْفَقَ الرَّجُلُ عَلَى أَهْلِهِ يَحْتَسِبُهَا فَهُوَ لَهُ صَدَقَةٌ»<sup>(١)</sup>، ﴿فَب﴾: حرف يفيد السبب، كلُّ إنسانٍ يعمل على ما يتلاءم وأخلاقه التي ألفها ﴿رَبُّكُمْ﴾: هو المعبود، والمُربي، مالك أمركم كلَّه، وهو بذلك ﴿أَعْلَمُ﴾: صاحب العلم التام الكامل ﴿بِمَنْ﴾: الذي من جنس الإنسان ﴿هُوَ﴾: ضميرٌ منفصلٌ مرفوعٌ للغائب المفرد المذكر وهنا المؤنث أيضًا ﴿أَهْدَى﴾: أكثر تقوى ومعرفة للحق ﴿سَبِيلًا﴾: يعلم الله ﷻ المؤمن من الكافر، وهنا تهديد للكافرين، وفيه أيضًا وعدٌ لمن يعمل من المؤمنين، ويجزي كلَّ عاملٍ بعمله.

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (٨٥)

سبب النزول: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: بَيْنَا أَنَا أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي حَرْبِ الْمَدِينَةِ، وَهُوَ يَتَوَكَّأُ عَلَى عَسِيبٍ مَعَهُ، فَمَرَّ بِنَقْرِ مِنَ الْيَهُودِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: سَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ؟ وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا تَسْأَلُوهُ، لَا يَجِيءُ فِيهِ بِشَيْءٍ تَكْرَهُونَهُ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لِنَسْأَلَنَّهُ، فَقَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ، فَقَالَ يَا أَبَا الْقَاسِمِ مَا الرُّوحُ؟ فَسَكَتَ، فَقُلْتُ: إِنَّهُ يُوحَى إِلَيْهِ، فَقُمْتُ، فَلَمَّا انْجَلَى عَنْهُ، قَالَ: «(وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتُوا مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا)»<sup>(٢)</sup> ﴿و﴾: عطفًا على ما

(١) صحيح البخاري ٢٠/١ (٥٥).

(٢) صحيح البخاري ٣٧/١ (١٢٥).

سبق ﴿يَسْأَلُونَكَ﴾: قالت قريش لليهود: أعطونا شيئاً نسأل عنه هذا الرجل، فقالوا سلوه ﴿عَنْ﴾: حرف جر يفيد الاتصال والارتباط والتعلق ﴿الرُّوح﴾: ما هي حقيقتها تلك التي يعيش بها الإنسان؛ فسأله ﷺ فنزلت الآية، قال "قتادة": وقيل الروح هنا هي "جبريل" ﷺ، وقيل في هذه إنّه ملكٌ عظيمٌ بقدر المخلوقات كلّها، قل يا "محمد" ﷺ: لقد أبّأها الله ﷻ سرّاً لم يخبر به أحداً من خلقه؛ فهي من أمر الله ﷻ؛ أي من فعله، وخلقها، وتكوينه، للمخلوقات الحيّة، يقول "ابن القيم" عن الروح: هي التي بها حياة الإنسان، وهي مصدر الطاقة الحيوية للجسم: هي التي تشغل الإنسان، فإذا طلعت الروح مات الإنسان، وقيل هي ذاتٌ لطيفةٌ كالهواء سارية في الجسد؛ كسريان الماء في عروق الشجر، وقيل إنّ الروح هي أصل النفس ومادتها، والنفس مركّبة من الروح، ومن اتصالها بالجسد، فهي من وجهٍ لا من كلّ وجه، والله أعلم، وقد ورد لفظ الروح في القرآن إحدى وعشرين مرّة، يجمعها معانٍ هي:

الأول: يُقصد بها "جبريل" ﷺ، مثل قوله ﷻ: ﴿تَنْزِيلُ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ [القدر-٤].

الثاني: ويُقصد بالروح "القرآن المجيد": كما في قوله ﷻ: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى-٥٢].

الثالث: ويُقصد بالروح الوحي مثل قوله ﷻ: ﴿يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ﴾ [غافر-١٥].

الرابع: ويقصد بها "عناية الله ﷻ وكفالاته لعباده المخلصين"، مثل قوله ﷻ: ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ﴾ [المجادلة-٢٢].

الخامس: ويقصد بها في "خلق المسيح عيسى بن مريم"، مثل قوله ﷻ: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ [النساء-١٧١].

السادس: ويقصد بها أيضاً "المرحلة الأخيرة من مراحل خلق آدم ﷻ"، كقوله ﷻ: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [الحجر-٢٢].

وعن طبيعة الروح: وجوهرها فإنّ الحق ﷻ أبّأها سرّاً، لم يُخبر به أحداً من خلقه حتى أحب خلق الله إليه، "محمد" ﷺ.

يتكون الإنسان من ثلاث عناصر: الأول: هو الجسد: بأعضائه المعروفة الهيكل العظمي، والعضلات، والجهاز الدوري الدموي، والهضمي، والبولي، والتناسلي، والعصبي وغيرها وهو الذي يموت ويتحلل في القبر، العنصر الثاني هو "الروح": وهي التي تُنبّي الإنسان حيّاً

كالشريحة المغناطيسية داخل الهاتف المحمول، وكمصدر الطاقة "البطارية" في السيارات، والتي تخرج من الجسد بالموت. الثالث هو "النفس": هي جوهر وحقيقة الإنسان، هي مركز الإيمان أو الكفر، قال ﷺ: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ [الشمس- ٧- ١٠]، فليس في الآية من أدوات التشبيه أو الاستعارة أو غيرها من أدوات المبالغة أو المجاز من شيء؛ إذن هو تركيب حقيقي لتلك النفس التي هي الإنسان الحقيقي، داخل تلك الأجساد، قبل نفخ الروح وسجود الملائكة، إنّه تركيب لتلك النفس داخل ذلك الجسد، يقول الحق ﷻ: ﴿سُرِّيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فصلت- ٥٣]، وتلك هي الحقيقة الغائبة: "فالموت هو خروج الروح فيتلف الجسد، أمّا القتل فهو تلف الجسد أولاً وخروج الروح بعدها، ومن كلّ ما تقدم يتبين لنا البديهة الأولى وهي: أنّ النفس هي "الذات"، وهي "الجوهر"، وهي "الإنسان بالحقيقة"، وحياتها بالروح وبنزع الروح تموت النفس، أما الجسد فهو القالب، والثوب الذي اكتست هذه النفس، بحياتها يحيا الجسد ويتربط، وبموت الروح يموت الجسد ويتفكك ويصير ترابًا ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾: حرف يفيد التأكيد والتمييز ﴿أمر﴾: شأن وعلم ﴿رَبِّي﴾: هو المعبود، والمُربي، مالك أمركم كلّه ﴿و﴾: عطفاً على هذا ﴿ما﴾: حرف نفي ﴿أوتيتهم﴾: أُعطيتم ﴿مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿قليلاً﴾ وهو مما استأثر بعلمها دون النَّاسِ، ولم يُطلع عليها أحدًا من أنبيائه. قال "الخضر لموسى" ﷺ: يا "موسى" ما علمي وعلمك وعلم الخلائق في علم الله إلا كما أخذ هذا العصفور من هذا البحر.

التكليف: أقول وبالله التوفيق: يتكون الإنسان من عناصر ثلاثة: العنصر "الأول" هو "الجسد": وهو الجزء المرئي، الذي يتكون من الجهاز الهيكلي، عظام وعضلات، والأجهزة المتعددة، العصبي، والعظمي، والهضمي، والتناسلي، والبولي وغيرها، والعنصر "الثاني" هي "الروح"، وهي أصل الحياة، ومصدر الطاقة، فإذا خرجت من الجسد كان الموت، مثل بطارية السيارة، والعنصر الثالث هو "النفس": فالإنسان هو النفس، بالروح يحيا، وداخل هذا الجسد تعيش، و بحياته يظل هذا الجسد حيًا، وبموته يتلف الجسد وبنزع الروح منه يُتوفى، أي يقبض، إنّ النفس هي جوهر الإنسان هي التي تتقي وهي التي تكفر، قال ﷺ: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا \* فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ [الشمس- ٨] هي التي تبقى في القبر تُعَذَّبُ أو تُنَعَّمُ، وهي التي تحاسب يوم القيامة؛ والله ﷻ أعلم.

﴿وَلَنُؤْتِيَنَّكَ أَلْحَادًا بِإِذْنِنَا إِنَّكُم مِّن كَذِبِينَ﴾ (٨٦)



﴿وَلَيْنَ﴾: حرف شرط ﴿شُنْنَا﴾: جاءت بصيغة الجمع للتعظيم، إذا أراد الله ﷻ ﴿لَ﴾: حرف تخصيص ﴿نُدْهَبَنَّ﴾: لو شاء الله ﷻ لمحاه من القلوب ومن الكتب؛ حتى لا يوجد له أثر، لو أراد الله ﷻ أن يأخذ ما أوحى إليك لقضى وأزال وأمضى بالتأكيد ﴿بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾: لو نزعنا هذا القرآن من صدرك، هذا الشرف العظيم والخير الوفير؛ هو القرآن الكريم ﴿نَمَّ﴾: حرف يفيد التباعد الزمني مع التراخي ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿تَجِدُ﴾: لن تهتدي ﴿لَكَ﴾: تحديداً ﴿بِهِ عَلَيْنَا وَكَيْلًا﴾: المتعهد بإعادته إليك لو أخذناه منك؛ فلو اجتمعت الإنس والجن كلهم وانتقوا على أن يأتوا بمثل ما نزل تكريماً لرسوله؛ ما استطاعوا؛ فإن هذا مستحيل.

### ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا﴾ (٨٧)

﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء منقطع ﴿رَحْمَةً﴾: وسائل الله ﷻ لرحمتك ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ وبيان لتمييز النوع ويفيد هنا ابتداء الغاية ﴿رَبِّكَ﴾: مالك أمرك، اعتماداً على الآية السابقة فلا يصير شيء إلا هذا الذي نزل عليك، رحمة من خالقك ﷻ ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿فَضْلُهُ﴾: نعمة الله ﷻ وكرمه أن رحمتك فأثبت ذلك في قلبك وقلوب المؤمنين ﴿كَانَ﴾: ويبقى ﴿عَلَيْكَ كَبِيرًا﴾: وفي هذا فضل كبير عليك، وعلى العالم.

﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ (٨٨)

﴿قُلْ﴾: أمر الله ﷻ لنبيه أن يطلب من قومه أن يأتوا بمثل القرآن الكريم ﴿لَئِن﴾: حرف شرط ﴿اجْتَمَعَتِ﴾: تضافرت جهود ﴿الْإِنْسُ﴾: أبناء آدم ﴿وَالْجِنُّ﴾: أيضاً تضافرت جهود ﴿الْجِنُّ﴾: اجتمع كل هؤلاء، وتحالفوا جميعاً هم وأعاونهم من الجن والإنس ﴿عَلَىٰ أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿يَأْتُوا﴾: من عند أنفسهم ﴿بِمِثْلٍ﴾: شبيهه أو مرادف أو مساوٍ ﴿هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾: لن يفلحوا، واسألهم أن يأتوا بعشر سور مثله وجاء في قوله ﷻ أيضاً ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَاذْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [هود-١٣]، واسألهم أن يأتوا بسورة واحدة كما في قوله ﷻ ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُوْرَةٍ مِّنْ مِثْلِهِ وَاذْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة-٢٣]، وفي قوله ﷻ ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُوْرَةٍ مِثْلِهِ وَاذْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [يونس-٣٨] هذه حقيقة القرآن، وهذا هو الفرق بينه وبين قول البشر ﴿وَلَوْ﴾: حرف يفيد الاستحالة والنفي ﴿كَانَ بَعْضُهُمْ﴾: جزء منهم

﴿لِبَعْضِ ظَهِيرٍ﴾: معيّنًا، ومساعدًا، لو اجتمع خلق الله ﷻ من الإنس والجنّ على أن يكتبوا مثل هذا الكتاب الكريم؛ ما استطاعوا.

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ (٨٩)

﴿وَلَقَدْ﴾: حرف يفيد التحقق في الماضي ﴿صَرَّفْنَا﴾: بيّنًا، وكَرَّرْنَا، وردّدْنَا، ووضّحْنَا ونوعنا ﴿لِلنَّاسِ﴾: عموم البشر ﴿فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ﴾: تفيد العموم ﴿مَثَلٍ﴾: ينبغي الاعتبار به احتجاجًا بذلك عليهم؛ ليتبعوه ويعملوا به، في كلِّ شيءٍ، ببسرٍ وبسهولة ﴿ف﴾: حرف يفيد السبب والفعل السريع ﴿أَبَى﴾: لم يرض، ورفض ﴿أَكْثَرُ النَّاسِ﴾: غالبية البشر ﴿إِلَّا﴾: حرف يفيد الاستثناء ﴿كُفُورًا﴾: إلا أن تكون كافرة جحودًا للحق، وإنكارًا لحجج الله ﷻ أدلّته.

﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا﴾ (٩٠)

أسباب النزول: اجتمع سادة قريش "وزعمائها في بطن مكّة، ﴿وَقَالُوا لَنْ﴾: حرف نفي ﴿نُؤْمِنَ لَكَ﴾ وقد اتفقوا على لقاء "محمد" ﷺ؛ فلما حضروا قالوا له إنك جئت بما لم يأت به أحدٌ إلى قومه من تسفيه أحلامهم، وهدم معتقداتهم، وطلبوا منه هذه المطالب حتى يؤمنوا؛ فقالوا لن نصدقك ونعمل بما تقول ﴿حَتَّىٰ﴾: حرف جرّ يدلُّ على انتهاء الغاية الشرطية، أي لن يُصدقوا إلا بشرط أن ﴿تَفْجُرَ لَنَا﴾: تنفجر الأرض بأمرك، فتخرج المياه الجوفية متدفقة ﴿مِنَ﴾: حرف يفيد ابتداء الغاية المكانية ﴿الْأَرْضِ﴾: أرض مكّة ﴿يَنْبُوعًا﴾: عينًا جاريةً، ينبوع ماءٍ عذبٍ، لا ينضب ماؤه حتى يشربوا منه، ويسقي هذه الأرض، وبعضهم سأل أن يحول ربّه جبل الصفا ذهبًا، وهذا منهج كلِّ عصر.

التكليف: إنّه طلب المعجزات من الدعاة بدلًا من التفكير والتدبر الإيجابي.

﴿أَوْ تَكُونُ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجَّرَ الْأَنْهَارُ خِلَالَهَا تُفَجِّرًا﴾ (٩١)

﴿أَوْ﴾: حرف يفيد التسوية بين متعاطفين بغرض الشك؛ هنا ينبوع وجنة النخيل ﴿تَكُونُ﴾: تملك ﴿جَنَّةٌ﴾: بستانٌ أو حديقةٌ أو مزرعة ﴿مِنَ﴾: حرف يفيد ابتداء الغاية المكانية، أي الجنس ﴿نَخِيلٍ﴾: كلّها مزرعة بالنخيل ﴿وَعِنَبٍ﴾: وشرحوا للرسول ﷺ حال أرضهم الجذباء الصحراوية، وسألوه أن يحول أرضهم إلى أرضٍ كأرض الشام، والعراق، فيها الأنهار، والنخيل، والأعناب ﴿ف﴾: حرف استثنائي بمعنى السبب؛ بهدف ترتيب الأمر ويفيد السرعة في التنفيذ ﴿تُفَجَّرَ﴾: تجعل الماء يتدفق من باطن الأرض؛ فتتكون ﴿الْأَنْهَارُ﴾: فتجري المياه العذبة فيها، تجري تحت أرجلهم. انظر [البقرة-٢٦٦]. ﴿خِلَالَهَا﴾: في وسطها ﴿تُفَجِّرًا﴾: متدفقًا كثيرًا.

﴿أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمَتْ عَلَيْنَا مِثْفَاءً أَوْ تَأْتِي بَالِلًا وَالْمَلَائِكَةَ قَبِيلًا﴾ (٩٢)

واستمرارًا للقاء قادة "قريش" مع النبي ﷺ؛ كانت مطالبهم: ﴿أَوْ﴾: للتشكيك حرف عطف يساوي هنا بين أن ﴿تُسْقِطَ السَّمَاءَ﴾: تجعل السماء تسقط على الأرض، ويمكن أن يتحقق هذا إذا زالت الجاذبية أو القوة الطاردة المركزية؛ هذه القوى هي التي تضبط بأمر الله ثبات العلاقات بين الكواكب ﴿كَمَا﴾: مثلما ﴿زَعَمَتْ﴾: ادعيت، لقد أخبرتنا ﴿عَلَيْنَا﴾: أنه يوم القيامة ستنشق السماء، وتتدلى أطرافها؛ فعجل لنا هذا في الدنيا ﴿مِثْفَاءً﴾: قطعًا؛ قطعًا، ولقد سأل قوم "شعيب" هذا السؤال؛ واستجاب الله ﷻ لهم فجاءهم بعذاب "يوم الظلة"، ولكنه ﷻ أجل ذلك في كفار "قريش"؛ علّ الله ﷻ يخرج من أصلابهم من يؤمن به، ولا يشرك به شيئاً ﴿أَوْ﴾: عطفًا على الطلب الأول ﴿تَأْتِي﴾: تجيء ﴿بِ﴾: حرف باء الصلة ﴿اللَّهِ﴾: أن تحضر إلينا أنت والله ﴿وَالْمَلَائِكَةَ﴾: جميعًا ﴿قَبِيلًا﴾: نشاهدكم قبالتنا، أمامنا، عيانًا، بيانًا.

﴿أَوْ يَكُونُ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرِفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقَيْكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾ (٩٣)

﴿أَوْ﴾: حرف عطف يفيد التسوية بين المطلب السابق والآتى ﴿يَكُونُ لَكَ﴾: تملك ﴿بَيْتٌ﴾: مسكن ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ وبيان لتمييز النوع يفيد هنا ابتداء الغاية المكانية ﴿زُخْرِفٍ﴾: قال "ابن عباس، ومجاهد": من ذهب ﴿أَوْ﴾: إسقاط السماء على الأرض أو تأتي بالله والملائكة، أو بيت من زخرف ﴿تَرْقَى﴾: تصعد يا محمد ﷺ في سلم ﴿فِي السَّمَاءِ وَ﴾: أيضًا إذا فعلت كل هذا ﴿لَنْ﴾: حرف نفي ﴿نُؤْمِنَ﴾: نصدقك في رسالتك ﴿لِ﴾: حرف سبب ﴿رُقَيْكَ﴾: حتى لو صعدت في السماء؛ لن نصدق ونؤمن لك ﴿حَتَّى﴾: حرف جرّ يدلُّ على انتهاء الغاية الشرطية، أي لن يُصدقوا إلا بشرط أن ﴿تُنَزِّلَ﴾: من السماء ﴿عَلَيْنَا﴾: نحن تحديدًا وليس غيرنا ﴿كِتَابًا﴾: مكتوبًا من ربك ﴿نَقْرُؤُهُ﴾: يقول "مجاهد": مكتوبٌ فيه إلى كلِّ واحدٍ منهم صحيفة: "من الله لفلان بن فلان" تُصبح موضوعةً عند رأسه ﴿قُلْ﴾: أجب عليهم يا محمد ﷻ بوضوح ﴿سُبْحَانَ رَبِّي﴾: هذا هو الرّد عليهم: قل لهم يا "محمد": ﷻ الله وتقدس أن يتقدم أحدٌ بين يديه ﷻ في أمور سلطانه وملكوته ﴿هَلْ﴾: حرف استفهام بمعنى ما ﴿كُنْتُ إِلَّا﴾: حرف يفيد استثناء ﴿بَشَرًا﴾: ما أنا إلا رجلٌ من البشر ﴿رَسُولًا﴾: ورسول الله ﷻ إلى الناس؛ هذا مقامي.

التكليف: كانت هذه مطالب كفار الزمن الأول في "مكة" المكّمة، وهي نهج كفار هذا الزمان، إنّه طلب المعجزات من الحركات الإسلامية؛ تعجيزًا لتبرير صدّهم عن السبيل،

والتشكيك في نياتهم، وقدراتهم؛ خاصة في قضايا كبيرة مثل تحرير فلسطين، وحكم المنهج الإسلامي للدول الإسلامية، وعدم الخوف من الأعداء، وسطوة الغرب الصليبي.

**﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا﴾ (٩٤)**

**﴿و﴾**: حرف جرّ يفيد الحال **﴿مَا﴾**: حرف نفي **﴿مَنَعَ﴾**: حال بين **﴿النَّاسِ﴾**: إنّ الذي منع أغلب البشر **﴿أَنْ﴾**: حرف تأكيد الفعل **﴿يُؤْمِنُوا﴾**: يصدقوا ويسلموا **﴿إِذْ﴾**: حرف يدلّ على ما تحقق ومضى من الزمن حين **﴿جَاءَهُمْ﴾**: وصلتهم رسالة الله ﷺ من الأنبياء **﴿الْهُدَى﴾**: وهي التي تهدي للحق، حتى يؤمنوا بالرسول والدعاة، ومنهج الإسلام، واضح بين أيديهم **﴿إِلَّا﴾**: حرف استثناء **﴿أَنْ قَالُوا أ﴾**: حرف استفهام غرضه الإهانة والتحقير لكونه بشرًا؛ فهم يريدونه ملكًا **﴿بَعَثَ﴾**: أرسل حقًا **﴿اللَّهُ بَشَرًا﴾**: كان إنكارهم أن يكون من البشر رسولًا؛ من بني آدم **﴿رَسُولًا﴾**: وهذا منهج مستمرّ جاء في المعنى: **﴿أَنْتُمْ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا﴾** [المؤمنون- ٤٧]؛ قالها "فرعون" لموسى وهارون، عليهما السلام، ولو نزل عليهم ملائكة؛ ما استطاعوا مواجهتهم.

**﴿قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا﴾ (٩٥)**

**﴿قُلْ﴾**: جادلهم يا محمد ﷺ وقل لهم **﴿لَوْ﴾**: حرف يفيد الاستحالة **﴿كَانَ﴾**: كان في السابق **﴿فِي﴾**: على **﴿الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمشُونَ﴾**: المقصود بالمشي هنا مشى الإنسان **﴿مُطْمَئِنِّينَ﴾**: يسبغون بغير خوف **﴿لِ﴾**: حرف علّة وسبب **﴿نَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنْ﴾**: حرف يفيد ابتداء الغاية المكانية **﴿السَّمَاءِ﴾**: ما هو فوقهم وحول الأرض **﴿مَلَكًا رَسُولًا﴾**: لو كان سكان الأرض ملائكة يمشون كما يمشي سكان الأرض لأنزلنا عليهم رسولًا من جنسهم، ولأنكم بشر تعيشون على الأرض أرسلنا إليكم رسولًا من جنسكم، لطفًا بكم ورحمة.

**﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ (٩٦)**

**﴿قُلْ﴾**: لهم يا "محمد" بغرض دحض مطالبهم **﴿كَفَى﴾**: يكفي **﴿بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾**: شاهد حقٍ وعدلٍ **﴿بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾**: بآيات الله شاهدًا على ما بيننا، حيث أدعوكم إلى الحق، ولكنكم تُصرون على الكفر، وعلى الباطل، فلو كنت كاذبًا على الله؛ لأنتم مني أشد انتقام **﴿إِنَّهُ﴾**: ﷺ بالتأكيد بلا نهاية **﴿كَانَ﴾**: ويبقى بلا زوالٍ أو انقطاع **﴿بِ﴾**: حرف باء التأكيد **﴿عِبَادِهِ خَبِيرًا﴾**: يعلم كلّ شأنٍ عن عباده؛ ظاهرهم وباطنهم **﴿بَصِيرًا﴾**: مطلعًا اطلاع المشاهد على من يستحق الهداية، ومن يستحق الضلال.

﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمِّيًّا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ (٩٧)

﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿مَنْ﴾: الذي من جنس العاقل ﴿يَهْدِ اللَّهُ﴾: يُرشدُه: ﷻ إلى الحق والصواب ﴿فَهُوَ﴾: ضمير يفيد المفرد الغائب ﴿الْمُهْتَدِ﴾: من مظاهر تصرف الخالق ﷻ في خلقه أنه إذا هدى أحدًا إلى الإيمان؛ فلا مُضِلَّ له ﴿و﴾: أيضًا ﴿مَنْ يُضِلِلْ﴾: ومن كتب الله ﷻ عليه الضلالة؛ ﴿فَلَنْ﴾: حرف جزم ينفي ﴿تَجِدَ﴾: يكون ﴿لَهُمْ﴾: تخصيصًا ﴿أَوْلِيَاءَ﴾: أنصار، وأعوانًا، ومحبيين ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ وبيان لتمييز النوع يفيد هنا ابتداء الغاية ﴿دُونِهِ﴾: فلن يجد له نصيرًا غير الله ﷻ يهديه ويؤيده ﴿وَنَحْشُرُهُمْ﴾: أيضًا نجمعهم جمعًا، مُكَدِّسًا، فوق بعضه ﴿عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾: كما ورد في الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلَاثَةَ أَصْنَافٍ: صِنْفٌ مُشَاةٌ، وَصِنْفٌ رُكْبَانٌ، وَصِنْفٌ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ"، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَيْفَ يَمْشُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ؟ وَقَالَ عَفَّانٌ: يَمْشُونَ، قَالَ: "إِنَّ الَّذِي أَمْشَاهُمْ عَلَىٰ أَرْجُلِهِمْ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يُمَشِّيَهُمْ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ، أَمَا إِنَّهُمْ يَنْقُونَ بِوُجُوهِهِمْ كُلَّ حَدَبٍ وَشَوْكٍ"<sup>(١)</sup>، وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: إِنَّ الصَّادِقَ الْمُصَدِّقَ ﷺ حَدَّثَنِي: "أَنَّ النَّاسَ يُحْشَرُونَ ثَلَاثَةَ أَفْوَاجٍ: فَوْجٌ رَاكِبِينَ طَاعِمِينَ كَاسِينَ، وَفَوْجٌ تَسْحَبُهُمُ الْمَلَائِكَةُ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ وَنَحْشُرُهُمُ النَّارَ، وَفَوْجٌ يَمْشُونَ وَيَسْعَوْنَ يُلْقِي اللَّهُ الْأَقَّةَ عَلَى الظَّهِرِ فَلَا يَبْقَى، حَتَّىٰ إِنَّ الرَّجُلَ لَتَتَّكُونَ لَهُ الْحَدِيقَةَ يُعْطِيهَا بِذَاتِ الْقَنْبِ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهَا"<sup>(٢)</sup>، ﴿عُمِّيًّا﴾: لا يبصرون ﴿وَبُكْمًا﴾: أيضًا لا ينطقون ﴿وَصُمًّا﴾: لا يسمعون؛ لأنهم كانوا في الدنيا عُمِّيًّا وَبُكْمًا وَصُمًّا عن الحق ﴿مَأْوَاهُمْ﴾: مصيرهم ومثواهم ﴿جَهَنَّمُ كُلَّمَا﴾: حرف مكوّن من "كل ما" يفيد التكرار والتعميم ﴿خَبَتْ﴾: قال "ابن عباس": سكنت، انطفأ لهيبها وقال "مجاهد": طُفِئَتْ ﴿زِدْنَاهُمْ﴾: جاءت بصيغة الجمع للتعظيم ﴿سَعِيرًا﴾: زيادة اللهب والوهج الأحمر.

﴿ذَلِكَ جَزَاءُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرَفَاتًا إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ (٩٨)

﴿ذَلِكَ﴾: حرف إشارة للبعيد ﴿جَزَاءُهُمْ﴾: هذا ثمن يستحقونه، العمى، والبكم، والصمم ﴿بِ﴾: حرف باء السببية ﴿أَنَّهُمْ﴾: هم بالتأكيد ﴿كَفَرُوا﴾: غطّوا وكذبوا ﴿بِآيَاتِنَا﴾: أدلتنا وحجتنا ﴿و﴾: عطفًا على هذا ﴿قَالُوا أ﴾: حرف استفهام بغرض الاستنكار ﴿إِذَا﴾: حرف ظرف لما

<sup>(١)</sup>مسند أحمد / ١٤/ ٢٨٨ (٨٦٤٧). قال الأرنؤوط: حسن لغيره.

<sup>(٢)</sup>سنن النسائي / ٤/ ١١٦ (٢٠٨٦). ضعفه الألباني.

يُستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط، وهي أداة ربط بين ما بعدها بما قبلها ﴿كُنَّا﴾: صرنا  
 ﴿عِظَامًا وَرِفَاتًا﴾: بعد أن تتفتت أجسادنا، وبعدها نصبح رمادًا وأجسامًا باليه نخرة ﴿إِنَّا﴾:  
 مستكرين ومستبعدين هل نحن ﴿ل﴾: حرف يفيد السبب ﴿مَنْبُغُونُ﴾: نقوم من قبورنا  
 ﴿خَلْقًا﴾: صنفاً من غير سابق مثال ﴿جَدِيدًا﴾: بعد أن بُليت أجسادنا؛ ستعود مرةً أخرى؟  
 إنهم بهذا ينكرون يوم البعث.

﴿أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا  
 لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا﴾ (٩٩)

﴿أَوْلَمْ﴾: اسم مركب يفيد الاستفهام الإنكاري التوبيخي والحث على أن ﴿يَرَوْا﴾: فلم يبصروا  
 ﴿أَنَّ﴾: حرف تأكيد، ونفي الإنكار والشك ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ﴾: أوجد من غير سابق وجود  
 ﴿السَّمَاوَاتِ﴾: هي كل ما علا الأرض، وأحاط بها؛ لكونها ببضاوية الشكل ﴿و﴾: أيضًا خلق  
 ﴿الْأَرْضَ﴾: هم يشاهدون السموات والأرض، ولم يدع أحدهم خلقهم من المخلوقات  
 والمعبودات ﴿قَادِرٌ عَلَى أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾: إن الذي خلق أول مرة  
 قادرٌ على أن يخلق مثلهم يوم القيامة، وهو قادرٌ على أن يُعيد الرفات إلى الأجساد ﴿وَجَعَلَ  
 لَهُمْ﴾: تمليكًا ﴿أَجَلًا﴾: حدّد الله ﷻ لهم مدّة وجودهم في القبور ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿رَيْبَ﴾:  
 شك ﴿فِيهِ﴾: لاشك أنه مقدّر ومحسوب ومكتوب؛ لا بدّ أن ينقضي جاء في المعنى: ﴿وَمَا  
 نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مُّعَدَّدٍ﴾ [هود-١٠٤] ﴿ف﴾: حرف استثنائي يفيد السبب بهدف ترتيب الأمر  
 ويفيد السرعة في التنفيذ ﴿أَبَى﴾: رفض أصرّ وصمّم ﴿الظَّالِمُونَ﴾: الذين ظلموا أنفسهم  
 بكفرهم؛ فأوردوها النار ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿كُفُورًا﴾: تماديًا في الإنكار، والباطل،  
 والضلال.

﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذَا لأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا﴾  
 (١٠٠)

﴿قُلْ﴾: أمر من الله ﷻ لرسوله "محمد" ﷺ، ولأتباعه من بعده بالقول ﴿لَوْ﴾: حرف يفيد  
 الاستحالة ﴿أَنْتُمْ﴾: أيها الكافرون ﴿تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ﴾: ما يوضع فيه ﴿رَحْمَةِ رَبِّي﴾: من مالك  
 أمرت كلّه؛ من شرابٍ، وطعامٍ، وجناتٍ ﴿إِذَا﴾: حرف جواب وجزاء ﴿لَأَمْسَكْتُمْ﴾: منعتم  
 ﴿خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ﴾: قال "ابن عباس": خوفًا من الفقر، خوفًا أن تذهب منكم؛ ظنًا منكم أنها  
 تنفذ، وهذه طباع الإنسان ﴿و﴾: حرف جرّ يفيد الحال، لو ملكوا خزائن الأرزاق لأمسكوا

ومنعوا بسبب بخلهم وشحهم ﴿كَانَ﴾: وسيبقى ﴿الْإِنْسَانُ قَتُورًا﴾: مبالغاً في البخل، قال ابن عباس: "الإنسان بطبعه بخيل".

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاَسْأَلُ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا﴾ (١٠١)

﴿وَلَقَدْ﴾: حرف يفيد التحقق في الماضي ﴿آتَيْنَا﴾: أعطينا ووهبنا ﴿مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾: علامات دالة على نبوته، قال ابن عباس: "الأدلة القاطعة على صدق رسالته إلى فرعون" وقومه؛ وهي: "العصا، واليد، والسنين، والبحر، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم". قال محمد بن كعب: "اليد، والعصا، والخمس في الأعراف؛ والطمس الذي هو إزالة الأثر بالمحو، والحجر، وقال ابن عباس، ومجاهد" أيضاً: "يده، وعصاه، والسنين، ونقص الثمرات، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم"، وقال "الحسن البصري": "يجعل السنين ونقص الثمرات واحدة، والتاسعة هي عصا موسى التي تلقف ما صنعوا ﴿ف﴾: حرف يفيد السبب هنا يفيد ربط جواب الشرط ﴿اسْأَلُ﴾: استفسر بسؤال الاحتجاج بهم على المشركين، وليس سؤال للاسترشاد أو التيقن من ﴿بَنِي﴾: أبناء ﴿إِسْرَائِيلَ﴾: يعقوب عليه السلام ﴿إِذْ﴾: يوم حدث في الماضي بمعنى حين ﴿جَاءَهُمْ﴾: مبعوثاً من ربه ﴿فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ﴾: ملك مصر في ذلك الزمان ﴿إِنِّي﴾: أنا بالتأكيد ﴿لَأَظُنُّكَ﴾: إني متأكد ومتيقن ﴿يَا﴾: حرف نداء للقريب والبعيد ﴿مُوسَى﴾: عليه السلام أن هذه التي جئت بها ليست آيات من الله؛ بل إنك ﴿مَسْحُورًا﴾: أي مغلوبٌ على عقلك بالسحر.

﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مُنْتَبِئًا﴾ (١٠٢)

﴿قَالَ﴾: "موسى" عليه السلام لفرعون ﴿لَقَدْ﴾: حرف إثبات ما حدث أقوى ما يكون في الماضي والمضارع، ولا تفيد في المستقبل ﴿عَلِمْتَ﴾: أدركت ووصلك علم ﴿مَا﴾: حرف نفي ﴿أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ﴾: لا أحد أنزل هذه الحجج والبراهين ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿رَبُّ﴾: هو المعبود، والمُرَبِّي، مالك أمره كله ﴿السَّمَاوَاتِ﴾: هي كل ما علا الأرض، وأحاط بها؛ لكونها بيضاوية الشكل ﴿وَالْأَرْضِ﴾: هو الله تعالى خلقها ﴿بَصَائِرَ﴾: أدلة تُشاهد، ودلائل وبراهين ﴿و﴾: حرف جرٍ يُفيد الحال ﴿إِنِّي﴾: أنا بالتأكيد ﴿ل﴾: حرف تخصيص ﴿أَظُنُّكَ﴾: أنا على يقين ﴿يَا فِرْعَوْنُ﴾: إنك ﴿مُنْتَبِئًا﴾: قال "مجاهد": هالكا، وقال ابن عباس: ملعوناً، وقال "الضحاك، وابن عباس": مغلوباً، وكل المعاني واردة.

﴿فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَفِرَّهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا﴾ (١٠٣)

﴿ف﴾: حرف يفيد السبب والسرعة ﴿أَرَادَ﴾: رغب، وصمم، وقرر "فرعون" ﴿أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿يَسْتَفِرَّهُمْ﴾: أراد فرعون أن يقتل بني إسرائيل ومعهم موسى عليه السلام من أرض مصر؛ ويبعدهم عنها، كان يريد أن يقتلعهم، ويزيلهم عن وجه الأرض، لأنهم آمنوا ﴿فَأَغْرَقْنَاهُ﴾: جاءت بصيغة الجمع؛ لعظم الحدث وعدم توقعه ﴿وَمَنْ﴾: أيضاً أغرقنا الذين من جنس العاقل، وهم الكفار ﴿مَعَهُ جَمِيعًا﴾: أغرق الله ﷻ "فرعون" وجنوده.

التكليف: هذه من سنن الله ﷻ في الصراع بين الحق والباطل، فعندما يقرر أهل الكفر أن يستأصلوا المؤمنين؛ تكون هزيمة الكفر، وانتصار الإيمان بغير اعتبار لموازن القوى، وفي هذا كانت بشارة لرسول الله محمد ﷺ، وبشارة لمن بعده، وقد جاء في المعنى: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِرُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبُثُونَ خِلافَكَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء-٧٦].

﴿وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾ (١٠٤)

﴿و﴾: حرف جر يفيد الحال، فبعد غرق فرعون؛ أمر الله ﷻ موسى عليه السلام ومن معه ﴿قُلْنَا﴾: جاءت بصيغة الجمع للنتائج العظيمة التي ستحدث ﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾: بعد غرق فرعون ﴿ل﴾: تخصيصاً ﴿بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾: تخصيصاً أبناء يعقوب بن إسحق بن إبراهيم عليهم السلام ﴿اسْكُنُوا﴾: أقيموا في ﴿الْأَرْضِ﴾ المقدسة في فلسطين ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يُستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط ما بعدها بما قبلها ﴿جَاءَ﴾: حلّ ونزل ﴿وَعْدُ الْآخِرَةِ﴾: وهو تجمع بني إسرائيل الثاني الكبير، جاء في المعنى: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ﴾ [الإسراء-٧] في فلسطين، وفيها بيت المقدس ﴿جِئْنَا بِكُمْ﴾: توحى بأمرين إنكم يا بني إسرائيل قبل وعد الآخرة لم تكونوا في الأرض المباركة فلسطين، بل كنتم في الشتات أمماً مُقْطَعِينَ في الأرض بعد زوال إفسادكم الأول، وهو ما حدث فعلاً، فقد بدأ تجمع اليهود في فلسطين منذ بداية القرن العشرين وحتى الآن. الفاعل في المجيء هو الله ﷻ، فأنتم لم تجيئوا، بل جيء بكم، وإنّ هذا المجيء بكم إلى الأرض المباركة هو من مشيئة الله ﷻ، وحكمته، وعلمه، فما كان لكم أن تدخلوا فلسطين لولا مشيئة الله ﷻ لتحقيق وعد الآخرة ﴿لَفِيفًا﴾: وهي في اللغة تفيد الالتواء وبالبطء والتناقل (المعجم الوسيط) هي الكثرة والخلط. وتعني تجمعاً وتكاثفاً، قال "ابن عباس": "لَفِيفًا، تعني جميعاً مختلطين من كلِّ مكان؛ أي جميعاً بعد تباعدٍ؛ قد اختلط المؤمن بالكافر، وقيل من قبائل وبلدان شتى وعلى فتراتٍ ودفعاتٍ وسنواتٍ كثيرةٍ، إلى الأرض



المقدسة. وكلمة لفيها لها دلالات مختلفة، منها أنّ بني إسرائيل كانوا قبل وعد الآخرة متفرقين في أماكن مختلفة، لا أرض تجمعهم، ولا كيان يضمهم، كما قال عزّ شأنه ﴿وقطعناهم في الأرض أمماً﴾ [الأعراف-١٦٨]، فجاء الله بهم لفيها، أيّ تجميعاً بعد تباعدٍ وتفرّق، وكلمة لفيها: فيها معنى الكثرة والخلط وتوحي بالبطء والتثاقل وفيها معنى الالتواء.

التكليف: الكلمات تؤكد هلاك اليهود في فلسطين، في معركة وعد الآخرة التي ستُغيّر الجغرافية السياسية في العالم.

﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ (١٠٥)

﴿و﴾: عطفاً على ما سبق ﴿ب﴾: حرف باء السببية ﴿الْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ﴾: هو القرآن الكريم، نزل متضمناً الحق، متضمناً علم الله ﷻ، الذي أراد أن يُطلع عليه عباده، وأحكامه، وأوامره، ونواهيه ﴿وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾: على "محمد" ﷺ محفوظاً، محروساً، لا زيادة فيه، ولا نقص ونواهيه ﴿وَمَا﴾: حرف نفي ﴿أَرْسَلْنَاكَ﴾: كلفناك بالرسالة ﴿إِلَّا﴾: وصل إليك يا "محمد" بالحق، نزل به "جبريل" عليه السلام، شديد القوى الأمين، المكين المطاع في الملاء الأعلى ﴿مُبَشِّرًا﴾: تخبر بالخير من أطاع وآمن بالنصر في الدنيا وآمن بالجنة في الآخرة ﴿وَنَذِيرًا﴾: أيضاً مخوفاً ومُحذراً الذين عصوك من الكافرين بالخسران في الدنيا، و بدخول النار في الآخرة.

﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾ (١٠٦)

﴿وَقُرْآنًا﴾: القرآن الكريم ﴿فَرَقْنَاهُ﴾: أنزلناه شيئاً فشيئاً، لا جملةً واحدةً قال "ابن عباس": فصلناه من اللوح المحفوظ، إلى بيت العزة في السماء الدنيا، ثم نزل منجماً مُفَرَّقاً على ثلاثٍ وعشرين سنة، وقال أيضاً أنزلناه آية، آية؛ بياناً وتفسيراً ﴿ل﴾: حرف علةٍ وسبب ﴿تَقْرَأَهُ﴾: تتلوه ﴿عَلَى النَّاسِ﴾: تُبلِّغ وتُعلِّم وتتلوه على عامّة بني آدم ﴿عَلَى مُكْثٍ﴾: وتقرأه بتفكيرٍ وتدبيرٍ ﴿و﴾: حرف جرٍ يُفيد الحال ﴿نَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾: جاءت بصيغة الجمع لله ﷻ لتعظيم الحدث، شيئاً بعد شيء، وقد يكون المقصود هنا تأكيد أنه أنزله؛ والله ﷻ أعلم.

التكليف: إن الحقيقة الباقية هل أن القرآن وما ينتج عن الإيمان به هو الذي يحقق زوال اليهود من فلسطين وغيرها؛ فهو يحقق في الدنيا الشجاعة والفداء، ويطمئن المؤمن بالجنة بعد موته وبعثه.

﴿قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ

سُجَّدًا﴾ (١٠٧)

﴿قُلْ﴾: أمر ربّاني بالقول يا "محمد" للكافرين ﴿آمِنُوا﴾: صدقوا ﴿بِهِ﴾: بالقرآن ﴿أَوْ لَا﴾: حرف نفي يكون جوابًا ويعمل عمل ليس ﴿تُؤْمِنُوا﴾: هذا عندنا سواء لا يؤثر فينا ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول يفيد جميع من ﴿أُوتُوا﴾: أعطوا ﴿الْعِلْمَ مِنْ﴾: حرف يفيد بداية الغاية الزمانية ﴿قَبْلِهِ﴾: إن الأمم التي نزلت فيهم كتب سماوية سابقة يعلمون أن القرآن، أنزله الله ﷻ وذكر ونوّه بنزوله في الكتب المنزلة على رسله، إن الذين آمنوا بهذه الكتب، وتمسكوا بها، ولم يبدلوا، ولم يحرفوا كتبهم ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط بين ما بعدها بما قبلها ﴿يُثَلَّى﴾: إذا قرئ ﴿عَلَيْهِمْ﴾: القرآن ﴿يَخْرُونَ﴾: ينزلون إلى الأرض ساجدين ﴿لِلأَذْقَانِ﴾: على وجوههم، جمع ذقن، وهي التي أسفل الوجه، وفيها اللحية، التي في الوجه ﴿سُجَّدًا﴾: ساجدين لله ﷻ شكرًا على فضله نعمة.

﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا﴾ (١٠٨)

﴿و﴾: عطفًا على سجودهم ﴿يَقُولُونَ﴾: بإيمان واعتقاد ﴿سُبْحَانَ﴾: تنزيها وتعظيمًا وتكريمًا ﴿رَبِّنَا﴾: هو ﷻ المعبود، والمربي، مالك أمرنا كلّهُ ﴿إِنْ كَانَ﴾: وسبقه خالدًا ﴿وَعْدُ﴾: ما وعدنا ﴿رَبِّنَا لَمَفْعُولًا﴾: قائمًا مستمرًا إنّه ﷻ لا يخلف وعده. فيه تعبير عن التعجب لقدرة الله ﷻ وعظمته، وبسبب ما رأوا من وعد الله الذي يتحقق أمام أعينهم.

﴿وَيَخْرُونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ (١٠٩)

﴿و﴾: عطفًا على قولهم السابق ﴿يَخْرُونَ﴾: ينزلون برؤوسهم وأجسادهم على الأرض ﴿لِلأَذْقَانِ﴾: حرف اللام الأولى بمعنى "على" أي أسفل الوجه؛ كرّر الله ﷻ لفظ الأذقان بسبب تأثير مواعظ القرآن في قلوبهم ومزيد خشوعهم ﴿يَبْكُونَ﴾: يسجدون بوجوههم على الأرض، يبكون، خضوعًا، وتذللًا لله ﷻ، إيمانًا وتصديقًا ﴿وَيَزِيدُهُمْ﴾: يزدادون بسماع القرآن وقراءته والتفكير في معانيه ﴿خُشُوعًا﴾: إن التسليم دليل الإيمان؛ يزيدهم استشعارًا بالخوف من الله ﷻ.

﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ وَلَا تَخَافُوا بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ (١١٠)

سبب النزول: جاء في خلق أفعال العباد للبخاري (ص: ٨٢) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عِنْدَ النَّبِيِّ فَجَهَرَ بِالدُّعَاءِ، فَجَعَلَ يَقُولُ: «يَا اللَّهُ، يَا رَحْمَنُ» فَسَمِعَتْهُ أَهْلُ مَكَّةَ، فَأَقْبَلُوا عَلَيْهِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ

الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ<sup>(١)</sup>، ﴿قُل﴾: أَمْرٌ مِنَ اللَّهِ ﷻ لِرَسُولِهِ يَا مُحَمَّدٌ ﷺ قُلْ لِهَؤُلَاءِ الْمَشْرِكِينَ ﴿ادْعُوا﴾: تَوَجَّهُوا بِالِدَعَاءِ إِلَى ﴿اللَّهِ﴾: اسْمُ اللَّهِ الْأَعْظَمِ ﴿أَوْ﴾: حَرْفٌ يَسَاوِي بَيْنَ مَتَعَاظِفِينَ ﴿ادْعُوا الرَّحْمَنَ﴾: وَهُوَ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى، وَلَيْسَ بِإِلَهٍ آخَرَ غَيْرِ اللَّهِ ﷻ، تَشْمَلُ رَحْمَتَهُ كُلَّ الْخَلْقِ بِلَا اسْتِثْنَاءٍ، أَمَّا الرَّحِيمُ فَهِيَ خَاصَّةٌ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿أَيًّا﴾: أَيِّ وَاحِدٍ ﴿مَا تَدْعُوا﴾: أَيُّمَا الْإِسْمِينَ دَعَوْتَ فَهُوَ وَاحِدٌ أَحَدٌ، هُوَ اللَّهُ ﷻ ﴿ف﴾: حَرْفٌ يَفِيدُ السَّبَبَ ﴿لَهُ﴾: تَحْدِيدًا وَتَخْصِيصًا لِلَّهِ ﷻ ﴿الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾: مِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ أَسْمَاءَ اللَّهِ ﷻ وَصِفَاتِهِ تَوْقِيفِيَّةٌ فَلَا يَصِحُّ أَنْ يَوْضَعَ اسْمَ اللَّهِ ﷻ بِالنَّظَرِ وَالْإِجْتِهَادِ فَهِيَ وَحْيٌ مِنَ اللَّهِ ﷻ، هِيَ الْأَسْمَاءُ وَالصِّفَاتُ الْجَمِيلَةُ، لَا فَرْقَ بَيْنَ دَعَائِكُمْ بِاسْمِ "اللَّهُ"، أَوْ بِاسْمِ "الرَّحْمَنُ"؛ فَهُوَ ذُو الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى ﴿وَلَا﴾: حَرْفٌ نَهَى ﴿تَجَهَّزْ﴾: تَرْفَعُ صَوْتَكَ ﴿ب﴾: حَرْفٌ بَاءُ الْمَصَاحِبَةِ ﴿صَلَاتِكَ﴾: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلَا تَجَهَّزْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ قَالَ: نَزَلَتْ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُخْتَفٍ بِمَكَّةَ، فَكَانَ إِذَا صَلَّى بِأَصْحَابِهِ رَفَعَ صَوْتَهُ بِالْقُرْآنِ، فَكَانَ الْمُشْرِكُونَ إِذَا سَمِعُوهُ سَنَمُوا الْقُرْآنَ وَمَنْ أَنْزَلَهُ وَمَنْ جَاءَ بِهِ، فَقَالَ اللَّهُ لِنَبِيِّهِ: ﴿وَلَا تَجَهَّزْ بِصَلَاتِكَ﴾ أَيُّ بِقِرَاءَتِكَ، فَيَسْمَعُ الْمُشْرِكُونَ فَيُسَبِّبُ الْقُرْآنَ، ﴿وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ عَنِ أَصْحَابِكَ ﴿وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾<sup>(٢)</sup> ﴿وَلَا﴾: حَرْفٌ نَهَى ﴿تُخَافِتْ بِهَا﴾: وَلَا تَخْفِضُ صَوْتَكَ عَنِ أَصْحَابِكَ؛ فَلَا يَسْمَعُوا الْقُرْآنَ، حَتَّى يَأْخُذَهُ عَنكَ ﴿وَابْتَغِ﴾: وَانْشُدْ ﴿بَيْنَ ذَلِكَ﴾: بَيْنَ عُلُوِّ الصَّوْتِ وَخَفْضِهِ ﴿سَبِيلًا﴾: طَرِيقًا وَوَسِيلَةً، لَا تَرْفَعُ صَوْتَكَ عَالِيًّا، وَلَا تَخْفِضُهُ كَثِيرًا؛ فَيَنْفِضُ بَعْضُهُمْ؛ خَشْيَةَ أَدَى الْكُفَّارِ، وَلَا يَغِيبُ صَوْتُكَ فَلَا يَسْمَعُ الْمَصْلُونَ مِنْهُ شَيْئًا؛ فَلَا يَنْتَفِعُونَ بِهِ.

﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلَالِ وَكَبِيرَةٌ تَكْبِيرًا﴾ (١١١)

﴿و﴾: عَطْفًا عَلَى مَا سَبَقَ الدَّعَاءَ وَالسُّجُودَ ﴿قُل﴾: أَمْرٌ مِنَ اللَّهِ ﷻ وَاجِبٌ لِمُحَمَّدٍ ﷺ بِالْقَوْلِ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾: أَحْمَدُ رَبِّكَ يَا مُحَمَّدٌ ﷻ الْمَنْزَرَةُ عَنِ النَّقَائِصِ ﴿الَّذِي لَمْ﴾: حَرْفٌ نَهَى ﴿يَتَّخِذْ﴾: لَمْ يَعْتَمِدْ ﴿وَلَدًا﴾: لِأَنَّ إِنْجَابَ الْوَلَدِ يَحْتَاجُ إِلَى زَوْجَةٍ، وَهُوَ ﷻ الْوَاحِدُ، الْأَحَدُ، الْفَرْدُ، الصَّمَدُ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كَفْوًا أَحَدٌ ﴿وَلَمْ﴾: حَرْفٌ جَزَمَ يَنْفِي الْفِعْلَ الْمَضَارِعَ ﴿يَكُنْ﴾: فِي الْمَاضِي ﴿لَهُ﴾: تَحْدِيدًا ﴿شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ﴾: فَهُوَ الْمَتَفَرِّدُ فِي الْمُلْكِ كُلِّهِ ﴿وَلَمْ يَكُنْ﴾: فِي الْمَاضِي ﴿لَهُ وَلِيٌّ﴾: وَالْوَلِيُّ هُوَ الصَّاحِبُ غَيْرُ الْقَرِيبِ وَالْمُؤَيَّدِ وَالْمَعِينِ ﴿مِنْ﴾: حَرْفٌ تَمْيِيزُ

(١) خلق أفعال العباد للبخاري ص ٨٢.

(٢) سنن الترمذي ١٥٨/٥ (٣١٤٦). وحسنه الترمذي وقال: حسن صحيح.

﴿الذَّن﴾: إن الله ﷻ ليس بذليل يحتاج إلى أولياء ينصرونه، أو وزيراً يستشيريه، فهو مدبر الكون وحده، قال "مجاهد": لم يُحالفُ أحدًا، ولا يطلب النصر من أحدٍ ﴿و﴾: أيضًا ﴿كَبْرَةٌ﴾: عظْمُهُ بجلال وجهه عما يقول الظالمون ﴿تَكْبِيرًا﴾: سموًا وعلوًا كبيرًا.

التكليف: بدراسة مقاصد السورة الكريمة؛ يتضح كمال الرسالة الخاتم بعد أن اتضح جوهرها، وتحدد مستقبلها، كمال وإبداع رسالة "محمد" ﷺ، دروس، وعبر، وبشارات للمؤمنين في الدنيا والآخرة.



سمّاها رسول الله بهذا الاسم، وهي سورةٌ مكيّةٌ بالاتفاق، نزلت بعد سورة الغاشية، وقبل سورة الشورى، ورقمها (٦٨) في ترتيب نزول، وعدد آياتها (١١٠) في عدّ أهل الكوفة.

### ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

أسباب نزول سورة الكهف: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: بَعَثْتُ قُرَيْشَ النَّضْرَ بْنَ الْحَارِثِ، وَعَقْبَةَ ابْنِ أَبِي مُعَيْطٍ، إِلَى أَحْبَارِ يَهُودَ بِالْمَدِينَةِ، فَقَالُوا لَهُمَا: سَلُوهُمْ عَنْ مُحَمَّدٍ وَصِفَا لَهُمْ صِفَتَهُ، وَأَخْبِرَاهُمْ بِقَوْلِهِ، فَإِنَّهُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ الْأَوَّلِ، وَعِنْدَهُمْ عِلْمٌ مَا لَيْسَ عِنْدَنَا مِنْ عِلْمِ الْأَنْبِيَاءِ، فَخَرَجَا حَتَّى قَدِمَا الْمَدِينَةَ، فَسَأَلَا أَحْبَارَ يَهُودَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَوَصَفَا لَهُمْ أَمْرَهُ، وَأَخْبِرَاهُمْ بِبَعْضِ قَوْلِهِ، وَقَالَا لَهُمْ: إِنَّكُمْ أَهْلُ التَّوْرَةِ، وَقَدْ جِئْنَاكُمْ لِتُخْبِرُونَا عَنْ صَاحِبِنَا هَذَا. فَقَالَتْ لَهُمَا أَحْبَارُ يَهُودَ: سَلُوهُ عَنْ ثَلَاثِ نَأْمُرُكُمْ بِهِنَّ: فَإِنْ أَخْبَرَكُمْ بِهِنَّ فَهُوَ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، وَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ فَالرَّجُلُ مُتَقَوِّلٌ، فَرَوْا فِيهِ رَأْيَكُمْ. سَلُوهُ عَنْ فِتْنَةٍ دَهَبُوا فِي الدَّهْرِ الْأَوَّلِ مَا كَانَ أَمْرَهُمْ؟ فَإِنَّهُ قَدْ كَانَ لَهُمْ حَدِيثٌ عَجَبٌ، وَسَلُوهُ عَنْ رَجُلٍ طَوَّافٍ قَدْ بَلَغَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا مَا كَانَ نَبُوهُ، وَسَلُوهُ عَنْ الرُّوحِ مَا هِيَ؟ فَإِذَا أَخْبَرَكُمْ بِذَلِكَ فَاتَّبِعُوهُ، فَإِنَّهُ نَبِيٌّ، وَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ، فَهُوَ رَجُلٌ مُتَقَوِّلٌ، فَاصْنَعُوا فِي أَمْرِهِ مَا بَدَأَ لَكُمْ. فَأَقْبَلَ النَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ، وَعَقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ ابْنَ أَبِي عَمْرٍو بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ بْنِ قُصَيِّ حَتَّى قَدِمَا مَكَّةَ عَلَى قُرَيْشٍ، فَقَالَا: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، قَدْ جِئْنَاكُمْ بِفَضْلِ مَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ مُحَمَّدٍ، قَدْ أَخْبَرْنَا أَحْبَارَ يَهُودَ أَنْ نَسْأَلَهُ عَنْ أَشْيَاءَ أَمَرُونَا بِهَا، فَإِنْ أَخْبَرَكُمْ عَنْهَا فَهُوَ نَبِيٌّ، وَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ فَالرَّجُلُ مُتَقَوِّلٌ، فَرَوْا فِيهِ رَأْيَكُمْ.

قريش تسأل والرسول يجيب: فَجَاءُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالُوا: يَا مُحَمَّدُ، أَخْبَرْنَا عَنْ فِتْنَةٍ دَهَبُوا فِي الدَّهْرِ الْأَوَّلِ قَدْ كَانَتْ لَهُمْ قِصَّةٌ عَجَبٌ، وَعَنْ رَجُلٍ كَانَ طَوَّافًا قَدْ بَلَغَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ

ومغاربها، وأخبرنا عن الروح ما هي؟ قَالَ: فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أُخْبِرْكُمْ بِمَا سَأَلْتُمْ عَنْهُ غَدًا، وَلَمْ يَسْتَنْ (١)، فَأَنْصَرَفُوا عَنْهُ. فَكَتَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فِيمَا يَذْكُرُونَ - خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً لَا يُحَدِّثُ اللَّهُ إِلَيْهِ فِي ذَلِكَ وَحْيًا، وَلَا يَأْتِيهِ جِبْرِيْلُ، حَتَّى أَوْجِفَ أَهْلُ مَكَّةَ، وَقَالُوا: وَعَدَنَا مُحَمَّدٌ غَدًا، وَالْيَوْمَ خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً، قَدْ أَصْبَحْنَا مِنْهَا لَا يُخْبِرُنَا بِشَيْءٍ مِمَّا سَأَلْنَاهُ عَنْهُ، وَحَتَّى أُحْزِنَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَكْتُ الْوَحْيِ عَنْهُ، وَشَقَّ عَلَيْهِ مَا يَتَكَلَّمُ بِهِ أَهْلُ مَكَّةَ. ثُمَّ جَاءَهُ جِبْرِيْلُ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِسُورَةِ أَصْحَابِ الْكَهْفِ، فِيهَا مُعَانَبَتُهُ إِيَّاهُ عَلَى حُزْنِهِ عَلَيْهِمْ، وَخَبِرَ مَا سَأَلُوهُ عَنْهُ مِنْ أَمْرِ الْفِتْيَةِ، وَالرَّجُلِ الطَّوَّافِ، وَالرُّوحِ (١).

فضل سورة الكهف: عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، قَالَ: كَانَ رَجُلٌ يَقْرَأُ سُورَةَ الْكَهْفِ، وَإِلَى جَانِبِهِ حِصَانٌ مَرْبُوطٌ بِشَطْنَيْنِ، فَتَعَشَّتُهُ سَحَابَةٌ، فَجَعَلَتْ تَذْنُو وَتَذْنُو وَجَعَلَ فَرَسُهُ يَنْفِرُ، فَلَمَّا أَصْبَحَ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ فَقَالَ: «تِلْكَ السَّكِينَةُ تَنْزَلَتْ بِالْقُرْآنِ» (٢).

### ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾ (١)

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾: الحمد والثناء والشكر التام لله ﷻ ذاته المقدسة عند فواتح الأمور وخواتيمها، المحمود في كلِّ حال، في الأول، والآخر، والظاهر والباطن ﴿الَّذِي﴾: اسمٌ موصول يفيد الفرد ﴿أَنْزَلَ﴾: وحياً من السماء ﴿عَلَى عَبْدِهِ﴾: خصَّ الله ﷻ محمداً ﷺ ﴿الْكِتَابَ﴾: الذي أنزل القرآن على محمدٍ عبد الله ورسوله، أعظم نعمة أنعمها على أهل الأرض؛ إذ أخرجهم من الظلمات إلى النور ﴿و﴾: حرفٌ جرٌّ يفيد الحال، بعد أن علم الله ﷻ عباده أن يحمده على إفاضة نعمه ﷻ عليهم، ومنها إنزالُ الكتاب عليهم؛ فهو من أكبر نعم الله ﷻ ﴿لَمْ﴾: حرف نفي ﴿يَجْعَلْ لَهُ﴾: شيئاً ﴿عِوَجًا﴾: كتاباً مستقيماً، لا اعوجاج، ولا زيغ عن الحق، ولا تناقض في معانيه، واضحاً جلياً في ألفاظه، لا حيد عن الحق ولا خروجاً عن الحكمة، بشيراً للمؤمنين، ونذيراً للكافرين.

### ﴿قَتِيماً لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾ (٢)

﴿قَتِيماً﴾: صاحب قيمة مستقيماً، لا تعارض فيه ولا تناقض ﴿ل﴾: حرف علةٍ وسببٍ، الغرض منه ﴿يُنذِرَ بَأْسًا﴾: ليحذّر ويخوِّف الناس من عذاب الله ﷻ ﴿شَدِيدًا﴾: قوي شديد الإيلام ﴿مِنْ﴾: حرفٌ جرٌّ وبيان لتمييز النوع يفيد هنا بداية الغاية الكلية ﴿لَدُنْهُ﴾: تفيد بداية

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٢٦٦/١.

(٢) صحيح البخاري ٦/١٨٨ (٥٠١١).

ونهاية الفعل من عند الله ﷻ ﴿و﴾: عطفًا على هذا ﴿يُبَشِّرُ﴾: يخبر بما يسرُّ ﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾: يحمل للمؤمنين بشرى ثواب من عند الله ﷻ ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ ﴿يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ﴾: كل ما أمر الله ﷻ به من عباداتٍ ومعاملاتٍ ﴿أَنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الإنكار والشك ﴿لَهُمْ﴾: للمؤمنين ﴿أَجْرًا حَسَنًا﴾: الجنة، ثوابًا ليس مثله ثواب.

﴿مَا كُنْتُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾ (٣)

﴿مَا كُنْتُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾: مُقيمين خالدين، مخلدين ﴿فِيهِ﴾: في هذا الثواب ﴿أَبَدًا﴾: دائمًا، بلا زوال، ولا انقطاع.

﴿وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ (٤)

﴿و﴾: حرف عطف ما بعده على ما قبله، بمعنى أيضًا ﴿يُنذِرُ﴾: يخوِّف ويحذِّر ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ ﴿قَالُوا﴾: ادعوا كذبًا ﴿اتَّخَذَ﴾: اصطفى واختار ﴿اللَّهُ وَلَدًا﴾: خصَّ الله ﷻ ذكر هؤلاء مع دخولهم في الإنذار العام السابق للكافرين للدلالة على أن أقبح أنواع الكفر والمعصية هو إثبات الولد لله ﷻ قال "ابن إسحق": هم اليهود والنصارى وبعض المشركين من العرب؛ الذين قالوا نحن نعبد الملائكة وهم بنات الله، جاء هنا ذكر الخاص بعد العام؛ وهذه تسمى آيات الاحتباك وهي حذف من الآية الأولى ما يُفهم من الآية الثانية، وحذف من الآية الثانية ما يُفهم من الآية الأولى.

﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ (٥)

﴿مَا﴾: حرف نفي ﴿لَهُمْ﴾: ملكهم ﴿بِهِ﴾: حرف باء الالتصاق ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ وبيان لتمييز النوع يفيد هنا بعض ﴿عِلْمٍ﴾: ليس لهؤلاء الذين قالوا اتخذ الله ولداً؛ أي علم ثابت، إنما يقولون افتراءً وإفكًا ﴿وَلَا﴾: حرف نفي ﴿لِآبَائِهِمْ﴾: وكذلك ليس لأسلافهم الذين سبقوهم ﴿كَبُرَتْ﴾: عظمت جرماً ﴿كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ﴾: حرف يفيد بداية الغاية المكانية ﴿أَفْوَاهِهِمْ﴾: هذا القول كذبٌ كبيرٌ، وبشاعة ما قالوا ﴿إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿كَذِبًا﴾: كلام بلا دليل.

التكليف: الآية الكريمة تُعظّم بشاعة الكذب الذي يعتمده قادةٌ وشعوبُ الأمم الكافرة، الذين يكذبون على الله ﷻ، وعلى أنفسهم، وعلى شعوبهم، ويعدون هذا ذكاءً، وفطنةً، ووسيلةً، مشروعةً، وشطارةً.

﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ (٦)

﴿ف﴾: حرف يفيد السبب ﴿أَعْلَكَ﴾: حرف يُفيد استفهامًا إنكاريًا، إشفاقًا من الله ﷻ غرضه النهي ﴿بَاخِعٌ﴾: البُخْعُ هو قتل النفس غمًّا؛ وفيها حثٌّ على ترك التأسف على ﴿نَفْسِكَ﴾: بجزنك الشديد، قال "قتادة": قاتل نفسك ومهلكها غضبًا وحرزًا، وقال مجاهد: جزعًا ﴿عَلَى آثَارِهِمْ﴾: أثر الشيء حصول ما يدلُّ على وجوده، والمقصود من بعد تولي الكافرين ومفارقتهم وإعراضهم ﴿إِنْ﴾: حرف شرط ﴿لَمْ﴾: حرف نفي ﴿يُؤْمِنُوا بِهَذَا﴾: اسم إشارة للمفرد المذكور ﴿الْحَدِيثِ﴾: إذا كفروا بما نزل من القرآن الكريم الذي أخبر أنهم قالوا نعبد الملائكة وهم بنات الله ﴿أَسْفًا﴾: غيظًا وحرزًا، وحسرة؛ على قولهم؛ جاء في المعنى: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ﴾ [فاطر-٨].

### ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ (٧)

﴿إِنَّا﴾: ضمير يعود على الله ﷻ، للتعظيم وليس للجمع ﴿جَعَلْنَا﴾: أردنا؛ وتم ما أردنا ﴿مَا﴾: الذي ﴿عَلَى الْأَرْضِ﴾: كل خيرات، ومشهيات، ومتع والبشر والشجر ﴿زِينَةً لَهَا﴾: أسباب وأدوات جمال الأرض وبهاءها، ﴿ل﴾: حرف سببٍ وعلّة ﴿نَبْلُوهُمْ﴾: نختبرهم، ونمتحنهم ﴿أَيُّهُمْ﴾: حرف استفسارٍ عنهم ﴿أَحْسَنُ﴾: أفضل وأزهّد فيها وأسرع في طاعتنا ﴿عَمَلًا﴾: إنّ المعيار هو طاعة الله ﷻ؛ فهذا الأحسن، وعصيانه الأسوأ. التكليف: قال ﷺ: "إِنَّ الدُّنْيَا خُلُوعٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا، فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فَانظُرُوا الدُّنْيَا وَانظُرُوا النَّسَاءَ، فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةٍ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النَّسَاءِ" (١).

### ﴿وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾ (٨)

﴿وَ﴾: عطفًا على هذا ﴿إِنَّا﴾: هو الله ﷻ ﴿ل﴾: حرف علّةٍ وسببٍ ﴿جَاعِلُونَ﴾: نجعل ما على الأرض من تلك الزينة في المستقبل، عند انقضاء الدنيا؛ سيكون الفعل عظيمًا؛ لأنها جاءت بصيغة الجمع؛ والله ﷻ واحدٌ أحدٌ ﴿مَا﴾: الذي من جنس غير الإنسان ﴿عَلَيْهَا﴾: ما على الأرض من شجر، وحجر، ومخلوقات وزينة، ﴿صَعِيدًا﴾: سطحًا ومساحة واسعة ﴿جُرُزًا﴾: قال "ابن عباس": لا تثمر، ولا تنبت، ولا يُنتفع بها، وقال "مجاهد": بلقعًا جرداء، وقال "قتادة": الأرض التي ليس فيها نبات.

### ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾ (٩)

﴿أَمْ﴾: حرف استفهامٍ غرضه النهي، بمعنى بل ﴿حَسِبْتُمْ﴾: ظننت يا محمد ﷺ ﴿أَنْ﴾: حرف تأكيد، ونفي الإنكار والشك ﴿أَصْحَابَ الْكَهْفِ﴾: قصة أصحاب الكهف، هو الغار، هو مكان

(١) صحيح مسلم ٤/٢٠٩٨ (٢٧٤٢).

متسع في جبل، هم أصحاب الكهف من الذين فرّوا بدينهم إلى الغار في الجبل ﴿و﴾: أيضاً حسبت أن أصحاب ﴿الرَّقِيم﴾: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿الرَّقِيم﴾: هو "اللُّوحُ مِنْ رِصَاصٍ، كَتَبَ عَلَيْهِمْ أَسْمَاءَهُمْ، ثُمَّ طَرَحَهُ فِي خِزَانَتِهِ، فَضَرَبَ اللَّهُ عَلَى آذَانِهِمْ فَنَامُوا"<sup>(١)</sup>، وقال أيضاً: هو وادٍ قريب من "إيلة" هي إيلات في "فلسطين"، وهو الجبل الذي كان فيه الكهف، وقال "الضحاك": هو غار الوادي، وقال: "عبد الرحمن بن أسلم، وابن عباس: "لوح من الحجارة كتبوا فيه قصص أصحاب الكهف، ثم وضعوه على باب الكهف، مستدلاً الكتاب على اللفظ القرآني جاء في المعنى: ﴿كِتَابٌ مَرْقُومٌ﴾ [المطففين-٩] ﴿كَانُوا﴾: جماعة في الماضي ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ وبيان لتمييز النوع يفيد هنا ابتداء الغاية المكانية ﴿آيَاتِنَا﴾: البراهين والمعجزات الربانية ﴿عَجَبًا﴾: إن أمرهم ليس بعجيب في قدرة الله ﷻ وسلطانه، فخلق السموات والأرض، وتسخير الشمس والقمر، وغيرها من الآيات العظيمة؛ دالة على قدرة الله ﷻ؛ أن يفعل أي شيء خارقاً لعادة وتصوير البشر.

﴿إِذْ أَوْى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ (١٠)

﴿إِذْ﴾: حرف يدل على ما مضى من الزمن، واذكر يا محمد ﷺ حين ﴿أَوْى﴾: لاذ، والتجأ ﴿الْفِتْيَةُ﴾: وهي جمع فتى وهي من الفتوة فتعني أخلاقاً وقوة؛ وهو ما تجسد في موقف سيدنا موسى ﷺ، عندما سقى الأغنام لابنتي سيدنا شعيب؛ فوصفته إحدى ابنتي شعيب بالقوي الأمين. هنا تعني الشباب الذين ذهبوا فارين بدينهم ﴿إِلَى الْكَهْفِ﴾: هو غار، مكان متسع في جبل خوفاً من قومهم أن يفتنهم عن دينهم ﴿ف﴾: حرف يفيد السبب وتنفيذ الفعل دون تأخير ﴿قَالُوا﴾: دعوا الله ﷻ ﴿رَبَّنَا﴾: يا مالك أمرنا كله ﴿آتِنَا﴾: أعطنا أرزقنا ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ وبيان لتمييز النوع يفيد هنا ابتداء الغاية ﴿لَدُنْكَ﴾: عندك ﴿رَحْمَةً﴾: جاء اللفظ القرآني "رحمة" على "أحد عشر" وجهاً؛ هنا بمعنى "الرزق" هب لنا من عندك رزقاً، وهب لنا الأمن من الأعداء في الدنيا، وهب لنا مغفرة في الآخرة؛ ثببتنا بها؛ وتحفظنا من الشر ﴿و﴾: حرف جرّ يفيد الحال ﴿هَيِّئْ﴾: سهّل وسخّر ﴿لَنَا﴾: تخصيماً ﴿مِنْ أَمْرِنَا﴾: من عاقبتنا ﴿رَشَدًا﴾: اهتداءً إلى طريق الحق ووعياً وإدراكاً مرضاه لنا، وهذا منهج النبي "محمد" ﷺ.

التكليف: قال ﷻ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنَ الْخَيْرِ كُلِّهِ، عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ. وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ. وَأَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ. وَأَسْأَلُكَ مِمَّا

(١) صحيح البخاري ٨٧/٦ باب أم حسبت أن أصحاب الكهف.



سَأَلَكِ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ، وَأَعُوذُ بِكَ مِمَّا تَعَوَّدَ مِنْهُ مُحَمَّدٌ ﷺ، وَمَا قَضَيْتَ لِي مِنْ قَضَاءٍ فَاجْعَلْ عَاقِبَتَهُ رُشْدًا<sup>(١)</sup>. وهي إجازتهم من خزي الدنيا وعذاب الآخرة، فعندما تنقطع الأسباب، يكون الدعاء بهذه الآية.

### ﴿فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾ (١١)

﴿ف﴾: حرف يفيد السبب والتتابع السريع، استجاب الله ﷻ دون تأخير ﴿ضَرَبْنَا﴾: ألقينا ﴿عَلَى آذَانِهِمْ﴾: ضرب الله ﷻ على آذانهم حجابًا؛ جعلهم ينامون نومًا عميقًا، والنائم لا يسمع؛ فكانت كناية عن النوم العميق ﴿فِي الْكَهْفِ﴾: هو غارٌ مكان متسع في جبل كتب الله ﷻ عليهم النوم بمجرد دخولهم الكهف ﴿سِنِينَ عَدَدًا﴾: لتوكيد كثرة عدد: سنوات كثيرة؛ لأن القليل لا يحتاج إلى عدد؛ إذ عُرف معناه ومقداره.

### ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِئُوا أَمَدًا﴾ (١٢)

﴿ثُمَّ﴾: حرف يفيد التتابع الزمني غير السريع؛ لأنهم مكثوا مدةً محدودةً، معلومةً داخل الكهف ﴿بَعَثْنَاهُمْ﴾: لم يقل ﷻ أيقظناهم من نومهم، وفي هذا دلالة على أن النوم هو الموت الأصغر. وذهب أحدهم ليشترى طعامًا بأموالٍ كانت معهم ﴿ل﴾: حرف علّة وسبب ﴿نَعْلَمَ﴾: للتبليغ علم تحقق ونُظهِرُ للناس ما علمناه في الأزل ﴿أَيُّ﴾: حرف استفهام بغرض المفاضلة ﴿الْحِزْبَيْنِ﴾: من الطائفتين المتنازعتين اللتين اختلفتا في عدد سنوات مكوثهما في الكهف ﴿أَحْصَى﴾: قَدَّرَ وعدَّ ﴿لِمَا﴾: للزمن الذي ﴿لَبِئُوا﴾: مكثوا أقاموا إقامةً دائمةً ﴿أَمَدًا﴾: والأمدُ هو مقدارُ العدد، أي عدد سنين، أو زمنًا طويلًا.

التكليف: من الواضح أن الله ﷻ أراد أن يضع أمام المختلفين في أصحاب الكهف آيةً ودليلاً على قدرته ﷻ، وكان ﷻ إذا استيقظ قال: الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور.

### ﴿وَنَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْنَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاَهُمْ هُدًى﴾ (١٣)

﴿وَنَحْنُ﴾: هو الله ﷻ جاءت بصيغة الجمع للتعظيم ﴿نَقُصُّ﴾: نذكر لك ونطلعك هذا شروع في تفصيل ما أجمل الله ﷻ من خبر أهل الكهف ﴿عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ﴾: أصحاب أهل الكهف، قصّتهم، وحكايتهم، وقضيتهم؛ نخبرك بخبرهم ﴿بِالْحَقِّ﴾: صدقًا وقيئًا وعدلًا، ليست أخبارًا كاذبة ولا مشوشة ﴿إِنَّهُمْ﴾: هم بالتأكيد ﴿فِتْنَةٌ﴾: من الشباب الذين صدقوا ربهم، وامتثلوا أمره ﴿آمَنُوا﴾: اعتقدوا، وصدقوا، وامتثلوا ﴿بِ﴾: حرف باء الصلة ﴿رَبِّهِمْ﴾: تعني المعبود،

(١) البخاري، الأدب المفرد ص: ٢٢٢. وحكم عليه الألباني: صحيح.

والمُرَبِّي، مالك أمرهم كلّه ﴿زِدْنَاهُمْ﴾: ضاعفَ اللهُ لهم، أعطاهم اللهُ الزيادة، كثيراً ﴿هُدًى﴾: وضوحاً في إيمانهم فعرفوا الحق من الباطل.

التكليف: يُستدل من هذه الآية زيادة الإيمان وتفاضله في الإنسان الواحد، وبين الناس.

﴿وَرَبَّنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا﴾ (١٤)

﴿و﴾: عطفاً على ما جاء ﴿رَبَّنَا﴾: أيضاً شددنا وقويتنا بالصبر ﴿عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾: صبرناهم على مخالفة قومهم، وفراق أهلهم، وحرمانهم من العيش الرغيد، والسعادة، والنعيم؛ فقد قيل إنهم كانوا أبناء ملوك، وسادة قومهم؛ فكان هذا سبباً في قوّة عزائمهم وقدرتهم الكبيرة على تحمل تبعات كلمة الحق ﴿إِذْ﴾: حرفٌ يُفيد ما حدث في الماضي بالتوكيد بشأنهم ﴿قَامُوا﴾: ثبت اللهُ هؤلاء الفتية فعصمهم حتى وقفوا في وجه قومهم ﴿ف﴾: لهذا السبب ﴿قَالُوا﴾: دونَ تردد خرج الفتية يوماً في بعض أعياد قومهم في وقت معين من السنّة، الذين يعبدون الأصنام في ساحة، ويذبحون لهم، فنظر الفتية إلى صنيع آبائهم؛ فأنكروا عليهم سجودهم وذبائحهم؛ لإرضاء أصنامهم، فأخذ كل واحد منهم يبتعد عن قومه، واتخذوا لهم معبداً يعبدون الله ﷻ فيه، فعرف قومهم؛ فأبلغوا ملكهم؛ فأحضرهم وسألهم عن أمرهم ﴿رَبَّنَا﴾: إنَّ ألهنا ومالك أمرنا هو ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ﴾: هي كلّ ما علا الأرض وأحاط بها لكونها ببيضاوية الشكل ﴿و﴾: أيضاً مالك ﴿الْأَرْضِ﴾: وما عليها، ولا تملكها الأصنام ﴿لَنْ﴾: حرف نفي مطلق وأبدي، لن نفعل ذلك أبداً ﴿نَدْعُو﴾: نسأل ونرجو ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ وبيان لتمييز النوع يفيد هنا ابتداء الغاية المكانية ﴿دُونِهِ﴾: غير الله ﷻ ﴿إِلَهًا﴾: لن نعبد ولن نطيع ولن نسأل إلهاً غير الله ﷻ، إننا إن فعلنا هذا ﴿لَقَدْ﴾: حرف إثبات ما حدث أقوى ما يكون في الماضي والمضارع، ولا تفيد في المستقبل ﴿قُلْنَا﴾: إذا فعلنا هذا قولاً وعملاً ﴿إِذَا﴾: حرف جواب وجزاء أو مكافأة، نكون قلنا ﴿شَطَطًا﴾: قولاً مفراطاً في البعد عن الحق، قولاً باطلاً وكذباً وبهتاناً.

التكليف: إن الإيمان القوي يربط على القلب فلا تؤثر فيه شكوك، ولا يصيبه ضعف، ولا يدركه خلل؛ فتتوافر بذلك عوامل النصر.

﴿هُؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ (١٥)

﴿ه﴾: حرف تنبيه ﴿أُولَئِكَ﴾: إشارة للبعيد من الناس ﴿قَوْمُنَا﴾: إشارة إلى قومهم الكافرين الذين ﴿اتَّخَذُوا﴾: اعتمدوا ﴿مِنْ دُونِهِ﴾: غير الله ﷻ ﴿آلِهَةً﴾: عبدوا أصناماً وأوثاناً ﴿لَوْلَا﴾:

حرف شرط يفيد امتناع أمرٍ لوجود غيره، بمعنى هلاً وهي تستخدم في الماضي للإنكار، وتستخدم في المستقبل فهي عن السؤال **﴿يَأْتُونَ﴾**: يجيئون **﴿عَلَيْهِمْ ب﴾**: حرف باء المصاحبة **﴿سُلْطَانٍ﴾**: هل يستطيع قومنا أن يأتوا بحجةٍ ودليلٍ تثبت صحة عبادتهم **﴿بَيْنٍ﴾**: واضح، ظاهر، على صادق على آلهتهم هذه **﴿فَمَنْ﴾**: حرف استفهام استثنائي يفيد هنا النفي، عن العاقل **﴿أَظْلَمُ﴾**: هؤلاء أظلم الناس، لا أحد أظلم **﴿مِمَّنٍ﴾**: من الذي **﴿افْتَرَى﴾**: قال باطلاً وبهتاناً **﴿عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾**: كذب على الله ﷻ.

التكليف: هذه حالةٌ يجوزُ فيها اعتزال المجتمعات الظالمة؛ إذا خشي المسلمُ الفتنة، وقد استخدمها بعض المسلمين؛ فهجروا المجتمعات، ولكن فشلت تجربتهم؛ لأنهم اعتزلوا دون أن يبطش بهم.

**﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يُعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْأُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا﴾ (١٦)**

**﴿وَإِذِ﴾**: حرف يفيد تحقق حدث في الماضي **﴿اعْتَزَلْتُمُوهُمْ﴾**: فارقوا قومهم جانباً، ابتعدتم عنهم **﴿وَمَا﴾**: أيضاً اعتزلتم الذي **﴿يُعْبُدُونَ﴾**: من الأصنام، والأوثان **﴿إِلَّا﴾**: حرف استثناء **﴿اللَّهُ﴾**: بعد أن تحقق اعتزالكم للقوم الكافرين الذين يعبدون الأصنام، وخالفتموهم، وفارقتموهم في معتقداتهم "المفارقة الفكرية" **﴿ف﴾**: لهذا السبب وفي تتابعٍ سريع **﴿أَوْأُوا﴾**: اتخذوا قراركم أن تلجؤوا للاختفاء واعتزال الناس؛ **﴿إِلَى الْكَهْفِ﴾**: فالكهف في منطقة غير مطروقة، وبعيدة عن المدينة، وغالباً ما يكون مغارةً في الجبال، أو تحت صخرة كبيرة، فهم في حماية من أعدائهم، والله ﷻ أشعرهم بأن هذا الكهف سيكون مأوى لهم يحتمون فيه، ففيه إيواء واحتماء **﴿يَنْشُرُ﴾**: جاء اللفظ القرآني "النشور" على "أربعة" أوجه، هنا بمعنى "البسط والنشر" **﴿لَكُمْ﴾**: تمليكاً **﴿رَبُّكُمْ﴾**: مالك أمركم كله **﴿مِنْ﴾**: حرف جرٍ وبيان لتمييز النوع يفيد هنا ابتداء الغاية الكلية **﴿رَحْمَتِهِ﴾**: يبسط يوسع ويمد لكم في رزقكم، ويستركم عن عيون أعدائكم؛ فيحميكم من بطشهم **﴿ويَهَيِّئُ﴾**: أيضاً يسخر ويوفر **﴿لَكُمْ﴾**: تمليكاً وتخصيصاً **﴿مِنْ أَمْرِكُمْ﴾**: يجعل لكم من شأنكم، وواقعكم، وحالكم هذا الذي أنتم فيه **﴿مَرْفَقًا﴾**: أمراً تنتفعون به في عيشكم، يرفق بكم، ويرافقكم في صبركم وثباتكم. فهربوا واختبؤوا في الكهف، وطاردهم الملك وجنوده، ولم يُعثر عليهم، وعمى الله ﷻ عنهم كما عمى عن "محمد" ﷺ في "غار ثور" وصاحبه الكريم "أبي بكر الصديق" ﷺ.

﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّمْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾ (١٧)

﴿و﴾: حرفٌ جرٌّ يُفيدُ الحالَ ﴿تَرَى﴾: لو شاهدهم مشاهد سوف يجد أن ﴿الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ﴾: تميل، وتعدل، وتتحى، وتبتعد ﴿عَنْ﴾: حرف يفيد المجاوزة بمعنى على ﴿كَهْفِهِمْ﴾: هو غارٌ، مكانٌ متسعٌ في جبلٍ قليلٍ إن بابهم لم يكن في اتجاه الشرق ولا في اتجاه الغرب فكانت الشمس تبعد أي تميل ﴿ذَاتَ الْيَمِينِ﴾: إلى يمين الداخل ﴿وَإِذَا﴾: حرفٌ يفيد ربط ما بعدها بما قبلها ﴿غَرَبَتْ﴾: غابت إلى الغرب ﴿تَقْرِضُهُمْ﴾: تعدل عنهم وتبتعد ﴿ذَاتَ الشِّمَالِ﴾: لا تدخل الشمس الغار من الباب الشمالي، قال ابن عباس ومجاهد: "تتركهم، والنتيجة لا تصيبهم الشمس؛ لاتساع المكان؛ حتى لا تسخن أجسادهم؛ فينتج العرق، ويتبخر؛ فيجف الجسد لأنهم في حالة نوم طويلة فهم لا يشربون ﴿وَهُمْ﴾: تحديدًا ﴿فِي فَجْوَةٍ﴾: مكانٌ متسعٌ ومنفتحٌ انفتاحًا واسعًا؛ وهذا يؤكد بأنهم كانوا في الظل طوال النهار؛ ولم تُصِبه الشمس لا في شروقها ولا في غروبها ﴿مِنْهُ﴾: حرفٌ يفيد بداية الغاية المكانية ﴿ذَلِكَ﴾: الذي هيأه الله ﷻ ﴿مِنْ آيَاتِ﴾: معجزات ﴿اللَّهِ﴾: الذي أرشدهم ﷻ إلى هذا الكهف؛ الذي تتوافر فيه الشمس، والهواء، دون أن تؤذيه ﴿مَنْ﴾: الذي من جنس العاقل ﴿يَهْدِ﴾: يبدله ويرشده ﴿اللَّهُ فَهُوَ﴾: اسم موصول للمفرد المذكر ﴿المُهْتَدِ﴾: من أرشده الله ﷻ فهو الناجي الذي لا يضل ﴿وَمَنْ﴾: من بني آدم جنس العاقل ﴿يُضِلُّ﴾: لم يهده الله ﷻ للحق ﴿فَلَنْ﴾: حرف نفي جازم ﴿تَجِدَ﴾: يكون ﴿لَهُ﴾: تخصيصًا ﴿وَلِيًّا﴾: معينًا ومساعدًا ونصيرًا ﴿مُرْشِدًا﴾: من يقوده للحق والصواب، أضله الله فلا هادي له.

التكليف: ليس المهم مكان الكهف وخصائصه؛ بل معرفة الحكمة، وهي قدرة الله ﷻ على أن يُنجي أوليائه.

﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ زِرَاعِيهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمَلِئْتَ مِنْهُمْ رُغْبًا﴾ (١٨)

﴿و﴾: حرفٌ جرٌّ يُفيدُ الحالَ ﴿تَحْسَبُهُمْ﴾: تظنهم ﴿أَيْقَاظًا﴾: قيل بقيت أعينهم مفتوحة، وإن ما حدث هو إعجازٌ علمي؛ لأن العين إذا بقيت مفتوحة؛ جفّ الدمع، وتلفت القرنية، وهي الجزء الشفاف، وذهب البصر ﴿وَهُمْ﴾: ضميرٌ يفيد الجمع للغائب المذكر ﴿رُقُودٌ﴾: الرقود هو أشدُّ من النوم؛ وبذلك طال رقودهم مما استدعى ﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿نُقَلِّبُهُمْ﴾:

نضعهم على الجانب الأيمن من جسدهم ثم بعد فترة زمنية غير طويلة نضعهم على الجانب الأيسر **﴿ذَات﴾**: من جانب الجسد **﴿النيمين وذات﴾**: أيضاً من جانب الجسد **﴿الشمال﴾**: قال ابن عباس: لو لم يُقَلَّبوا لأكلتهم الأرض. ومن المعلوم بحسب التعاليم الطبية الحديثة فإن التقلب يكون مرتين يومياً على الأقل، حتى لا تتكون لهم ما يسمى "قرحة الفراش"، التي تنتهي بموت الجلد، وتلف ما تحته من عضلات **﴿وكلبهم باسط﴾**: ماداً **﴿ذراعيه﴾**: كان معهم كلبهم جالس ماداً أطرافه الأمامية **﴿بالوصيد﴾**: ببناء الكهف أو عتبة الباب، قال ابن عباس: "على الباب؛ كأنه يحرسهم، خارج الكهف؛ لأن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه كلب ولا صورة ولا نُصب. كان الكلب نائماً؛ هذه صحبة الأخيار، يصيبه ما يصيبهم من خير **﴿لو﴾**: حرف يفيد المستحيل **﴿اطلغت﴾**: لو نظرت **﴿عليهم﴾**: إليهم **﴿لوليت﴾**: تركتهم وهربت خوفاً **﴿منهم﴾**: حرف يفيد التعليل **﴿فراراً﴾**: لهرب من يراهم **﴿و﴾**: عطفاً على هذا الحال **﴿ل﴾**: حرف يفيد العلة والسبب **﴿ملئت منهم﴾**: حرف يفيد التعليل **﴿رغباً﴾**: ولم يقل **﴿ل﴾** خوفاً، وهي حالة من الوقار والهيبة؛ حتى لا يمسهم أحدٌ بسوءٍ حتى يأتي أمر الله **﴿ل﴾**؛ فيستيقظوا هي حالة أشد من الخوف تشبيهه كأن المشاهد امتلأت كل خلية من جسده فرعاً وخوفاً شديداً؛ هل بسبب طول شعرهم، وطول أظفارهم، أو بسبب أعينهم المفتوحة؟ هل ألقى الله **﴿ل﴾** عليهم هذه الحالة حتى لا يقترب منهم أحد؟ وحتى يكونوا آيةً معجزةً على قدرة الله **﴿ل﴾**؛ هذا ما ستوضحه بقية الآيات الكريمة.

**التكليف: إِنَّ مَنْ أَحَبَّ أَهْلَ الْخَيْرِ نَالَ مِنْ بَرَكَتِهِمْ، كَلَّبَ أَحَبَّ أَهْلِ فَضْلِ وَصَحْبِهِمْ فَذَكَرَهُ اللَّهُ فِي مُحْكَمٍ تَنْزِيلِهِ. قُلْتُ: إِذْ كَانَ بَعْضُ الْكِلَابِ قَدْ نَالَ هَذِهِ الدَّرَجَةَ الْعُلْيَا بِصُحْبَتِهِ وَمُخَالَطَتِهِ الصُّلَحَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ حَتَّى أَخْبَرَ اللَّهُ **﴿ل﴾** بِذَلِكَ فِي كِتَابِهِ جَلَّ وَعَلَا فَمَا ظَنُّكَ بِالْمُؤْمِنِينَ الْمُوَحِّدِينَ الْمُخَالِطِينَ الْمُحِبِّينَ لِلْأَوْلِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ بَلْ فِي هَذَا تَسْلِيَةٌ وَأُنْسٌ لِلْمُؤْمِنِينَ الْمُقْصِرِينَ عَنِ دَرَجَاتِ الْكَمَالِ، الْمُحِبِّينَ لِلنَّبِيِّ **﴿ل﴾** وَسَلَّمٍ وَآلِهِ خَيْرٍ آلٍ.**<sup>(١)</sup>

**﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِئْتُمْ قَالُوا لَبِئْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِئْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾ (١٩)**

**﴿و﴾**: عطفاً على ما سبق **﴿كذلك﴾**: كما جعلناهم نائمين وحفظناهم هذه الفترة الطويلة، أيضاً **﴿بعثناهم﴾**: كما كتبنا عليهم هذا الرقود؛ كتبنا عليه اليقظة؛ أيقظناهم من نومهم على هيئتهم

(١) تفسير القرطبي ٣٧١/١٠.

دون تغيير ﴿ل﴾: حرف علة وسبب ﴿يَتَسَاءَلُوا﴾: يستفسرون ﴿بَيْنَهُمْ﴾: ينظر كل واحد منهم في الآخر؛ في استغرابٍ ودهشة ﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ﴾: الذي لا يعرف ماذا حدث ﴿كَمْ﴾: ما هو عدد ما ﴿لَبِئْتُمْ﴾: لم يقل كم رقدتم؟ أو كم نمتم؟ ولكن قال كم مكتتم، أقمتم إقامة دائمة في هذا الكهف قال للفهم كم كانت مدة النوم في هذا الكهف؟ ﴿قَالُوا لَبِئْنَا يَوْمًا أَوْ﴾: حرف يفيد الشك ﴿بَعْضٌ﴾: جزءًا من ﴿يَوْمٍ﴾: لأنهم دخلوا الكهف صباحًا، واستيقظوا في وقت العشاء؛ هذا قول بعضهم الآخر، وهذا يدل على أن شعر رأسهم لم يطل، ولا طالت أظافرهم، وإن كان عليهم لباس لم يُبل ﴿قَالُوا رَبُّكُمْ﴾: مالك أمركم كلّه ﴿أَعْلَمُ﴾: صاحب العلم التام ﴿بِمَا﴾: اسم موصول هنا بمعنى الذي ﴿لَبِئْتُمْ﴾: ولأنهم دخلوا الكهف أول النهار، واستيقظوا آخر النهار؛ لم يتفقوا على مدة مكوثهم في الكهف؛ فأكلوها إلى الله ﷻ؛ فهو أعلم، وشرعوا يُرتّبون حياتهم ﴿ف﴾: لهذا السبب قالوا ﴿ابْعَثُوا أَحَدَكُمْ﴾: ليذهب أحدنا ﴿بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ﴾: دراهمهم المضروبة "المصكوكة" التي يملكونها، ﴿إِلَى الْمَدِينَةِ﴾: التي خرجوا منها ﴿فَلْيَنْظُرْ﴾: حرف اللام يفيد السبب؛ أي ليختار ﴿أَيُّهَا﴾: أي منها ﴿أَزْكَى﴾: أحلّ، وأجود، وأطيب ﴿طَعَامًا﴾: نأكله فكأنهم جائع ﴿فَلْيَأْتِكُمْ﴾: يحضر لكم ﴿ب﴾: حرف باء المصاحبة ﴿رِزْقٍ مِنْهُ﴾: ليبحت ويختار أطيب وأزكى الطعام، ومن هنا جاء لفظ الزكاة، التي تُطَيّب وتطهر المال ﴿و﴾: عطفاً على ما جاء ﴿ل﴾: حرف سبب ﴿يَتَلَطَّفْ﴾: هنا تعريض بجواز العمل في السر للمؤمن في فترة الاستضعاف. يتأنّ ولا يستعجل ﴿وَلَا﴾: حرف نهي ﴿يَشْعُرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾: عليه أن يكون لبقاً حتى لا يعلم بكم أحدٌ من القوم الظالمين، حتى لا يعرفكم الآخرون.

التكليف: جاءت الكلمة ﴿يَتَلَطَّفْ﴾: في منتصف عدد كلمات القرآن الكريم، فعدد الكلمات في القرآن الكريم التي قبلها مساوية لعدد الكلمات التي جاءت بعدها، وكأنّ هذه الكلمة هي الرابط بين كلمات الله ﷻ كلّها، والله ﷻ أعلم، التي تعني فعل الشيء بليّن، ورفقٍ، ولطفٍ، وهذه أسس العلاقات الاجتماعية الراقية، وقد جاءت في السياق، ليحدّر ﷻ من في الكهف، عند خروجهم وعودتهم، ويتخفون ما أمكنهم ذلك.

﴿إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا بِرِجْمَتِكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدًا﴾ (٢٠)

﴿إِنَّهُمْ﴾: هم بالتأكيد كفار قومهم ﴿إِنْ﴾: حرف شرط ﴿يَظْهَرُوا﴾: يطلعون عليكم؛ إذا علموا بوجودكم؛ ومكانكم ويسيطروا ﴿عَلَيْكُمْ﴾: حتماً ﴿بِرِجْمَتِكُمْ﴾: يقتلونكم بطريقة الرجم ﴿أَوْ﴾: حرف يفيد التسوية، بمعنى إما أو ﴿يُعِيدُوكُمْ﴾: يجبروكم أن تصيروا من جديد ﴿فِي مِلَّتِهِمْ﴾: في دينهم؛ إذا قبلتم الدخول في دينهم فمصيركم إما العذاب، وإما الموت ﴿و﴾: حرف يفيد

الاستئناف ﴿لَنْ﴾: حرف نفي ﴿تُفْلِحُوا﴾: فقد خسرتم الفلاح في الدنيا، وفوزكم في الآخرة  
﴿إِذَا﴾: حرف جواب وجزاء ﴿أَبَدًا﴾: بلا نهاية؛ إلى الأبد.

التكليف: إنَّ تاريخ الحركات الإسلامية زاخرٌ بالأمثلة التي طبقت فيها نظرية الملك الظالم؛  
استخدام أسلوب العذاب؛ حتى الارتداد عن الدين أو الموت، والذين ارتدوا خسروا أنفسهم  
ودنياهم، والله أعلم بأخرتهم.

﴿وَكَذَلِكَ أَغْتَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَزَّعُونَ بَيْنَهُمْ  
أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ  
مَسْجِدًا﴾ (٢١)

﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿كَذَلِكَ﴾: مثل هذا ﴿أَغْتَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾: أطلع الله على شباب  
الكهف النَّاس حينما ذهب أحدهم لشراء الطعام ﴿ل﴾: حرف علّةٍ وسببٍ ﴿يَعْلَمُوا﴾: يعرف  
النَّاس والذين كان منهم في شك في البعث بعد الموت؛ فكما أرقدهم الله ﷻ أيقظهم بأشكالهم،  
وأطلع عليهم أهل ذلك الزمان؛ ليعلموا يقينًا ﴿أَنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك ﴿وَعَدَ﴾: ما وعد  
به ﴿اللَّهِ حَقٌّ﴾: وهو البعث يوم القيامة ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ﴾: أيضًا أنَّ يوم القيامة ﴿لَا﴾: حرف  
نفي ﴿رَيْبَ﴾: شكٌ ﴿فِيهَا﴾: أنَّ يوم القيامة حقيقةٌ لا شك فيها عند المؤمن ﴿إِذْ﴾: حرف علّةٍ  
وسبب يفيد حدث في الماضي ﴿يَتَنَزَّعُونَ﴾: يختلفون فيما ﴿بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ﴾: والأمر هنا بما  
قالوا ﴿ف﴾: حرف استثنائي بهدف ترتيب الأمر ويفيد السرعة في التنفيذ ﴿قَالُوا﴾: قال ابن  
جرير: "المسلمون منهم هم الذين قالوا، وقال غيره: المشركون هم الذين قالوا ﴿ابْنُوا﴾: أقيموا  
على بابهم ﴿عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا﴾: سدوا عليهم باب كهفهم، وتركوهم وحالهم ﴿رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ﴾:  
ربهم أعلم بحالهم، فلهم خصوصية فريدة ﴿قَالَ الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ ﴿غَلَبُوا  
عَلَىٰ أَمْرِهِمْ﴾: أصحاب النفوذ ﴿ل﴾: حرف يفيد السبب ﴿نَتَّخِذَنَّ﴾: بالتأكيد سنبنني ﴿عَلَيْهِمْ  
مَسْجِدًا﴾: يقيموا مكانًا للصلاة في مكان دفنهم؛ تكريمًا وتذكيرًا للنَّاس بهم.

التكليف: العبرة في خاتمة هؤلاء الفتية هي دلالاتها على البعث بمثل واقعي قريب محسوس،  
يقرب إلى الناس قضية البعث، فيعلموا أن وعد الله بالبعث حق، وأن الساعة لا ريب فيها،  
وعلى هذا النحو بعث الله الفتية من نومتهم، وأعثر قومهم عليهم.

التكليف: إنَّ قصة هؤلاء الفتية آية دالة على الأصول الثلاثة: الإيمان بالله، ورسوله، واليوم  
الآخر.

﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَنَفِتْ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ (٢٢)

﴿س﴾: حرف تأكيد الفعل هنا ﴿يَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ﴾: الذين قالوا هم اليهود إنَّ عدد أصحاب الكهف هو ﴿رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾: قالوا ثلاثة رجال، والكلب ﴿و﴾: حرف جرّ يُفيد هنا الاستئناف ﴿يَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾: والقائلون هنا هم النصارى ﴿رَجْمًا﴾: يقولون، وكأنهم يقذفون كلماتهم ﴿ب﴾: حرف باء المصاحبة ﴿الْغَيْبِ﴾: بالظنّ بغير علم كالذي يرمى في مكانٍ مجهولٍ فلا يصيب صيدًا ﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾: هنا إشارةٌ إلى انتهاء العدد، لم يذكر الله ﷻ من القائلين، وهو الأصح؛ فقد شكك الله ﷻ في القولين الأولين ووصفهما بـرجم الغيب ﴿قُل﴾: يا محمد ﷺ ﴿رَبِّي﴾: والربُّ هو المنشئ للكون من حالٍ إلى حالٍ، فهو مالكٌ أمري كلِّه ﴿أَعْلَمُ﴾: صاحب علم الحقيقة المطلقة ﴿ب﴾: حرف باء التعددية ﴿عَدَّتِهِمْ﴾: وهذا هو الأصحُّ؛ إرجاع الأمر والعلم إلى الله ﷻ، بلا خوضٍ ولا جدالٍ ﴿مَا﴾: حرف نفي يحتث على الفعل ﴿يَعْلَمُهُمْ﴾: لا يعرف بعددهم ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿قَلِيلٌ﴾: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «أَنَا مِنْ أَوْلِيكَ الْقَلِيلِ»<sup>(١)</sup>؛ كانوا "سبعة"، وقال كذلك "ابن جرير عن عطاء: كانوا سبعة ﴿فَلَا﴾: أداة نهْيٍ تفيد عدم الفعل ﴿تُمَارِ﴾: لا تُناقش، ولا تجادل ﴿فِيهِمْ﴾: في عدتهم وشأنهم وفي أمر أصحاب الكهف ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿مِرَاءً﴾: نقاشًا ﴿ظَاهِرًا﴾: ما جاءك منّا نقاشًا سهلًا هيئنا؛ لأنَّ الأمر لا يترتب عليه فائدة كبيرة ﴿و﴾: عطفاً على هذا ﴿إِلَّا﴾: حرف نهْيٍ ﴿تَسْتَنَفِتْ﴾: تستشر وتأخذ رأيًا ﴿فِيهِمْ﴾: في أمرهم ﴿مِنْهُمْ﴾: لا تسأل عن الذين يرمون بالغيب دون علم، وهم أهل قريش واليهود ﴿أَحَدًا﴾: واحدًا؛ والله أعلم.

التكليف: جاء النهي عن استفتاء أحدٍ منهم لغياب وعدم بيان الزمن في كتبهم؛ فيكذبوه.

﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا﴾ (٢٣)

جاء في سبب النزول لهذه الآية: لما سألت اليهود النبي ﷺ عن خبر الفتية؛ فقال أخبركم غداً، ولم يقل إن شاء الله؛ فاحتبس الوحي عنه حتى شقَّ ذلك عليه، فأُنزل الله ﷻ هذه الآية ﴿و﴾: عطفاً على ما سبق ﴿لَا﴾: حرف نهْيٍ ﴿تَقُولَنَّ﴾: لشيء تعزم على فعله، نهى الله ﷻ رسوله ﷺ وكلَّ المسلمين من بعده أن يقولوا بصيغة ونية التأكيد ﴿لِشَيْءٍ﴾: نكرة تفيد العموم ﴿إِنِّي﴾: أنا بالتأكيد ﴿فَاعِلٌ﴾: منفذ ومحقق ﴿ذَلِكَ﴾: إشارة للبعيد ﴿غَدًا﴾: أن يعد بعمل

(١) فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ٢/٨٤٥.



شيء في المستقبل القريب دون قول إن شاء الله، وقد جاء في الحديث ما رواه "أبو هريرة":  
عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: قَالَ: سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ لِأَطْوَفَنَّ اللَّيْلَةَ عَلَى سَبْعِينَ امْرَأَةً، تَحْمِلُ كُلُّ امْرَأَةٍ  
فَارِسًا يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ: إِنَّ شَاءَ اللَّهُ، فَلَمْ يَقُلْ، وَلَمْ تَحْمِلْ شَيْئًا إِلَّا  
وَاحِدًا، سَاقِطًا أَحَدُ شِقَاقِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: لَوْ قَالَهَا لَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ <sup>(١)</sup>.

﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَادُّكُرَ رَبِّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِّي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا﴾  
(٢٤)

﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء منقطع يفيد الحصر ﴿أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿يَشَاءَ اللَّهُ﴾: إرجاع كل شيء لمشيئة الله ﷻ، عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا دَعَوْتُمُ اللَّهَ فَاعْزِمُوا فِي الدُّعَاءِ، وَلَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ إِنْ شِئْتُ فَأَعْطِنِي، فَإِنَّ اللَّهَ لَا مُسْتَكْرَهَ لَهُ» <sup>(١)</sup> ﴿و﴾: حرف جر يفيد هنا الاستئناف ﴿ادُّكُرَ رَبِّكَ﴾: مالك أمرك كله ﴿إِذَا﴾: حرف عطف ما بعدها "النسيان" على ما قبلها ﴿نَسِيتَ﴾: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «إِذَا حَلَفَ الرَّجُلُ عَلَى يَمِينٍ فَلَهُ أَنْ يَسْتَنْتِي وَلَوْ إِلَى سَنَةٍ» وَإِنَّمَا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي هَذَا: ﴿وَادُّكُرَ رَبِّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ [الكهف-٢٤]، قَالَ: «إِذَا ذَكَرَ اسْتَنْتِي» قَالَ عَلِيُّ بْنُ مُسْهِرٍ: «وَكَانَ الْأَعْمَشُ يَأْخُذُ بِهَا» <sup>(٢)</sup>، وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: «فَقَالَ لَا يَكُونُ رَافِعًا لِحَنْثِ الْيَمِينِ وَمَسْقَطًا لِلْكَفَّارَةِ وَهَذَا الْأَصْحَحُ، عَنْ عِكْرِمَةَ: ﴿وَادُّكُرَ رَبِّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ [الكهف-٢٤]، قَالَ: " إِذَا عَصَيْتَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِذَا عَصَيْتَ <sup>(٤)</sup>، وَإِذَا أَنْسَى الشَّيْطَانُ الْإِنْسَانَ ذَكَرَ اللَّهُ عِنْدَ النَّسْيَانِ؛ يُكْفِّرُ النَّسْيَانِ بِقَوْلِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ﷻ فَاحْتَسِبِ الْوَحْيَ عَنْهُ؛ ﴿و﴾: عطفاً على ما جاء ﴿قُلْ عَسَى﴾: فعل يفيد هنا الترجي لأنه من البشر ﴿أَنْ﴾: حرف يفيد التحقق ﴿يَهْدِيَنِّي رَبِّي﴾: أمل أن يعطيني ربي من الآيات الدالة على النبوة ما يكون أقرب في الرشد وأدل من قصة أصحاب الكهف ﴿رَبِّي﴾: مالك أمري كله، هو الله ﷻ ورد المشيئة إليه للوصول إلى الهدف في كل أمر لا أعلمه ﴿ل﴾: حرف للتبيين ﴿أَقْرَبَ مِنْ هَذَا﴾: اسم إشارة للمذكر الفرد ﴿رَشَدًا﴾: أن أصل إلى الصواب والرشد في أي أمر. التكليف: عَنْ أَبِي مُوسَى ﷺ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لَا يَذْكُرُ رَبَّهُ، مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ» <sup>(٥)</sup>.

(١) صحيح البخاري ١٦٢/٤ (٣٤٢٤).

(٢) صحيح البخاري ١٣٧/٩ (٧٤٦٤).

(٣) المستدرک علی الصحیحین للحاکم ٣٣٦/٤ (٧٨٣٣) وقال: صحیح علی شرط الشیخین ولم یخرجاه. ووافقه الذهبي.

(٤) مصنف ابن أبي شيبة ٢١٦/٧ (٣٦٦١٤).

(٥) صحيح البخاري ٨٦/٨ (٦٤٠٧).

﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾ (٢٥)

﴿و﴾: حرف جرّ يُفيد الحال، فالحقيقة هي أَنَّهُمْ ﴿لَبِثُوا﴾: مكثوا وعاشوا إقامة دائمة ﴿فِي كَهْفِهِمْ﴾: هو غارٌ، مكانٌ متسعٌ في جبل يخبر الله ﷻ مدة مكوث أهل الكهف من مرقدهم إلى يقظتهم ﴿ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا﴾: أيضاً زيادة عن الثلاث مائة سنة ﴿تِسْعًا﴾: فكانت المدة ثلاثمائة وتسع سنوات هلالية، أي ثلاثمائة سنة شمسية.

﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ (٢٦)

وإذا سُئِلت أيها الرسول عن مدّة مكوثهم في الكهف ف ﴿قُلِ﴾: أمرٌ ربّانيٌّ مِنْ ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا﴾: كم مكثتم أقمتكم إقامة دائمة إذا سُئِلت عنهم ولا تعرف؛ فقل الله أعلم بمدّة لبثهم ﴿لَهُ﴾: لله ﷻ ﴿غَيْبُ﴾: كل ما خفي فيهما وغاب من أحوالهما، ليس لغيره مِنْ ذلك مِنْ شيءٍ في ﴿السَّمَاوَاتِ﴾: في كلّ ما علا الأرض وأحاط بها لكونها بيضاوية الشكل ﴿و﴾: أيضاً له غيب ما في ﴿الْأَرْضِ﴾: إن علم الغيب عن السماوات والأرض عند الله وحده ردٌّ على سؤال أهل الكتاب ﴿أَبْصِرْ بِهِ﴾: بالله ﷻ ﴿وَأَسْمِعْ﴾: سمعاً، تكبيراً وتعظيماً في السمع والإبصار؛ ما أبصره ﷻ وما أسمعته؛ فالله ﷻ أبصر بكل موجود، وأسمع لكل مسموع ﴿مَا﴾: حرف نفي ﴿لَهُمْ﴾: تخصيصاً وتمليكاً ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ وبيان لتمييز النوع يفيد هنا ابتداء الغاية المكانية ﴿دُونِهِ﴾: غيره ﷻ ﴿مِنْ﴾: تفيد هنا بعض ﴿وَلِيٍّ﴾: لن يجدوا نصيراً ومعيناً ومؤيداً غير الله ﷻ ﴿وَلَا﴾: حرف نفي ﴿يُشْرِكُ﴾: يجعل له شريكاً ﴿فِي حُكْمِهِ﴾: في تصريف الخلق الكبير ﴿أَحَدًا﴾: ليس له شريك، ولا وزير، ولا نصير. التكليف: يجب ردّ كلّ شيءٍ لمشيئة الله ﷻ.

﴿وَإِنلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ (٢٧)

﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿إِنلُ﴾: اقرأ ﴿مَا﴾: الذي ﴿أُوحِيَ إِلَيْكَ﴾: نزل عليك وحياً ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ وبيان لتمييز النوع يفيد هنا ابتداء الغاية المكانية جزء أو بعض ﴿كِتَابِ﴾: اقرأ القرآن، وبلغه للناس من ﴿رَبِّكَ﴾: مالك أمرك ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿مُبَدِّلَ﴾: مغير أو محوّل ﴿لِكَلِمَاتِهِ﴾: لا تغيير ولا تحريف ولا مُزِيل لكلمات القرآن الكريم ﴿وَلَنْ﴾: حرف نفي ﴿تَجِدَ مِنْ دُونِهِ﴾: غيره ﷻ ﴿مُلْتَحَدًا﴾: قال "مجاهد": لن تجد ملجأ، أو ولياً أو مولى، والمعنى إذا لم تبلغ يا "محمد" ما أوحى إليك من ربك؛ فلن تجد من دون الله ﷻ ملجأً تعدل إليه عنه ﷻ.

﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطَانًا﴾  
(٢٨)

سبب النزول: عَنْ حَبَابٍ، فِي قَوْلِهِ ﷺ: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ﴾، قَالَ: جَاءَ الْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ التَّمِيمِيُّ، وَعُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنِ الْفَزَارِيُّ، فَوَجَدَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: مَعَ صُهَيْبٍ، وَبِلَالٍ، وَعَمَّارٍ، وَحَبَابٍ، قَاعِدًا فِي نَاسٍ مِنَ الضُّعَفَاءِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، فَلَمَّا رَأَوْهُمْ حَوْلَ النَّبِيِّ ﷺ حَقَرُوهُمْ، فَأَتَوْهُ فَخَلَوْا بِهِ، وَقَالُوا: إِنَّا نُرِيدُ أَنْ تَجْعَلَ لَنَا مِنْكَ مَجْلِسًا، تَعْرِفُ لَنَا بِهِ الْعَرَبُ فَضَلْنَا، فَإِنَّ وُفُودَ الْعَرَبِ تَأْتِيكَ فَتَسْتَحْيِي أَنْ تَرَانَا الْعَرَبَ مَعَ هَذِهِ الْأَعْبُدِ، فَإِذَا نَحْنُ جِئْنَاكَ، فَأَقِمْهُمْ عِنَّا، فَإِذَا نَحْنُ فَرَعْنَا، فَأَقْعُدْ مَعَهُمْ إِنْ شِئْتَ، قَالَ: «نَعَمْ»، قَالُوا: فَارْتَبْنَا لَنَا عَلَيْكَ كِتَابًا، قَالَ: فَدَعَا بِصَحِيفَةٍ، وَدَعَا عَلِيًّا لِيَكْتُبَ، وَنَحْنُ قُعُودٌ فِي نَاحِيَةٍ، فَنَزَلَ جِبْرَائِيلُ ﷺ، فَقَالَ: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ، فَتَكُونُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام-٥٢]، ثُمَّ ذَكَرَ الْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ، وَعُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنٍ، فَقَالَ: ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ [الأنعام-٥٣]، ثُمَّ قَالَ: ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام-٥٤]، قَالَ: فَدَنَوْنَا مِنْهُ حَتَّى وَضَعْنَا رُكْبَنَا عَلَى رُكْبَتِهِ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، يَجْلِسُ مَعَنَا، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَقُومَ، قَامَ وَتَرَكَنَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ [الكهف-٢٨] وَلَا تُجَالِسِ الْأَشْرَافِ: ﴿تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا﴾ [الكهف-٢٨] يَعْنِي عُيَيْنَةَ، وَالْأَقْرَعُ ﴿وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطَانًا﴾ [الكهف-٢٨] قَالَ: هَلَاكًا، قَالَ: أَمْرٌ عُيَيْنَةَ، وَالْأَقْرَعُ، ثُمَّ صَرَبَ لَهُمْ مَثَلِ الرَّجُلَيْنِ وَمَثَلِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا قَالَ حَبَابٌ: «فَكُنَّا نَقْعُدُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، فَإِذَا بَلَغْنَا السَّاعَةَ الَّتِي يَقُومُ فِيهَا، فَمُنَّا وَتَرَكَنَاهُ حَتَّى يَقُومَ»<sup>(١)</sup>. ﴿و﴾: حَرْفٌ جَرٌّ يُفِيدُ الْحَالَ ﴿اصْبِرْ﴾: احْبَسْ يَا مُحَمَّدٌ ﷺ: وَصَبِّرْ ﴿نَفْسَكَ﴾: وَهُوَ أَمْرٌ لِكُلِّ مُسْلِمٍ مِنْ بَعْدِهِ ﷺ ﴿مَعَ﴾: بِصَحْبَةٍ، بِرَفَقَةٍ ﴿الَّذِينَ﴾: اسْمٌ مُوصُولٌ

(١) سنن ابن ماجه ١٣٨٢/٢ (٤١٢٧) حكم الألباني: صحيح.

يفيد جميع مَنْ **﴿يَدْعُونَ﴾**: يتوسلون لله **﴿رَبَّهُمْ﴾**: مالك أمرهم كله **﴿بِ﴾**: حرف باء الظرفية **﴿الْعَدَاة﴾**: في وقت الصباح **﴿و﴾**: يدعونه أيضًا في **﴿الْعَشِيِّ﴾**: في المساء بصحبة الذاكرين، المكبرين، العابدين لله **﴿و﴾** من الفقراء والأغنياء، على حد سواء **﴿يُرِيدُونَ﴾**: يرغبون في دعائهم **﴿وَجْهَهُ﴾** رضاه **﴿وَلَا﴾**: حرف نفي **﴿تَعُدُّ﴾**: لا تصرف ولا تتجاوز رؤيتك **﴿عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾**: ولا تستجب لأغنياء قريش"، وتطرد الفقراء المؤمنين، لا تتجاوزهم إلى غيرهم من أشرف الكفار **﴿ثُرِيدُ﴾**: ترغب وتطمع في **﴿زِينَةٍ﴾**: من جاهٍ ومالٍ وعيالٍ في **﴿الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾**: على الأرض، تريد الجلوس مع أصحاب المال، والجاه، والسلطان **﴿وَلَا﴾**: حرف نهي وتحريم **﴿ثُطِعَ﴾**: تستجب وتنفذ **﴿مَنْ﴾**: الذي من الناس، بني آدم **﴿أَغْفَلْنَا﴾**: جعلنا **﴿قَلْبَهُ﴾**: لاهيا ساهيًا **﴿عَنْ﴾**: حرف جر يفيد المجاوزة **﴿ذِكْرِنَا﴾**: لا تسمع وتطيع الذي انشغل قلبه عن ذكر الله **﴿وَاتَّبَعَ﴾**: أيضًا الذي أطاع **﴿هَوَاهُ﴾**: لم يطع الله **﴿وَمَا يَرِيدُ﴾**: **﴿وَكَانَ أَمْزُهُ﴾**: كانت أعماله وأقواله **﴿فُرْطًا﴾**: إسرافًا، وضياعًا، وضلالًا.

**﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَعِينُوا يَغَاثُوا بِمَاءٍ كَأَلْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾**  
(٢٩)

**﴿و﴾**: عطفًا على ما سبق **﴿قُلِ﴾**: يا "محمد" **﴿لَهُؤْلَاءِ﴾** الغافلين من الناس **﴿الْحَقُّ مِنْ﴾**: حرف يفيد بداية الغاية **﴿رَبِّكُمْ﴾**: أن ما جننكم به هو الحق من ربكم؛ هو المعبود، والمُرَبِّي، مالك أمري كله **﴿فَمَنْ﴾**: حرف استفهام استثنائي يفيد هنا **﴿شَاءَ﴾**: أراد ورغب **﴿ف﴾**: حرف يفيد التتابع السريع والسبب **﴿لِيُؤْمِنَ﴾**: تصديقًا وتسليمًا **﴿وَمَنْ﴾**: والذي من الناس من جنس العاقل **﴿شَاءَ﴾**: أراد **﴿ف﴾**: حرف يفيد السبب **﴿لِ﴾**: لام العاقبة **﴿يُكْفُرُ﴾**: هنا تهديد رباني، ووعيد شديد، وما بعده يؤكد ذلك **﴿إِنَّا﴾**: هو الله **﴿وَجَاءَتْ﴾** بصيغة الجمع؛ تعظيمًا وتكبيرًا **﴿أَعْتَدْنَا﴾**: جاء التهديد بصيغة الجمع "إنا؛ أي جهزنا، ورصدنا؛ إبحاءً بشدة ما أعد الله **﴿لَهُمْ﴾**: تخصيصًا **﴿الظَّالِمِينَ﴾**: الكافرين بالله ورسوله وبالقرآن **﴿نَارًا﴾**: جهنم **﴿أَحَاطَ بِهِمْ﴾**: طوقهم **﴿سُرَادِقُهَا﴾**: فسطاطها، لبها، ودخانها، "سور النار" المحيط بهم، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ **﴿وَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ﴾**، قَالَ: "سُرَادِقُ النَّارِ أَرْبَعَةُ جُدُرٍ كُلُّ جِدَارٍ مِنْهَا مَسِيرَةٌ أَرْبَعِينَ

سَنَةً<sup>(١)</sup> ﴿وَأِنْ﴾: حرف شرط وإذا ﴿يَسْتَفِيئُوا﴾: يتوسلوا في طلب العون والنجدة ﴿يُغَاثُوا﴾: يُسْتَجَابُ لَهُمْ ﴿بِمَاءٍ كَثٍ﴾: مثل ﴿الْمُهْلِ﴾: قال "ابن عباس": الماء الغليظ مثل عكر الزيت، وقال عكرمة: كالدّم والصدید، وقال الضحاک: الشيء الذي انتهى حرّه مثل الجمر، علمًا أنّ ماء جهنّم أسود؛ وهي سوداء وأهلها سود، كلّ هذه الأوصاف تجمع الصفات الرذيلة ﴿يَشْوِي﴾: يحرق بشدّة ﴿الْوُجُوهَ﴾: لن يأت الحديث عن شوى وجوههم فقط؛ إشارة إلى شدّته وعظّمته وتعدي دخانه الذي يخنق وحرارته التي تشوي وجوههم ووجوه غيرهم؛ إذا أراد الكافر أن يشرب منه شوي وجهه؛ فسقط جلده، وجلد رأسه ﴿بِئْسَ﴾: ساء، هو الشر والضرر ﴿الشَّرَابُ﴾: ذم ذكر المساوى وهي عكس المدح هذا الشراب بالصفات الذميمة ذكر المساوى وهي عكس المدح ﴿و﴾: حرف جرّ يُفيد الحال ﴿سَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾: بأس النَّارِ مسكنًا ومنزلًا ومكانًا ومجتمعًا للرفقاء يسبب الشر والضرر.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ (٣٠)

﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾: الحديث هنا عن الصنف المؤمن، الذي طبّق إيمانه بالقول والعمل الصالح وفق ما أمر الله ﷻ: ﴿إِنَّا﴾: هو الله ﷻ تأكيدًا ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿نُضِيعُ﴾: قالها ﷻ بالتفخيم؛ تعني لا نبدد ولا نضيع ﴿أَجْرَ﴾: ثواب وجزاء ﴿مَنْ﴾: الذي ﴿أَحْسَنَ﴾: أفضل ﴿عَمَلًا﴾: صاحب العمل الحسن.

﴿أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾ (٣١)

﴿أُولَئِكَ﴾: الذين آمنوا، إشارة للقريب والبعيد ﴿لَهُمْ﴾: تخصيصًا وتمليكيًا ﴿جَنَّاتٍ﴾: وليس جنّة واحدة ﴿عَدْنٍ﴾: يقيمون فيها إقامة دائمة، لا تنقطع ﴿تَجْرِي مِنْ﴾: حرف يفيد بداية الغاية المكانية ﴿تَحْتِهِمْ﴾: من تحت غرفهم ومنازلهم ﴿الْأَنْهَارُ﴾: المياه العذبة، التي جاء وصفها في القرآن الكريم، فيها الماء والعسل ﴿يُحَلَّونَ﴾: من الحلّي والزينة، جاءت التحلية هنا مقدّمة عن اللباس، مع أنّ الحاجة إلى اللباس أقوى وأفضل من الحاجة إلى التجميل والتحلية التي هي مكملات ﴿فِيهَا﴾: في الجنّة ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ وبيان لتمييز النوع يفيد هنا ابتداء الغاية المكانية ﴿أَسَاوِرَ﴾: ما يحيط بالمعصم في اليد ﴿مِنْ ذَهَبٍ﴾: المعدن الثمين ﴿و﴾: أيضًا ﴿يَلْبَسُونَ ثِيَابًا﴾: تغطي أجسادهم؛ وتستتر عورتهم ﴿خُضْرًا﴾: جاء اللفظ "خُضْرًا" بمعنى "الذلل

(١) الحاكم، المستدرک على الصحيحين ٥/ ٦٦ (٨٨٣٦)، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

والرقة واللين" ويشير هنا إلى رقة الثوب المصنوع **﴿مِنْ سُندُسٍ﴾**: السندس ثياب رقيقة؛ كالقمصان ومثلها **﴿وَإِسْتَبْرَقٍ﴾**: الثياب الثقيلة التي تلمع **﴿مُتَكِنِينَ﴾**: مستندين، مضجعين، متربعين في جلستهم **﴿فِيهَا﴾**: في الجنة **﴿عَلَى الْأَرَائِكِ﴾**: جمع أريكة وهي السرير المرفوع عن الأرض **﴿نِعْمٌ﴾**: مدح وثناء أفضل **﴿النَّوَابِ﴾**: الجزاء عن العمل **﴿وَحَسُنَتْ مُرْتَفَعًا﴾**: أفضل المقام والإقامة، جاء في المقابل حال الكفار: **﴿بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَعًا﴾** [الكهف-٤٩].

التكليف: جاء في تجري من تحتهم الأنهار مجاز عقلي؛ إذ أسند الله ﷻ الجري إلى الأنهار ومن المعلوم أنّ الذي يجري هو الماء، إنّ النهر هو المكان الذي يجري فيه الماء كدلالة مكانية.

**﴿وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا﴾ (٣٢)**

**﴿و﴾**: عطفاً على ما سبق **﴿أَضْرِبْ﴾**: اذكر **﴿لَهُمْ﴾**: هم كقار مكة تحديداً لمن يتعزز بمتاع الدنيا، ويستتكف عن مجالسة الفقراء **﴿مَثَلًا﴾**: لتقريب وتوضيح الفكرة **﴿رَجُلَيْنِ﴾**: قيل كانا أخوين، أحدهما مؤمن من أهل الخير والآخر كافر، وقيل كانا أخوين مخزومين من أهل مكة المكرمة من بني إسرائيل، وقيل كانا أخوين **﴿جَعَلْنَا ل﴾**: حرف تخصيص **﴿أَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ﴾** وكانا شريكين، كانت لهما تجارة واسعة، واقتسما؛ الأول أنفق ماله في سبيل الله ﷻ، وأصابه الفقر، والثاني بقى على تجارته فازدادت أمواله وامتلك **﴿جَنَّتَيْنِ﴾**: حقلين، بستانين **﴿مِنْ﴾**: حرف جرّ وبيان لتمييز النوع يفيد هنا ابتداء الغاية المكانية **﴿أَعْنَابٍ﴾**: من الأعناب وهي من أسهل الأطعمة هضمًا وأكثرها فائدة للجسم بما تحتويه من سكريات ومعادن وماء **﴿و﴾**: أيضًا **﴿حَفَفْنَاهُمَا﴾**: أيضًا أحطناها، كان على حواف الجنة "المزرعة" **﴿بِنَخْلٍ﴾**: ونتاجه البلح، والرطب، والتمر وهو من أغنى المواد بالسكريات والمعادن مثل البوتاسيوم، والكالسيوم، والفسفور والمغنسيوم، والفيتامينات "أ، ج"، ويزود البلح الإنسان بالطاقة، ويحد من الإمساك، ويساعد في إنتاج كرات الدم الحمراء، ويخلص الجسم من السموم، ويقلل من إصابته بجلطة الدماغ، ويحافظ على صحة الأسنان ويقوي اللثة، وقيل إنّ له دوراً في الحد من سرطان القولون، ويمنع عسر الهضم وغيرها من المضار **﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا﴾**: أيضًا بين الجنتين **﴿زَرْعًا﴾**: ما سبق ذكره من المزروعات، مرتفع عن الأرض، التي هي مزروعة بالخضروات.

**﴿كَلِمَاتٍ الْجَنَّتَيْنِ الْجَنَّتَيْنِ أَنْتَ أَكَلْتَهُمَا وَلَمْ تَنْظُرْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهْرًا﴾ (٣٣)**

﴿كَلِمَاتُ الْجَنَّتَيْنِ﴾: كل بستان منهما ﴿آتَتْ﴾: أنتجت أخرجت ﴿أَكَلَهَا﴾: وقد أثمرت كل واحدة من البستانين؛ ثمارها بصورة طيبة ﴿وَأَلْمَ﴾: حرف نفي ﴿تَظَلَّمَ﴾: لم ينقص ولم يتلف ﴿مِنْهُ﴾: بعضًا أو جزءًا ﴿شَيْنًا﴾: أي جزء ﴿وَفَجَّرْنَا﴾: أيضًا شققنا الأرض، جاءت بصيغة الجمع للتعظيم ﴿خِلَالَهُمَا﴾: بين الجميع ﴿نَهْرًا﴾: إضافة إلى الأرض الصالحة، والثمار الوفيرة، كان الماء العذب يجري في كل مكان في البساتين. هذه التي جاء ذكرها هي أدوات الزراعة المنتجة: الإنسان والأرض والماء؛ التي تثمر الفاكهة والخضروات.

﴿وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ (٣٤)

﴿و﴾: حرف جرّ يُفيد الحال ﴿كَانَ لَهُ﴾: لصاحب الجنتين الكافر ﴿ثَمَرٌ﴾: قيل أموال كثيرة، وقيل صاحب ثمار الأرض ﴿ف﴾: حرف يفيد السبب ﴿قَالَ﴾: قال: الرجل الغني الكافر الذي لم ينفق ماله في سبيل الله ﷻ ﴿لِصَاحِبِهِ﴾ لشريكه المؤمن الذي اقتسم معه وأنفق في سبيل الله ﴿وَهُوَ﴾: ضمير الغائب المذكور ﴿يُحَاوِرُهُ﴾: يتفضل ويفاخر عليه، ويحاوره، ويخاصمه ﴿أَنَا أَكْثَرُ مَالًا﴾: حرف تمييز ﴿مَالًا﴾: عندي مالٌ أكثرُ منك ﴿وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾: أقوى أعوانًا وعشيرةً، ومركزي أحسن منك، وعندني الخدم والولد، وجانبي أكثر مناعة من جانبك لكثرة ما يقوم معي، قال "قتادة": تلك والله أمنية الفاجر؛ كثرة المال وعزة النفس.

التكليف: ونراها اليوم في دولٍ أنعم الله ﷻ عليها بالثروات الطبيعية، وكانوا رعاةً الشاة؛ فأصابهم مرضُ الكبر؛ بسبب المال، والجاه، وكثرة المتقربين، وقوة جيوشهم، وهو حال دولٍ مسيحيةٍ، تُعدُّ نفسها القوى الكبرى، والمجتمع الدولي، والشرعية الدولية، هؤلاء أفسدوا شعوبهم، وأشاعوا فيهم الفاحشة والرياء، ويسمّون أنفسهم الدول الغنية الأكثر مالًا والأعزُّ نفرًا، وأصحاب حقوق الإنسان، وغيرها من المصطلحات.

﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا﴾ (٣٥)

﴿و﴾: عطفًا على ما قال ﴿دَخَلَ﴾: الرجل الظالم الكافر ﴿جَنَّتَهُ﴾: قيل من بعض المفسرين إنه أخذ بيد أخيه المسلم؛ فأدخله جنته، أي مزرعته؛ يطوف به فيها، ويريه عجائبها، وهنا إشارة إلى جنة واحدة، ويُفهم أنه لا جنة له في الآخرة ﴿و﴾: حرف جرّ يُفيد الحال ﴿هُوَ﴾: ضميرٌ منفصلٌ مرفوعٌ للغائب المفرد المذكور، المؤنث أيضًا ﴿ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾: حرف تمليك وتخصيص ﴿نَفْسِهِ﴾: بكفره وتجبره وتكبره ﴿قَالَ مَا﴾: حرف نفي ﴿أَظُنُّ﴾: قال الكافر لفرط غفلته فأعتقد حتمًا؛ بصيغة تأكيد اليقين؛ نابع من اغترارٍ بما في أرضه من خيراتٍ ﴿أَنْ﴾:

حرف تأكيد الفعل **﴿تَبِيدَ﴾**: أن تتلف، أو تهلك، أو تفنى **﴿هَذِهِ﴾**: الحديقة مدى الحياة، المثمرة مدى الحياة، وهو يقول بذلك لأنه لا يؤمن ببعث بعد الموت، ولا بثوابٍ ولا عقابٍ.

**﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا﴾ (٣٦)**

**﴿وَمَا أَظُنُّ﴾**: ولا أعتقد **﴿السَّاعَةَ قَائِمَةً﴾**: أشك وأنكر أن تقوم القيامة **﴿و﴾**: عطفًا على هذا **﴿لَئِن﴾**: حرف شرط يتبع ما بعده **﴿رُدِدْتُ﴾**: إذا رجعت **﴿إِلَىٰ رَبِّي﴾**: هو ﷻ المعبود، والمُرَبِّي، مالك أمري كله **﴿ل﴾**: حرف علّة وسبب **﴿أَجِدَنَّ﴾**: بالتأكيد وأضاف مؤكدًا أيضًا في كفره وعناده قوله: حتى وإن كانت هناك قيامة، ورجعت إلى الله سيكون حظي هناك أحسن **﴿خَيْرًا مِنْهَا﴾**: حرف يفيد التمييز **﴿مُنْقَلَبًا﴾**: مرجعًا وعاقبة فلولا كرامتي على الله ما أعطاني هذه في الدنيا، وسوف يعطيني في الآخرة: **﴿لَئِن رُجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْخُسْرَىٰ﴾** [فصلت - ٥٠].

**﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا﴾ (٣٧)**

**﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ﴾**: قال المؤمن؛ واعظًا، ومحدّرًا **﴿وَهُوَ﴾**: ضمير يفيد الفرد المذكر **﴿يُحَاوِرُهُ﴾**: يناقشه ويجادله **﴿أ﴾**: حرف استفهام بغرض الإنكار والتوبيخ **﴿كَفَرْتَ﴾**: هل غطيت وأنكرت **﴿بِالَّذِي﴾**: اسمٌ موصولٌ هنا بالواحد الأحد الفرد، المذكر، والمقصود هنا الله ﷻ **﴿خَلَقَكَ﴾**: أوجدك من غير سابق وجود **﴿مِنْ﴾**: حرف جرّ وبيان لتمييز النوع يفيد هنا ابتداء الغاية المكانية **﴿تُرَابٍ﴾**: قال المؤمن مذكّرًا بأصل الإنسان عندما خلق الله ﷻ أبا البشر "آدم" ﷺ من التراب، ثم رزقه الزوجة، وكيفية الإنجاب **﴿ثُمَّ﴾**: يفيد التتابع الزمني غير السريع **﴿مِنْ نُطْفَةٍ﴾**: وهي أصل الإنسان، نطفة الأبوين؛ حيوان منوي" من الرجل و"بويضة" من الأنثى **﴿ثُمَّ سَوَّكَ﴾**: ومن هاتين النطفتين كوّنك وصوّرَكَ كإنسانٍ **﴿رَجُلًا﴾**: وبشراً معتدل القامة، والخلق، وجعلك ذكراً.

**﴿لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ (٣٨)**

**﴿لَكِنَّا﴾**: حرف يفيد الاستدراك، بمعنى إنّما أقول إنّ المُنعم المُتفضل علينا **﴿هُوَ اللَّهُ رَبِّي﴾**: المعبود، والمُرَبِّي، مالك أمري كله **﴿و﴾**: عطفًا على هذا **﴿لَا﴾**: حرف نفي **﴿أُشْرِكُ﴾**: أجعل في عبادتي له أحدًا غيره؛ كما فعلت أنت **﴿ب﴾**: حرف باء الصلة **﴿رَبِّي أَحَدًا﴾**: إنني اعترف بوحدانية الله ﷻ المعبود؛ لا شريك له.



﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنَّ تَرَنِّ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا﴾  
(٣٩)

﴿وَلَوْلَا﴾: حرف يفيد امتناع ما بعدها بما قبلها، بغرض التوبيخ، بمعنى هلاً قلت عند دخول جنتك ﴿إِنَّ﴾: اسم مبني على السكون تفيد ما مضى من الزمن حينما ﴿دَخَلْتَ جَنَّتَكَ﴾: مزرعتك وبستانك ﴿قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ﴾: والمراد بقول الله ﷻ: (ما شاء الله) (ما: اسم موصول بمعنى الذي، شاء أي أراد وأذن وقدر، وحمدت الله ﷻ على نعمه عليك، وما أعطاك من المال والولد، هذه النعمة هي إرادة الله ﷻ ومشيئته وليست قوتك وقدرتك وفيها حمدٌ وشكرٌ لله المُنعم، وهو ما كان من سُنَّة النبي ﷺ الذي وَعَى مُرَاد الله ﷻ على أحسن وجه، والمسلم يقول: (ما شاء الله!) عند كل النعم، يقولها عندما يدخل بيته، وعندما يرى أولاده وذريته، وعندما يرى أمواله، اعترافاً منه بالمنعم، وأن هذه البيوت وهذه الذرية وهذه الأموال هي مما شاء وأراد الله، وهي رزق الله ﷻ، وليست من قوتنا وقدرتنا وعلمنا، والله وحده هو صاحب المشيئة في الرزق ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿قُوَّة﴾: لي ﴿إِلَّا﴾: باستثناء ﴿بِاللَّهِ﴾: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ قَيْسٍ: "أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ، فَقُلْتُ: بَلَى، يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: قُلْ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ" (١) ﴿إِنْ تَرَنِّ﴾: تجدني وتشاهدني ﴿أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ﴾: حرف يفيد التمييز ﴿مَالًا وَ﴾: أيضًا أقل منك ﴿وَلَدًا﴾: ألا تراني أني أقل منك في المال والولد، مع هذا فأنا أحمد الله وأشكره، وأرجع إليه الأمر كله.

﴿فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَيُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا﴾ (٤٠)

﴿فَعَسَى﴾: فعلٌ ماضٍ جامد يفيد هنا للترجي في الأمر المحبوب، وهي تدلُّ على التحقق والوجوب ﴿رَبِّي﴾: فهو مالك أمري ﴿أَنْ﴾: حرف يفيد تأكيد الخبر ﴿يُؤْتِيَنِي﴾: أطمع أن يؤتيني ربِّي ويعطيني ويهبني ﴿خَيْرًا﴾: جاءت بصيغة النكرة لتفيد خيرًا عميمًا مباركًا؛ والأكثر منفعة ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ وبيان لتمييز النوع يفيد هنا ابتداء الغاية المكانية، وتفيد هنا ﴿جَنَّتِكَ﴾: في الدار الآخرة هي النشأة الثانية في مقابل النشأة الأولى ﴿وَ﴾: أيضًا ﴿يُرْسِلَ﴾: يسلط ﴿عَلَيْهَا﴾: على جنتك التي تظن أنها لا تبديد ولا تقنى ﴿حُسْبَانًا﴾: مثل الصواعق والآفات الزراعية، وقال "ابن عباس، والضحاك": عذابًا ﴿مِنْ﴾: حرف يفيد بداية الغاية

(١) صحيح مسلم ٢٠٧٦/٤ (٢٧٠٤).

المكانية ﴿السَّمَاءِ﴾: هي كل ما علا الأرض وأحاط بها لأنها ببيضاوية الشكل، والظاهر أنه مطرٌ عظيم، يقتلع الأشجار، والزرع، والله ﷻ أعلم ﴿فَ﴾: حرف يفيد السبب والفعل السريع ﴿تُصْبِحُ﴾: تصيرُ وتؤولُ ﴿صَعِيدًا﴾: تصير منطقةً جرداء ﴿زَلْفًا﴾: إذا سار عليها الناس، تنزلق وتزل أقدامهم، وهو ما يحدث من ثورة البراكين التي تقذف بالحمم؛ حتى إذا يبست؛ صارت صخورًا ملساء، ومثل الصواعق، والآفات الزراعية.

﴿أَوْ يُصْبِحَ مَأْوَاهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلْبًا﴾ (٤١)

﴿أَوْ﴾: حرف يفيد التسوية بين متعاطفين؛ الأول الصعيد الزلق، والثاني ﴿يُصْبِحُ﴾: يصير ويؤول ﴿مَأْوَاهَا غَوْرًا﴾: يغور الماء في باطن الأرض، الغائر هو الذي ينزل للباطن، يجري ويسح ﴿فَلَنْ﴾: بسبب حرف نفي ﴿تَسْتَطِيعَ﴾: لا تقدر ﴿لَهُ﴾: تحديداً ﴿طَلْبًا﴾: القدرة على استخراجها، والانتفاع به.

التكليف: هذا حال قادة العالم العربي والإسلامي اليوم؛ يظنون أن بترو لهم، وحدائقهم، ومزارعهم، ومصانعهم، وبنوكهم وأموالهم، التي أودعوها في مصارف الغرب الصليبي؛ يظنون أنها خالدة، ففي القرن التاسع عشر الميلادي زالت الإمبراطوريات البريطانية، والسوفيتية، والألمانية، والنازية، واليابانية، والفرنسية، والإسلامية.

﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ (٤٢)

﴿و﴾: حرف جر يفيد الحال ﴿أُحِيطَ﴾: عبارة عن إهلاكه، وإفناؤه، أصابت المصائب من كل الجوانب ﴿بِثَمَرِهِ﴾: ثمار أشجاره وبيساتينه؛ وضاعت أمواله مما خوّفه منه المؤمن، جاءه الحسبان الذي أنكره ﴿فَ﴾: حرف يفيد السبب ﴿أَصْبَحَ﴾: صار ﴿يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ﴾: يضرب كفًا بكف؛ كناية عن أسفه، وحسرتة وندمه على الأموال التي ذهب بها الحسبان ﴿فِيهَا﴾: بمعنى عليها ﴿و﴾: عطفاً على هذا أصبحت ﴿هِيَ﴾: ضميرٌ للمفرد الغائب المؤنث ﴿خَاوِيَةٌ﴾: فارغة ﴿عَلَى عُرُوشِهَا﴾: ساقطة على سقفها التي سقطت، فأصبحت فارغة من كل ثمر؛ كبيوت قائمة على أعمدة فقط ﴿وَيَقُولُ يَا﴾: حرف نداء للقريب والبعيد ﴿لَيْتَنِي﴾: ليت حرف يفيد التمني والترجي، ومن المعروف أنه إذا دخل حرف النداء يا على ليت فيكون الغرض هو التشبيه وليس النداء ﴿لَمْ﴾: حرف نفي ﴿أُشْرِكْ بِ﴾: حرف باء الصلة ﴿رَبِّي﴾: المعبود، والمُرَبِّي، مالك أمري كله ﴿أَحَدًا﴾: يا حسرة على الخسارة في الدنيا بسبب الشرك بالله ﷻ.

﴿وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا﴾ (٤٣)

﴿وَلَمْ﴾: أيضًا هنا نفي ﴿تَكُنْ لَهُ﴾: تخصيصًا ﴿فَنَّهُ﴾: جماعة أو عصابة أو قبيلة لا من البشر، ولا من شياطين الإنس والجن، ولا العشيرة ولا الولد، الذين فخر بهم ﴿بِنَصْرُونَهُ﴾: يؤازرونه ويعينونه ﴿مَنْ دُونِ﴾: غير ﴿اللَّهِ﴾: يدفعون عنه قدر الله ﷻ ﴿وَمَا﴾: حرف نفي ﴿كَانَ مُنْتَصِرًا﴾: كانت هزيمته قدرًا مقدورًا؛ إذا أراد الله ﷻ.

﴿هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾ (٤٤)

﴿هُنَالِكَ﴾: في ذلك المقام، ظرف زمانٍ ومكانٍ إشارةً للبعيد؛ استبعدوا بأن يجعل لهم السلطة والولاية، بل الولاية القاهرة، والسلطة المطلقة لله ﷻ وحده؛ لا يغالبه أحد ﴿الْوَلَايَةُ﴾: الحبُّ والنصرة والتأييد ﴿اللَّهُ الْحَقُّ﴾: النصرة لله ﷻ وحده، سيرجع المؤمنُ والكافرُ إلى الله ﷻ؛ فمن أحب الله؛ أحبَّه وأكرمَّه، ومن كفر وقع عليه غضبُ الله أمَّا الولاية: بكسر الواو؛ تعني الحكم لله ﴿هُوَ﴾: ضميرٌ منفصلٌ مرفوعٌ للغائب المفرد المذكر ﴿خَيْرٌ﴾: كثير البركة ﴿ثَوَابًا﴾: جزاء الله ﷻ هو خير الجزاء ﴿وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾: أيضًا الأكثر فائدة، والأخف ضررًا، هنا يعني الجزاء هو مضاعفة الثواب، وأيضًا العاقبة الحميدة لأوليائه على الأعمال الحميدة.

﴿وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾ (٤٥)

﴿وَ﴾: عطفًا على ما سبق ﴿أَضْرِبْ﴾: أذكر ﴿لَهُمْ﴾: الأمر إلى محمد ﷺ أن يقول لهم مثلًا تشبيهاً ﴿مَثَلِ﴾: ما يشبه ﴿الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: في حسناتها ونضارتها وسرعة زوالها، هذا حال عيشِ النَّاسِ في الدنيا على الأرض، في زوالها وفنائها ﴿كَ﴾: في هذا الحال والمقام مثل حال ﴿مَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ﴾: جاء بصيغة الجمع لعظم الحدث والفائدة ﴿مِنْ﴾: حرف يفيد بداية الغاية المكانية ﴿السَّمَاءِ﴾: ما جاء من فوق الأرض، وهو الغيث، الذي يقدره الله ﷻ ﴿ف﴾: حرف يفيد التتابع السريع ﴿اخْتَلَطَ﴾: امتزج ﴿بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ﴾: أخذته جذور النباتات، التي يستفيد منها الإنسان في حياته، وبعد انقضاء عمر النبات ﴿ف﴾: حرف يفيد السبب ﴿أَصْبَحَ﴾: صار وآل ﴿هَشِيمًا﴾: يبس وجف؛ فيسهل تكسيره، كما عيدان القمح، التي تُدرس؛ فتصبح خفيفة الوزن ﴿تَذْرُوهُ﴾: تبعثره، وتنتثره ﴿الرِّيَّاحُ﴾: في كل اتجاه ﴿وَكَانَ﴾: وأيضًا سيبقى بلا انقطاع ﴿اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾: تفيد العموم ﴿شَيْءٍ﴾: والنكرة تفيد وتؤكد عموم الأشياء ﴿مُقْتَدِرًا﴾: وهي الخلاصة؛ من آيات قدرته أنه ﷻ الذي أنزل الماء، وخلق النبات، وأنبته، وأنضجه ثم أفناه، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: نَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى حَصِيرٍ فَقَامَ وَقَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِهِ، فَقُلْنَا: يَا

رَسُولَ اللَّهِ لَوْ اتَّخَذْنَا لَكَ وَطَاءً، فَقَالَ: «مَا لِي وَلِلدُّنْيَا، مَا أَنَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا كَرَاجِبٍ اسْتَنْطَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا»<sup>(١)</sup>.

التكليف: هذه الكلمات النورانية تمثل دورة حياة الإنسان: الجنين، المولود، الطفل، الشاب، الشيخ، الموت.

**﴿الْمَالُ وَالنَّبُوتُ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾**  
(٤٦)

**﴿الْمَالُ﴾**: بكل أشكاله؛ من العملات، والذهب، والتجارة، والعقارات، والأراضي **﴿و﴾**: أيضًا **﴿النبون﴾**: الأولاد والأحفاد ومن يساند من الأقارب؛ هما عنصران يسعى كل إنسان إليهما؛ كثرة الأموال وكثرة الأولاد **﴿زينة﴾**: ما يُتباهى، ويُفتخر بها في **﴿الحياة الدنيا﴾**: وهذا ما يشغل الإنسان ويلهيه عن عبادة الله ﷻ، ويجعله يتجبر ويتغطرس على خلق الله ﷻ **﴿والباقيات﴾**: ما يبقى ثوابها وأجرها **﴿الصالحات﴾**: من صالح الأعمال والأقوال، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: "خُذُوا جُنَّتَكُمْ" قالوا: يا رسول الله، أمن عدو قد حصر؟ قال: "لا، ولكن جُنَّتَكُمْ مِنَ النَّارِ قَوْلُ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، فَإِنَّهُنَّ يَأْتِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُجَنَّبَاتٍ وَمُعَقَّبَاتٍ، وَهِنَّ الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ"<sup>(٢)</sup>، **﴿خير﴾**: فوائدها وآثارها الطيبة **﴿عند﴾**: في حساب **﴿ربك﴾**: تعني كلمة الرب: المعبود، والمُربي، مالك أمرك كله **﴿ثوابا﴾**: أجرها وجزاؤها عند الله ﷻ **﴿وخير﴾**: أكثر وأكثر فائدة وأنفع **﴿أَمَلًا﴾**: خير الرجاء من الله ﷻ، ما يتمناه الإنسان في الآخرة، وهو كل ما جاء فيه ذكر الله ﷻ هو من الباقيات الصالحات "لا إله إلا الله، والله أكبر، وسبحان الله وبحمده، وتبارك الله، واستغفر الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، والصيام، والحج، والصدقة، والعق، والجهد، وصلة الأرحام.

**﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاَهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾** (٤٧)

إن خير الأمل هو في الآخرة، وفي هذه الآية جاء ذكرها **﴿و﴾**: حرف جر يُفيد الحال **﴿يوم﴾**: القيامة **﴿نُسيِّر﴾**: واذكر لهم يا محمد ﷺ يوم القيامة، ننزع الجبال من مكانها الثابت؛ فتتحرك **﴿الجبال﴾**: وهذه من أهوال يوم القيامة أن تتحرك الجبال من قواعدها إلى أماكن أخرى وجاء في المعنى: **﴿فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾** [طه-١٠٥] **﴿و﴾**: أيضًا **﴿تري﴾**: وتظهر وتشاهد **﴿الأرض بارزة﴾**: ظاهرة بوضوح، حيث تتساوى الجبال والوديان، وتبقى

(١) سنن الترمذي ٥٨٨/٤ (٢٣٧٧) وقال: حديث حسن صحيح.

(٢) السنن الكبرى للنسائي ٣١٣/٩ (١٠٦١٧)، وقال الألباني: صحيح.

الأرض قاعًا صنفصفاً، سطحًا مستويًا؛ فترى الأرض باديةً ظاهرةً ليس فيها معلم ﴿و﴾: عطفاً على الذي حدث للأرض ﴿حَشَرْنَاَهُمْ﴾: جمعنا أول النَّاسِ وآخرهم، فلم يبق أحدٌ منهم صغيراً أو كبيراً ﴿فَلَمْ﴾: حرف تأكيد الخبر، لم يبق ﴿نُعَاذِرُ﴾: ولم نترك ﴿مِنْهُمْ أَحَدًا﴾: لم يترك الله ﷻ منهم أحداً إلا مات، وبُعث، وحُشر.

التكليف: نلاحظ هنا أنّ الحق ﷻ استعمل صيغتين: الأولى: نُسَيِّرُ الجبال فترى الأرض بارزةً بالفعل المضارع الذي يفيد الاستقبال؛ لأنّ هذا الحدث سيقع يوم القيامة، والثانية: ﴿وَحَشَرْنَاَهُمْ﴾: بالفعل الماضي الذي يفيد انتهاء حدوث الفعل وهو لم يحدث بعد، وإنّما سيحدث في المستقبل؛ ودلالة هذا أنّه واقعٌ لا محالة، والهدف تثبيت الإيمان في قلوب المؤمنين.

﴿وَعَرَضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا﴾  
(٤٨)

﴿و﴾: عطفاً على الحال الذي سبق للأرض والحشر ﴿عَرَضُوا﴾: عُرض جميع الخلائق ﴿عَلَى رَبِّكَ﴾: على مالك أمرك كلّه، الذين حُشروا يوم القيامة ﴿صَفًّا﴾: مصطفين لا يُحجب منهم أحدٌ، جاءت بمعنى جميعاً، وبمعنى صفّاً واحداً، وبمعنى صفوفاً مصطفين لا يُحجب منهم أحدٌ، ووصف المشهد يفيد التوبيخ للمجرمين أمام الخلائق، وهو من منهج العرض للحساب أمام الله ﷻ، ولذلك جاء قول الله ﷻ ﴿لَقَدْ﴾: حرف إثبات ما حدث أقوى ما يكون في الماضي والمضارع، ولا تفيد في المستقبل ﴿جِئْتُمُونَا﴾: بعثناكم، رجعتم إلى الله ﷻ ﴿كَمَا﴾: مثل يوم ﴿خَلَقْنَاكُمْ﴾: أوجدناكم من غير سابق وجود ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾: توبيخاً وتأنيباً يقول ﷻ يا من كذّبتُم بهذا اليوم، أنتم اليوم هنا، في ضعفٍ وفرقةٍ كما خلقناكم أول مرة من ضعف وفرقة ﴿بَلْ﴾: حرف ينفي ما قبله؛ ويؤكد ما بعده ﴿زَعَمْتُمْ﴾: ادعيتم كذباً ﴿أَلَّنْ نَجْعَلَ﴾: بمعنى أن لن نُحدّد، بمعنى تحقيق الوعد ﴿لَكُمْ﴾: تخصيصاً ﴿مَوْعِدًا﴾: وقت إنجاز وعدنا، نعيدكم للحساب، ونجازيكم فيه على أعمالكم، وقد قلتم لن تقوم القيامة، فهذا يوم الحشر، لقد وعدناكم، وكذّبتُم به.

﴿وَوَضِعَ الْكِتَابَ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ (٤٩)

﴿و﴾: عطفاً على قيام القيامة ﴿وَضِعَ الْكِتَابَ﴾: فُتح كتابُ تسجيل أعمال الخلق، فيه الكبير والصغير، والجليل والحقير، والفيتل والقطمير، هي صحائف أعمالكم؛ بوضع صحيفة كلِّ

واحد في يده، فالسعيد في يمينه، والشقي في شماله ﴿ف﴾: حرف يفيد السبب ﴿تري﴾: ستشاهد أيها الإنسان من ﴿المُجْرِمِينَ﴾: سيكون حال الذين عملوا السيئات ﴿مُشْفِقِينَ﴾: خائفين وجلين على أنفسهم ﴿مِمَّا﴾: من بعض ما ﴿فيه﴾: ما سُجِّلَ من أفعالهم القبيحة في الدنيا المسجلة عليهم في كتابهم ﴿وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا﴾: أيضًا يقولون يا هلاكنا، حرف تحذير وتهديد، يا حسرتنا ومصيبتنا وهلاكنا ﴿مَالٍ﴾: ما باله، لماذا ﴿هَذَا﴾: اسم إشارة للمذكر الفرد ﴿الْكِتَابِ﴾: كتاب أعمالكم ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يُغَادِرُ﴾: لم يترك ﴿صَغِيرَةً﴾: من الذنوب ﴿وَلَا﴾: ولم يترك ﴿كَبِيرَةً إِلَّا﴾: حرف استثناء وقد ﴿أَخْصَاهَا﴾: لقد سجل هذا الكتاب كُلَّ عملٍ سيئٍ علينا صغيرًا، أو كبيرًا، وضبطها، وعدّها، وحفظها ﴿وَوَجَدُوا مَا﴾: الذي ﴿عَمِلُوا﴾: في الحياة الدنيا ﴿حَاضِرًا﴾: كل عملٍ من خير، وكل عملٍ من شر، مسجلًا أمامهم جاء، في المعنى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا﴾ [آل عمران- ٣٠] ﴿وَلَا﴾: حرف نفي ﴿يَظْلِمُ﴾: يغمط أو يُنقص من حقّ ﴿رَبِّكَ﴾: هو المُعبود، والمُربي، وهو المنشئ الكون المعجزة من طورٍ إلى طورٍ إلى حدّ التمام وهو تعالى الخالق، والمالك، والعاطي، وكثيرُ الخير، والمُحيط، والمُدبّر، والجابز لكسر البرايا، والثابت، والقريب، والجامع، والمصلح، والسيد، هو مالك أمرك يا "محمد" ﷺ وهذا يدل على شهادته على الناس يوم القيامة ﴿أَحَدًا﴾: فردًا.

التكليف: لا شك أنّ استهجان كَفَّارِ العصورِ السابقة كان بسبب جهلهم درجة تطور الإنسان التي قدّرها الله ﷻ، فالיום أجهزة التسجيل الصوتي والمرئي والأجهزة الصغيرة للاتصالات قد نقلت الصوت والصورة؛ وما كان ذلك ليحدث إلا بفضل الله ﷻ، والمستقبل يحمل أكثر، وما عند الله أعظم، ولله المثل الأعلى.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ (٥٠)

تأتي الآية في سياق أسبابِ خسارة أهل النار دنياهم؛ فكفروا وسُجِّلَت أقوالهم وأعمالهم، وعُرِضت عليهم يوم القيامة ﴿وَإِذْ﴾: حرف يفيد ما مضى من الزمن حين أمرنا ﴿قُلْنَا﴾: جاءت بصيغة الجمع لفضل ما قال الله ﷻ ﴿ل﴾: حرف تخصيص ﴿الْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا﴾: سجدوا تحية وتعظيم وليس سجود عبادة ﴿لِآدَمَ﴾: قال الله ﷻ لكل الملائكة؛ اسجدوا لآدم ﷺ؛ الذي خلقته من أديم الأرض ﴿ف﴾: حرف يفيد السبب والتتابع السريع ﴿سَجَدُوا﴾: سجود تشريف، وتكريم، وتعظيم، وليس سجود عبادة؛ فأطاعت الملائكة؛ وفعلوا، وسُجِّلَ ذلك

في كتابهم ﴿الْأَلَاءِ﴾: باستثناء ﴿إِبْلِيسَ﴾: أخذه أصله النَّارِي ﴿كَانَ مِنْ﴾: حرف يفيد بداية الغاية المكانية ﴿الْجَنِّ﴾: فعصى، فهو أصل الجنّ، ولم يكن من الملائكة؛ لأنّ ليس لهم ذرّيّة ولا نسل ﴿فَفَسَقَ﴾: خرج عن الطاعة؛ لأنّه لو كان من الملائكة ما فسق ﴿عَنْ﴾: حرف جرّ يفيد المجاوزة ﴿أَمْرَ رَبِّهِ﴾: فالفسوق خروج الشيء عن حدوده، مثل خروج الفأرة من جحرها، وخروج البلح من أكامه ﴿أَ﴾: حرف استفهام بغرض الإنكار والتعجب والتوبيخ ﴿فَتَتَّخِذُونَهُ﴾: لهذا تعمدونه ﴿وَوَ﴾: أيضًا تعمدون ﴿ذُرِّيَّتَهُ﴾: نسله ﴿أَوْلِيَاءَ﴾: تحبونهم، وتنصرونهم، وتتقربون إليهم من دون الله ﷻ، رغم عصيانهم أوامر الله ﷻ ﴿وَهُمْ﴾: وعطفًا على هذا وتحديدًا ﴿لَكُمْ﴾: تخصيصًا ﴿عَدُوٌّ﴾: هذا تفرّيع ربّانيّ للذين والوا إبليس وقومه وهم أعداء الإنسان ﴿بِئْسَ﴾: ساء، شر وضرر ﴿لِلظَّالِمِينَ﴾: الجبارين في قولهم وعملهم ﴿بِدَلًا﴾: هذا البديل الأسوأ لكم يوم القيامة.

﴿مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُمْ تُخَذِّلِينَ عَصَدَاءَ﴾  
(٥١)

﴿مَا﴾: حرف نفي ﴿أَشْهَدْتُهُمْ﴾: يقول الله ﷻ ما جعلت أولياءهم من الشياطين وأتباعهم من الإنس يشاهدون ﴿خَلْقَ﴾: إيجادًا من غير سابق وجود ﴿السَّمَاوَاتِ﴾: هي ما علا الأرض وأحاط بها، وهي عالم من الأجرام والكواكب، لا يعلمها إلّا الله ﷻ ﴿وَوَ﴾: أيضًا خلق ﴿الْأَرْضِ﴾: كيف خلقت السموات والأرض ﴿وَلَا﴾: ما جعلتهم يشاهدون ﴿خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ﴾: جوهر وجودهم، ولا شاهدوا كيف خلقتهم، فكيف يشهدونها وهم لم يُخلقوا بعد، فقد خلقت كل شيء وحدي ﴿وَمَا﴾: أنفي أنّي ﴿كُنْتُ﴾: ولا أريد مطلقًا ﴿مُتَّخِذَ﴾: معتمدًا ﴿الْمُضِلِّينَ﴾: لم أقرر استخدام الذين يُضلون الخلق عن الحق من الجن، وأعاونهم من الإنس ﴿عَصَدَاءَ﴾: مُساعدين، أو مُعاونين، أو وزراء، أو مستشارين.

التكليف: هذه سنّة الله ﷻ في خلقه، ومنها يتعلم المؤمن ألاّ يستعين بالكفّار، أو اتباع الشيطان، أو اعتماد الفاسدين أعاونًا من الوزراء، والأمراء، والمستشارين، وأمثالهم.

﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا﴾  
(٥٢)

﴿وَيَوْمَ﴾: واذكر للمشركين يوم القيامة ﴿يَقُولُ﴾: الله ﷻ للكافرين ﴿نَادُوا﴾: اطلبوا ﴿شُرَكَائِيَ﴾: الذين عبدتموهم من دوني ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع من ﴿زَعَمْتُمْ﴾: جاء التوبيخ هنا أنّ نادوا عليهم، وليكون النداء على رؤوس الأشهاد؛ توبيخًا للكافرين، نادوا

الذين أشركتم بعبادتهم، وأطعموهم في الدنيا، أطلبوا منهم أن ينقذوكم مما أنتم فيه ﴿ف﴾: حرف يفيد الاستجابة السريعة ﴿دَعَوْهُمْ﴾: جاء اللفظ القرآني "الدعاء" هنا بمعنى القول، قال الذين أشركوا أولياء الدنيا ﴿فَلَمْ﴾: حرف جزم ﴿يَسْتَجِيبُوا﴾: لم يردوا ﴿لَهُمْ﴾: عليهم على الإطلاق ﴿و﴾: حرف جر يفيد الحال ﴿جَعَلْنَا بَيْنَهُمْ﴾: حائلاً مانعاً ﴿مُوبِقًا﴾: قال "ابن عباس": مهلكاً، يشتركون فيه، وقيل وادياً في جهنم، لقد فرّق الله ﷻ بين الفريقين يوم القيامة، وبينهم مهلكة عظيمة.

التكليف: ما سيحدث في الآخرة يحدث بصورة رمزية مصغرة اليوم في الدنيا، فإذا سقط زعيم، أو نظام فاسد؛ انفض عنه أولياؤه، فلا أحد ينصر أحداً، وأصبحوا لبعضهم أعداء.

﴿وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا﴾ (٥٣)

﴿و﴾: عطفاً على ما سبق ﴿رَأَى﴾: شاهد ﴿الْمُجْرِمُونَ﴾: هم الكفار، والذين عصوا، الذين أجزموا في حق الله ﷻ، وحق أنفسهم، إذ أوردوها الهلاك ﴿النَّارَ﴾: التعبير عن المستقبل بلفظ الماضي، والحدث لم يتم بعد، وإنما هو يوم القيامة؛ ليفيد بأن هذا الأمر متحقق الوقوع لا شك فيه؛ عاينوها بأعينهم، وهي تقاد بسبعين ألف زمام، مع كل زمام ألف ملك ﴿ف﴾: حرف يفيد السبب ﴿ظَنُّوا﴾: فتأكدوا، وتيقنوا تمام اليقين ﴿أَنَّهُمْ﴾: هم بالتأكيد ﴿مُوَاقِعُهَا﴾: واقعون فيها حتما سيردونها ﴿وَلَمْ﴾: حرف جزم ينفي الفعل المضارع ﴿يَجِدُوا﴾: يعثروا على وسيلة ﴿عَنْهَا﴾: عن النار ﴿مَصْرِفًا﴾: تأكدوا أنه لا سبيل للهروب أو النجاة. هذا مشهد من مشاهد العذاب، إذ يرى المجرم شكل العقوبة قبل أن تقع؛ فيصاب بحزن، وخوف.

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ (٥٤)

﴿وَلَقَدْ﴾: حرف يفيد تحقق الحدث في الماضي ﴿صَرَّفْنَا﴾: أوضحنا وبيّنا ونوعنا بأساليب عديدة ﴿فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ﴾: لعموم البشر؛ كيلا يضلوا ﴿مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾: تفيد العموم ﴿مَثَلٍ﴾: وضحنا بضرب الأمثال في كل قضية في القرآن الكريم ليتعظوا بها ويؤمنوا ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ﴾: ابن آدم وخاصة الكافر من طباعه ﴿أَكْثَرَ﴾: زيادة ﴿شَيْءٍ﴾: جاءت بصيغة نكرة لتفيد عموم الأشياء ﴿جَدَلًا﴾: من طبيعته كثرة الخصام والجدال؛ حتى في الحقائق؛ لمضيعة الوقت، والجهد؛ وللتضليل.

﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأُولَىٰ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا﴾ (٥٥)



﴿وَمَا﴾: حرف نفي ﴿مَنْعَ النَّاسِ﴾: إن الذي حال بين النَّاس وبين الرسل منذ الأزل ﴿أَنْ﴾: حرف يفيد تأكيد الفعل ﴿يُؤْمِنُوا﴾: أن يُصَدِّقُوا ﴿إِنْ﴾: حيث تأكد لهم وبعد أن ﴿جَاءَهُمْ﴾: وصلهم وعرفوا ﴿الْهُدَى﴾: جاءهم الرسول ومعه القرآن الكريم، كتاب الله ﷺ دالٌّ وبراهين قاطعة على توحيد الله ﷻ، ﴿و﴾: حرف جرٌّ يفيد الحال ﴿يَسْتَغْفِرُوا﴾: يطلبوا الغفران من ﴿رَبِّهِمْ﴾: مالك أمرهم كله ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء أي بسبب طلبهم وتعنتهم ﴿أَنْ﴾: حرف تحقق الفعل ﴿تَأْتِيهِمْ﴾: تحل بهم ﴿سُنَّةٌ﴾: قوانين ربّانية جرت في ﴿الْأَوَّلِينَ﴾: طلبوا أن يُشاهدوا العذاب الذي نزل في الأمم الكافرة السابقة الذين وعدوا به، وأن يأخذهم العذاب، طلبوه تحديًا لأنبيائهم ودعاتهم السابقين عليهم ﴿أَوْ﴾: حرف يفيد التسوية ﴿يَأْتِيهِمْ﴾: يصيبهم ﴿الْعَذَابُ قُبْلًا﴾: أن يروا العذاب عيانًا، كما حدث مع أسلافهم، لأنهم يشكون فيما أخبرهم الرسل.

التكليف: هذا المنهج مستمرٌ منذ القدم، وبخاصة في هذه الأيام؛ فإن جاء من يقول إن الإسلام سيدخل كل بيتٍ بعزٍّ عزيزٍ أو بذلٍّ ذليلٍ، وإذا قيل لهم سيتم تدمير الكيان الصهيوني—مثلاً— في فلسطين؛ قالوا كيف؟ أرونا هذا كيف؟

﴿وَمَا تُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيَجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُؤًا﴾ (٥٦)

﴿وَمَا﴾: حرف نفي ﴿تُرْسِلُ﴾: نبعث ﴿الْمُرْسَلِينَ﴾: الرسل من عند الله ﷻ إلى النَّاسِ عمومًا ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء منقطع، بمعنى ليكونوا ﴿مُبَشِّرِينَ﴾: يبشرون، والبشرى هي ما يسرُّ ويُفرح المؤمنين الذين صدّقوهم، وآمنوا بما جاؤوا به من عند الله ﷻ، بشرى المغفرة، والنصر، والجنة لأهل الإيمان والعمل الصالح ﴿و﴾: أيضًا نرسلهم ﴿مُنذِرِينَ﴾: مخوفين ومحدّرين الذين كذبوا رسلهم ﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿يَجَادِلُ﴾: يحاور ويناور ويكذب ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ ﴿كَفَرُوا﴾: وهذا منهج المكذّبين أصحاب النار في الدنيا ﴿بِالْبَاطِلِ﴾: يستخدمون الكذب والدجل والحيل اللفظية ﴿ل﴾: حرف علّة وسببٌ أن ﴿يُدْحِضُوا﴾: يُبطلوا، ويُزيلوا، ويُضعفوا ﴿بِهِ الْحَقَّ﴾: حجة الحق؛ فلا يُصدّقهم النَّاسُ، ويصرفوا مَنْ آمن عن الإيمان ﴿وَاتَّخَذُوا﴾: أيضًا اعتمدوا ورضوا أن تكون ﴿آيَاتِي﴾: واستخدموا آيات الله ﷻ البيّنات والبراهين، وخوارق العادات، ﴿وَمَا﴾: الذي ﴿أُنذِرُوا﴾: حذّروا منه وما ذكر الرسل عليهم السلام، من الجنة والنار ﴿هُزُؤًا﴾: استهزاءً، واستخفوا، وسخروا منهم، وكذبوهم أشدّ تكذيب في الآيات والدلائل.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ دُكِّرَ بآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آدَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾ (٥٧)

﴿وَمَنْ﴾: سؤال استفهام خرج عن معناه الحقيقي ليفيد النفي، بمعنى لا يوجد من هو  
﴿أَظْلَمُ﴾: من هم الذين أشدَّ ظلمًا؟ لا يوجد من هو أظلم ﴿مِمَّنْ﴾: من الذي، وهو هنا  
الإنسان ﴿دُكِّرَ﴾: الذين عُرضت عليهم ﴿بِآيَاتِ﴾: براهين ﴿رَبِّهِ﴾: آيات الله ﷻ، واضحة،  
عن الحقوق والواجبات، والطيب، والفساد، والمسموح، والممنوع ﴿فَ﴾: حرف يفيد السبب  
﴿أَعْرَضَ﴾: قاطع وابتعد ﴿عَنْهَا﴾: وأدار لها ظهره، وتناساها، ولم يرغب في سماعها ﴿وَ﴾:  
أيضًا ﴿نَسِيَ﴾: لم يتذكر ﴿مَا﴾: الذي ﴿قَدَّمَتْ﴾: عملت ﴿يَدَاهُ﴾: نسي وتناسى الأعمال  
السيئة، والأفعال القبيحة التي ارتكبها ﴿إِنَّا﴾: هو الله ﷻ، وجاءت بصيغة الجمع للتعظيم  
﴿جَعَلْنَا﴾: هيأنا ووضعنا ﴿عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾: ومفردا كنان؛ هي أغلفة وأغطية لقد غطى  
الله ﷻ قلوب هؤلاء الكفار ﴿أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿يَفْقَهُوهُ﴾: فلم يفهموا، ولم يستوعبوا  
هذا القرآن الكريم ﴿وَ﴾: حرف جر يفيد الحال؛ جعل الله ﷻ ﴿فِي آدَانِهِمْ﴾: مراكز السمع  
﴿وَقْرًا﴾: عطل الله ﷻ سمعهم، صممًا معنويًا، وليس عضويًا؛ حتى يبقوا على ضلالتهم  
﴿وَإِنْ﴾: حرف شرط ﴿تَدْعُهُمْ﴾: يطلب منهم أن يأتوا ﴿إِلَى الْهُدَى﴾: إلى الإيمان ﴿فَلَنْ﴾:  
حرف نفي ﴿يَهْتَدُوا﴾: يؤمنوا ﴿إِذَا﴾: حرف جزاء وجواب ﴿أَبَدًا﴾: دون انقطاع مهما تكلم  
الرسول ﷺ أو الدعاة في أي زمان معهم؛ لن يهتدوا.

التكليف: قد يظن أحد أن الله ﷻ منع عنهم الهداية؛ فكيف سيحاسبهم بعد ذلك، ولكن الله  
ﷻ يعلم منذ كتب كتاب أعمالهم، أن هذا الصنف لن يؤمن، فأخبر رسله، وأحبابه ألا تذهب  
أنفُسهم عليهم حسرات.

﴿وَرَبِّكَ الْعَفْوَ نُورُ الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَلْ لَهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا  
مِنْ دُونِهِ مَوْئِلًا﴾ (٥٨)

﴿وَ﴾: حرف جر يفيد الحال ﴿رَبِّكَ﴾: هو المعبود الحق، والمُرَبِّي، مالك أمرك كله ﴿الْعَفْوَ﴾:  
المسامح لذنوب عباده إذا تابوا ﴿دُو﴾: صاحب ﴿الرَّحْمَةِ﴾: الواسعة، ﴿لَوْ﴾: حرف يفيد  
الاستحالة ﴿يُؤَاخِذُهُمْ﴾: يحاسب هؤلاء المعرضين عن آياته، ويعاقبهم ﴿بِمَا﴾: اسم موصول  
هنا بمعنى الذي ﴿كَسَبُوا﴾: اقترفوا وعملوا من جرائم ﴿لَ﴾: حرف سبب ﴿عَجَلْ﴾: لسرع  
﴿لَهُمْ﴾: تخصيصًا ﴿الْعَذَابَ﴾: عذابهم في الدنيا، ولكنه يؤجله حتى يعودوا ويتوبوا؛ ليستر  
عليهم ويهديهم ﴿بَلْ﴾: حرف ينفي ما قبله؛ ويؤكد ما بعده ﴿لَهُمْ﴾: تخصيصًا ﴿مَوْعِدٌ﴾: لكل

واحد منهم نهاية؛ بموته في مكان وزمان، وللجميع موعد يوم القيامة ﴿لَنْ﴾: حرف نفي ﴿يَجِدُوا مِنْ﴾: حرف تمييز ﴿ذُونِهِ﴾: غيره ﴿مُؤْتَلًّا﴾: لن يجدوا لهم ملجأ، أو منجى، أو مخلصًا، سيأتيهم يومهم لا محالة، ولن يجدوا عنه محيصًا ولا ملجأ، ولا تأجيلًا، ولا إلغاء.

﴿وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا﴾ (٥٩)

﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿تِلْكَ﴾: اسم إشارة للجمع المؤنث ﴿الْقُرَى﴾: هذه الأمم السابقة التي كفرت، مثل قري قوم "نوح"، وقوم "عاد، وثمود"، وغيرهم ﴿أَهْلَكْنَاهُمْ﴾: جاء لفظ الهلاك هنا بمعنى شدة العذاب؛ وجاءت بصيغة الجمع لبيان شدة عذابهم وهلاكهم ﴿لَمَّا﴾: حرف يدلُّ على ما مضى ﴿ظَلَمُوا﴾: بسبب ظلمهم، وشركهم؛ فإن الشرك ظلمٌ عظيمٌ ﴿وَجَعَلْنَا﴾: حددنا ﴿ل﴾: حرف علّةٍ وسببٍ ﴿مَهْلِكِهِمْ﴾: زوالهم بالكامل ﴿مَوْعِدًا﴾: تأجيل عقابهم بالهلاك إلى أجل معلوم؛ لا يزيد ولا ينقص.

التكليف: هذه الآيات مواعظ للأجيال الحالية والقادمة، كما كانت تحذيرًا للأجيال السابقة، فالذين كذبوا أعظم رسول ﷺ أبيدوا، ولستم أيها الناس في أي جيل أقوى ولا أكبر ممن سبقوكم.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ (٦٠)

عن سعيد بن جبير، قال: قلت لابن عباس: إن نوحًا الكالبي يزعم أن موسى صاحب الحضر، ليس هو موسى صاحب بني إسرائيل، فقال ابن عباس: كذب عدو الله، حدثني أبي بن كعب: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: "إن موسى قام خطيبًا في بني إسرائيل، فسئل: أيُّ الناس أعلم، فقال: أنا، فعتب الله عليه إذ لم يزد العلم إليه، فأوحى الله إليه إن لي عبدًا بمجمع البحرين هو أعلم منك، قال موسى: يا رب فكيف لي به، قال: تأخذ معك حوتًا فتجعلهُ في مكثل، فحيثما فقدت الحوت فهو، ثم فأخذ حوتًا فجعله في مكثل، ثم انطلق وانطلق معه بفتاه يوشع بن نون، حتى إذا أتيا الصخرة وضعا رؤوسهما فناما، واضطرب الحوت في المكثل، فخرج منه فسقط في البحر، ﴿فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا﴾ [الكهف-٦١]، وأمسك الله عن الحوت جرية الماء، فصار عليه مثل الطاق، فلما استيقظ نسي صاحبه أن يخبره بالحوت، فانطلقا بغيّة يومهما وليلتئهما حتى إذا كان من الغد، قال موسى ﴿لِقَتَاهُ إِنَّا عَدَاءُ نَا لِقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾ [الكهف-٦٢]، قال: ولم يجد موسى النصب حتى جاوز المكان الذي أمر الله به، فقال له فتاه: ﴿أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾، قال: فكان للحوت سربًا،

وَلَمُوسَى وَلِفَتَاهُ عَجَبًا، فَقَالَ مُوسَى: ﴿ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِي فَاذْتَدَا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾، قَالَ: رَجَعَا يُقْصَانِ آثَارَهُمَا حَتَّى انْتَهَيَا إِلَى الصَّخْرَةِ، فَإِذَا رَجُلٌ مُسَجَّى ثَوْبًا فَسَلَّمَ عَلَيْهِ مُوسَى، فَقَالَ الْخَضِرُ: وَأَنْتَى بِأَرْضِكَ السَّلَامُ، قَالَ: أَنَا مُوسَى، قَالَ: مُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ؟ قَالَ: نَعَمْ، أَتَيْتُكَ لِتُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رَشَدًا، قَالَ: ﴿إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾، يَا مُوسَى إِنِّي عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ عَلَّمَنِيهِ لَا تَعْلَمُهُ أَنْتَ، وَأَنْتَ عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ عَلَّمَكُهُ اللَّهُ لَا أَعْلَمُهُ، فَقَالَ مُوسَى: ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا، وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ [الكهف-69]، فَقَالَ لَهُ الْخَضِرُ: ﴿فَإِنْ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحَدِّثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ [الكهف-70]، فَاذْتَدَا يَمْشِيَانِ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ فَمَرَّتْ سَفِينَةٌ فَكَلَّمُوهُمْ أَنْ يَحْمِلُوهُمْ، فَعَرَفُوا الْخَضِرَ فَحَمَلُوهُمْ بِغَيْرِ نَوْلٍ، فَلَمَّا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ لَمْ يَفْجَأْ إِلَّا وَالْخَضِرُ قَدْ قَلَعَ لَوْحًا مِنْ أَلْوَابِ السَّفِينَةِ بِالْقَدُومِ، فَقَالَ لَهُ مُوسَى: قَوْمٌ قَدْ حَمَلُونَا بِغَيْرِ نَوْلٍ عَمَدْتَ إِلَى سَفِينَتِهِمْ فَخَرَقْتَهَا ﴿لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾، قَالَ: وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: وَكَانَتِ الْأُولَى مِنْ مُوسَى نَسِيَانًا، قَالَ: وَجَاءَ عَصْفُورٌ فَوَقَعَ عَلَى حَرْفِ السَّفِينَةِ فَنَقَرَ فِي الْبَحْرِ نَقْرَةً، فَقَالَ لَهُ الْخَضِرُ: مَا عَلِمِي وَعَلِمُكَ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ إِلَّا مِثْلُ مَا نَقَصَ هَذَا الْعَصْفُورُ مِنْ هَذَا الْبَحْرِ، ثُمَّ خَرَجَا مِنَ السَّفِينَةِ فَبَيْنَا هُمَا يَمْشِيَانِ عَلَى السَّاحِلِ إِذْ أَبْصَرَ الْخَضِرُ غُلَامًا يَلْعَبُ مَعَ الْغُلَمَانِ، فَأَخَذَ الْخَضِرُ رَأْسَهُ بِيَدِهِ فَأَقْلَعَهُ بِيَدِهِ فَقَتَلَهُ، فَقَالَ لَهُ مُوسَى: ﴿أَقْتَلْتُ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾. ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ قَالَ: وَهَذِهِ أَشَدُّ مِنَ الْأُولَى، قَالَ: ﴿إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي، قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا، فَاذْتَدَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّقُوهُمَا، فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ﴾ [الكهف-77] قَالَ: مَا نِلَّ فَقَامَ الْخَضِرُ فَأَقَامَهُ بِيَدِهِ، فَقَالَ مُوسَى: قَوْمٌ أَتَيْنَاهُمْ فَلَمْ يُطْعَمُونَا وَلَمْ يُضَيِّقُونَا، ﴿لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ [الكهف-77]، قَالَ: ﴿هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾ [الكهف-78] إِلَى قَوْلِهِ: ﴿ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف-82] فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: وَدِدْنَا أَنْ مُوسَى كَانَ صَبْرًا حَتَّى يُعَصَّ اللَّهُ عَلَيْنَا مِنْ حَبْرِهِمَا " قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: فَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَقْرَأُ ﴿وَكَانَ أَمَامَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ صَالِحَةٍ غَضَبًا﴾ وَكَانَ يَقْرَأُ: ﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ كَافِرًا وَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

(١) صحيح البخاري ٨٨/٦ (٤٧٢٥).

﴿وَأَدَّ﴾: اسمٌ مبني على السكون يدل على ما مضى من الزمن واذكر حين ﴿قَالَ مُوسَى ل﴾: حرف تخصيص ﴿فَتَأَهُ﴾: هو "يوشع بن نون"، ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿أَبْرَحُ﴾: لا أزال مستمرًا في السير ﴿حَتَّى﴾: حرف جرّ يدلُّ على انتهاء الغاية الشرطية، أي لن يُصدقوا إلا بشرط أن ﴿أَبْلَغُ﴾: أصل إلى ﴿مَجْمَعُ﴾: ملتنى ﴿الْبَحْرَيْنِ﴾: فلما وصلا هناك جلسا عند صخرة، قال "قتادة" وغيره: هما بحر "فارس" في الشرق، و"بحر الروم" مما يلي المغرب، وقال "محمد بن كعب": عند "طنجة" في أقصى بلاد "العرب، الأول بين الخليج العربي "فارس" وبين البحر المتوسط، والثاني بين "إسبانيا" والمغرب العربي؛ والله أعلم ﴿أَوْ﴾: حرف يفيد التقسيم والتسوية بين شيئين ﴿أَمْضِي﴾: أي ولو سرت ﴿حُقُبًا﴾: فترة طويلة من الزمن، قال "عبد الله بن عمر": الحقبة ثمانون سنة، وقال "مجاهد": سبعون خريفًا، وقال "ابن عباس": مدة من الزمن مبهمة.

﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا﴾ (٦١)

﴿فَلَمَّا﴾: حرف يفيد التتابع والسبب ﴿بَلَغَا﴾: عندما وصل موسى ﷺ، و"يوشع بن نون" ﴿مَجْمَعَ﴾: ملتنى ﴿بَيْنَهُمَا﴾: إلى مجمع البحرين، كان مع "يوشع" كيسٌ فيه سمكةٌ كبيرةٌ "حوتًا" ﴿نَسِيَا﴾: نسي أي "موسى ويوشع بن نون" عليهما السلام ﴿حُوتَهُمَا﴾: نسي الاثنان السمكة وقد قيل له إذا فقدت الحوت؛ فستجد الرجل ضالتك، سقط الحوت من الكيس "المكتل" وقيل أحياه الله ﷻ، فجرى إلى البحر ﴿ف﴾: حرف يفيد السبب والسرعة في التنفيذ ﴿اتَّخَذَ﴾: سلك ﴿سَبِيلَهُ﴾: طريقه ﴿فِي الْبَحْرِ سَرَبًا﴾: طريقًا أو مسلًا.

﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾ (٦٢)

﴿فَلَمَّا﴾: حرف يفيد التتابع والسبب ﴿جَاوَزَا﴾: ابتعد الاثنان عن مكان سقوط الحوت منهما ﴿قَالَ﴾: "موسى" ﷺ ﴿لِفَتَاهُ﴾: "يوشع بن نون" ﴿آتِنَا﴾: أحضر وجهز لنا ﴿غَدَاءَنَا﴾: شعر موسى ﷺ، بالجوع؛ فطلب الطعام ﴿لَقَدْ﴾: حرف إثبات ما حدث أقوى ما يكون في الماضي والمضارع، ولا تفيد في المستقبل ﴿لَقِينَا﴾: عانينا وكابدنا، واللقاء هو مقابلة الشيء ومصادفته معًا، وملاقة الله ﷻ؛ عبارة عن القيامة، والمصير ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ وبيان لتمييز النوع يفيد هنا ابتداء الغاية المكانية ﴿سَفَرِنَا هَذَا﴾: اسم إشارة للمفرد المذكر ﴿نَصَبًا﴾: لقد أصابنا من سيرنا تعب وجوع.

﴿قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾ (٦٣)

﴿قَالَ﴾: القائل هو الفتى "يوشع بن نون" ﴿أ﴾: حرف استفهام بغرض الاستغراب والتعجب  
﴿رَأَيْتَ﴾: هل تذكر، أخبرني، أو ذكرني ﴿إِذْ﴾: حرف علة يدل على ما مضى من الزمن  
جاءت بمعنى حين ﴿أَوَيْنَا﴾: عندما نزلنا والتجأنا ﴿إِلَى الصَّخْرَةِ﴾: بجوار الصخرة؛ للراحة  
﴿فَأَنبَى﴾: أنا بالتأكيد ﴿نَسِيتُ الْحَوْتَ﴾: فقدت الحوت وسقط من الجراب من المكنل ﴿وَمَا﴾:  
حرف نفي ﴿أَنسَانِيَهُ﴾: جعلني أنساه ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿الشَّيْطَانُ﴾: إن الذي أنساني  
وأفقدني للحوت هو الشيطان ﴿أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿أَذْكُرُهُ﴾: أن أتذكر وأقول لك أننا  
فقدنا الحوت ﴿وَاتَّخَذَ﴾: سلك واعتمد ﴿سَبِيلَهُ﴾: طريقه ﴿فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾: ودخلت السمكة  
البحر بطريقة عجيبة.

﴿قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبِغُ فَازْتَدَا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ (٦٤)

﴿قَالَ﴾: موسى ﷺ ﴿ذَلِكَ﴾: ما حصل وهو فقدان الحوت في هذا المكان ﴿مَا﴾: هو الذي  
﴿كُنَّا﴾: في السابق ﴿نَبِغُ﴾: قال موسى ﷺ هذا ما كنا نريده ونطلبه فإنه علامة لي على  
مكان العبد الصالح ﴿ف﴾: حرف يفيد السبب والتتابع السريع ﴿ازْتَدَا﴾: رجعا ﴿عَلَى﴾  
﴿آثَارِهِمَا﴾: على آثار خطواتها السابقة ﴿قَصَصًا﴾: فرجعا على آثار أقدامهما يقصون الأثر،  
حتى لا يضلوا عن الطريق.

﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتِيَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ (٦٥)

﴿فَوَجَدَا﴾: عثرا ولقيا ﴿عَبْدًا﴾: هو الخضر" ﷺ، جاء بصيغة عبد نكرة لتفيد التخصيم  
﴿مِنْ﴾: حرف جرّ وبيان لتمييز النوع يفيد هنا ابتداء الغاية المكانية ﴿عِبَادِنَا﴾: هنا نسبة  
العبد لله ﷻ للتشريف، وجدا الرجل الذي وصفه الله ﷻ بعبد من عباده الصالحين عندها  
عرّف موسى ﷺ عن نفسه، فسأله "الخضر": هل أنت موسى رسول بني إسرائيل؟ قال نعم  
﴿آتِيَاهُ﴾: وهبه الله ﷻ شيئا عظيما؛ لأنها جاءت بصيغة الجمع ﴿رَحْمَةً﴾: هي الرسالة  
والنبوة، وقيل هي النعمة التي أنعم الله ﷻ بها عليه ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ وبيان لتمييز النوع  
يفيد هنا ابتداء الغاية المكانية وتفيد هنا المصدر ﴿عِنْدِنَا وَ﴾: أيضا ﴿عَلَّمْنَاهُ﴾: جاءت  
بصيغة الجمع والله واحد أحد لتعظيم الفعل وهو تعليم "موسى" ﷺ ﴿مِنْ لَدُنَّا﴾: من عند  
الله ﷻ، وجاءت بصيغة الجمع وهو واحدٌ أحدٌ؛ للتعظيم ﴿عِلْمًا﴾: كان علم "الخضر"  
ليس معلوماً لموسى ﷺ، ولا للناس؛ فذهب إليه "موسى" ﷺ؛ ليتعلم من علوم الله ﷻ؛  
فالعلم يُؤتى ولا يأتي.

التكليف: أينما كان العلم النافع فلا بد من الذهاب إليه، فالعلم يُؤتى ولا يأتي.

﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَيْتُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا﴾ (٦٦)

﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ﴾: استأذن موسى ﷺ ﴿أَتَيْتُكَ﴾: سؤال تلطف، بلا إلزام أو إجبار، أن أكون تابعًا لك، هل أصاحبك أو أرافقك؟ ﴿عَلَى﴾: بحيث، من أجل ﴿أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿تُعَلِّمَنِي مِمَّا﴾: حرف يعني بعضًا أو جزءًا ﴿عَلَّمْتَ﴾: أطلب أن تعلمني مما علمك الله ﷻ ﴿رُشْدًا﴾: استرشد به في حياتي، علمًا نافعًا، وعملاً صالحًا.

﴿قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ (٦٧)

﴿قَالَ﴾: الخضر ﷻ ﴿إِنَّكَ﴾: أنت بالتأكيد يا "موسى" ﴿لَنْ﴾: حرف نفي ﴿تَسْتَطِيعَ﴾: لا تقدر أو تطيق ﴿مَعِيَ﴾: ما أبذله وأقوله ﴿صَبْرًا﴾: أن تصبر على مصابحتي؛ لأنك ما ستراه مني أفعالًا تخالف طباعك وشريعتك؛ لأن علمي من الله ﷻ لم يُعَلِّمك إياه، كما أن الله علمك علمًا لم يعلمني إياه، فكلنا مكلف من الله ﷻ بغير ما كلفه الآخر، ويعضد بعضنا بعضًا.

﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾ (٦٨)

قال "الخضر" ﷻ: ﴿و﴾: حرف جرٍ يُفيد هنا الاستئناف ﴿كَيْفَ﴾: حرف استفهام يفيد النفي، أي لن ﴿تَصْبِرُ﴾: أنا أعلم أنك ستترك عليّ أعمالتي، ولن تصبر ﴿عَلَىٰ مَا﴾: الذي ﴿لَمْ﴾: حرف نفي ﴿تُحِطُ﴾: لم تطلع على حقيقته، وما اطلعت أنا عليه من قبل، ولا تعلم أين الصواب فيه؛ لأن معايير الحكم على الأمور عندك مختلفة ﴿بِهِ خُبْرًا﴾: علمًا؛ ومعرفة لم يخبرك به الله ﷻ.

﴿قَالَ سَتَجِدُنِي إِنِ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ (٦٩)

﴿قَالَ﴾: موسى ﷻ، للعبد الصالح ﴿س﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿تَجِدُنِي﴾: تجد مني ﴿إِنِ﴾: حرف شرط ﴿شَاءَ﴾: أراد ﴿اللَّهُ صَابِرًا﴾: سأصبر على ما أراه من أمورك ﴿وَلَا﴾: حرف نفي ﴿أَعْصِي﴾: أخالف ﴿لَكَ﴾: تحديدًا ﴿أَمْرًا﴾: لا أخالفك في أمر، ولا أرفض تنفيذه.

﴿قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحَدِّثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ (٧٠)

﴿قَالَ﴾: فوافق العبد الصالح على ذلك وقال له: ﴿فَإِنِ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿اتَّبَعْتَنِي﴾: إذا صاحبنتي ﴿فَلَا﴾: أداة نهى تفيد طلب عدم الفعل ﴿تَسْأَلْنِي﴾: تستفسر مني ﴿عَنْ﴾: حرف جر يفيد المجاوزة عما تشاهده من أفعالي المخالفة والتي تُنكرها ﴿شَيْءٍ﴾: جاءت نكرة لتفيد العموم لا تسأل عن أي شيء ﴿حَتَّىٰ﴾: حرف جرٍ يدلُّ على انتهاء الغاية الشرطية، أي لن

يُصدقوا إلا بشرط أن ﴿أُحْدِثُ﴾: أُبَيِّنُ لَكَ ما خفي عليك دون سؤالٍ منك. تسأل عن أفعالي؛ حتى أُبَيِّنَ لَكَ ما خفي عليك دون سؤالٍ منك.

﴿فَأَنْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِمْرًا﴾  
(٧١)

ذهب موسى، والخضر إلى الشاطئ، وتعرّف أصحابُ السفينة على الخضر عليه السلام؛ فاستجابوا لطلبه، وركب الاثنان؛ عندها نزل عصفورٌ على السفينة، وأخذ قطرةً من الماء، ثم طار، قال الخضر: ما علمي وعلمك في علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور من البحر ﴿ف﴾: حرف يفيد هنا سبب التحرك بسرعة ﴿أَنْطَلَقَا﴾: سارا في طريقهما فمرت بهما سفينة؛ فطلبا من أصحابها أن يركبا معهم ﴿حَتَّى﴾: حرفٌ جرٌّ يدلُّ على انتهاء الغاية الشرطية، أي لن يُصدقوا إلا بشرط أن ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يُستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط ما بعدها بما قبلها ﴿رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ﴾: ركب الاثنان في السفينة، سارت السفينة في البحر، فأخذت تدخل في العمق ﴿خَرَقَهَا﴾: قام الخضر عليه السلام، باستخراج لوحٍ منها، ثم رقعها وقد يكون برفع لوحٍ من أعلى جانبها ﴿قَالَ﴾: موسى عليه السلام ﴿أ﴾: حرف استفهام بغرض الاستنكار ﴿خَرَقْتَهَا ل﴾: حرف علّة وسبب ﴿تُغْرِقُ﴾: تُسبب غرق ﴿أَهْلَهَا﴾: قال "موسى" مستغرباً: لقد نزعت اللوح من السفينة؛ فيكون عاقبة ذلك إغراق أصحابها، ولم يقصد أن الخضر عليه السلام أراد خرقها؛ ليغرق ركابها ﴿لَقَدْ﴾: حرف إثبات ما حدث أقوى ما يكون في الماضي والمضارع، ولا تفيد في المستقبل ﴿جِئْتُمْ﴾: عملت ﴿شَيْئًا إِمْرًا﴾: لقد عملت شيئاً قال "مجاهد": مُنْكَرًا، وقال "قتادة": عَجَبًا.

التكليف: إنّ الحكمة من هذه القصة أنّ الله تعالى أطع "الخضر" على هذه الوسيلة، أن يعيب السفينة دون أن تغرق؛ حتى لا يأخذها الملك الظالم، وبذلك ينتفع بها الفقراء الأيتام، ولم يكن يرغب في إغراقها، أو إتلافها.

﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ (٧٢)

﴿قَالَ﴾: الخضر عليه السلام ﴿أَلَمْ﴾: أداة استفهام بغرض إنكاري ﴿أَقُلْ﴾: لقد قلت لك من أول الأمر ﴿إِنَّكَ﴾: أنت بالتأكيد لقد اشتراطت عليك ألا تسألني حتى أقول لك ﴿لَنْ﴾: حرف نفي ﴿تَسْتَطِيعَ﴾: الاستطاعة والقدرة ﴿مَعِيَ﴾: في صحبتي ﴿صَبْرًا﴾: لا تستطيع الصبر على ما أقوم به فقد فعلت ذلك عن قصدٍ لا تعلمه أنت.

﴿قَالَ لَا تَأْخُذْ بِمَا نَسِيتُ وَلَا تَزَهِّقْنِي مِنْ أَمْرِي عَسْرًا﴾ (٧٣)



﴿قَالَ﴾ "موسى" ﷺ ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿تَوَاحِدُنِي﴾: تلوم علي ﴿بِمَا﴾: اسم موصول هنا بمعنى الذي، بسبب أنني ﴿نَسِيتُ وَلَا﴾: أيضًا هنا نهي ﴿تُرْهَقْنِي﴾: لا تُكَلِّفْنِي مشقة تعليمي منك؛ فتضيق عليّ، ولا تشدد عليّ؛ لأتني نسييت، كانت هذه المخالفة الأولى، من موسى ﷺ، نسيانًا ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ وبيان لتمييز النوع يفيد هنا ابتداء الغاية المكانية ﴿أَمْرِي﴾: شأني ﴿عُسْرًا﴾: صعوبة ومشقة.

﴿فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتَنِي بغيرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾ (٧٤)

قبل العبد الصالح اعتذار موسى ﷺ ﴿ف﴾: حرف يفيد السبب والتتابع السريع ﴿انْطَلَقَا﴾: نزل الاثنان، موسى والخضر، عليهما السلام، من السفينة، إلى قرية من القرى وبينما هما سائران ﴿حَتَّى﴾: حرف جرّ يدلُّ على انتهاء الغاية الشرطية، أي لن يُصدقوا إلا بشرط أن ﴿إِذَا﴾: أداة ربط بين ما بعدها، بما كان قبل ما حدث في السفينة ﴿لَقِيَا﴾: قابلا ﴿غُلَامًا﴾: لم يبلغ الحلم؛ يلعب مع الغلمان، ﴿فَقَتَلَهُ﴾: قام الخضر ﷺ بقتل الغلام دون تأخير، ﴿قَالَ﴾: موسى ﷺ ﴿أ﴾: حرف استفهام بغرض الاستنكار ﴿قَتَلْتَنِي﴾: أزهقت روحًا ﴿نَفْسًا زَكِيَّةً﴾: طاهرة لم ترتكب ذنبًا، من صغار السن ﴿بغيرِ﴾: حرف استثناء، نفسًا بنفسٍ ﴿نَفْسٍ﴾: استغرب "موسى" ﷺ قتل الغلام، بغير ذنب ﴿لَقَدْ﴾: حرف إثبات ما حدث أقوى ما يكون في الماضي والمضارع، ولا تقيد في المستقبل ﴿جِئْتَ﴾: ارتكبت ﴿شَيْئًا﴾: عملاً ﴿نُكْرًا﴾: فعلت فعلاً مُنْكَرًا.

﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ (٧٥)

﴿قَالَ﴾: الخضر ﷺ؛ مُذْكَرًا موسى ﷺ، بشرطه معه ﴿أَلَمْ﴾: أداة استفهام بغرض الاستنكار ﴿أَقُلْ﴾: لقد قلت ﴿لَكَ﴾: أنت تحديدًا جاء اللفظ لك لزيادة التأنيب والتقرع ﴿لَنْ﴾: أنت بالتأكيد ﴿لَنْ﴾: حرف نفي ﴿تَسْتَطِيعَ﴾: تقدر ﴿مَعِيَ صَبْرًا﴾: وهذه المرة الثانية التي يُذْكَر فيها الخضر موسى، عليهما السلام، بهذا الشرط.

﴿قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا﴾ (٧٦)

﴿قَالَ﴾: موسى ﷺ، للعبد الصالح ﴿إِنْ﴾: حرف شرط ﴿سَأَلْتُكَ عَنْ﴾: حرف جرّ يفيد المجاوزة ﴿شَيْءٍ﴾: أي شيء ﴿بَعْدَهَا﴾: إذا اعترضت عليك المرة القادمة ﴿فَلَا تُصَاحِبْنِي﴾: لهذا السبب اتركني، ولا تُصَاحِبْنِي. لقد ضيق موسى ﷺ، على نفسه عندما قال لا تصاحبني بعدها، وقد قال "محمد" ﷺ: "يُرْحَمُ اللَّهُ مُوسَى، لَوَدِدْتُ أَنَّهُ كَانَ صَبْرًا حَتَّىٰ يُعْصَ عَلَيْنَا مِنْ

أَخْبَارِهِمَا" (١) ﴿قَدْ﴾: حرف جرّ دخل هنا على الفعل الماضي فأفاد التأكيد، الصبر على استكراه ثلاث مرات، ﴿بَلَّغْتَ﴾: أدركت ﴿مِنْ لَدُنِّي﴾: من عندي ومَنِّي ﴿عُدْرًا﴾: فلك العذر أن تتركني.

﴿فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ فَاقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ (٧٧)

﴿ف﴾: حرف يفيد السبب والتتابع السريع ﴿انْطَلَقَا﴾: استمر الاثنان في الرحلة دون تأخير على الأرض ﴿حَتَّى﴾: حرف جرّ يدلّ على انتهاء الغاية الشرطية، أي لن يُصدقوا إلا بشرط أن ﴿إِذَا﴾: أداة عطف ما بعدها على ما قبلها ﴿أَتَيَا﴾: وصل الاثنان ﴿أَهْلَ قَرْيَةٍ﴾: إلى قرية أهلها لئام "بخلاء" ﴿اسْتَطَعَمَا﴾: تغيد أنهما طلبا الطعام من ﴿أَهْلَهَا﴾: طلب "موسى والخضر" من أهلها أن يطعماهما؛ يستضيفونهما ﴿فَأَبَوْا﴾: رفضوا ﴿أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿يُضَيِّفُوهُمَا﴾: رفضوا استضافة الخضر وموسى، عليهما السلام، وإطعامهما ﴿فَوَجَدَا﴾: في أحد بيوت القرية ﴿جِدَارًا﴾: حائطاً ﴿يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ﴾: حائطاً مائلاً على وشك السقوط، وجاءت الاستعارة؛ لأنّ الجدار متهالك؛ كأنه يريد أن يقع ﴿فَاقَامَهُ﴾: بناه "الخضر"، ومنع سقوطه، ودعمه بأعمدة، وهذا عمل شاق؛ فلم يأت ذكر إعادة البناء ﴿قَالَ﴾: موسى للخضر، عليهما السلام ﴿لَوْ﴾: حرف يفيد الاستحالة فالخضر لا يعمل هنا بأجرٍ ﴿شِئْتَ﴾: إذا أردت ﴿ل﴾: حرف اللام يفيد السبب ﴿اتَّخَذْتَ عَلَيْهِ﴾: على بناء الجدار ﴿أَجْرًا﴾: لماذا لم تأخذ أجراً على إصلاح الجدار؛ فقد رفضوا إطعامنا، وقمت لهم بعملٍ كبيرٍ مجاناً.

﴿قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَنِي وَبَيْنِكَ سَائِبُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ (٧٨)

﴿قَالَ﴾: الخضر عليه السلام ﴿هَذَا﴾: بسبب اعتراضك على أنني لم آخذ الأجر على بناء الجدار، هنا ﴿فِرَاقُ﴾: مباحدة وافتراق ﴿بَنِي وَبَيْنِكَ﴾: بناءً على موافقتك على شرطي ألا تصاحبني إذا سألتني مرة أخرى بعد خرق السفينة وقتل الغلام ﴿س﴾: حرف يفيد تأكيد الفعل وهو هنا ﴿أُنْبِئُكَ﴾: أخبرك ﴿بِتَأْوِيلِ﴾: تفسير ومأل وعاقبة ﴿مَا﴾: الذي ﴿لَمْ﴾: حرف نفي ﴿تَسْتَطِعْ﴾: الذي لم تقدر ﴿عَلَيْهِ صَبْرًا﴾: أن تصبر عليه دون سؤال.

﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ (٧٩)

(١) صحيح مسلم ١٨٤٩/٤ (٢٣٨٠).

﴿أَمَّا﴾: حرف استفتاح سألداً ﴿السَّفِينَةَ﴾: التي خرقتها الخضر عليه السلام، ﴿ف﴾: حرف سبب  
﴿كَانَتْ﴾: في الماضي ﴿ل﴾: حرف تملك، أي كان يملكها ﴿مَسَاكِينَ﴾: لأناسٍ محتاجين،  
لا يملكون ما يكفيهم، ويسدُّ حاجتهم، وقيل أيتام ﴿يَعْمَلُونَ﴾: يشتغلون بالصيد ﴿فِي الْبَحْرِ﴾:  
من البحر ﴿ف﴾: حرف يفيد هنا السبب ﴿أَرَدْتُ﴾: رغبت ﴿أَنْ﴾: تأكيد الفعل ﴿أَعْيَبَهَا﴾: أن  
أجعلها غير صالحة للاستعمال، والعيب هو الأمر الذي يصير به الشيء عيبة أي مقراً  
للنقص، وعيبته أي جعلته معيباً ﴿و﴾: حرف جرٍ يفيد الحال ﴿كَانَ﴾: فيما مضى  
﴿وَرَاءَهُمْ﴾: أمامهم وبين أيديهم ﴿مَلِكٌ﴾: كانت السفن تمرُّ على عمال ملكٍ ظالمٍ يدعى هَدَد  
بن بَدَدٍ ﴿يَأْخُذُ﴾: يستولي على ﴿كُلِّ﴾: تفيد عموم السفن ﴿سَفِينَةٍ غَضَبًا﴾: يستولي استلاباً  
على كلِّ سفينةٍ صالحةٍ رغماً عن أصحابها.

﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنِينَ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهَقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ (٨٠)

﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿أَمَّا الْغُلَامُ﴾: وعن الغلام الذي قتله العبد الصالح، وكان في علم  
الله ﷻ كافرًا، وكان أبواه مؤمنين. عن أبي بن كعبٍ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ  
﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنِينَ﴾ "وَكَانَ طَبِيعَ يَوْمٍ طَبِيعَ كَافِرًا"<sup>(١)</sup> ﴿ف﴾: حرف يفيد السبب  
﴿كَانَ أَبَوَاهُ﴾: أمه وأبوه ﴿مُؤْمِنِينَ﴾: أراد الله ﷻ أن يحمي الأبوين المؤمنين من فتنة الابن  
الكافر؛ فيكفرا، فكان موثقه خيرًا لهما ﴿فَخَشِينَا﴾: خفنا، وتوجسنا، كان هذا قول الخضر ﴿أَنْ  
يُرْهَقَهُمَا﴾: يتعبهما؛ ويثقل عليهما ﴿طُغْيَانًا﴾: ظلمًا وتجاوزًا للحق ﴿و﴾: حرف جرٍ يفيد  
الحال؛ خشينا أن يرهقهما ﴿كُفْرًا﴾: حبًّا فيه؛ فيأخذهما إلى الكفر؛ فيخسرا.

﴿فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاءً وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ (٨١)

﴿ف﴾: لهذا السبب ﴿أَرَدْنَا﴾: كانت هذه رغبة الخضر، وهي إرادة الله ﷻ ﴿أَنْ﴾: تأكيد  
الفعل أن ﴿يُبَدِّلَهُمَا﴾: أن يعوضهما عنه ﴿رَبُّهُمَا﴾: وهو ﷻ المعبود، والمربي، مالك أمرك كله  
﴿خَيْرًا﴾: أكثر ﴿مِنْهُ﴾: حرف تعليل وتمييز ﴿زَكَاءً﴾: دينًا، واستقامةً، وطهرًا، وإيمانًا ﴿وَأَقْرَبَ  
رُحْمًا﴾: أيضًا إن رحمة أبويه عليه أرحم به من رحمته هو بوالديه، قال "قتادة": يكون أكثر برًّا  
بوالديه، وقال "ابن جريج": لما قتل الخضر الولد كانت أمه حاملًا بغلامٍ مسلمٍ.

التكليف: عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عَجَبًا لِلْمُؤْمِنِ فَوَاللَّهِ لَا يَقْضِي اللَّهُ لِلْمُؤْمِنِ  
قَضَاءً إِلَّا كَانَ خَيْرًا لَهُ»<sup>(٢)</sup>.

(١) سنن أبي داود ٤/٣٦٤ (٤٧٠٨)، وقال الألباني: صحيح.

(٢) مسند الشهاب القضاعي ١/٣٤٨ (٥٩٦).

﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ (٨٢)

﴿و﴾: عطفاً على ما سبق ﴿أَمَّا﴾: حرف استفتاح ﴿الْجِدَارُ فَ﴾: حرف يفيد السبب ﴿كَانَ﴾: ملكاً ﴿ل﴾: حرف تملك ﴿غُلَامَيْنِ﴾: طفلين حدثين ﴿يَتِيمَيْنِ﴾: مات أبوهما، ﴿فِي الْمَدِينَةِ﴾: وهنا يجوز إطلاق اسم المدينة على القرية؛ فقد جاء في الآية [٧٧]: ﴿حَتَّى إِذَا أَتَى أَهْلَ قَرْيَةٍ﴾ ﴿و﴾: حرف جر يفيد الحال ﴿كَانَ تَحْتَهُ﴾: تحت الجدار أو تحت البيت ﴿كَنْزٌ لَهُمَا﴾: ملكهما قال "عكرمة": تحته مالٌ مدفونٌ، وقال "ابن عباس": تحته كنز علم ﴿وَكَانَ﴾: فيما مضى من الزمن ﴿أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾: متبعاً لمنهج الله ﷺ ﴿فَأَرَادَ﴾: شاء ﴿رَبُّكَ﴾: مالك أمرك كله ﴿أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا﴾: يصلان سن البلوغ والنضوج؛ فتشدد قوتها وكمال عقليهما ﴿و﴾: عطفاً على بلوغهما ﴿يَسْتَخْرِجَا﴾: يقومان بإخراج ﴿كَنْزَهُمَا رَحْمَةً﴾: رزقاً وافراً ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ وبيان لتمييز النوع يفيد هنا ابتداء الغاية الكلية ﴿رَبِّكَ﴾: يا محمد، وربُّ كل شيء ﴿وَمَا﴾: حرف نفي ﴿فَعَلْتُهُ عَنْ﴾: حرف جر يفيد المجاوزة ﴿أَمْرِي﴾: رغبتى ﴿ذَلِكَ﴾: إشارة للبعيد الذي قيل هو ﴿تَأْوِيلُ﴾: هذا تفسير ﴿مَا﴾: الذي ﴿لَمْ﴾: حرف نفي ﴿تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾: جاء في الآية [٧٨] "تستطع" ما لم تقدر عليه صبراً حيث كان الانشغال كبيراً؛ لأنّ الأمر كان ثقیلاً على "موسى"، أمّا في هذه الآية جاء اللفظ "تَسْطِعُ" لأنّ الأمر أخف، فقابل الأخف من المهمل بالأخف من اللفظ، ومن المعلوم في اللغة أنه إذا زادت الحروف تعنى زيادة المعنى.

التكليف: المال الحلال لا يفنى ولو بعد أجيالٍ.

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقُرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ (٨٣)

﴿و﴾: حرف جرّ يفيد الحال ﴿يَسْأَلُونَكَ﴾: قول الله ﷻ لنبيه "محمد" ﷺ عن سؤال كفّار مكّة ﴿عَنْ﴾: حرف جرّ يفيد الاتصال والارتباط والتعلق ﴿ذِي﴾: صاحب ﴿الْقُرْنَيْنِ﴾: عن خبر وقصة الرجل الطوّاف، سمي بذلك لأنّه حكم وامتلك بلاد الفرس والروم، وقيل كان في رأسه شبه قرنين، وكان كلمًا مرّ على أمّة كافرة قهرهم، ودعاهم إلى عبادة الله عزّ وجلّ؛ فإنّ أطاعوه تركهم، وإنّ عصوا أذلّهم، واستباح أموالهم وأمتعتهم، وكان يستعين بكلّ أمّة مع جيوشه على قتال الأمم المتاخمة لهم ﴿قُلْ﴾: يا "محمد" ﷺ ﴿س﴾: حرف تأكيد الفعل والقول ﴿أَتْلُو عَلَيْكُمْ﴾: أقص عليكم ﴿مِنْهُ﴾: بالتأكيد عنه ﴿ذِكْرًا﴾: جاء "الذكر" هنا بمعنى "الخبر"

وفي قوله ﷺ ﴿أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا يُذَكِّرُ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرٌ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء- ٢٤]، وفي قوله ﴿لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنْ الْأُولِينَ﴾ [الصافات- ١٦٨].

﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ (٨٤)

﴿إِنَّا﴾: هو الله ﷻ ﴿مَكَّنَّا﴾: جاءت بصيغة الجمع للتعظيم ﴿لَهُذ﴾: لذي القرنين ﴿فِي الْأَرْضِ﴾: آتاه الله ملكًا عظيمًا مُمكنًا بالجنود، وآلات الحرب، ووسائل الحضارات ﴿و﴾: أيضًا ﴿آتَيْنَاهُ﴾: وهبنا له وأعطيناه ﴿مِنْ كُلِّ﴾: تفيد العموم ﴿شَيْءٍ﴾: جاءت بصيغة نكرة لتؤكد العموم ﴿سَبَبًا﴾: علمًا وطريقًا.

﴿فَاتَّبَعَ سَبَبًا﴾ (٨٥)

﴿ف﴾: حرف يفيد السبب ﴿اتَّبَعَ﴾: سلك ﴿سَبَبًا﴾: علمًا وطريقًا؛ يوصله إلى المغرب. وجاء في تفسيرها أيضًا قال "ابن عباس": أتبع السبب المنزل، وقال "مجاهد": منزلًا وطريقًا ما بين المشرق والمغرب، وقال "قتادة": أتبع منازل الأرض ومعالمها، وقال "سعيد بن جبير": علمًا، وقيل معالم وآثار كانت قبل ذلك، والله ﷻ أعلم.

﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ (٨٦)

﴿حَتَّى﴾: حرف جرّ يدلُّ على انتهاء الغاية الشرطية، أي لن يُصدقوا إلا بشرط ﴿إِذَا﴾: حرف يعطف ما بعدها على ما قبلها ﴿بَلَغَ﴾: وصل ﴿مَغْرِبَ الشَّمْسِ﴾: وصل ذو القرنين إلى أقصى مكان في الأرض من جهة الغرب؛ وصل مغرب الأرض؛ أي جهة الغرب ﴿وَجَدَهَا﴾: رأى الشمس رأي العين كأنها ﴿تَغْرُبُ﴾: بحسب رؤية العين تغيب في الأفق، وهو مبلغ النهاية ﴿فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾: الطين الأسود الأملس؛ وجاءت كلمة حَمِئَةٍ في قوله ﷻ ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَآ مَسْنُونٍ﴾ [الحجر- ٢٦]، وفي قوله أيضًا ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَآ مَسْنُونٍ﴾ [الحجر- ٢٨]، وفي قوله ﷻ ﴿قَالَ لَمْ أَكُنْ لَأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَآ مَسْنُونٍ﴾ [الحجر- ٣٣] وقال "ابن عباس": في عين حارة، ولا تعارض بينهما ﴿و﴾: أيضًا ﴿وَجَدَ عِنْدَهَا﴾: عند غروبها ﴿قَوْمًا﴾: أمة من الأمم العظيمة، ﴿قُلْنَا﴾: قول الله ﷻ ﴿يَا﴾: حرف هنا نداء للقريب ﴿ذَا﴾: صاحب ﴿الْقُرْنَيْنِ إِمَّا﴾: حرف للتخيير ﴿أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿تُعَذِّبَ وَإِمَّا﴾: تختار ﴿أَنْ تَتَّخِذَ﴾:

تعتمد ﴿فِيهِمْ حُسْنًا﴾: الدعوة إلى الحق، السياق يفيد أن الله مَنَّ "ذا القرنين" من هذه الأمة، وقهرها، وأن الله خيّر إمّا أن يعذب من قاومه، وإمّا أن يأخذهم بالعفو والحسنى.

﴿قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكَرًا﴾ (٨٧)

﴿قَالَ﴾: "ذو القرنين" ما يفيد عدله وإيمانه ﴿أَمَّا﴾: حرف تفضيل وتوكيد ﴿مَنْ﴾: الذي من جنس الإنسان ﴿ظَلَمَ﴾: نفسه منهم فكفر برّبِهِ الذي استمر على كفره وعناده ﴿فَ﴾: حرف يفيد السبب ﴿سَوْفَ﴾: كلمة تفيّد وعدًا لعملٍ في المستقبل، وهو هنا ﴿نُعَذِّبُهُ﴾: جاءت بصيغة الجمع لعظم العذاب، ﴿ثُمَّ﴾: حرف يفيد التتابع الزمني على التراخي ﴿يُرَدُّ﴾: في الدنيا، يعود ويرجع ﴿إِلَىٰ رَبِّهِ﴾: هو المعبود، والمُربّي، مالك الأمر في كلّ حال ﴿فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكَرًا﴾: عذابًا شديدًا مؤلّمًا في نار جهنّم.

﴿وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءٌ الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾ (٨٨)

﴿وَأَمَّا﴾: حرف تفضيل وتوكيد ﴿مَنْ﴾: الذي من جنس الإنسان ﴿آمَنَ﴾: من وجده "ذو القرنين" مؤمنًا ﴿وَ﴾: حرف جرّ يفيد الحال ﴿عَمِلَ صَالِحًا﴾: اتبع دعوته بعبادة الله وحده ﴿فَ﴾: حرف ربط لجواب الشرط ﴿لَهُ﴾: تخصيصًا ﴿جَزَاءً﴾: يكون ثوابه ﴿الْحُسْنَىٰ﴾: إمّا الجنّة في الدار الآخرة يوم القيامة، هي النشأة الثانية في مقابل النشأة الأولى وإمّا في الحياة الدنيا ﴿وَ﴾: أيضًا ﴿سَنَقُولُ﴾: يخبره الله ﷻ ﴿لَهُ﴾: في المستقبل تخصيصًا ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ وبيان لتمييز النوع يفيد هنا ابتداء الغاية الكليّة ﴿أَمْرِنَا﴾: قال "مجاهد": كلامًا معروفًا طيبًا ﴿يُسْرًا﴾: كلامًا وتكليفًا لا يشق عليه.

﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾ (٨٩)

﴿ثُمَّ﴾: حرف يفيد التتابع الزمني، مع التراخي ﴿أَتْبَعَ﴾: سلك ﴿سَبَبًا﴾: طريقًا غير الطريق الأول؛ متجهًا نحو الشرق. انظر [الكهف-٨٥].

﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا﴾ (٩٠)

سار ذو القرنين وجيشه على الأرض من مغرب الشمس إلى مشرقها، وهو يقهر أممًا، ويهدي أممًا أخرى ﴿حَتَّىٰ﴾: حرف جرّ يدلّ على انتهاء الغاية الشرطية، أي لن يُصدقوا إلا ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يُستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط ما بعدها بما قبلها ﴿بَلَغَ﴾: وصل إلى ﴿مَطْلِعَ الشَّمْسِ﴾: في أقصى المشرق من الأرض ﴿وَجَدَهَا﴾: رآها عاينها ﴿تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ﴾: حتى إذا وصل مكان شروق الشمس من الأرض على ما قبلها وجدها تشرق على أمة من أصلٍ واحدٍ ﴿لَمْ﴾: حرف نفي ﴿نَجْعَلْ لَهُمْ﴾: حرف تملك ﴿مِنْ دُونِهَا﴾: حرف يفيد

بداية الغاية المكانية، من حرّ وضياء الشمس ﴿سِتْرًا﴾: لا لباسٍ ولا بناءٍ، كانت أمةٌ لا بيوت لها، ولا أشجار؛ فأرضهم لا تُثبت شجرًا، يسكنون المغارات في الأرض والخنادق؛ فليس في أرضهم جبال، يأكلون الأسماك، قصار القامة، حُمر الوجوه.

﴿كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا﴾ (٩١)

﴿كَذَلِكَ﴾: هكذا أيضًا علمنا كلَّ شيءٍ عن صاحب القرنين أحواله، وأحوال جيشه وسلطانه، وإن تفرقت أممهم ﴿وَقَدْ﴾: حرف يفيد التحقق فيما مضى ﴿أَحَطْنَا﴾: علمنا علمًا كبيرًا كاملًا ﴿بِمَا﴾: اسم موصول هنا بمعنى الذي ﴿لَدَيْهِ﴾: ما عنده من السلطان ﴿خُبْرًا﴾: علمًا شاملًا مُفصلاً.

﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾ (٩٢)

﴿ثُمَّ﴾: حرف يفيد التتابع الزمني البطيء ﴿أَتْبَعَ سَبَبًا﴾: سار في طريقٍ ثالثٍ غير الطريقين الأولين. انظر [الكهف-٨٥].

﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾ (٩٣)

﴿حَتَّى﴾: حرف جرّ يدلُّ على انتهاء الغاية الشرطية، أي لن يُصدقوا إلا بشرط أن ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يُستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط ما بعدها بما قبلها ﴿بَلَغَ﴾: وصل ﴿بَيْنَ السَّدَّيْنِ﴾: عندما وصل "ذو القرنين" إلى الجبلين المتقابلين الحاجزين لما وراءهما، وبينهما ممزّ ضيقٌ ﴿وَجَدَ﴾: عاين وشاهد ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ وبيان لتمييز النوع يفيد هنا ابتداء الغاية المكانية ﴿دُونِهِمَا﴾: من قبلهما، أمامهما ﴿قَوْمًا﴾: أمتين عظيمتين، "يأجوج ومأجوج" اللّين كانتا تغييران على بلد تركيا؛ فكانوا يفسدون، ويقتلون، ويهلكون الحرث، وهم من نسل آدم عليه السلام، وقيل قد سُموا تُرك؛ لأنهم تُركوا من وراء السد ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يَكَادُونَ﴾: يوشكون ﴿يَفْقَهُونَ﴾: يفهمون ويدركون ﴿قَوْلًا﴾: لا يفهمون ولا يدركون معاني كلام غيرهم من النَّاس؛ لاختلاف لغتهم، وعدم مخالطتهم الأمم.

﴿قَالُوا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ إِنَّ يَا جُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ (٩٤)

﴿قَالُوا يَا﴾: حرف نداء للقريب والبعيد ﴿ذَا﴾: صاحب ﴿الْقُرْنَيْنِ﴾: الذين قالوا هم سُكَّان المنطقة ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿يَا جُوجَ وَ﴾: أيضًا ﴿مَأْجُوجَ﴾: أمتان عظيمتان من بني آدم من ذرية يافث بن نوح عليه السلام ﴿مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾: جاء لفظ "الفساد" هنا بمعنى هلاك الحرث والنسل، بمعنى "القتل" وجاءت في قوله عليه السلام ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ﴾

فِرْعَوْنَ أَتَدْرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَاتِلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴿[الأعراف-١٢٧]﴾، وفي قوله ﷺ ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذُرِّيَّتِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ [غافر-٢٦] ﴿ف﴾: حرف يفيد السبب ﴿هَلْ﴾: حرف يفيد الاستفسار ﴿نَجْعَلُ﴾: نعدّ ونقدّر ﴿لَكَ﴾: تمليكًا ﴿خَرَجًا﴾: قال ابن عباس: نعطيك أجرًا عظيمًا ﴿عَلَى أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿تَجْعَلُ﴾: تبني ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾: يحجز بيننا وبين أعدائنا، قالوا سنجمع لك ما لا كثيرًا ثم نبناء السدّ.

﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ (٩٥)

﴿قَالَ﴾: "ذو القرنين" ﴿مَا﴾: إن الذي ﴿مَكَّنِّي﴾: ما وهبني الله ﷻ من علم وإيمان وتمكين في الملك ﴿فِيهِ﴾: منه ﴿رَبِّي﴾: هو ﷻ المُعبود، والمُرَبِّي، مالك أمري كله ﴿خَيْرٌ﴾: لي من مالكم ﴿ف﴾: لهذه العلة والسبب ﴿أَعِينُونِي﴾: ساعدوني وآزروني ﴿ب﴾: حرف باء المصاحبة ﴿قُوَّةٍ﴾: ساعدوني بقوة وعزيمة بالعمل في البناء؛ أحقق لكم ما تريدون وهو ﴿أَجْعَلُ﴾: ابني وأضع ﴿بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾: أبني لكم حاجزًا من أكوام الحجارة، والرمال، وهي أقوى عندكم من السدّ، ثم شرع بييني بعد أن وافقوا؛ فقال:

﴿آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغَ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ (٩٦)

﴿آتُونِي﴾: أحضروا لي وجهزوا وأعطوني ﴿زُبَرَ﴾: جاء اللفظ القرآني "زبر" على أربعة وجوه، هنا بمعنى "قطع" كبيرة من ﴿الْحَدِيدِ﴾: جمع زبرة، وهي لبنة تزن الواحدة قنطارًا أو تزيد، ﴿حَتَّىٰ﴾: حرف جرّ يدلُّ على انتهاء الغاية الشرطية، أي لن يُصدقوا إلا ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يُستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط ما بعدها بما قبلها ﴿سَاوَىٰ﴾: جعله متساويًا في الصفات ﴿بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ﴾: الجبلين، وضع بعضه فوق بعض من الأرض حتى حاذى بين رؤوس الجبلين طولًا وعرضًا وهذا مع ربطها مع قبلها آتوني زبر الحديد ﴿قَالَ انْفُخُوا﴾: على النار حتى يزيد أكسجين الهواء فيزيد اشتعال النار وانفخوا تشير إلى استخدام ذي القرنين للريح، والتي هي حركة الهواء بقوة وسرعة معينة، فالوظيفة هنا صناعية ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا﴾: هنا تشبيه جعله كالنار في درجة الحرارة، وشدة الاحمرار ﴿قَالَ﴾: ذو القرنين ﴿آتُونِي﴾: أحضروا لي ﴿أُفْرِغُ﴾: أصبُ ﴿عَلَيْهِ قِطْرًا﴾: النحاس الذائب.

﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾ (٩٧)



﴿فَمَا﴾: حرف يفيد الخبر ﴿اسْتَطَاعُوا﴾: جاء الحرف القرآني بحروفٍ أقل، لأنه لم تقدر يأجوج ومأجوج ﴿أَنْ﴾: حرف يفيد تحقق الفعل ﴿يُظْهِرُوهُ﴾ أن يصعدوا فوقه؛ فهو عال وأملس ﴿و﴾: عطفاً على ما سبق ﴿مَا﴾: حرف نفي ﴿اسْتَطَاعُوا﴾: جاء الحرف القرآني بحروفٍ أكثر؛ لأنّ نقبه والحفر أسفله أصعب من الصعود عليه؛ لصلابة الجبل وشدة بنيانه، فلم يقدروا ﴿لَهُ نَقَبًا﴾: ولم يقدروا أن يحفروا نفقاً في أسفله، ولأنّ الصعود على الجبل أسهل؛ جاء اللفظ القرآني "استطاعوا" بحروف أقل ولأنّ النقب أصعب جاء اللفظ القرآني "استطاعوا" بحروف أكثر؛ لزيادة المعنى.

﴿قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ (٩٨)

﴿قَالَ﴾: ذو القرنين اعترافاً بفضل الله عليه ﴿هَذَا﴾: إنجاز بناء هذا السد العظيم جعله حاجزاً؛ يمنع فساد يأجوج ومأجوج ﴿رَحْمَةً﴾: شفقة وعطف منه ﷺ ﴿مِنْ رَبِّي﴾: هو المعبود، والمُرَبِّي، مالك أمري كله ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يُستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط ما بعدها بما قبلها ﴿جَاءَ﴾: حلّ ونزل ﴿وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ﴾: جعل هذا الجدار ﴿دَكَّاءَ﴾: مساوياً للأرض، يقال للناقة التي لا سنام لها؛ دكاء، أي يكون طريقاً كما كان، وليس سداً ﴿و﴾: عطفاً على ما سبق ﴿كَانَ﴾: صار وتحقق وسيبقى ﴿وَعْدُ﴾: ما بشر به الله ﷻ ﴿رَبِّي حَقًّا﴾: صدقاً، عَنْ زَيْنَبِ بِنْتِ جَحْشٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، دَخَلَ عَلَيْهَا فَرِجًا فَيَقُولُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيَلُّ لِعَرَبٍ مِنْ شَرِّ قَدِ اقْتَرَبَ، فُتِحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلَ هَذِهِ» وَحَلَّقَ بِإِصْبَعِهِ الْإِبْهَامِ وَالَّتِي تَلِيهَا، قَالَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ فُقِلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَنْهَلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ: «نَعَمْ إِذَا كَثُرَ الْخَبْتُ»<sup>(١)</sup>.

التكليف: من المؤكد أنّ سورة الإسراء لها علاقة بزوال دولة بني إسرائيل؛ رغم أنّ هذه الآية الوحيدة في هذا الشأن، سُمّيت هذه السورة بالإسراء تأخذ المؤمن من حالة علم اليقين إلى حالة عين اليقين؛ كانت هذه الحادثة العظيمة قبل هجرة الرسول ﷺ فقد كان الإسراء والمعراج، وكلّ ما شاهده الرسول فيهما آية كبرى من هذه السورة المباركة نستطيع أن نستخلص صفات القائد المجاهد في عشرين عنواناً: ١- التمكين، بمعنى تسلّم زمام القيادة كاملة. ٢- العلم بأمر الدولة ٣- الأخذ بالأسباب، ٤- المرجعية المعتمدة وهي أوامر الله ﷻ ونواهيه، ٥- العدل في الرعية ٦- تحفيز الرعية على العمل الجاد، ٧- النشاط ومنع الكسل، ٨- الاستماع لشكوى المظلومين، ٩- محاربة وتجريم الكسب غير المشروع، ١٠-

(١) صحيح البخاري ١٣٨/٤ (٣٣٤٦).

تحمل المسؤولية وتوزيعها على أصحاب التخصص، ١١- العفة وطهارة اليد، ١٢- نصره المظلوم، ١٣- العمل الجمعي، ومشاركة الجميع ومنع الفرقة، ١٤- توظيف الطاقات وأصحاب الخبرات، ١٥- الأوامر والتوجيهات الواضحة، ١٦- استغلال الموارد الطبيعية أفضل استغلال، ١٧- تشجيع التعليم ووضوح التوجيه، ١٨- تشجيع التعلم بالممارسة والاستفادة من التجارب السابقة، ١٩- اللجوء للقوة في الإصلاح إذا لزم الأمر، ٢٠- التواضع الحقيقي الصادق لله ﷻ. جاء على لسان "ذي القرنين" فضل الله ﷻ مكرراً، هذا أدب المؤمنين، الذين يُنسبون الفضل لصاحبه.

### ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾ (٩٩)

﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿تركنا﴾: لم نتدخل ﴿بعضهم﴾: بقى بأمر الله ﷻ بعض الناس آخر الزمان ﴿يومئذ﴾: كلمة مركبة من "يوم وإن" وتعني في ذلك الوقت، يوم يدك السيد، ويصبح طريقًا ﴿يموج﴾: قال "السدي": يختلطون ﴿في بعض﴾: هنا استعارة حيث شبههم ﷻ لكثرتهم وتداخل بعضهم في بعض كالموج المتلاطم، كانوا يُفسدون للناس أموالهم، ويثقلون ممتلكاتهم، وكل ذلك قبل يوم القيامة، وبعد الدجال، عن أبي سعيد الخدري ﷺ، عن النبي ﷺ، قال: يُقُولُ اللَّهُ ﷻ: يَا آدَمُ، فَيَقُولُ: لَبَيْكَ وَسَعْدَيْكَ، وَالْحَيْرُ فِي يَدَيْكَ، فَيَقُولُ: أَخْرَجَ بَعَثَ النَّارَ، قَالَ: وَمَا بَعَثَ النَّارَ؟، قَالَ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَ مِائَةٍ وَتِسْعَةَ وَتِسْعِينَ، فَعِنْدَهُ يَشِيبُ الصَّغِيرُ، وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا، وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى، وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ " قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَأَيْنَا ذَلِكَ الْوَاحِدُ؟ قَالَ: أَنْبِشُوا، فَإِنَّ مِنْكُمْ رَجُلًا وَمِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ أَلْفًا. ثُمَّ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنِّي أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا رُبْعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ " فَكَبَّرْنَا، فَقَالَ: «أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ» فَكَبَّرْنَا، فَقَالَ: «أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا نِصْفَ أَهْلِ الْجَنَّةِ» فَكَبَّرْنَا، فَقَالَ: «مَا أَنْتُمْ فِي النَّاسِ إِلَّا كَالشَّعْرَةِ السَّوْدَاءِ فِي جِلْدٍ نَوَّرٍ أَبْيَضَ، أَوْ كَشَعْرَةِ بَيْضَاءَ فِي جِلْدٍ نَوَّرٍ أَسْوَدَ»<sup>(١)</sup>، ﴿و﴾: حرف جرّ يُفيد الحال ﴿نُفِخَ﴾: سيتم النفخ ﴿في الصور﴾: نفخة البعث بعد ذلك ﴿ف﴾: حرف يُفيد السبب ﴿جَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾: إذا اختلط الجن والإنس يوم القيامة، والنافخ في البوق "الصور" هو "إسرافيل" ﷻ، ساعته قولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل، هذا ما أخبر به الرسول ﷺ.

### ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا﴾ (١٠٠)

(١) صحيح البخاري ١٣٨/٤ (٣٣٤٨).

﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿عَرَضْنَا﴾: كشف الله ﷻ ووضح ﴿جَهَنَّمَ﴾: سيرض الله ﷻ جهنم ﴿يَوْمَئِذٍ﴾: يوم القيامة ويبرزها لهم ليريهم سوء عاقبتهم ﴿ل﴾ حرف تخصيص ﴿الْكَافِرِينَ﴾: تخصيصًا يوم القيامة على الكفار ﴿عَرَضًا﴾: ظاهرة واضحة، يبرزها لهم ﷻ، ويظهرها لهم؛ ليروا ما فيها من العذاب؛ ليعجل لهم الهم والحزن قبل دخولها. التكليف: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجْرُؤُهَا" (١)

﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ (١٠١)

﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ ﴿كَانَتْ﴾: في الماضي ﴿أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ﴾: غشاء غليظ وستر كثيف، هم الذين تغافلوا وتعاموا؛ كأنهم لا يرون ﴿عَنْ﴾: حرفٌ جرٌّ يفيد التجاوز ﴿ذِكْرِي﴾: هنا استعارة تمثيلية؛ شبه إعراضهم عن الآيات الكونية وعدم الفكر فيها تكوينًا ووظيفةً عن قبول الهدى، واتباع الحق كالذي وُضع على عينيه غطاءً؛ فلا تُبصر آياتي ﴿و﴾: حرفٌ جرٌّ يفيد الحال ﴿كَانُوا لَا﴾: حرف نفي ﴿يَسْتَطِيعُونَ﴾: لا يقدر، ولا يُطيقون ﴿سَمْعًا﴾: جاء اللفظ القرآني "السمع" على "وجهين"، هنا بمعنى "سمع القلب"، مركز الإدراك فبعد أن عطّلوا دور عيونهم كوسيلةٍ لإدراك الحقائق؛ تعطل سمعهم؛ فلم يعقلوا ما سمعوا من آيات الله ﷻ، هم يسمعون ولا يعقلون؛ فكأنهم لا يسمعون.

﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا﴾ (١٠٢)

﴿أ﴾: حرف استفهام بغرض الإنكار والتوبيخ والنقير ﴿فَحَسِبَ﴾: هل ظن وتأكد واعتقد ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ ﴿كَفَرُوا﴾: الذين غطوا وسترُوا حقيقة الإيمان ﴿أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿يَتَّخِذُوا﴾: أن يعتمدوا ﴿عِبَادِي﴾: الذين من خلقي ووجب عليهم عبادتي ﴿مِنْ﴾: حرفٌ جرٌّ وبيان لتمييز النوع يفيد هنا ابتداء الغاية المكانية ﴿دُونِي﴾: غيري ﴿أَوْلِيَاءَ﴾: على عباد الله ﷻ؛ ليكونوا أنصارًا، وأعاونًا، وأحبابًا بديلاً عن الاستعانة بالله ﷻ ﴿إِنَّا﴾: نحن، الله ﷻ ﴿أَعْتَدْنَا﴾: جهننا وهيأنا جاءت بصيغة الجمع للتعظيم ﴿جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ﴾: الذين أنكروا براهين الإيمان ﴿نُزُلًا﴾: منزلًا أو مقرًا يقيمون فيه، ستكون جهنم مستقرًا للكافرين.

﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ (١٠٣)

(١) صحيح مسلم ٢١٨٤/٤ (٢٨٤٢).

﴿قُلْ﴾: لهم يا "محمد" ﷺ للناس مُحذَرًا ﴿هَلْ﴾: حرف استفهامٍ بهدف شدِّ انتباه السامع لمعرفة الإجابة ﴿تُنَبِّئُكُمْ﴾: أتريدون أن نُخبركم ﴿بِ﴾: حرف باء المصاحبة ﴿الْأَخْسَرِينَ﴾ بأكبر الخاسرين ﴿أَعْمَالًا﴾: الذين عملوا دون ثواب.

﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ (١٠٤)

﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ ﴿ضَلَّ﴾: الذين طاش وتاه وضاع ثواب ﴿سَعْيُهُمْ﴾: عملهم وجهدهم ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: على الأرض هم اليهود الذين كذبوا "محمدًا" ﷺ، والنصارى الذين كفروا بالجنَّة وقالوا: لا طعام فيها ولا شراب، والفاسقون الذين ينقضون عهد الله ﷻ من بعد ميثاقه ﴿وَهُمْ﴾: تحديدًا ﴿يَحْسَبُونَ﴾: يظنون ويعتقدون أَنَّهُمْ يعملون أعمالًا مقبولة عند الله ﷻ ﴿أَنَّهُمْ﴾: تأكيد ونفي الإنكار والشك ﴿يُحْسِنُونَ﴾: يعتقدون أَنَّهُمْ يُجيدون ﴿صُنْعًا﴾: بثواب أعمالهم، والحقيقة غير ذلك فالقاعدة عامَّة على جميع الأصناف من البشر. ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا﴾ (١٠٥)

﴿أُولَئِكَ﴾: إشارةٌ للقريب والبعيد ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ ﴿كَفَرُوا﴾: غطَّوا وأنكروا أولئك هم الأخسرون أعمالًا، هم الذين جحدوا بآيات ربِّهم، وكذبوا ﴿بِ﴾: حرف باء السببية ﴿آيَاتِ﴾: بسبب الأدلة والبراهين الدالة على صدق دعوة ﴿رَبِّهِمْ﴾: لقد جحدوا براهين ودلائل وحقائق الإيمان بالله ﷻ مالك أمرهم، وتصديق رسله عليهم السلام ﴿و﴾: أيضًا أنكروا ﴿لِقَائِهِ﴾: وكفروا بيوم القيامة، يوم لقاء الخلق جميعًا بالله ﷻ ﴿ف﴾: حرف يفيد السبب ﴿حَبِطَتْ﴾: انتفخت انتفاخ مرض، ففسدت ﴿أَعْمَالُهُمْ﴾ لا ثواب لها ﴿فَلَا﴾: أداة نهيٍ تفيد طلب عدم الفعل ﴿نُقِيمُ﴾: نضع ثواب ﴿لَهُمْ﴾: حرف تملك ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا﴾: لا نثقل موازينهم؛ لخلوها من الخير.

﴿ذَلِكَ جَزَاءُهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُؤًا﴾ (١٠٦)

﴿ذَلِكَ﴾: إشارةٌ للبعيد ﴿جَزَاءُهُمْ﴾: عقابهم المُعدُّ لهم يوم القيامة ﴿جَهَنَّمَ﴾: هذه جهنم مقابل كفرهم، هذه جائزتهم من الدنيا ﴿بِمَا﴾: اسم موصول هنا بمعنى الذي، بسبب أَنَّهُمْ ﴿كَفَرُوا﴾: لتغطيتهم آيات الإيمان ﴿و﴾: أيضًا بسبب أَنَّهُمْ ﴿اتَّخَذُوا﴾: اعتمدوا ﴿آيَاتِي﴾: الأدلة والبراهين على صدق الرسالة ﴿وَرُسُلِي﴾: الأنبياء والرسل ومن بعدهم الدعاة ﴿هُزُؤًا﴾: وجزاء سخريتهم من رسل الله والاستهتار بآياته ﷻ وتكذيبهم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ (١٠٧)

﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ ﴿آمَنُوا﴾: بالله، وملائكته، وكتبه، ورسوله، واليوم الآخر، والقضاء والقدَر ﴿و﴾: عطفاً على إيمانهم ﴿عَمَلُوا﴾: أتبعوا الإيمان بأن عملوا ﴿الصَّالِحَاتِ﴾: واتبَعوا الإيمان بالعمل بما أمر الله ﷻ ﴿كَانَتْ﴾: أعدت ﴿لَهُمْ﴾: تخصيصاً وتمليكاً ﴿جَنَّاتٍ﴾: أعلى منازل الجنان، وليس جنَّةً واحدة ﴿الْفِرْدَوْسِ﴾: عَنْ سَمْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «جَنَّةُ الْفِرْدَوْسِ هِيَ رِبْوَةُ الْجَنَّةِ الْعُلْيَا الَّتِي هِيَ أَوْسَطُهَا وَأَحْسَنُهَا»<sup>(١)</sup>، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؓ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ، وَأَقَامَ الصَّلَاةَ، وَصَامَ رَمَضَانَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، جَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ جَلَسَ فِي أَرْضِهِ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا»، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلَا نُبَشِّرُ النَّاسَ؟ قَالَ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ، أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ، فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ، أَرَاهُ، فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ نَعَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ»<sup>(٢)</sup>، وقال "مجاهد": البستان بلغة الرومان، وقال "الضحاك": البستان الذي فيه شجر الأعناب ﴿نُزُلًا﴾: المأوى والمقام الدائم.

﴿خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾ (١٠٨)

﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾: ساكنين، مقيمين لا يبتعدون عنها ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يَبْغُونَ﴾: يريدون ﴿عَنْهَا﴾: حرف يفيد البذل ﴿حِوَلًا﴾: لا يتحولون عنها ولا يختارون غيرها، هذا تعبيرٌ عن حب المؤمنين للجنة، لا يسأمون الإقامة فيها مع الوقت، ولا يرغبون في تحويل مقامهم عنها.

﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ (١٠٩)

﴿قُلْ﴾: يأمر الله ﷻ لمحمد ﷺ: أَنْ يَقُولَ ﴿لَوْ﴾: حرف يفيد الاستحالة ﴿كَانَ﴾: فيما سبق ﴿الْبَحْرُ﴾: الماء الذي في البحار ﴿مِدَادًا﴾: لو كانت مياه البحر هي الحبر "المداد" ﴿ل﴾: حرف تخصيص ﴿كَلِمَاتِ رَبِّي﴾: الذي يكتب به مالكٌ أمري كله، وحكمه، وآياته الدالة عليه ﷻ، جاء اللفظ القرآني "كلمات" على "خمسة" أوجه، هنا بمعنى "علم الله" وفي قوله ﷻ أيضًا ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [لقمان-٢٧] ﴿لَنَفَذَ﴾: لجت وانتهى ﴿الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿تَنْفَذَ﴾: تجف وتتضب ﴿كَلِمَاتِ رَبِّي﴾: قبل أن يفرغ الله ﷻ من كتابته ﴿وَلَوْ﴾:

<sup>(١)</sup> المعجم الكبير للطبراني ٢١٣/٧ (٦٨٨٥). قال علي الشحوذ في صفة الجنة والنار ص ١٩: حديث حسن.

<sup>(٢)</sup> صحيح البخاري ١٦/٤ (٢٧٩٠).

حرف يفيد الاستفهام والنفي ﴿جِنَانًا﴾: جاء الله ﷻ بالمزيد ﴿بِعَمَلِهِ مَدَدًا﴾: الباء تفيد الاستعانة، عونًا وزيادة، حتى لو جاء الله ﷻ ببحرٍ مثله آخر؛ تعني بحور تمده، ويكتب بها، ولا تتفد كلمات الله ﷻ.

التكليف: لو كان كلُّ الشجر أقليمًا وانكسرت الأقليم، وفني ماء البحر؛ لبقيت كلمات الله قائمة لا يفنيها شيء.

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (١١٠)

﴿قُلْ﴾: أمر ربّاني يا "محمد" ﷺ ليقول للمكذبين والمشركين برسالته ﴿إِنَّمَا﴾: أداة حصرٍ تُفيد هنا التوكيد للقول ﴿أَنَا﴾: الرسول "محمد" ﷺ ﴿بَشَرٌ﴾: من "بني آدم" ﴿مِثْلُكُمْ﴾: أنا بشرٌ صادقٌ، لا أعلم الغيب فيما قلته لكم من الماضي في أصحاب الكهف، وفي "ذي القرنين" ﴿يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾: ما أخبركم به ليس من عندي، ولكن الله ﷻ أطلعني عليه وحياً ﴿أَنَّمَا﴾: أداة حصرٍ تفيد التأكيد ﴿إِلَهُكُمْ﴾: معبودكم ﴿إِلَهٌ﴾: معبودٌ ﴿وَاحِدٌ﴾: أدعوكم إلى الله ﷻ إليها واحدًا لا شريك له ﴿فَمَنْ﴾: حرف استفهام استثنائي يفيد هنا ﴿كَانَ يَرْجُو﴾: يريد ويرغب نيل الثواب من ﴿لِقَاءَ رَبِّهِ﴾: من يخش الله ﷻ، ويرد ثوابه، وجزاءه ﴿فَ﴾: حرف يفيد السبب وبدون تأخير ﴿لِيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾: موافقًا لشرع الله ﷻ ﴿وَو﴾: حرف جرٍ يُفيد الحال ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يُشْرِكُ﴾: لا يجعل مع الله ﷻ شركاء في العبادة ﴿بِ﴾: حرف باء السببية ﴿عِبَادَةَ﴾: طاعة ﴿رَبِّهِ﴾: مالك أمره ﴿أَحَدًا﴾: لا يرائي الكفار والمنافقين، لا بد من إخلاص العبادة لله ﷻ وحده، ولا يعملها؛ ليقال إنه عمل أو ليحمده الناس، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ الرَّجُلُ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَهُوَ يَبْتَغِي عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا أُجْرَ لَهُ» فَأَعْظَمَ النَّاسُ ذَلِكَ فَعَادَ الرَّجُلُ فَقَالَ: «لَا أُجْرَ لَهُ»<sup>(١)</sup>.

التكليف: من المؤكد أن سورة الإسراء لها علاقة بزوال دولة بني إسرائيل؛ رغم أن هذه الآية الوحيدة في هذا الشأن، هذه السورة بالإسراء تأخذ المؤمن من حالة علم اليقين إلى حالة عين اليقين؛ فقد كانت هذه الحادثة العظيمة قبل هجرة الرسول ﷺ فقد كان الإسراء والمعراج، وكل ما شاهده الرسول فيهما آية كبرى بدراسة مقاصد هذه السورة الكريمة؛ نعلم كيف يتعامل المؤمن مع فتنٍ وردت في الأمم السابقة، وكيفية النجاة منها.

(١) المستدرک علی الصحیحین للحاکم ٤٠٣/٢ (٣٤٠٤) وقال: صحیحُ الإِسْنَادِ وَلَمْ يُخْرِجَاهُ. ووافقه الذهبي.

أُطلق اسم هذه السورة في المصاحف وكتب التفسير، وسمّاها بعضهم سورة **كهيعص** وقد وُضعت تسميتها في صحيح البخاري، هي سورةٌ مكّيّة عند الجمهور، وترتيبها (٤٤) في ترتيب النزول، نزلت بعد سورة فاطر، وقبل سورة طه، ووجه التسمية أنّها بُسطت فيها قصّةُ مريم وابنها وأهلها قبل أن تُفصل في غيرها، ولا يشبهها في ذلك إلا سورة آل عمران، عدد آياتها (٩٨) في عدد أهل الشام والكوفة. نزلت للردّ على اليهود في افتراءهم من القول الشنيع في مريم وابنها، عليهما السلام، فكان فيها نزهةُ آل عمران، وقداستهم.

### ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

#### ﴿كهيعص﴾ (١)

اعتمادًا على ما يقوله علماء النحو والبلاغة إنّ الضمائر في الكلام الأصل أن تعود على متقدّم في اللفظ والرتبة، ولا تعود على متأخّر في اللفظ والرتبة، بمعنى ما هو الاسم الذي سبق، وعليه فإن الحرف **﴿ك﴾**: معناها في اللغة العربية حال ومثل **﴿ه﴾**: لا يعلمها إلا الله ﷻ: حرفٌ أراه، والله أعلم، يشيرُ إلى الضمير مثل هو، يعني ذات الشيء، وهو الإنسان الذكر ومثل **﴿هي﴾**: أي ذات الأنثى وجوهرها، وهم: إشارة للجماعة الذكور، وأيضًا هن: إشارة لجماعة الإناث، وهذا يعني كلّ ذريّة آدم ﷺ **﴿يعص﴾**: بجمع الحروف الثلاثة أرى، والله أعلم، تعني امتناع ورفض الطاعة، من هي وهو وهم وهن، بمعنى الذين من بني آدم، خاصّة وأنّ حرف الصاد بلفظه صاد يعني الصدّ، والرفض، والله ﷻ أعلم.

#### ﴿ذَكَرَ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا﴾ (٢)

**﴿ذَكَرَ﴾**: هذا ذكر **﴿رَحْمَتِ رَبِّكَ﴾**: رحمة الله ﷻ، المُعبود، والمُربي، مالك أمرك كله **﴿عَبْدَهُ زَكَرِيَّا﴾**: هو نبيّ عظيم، من بني إسرائيل.

#### ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا﴾ (٣)

**﴿إِذْ﴾**: حرف توكيد يدلُّ على ما مضى من الزمن بمعنى حين **﴿نَادَى﴾**: دعا زكريا ﷺ **﴿رَبَّهُ﴾**: سأله وطلب منه **﴿نِدَاءً﴾**: دعاءً **﴿خَفِيًّا﴾**: دعاءً في سرّه؛ بعيدًا عن الرياء؛ من باب الخشوع والأدب، ولأنّه كبر في السنّ، ويخشى أن يقول النَّاسُ عنه أنّه يطلب الولد وهو كبير،

قال قتادة: أخفى دعاءه لأن ذلك أحب إلى الله ﷻ، ولأنه ﷻ يعلم القلب النقي، والصوت الخفي.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ (٤)

﴿قَالَ﴾: زكريا عليه السلام ﴿رَبِّ﴾: يا مالك أمري كله، ﴿إِنِّي﴾: أنا بالتأكيد ﴿وَهَنَ﴾: كناية عن ذهاب القوة وضعف العضلات، وضعف وهشّ ﴿الْعَظْمُ مِنِّي﴾: ضعفت عظامي، وضعفت قوتي؛ أسند ذلك للعظم ليبين أنّ الضعف شمل جسده كله ﴿و﴾: أيضًا ﴿اشْتَعَلَ﴾: يُشَبِّهُ اللّهُ ﷻ الشيب هنا بالنار؛ بسبب سرعة الانتشار، امتلأ الرأس بالشيب؛ ومن المعلوم أنّ الاشتعال للنار، وليس للشيب، ولكن يجمع بينهما خاصية سرعة الانتشار ﴿الرَّأْسُ شَيْبًا﴾: بمعنى لم تبق شعرة في رأسه إلا وشابت بمعنى أنّه طعن في العمر، وهذه من مظاهره ﴿و﴾: حرف جرّ يُفيد الحال ﴿لَمْ﴾: حرف نفي ﴿أَكُنْ﴾: في السابق، في يوم من الأيام ﴿بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾: لم أكن خائبًا في دعائي ورجائي، لم أعهد منك يا رب إلا الإجابة في الدعاء دائمًا، عسى أن أسعد باستجابتك لدعائي.

﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا﴾ (٥)

﴿و﴾: عطفًا على هذا ﴿إِنِّي﴾: أنا بالتأكيد ﴿خِفْتُ الْمَوَالِيَ﴾: هم أقاربه، وهم عصبته الأشرار، قال "مجاهد، وقاتادة، والسدي": خاف "زكريا" عليه السلام العصبه التي من حوله، وقيل خشي "زكريا" أن يتصرفوا من بعده بصورة سيئة في الناس، فسأل الله ﷻ ﴿وَلِيًّا﴾: هو الولد، يكون نبيًّا ﴿مِنْ﴾: حرف بيان النوع وتمييزه، ويفيد هنا بداية الغاية الزمانية ﴿وَرَائِي﴾: من بعدي، يُحسن معاملة الناس، ولم يقصد أنّه يخشى أن يرثوا ماله، فإنّ الأنبياء أعظم منزلةً أن يخافوا على أموالهم، ويرفضوا وراثته عصبته، قال أبو بكرٍ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «لَا نُورَثُ مَا تَرَكْنَا فَهُوَ صَدَقَةٌ»<sup>(١)</sup>، وقيل هو ميراث النبوة، يبدو أنّ هذا القول جاء تمهيدًا لما يتضمنه من اضطراره لسؤال الولد؛ والله ﷻ يُجيب المضطر إذا دعاه ﴿و﴾: حرف جرّ يُفيد الحال ﴿كَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا﴾: لم تتجب من قبل ﴿فَ﴾: حرف يفيد السبب ﴿هَبْ لِي﴾: أعطني أرزقني من عندك ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ وبيان لتميز النوع وتفيد هنا بداية الغاية الكلية ﴿لَدُنْكَ﴾: من عندك؛ لأنه وزوجته لا ينجبان ﴿وَلِيًّا﴾: ولداً يحبني، وينصرني، ويساعدني.

﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلٍ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ (٦)

(١) صحيح البخاري ٢٠/٥ (٣٧١٢).



﴿يَرْتَنِي﴾: والوراثة هنا هي وراثة العلم والشرع والنبوة على ما هو الرَّاجح، لا وراثة المال؛ لقوله ﷺ: نحن معاشر الأنبياء لا نورث. فهم يورثون ما عندهم من العلم وما يقوم به أمور الدين ﴿و﴾: أيضًا ﴿يَرِثُ مِنْ آلٍ﴾: أهل وعائلة ﴿يَعْقُوبُ﴾: قال "مجاهد": كانت وراثته علمًا، وقال "الحسن": يرث نبوته وعلمه ﴿و﴾: عطفًا على هذا ﴿اجْعَلْهُ رَبِّ﴾: مالك أمري ﴿رَضِيًّا﴾: ترضى عنه، ويرضى عنه النَّاسُ قولًا وعملاً من الخلق، تُحِبُّهُ وتُحِبُّبِ فِيهِ خَلْقَكَ، مرضيًا في أخلاقه وأعماله.

التكليف: يجب على كلِّ مسلمٍ عالمٍ أن يورث أولاده علمه، وعمله التعبدي؛ فبهذا يستمر أجر الأب بعد مماته.

﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾ (٧)

﴿يَا﴾: حرف نداء للقريب والبعيد ﴿زَكَرِيَّا إِنَّا﴾: أنا الله؛ جاءت بصيغة الجمع؛ دليلًا على عظم الحدث، وهو أسلوب المُعْظَمِ نفسه ﴿نُبَشِّرُكَ﴾: جاءت بصيغة الجمع وهو ﷺ واحدٌ أحدٌ لتأكيد أن البشارة تُقيد، هي ما يُفرح ويشُرُّ، نعلمك خبرًا يسرُّك؛ هو استجابتي لدعائك بالوعد والعتاء ﴿بِ﴾: حرف باء السببية ﴿غُلَامٍ﴾: هذا يعني أن الله ﷻ استجاب لدعاء "زكريا" بشرى بولد ﴿اسْمُهُ يَحْيَى﴾: شرفه الله ﷻ بما سماه قبل مولده بهذا الاسم، وهو من الحياة، وكأنَّ ما جاء به من عند ربِّه هو الحياة؛ ولأن في التشريع حياة، وفيمن يؤمن به حياة ﴿لَمْ﴾: حرف نفي ﴿نَجْعَلْ﴾: نقدر ﴿لَهُ﴾: تخصيصًا ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ وبيان لتمييز النوع يفيد هنا ابتداء الغاية الزمانية ﴿قَبْلُ سَمِيًّا﴾: قال "قتادة": لم يتسم أحدٌ باسمه من قبل، وقال "مجاهد" لم نجعله مُشَبَّهًا.

﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا﴾ (٨)

﴿قَالَ﴾: "زكريا" ﷺ ﴿رَبِّ﴾: يا مالك أمري كلِّه، تقرِّبًا وتحبُّبًا ﴿أَنَّى﴾: استفهام غرضه التعجب والاستغراب؛ كيف؟ ومن أين ﴿يَكُونُ﴾: يصير ﴿لِي غُلَامٌ﴾: مولود استفهام يفيد التعجب، وفي ذلك اعترافٌ بأنَّها عطيةٌ عزيزةٌ؛ غير مألوفةٍ؛ وتحتاج إلى ال شكر ﴿و﴾: حرف جرّ يفيد الحال ﴿كَانَتِ﴾: ولا تزال ﴿امْرَأَتِي عَاقِرًا﴾: لا تتجب، بعد أن بشر الله ﷻ "زكريا" بالولد، وهو ما سأله؛ فرح فرحًا شديدًا؛ وسأل ربِّه: كيف سيكون لي ولد وزوجتي لم تلد في حياتها مولودًا من قبل، ﴿وَقَدْ﴾: حرف يفيد هنا تحقق كبر السن ﴿بَلَغْتُ مِنْ﴾: حرف يفيد التأكيد ﴿الْكِبَرِ﴾: في العمر ﴿عِتِيًّا﴾: ونسب لنفسه أيضًا العجز فقال قد وصلت حالة من العمر لا يمكن علاجها، نهاية العمر؛ فقد كبر "زكريا" ﷺ، وضعف عظمه، ونحل عوده،

ولم يبق فيه لقاح، وفي لغة العرب "عنا العود"؛ أي جفت ويئس، قال مجاهد: نحول العظم، والواضح أنّ حال زكريا عليه السلام، كان أكبر من مجرد كبر السن العادي.

﴿قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾ (٩)

﴿قَالَ﴾: الملك، رسول ربّه؛ يخبر "زكريا": ﴿ك﴾: كذلك للتشبيه ﴿ذَلِكَ﴾: للتشبيه إشارة للأمر البعيد؛ في مثل هذه الأمور الخارقة للعادة والناموس تتجلى عظمة الله تعالى بالخلق، والعطاء، والمنح ﴿قَالَ رَبُّكَ﴾: أن يكون لك ولد، ومن زوجتك هذه وليس من غيرها ﴿هُوَ﴾: ضميرٌ منفصلٌ مرفوعٌ للغائب المفرد المذكر، ويشمل هنا المؤنث أيضًا ﴿عَلَيَّ﴾: على الله تعالى ﴿هَيِّنٌ﴾: هذا أمر سهل يسير على الله تعالى ﴿وَقَدْ﴾: حرف يفيد التحقق في الماضي، وبوقوع الوعد والأمر ﴿خَلَقْتُكَ﴾: أوجدتك ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ وبيان لتمييز النوع وتفيد هنا بداية الغاية الزمانيّة ﴿قَبْلُ﴾: قبل هذا الزمن ﴿وَلَمْ﴾: حرف نفي ﴿تَكُ﴾: تكون ﴿شَيْئًا﴾: قول الله تعالى أنه خلق "زكريا" ككل البشر، جاء في المعنى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا﴾ [الإنسان-١].

﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾ (١٠)

﴿قَالَ﴾: القائل "زكريا" عليه السلام ﴿رَبِّ﴾: يا مالك أمري كلّه؛ واعتراقًا بفضل الله تعالى عليه ﴿اجْعَلْ﴾: هب وحدد ﴿لِي آيَةً﴾: علامة وإشارة، تدلني على وعدك لي بالولد؛ حتى أطمئن ﴿قَالَ﴾: الله تعالى ﴿آيَتُكَ﴾: العلامة هي ﴿أَلَّا﴾: حرف تخصيص ﴿تُكَلِّمَ النَّاسَ﴾: أن علامة التحقق من الوعد أن يُحبس لسانك عن الكلام ﴿ثَلَاثَ لَيَالٍ﴾: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾ قَالَ: يُعْتَقَلُ لِسَانُكَ مِنْ غَيْرِ مَرَضٍ وَأَنْتَ سَوِيٌّ<sup>(١)</sup>، وقال "زيد بن أسلم": كان يقرأ ويسبح ولا يستطيع أن يتكلم، إلا إشارة من غير خرس ﴿سَوِيًّا﴾: وأنت صحيح دون مرض، وقال "ابن عباس": متتابعات.

﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ (١١)

﴿ف﴾: حرف يفيد السبب والسرعة من الفرح ﴿خَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ﴾: من المصلى الذي تلقى فيه "زكريا" من ربّه البشري ﴿فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ﴾: أشار إشارة خفيفة سريعة، وقال "مجاهد": كتب لهم ﴿أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿سَبِّحُوا﴾: نزهوا الله تعالى عن النواقص

(١) المستدرک علی الصحیحین للحاکم ٣١٩/٢ (٣١٥٠) وقال: صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخْرِجَاهُ. ووافقه الذهبي.

﴿بُكْرَةً﴾: أول النهار ﴿و﴾: أيضًا نزوهه ﷺ ﴿عَشِيًّا﴾: وآخره أن يسبحوا الله ﷻ، تنزيهاً عن الضعف والنواقص كما أمره الله ﷻ في الأيام الثلاثة، زيادة على أعماله. التكليف: كل منة ونعمة وفضل تستوجب زيادة التسبيح، وقلة الكلام؛ هذا ما نستخلصه من هذه المعجزة الكبيرة.

### ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتِنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ (١٢)

﴿يَا﴾: حرف نداء للقريب والبعيد ﴿يَحْيَى﴾: هذا النداء الرباني يفيد أن المولود وُلد، وكبر، وصار يتلقى العلم من ربه ﷻ وهو صغير ﴿خُذِ﴾: تعلم من ﴿الْكِتَابِ﴾: "التوراة" ﴿بِقُوَّةٍ﴾: حرف الباء للمصاحبة، بجدٍ، واجتهادٍ، وفهمٍ، وحرص ﴿و﴾: عطفاً على هذا ﴿آتِنَاهُ﴾: وجمع له ﷻ مع هذا الفضل ﴿الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾: وهبه الله ﷻ العلم، والحكمة، وفهم الكتاب، والجد، والعزم، وفعل الخيرات، وهو صغير السن، وكل هذه الصفات هي صفات الحاكم، أعطيناها النبوة وهو في عهد الصبا.

### ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَرِكَاهَةً وَكَانَ تَقِيًّا﴾ (١٣)

﴿و﴾: حرف جرٍ يفيد الحال ﴿وَحَنَانًا﴾: ووهبناه رحمةً وعطفاً على الناس ﴿مِّن﴾: حرف جرٍ وبيان لتمييز النوع ويفيد هنا بداية الغاية الكلية ﴿لَّدُنَّا﴾: من عندنا معطوفة على: ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ قال "مجاهد": فضلاً من الله ﷻ، وقال "ابن عباس": رحمةً من عندنا، وقال "قتادة": رحم الله بها "زكريا"، وقال "عكرمة": محبة عليه، وقال "عطاء بن أبي رباح": تعظيماً من عند الله ﷻ ﴿وَرِكَاهَةً﴾: وأيضاً طهرناه من الذنوب، وقال "قتادة": هي العمل الصالح، وقال "الضحاك": العمل الصالح الزكي، وقال "ابن عباس": بركة أي جعلناه مباركاً للناس، أي كثير الخيرات، ويهديهم للخير ﴿وَوَكَانَ﴾: "يحيى" ﷺ ﴿تَقِيًّا﴾: طاهرًا لم يذنب.

### ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا﴾ (١٤)

﴿و﴾: حرف جرٍ يفيد الحال؛ أيضًا كان "يحيى" ﷺ ﴿بَرًّا﴾: جاء لفظ "البر" في القرآن الكريم على "ثلاثة" أوجه؛ هنا بمعنى "الطاعة"، وكثرة الإحسان. كان "يحيى" ﷺ باراً ﴿بِوَالِدَيْهِ﴾: مُطِيعًا، وفيًا، لا يعق والديه؛ قولاً وعملاً، وهذا عطف على ما سبق من صفات وهبها إياه ربه ﷻ ﴿وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا﴾: أي المتكبر عن عبادة الله ﷻ ﴿عَصِيًّا﴾: لم يكن عاقاً ولا جباراً على والديه، ولا عاصياً لله ﷻ ولهما.

### ﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ (١٥)

﴿و﴾: عطفاً على ما سبق ﴿سَلَامٌ عَلَيْهِ﴾: له الأمان من الله ﷻ في كل الأحوال، وقيل يُسَلَّمُ الله ﷻ عليه ﴿يَوْمَ وُلِدَ﴾: أَمَنَهُ اللهُ ﷻ مِنَ الشَّيْطَانِ حِينَ خَرَجَ لِلْحَيَاةِ مِنْ رَحِمِ أُمِّهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴿وَيَوْمَ يَمُوتُ﴾: يوم الوفاة ﴿وَيَوْمَ﴾: القيامة ﴿يُنْبَعَثُ﴾: يقوم من جديد من القبور ﴿حَيًّا﴾: معنى "يوم" هنا تعني "زمن أو حين" هي الحياة بلا موتٍ انظر [البقرة-٢٨] وهذه من أصعب محطات الحياة التي يمر بها الإنسان، قال سفيان بن عيينة: "أَوْحَشُ مَا يَكُونُ ابْنُ أَدَمَ فِي ثَلَاثَةِ مَوَاطِنَ: يَوْمَ وُلِدَ فَيَخْرُجُ إِلَى دَارِ هَمٍّ، وَوَيْلَةَ بَيْبِثٍ مَعَ الْمَوْتَى فَيَجَاوِرُ حَبِيرَانًا لَمْ يَرَ مِثْلَهُمْ، وَيَوْمَ يُنْبَعَثُ فَيَشْهَدُ مَشْهَدًا لَمْ يَرَ مِثْلَهُ قَطُّ، قَالَ اللَّهُ ﷻ: لِيَحْيِيَ بَنَ زَكَرِيَّا فِي هَذِهِ الثَّلَاثَةِ مَوَاطِنَ: ﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُنْبَعَثُ حَيًّا﴾ [مريم-١٥] (١).

### ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ (١٦)

﴿و﴾: أعطفاً على ما سبق ﴿أَذْكُرُ﴾: يا "محمد" ﷺ ﴿فِي الْكِتَابِ﴾: في القرآن الكريم قصة ﴿مَرْيَمَ﴾: ابنة عمران، من سلالة داود ﷺ، جاء ذكر ولادتها في [آل عمران-٣٥] أن أمها نذرتها لله ﷻ محررة، ولم يذكر القرآن امرأة باسمها إلا "مريم ابنة عمران" في حوالي "ثلاثين" موضعاً، ذلك أن الملوك والعُظماء لا يذكرون أسماء نسائهم، ويشيرون بذلك إلى "الحرائر، والأهل، والعيال"، وتكرر ذكر نسب "عيسى" ﷺ لأمه؛ لينفي ادعاءات من قالوا إنه ابن الله؛ وتنزيهاً لأمه عما قاله اليهود فيها، وكانت من أشهر العابدات، الناسكات، الطائعات، تكفلها زوج أختها "زكريا" ﷺ من "بني إسرائيل" وكبيرهم، كان "زكريا" يجد عند مريم ثمر الشتاء في الصيف، وثمر الصيف في الشتاء، وهي والدة "عيسى" ﷺ؛ أحد "الخمسة العظام"، "أولي العزم من الرسل" ﴿إِنَّ﴾: اسمٌ مبنيٌّ على السكون؛ يدلُّ على ما مضى من الزمن ﴿انْتَبَذَتْ﴾: اعتزلت وابتعدت، انفردت لأجل أن تعبد الله ﷻ ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ وبيان لتمييز النوع يفيد هنا ابتداء الغاية المكانية ﴿أَهْلِهَا﴾: عن قومها ﴿مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾: ذهب إلى شرق مساكن أهلها، التي كانوا يعظمونها.

التكليف: خلق الله ﷻ آدم ﷺ، دونَ أب وأمِّ، وخلق "حواء" من أب بلا أمِّ، وخلق "عيسى" ﷺ من أمِّ بلا أب، وجاء خلق "يحيى" ﷺ من أب طاعنٍ في السنِّ وأمِّ عقيمٍ، وجاءت قصة "مريم" هنا في سياق قدرة الله ﷻ على كلِّ شيء؛ ليدلّل على قدرته، وعظمته، وسلطانه.

### ﴿فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ (١٧)

(١) الزهد الكبير للبيهقي ص: ٢٢٨ (٥٩٨).

﴿ف﴾: حرف يفيد السبب والتتابع السريع ﴿اتَّخَذَتْ﴾: اختارت ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ وبيان لتمييز النوع يفيد هنا ابتداء الغاية المكانية ﴿دُونِهِمْ﴾: بعيداً عنهم ﴿حِجَابًا﴾: ساتراً يخفيها عن قومها حتى لا يروها حال العبادة ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾: الذي جاءها هو "جبريل" ﷺ ﴿فَتَمَثَّلَ﴾: بدا شكله ﴿لَهَا﴾: تحديداً ﴿بَشْرًا﴾: جاء إنساناً مكتمل المواصفات ﴿سَوِيًّا﴾: سليم الصفات.

﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتُ نَقِيًّا﴾ (١٨)

﴿قَالَتْ﴾: "مريم ابنة عمران" بعد أن تملكها الخوف وهي في عزلتها وبعيداً عن أهلها خافت "مريم" من "جبريل" أن يصيبها بسوء، فقالت ﴿إِنِّي﴾: بالتأكيد ﴿أَعُوذُ﴾: ألتجئ ﴿بِالرَّحْمَنِ﴾: بالله ﷻ، اختارت من بين أسماء الله ﷻ الحسنى الرحمن؛ لأنها في حاجة إلي الرحمة في هذا الظرف العصيب ﴿مِنْكَ﴾: حرف يفيد التأكيد، وأحتمي بحماه ﷻ منك، وجاء اللفظ "الرحمن"؛ ليحقق غايتها أن يرحمها من الرذيلة، ومن ألسنة الخلق ﴿إِنْ﴾: حرف شرط ﴿كُنْتُ﴾: وتعني لا تزال ﴿نَقِيًّا﴾: وهي تعلم أن أي مخلوق تقى إذا ذُكر بالله ﷻ رجع، وذكّرت في هذا الموقف بالله ﷻ إن كنت من المتقين؛ فلا تؤذيني؛ لأن المرأة الصالحة لا تريد أن يدخل عليها في خلوتها أحد من الرجال، حتى لو كان أتقى أهل الأرض.

﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾ (١٩)

﴿قَالَ﴾: "جبريل" ﷻ أنني لست ببشرٍ ﴿إِنَّمَا﴾: حرف يفيد التخصيص ﴿أَنَا﴾: بالتحديد والتأكيد ﴿رَسُولُ رَبِّكِ﴾: من مالك أمرك كله؛ ليزيل عنها الخوف على نفسها، فإن رسل الله لا يؤذون، ولا يرتكبون الفواحش ﴿لِأَهَبَ﴾: أعطي بلا ثمن ﴿لَكَ﴾: تملكاً ﴿غُلَامًا﴾: أن يكون لك طفلاً ﴿زَكِيًّا﴾: مُرَكِّي ومُطَهَّر، ظاهراً وباطناً.

﴿قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ (٢٠)

﴿قَالَتْ﴾: مريم ﴿أَنَّى﴾: حرف استفهام بمعنى: من أين، وكيف ﴿يَكُونُ لِي غُلَامٌ﴾: كيف يكون لي ولد وليس لي زوج ﴿وَلَمْ﴾: حرف نفي ﴿يَمْسَسْنِي﴾: لم يعاشرنى زوج كما يحدث ما بين الرجل وزوجته ﴿بَشْرٌ﴾: زوج ﴿وَلَمْ﴾: حرف نفي ﴿أَكُ﴾: أكن من قبل ﴿بَغِيًّا﴾: ولست بفاجرة ولا زانية؛ فالمرأة البغي هي الزانية التي تأخذ مالاً على زناها.

﴿قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا﴾ (٢١)

﴿قَالَ﴾: "جبريل" ﷻ ﴿كَذَلِكَ﴾: مثل هذا، نعم أن لا زوج لك، ولست بزانية ولكن ﴿قَالَ﴾: حكّم وأمر ﴿رَبُّكَ﴾: مالك أمرك، جاء ذكر الرب هنا لتطمئن المرأة المؤمنة ﴿هُوَ﴾: أن يأتي

الولد **﴿عَلِيٌّ﴾**: ضميرٌ منفصلٌ مرفوعٌ للغائب المفرد المذكر، والمقصود هو الله **﴿هَيْتٌ﴾**: هذا أمر سهلٌ أمام قدرة الله **﴿وَلِنَجْعَلَهُ﴾**: أيضاً يصير خلق هذا الغلام من غير أب؛ بإرادة الله **﴿آيَةٌ﴾**: دليلاً وبرهاناً **﴿النَّاسِ﴾**: تخصيصاً، أبناء "آدم" **﴿وَقَوْ﴾**: عطفًا على ما سبق؛ يستدلون به على كمال الله **﴿رَحْمَةً مِنَّا﴾**: حرف يفيد بداية الغاية المكانية والزمانية، سيكون هذا الغلام رحمةً من الله **﴿لِكَ وَلِمَن آمَنَ بِهِ مِنَ النَّاسِ﴾**: لأنه نبيٌّ من الأنبياء، يدعو إلى توحيد الله **﴿وَمَهْدَةٍ﴾** في مهده، وكهولته، **﴿وَقَوْ﴾**: عطفًا على ما جاء **﴿كَانَ﴾**: عيسى **﴿أَمْرًا﴾**: قرارًا من الله **﴿مَقْضِيًّا﴾**: جاء اللفظ القرآني "قضى" على "عشرة" وجوه؛ هنا بمعنى "سيحدث"؛ لأنه مكتوب في اللوح المحفوظ، قال "ابن جرير": هذا من تمام كلام "جبريل" **﴿لَمَرِيمَ﴾**، أن هذا قدرٌ محتومٌ، وقد يكون هذا كلام الله **﴿لِمُحَمَّدٍ﴾**، ويعني النفخ في الفرج، فقد جاء في المعنى: **﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا﴾** [التحريم-١٢]، وفي موضع آخر: **﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا﴾** [الأنبياء-٩١]، يُرِيدُ جَنِبَ دِرْعِ مَرْيَمَ عَلَيْهَا السَّلَامُ، وَقَوْلُهُ: **﴿فِيهِ﴾** يُرِيدُ نَفْسَ مَرْيَمَ، وَذَلِكَ أَنَّ جِبْرِيْلَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ نَفَخَ فِي جَنِبِ دِرْعِهَا فَوَصَلَ النَّفْخُ إِلَيْهَا، وَقَوْلُهُ: **﴿مِنْ رُوحِنَا﴾** [الأنبياء-٩١] أَي مِنْ نَفْخِ جِبْرِيْلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ. قَالَ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ: وَقَدْ تَكُونُ الرُّوحُ بِمَعْنَى الرَّحْمَةِ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: **﴿وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ﴾** [المجادلة-٢٢] أَي قَوَّاهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ، فَقَوْلُهُ: **﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا﴾** [التحريم-١٢] أَي: مِنْ رَحْمَتِنَا<sup>(١)</sup>.

### **﴿فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا﴾ (٢٢)**

**﴿ف﴾**: حرف يفيد هنا السبب **﴿حَمَلَتْهُ﴾**: عندما أخبر "جبريل" **﴿لَمَرِيمَ﴾**؛ استسلمت لقضاء الله **﴿وَحَمَلَتْ بِالْوَلَدِ﴾**، **﴿فَانْتَبَذَتْ﴾**: اعتزلت ونأت **﴿بِهِ﴾**: بما في رحمها **﴿مَكَانًا﴾**: موقعًا **﴿قَصِيًّا﴾**: لما بدأ قوم "مريم" يلحظون؛ ذهب بالذي في بطنها إلى مكانٍ بعيدٍ، قيل شرقيّ المحراب الذي كانت تصلي فيه من البيت المقدس، وقال وهب بن منبه: على بعد ثمانية أميال من بيت المقدس، وهي مدينة بيت لحم في فلسطين، وهذا هو الأرجح والله **﴿أَعْلَمُ﴾**.

### **﴿فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَسِيًّا﴾ (٢٣)**

**﴿ف﴾**: حرف يفيد هنا السبب وهي ساعة المخاض **﴿أَجَاءَهَا﴾**: ألجأها واضطرها وجع الولادة، فقد حان موعد **﴿الْمَخَاضِ﴾**: حالة الولادة **﴿إِلَى﴾**: حرف جر يدل على انتهاء الغاية المكانية **﴿جِذْعِ﴾**: لتستظل تحت **﴿النَّخْلَةِ﴾**: عندما بدأت عملية الولادة ألزمها ذلك الجلوس

(١) الأسماء والصفات للبيهقي ٢/٢١٦ (٧٧٨).

تحت النخلة **﴿قَالَتْ يَا لَيْتَنِي﴾**: حرف يفيد التمني **﴿مِتُّ﴾**: كانت تخاف أن يظنّ بها الناس شبهة الشر تمنّت لو فارقت الحياة **﴿قَبْلَ هَذَا﴾**: تمنّت الموت عندما عرفت أنّها ستُبتلى وتُمتحن بهذا المولود؛ فمن سيصدقها؟ وهنا استخلص بعضهم جواز تمني الموت عند الفتن الكبيرة **﴿و﴾**: عطفاً على موتي **﴿كُنْتُ﴾**: صرْتُ **﴿نَسِيًا مَّنْسِيًا﴾**: حتى لا يذكرني أحدٌ بسوءٍ أتفتن بتغير موقف قومها منها، أو يتغير قومها إذا خالفوا وأغضبوا الله ﷻ.

**﴿فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ (٢٤)**

**﴿ف﴾**: حرفٌ يفيد السرعة والسبب **﴿نَادَاهَا﴾**: من المنادي؟ قال "الضحاك، والسدي، وقتادة، وسعيد بن جبير": هو جبريل ﷺ، لما سمع قولها وكان تحت الأكمة وأنّ عيسى ﷺ، لم يتكلم إلّا عندما ذهب به إلى قومها، وقال "مجاهد والحسن": هو عيسى ﷺ الذي ناداه، والله ﷻ أعلم **﴿مِنْ﴾**: حرف جرّ وبيان لتمييز النوع يفيد هنا ابتداء الغاية المكانية المكانية **﴿تَحْتِهَا﴾**: فيه قولان: من أسفل الوادي، وهو "جبريل" ﷺ، وقيل ابنها "عيسى" ﷺ؛ من تحت قدميها؛ **﴿أَلَا﴾**: حرف نهي، فقد نهاها أن **﴿تَحْزَنِي﴾**: طمأنها ألا تحزن **﴿قَدْ﴾**: حرف جرّ دخل هنا على الفعل الماضي فأفاد التأكيد **﴿جَعَلَ﴾**: هياً وأعدّ **﴿رَبُّكِ﴾**: تعني كلمة الربّ: المعبود، والمُرَبّي، مالك أمرك كلّهُ **﴿تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾**: عَنِ الْبَرَاءِ: قال **﴿سَرِيًّا﴾** [مريم-٢٤]: تَهَرُّ صَغِيرٌ بِالسَّرِيَانِيَّةِ<sup>(١)</sup>، وقال قتادة: الجدول بلغة العرب، وقال السدي وابن جرير: النهر، هنا تحقق أمن الماء، فلن تذهب لجلب الماء، ولن يراها أحدٌ، والسري هو ما يخفف عنها.

**﴿وَهَرِي إِيَّاكَ بِجَذَعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا﴾ (٢٥)**

**﴿و﴾**: عطفاً على ما سبق **﴿هَرِي﴾**: امسكي وحركي **﴿إِيَّاكَ بِجَذَعِ النَّخْلَةِ﴾**: قال ابن عباس: خذي بجذع النخلة، هل كان المقصود بواحدةٍ من جريد النخل، والله أعلم، وهذا الأرجح وكانت يابسة، والأرجح أنّها لم تكن مثمرة وقتها؛ فجعلها الله ﷻ مثمرة، فضلاً جديداً على "مريم" عليها السلام **﴿تُسَاقِطُ﴾**: ينزل منها **﴿عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا﴾**: وتجنّي الثمر الناضج في التو واللحظة، وهنا توافر لها الطعام من النخلة في غير أوانها بعد أن توافر لها الماء.

**﴿فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيَنَّ مِنَ النَّبَشِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾ (٢٦)**

**﴿ف﴾**: حرف يفيد السبب والتتابع السريع **﴿كُلِي﴾**: كان اختيار الرطب مناسباً تماماً لحالة المرأة التي ولدت، ففيه سكر كثير تحتاج إليه المرأة في هذه الحالة، وهو رطبٌ فيه كمية ماءٍ

(١) صحيح البخاري ١٦٥/٤ باب قول الله ﷻ (واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها ..).

كافية، إضافة إلى النهر الصغير، وفي الرطب مواد وألياف تسهّل عملية الإخراج بعد الولادة، التي تتأثر الأمعاء بسبب زحام البطن بالرحم الممتلئ، وفي الرطب المواد القابضة للرحم؛ اللازمة بعد الولادة؛ حتى لا يحدث النزيف المميت، وفيه علاجٌ من المغص، وألم البطن، والولادة، وفيه ما يهدئ النفس والألم، لذلك قال ﷺ: أن تأكل ﴿وَأَشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا﴾: اهدئي وطببي نفسًا ﴿فَأَمَّا﴾: حرف عطفٍ يفيد الشك ﴿تَرِيْنٌ﴾: إذا صادف وشاهدت أحدًا ﴿مِنَ النَّبَشْرِ﴾: الناس ﴿أَحَدًا﴾: أي إنسانٍ تشاهدينه وتحدث معك في شأن الولد ﴿فَقُولِي إِنِّي﴾: بالتأكيد ﴿نَذَرْتُ﴾: أوجبت على نفسي ﴿لِ﴾: حرف تخصيص ﴿الرَّحْمَنِ﴾: اختار لها اسمًا من أسمائه ﷺ الحسنى من الرحمة ﴿صَوْمًا﴾: ألتزم الصمت، قال معظمهم: صومًا وكلامًا؛ فقد كان في شريعتهم إن صاموا لم يتكلموا أيضًا، وقيل لم تتكلم؛ لأن أحدًا لن يصدقها ﴿فَلَنْ﴾: حرف نفي ﴿أَكَلَمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾: من هذا اليوم لن أكلّم أحدًا من الناس.

﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا﴾ (٢٧)

أمر الله ﷺ "مريم" أن تتحصن في مواجهة قومها، أن تصوم يومها فلا تأكل فيه ولا تشرب، وأمرها أن تمتنع عن الكلام "صيامًا"، ففعلت بيقين، وحُصِنَتْ بأمر الله ﷺ، ثم ذهبت تواجه قومها ﴿فَأَتَتْ﴾: لم يشأ الله ﷺ لها أن تغيب عن الناس، بل تواجه، وتتحمل ما ستسمع جاءت ﴿بِهِ قَوْمَهَا﴾: بعيسى عليه السلام، المولود المعجزة إلى المجتمع الذي تعيش فيه من الناس ﴿تَحْمِلُهُ﴾: حمل الأم لوليدها ﴿قَالُوا﴾: هم قوم "مريم" من بني إسرائيل ﴿يَا﴾: حرف نداء هنا للقريب ﴿مَرْيَمُ لَقَدْ﴾: حرف يفيد الإثبات والجزم والتحقق في الماضي ﴿جِئْتِ﴾: ارتكبت ﴿شَيْئًا﴾: أمرًا ﴿فَرِيًّا﴾: عجيبيًا نادرًا ومكروها؛ هذا شيءٌ عظيمٌ، وخطبٌ جللٌ، وهو الحمل دونَ زوج هل يقصدون لقد قمت بعمل فرية كبيرة "كذبة"؛ الله أعلم.

﴿يَا أُخْتُ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَعِيًّا﴾ (٢٨)

﴿يَا﴾: حرف نداء هنا للقريب ﴿أُخْتُ هَارُونَ﴾: عَن الْمُعِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ، قَالَ: لَمَّا قَدِمْتُ نَجْرَانَ سَأَلُونِي، فَقَالُوا: إِنَّكُمْ تَقْرَأُونَ يَا أُخْتُ هَارُونَ، وَمُوسَى قَبْلَ عِيسَى بِكَذَا وَكَذَا، فَلَمَّا قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سَأَلْتُهُ عَن ذَلِكَ، فَقَالَ: «إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَمُّونَ بِأَنْبِيَائِهِمْ وَالصَّالِحِينَ قَبْلَهُمْ»<sup>(١)</sup>، يا من تشبهين في عبادتك وطاعتك وأخلاقك بهارون يا من نظنها مثل هارون في العبادة ﴿مَا﴾: حرف نفي ﴿كَانَ﴾: في السابق ﴿أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ﴾: لم يكن والدك رجل شرّ، عاصيًا أمرًا لله ﷺ، ولا كان مرتكبًا السيئات، فهو معروفٌ بالصلاح والعبادة، و"هارون" كان رجلًا

(١) صحيح مسلم ١٦٨٥/٣ (٢١٣٥).



مُصلِحًا محبوبًا في عشيرته، وهو ليس أخو موسى ﷺ ﴿وَمَا﴾: حرف نفي ﴿كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا﴾: جاء اللفظ القرآني "بغيًا" على أربعة أوجه؛ هنا بمعنى الزنا، ولأنَّ الأسرة من أبٍ وأمٍّ؛ فقد نفى أهلُ "مريم" السوء عن والدها، وعن والدتها؛ أنها لم تكن تفعل السيئات، لسان حالهم يقول يا من نشأت من أبٍ وأمٍّ صالحين، فمن أين يأتيك هذا السوء؟.

﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْأَمْهِدِ صَبِيًّا﴾ (٢٩)

﴿ف﴾: حرفٌ يفيد الاستئناف بسبب ما سمعت ودون تأخير ﴿أَشَارَتْ إِلَيْهِ﴾: أشارت مريم إلى ابنها "عيسى" عليهما السلام؛ ليحيب؛ لأنها كانت صائمة عن الكلام ﴿قَالُوا﴾: مستغربين مستهزئين ساخرين ﴿كَيْفَ﴾: استفهام يفيد التعجب ﴿نُكَلِّمُ مَنْ﴾: الذي ﴿كَانَ﴾: لا يزال ﴿فِي الْمَهْدِ﴾: موجودًا في فراش المواليد ﴿صَبِيًّا﴾: رضيًا، كانوا غاضبين يظنون أنها تهزأ بهم، وبدا هذا الموقف أشد عليهم من زناها والعياذ بالله، كيف نكلم وليدًا في مهده، فأنطق الله ﷻ عيسى ﷺ.

﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ (٣٠)

﴿قَالَ﴾: عيسى ﷺ ﴿إِنِّي﴾: أنا بالتأكيد، جاء قوله ﷺ، هنا تأكيد لنفسه ﴿عَبْدُ اللَّهِ﴾: كانت أول كلماته ذات دلالات مهمة، هو عبد الله، وليس ابنه؛ فنزّهه الله ﷻ عن الولد ﴿آتَانِيَ﴾: وهبني ﴿الْكِتَابَ﴾: الإنجيل كتاب الله ﷻ لقد عبّر عيسى ﷺ، بصيغة الماضي؛ باعتبار ما سيكون في المستقبل ﴿و﴾: عطفًا على هذا أيضًا ﴿جَعَلَنِي﴾: كلفني أن أكون ﴿نَبِيًّا﴾: وبذلك نزه أمّه من الزنا، فالأنبياء لا يأتون سفاحًا.

﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ (٣١)

﴿وَجَعَلَنِي﴾: سخّرني ﴿مُبَارَكًا﴾: كثير الخيرات كثير النفع للخلق، قال مجاهد: جعله معلمًا للخير ﴿أَيْنَ مَا﴾: في أيِّ مكانٍ ﴿كُنْتُ﴾: يعم نفعي الناس في كلِّ مكانٍ كنت فيه ﴿و﴾: أيضًا ﴿أَوْصَانِي﴾: أمرني ﴿بِ﴾: حرف باء التوكيد ﴿الصَّلَاةِ﴾: أن أقيم الصلاة ﴿وَالزَّكَاةِ﴾: وأن أعطي المحتاجين الزكاة ﴿مَا دُمْتُ﴾: بقيت ﴿حَيًّا﴾: طوال حياتي. التكليف: هذا حال كلِّ الأنبياء، والأولياء، والتابعين الصالحين، المداومة على الطاعة والإقبال على الله ﷻ.

﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْ لِي جَبْرًا شَقِيًّا﴾ (٣٢)

﴿و﴾: أيضًا جعلني الله ﷻ ﴿بَرًّا﴾: مُحسنًا ومُكرمًا ﴿بِ﴾: حرف باء الغاية؛ بمعنى إلى ﴿وَالِدَتِي﴾: بعد ذكر الله ﷻ جاء برُّ الوالدة، طاعتها، وحمايتها، وإطعامها، والدفاع عنها

﴿وَلَمْ﴾: حرف نفي ﴿يَجْعَلَنِي﴾: لم يكتبني ﴿جَبَّارًا﴾: لست غليظ القلب، فالجبار هو الذي يبطش عندما يغضب ﴿شَقِيًّا﴾: المُستكبر عن عبادة الله ﷻ وطاعته، قال بعض السلف: لا تجد أحدًا عاقًا بوالديه إلا وجدته جبارًا شقيًا.

﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ (٣٣)

﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿السَّلَامُ عَلَيَّ﴾: الأمان والأمان من الله ﷻ عليّ وعلى والدتي من الشيطان وأعوانه في ذلك الوقت ﴿يَوْمَ وُلِدْتُ﴾: يوم ولادتي؛ معنى يوم هنا "زمن"، هنا إثبات من لسان "عيسى" لقومه أنه مخلوق، وليس إلهًا أو ربًّا ﴿وَيَوْمَ أَمُوتُ﴾: السلام عليّ يوم أموت، وما بعدها حتى يوم القيامة ﴿وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾: ولأنتني ككل المخلوقات سأقف يوم القيامة أمام الإله العدل ﷻ.

التكليف: كانت هذه الكلمات الربانية الأقوى في إقناع كل من في قلبه خيرٌ، برأ بها أمه من تهمة باطلة، وأكد عبوديته لله ﷻ، وأكد نبوته، ولم يبق على أصحاب القلوب النقية إلا أن يؤمنوا، وأصحاب القلوب القاسية أن تستمر في افترائها وكذبها، وهو منهج نبوي كريم لكل زمان، ولكل مكان، وأكد أنه عبد سيموت، وأنه سيقوم كالبشر يوم القيامة.

﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ (٣٤)

﴿ذَلِكَ﴾: إشارة للبعيد المتصف بهذه الأوصاف، بعيد المكانة والمنزلة، استعمل ﷻ ذلك للبعيد؛ ليبين علو مكانته ومنزلة عيسى ﷺ، على عكس ما أراد النصارى، كان ﴿عِيسَى﴾: صاحب هذا الخلق يا "محمد" ﷺ، وخلق أتباعه، خبر وقصة ﴿ابْنُ مَرْيَمَ﴾: الحقيقة الربانية ﴿قَوْلَ الْحَقِّ﴾: قول الصدق من الله ﷻ ﴿الَّذِي﴾: اسم موصول للفرد المذكور ﴿فِيهِ﴾: في خلقه ﴿يَمْتَرُونَ﴾: لم يقل الذي فيه يجادلون ويختلفون؛ لأن الاختلاف يعني ويستلزم أن يكون بعضهم على حق وبعضهم الآخر على باطل، بينما الامتراء هنا يعني بطلان قولهم جميعًا، الذين يفترون الكذب على الله ﷻ، وعلى مريم وعيسى، عليهما السلام.

﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (٣٥)

﴿مَا﴾: حرف نفي ﴿كَانَ لِلَّهِ﴾: تنزه الله ﷻ عن قول المبطلين ﴿أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿يَتَّخِذُ﴾: من يختار ويعتمد ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ وبيان لتمييز النوع يفيد هنا ابتداء الغاية المكانية، هنا بعض عباده وخلقه ﴿وَلَدٍ سُبْحَانَهُ﴾: أي ولد، فالله ﷻ منزّه عن هذا القول أن يكون له صاحبة أو ولد، بل كل الخلق عباده ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يُستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط بين ما بعدها بما قبلها ﴿قَضَىٰ﴾: قرر وأراد ﴿أَمْرًا﴾: والأمر هنا

المقصود به خلق "عيسى" ﷺ **﴿فَإِنَّمَا﴾**: تحديداً وتخصيصاً **﴿يَقُولُ لَهُ﴾**: للشيء **﴿كُن﴾**: صر "من الصيرورة" **﴿ف﴾**: حرف يفيد السرعة دون تأخير **﴿يَكُونُ﴾**: فيصير فإنه يأمر به؛ فيصير كما أراد ﷺ وشاء.

### **﴿وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ (٣٦)**

هذا قول "عيسى" ﷺ لقومه المُصدقين به والمُكذِّبين، وهو قول كلِّ مؤمنٍ في كلِّ حادثَةٍ، وفي كلِّ وقتٍ، وكلِّ مكانٍ **﴿و﴾**: عطفاً على هذه الحقائق **﴿إِنَّ﴾**: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار **﴿اللَّهُ رَبِّي﴾**: مالك كلِّ أمري **﴿و﴾**: أيضاً هو تعالى **﴿رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ﴾** أطيعوه ﷺ؛ تهتدوا، وإن تعصوا؛ تضلوا **﴿هَذَا صِرَاطٌ﴾**: هذا هو طريق **﴿مُسْتَقِيمٌ﴾**: الحق، الذي يُحقِّق الغايات في أسرع وقتٍ، وبأفضل نتائج؛ فإنَّ الخط المستقيم هو أقصر الطرق بين بداية أي شيء ونهايته.

### **﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (٣٧)**

**﴿ف﴾**: وبسبب ذلك الحال **﴿اِخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ﴾**: اختلفت الفرق من أهل الكتاب في أمر عيسى ﷺ، لما بين ﷺ حال عيسى بن مريم التي لا يُشكُّ فيها ولا يُمتري، أخبر أن الأحزاب، أي: فرق الضلال، من اليهود والنصارى وغيرهم، على اختلاف طبقاتهم اختلفوا في عيسى ﷺ، فمن مغالٍ فيه وجاف، فمنهم من قال: إنه الله، ومنهم من قال: إنه ابن الله. ومنهم من قال: إنه ثالث ثلاثة. ومنهم من لم يجعله رسولا بل رماه بأنه ولد بغي كاليهود، وكل هؤلاء أقوالهم باطلة، وأراؤهم فاسدة، مبنية على الشك والعناد، والأدلة الفاسدة، والشبه الكاسدة، وكل هؤلاء مستحقون للوعيد الشديد، **﴿فَوَيْلٌ﴾**: العذاب الشديد والوعيد **﴿ل﴾**: حرف تخصيص **﴿الَّذِينَ﴾**: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ **﴿كَفَرُوا﴾**: الذين اختلفوا في أمره لمن كذب وافترى على الله ﷺ وعلى "عيسى"، وعلى أمه فجزأؤهم يوم القيامة **﴿مِنْ﴾**: حرف جرٍ وبيان لتمييز النوع يفيد هنا ابتداء الغاية **﴿مَشْهَدِ يَوْمٍ﴾**: لقد أجلَّ الله ﷺ لهم العذاب إلى **﴿يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾**: ما يجري فيه من الحساب والعقاب، يوم القيامة، جاء في المعنى: **﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾** [إبراهيم-٤٢].

### **﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُوتُنَّا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (٣٨)**

**﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾**: يُخبر الله ﷺ عن الكفار يوم القيامة سيكون سمعهم وستكون أبصارهم أكثر من غيرهم على غير ما كانوا في الدنيا، حيث عميت أبصارهم، وصُمَّت أسمعهم عن الوصول إلى الإيمان، ما أسمعهم **﴿يَوْمَ يَأْتُوتُنَّا﴾**: يوم يبعثهم الله ﷺ يوم القيامة للحساب

والجزاء ﴿لَكِنَّ﴾: حرف استدراك ﴿الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ﴾: الذين كفروا وكذبوا في الدنيا، فظلموا غيرهم وأنفسهم ﴿فِي ضَلَالٍ﴾: أنهم في تيهٍ شديدٍ ﴿مُتَّبِعِينَ﴾: واضحٍ وظاهرٍ، المقصود أنهم كانوا في الدنيا لا يسمعون ولا يبصرون ولا يعقلون ولا يهتدون رغم ما يسمعون ويبصرون، وكانت كلُّ وسائل الإدراك فيهم تعمل.

﴿وَأَنْذَرْتَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٣٩)

﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿أَنْذَرْتَهُمْ﴾: الحديث إلى "محمد" ﷺ؛ حذر الخلائق جمعياً من ﴿يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾: يوم يتحسرون جميعاً، يوم الندم الأكبر، للكافرين والمشركين يوم القيامة ﴿إِذْ﴾: حرف يدلُّ على ما مضى ﴿قُضِيَ الْأَمْرُ﴾: جاء اللفظ القرآني "قضى" على عشرة وجوه؛ هنا بمعنى وجب العذاب على الذين كذبوا به، وفُصِّلَ بين أهل الجنة وأهل النار، وصار كلُّ فريقٍ إلى ما قدره له الله ﷻ، خالداً فيه أبداً ﴿و﴾: حرف جرٍ يُفيد الحال ﴿هُمْ﴾: ضميرٌ منفصلٌ مرفوعٌ للجمع المذكر والمؤنث الغائب؛ للتحديد والتخصيص والتأكيد، هم الكفار والمُنكرون في الحياة الدنيا ﴿فِي غَفْلَةٍ﴾: نسوا أو تناسوا وغفلوا عما أنذرتهم به "محمد" ﷺ، وأتباعه من الحركات الإسلامية والدعاة والوعاظ، والغفلة هي سهوٌ يعترى الإنسان من قلة التحفظ والتهيؤ ﴿وَهُمْ﴾: تحديداً ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يُؤْمِنُونَ﴾: لا يُصدِّقون بما أنذرتهم الأنبياء والرسل والدعاة من بعدهم.

التكليف: إنَّ يوم الحسرة مُلَخَّصٌ في حديث الرسول ﷺ عَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " إِذَا صَارَ أَهْلُ الْجَنَّةِ إِلَى الْجَنَّةِ، وَأَهْلُ النَّارِ إِلَى النَّارِ، جِيءَ بِالْمَوْتِ حَتَّى يُجْعَلَ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، ثُمَّ يُدْبَحُ، ثُمَّ يُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ لَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ لَا مَوْتَ، فَيَزِدَادُ أَهْلُ الْجَنَّةِ فَرَحًا إِلَى فَرَحِهِمْ، وَيَزِدَادُ أَهْلُ النَّارِ حُزْنًا إِلَى حُزْنِهِمْ" (١).

﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِنَّا يُرْجَعُونَ﴾ (٤٠)

﴿إِنَّا نَحْنُ﴾: يُخبر الله ﷻ عن نفسه الطاهرة أنه الخالق، المالك، المتصرف ﴿نَرِثُ﴾: للأرض ومن عليها؛ بفنائهم وبقائهم بعدهم وحكمنا فيهم، يعود علينا جاءت بصيغة الجمع؛ لعظم الحدث؛ والمحدث ﷻ، كلُّ الخلق يهلكون، ويبقى هو ﷻ وحده فلا يوجد مخلوق على ﴿الْأَرْضِ وَ﴾: أيضاً نرث ﴿مَنْ﴾: حرفٌ يُفيدُ كل جنس العاقل ﴿عَلَيْهَا﴾: لا مالك للأرض غيره ﷻ، كلُّه يؤول إليه، هو ﷻ الوارث لجميع خلقه ﴿و﴾: عطفًا على هذا فكلُّ الخلق

(١) صحيح البخاري ١١٤/٨ (٦٥٤٨).

﴿إِنَّا يُزَجُّونَ﴾: كَلَهُ رَاجِعٌ إِلَى اللَّهِ ﷻ، لَا مَلْجَأَ، وَلَا مَنجَى مِنْهُ إِلَّا إِلَيْهِ، جَاءَتْ بِصِيغَةِ الْجَمْعِ "إِنَّا" لِتَعْظِيمِ الْحَدِيثِ.

﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ (٤١)

﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ﴾: جَاءَ اللَّفْظُ الْقُرْآنِيُّ "الذِّكْرُ" عَلَى سِتَّةِ عَشَرَ وَجْهًا، هُنَا بِمَعْنَى "الْأَمْرُ" جَاءَ أَمْرٌ مِنَ اللَّهِ ﷻ لِمُحَمَّدٍ ﷺ: اتْلُ وَأَخْبِرِ الَّذِينَ يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ عَنْ وَاحِدَةٍ مِنْ مَشَاهِيرِ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ الَّذِينَ سَبَقُوا، وَهُمْ قَوْمُ ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾: ﷺ: ﴿إِنَّهُ﴾: بِالتَّأَكِيدِ ﴿كَانَ﴾: فِي زَمَانِهِ ﴿صِدِّيقًا﴾: كَانَ عَظِيمَ الصِّدْقِ فِي أَقْوَالِهِ، وَأَعْمَالِهِ، وَفِي إِيمَانِهِ، وَصَفَ اللَّهُ ﷻ "إِبْرَاهِيمَ" أَنَّهُ كَانَ صَادِقًا فِي تَبْلِيغِهِ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ ﴿نَبِيًّا﴾: مُرْسَلًا مِنَ اللَّهِ ﷻ، لِيَبْلُغَ رِسَالَةَ رَبِّهِ ﷻ.

﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾ (٤٢)

﴿إِذْ﴾: حَرْفُ تَعْلِيلٍ تَحَقَّقَ فِيهَا مَضَى ﴿قَالَ﴾: وَالْقَائِلُ هُوَ إِبْرَاهِيمُ ﷺ ﴿ل﴾: حَرْفُ تَخْصِيصٍ ﴿أَبِيهِ يَا﴾: حَرْفُ نِدَاءٍ لِلْقَرِيبِ هُنَا ﴿أَبَتِ﴾: تَوَدَّدًا وَاحْتِرَامًا لِمَقَامِ أَبِيهِ، وَحَبَّةٌ لَهُ أَنْ يُؤْمِنَ ﴿لِمَ﴾: لِمَاذَا ﴿تَعْبُدُ﴾: تُطْعِمُ ﴿مَا﴾: حَرْفٌ يَفِيدُ غَيْرَ الْعَاقِلِ، الَّذِي ﴿لَا﴾: حَرْفُ نَفْيٍ ﴿يَسْمَعُ﴾: إِذَا دَعَوْتَهُ ﴿وَلَا يُبْصِرُ﴾: إِذَا عَبَدْتَهُ، وَهِيَ الْحِجَارَةُ، مِنَ الْأَصْنَامِ الصَّمَاءِ، الَّتِي لَا تَسْمَعُ دَعَاءً وَلَا تَرَى شَيْئًا ﴿وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾: لَا يَنْفَعُكَ بِشَيْءٍ، وَلَا يَكْشِفُ عَنْكَ ضَرْرًا.

﴿يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا﴾ (٤٣)

﴿يَا﴾: حَرْفُ نِدَاءٍ هُنَا لِلْقَرِيبِ ﴿أَبَتِ﴾: يَا وَالِدِي ﴿إِنِّي﴾: أَنَا بِالتَّأَكِيدِ ﴿قَدْ﴾: حَرْفُ جَرِّ دَخَلَ هُنَا عَلَى الْفِعْلِ الْمَاضِيِّ فَأَفَادَ التَّأَكِيدَ ﴿جَاءَنِي﴾: تَلَقَّيْتُ عِلْمًا وَحِيًّا مِنَ اللَّهِ ﷻ ﴿مِنَ﴾: نَصِيبٍ، جِزْءٌ أَوْ بَعْضٌ ﴿الْعِلْمِ﴾: لَقَدْ اطَّلَعْتُ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ تَطَّلِعْ عَلَيْهِ؛ رَغْمَ أَنِّي وَلَدُكَ، وَأَنْتَ أَكْبَرُ مِنِّي ﴿مَا﴾: حَرْفُ نَفْيٍ ﴿لِمَ﴾: حَرْفُ جِزْمٍ يَنْفِي الْفِعْلَ الْمُضَارِعَ ﴿يَأْتِكَ﴾: مَعْنَى هَذَا أَنَّ أَبَاهُ عَجَزَ عَنِ الْجَوَابِ؛ فَأَخْبَرَ هُوَ بِمَا حَصَلَ حَقِيقَةً عِنْدَهُ مِنَ الْعِلْمِ؛ بِمَعْنَى قَدْ اطَّلَعْتُ عَلَى عِلْمٍ مِنَ اللَّهِ ﷻ لَمْ تَطَّلِعْ أَنْتَ عَلَيْهِ ﴿فَ﴾: حَرْفٌ يَفِيدُ هُنَا جَوَابَ الشَّرْطِ، لِهَذَا السَّبَبِ ﴿اتَّبِعْنِي﴾: أَطْعَمَنِي فِيمَا أَدْعُوكَ إِلَيْهِ، مِنْ أَجْلِ هَذَا صَدَّقَنِي وَأَمَّنَ بِمَا قَلَّتَهُ لَكَ ﴿أَهْدِكَ﴾: أَدَلَّكَ وَأَرْشَدَكَ ﴿صِرَاطًا﴾: طَرِيقًا وَمَنْهَجًا ﴿سَوِيًّا﴾: أَخَذَكَ إِلَى الطَّرِيقِ الَّذِي لَا تَضِلُّ فِيهِ أَبَدًا، إِلَى الْمَنْهَجِ السَّوِيِّ الْمُسْتَقِيمِ؛ تَتَلَّ بِهَ الْمَطْلُوبَ فِي الدُّنْيَا، وَتَتَجَوَّعُ مِنَ الْمَرْهُوبِ فِي الْآخِرَةِ.

﴿يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا﴾ (٤٤)

﴿يَا﴾: نِدَاءٌ لِلْقَرِيبِ ﴿أَبَتِ﴾: يَكْرُرُ إِبْرَاهِيمُ ﷺ، لَفْظَ أَبَتِي تَحْبُّبًا ﴿لَا﴾: حَرَامٌ عَلَيْكَ أَنْ ﴿تَعْبُدِ﴾: تَطْعِ ﴿الشَّيْطَانَ﴾: إِنَّ عِبَادَتَكَ لِلْأَصْنَامِ هِيَ اسْتِجَابَةٌ لِدَعْوَةِ الشَّيْطَانِ، وَهَذِهِ طَاعَةٌ

له ورصًا به واعلم ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿الشَّيْطَانُ كَانَ﴾: وسبقه ﴿ل﴾: حرف تخصيص ﴿الرَّحْمَنِ﴾: لله ﷻ صاحب الرحمة الواسعة ﴿عَصِيًّا﴾: مخالفاً لله ﷻ، مستكبراً، كثير العصيان، إِنَّ الشيطان يعصى الله ﷻ، ويستكبر عن طاعته، وهو مطرودٌ، مُبعدٌ من رحمته.

﴿يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾ (٤٥)

﴿يَا﴾: حرفٌ نداءٍ هنا للقريب ﴿أَبَتِ إِنِّي﴾: أنا بالتأكيد ﴿أَخَافُ﴾: أخشى عليك، ﴿أَنْ﴾: حرفٌ تأكيد الفعل ﴿يَمَسُّكَ﴾: أن يصيبك في عقلك وجسدك ﴿عَذَابٌ مِنْ﴾: حرفٌ يُفيد بداية الغاية ﴿الرَّحْمَنِ﴾: إن مُت أن يعذبك الله ﷻ، وقد جاء لفظ العذاب من "الرحمن" الذي يُطمئن القلوب، ولم يأت اللفظ "الجبار" مثلاً ﴿ف﴾: يفيد السبب وسرعة النتيجة ﴿تَكُونَ﴾: مصيرك ﴿ل﴾: حرفٌ تخصيصٍ وتمليك ﴿الشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾: فنُصِح حبيباً وناصرًا ومؤيداً للشيطان، ولا يكون لك من حبيبٍ ولا ناصرٍ ولا مؤيدٍ إلا الشيطان، وهو لن ينفعك، ولن ينفع نفسه.

﴿قَالَ أَرَأَيْبُ أَنْتَ عَنِ إِلَهِي يَا إِبْرَاهِيمُ لئنْ لَمْ تَنْتَه لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾ (٤٦)

﴿قَالَ﴾: آزر أبو إبراهيم؛ ردًا على دعوة ابنه ﴿أ﴾: حرفٌ استفهامٍ ﴿رَأَيْبُ﴾: رافضٌ ﴿أَنْتَ﴾: هل أنت لا تريد ولا ترغب ﴿عَنْ﴾: يُفيد الاستعلاء والبدل ﴿إِلَهِي يَا إِبْرَاهِيمُ﴾: لا تريد عبادتها، ولا تعترف بها ﴿لئن﴾: حرف شرط ﴿لم﴾: نفي ﴿تَنْتَه﴾: إذا لم تتوقف عن سبِّ الأصنام وتعييبها ﴿ل﴾: حرف علّةٍ وسببٍ ﴿أَرْجُمَنَّكَ﴾: جاء اللفظ القرآني "الرجم" على خمسة أوجه؛ هنا بمعنى "الرمي بالحجارة" وجاء بمعنى الشتم والسبِّ ﴿و﴾: عطفًا على رجمك بالحجارة ﴿اهْجُرْنِي﴾: قال "مجاهد": ابتعد عني ﴿مَلِيًّا﴾: زمنًا طويلًا، فارقني ولا تكلمني دهرًا، وقال الحسن البصري: زمنًا طويلًا، وقال السدي: ابتعد عني أبدًا، وقال ابن عباس، والضحاك، وقتادة، وأبو مالك، وابن جرير: سويًا سالمًا منك أن تصيبك مني عقوبة.

﴿قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾ (٤٧)

﴿قَالَ﴾: إبراهيم ﷺ ﴿سَلَامٌ عَلَيْكَ﴾: هذا سلام القادر وهو مطلوبٌ ومشروعٌ وتعني لا ينالك مني مكروه، ولا أذى؛ بحكم الأبوة، وأمّا سلام المنصرف فغير مشروع، وفي هذا انسجامٌ مع المنهج القرآني في مخاطبة الجاهلين؛ فقد جاء في المعنى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان-٦٣]، وقال ﷻ أيضًا: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾ [القصص-٥٥] ﴿س﴾: حرفٌ توكيد الفعل في المستقبل ﴿أَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي﴾: سأسأل الله ﷻ لك الهداية،

ومغفرة ذنوبك ﴿إِنَّهُ﴾: الله ﷻ بالتأكيد ﴿كَانَ﴾: بلا زوال أو انقطاع ﴿بِي حَفِيًّا﴾: كثير اللطف بي، قال ابن عباس: كان ربي بي لطيفًا؛ هداني لعبادته، وقال قتادة، ومجاهد، والسدي: "الذي يهتم بأمرى، ومن هنا يجوز رد السلام على الأب الكافر. التكليف: كان استغفار إبراهيم ﷺ، لأبيه لمدة طويلة؛ حتى بعد نجاته، وبناء الكعبة، وبعد أن رزقه الله ﷻ الأولاد، فقد جاء في دعائه ﷺ: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ [إبراهيم-٤١]، وكذلك فعل المسلمون؛ حتى نزلت الآية الكريمة: ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة-١١٤].

﴿وَأَعْتَزِلْكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾ (٤٨) ﴿و﴾: عطفًا هنا على ما قاله إبراهيم ﷺ، لأبيه؛ جاء قوله ﴿أَعْتَزِلْكُمْ﴾: أتجنبكم، وابتعد عنكم؛ سأهاجر بديني عنكم وعمّا تعبدون من دون الله ﷻ، إذا لم تقبلوا نُصحي ودعوتي ﴿و﴾: أيضًا اعتزل ﴿مَا﴾: الذي من غير العاقل ﴿تَدْعُونَ﴾: تعبدون ﴿مِنْ دُونِ﴾: غير ﴿اللَّهِ﴾: من الأصنام التي تعبدونها ﴿وَأَدْعُوا رَبِّي﴾: أعبد الله وحده، مخلصًا له الدين، تعني كلمة الرب: المعبود، والمُربي، مالك أمري كلّه لا أشرك به شيئًا ﴿عَسَىٰ﴾: فعلٌ ماضٍ جامدٌ هنا للترجي في الأمر المحبوب، وهي تدلُّ على التحقق والوجوب ﴿أَلَّا﴾: حرف تخصيص ﴿أَكُونَ﴾: أصير ﴿بِ﴾: باء التوكيد ﴿دُعَاءِ رَبِّي﴾: مالك أمري كلّه ﴿شَقِيًّا﴾: يقينًا لن أكون بدعاء الله ﷻ تعيينًا أو خائبًا.

﴿فَلَمَّا اعْتَزَلْتَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾ (٤٩) ﴿فَلَمَّا﴾: حرفٌ يُفيد التتابع الزمني والسبب ﴿اعْتَزَلْتَهُمْ﴾: عندما ترك إبراهيم الخليل ﷺ، أباه وقومه ووطنه وهاجر في سبيل الله؛ إلى بيت المقدس، حيث يقدر أن يُظهر دينه؛ بأمرٍ منه ﷻ، فأبدل الله عزلته خيرًا من قومه ﴿و﴾: أيضًا اعتزل ﴿مَا﴾: غير العاقل مثل البقر والأصنام والتمائيل ﴿يَعْبُدُونَ مِنْ﴾: حرفٌ تمييز بمعنى غير ﴿دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا﴾: عوض الله ﷻ ﴿لَهُ﴾: تخصيصًا ﴿إِسْحَاقَ وَ﴾: أيضًا وهبنا له ﴿يَعْقُوبَ﴾: رزقه الله ﷻ الولد الذي سماه "إسحق"، ثم رزق "إسحق" ابنه "يعقوب"، ودليل ذلك قوله ﷻ: ﴿وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود-٧١]، وقد يظنُّ بعضهم أن "يعقوب" جاء لإبراهيم ﷺ بعد "إسحق"، والاتان من أولاد إبراهيم، لكن الآية توضح ذلك: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَالِاهُ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾ [البقرة-

[١٣٣] **﴿وَكَلَّمَ﴾**: من إسحق ويعقوب **﴿جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾**: ذكر الله في حياة "إبراهيم" أن ابنه "إسحاق"، و"يعقوب" ابن "إسحاق" كانا من الأنبياء.

**﴿وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ (٥٠)**

**﴿و﴾**: أيضًا **﴿وَهَبْنَا﴾**: أعطيناهم منحةً وهبةً **﴿لَهُمْ﴾**: تخصيصًا **﴿مِنْ﴾**: حرف جرّ وبيان لتمييز النوع يفيد هنا ابتداء الغاية **﴿رَحْمَتِنَا﴾**: والرحمة هنا الخير الوفير، قال ﷺ بصيغة الجمع الدالة على الكثرة، أنه ﷺ منج لهؤلاء الأنبياء من عنده رحمة **﴿وَجَعَلْنَا﴾**: وهبنا أيضًا **﴿لَهُمْ﴾**: تخصيصًا **﴿لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾**: قال ابن عباس: لسان الصدق العلي هو الثناء الحسن، وقال ابن جرير: لأنّ جميع الأديان يثنون عليهم ويمدحونهم، إنّه الثناء المستمر حتى يوم القيامة.

**﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ (٥١)**

**﴿و﴾**: أيضًا **﴿أَذْكُرُ﴾**: يا "محمد" **﴿فِي الْكِتَابِ﴾**: في القرآن الكريم الذي نزل عليك أن **﴿مُوسَى إِنَّهُ﴾**: هو بالتأكيد **﴿كَانَ مُخْلَصًا﴾**: "بفتح اللام"؛ فتعني من المصطفين **﴿و﴾**: حرف عطف يفيد هنا الحال **﴿كَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾**: جمع الله ﷺ لموسى ﷺ، الوصفين، فهو من المرسلين الخمسة الكبار؛ أولي العزم من الرسل، وهم "نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد، عليهم السلام.

**﴿وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾ (٥٢)**

**﴿وَنَادَيْنَاهُ﴾**: كلمه الله ﷻ، وناداه **﴿مِنْ﴾**: حرف جرّ وبيان لتمييز النوع يفيد هنا ابتداء الغاية المكانية في **﴿جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ﴾**: هو ما امتد منها من البناء، ذهب "موسى" ﷺ؛ بحثًا عن جذوة من النار المشتعلة، فلما اقترب وجدها في الجانب الأيمن للجبل "جبل الطور"، عند شاطئ الوادي **﴿و﴾**: عطفًا على ما سبق، هنا النداء لموسى ﷺ **﴿قَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾**: كان كليماً لله ﷻ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: **﴿وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾** [مريم-٥٢] قَالَ: «سَمِعَ صَرِيْفَ الْقَلَمِ حِينَ كَتَبَ فِي اللَّوْحِ»<sup>(١)</sup>.

**﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا﴾ (٥٣)**

**﴿و﴾**: عطفًا على ما سبق من تفضيل **﴿وَهَبْنَا﴾**: منحنا **﴿لَهُ﴾**: حرف تخصيص **﴿مِنْ﴾**: حرف جرّ وبيان لتمييز النوع يفيد هنا ابتداء الغاية، بعض **﴿رَحْمَتِنَا﴾**: وأعطيناها أيضًا مزيدًا من رحمتنا **﴿أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا﴾**: استجاب الله ﷻ لنداء "موسى" أن يجعل أخاه "هارون" نبياً

(١) المستدرک علی الصحیحین للحاکم ٤٠٥/٢ (٣٤١٤) وقال: صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخْرِجَاهُ. ووافقه الذهبي.



معه، فقد جاء في المعنى: ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلَهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي﴾ [القصص-٣٤] لقد كانت هذه أعظم شفاعاة، هي شفاعاة "موسى" في أخيه "هارون"؛ فجاءت وهي من نعم الله ﷻ ورحمته، قال ابن عباس: كان "هارون" أكبر من "موسى".

﴿وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ (٥٤)

﴿وَادْكُرْ﴾: اذكر أيضًا يا محمد ﴿فِي الْكِتَابِ﴾: في القرآن الكريم من نعم الله ﷻ ورحمته على ﴿إِسْمَاعِيلَ﴾: هو ابن إبراهيم، عليهما السلام، وهو أبو العرب، كان في الجزيرة العربية ﴿إِنَّهُ﴾: هو بالتأكيد ﴿كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ﴾: هذه خصلة اختصها الله ﷻ "لإسماعيل" ﷺ؛ الوفاء بالوعد، عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبُو سُوَيْبَانَ، أَنَّ هِرْقَلًا قَالَ لَهُ: سَأَلْتُكَ مَاذَا يَأْمُرُكُمْ؟ فَرَعَمْتُ: «أَنَّهُ أَمَرَكُمْ بِالصَّلَاةِ، وَالصِّدْقِ، وَالْعِفَافِ، وَالْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ»، قَالَ: وَهَذِهِ صِفَةُ نَبِيِّ<sup>(١)</sup>، هذه صفة من صفات المؤمنين، وعكسها في المنافقين فعن أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: " آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبًا، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا أُؤْتِمِنَ حَانَ"<sup>(٢)</sup> ﴿وَكَانَ﴾: إسماعيل ﴿رَسُولًا نَبِيًّا﴾: وصف الله ﷻ "إسحق" بالنبوة، ووصف "إسماعيل" بالنبوة والرسالة.

التكليف: "الرسول" هو الذي يُكَلَّفُ بشريعة جديدة لم يسبقه إليها أحدٌ، وأمّا النبي فهو الذي يُبعث بشريعة سبقه إليها غيره من الأنبياء.

﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾ (٥٥)

﴿وَ﴾: حرفٌ عطفٍ يفيد هنا الحال ﴿كَانَ﴾: إسماعيلٌ جاء التكرار للتشريف والمدح، ﴿يَأْمُرُ أَهْلَهُ﴾: أمته ﴿بِالصَّلَاةِ﴾: من الخصال التي مدح الله ﷻ بها إسماعيل ﷺ؛ الصبر على طاعة الله ﷻ؛ بقيام الصلاة، والدوام عليها، وكان يأمر زوجته، وأهله بالصلاة، قال ﷻ: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه-١٣٢] ﴿وَ﴾: أيضًا أمره بأداء ﴿الزَّكَاةِ﴾: وكان من خصال "إسماعيل" ﷺ الإنفاق في طاعة الله ﷻ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّى، وَأَيْقَظَ امْرَأَتَهُ، فَإِنْ أَبَتْ، نَضَحَ فِي وَجْهِهَا الْمَاءَ، رَحِمَ اللَّهُ امْرَأَةً قَامَتْ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّتْ، وَأَيْقَظَتْ زَوْجَهَا، فَإِنْ أَبَى، نَضَحَتْ فِي وَجْهِ الْمَاءِ"<sup>(٣)</sup>، وعن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "إِذَا اسْتَيْقَظَ الرَّجُلُ مِنَ اللَّيْلِ وَأَيْقَظَ امْرَأَتَهُ فَصَلَّتَا

(١) صحيح البخاري ١٨٠/٣ (٢٦٨١).

(٢) صحيح البخاري ١٦/١ (٣٣).

(٣) سنن أبي داود ٣٣/٢ (١٣٠٨)، قال الألباني: حسن صحيح.

رُكِّعَتَيْنِ كُتِبَا مِنَ الذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ" <sup>(١)</sup> ﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿كَانَ عِنْدَ﴾: ظرف زمان، وظرف مكان، في تقدير ﴿رَبِّهِ﴾: عن المُعبود الحق، والمُربي، وهو المنشئ للكون بمن وبما فيه من حالٍ إلى حالٍ إلى حدِّ التمام وهو تعالى الخالق، والمالك، والعاطي، وكثيرُ الخير، والمُحيط، والمُدبِّر، والجابِرُ لكسر البرايا، والثابت، والقريب، والجامعُ، والمصلحُ، والسيدُ، مالك الأمر كلّه ﴿مَرْضِيًّا﴾: نال مرتبة رضا الله ﷻ عليه، أنعمَ بها من نعمةٍ.

### ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ (٥٦)

﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿أَذْكُرُ﴾: يا "محمد" ﷺ ﴿فِي الْكِتَابِ﴾: في القرآن الكريم ﴿إِدْرِيسَ﴾: هو جدُّ نوح، وأوّل من خطَّ بالقلم، كان نبيًّا، ﴿إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾: وقد وصفه الله ﷻ بالصدق، كان إدريس عليه السلام، خيَّاطًا، لا يغرز غرزه؛ إلّا قال: الله ﷻ.

### ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ (٥٧)

﴿و﴾: حرفُ عطفٍ يفيد هنا الحال ﴿رَفَعْنَاهُ﴾: ثُمَّ عُرِّجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيْلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيْلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قَالَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِإِدْرِيسَ، فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم-٥٧] <sup>(٢)</sup> وقيل المراد برفعه ما أعطي من شرف النبوة، وقيل رفعا ذكره في العالمين، ومنزلته بين المُقربين ﴿مَكَانًا﴾: منزلةً ﴿عَلِيًّا﴾: من منازل النبوة العالية القيمة والمقام.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ (٥٨)

﴿أُولَئِكَ﴾: حرف إشارة للقريب بلفظ البعيد؛ بهدف التعظيم، من المعلوم أنه لو اجتمع الكلام القريب والبعيد؛ يغلب القريب؛ وتذكر هذه الآية الكريمة من عموم الأنبياء بدايةً بذكرها وختامًا بإدريس، عليهما السلام، ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع من ﴿أَنْعَمَ﴾: تفضّل الله عليهم بالخير ﴿اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾: بأن جعلهم أنبياء ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ وبيان لتمييز النوع يفيد هنا ابتداء الغاية ﴿النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ﴾: نسل ﴿آدَمَ﴾: قال "السدي وابن جرير": المقصود "إدريس"

<sup>(١)</sup> سنن ابن ماجه ٢/٣٦٠(١٣٣٥) قال الأرنؤوط: إسناده صحيح.

<sup>(٢)</sup> صحيح مسلم ١/١٤٥(١٦٢).

﴿و﴾: أيضًا ﴿مِمَّن﴾: من الذين ﴿حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾: المقصود "إبراهيم وأبناؤه، وأبناء يعقوب عليهم السلام ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ﴾: نسل وسلالة ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾: وهم إسحق، ويعقوب، وإسماعيل" ﴿وَإِسْرَائِيلَ﴾: المقصود "موسى، وهارون، وزكريا، ويحيى، وعيسى بن مريم عليهم جميعاً الصلاة والسلام؛ وهذا تشريفٌ لآدم عليه السلام، بنسبة هذه الكوكبة العظيمة من الأنبياء والرسل إليه، عليهم السلام ﴿وَمِمَّنْ هَدَيْنَا﴾: الذين وقفناهم وعلمناهم وهديناهم ﴿وَاجْتَبَيْنَا﴾: اصطفيناهم، واخترناهم من بين الخلق، وجعلناهم أنبياء، هؤلاء من حزب الفائزين ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يُستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط ما بعدها بما قبلها ﴿تَتْلَى﴾: قرئت ﴿عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ﴾: الذين إذا سمعوا كلام الله وآياته، وبراهينه عن الرحمة سيكون ويسبحون ﴿خَرُّوا﴾: نزلوا إلى الأرض ﴿سُجَّدًا وَبُكْيًا﴾: سجدوا لربهم خضوعاً، واستكانةً وحمدًا، باكين خاشعين، متذللين لله تعالى؛ فأحرى إذا سمعوا آيات التخويف والموعظة، أن يخشعوا.

﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا﴾ (٥٩)

﴿ف﴾: حرف يُفيد الاستئناف، تقتضي كمال القرب بين زمنهم وزمن حياة المناوئين لهم. ﴿خَلَفَ﴾: جاءت أقوام عقب سوء يتسمون بالإيمان وأتباع الأنبياء ولكنهم في أفعالهم مقصرون ومخالفون ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ وبيان لتمييز النوع وتفيد هنا بداية الغاية الزمانية ﴿بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾: أقوامٌ سوءٍ ﴿أَضَاعُوا الصَّلَاةَ﴾: امتنعوا عن أداء الصلاة تمامًا ﴿و﴾: عطفًا على هذا الخلق والعقيدة الباطلة ﴿اتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ﴾: جاء الربط، هنا بين الشهوات وإضاعة الصلاة؛ لأنهم ينغمسون في ملذات الأجساد ومُتعتها، ويعيشون الحياة وينسون الآخرة، أسرتهم شهوة المال، وشهوة الجنس، فأحلّوها، وسمّوها الحرية الشخصية، وحقوق الإنسان، وتشريع اللواط، وتشريع الربا في البنوك ﴿فَسُوفَ﴾: كلمة تُفيد وعدًا في المستقبل ﴿يَلْقَوْنَ﴾: ستكون عاقبتهم يوم القيامة ﴿غِيًّا﴾: قال ابن عباس: خسارة، وقال قتادة: شرًا، وقيل وادٍ في جهنم، وقال العلماء: إنّ إضاعة الصلاة ليس الامتناع عنها، بل ما هو أقل من ذلك، وهو إضاعة وقتها.

التكليف: جاء حكم "إضاعة الصلاة" قبل اتباع الشهوات، إنّ ضياع الصلاة مقدمة لكلّ خُسران في الدنيا والآخرة، قال عليه السلام: "بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ الشَّرِكِ أَوْ الْكُفْرِ تَرْكُ الصَّلَاةِ"<sup>(١)</sup>، وقال عليه السلام

(١) سنن الترمذي ١٣/٥ (٢٦١٩)، وقال: حديث حسن صحيح.

أَيْضًا: "الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ" (١)، قال "مجاهد": ذلك عند قيام الساعة، وقال كعب الأحبار: والله إنِّي لأجد صفة المنافقين في كتاب الله عز وجل: شرًّا بين الشهوات، وتاركين الصلاة، لعابيين بالكعبات، راقدين في العتمة، مفرطين في الغدوات، تاركين للجماعات، وقد جاءت كلُّها في هذه الآية.

﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا﴾ (٦٠)

﴿إِلَّا﴾: حرفٌ استثناءٍ من هذه الخسارة العظمى ﴿مَنْ﴾: الذي من جنس العاقل ﴿تَابَ﴾: تاب مما فرط فيه من ترك الصلاة، أو تعطيلها عن وقتها، وأقلع عن اتباع الشهوات ﴿و﴾: أيضًا ﴿آمَنَ﴾: بما أمر الله ﷻ به ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾: كان قلبه مؤمنًا، وكانت عبادته وأعماله صالحة ﴿فَ﴾: حرفٌ يفيد هنا السبب ﴿أُولَئِكَ﴾: إشارة إلى القريب والبعيد ﴿يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ﴾: لأن التوبة تمحو ما قبلها، قال ﷺ: "التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ، كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ" (٢)، ﴿و﴾: حرفٌ عطفي يفيد هنا الحال ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يُظْلَمُونَ شَيْئًا﴾: لا يضيع أجرهم مما عملوا قبل الكفر، ولا ينقص مما عملوا من خير بعدها، وأمَّا الانحراف فيغفره الله ﷻ.

﴿جَنَاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا﴾ (٦١)

﴿جَنَاتٍ عَدْنٍ﴾: جنات الخلد فيها إقامة دائمة، واستمرار بلا انقطاع ﴿الَّتِي﴾: اسم موصول للمفرد المؤنث، هي ﴿وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ﴾: وعدهم الله ﷻ ﴿بِالْغَيْبِ﴾: وهي من الغيب الذي يؤمنون به، وما وراءه، إنَّ "الغائب والمرئي"، عندهم كان شيئًا واحدًا من قوة إيمانهم ويقينهم ﴿إِنَّهُ كَانَ﴾: وسبقني أبدًا ﴿وَعْدُهُ﴾: تأكيدٌ على تحقيق وعد الله ﷻ الذي لا يخلف الميعاد، كائنٌ لا محالة ﴿مَأْتِيًا﴾: آتٍ مُنْجَزًا لا محالة، سيذهب عباد الله إليه وسيأتونه لا محالة.

﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ فِيهَا زُرْقَةٌ وَعَشِيًّا﴾ (٦٢)

﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يَسْمَعُونَ فِيهَا﴾: في الجنة الموعودة ﴿لَغْوًا﴾: الكلام الباطل القبيح، الساقط، التافه، الذي لا فائدة منه، بل سيسمعون أصدق القول، والفضول من الكلام ﴿إِلَّا﴾: حرفٌ استثناء فقط ﴿سَلَامًا﴾: كان هذا مدحًا أكمل المدح الذي سبق وهو الكلام المستثنى المنقطع عن اللغو، جاء في المعنى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا، إِلَّا قِيْلًا سَلَامًا سَلَامًا﴾ [الواقعة-٢٦] ﴿و﴾: عطفاً على ذلك ﴿لَهُمْ﴾: تملكٌ وتخصيصٌ ﴿زُرْقَتُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً﴾: في مثل أوقات الصبح ﴿وَعَشِيًّا﴾: والعشاء، ليس هناك ليل ونهار، ولكنها أوقات

(١) سنن ابن ماجه ١٨١/٢ (١٠٧٩)، قال الأرناؤوط: إسناده قوي.

(٢) سنن ابن ماجه ١٤١٩/٢ (٤٢٥٠)، قال الألباني: حسن.

تتعاقب يعرفها أهل الجنة بأضواء وأنوار، يصف الحديث حال هؤلاء، قال ﷺ: "أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَلِجُ الْجَنَّةَ، صُورُهُمْ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، لَا يَبْصُقُونَ فِيهَا وَلَا يَمْتَخِطُونَ وَلَا يَتَغَوَّطُونَ فِيهَا، أَنْيَّتُهُمْ وَأَمْسَاتُهُمْ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَمَجَامِرُهُمْ مِنَ الْأَلْوَةِ، وَرَشْحُهُمُ الْمَسْكُ وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ رَوْجَتَانِ، يُرَى مِخْ سَاقِهِمَا مِنْ وَرَاءِ اللَّحْمِ، مِنَ الْحُسْنِ، لَا اخْتِلَافَ بَيْنَهُمْ وَلَا تَبَاغُضَ، قُلُوبُهُمْ قَلْبٌ وَاحِدٌ، يُسَبِّحُونَ اللَّهَ بُكْرَةً وَعَشِيًّا". (١)

### ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا﴾ (٦٣)

﴿تِلْكَ﴾: إشارة للبعيد المؤنث ﴿الْجَنَّةُ﴾: التي جاء وصفها في الآية السابقة هي ﴿الَّتِي﴾: اسمٌ موصولٌ بالمفرد المؤنث ﴿نُورِثُ مِنْ﴾: حرف تمييز ﴿عِبَادِنَا﴾: التي أعدها الله ﷻ ميراثاً عظيماً هي لعباد الله ﷻ المؤمنين ﴿مَنْ﴾: الذي من جنس العاقل ﴿كَانَ﴾: في الحياة الدنيا ﴿تَقِيًّا﴾: من الذين أطاعوا الله ﷻ وعبدوه بوعي ويقين، لأهل التقوى طمعاً في جنّته، وانتهوا عن نواهيه، بوعي ويقين، خوفاً من عذابه، في السراء والضراء، والكاظمين الغيظ، والعافين عن الناس.

﴿وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾

(٦٤)

قل يا جبريل ﴿وَمَا﴾: حرف نفي ﴿نَنْزِلُ﴾: وحياً من السماء تحمله الملائكة على النبي محمد ﷺ إلى الأرض ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿بِأَمْرِ﴾: إرادة ومشية ﴿رَبِّكَ﴾: مالك أمرك كله. جاء في أسباب النزول عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ لجبريل: «أَلَا تَرَوُنَا أَكْثَرَ مِمَّا تَرَوُنَا؟» فنزلت: وما ننزل إلا بأمر ربك (٢)، ﴿لَهُ﴾: لله ﷻ ﴿مَا﴾: كل ما هو من جنس غير العاقل مثل النجوم والكواكب ﴿بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا﴾: قال عكرمة، ومجاهد، والسدي: ما يُستقبل من أمر الآخرة وأمور الدنيا ﴿وَمَا﴾: الذي ﴿بَيْنَ ذَلِكَ﴾: قال "ابن جرير": ما بين الدنيا والآخرة ﴿وَمَا﴾: حرف نفي ﴿كَانَ رَبُّكَ﴾: مالك أمرك كله ﴿نَسِيًّا﴾: قال "مجاهد، والسدي": ما نسيتك ربك، جاء في المعنى: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ [الضحى-٣].

﴿رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ (٦٥)

(١) صحيح مسلم ٢١٨٠/٤ (٢٨٣٤).

(٢) صحيح البخاري ١١٢/٤ (٣٢١٨).

﴿رَبِّ﴾: مالك كل أمر ﴿السَّمَاوَاتِ﴾: هي كل ما علا الأرض، وأحاط بها؛ لكونها بيضاوية الشكل ﴿وَالْأَرْضِ وَمَا﴾: الذي من جنس غير العاقل ﴿بَيْنَهُمَا﴾: الذي خلق هذا الكون الفسيح من الكواكب والنجوم والأجرام، ما بين السموات والأرض ﴿ف﴾: لهذا السبب ﴿اعْبُدْهُ﴾: أطعه واتبع أوامره، وانتبه عن نواهيه ﴿و﴾: عطفًا على العبادة ﴿اصْطَبِرْ﴾: اصبر وتحمل ﴿لِعِبَادَتِهِ﴾: تحمل أعباء طاعته برضا واطمئنانٍ ﴿هَلْ﴾: حرف استفهامٍ ﴿تَعَلَّمْ لَهُ﴾: تحديدًا ﴿سَمِيًّا﴾: مُضَاهِيًّا، مُمَاتِلًا، قال ابن عباس: لا يوجد لله "الرب" مثلًا أو شبيهًا، قال أيضًا: ليس أحد يسمى الرحمن غيره ﷻ.

### ﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ إِذَا مَا مِتَّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا﴾ (٦٦)

﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ﴾: ابن آدم الكافر منكرًا للبعث ومُتَعَجِبًا، ومُستَهْزئًا، ومُستَبْعِدًا ﴿أ﴾: حرف استفهام بغرض الإنكار ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يُستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط ما بعدها بما قبلها ﴿مَا﴾: حرف يفيد هنا المصدر وليس النفي ﴿مِتَّ﴾: فارقت الحياة، وفنيت في الأرض ﴿ل﴾: حرف سبب ﴿سَوْفَ﴾: حرف يفيد في المستقبل ﴿أُخْرَجُ﴾: من القبر إلى سطح الأرض ﴿حَيًّا﴾: يقول هل بعد أن أصبح رمادًا، وتذهب بي الأرض بمرور الزمن، سأخرج جسدًا حيًّا، وجاء المعنى نفسه في قوله ﷻ: ﴿قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ [يس-٧٨].

### ﴿أَوَلَا يَذُكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكْ شَيْئًا﴾ (٦٧)

﴿أَوَلَا﴾: حرف نفي يكون جوابًا ويعمل عمل ليس، والمعنى ليس ينسى الإنسان، وهو استفهام للإنكار والتوبيخ ﴿يَذُكُرُ﴾: يعتبر باستحضار من سبق من الأمم الفانية ﴿الْإِنْسَانُ أَنَّا﴾: الله ﷻ، جاءت بصيغة تُبين عظمة عملية الخلق ﴿خَلَقْنَاهُ﴾: أوجدناه أول مرة، من غير سابق مثل؛ جاءت بصيغة الجمع للتعظيم ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ وبيان لتمييز النوع يفيد هنا ابتداء الغاية الزمانية ﴿قَبْلُ وَلَمْ﴾: حرف نفي ﴿يَكْ﴾: لم يكن موجودًا ﴿شَيْئًا﴾: مخلوقًا، جاءت بصيغة نكرة لتفيد عموم بني آدم ﷻ، هذا دليلٌ أنّ خلق "آدم" ﷻ جاء، ولم يكن جنس الإنسان موجودًا، إن الذي فعل الأولى؛ يفعل غيرها، جاء في المعنى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم-٢٧].

### ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾ (٦٨)

﴿ف﴾: لهذا السبب ﴿و﴾: حرف واو القسم ﴿رَبِّكَ﴾: أقسم الله ﷻ بنفسه الكريمة، هو ﷻ، المُعبود، والمُربي، وهو المنشئ للشيء حالًا فحال إلى حدّ التمام والخالق، والمالك، والعاطي،

وكثيرُ الخير، والمُحيط، والمُدبِّر، والجابِرُ لكسر البرايا، والثابت، والقريبُ، والجامعُ، والمصلحُ، والسيدُ، فهو مالك أمر الكون، والذي كَرَمَ محمدًا ﷺ بأنَّ قال ريك ﴿ل﴾: حرف علةٌ وسبب ﴿نَحْشَرْتَهُمْ﴾: جاءت بصيغة الجمع، بمعنى يجمعنهم الله ﷻ حشرًا، وتكديسًا، جميعًا بالتأكيد والحزم ﴿و﴾: أيضًا يحشرُ ﴿الشَّيَاطِينَ﴾: الذين عبدوهم ﴿نَمْ﴾: حرفٌ يُفيد هنا التابع الزمني البطيء ﴿لَنُخْضِرْنَهُمْ﴾: نجمعهم بالتأكيد ﴿حَوْلَ جَهَنَّمَ﴾: يأتي الله ﷻ بهم جميعًا ﴿جثيًا﴾: قال ابن عباس: قعودًا، والجلوس فيه ذلةٌ وصغار، وقال "السدي": قيامًا.

﴿ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا﴾ (٦٩)

﴿ثُمَّ﴾: حرفٌ يفيد التابع الزمني غير السريع ﴿ل﴾: حرف سبب ﴿نَنْزِعَنَّ﴾: يأخذ الله ﷻ بالتأكيد منهم بقوةٍ وعنقٍ ﴿مِنْ كُلِّ﴾: تفيد العموم ﴿شِيعَةٍ﴾: جاء اللفظ القرآني "شيع" على "خمسة" أوجه هنا بمعنى أصحاب الملة الواحدة، كل طائفةٍ أو فرقةٍ اتبعت دينًا من الأديان الباطلة ﴿أَيُّهُمْ﴾: أي منهم الذي كان ﴿أَشَدُّ﴾: أكثر ﴿عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا﴾: كُفْرًا وجُحودًا، قال ابن مسعود: يُحبس الأول على الآخر؛ حتى إذا تكاملت العدة آتاهم جميعًا؛ فبدأ بالأكابر فالأكابر جرمًا، وقال قتادة وابن جرير: لننزعن من أهل كل دينٍ قادتهم، ورؤساءهم في الشر.

﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا﴾ (٧٠)

﴿ثُمَّ﴾: حرفٌ يفيد التابع الزمني غير السريع ﴿ل﴾: حرف تملك وتخصيص ﴿نَحْنُ﴾: هو الله ﷻ وجاءت هنا بصيغة الجمع للتعظيم ﴿أَعْلَمُ﴾: الله ﷻ أعلم بمن يستحق من العباد أن يصلى النار ﴿ب﴾: باء التعددية ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ ﴿هُمُ﴾: ضميرٌ منفصلٌ مرفوعٌ للجمع المذكور والمؤنث الغائب؛ للتحديد والتخصيص والتأكيد ﴿أَوْلَىٰ﴾: المستحقين ﴿بِهَا﴾: لها بأن تعاني أجسادهم من النار ﴿صِلِيًّا﴾: يُقاسون حرَّها، وأيضًا يعلم ﷻ من يستحق منهم مضاعفة العذاب.

﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾ (٧١)

﴿وَإِنْ﴾: ما من أحدٍ ﴿مِنْكُمْ﴾: حرفٌ يُفيد بداية الغاية المكانية، أيها الناس ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناءٍ منقطع ﴿وَارِدُهَا﴾: كلُّ واحدٍ منكم سيعبر فوق الصراطِ المضروبِ فوق متنِ جهنم ﴿كَانَ﴾: هذا الفعل ﴿عَلَىٰ رَبِّكَ﴾: بأمر مالك أمرك كله في الدنيا والآخرة ﴿حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾: هذا قضاءُ الله ﷻ قضاءً مُبرمًا، ولا رادًا لقضائه ﷻ.

التكليف: هناك اختلاف في الأقوال حول الورد إلى النار: عن ابن مسعود قال ﷺ: "يَرُدُّ النَّاسُ النَّارَ كُلُّهُمْ، ثُمَّ يَصْدُرُونَ عَنْهَا بِأَعْمَالِهِمْ"<sup>(١)</sup>، وقالت أيضًا أمُّ مُبَشِّرٍ، أَنَّهَا سَمِعَتِ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ عِنْدَ حَفْصَةَ: «لَا يَدْخُلُ النَّارَ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ، مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ أَحَدٌ، الَّذِينَ بَايَعُوا نَحْتَهَا» قَالَتْ: بَلَى، يَا رَسُولَ اللَّهِ فَاثْتَهَرَهَا، فَقَالَتْ حَفْصَةُ: «وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا» [مريم-٧١] فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: قَدْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: «ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًا» [مريم-٧٢]<sup>(٢)</sup>، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا يَمُوتُ لِمُسْلِمٍ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْوَلَدِ، فَيَلْجَأُ النَّارَ، إِلَّا تَحَلَّةَ الْقَسَمِ» قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: «وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا» [مريم-٧١]<sup>(٣)</sup>؛ يعني الورد، قال قتادة: هو الممر عليها، وقال عبد الرحمن بن زيد: ورود المسلمين المرور على الجسر بين ظهرانيها، وورود المشركين أن يدخلوها، والزَّلَّالُونَ والزَّلَّالَاتُ يومئذٍ كثير.

### ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًا﴾ (٧٢)

﴿ثُمَّ﴾: حرفٌ يُفيدُ التتابعَ الزمني مع التراخي، أي بعد العبور على الصراط ﴿نُنَجِّي﴾: ننفذُ ونُسلِّمُ ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ جميعٌ مَنْ ﴿اتَّقَوْا﴾: المتقين لله ﷻ بامتثال أوامره، والانتهاض عن نواهيه ﴿وَنَذَرُ﴾: عطفًا على هذا نترك ﴿الظَّالِمِينَ﴾: الكفار، وأهل النار ﴿فِيهَا﴾: في جهنم ﴿جِثِيًا﴾: باركين كالذباب على رُكَبِهِمْ، لا مجال للهروب، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ، ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم-٧١] قَالَ: "الصِّرَاطُ عَلَى جَهَنَّمَ مِثْلُ حَدِّ السَّيْفِ فَنَمْرُ الطَّائِفَةِ الْأُولَى كَالْبِرْقِ، وَالثَّانِيَةُ كَالرَّيْحِ، وَالثَّلَاثَةُ كَأَجُودِ الْحَيْلِ، وَالرَّابِعَةُ كَأَجُودِ الْإِبِلِ وَالْبَهَائِمِ، ثُمَّ يَمْرُونَ وَالْمَلَائِكَةُ تَقُولُ: رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ"<sup>(٤)</sup>.

### ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ (٧٣)

﴿وَإِذَا﴾: عطف ما بعدها على ما قبلها ﴿تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ﴾: إذا فُرِئَتْ آياتُ الله على الكافرين واضحةً، جليَّةً، مقنعةً ﴿قَالَ الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع الرجال والنساء مَمَّنْ ﴿كَفَرُوا ل﴾: حرفٌ تخصيصٌ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ﴾: حرفٌ للمفاضلة ﴿الْفَرِيقَيْنِ﴾: فريقُ أهلِ الجَنَّةِ، وفريقُ أهلِ النَّارِ ﴿خَيْرٌ﴾: أحسنُ، وأفضلُ ﴿مَقَامًا﴾: سكنًا ومنزلةً؛ هنا دليلٌ على أنَّ مقامَ الكافر ليس فيه خير ﴿وَأَحْسَنُ﴾: منازل، وأرفعُ شأنًا، وأحسنُ ﴿نَدِيًّا﴾: وهو مجتمع

(١) مسند أحمد ٢٠٧/٧ (٤١٤١)، وقال الأرنؤوط: إسناده حسن.

(٢) صحيح البخاري ١١٦٢/٤ (٣٤٢٤).

(٣) صحيح مسلم ١٩٤٢/٤ (٢٤٩٦).

(٤) المستدرک على الصحيحين للحاكم ٤٠٧/٢ (٣٤٢٣) وقال: صحیح علی شرط الشیخین ولم یخرجاه. ووافقه الذهبي.



الرجال؛ للحديث والسمر، من الذين هم أكثر عُمرًا، وأكثر ضيوقًا، كيف تكون من وجهاء الدنيا وتكون على الباطل؟ جاء في المعنى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ﴾ [الأحقاب- ١١].

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَانًا وَرِئِيًا﴾ (٧٤)

﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿كَمْ﴾: ما أكثر الذين ﴿أَهْلَكْنَا﴾: كم مات وفني ﴿مِنْ قَبْلَهُمْ﴾: يقول الله ﷻ فليظنوا كم ذهبت الأمم والشعوب ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ وبيان لتمييز النوع يفيد هنا ابتداء الغاية الزمانية ﴿قَرْنٍ﴾: أمة من الأمم في القرون؛ أهلكتناهم بكفرهم كانوا ﴿هُمْ﴾: ضميرٌ منفصلٌ مرفوعٌ للجمع المذكر والمؤنث الغائب؛ للتحديد والتخصيص والتأكيد ﴿أَحْسَنُ﴾: أفضل، وأكثر وأجمل ﴿أَثَانًا﴾: كانوا أكثر أموالًا "أثانًا" ﴿وَرِئِيًا﴾ وأمتعةً، ومناظر، وأشكالًا، وأفضل المقام: هو المنزل، و"الندي": هو المجلس ومشاهدتهم، ومناظرهم، بالملابس والأثاث.

﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا﴾ (٧٥)

﴿قُلْ﴾: يا "محمد" ﷺ للمشركين ﴿مَنْ﴾: الذي وهو من جنس العاقل ﴿كَانَ﴾: يتخبط ﴿فِي الضَّلَالَةِ﴾: من هو على باطلٍ منكم ومنا ﴿ف﴾: حرف يفيد ربط الجواب ﴿لِيَمْدُدْ لَهُ﴾: حرف اللام للسبب، يمهله استدرجًا ﴿الرَّحْمَنُ مَدًّا﴾: زيادةً وسعةً ﴿حَتَّىٰ﴾: حرف جرّ يدلُّ على انتهاء الغاية الشرطية، أي لن يُصدقوا إلا ﴿إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ﴾: يمهله الله ﷻ في طغيانه، ويمهله على ما هو عليه، حتى يلقى الله ﷻ، وينقضي العمر، ولينظر حينها ما هو نصيبه ﴿إِمَّا﴾: عندما يكون نصيبه في الحياة الدنيا ﴿الْعَذَابَ﴾: أو يكون نصيبه ﴿وَإِمَّا﴾: يكون نصيبه في يوم القيامة ﴿السَّاعَةَ﴾: تقوم القيامة فجأة، تأتيه بغتةً ﴿ف﴾: يفيد السبب ﴿س﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿يَعْلَمُونَ﴾: في هذه الحالة سيعلمون بالتأكيد ﴿مَنْ﴾: الذي هو من جنس العاقل ﴿هُوَ﴾: ضميرٌ منفصلٌ مرفوعٌ للغائب المفرد المذكر ﴿شَرٌّ مَكَانًا﴾: من الذي في وضع الأشرار ﴿و﴾: حرف عطفٍ يفيد هنا الحال، يعلم في الواقع من ﴿أَضْعَفُ﴾: أكثر ضعفًا ﴿جُنْدًا﴾: أقلُّ أعوانًا، وأنصارًا.

﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًا﴾ (٧٦)

﴿وَيَزِيدُ﴾: يُبارك ﴿اللَّهُ الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع من ﴿اهْتَدَوْا﴾: يزيدهم ﴿هُدًى﴾: الهدى هنا؛ بمعنى "الإيمان"، كما أمهل الله ﷻ من هم في الضلالة إِمَّا إلى وقت الموت، أو

قيام الساعة؛ فإنه ﷺ، سيزيد المهتدين هدى؛ ويثبت إيمانهم، ويزيد تقواهم ﴿و﴾: حرف عطف يفيد هنا الحال ﴿الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ﴾: هي لا إله إلا الله، والله أكبر، وسبحان الله، والحمد لله. انظر [الكهف-٤٦] ﴿خَيْرٌ﴾: كثرة البركة، والنفع ﴿عِنْدَ﴾: ظرف زمان، وظرف مكان في حساب ﴿رَبِّكَ﴾: والرب هو الله تعالى المعبود، والمربي، وهو المنشئ الكون العظيم من حال إلى حال إلى حدّ التمام وهو سبحانه الخالق، والمالك، والعاطي، وكثير الخير، والمحيط، والمدبر، والجابر لكسر البرايا، والثابت، والقريب، والجامع، والمصلح، والسيّد؛ فهو مالك أمرك كلّهُ ﴿ثَوَابًا﴾: أفضل جزاءً ﴿وَخَيْرٌ مَرَدًّا﴾: أفضل عاقبة، ومآلاً، ومردوداً على أصحابها.

### ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾ (٧٧)

سبب النزول: عَنْ خَبَابٍ، قَالَ: كُنْتُ قَيْنًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ لِي عَلَى الْعَاصِ بْنِ وَاثِلٍ دَيْنٌ، فَأَتَيْتُهُ أَنْقَاضَهُ، قَالَ: لَا أُعْطِيكَ حَتَّى تَكْفُرَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، فقلتُ: «لَا أَكْفُرُ حَتَّى يُمِيتَكَ اللَّهُ، ثُمَّ تُبْعَثَ»، قَالَ: دَعْنِي حَتَّى أَمُوتَ وَأُبْعَثَ، فَسَأَوْتِي مَالًا وَوَلَدًا فَأَقْضِيكَ، فَنَزَلَتْ: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا، أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾<sup>(١)</sup> ﴿أ﴾: حرف استفهام بغرض الاستنكار ﴿فَرَأَيْتَ﴾: أخبرني إن شاهدت، أو اطلعت، أو علمت، وهل سمعت وعلمت لمحمد وأتباعه ﷺ كلاماً يتلى إلى يوم القيامة في "واثل" وأمثاله ﴿الَّذِي﴾: اسم موصول للفرد المذكور ﴿كَفَرَ بِ﴾: باء السببية ﴿آيَاتِنَا﴾: شهد الله ﷻ له بالكفر في كتابه ﴿و﴾: عطفًا على كفره ﴿قَالَ لَأُوتِيَنَّ﴾: يؤكّد أنه سيُعطي ﴿مَالًا﴾: كثيرًا ﴿وَوَلَدًا﴾: سيكون معي المال الوفير، والولد الكثير، وأنتم تزعمون عندكم خيرات الجنة؛ فنتساوى.

التكليف: هذا منهج قائم في كلّ عصر، هو منهج التقديرات الخاطئة، من أصحاب الضلالة، يظنّ نفسه حاكمًا أو غنيًا في الدنيا، ويسخر من الذين يتحدثون عن الآخرة، ويتناول على الوعد الربّاني، ويقول بأنّه سيكون، ويكون.. يوم القيامة.

### ﴿أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ (٧٨)

﴿أ﴾: حرف استفهام للإنكار عليهم، بمعنى هل ﴿أَطَّلَعَ﴾: شاهد وعاین ﴿الْغَيْبَ﴾: سؤال استتكري للتوبيخ من الله ﷻ: هل هذا الضعيف عرف ماذا سيكون في الغيب الذي هو إرادة الله؟ ﴿أَمْ﴾: بمعنى هل ﴿اتَّخَذَ عِنْدَ﴾: حرف يفيد الزمان، والمكان ﴿الرَّحْمَنِ﴾: هل وعده الله

(١) صحيح البخاري ٦٠/٣ (٢٠٩١).

﴿عَهْدًا﴾: وعدًا موثقًا وهو كافر بالله؟ والعهد الموثق هو شهادة "لا إله إلا الله"، فهل قالها هذا وأمثاله؛ وعملوا بها؟ فيكيف سيحقق ما يدّعي؟

﴿كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا﴾ (٧٩)

﴿كَلَّا﴾: ليس الأمر ما قال، حرف ردع لما قبلها، وتأكيد لما بعدها، فهي ردع لادعاء الكاذب، وتأكيد على ﴿س﴾: حرف يفيد تحقق الفعل في المستقبل ﴿نَكْتُبُ﴾: نُسَجِّلُ ونحفظُ عليه ﴿مَا﴾: الذي ﴿يَقُولُ﴾: هذا مجاز عقلي لا يحمل المعنى الحقيقي؛ لأن الله ﷻ لا يكتب بل يأمر الملائكة المختصة بالكتابة؛ سنَجِّلُ لهم ما طلبوا لأنفسهم؛ بسبب كفرهم بالله ﷻ فنجازيهم به في الآخرة ﴿و﴾: حرف عطف يفيد هنا الحال ﴿نَمُدُّ لَهُ﴾: نزيْدُ له مما يستحق ﴿مِنْ﴾: حرف يفيد بداية الغاية الزمانية والمكانية، ﴿الْعَذَابِ مَدًّا﴾: من العذاب تأكيدًا.

﴿وَنَرِيئُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾ (٨٠)

﴿و﴾: عطفًا على هذا ﴿نَرِيئُهُ مَا يَقُولُ﴾: قال "قتادة": سنأخذ منه ماله وأولاده وكل ما عنده؛ أي سيخسر كل ما جمع وعمل ﴿وَيَأْتِينَا﴾: سيدخل القبر ﴿فَرْدًا﴾: وحيدًا، ويُدْفَنُ، ويبقى في القبر فردًا، لا أنيس، ولا معين، وسيبعث يوم القيامة فردًا، وحيدًا، لا مال، ولا ولد، ولا شفيع.

﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا﴾ (٨١)

﴿وَاتَّخَذُوا﴾: استعانوا بالكفار والمشركين ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: طلبوا العون من غير ﷻ، ممن لا يستحقون ﴿آلِهَةً﴾: معبودين يطيعونهم ﴿ل﴾: حرف علة وسبب ﴿يَكُونُوا لَهُمْ﴾: تخصيصًا ﴿عِزًّا﴾: ينشدون بهم العزة، والنصر، والشفاعة، وهم الكفار، والأوثان، والأصنام، والمبادئ والنظريات الوضعية.

﴿كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ (٨٢)

﴿كَلَّا﴾: حقًا ليس الأمر كما ظنوا في يوم القيامة ﴿س﴾: حرف يفيد التحقق في المستقبل ﴿يَكْفُرُونَ﴾: بل ستجد هذه الأصنام عبادة الكفار، وسيخلون، ويُنكرون هذه المعبودات من الأصنام، والأوثان، والرجال، والشياطين، وكل معبود من دون الله ﷻ ﴿بِعِبَادَتِهِمْ﴾: سوف يُنكر المعبودون عبادة البشر الكافرين لهم، وينكرون طاعة المشركين لهم ﴿و﴾: حرف عطف يفيد هنا الحال ﴿يَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾: ذلًا وهوانًا قال قتادة: سيخذلونهم، سيكونون معهم على خلاف، وسينقلبون ضدهم؛ ليكونوا شهداء على كفرهم، ويكونوا قرناء لهم في النار، وقال الضحاك: يلعن بعضهم بعضًا، ويكونون أعداءهم.

﴿الْم تَرَأَى أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَوْرَهُمْ آثًا﴾ (٨٣)

﴿أَلَمْ تَرَ﴾: تُعِيدُ دائماً الحزن، والوجع هل علمت يا محمد ﷺ ﴿أَنَا﴾: نحن بالتأكيد، ونفي الإنكار، والشك، المقصود هنا الله ﷻ ﴿أَرْسَلْنَا﴾: سَلَطْنَا ﴿الشَّيَاطِينَ﴾: سَخَرْنَا الشياطين ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ﴾: كَفَّرَ البشر ﴿تَوَزُّؤُهُمْ﴾: تُهَيِّجُهُمْ، وَتُحْرِضُهُمْ عَلَى المعاصي ﴿أَزَّأ﴾: أَي تُرْجِعُهُمُ النَّارُ إِرْجَاعَ القَدْرِ؛ إِذَا أَزَّتْ أَي اشْتَدَّ غَلِيانُهَا، أَي تحريضاً شديداً، قال ابن عباس: تغويهم إغواءً، وقال العوفي: تُحْرِضُهُمْ ضِدَّ "محمد" ﷺ، وقال مجاهد: تُمَزِّقُهُمْ، تحيلهم أشلاءً، وقال قتادة: تزعجهم إزعاجاً، وقال الثوري: تُغْرِيهِمْ إِغْرَاءً، وتستعجلهم، وقال السدي: تطغيهم طغياناً.

التكليف: إِنَّ كُلَّ هذه المعاني هي أدوات معتمدة في عصرنا اليوم، تُمارسه الدول الصليبية واليهودُ وأنصارُهُم من حكام الدول الخائنة، تغوي المنحرفين وتُحْرِضُهُمْ، وتُزْعِجُهُمْ، وتُشْجِعُهُمْ عَلَى الظلمات والطغيان.

﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَذَابًا﴾ (٨٤)

﴿فَلَا﴾: أداة نهيٍ تفيد عدم الفعل ﴿تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ﴾: والخطاب موجه إلى "محمد" ﷺ، ومن بعده لأوليائه: لا تستعجل الطلب من الله ﷻ بإهلاكهم بسبب تصميمهم على كفرهم وعنادهم ﴿إِنَّمَا﴾: أداة حصرٍ، تفيد التحديد والتخصيص ﴿نَعُدُّ﴾: نُحْصِي ﴿لَهُمْ﴾: تحديداً ﴿عَذَابًا﴾: إِنَّمَا نُحْصِي أعمارهم، وأعمالهم، ونؤخرهم لأجلٍ مُحدَّدٍ، هم ذاهبون إليه، إنهم سيذوقون عذابهم لا محالة، قال "السدي": نعدُّ لهم السنين، والشهور، والأيام، والساعات، وقال "ابن عباس": نعدُّ أنفاسهم في الدنيا.

﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ (٨٥)

واذكر أيها الرسول ﴿يَوْمَ﴾: القيامة ﴿نَحْشُرُ﴾: نجمع ونُكَدِّس ونُحْتَمِّمُ عَلَى السير ﴿الْمُتَّقِينَ﴾: الذين عبدوا الله ﷻ بيقين وإيمان؛ طمعاً في ثوابه، وانتهوا عن نواهيهِ؛ خوفاً من عذابه ﴿إِلَى الرَّحْمَنِ﴾: جاء لفظُ "الرحمن" من "الرحمة" لطمأنة المتقين ﴿وَفْدًا﴾: الوفد هو القادم راكباً؛ الذين يركبون على نجائب من نوقٍ؛ جمع ناقة لم تر الخلائق مثلها، حتى يضرَبوا باب الجنة؛ إلى خيرٍ وافِدٍ، إلى دارِ كرامتهِ، ورضوانهِ؛ إلى الجنةِ.

﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرِدًا﴾ (٨٦)

﴿و﴾: أيضاً ﴿نَسُوقُ﴾: ندفع بالعنف والقوة؛ ونحْتَمِّمُ عَلَى السير طرداً ﴿الْمُجْرِمِينَ﴾: الكافرين المخالفين لله ﷻ ﴿إِلَى﴾: حرف جر يدل على انتهاء الغاية المكانية وهي مصيرهم

ومقامهم ﴿جَهَنَّمَ﴾: إلى النار ﴿وَزِدَّا﴾: قال "ابن عباس، وعطاء، ومجاهد، والحسن، وقتادة": كالدواب العطشى.

﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ (٨٧)

﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يَمْلِكُونَ﴾: ليس لهم نصيب من ﴿الشَّفَاعَةِ﴾: وهي طلب الرحمة والمغفرة للآخرين، ليس لهؤلاء من شفعاء ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿مَنِ﴾: الذي ﴿اتَّخَذَ﴾: وضع في حسابه ﴿عِنْدَ﴾: ظرف زمان ومكان يدلُّ هنا على الملك ﴿الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾: هذا استثناء منقطع؛ يعني لكن من اتخذ عند الرحمن عهدًا "العهد": قال "ابن عباس": شهادة "أن لا إله إلا الله"، ويبرأ إليه من الحول، ولا يرجو إلا الله عزَّ وجلَّ.

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾ (٨٨)

﴿وَقَالُوا﴾: الذين كفروا وهم اليهود، والنصارى، وبعضُ المشركين في مولد "عيسى" ﷺ وبعدها ﴿اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾: نسبوا عيسى ﷺ، ولداً لله ﷻ، وهو الذي قال لهم في سورة الإخلاص كلها: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفْوًا أَحَدٌ﴾.

﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا﴾ (٨٩)

﴿لَقَدْ﴾: حرف إثبات ما حدث أقوى ما يكون في الماضي والمضارع، ولا تفيد في المستقبل ﴿جِئْتُمْ﴾: أيها القائلون بهذه المقالة، "اتخذ الرحمن ولداً" هذا ﴿شَيْئًا إِدًّا﴾: قال ابن عباس: شيئاً منكراً عظيماً.

﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا﴾ (٩٠)

﴿تَكَادُ﴾: تُوشِكُ ﴿السَّمَاوَاتُ﴾: هي كلُّ ما علا الأرض، وأحاط بها؛ عند سماع هذا الافتراء ﴿يَنْفَطَرْنَ﴾: والانفطار يقتضي تشقق ما هو عالٍ على غيره مثل الأرض أمّا التشقق فهو أعم أن تنكسر، وتتمزق ﴿مِنْهُ﴾: حرف يفيد التعليل، من هذا القول ﴿و﴾: حرف عطف يفيد هنا الحال ﴿تَنْشَقُّ الْأَرْضُ﴾: والتشقق أعم من أن يكون من فوق أو من أسفل؛ ويحتاج إلى شدة؛ تتباعد مكونات الأرض في شقوقٍ وحُفَرٍ ﴿وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا﴾: وأيضاً تسقط الجبال سقوطاً شديداً دفعةً واحدةً كسقوط الجدران، وتنهَّد، غضباً لله ﷻ عندما نسبوا له ﷻ ولداً هنا كلَّ المخلوقات تُدَمَّر؛ لأنها بُنيت على توحيد الله، وتنزيهه ﷻ عما يقولون.

﴿أَنْ دَعَا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا﴾ (٩١)

﴿أَنَّ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿دَعَا﴾: افتروا وقالوا ﴿لِلرَّحْمَنِ وُلْدًا﴾: نسبوا لله ﷻ وُلْدًا، كل هذا الدمار لأنهم كذبوا وادعوا أن لله ﷻ ولدا، وأتى لله الواحد الأحد الذي ليس كمثلته شيء أن يكون له ولد.

﴿وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وُلْدًا﴾ (٩٢)

﴿وَمَا﴾: حرف نفي ﴿يَنْبَغِي﴾: لا يستقيم ولا يصح ﴿ل﴾: حرف تخصيص ﴿الرَّحْمَنِ أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿يَتَّخِذُ﴾: يعتمد ﷻ ﴿وُلْدًا﴾: لأن اتخاذ الولد يدلُّ على النقص والحاجة؛ هذا، ولم تكن له صاحبة، ولم يُقدَّر ذلك ﷻ؛ فلا يليق لعظمته وجلاله، ولا يكافئه شيء، جاء اسم الرحمن في وسط حالة العذاب الواقع على المجرمين، طمأنة للمؤمنين.

﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ (٩٣)

﴿إِنْ كُلُّ﴾: تقييد العموم ﴿مَنْ﴾: الذي من جنس العاقل ﴿فِي السَّمَاوَاتِ﴾: من الملائكة وغيرهم من المخلوقات، في كل ما علا الأرض، وأحاط بها؛ لكونها بياضوية الشكل ﴿وَالْأَرْضِ﴾: من إنسٍ وجنٍّ وملائكة ومخلوقاتٍ ﴿إِلَّا﴾: يستثنى من هؤلاء الذي ﴿آتِي﴾: يحضر ويمثل ويعرض على الله ﷻ وكلهم له ﴿الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾: دية هنا بمعنى الخلق، والعباد كلهم سيأتون خائفين صاغرين مذعنين أي مُنقادين.

﴿لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا﴾ (٩٤)

﴿لَقَدْ﴾: حرف إثبات ما حدث أقوى ما يكون في الماضي والمضارع، ولا تقييد في المستقبل ﴿أَحْصَاهُمْ﴾: أحاط ﷻ بهم علمًا؛ فحصرهم وعلم عددهم ﴿وَعَدَّهُمْ عَدًّا﴾: لقد علم الله ﷻ أعدادهم وأجناسهم يوم خلقهم إلى يوم القيامة، صغيرهم، وكبيرهم، ذكركم، وإناثهم فلا يتخلف أحدٌ عن الحضور بين يديه ﷻ.

﴿وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾ (٩٥)

﴿وَعَدَّهُمْ﴾: حرف عطف يفيد هنا الحال ﴿كُلُّهُمْ﴾: تقييد العموم من خلقه ﷻ، كل مخلوقٍ ﴿آتِيهِ﴾: يعودون إليه ﷻ حتمًا، سيبعثون يوم القيامة، لن يتخلف مخلوق ﴿فَرْدًا﴾: كل واحدٍ سيقف وحده، لا ناصر، ولا مُجبر؛ لا مال ولا حمولة، ولا حزب، ولا دولة، إلا الله ﷻ، يوم العدل أمام العادل، الذي لا يظلم أحدًا، ولو مثقال ذرة.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ (٩٦)

﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ ﴿آمَنُوا﴾: بالله، وملائكته، وكتبه، ورسوله، واليوم الآخر، والقضاء والقدر، من عند الله ﷻ، إيمانًا،

وتصديقًا، وتسليمًا **﴿وَعَمَلُوا﴾**: من عباداتٍ ومُعَامَلَاتٍ **﴿الصَّالِحَاتِ﴾**: واتبعوا الإيمان، وطبقوا تعاليم ربهم واقعًا في كلامهم وعملهم، وعملوا كلَّ صالحٍ، وابتعدوا عن كلِّ فاسدٍ **﴿س﴾**: حرف تأكيد الفعل **﴿يَجْعَلُ لَهُمْ﴾**: تخصيصًا **﴿الرَّحْمَنُ﴾**: سيهيئ لهم الله ﷻ الذي وصف نفسه الشريفة بالرحمن، الذي هو في هذا المقام؛ يحمل الأمن والأمان لعباده الصالحين **﴿وَأَدَّ﴾**: محبةً بحبه لهم، قال "مجاهد": محبة الناس في الدنيا، وقال "ابن جبير": يُحِبُّهُ إِلَى خَلْقِهِ الْمُؤْمِنِينَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيْلَ فَقَالَ: إِنِّي أَحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ، قَالَ: فَيُحِبُّهُ جِبْرِيْلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي السَّمَاءِ فَيَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَجِبُّهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، قَالَ ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُورُ فِي الْأَرْضِ، وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيْلَ فَيَقُولُ: إِنِّي أَبْغَضُ فُلَانًا فَأَبْغِضْهُ، قَالَ فَيَبْغِضُهُ جِبْرِيْلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي أَهْلِ السَّمَاءِ إِنَّ اللَّهَ يَبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضُوهُ، قَالَ: فَيَبْغِضُونَهُ، ثُمَّ تُوضَعُ لَهُ الْبَعْضَاءُ فِي الْأَرْضِ" (١).

**﴿فَإِنَّمَا يَسِّرُنَا بِلِسَانِكَ لِنُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَنُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا﴾ (٩٧)**

**﴿فَإِنَّمَا﴾**: أداة حصرٍ تُفيد التحديد والتخصيص **﴿يَسِّرُنَا﴾**: لقد يسر الله ﷻ القرآن، جعله سهلًا **﴿بِلِسَانِكَ﴾**: لأنه نزل باللغة العربية، اللسان العربي، المبين، الفصيح، الكامل **﴿ل﴾**: حرف علةٍ وسبب **﴿نُبَشِّرَ﴾**: تقول ما يسرُّ الناس **﴿بِهِ الْمُتَّقِينَ﴾**: لتحمل بشرى الفوز في الدنيا والآخرة للمؤمنين بالله ﷻ وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر **﴿و﴾**: عطفاً على البشارة للمؤمنين أيضًا **﴿نُنذِرَ﴾**: تُخَوِّف **﴿بِهِ﴾**: وتعد به عذابًا **﴿قَوْمًا﴾**: جماعةً من أصلٍ واحدٍ أو أصحاب مذهبٍ واحدٍ **﴿لُدًّا﴾**: الخصومة الشديدة، المائلين إلى الباطل، الأبعد عن الحق، قال مجاهد: لا يستقيمون وقال الثوري: عوجًا عن الحق، وقال "الضحاك": الخصم، وقال القرطبي: الكذاب، وقال "الحسن البصري: الضم، وقال "ابن عباس": أصحاب القلوب الصماء الفجَّار، وقال "ابن زيد": الظلوم، وكلها والله ﷻ أعلم صفات الكافرين.

**﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾ (٩٨)**

**﴿و﴾**: عطفاً على ما سبق **﴿كَمْ﴾**: تفيد الكثرة، بمعنى ما أكثر من **﴿أَهْلَكْنَا﴾**: من الهالكين **﴿مِنْ﴾**: حرف جرٍ وبيان لتمييز النوع يفيد هنا ابتداء الغاية الزمانية **﴿قَرْنٍ﴾**: أمة من الأمم الكافرة **﴿هَلْ﴾**: حرف استفهام يُفيد التشكيك **﴿تُحِسُّ﴾**: تجد أو ترى أو تعلم **﴿مِنْهُمْ﴾**: حرف يفيد التمييز **﴿مِنْ﴾**: وتفيد هنا **﴿أَحَدٍ﴾**: هل ترى منهم أحداً **﴿أَوْ﴾**: حرف يفيد التقسيم والتسوية **﴿تَسْمَعُ لَهُمْ﴾**: تحديداً **﴿رِكْزًا﴾**: هو الصوت الخفي، قال "ابن عباس، وعكرمة": هل

(١) صحيح مسلم ٤/٢٠٣٠ (٢٦٣٧).

تسمع لهم صوتًا، وقال "قتادة": هل ترى عينًا أو تسمع صوتًا، والأصح أن الركن هو الصوت الخفي، والله أعلم.

التكليف: بدراسة مقاصد هذه السورة الكريمة؛ ندرك كيف وهب الله ﷻ المعجزات لأوليائه، وهو المنزّه عن الصاحبة والولد.



سُمّيت بهذا الاسم في كتب علماء السُنّة، وسُمّيت "سورة الكليم، وسُمّيت سورة موسى، وهي من السور المكيّة كلّها، وهي من أوائل السور التي نزلت بمكّة على قول الجمهور، وهذه السورة هي الخامسة والأربعون في ترتيب النزول، نزلت بعد سورة مريم، وقبل سورة الواقعة، وعدد آياتها مائة وخمسة وثلاثون في عدد أهل الكوفة.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿طه﴾ (١)

اعتمادًا على ما يقوله علماء النحو والبلاغة إن الضمائر في الكلام الأصل أن تعود على متقدم في اللفظ والرتبة، ولا تعود على متأخر في اللفظ والرتبة، بمعنى ما هو الاسم الذي سبق، وعليه فإن الحرفين؛ أرى، والله ﷻ أعلم، أن المقصود هو "محمد" ﷺ فقد جاء في الآية رقم (٢) ﴿عَلَيْكَ﴾: والضمير هنا يعود قطعًا على النبي محمد ﷺ؛ فلم ينزل القرآن إلا على محمد، وجاء في الآية رقم (٤) ﴿تَنْزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ﴾ ولم ينزل القرآن إلا عليه ﷺ وجاء في الآية رقم (٧) ﴿وَإِنْ تَجْهَرْ﴾ والضمير يعود عليه ﷺ وجاء في الآية رقم (٩) ﴿وَهَلْ أَتَاكَ﴾: والضمير في كلّ ما سبق يعود عليه ﷺ.

﴿مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾ (٢)

﴿مَا﴾: حرف نفي ﴿أَنْزَلْنَا﴾: أوحينا وأرسلنا "جبريل" ﷺ ﴿عَلَيْكَ﴾: إليك من السماء ﴿الْقُرْآنَ﴾: لما نزل القرآن على "محمد" ﷺ، قام به وأصحابه، صلاةً وطاعةً؛ ﴿ل﴾: حرف للتعليل وقيل للنفي، وقيل حرف لام الجحود، وقد تفيد السبب، والله ﷻ أعلم ﴿تَشْقَى﴾: لم تنزله عليك ليكون سببًا في إرهابك، وتعبك، ومكابدة الشدائد، والتأسف على قومك؛ لأنّ قومك كذوبك.

﴿إِلَّا تَذَكَّرَ لِمَنْ يَخْشَى﴾ (٣)



﴿الَا﴾: حرف استثناءٍ منقطع، بمعنى لكن، أو بمعنى متصل والتقدير لتحمل متاعب ومشاق التبليغ ﴿تَذَكَّرَ﴾: لتذكَّر به من يوفقه الله ﷻ للتقوى، المؤمنين، حتى يحافظوا على توفيق الله ﷻ لهم، أو في التذكير بملة إبراهيم ﷺ والتمسك بها ﴿ل﴾: حرف تخصيص ﴿مَنْ﴾ يَخْشَى: هو المستفيد بها، المستعد للتأمل والنظر في صحّة الدين الحق، هو الذي يخاف الله ﷻ في السرِّ والعلن؛ فيعبده حق عبادته؛ فيفوز في الدارين، الحياة الدنيا والآخرة.

#### ﴿تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى﴾ (٤)

﴿تَنْزِيلًا﴾: نزل هذا القرآن تنزيلاً ﴿مِمَّنْ﴾: من الذي ﴿خَلَقَ﴾: من الله ﷻ الذي خلق الأرض من عدم، وأوجد ما لم يكن، وهي ﴿الْأَرْضُ﴾: بجالها، وأنهارها، وسهولها ﴿و﴾: أيضاً خلق ﴿السَّمَاوَاتِ﴾: هي كلّ ما علا الأرض، وأحاط بها؛ لكونها ببيضاوية الشكل ﴿الْعُلَى﴾: وخلق كلّ ما علا وأحاط بالأرض وهي السموات في ارتفاعها، وسموها بما فيها من شمسٍ، وأقمارٍ، ونجوم، بهذا الكون البديع، الذي يكشف فيه علماء الفلك اليوم مزيداً من الإبداع والإعجاز.

#### ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ (٥)

﴿الرَّحْمَنُ﴾: اللطيف، الرؤوف بعبادة ﴿عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾: علواً وارتفاعاً يليق بجلاله ﷻ، نذكره ولا نعرف كيف، بلا تشبيه ولا تمثيل.

#### ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى﴾ (٦)

﴿لَهُ﴾: لله ﷻ ملك كلّ ﴿مَا﴾: الذي من جنس غير العاقل من نجوم وأجرام وكواكب ﴿فِي السَّمَاوَاتِ﴾: هي كلّ ما علا وأحاط بالأرض لكونها ببيضاوية الشكل ﴿و﴾: حرف عطفٍ يفيد هنا الحال؛ أيضاً له كلّ ﴿مَا﴾: الذي من جنس غير العاقل ﴿فِي الْأَرْضِ وَمَا﴾: الذي ﴿بَيْنَهُمَا﴾: كل ما يدركه الإنسان، الأرض وما ومن عليها ملكٌ لله ﷻ، وما في السموات وما بينهم، كلّ في قبضته، وتحت تصرفه، ومشيتته، وإرادته، وحكمه؛ فهو الذي أوجد، وهو المالك، وهو المتصرف ﴿وَمَا﴾: الذي ﴿تَحْتَ الثَّرَى﴾: ويعلم كلّ ما هو تحت الأرض؛ بطبقاتها، من كنوزٍ، ومعادن، ومياهٍ، وغيرها ملكٌ له ﷻ.

#### ﴿وَإِنْ تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ (٧)

﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿إِنْ﴾: حرف شرط ﴿تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ﴾: أي تنطق كلامًا مسموعًا ﴿فَإِنَّهُ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿يَعْلَمُ السِّرَّ﴾: قال ابن عباس: ما أسرّه وأخفاه، وهو كلّ ما لم يقله الإنسان، وقال الضحاك: ما يحدث به الإنسان نفسه، وقال سعيد بن جبير: أنت تعلم ما أسررت اليوم أيها الإنسان ﴿و﴾: حرف عطفٍ يفيد هنا الحال ﴿أَخْفَى﴾: الإنسان، قال ابن

عباس: ما أخفى الله ﷺ على "ابن آدم" من الذي سيفعله قبل أن يعلمه، وقال الضحاك: ما أخفى هو ما لم تُحدث به نفسك بعد، وقال سعد بن جرير: لا تعلم ما تُسرُّ غداً، وقال "مجاهد": الوسوسة، أو ما سوف يعملها، ولم يُحدِّث به نفسه بعد.

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ (٨)

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾: لا معبود يستحق العبادة بحقٍ إلا هو، الذي أنزل عليك القرآن هو الإله، هو الله ﷻ: ﴿لَهُ﴾: تمليكاً وتخصيصاً ﴿الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾: أفضلُ الأسماء والصفات الغلى، بالغ الكمال في الحسن، وجاء ذكر بعض أسماء الله الحسنى في قوله ﷻ ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الحشر-٢٣].

﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى﴾ (٩)

﴿و﴾: حرفٌ عطفٍ يفيد هنا الحال ﴿هَلْ أَتَاكَ﴾: هو استفهامٌ تقرير؛ قد أتاك يا محمد ﷺ الاستفهام هنا للتقرير، ويفيد التحقيق ﴿حَدِيثُ مُوسَى﴾: خبرٌ موسى ﷺ، مع فرعون وملئه؛ والهدف هو التشويق والحث على الإصغاء وكيف أخرجوه من أرضه، فالتقى بشعيب وعمل عنده، تبدأ بعد أن أوفى موسى ﷺ بالمُدَّة التي اتفق عليها مع صهره مقابل الزواج بإحدى ابنتيه، توجه موسى ﷺ نحو مصر، فقد غاب عنها عشر سنوات، أو يزيد.

﴿إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدٍ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾ (١٠)

﴿إِذْ﴾: حرفٌ يدلُّ على ما مضى من الزمن ويفيد هنا السبب ﴿رَأَى﴾: شاهد موسى ﷺ ﴿نَارًا﴾: موقدةً في ليلةٍ مُظلمةٍ، لماذا خرج مسافراً من مدين إلى مصر. جاء اللفظ القرآني النار على "ثلاثة" أوجه؛ هنا بمعنى النور، في الجانب عن يمينه لجبل الطور؛ فقال سعيداً مُبَشِّراً ﴿ف﴾: حرف يفيد السبب والسرعة ﴿قَالَ ل﴾: حرف تخصيص ﴿أَهْلِهِ﴾: لزوجته ﴿امْكُثُوا﴾: ابقوا وأقيموا هنا ﴿إِنِّي﴾: أنا بالتأكيد ﴿آنَسْتُ نَارًا﴾: لقد رأيت ضوء من لهبٍ بوضوح ﴿ل﴾: حرف يفيد السبب والتقرير، وقيل هي لام الوقتية، بمعنى عند ﴿عَلِي﴾: حرف يفيد الترجي والتوقع ﴿آتِيكُمْ﴾: أحضر لكم في هذا الليل ﴿مِنْهَا﴾: حرف يفيد التبعية ﴿بِقَبَسٍ﴾: شعلةٍ أو شهابٍ من نارٍ على رأسٍ عود، وفي آيةٍ أخرى ﴿جَدْوَةٌ مِنَ النَّارِ﴾ [القصص-٢٩]؛ أي الجمر الذي فيه لهب، وكان الوقت شتاءً دلَّ على ذلك ﴿لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ [النمل-٧] ﴿أَوْ﴾: حرف يفيد التقسيم والتسوية ﴿أَجْدٍ﴾: أعرث ﴿عَلَى النَّارِ﴾

**هُدَى**: عَلَنِي أَجِدُ مِنْ يَدَيْكَ وَيَهْدِينِي، وَيُرْشِدُنِي إِلَى الطَّرِيقِ، حَتَّى أَصِلُ مِصْرَ، تَبْدَأُ قِصَّةَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَزَوْجَتِهِ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ فِي اللَّيْلِ، وَفِي الْبَرْدِ، التَّيِّبِ فِي الصَّحْرَاءِ الْوَاسِعَةِ.

**فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى** (١١)

**فَلَمَّا**: حَرْفٌ يُفِيدُ التَّتَابِعَ وَالسَّبَبَ، أَي بَعْدَ ذَلِكَ **أَتَاهَا**: عِنْدَمَا وَصَلَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، إِلَى النَّارِ وَاقْتَرَبَ مِنْهَا **نُودِيَ**: نَادَاهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ **يَا**: حَرْفٌ نِدَاءٍ لِلْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ **مُوسَى**: سَمِعَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، صَوْتِ نِدَاءٍ يَقُولُ:

**إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَأَخْلَعُ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى** (١٢)

**إِنِّي**: بِالتَّأَكِيدِ **أَنَا**: اللَّهُ **رَبُّكَ**: إِنَّ الَّذِي يَنَادِي عَلَيْكَ وَيُخَاطِبُكَ هُوَ رَبُّكَ، مَالِكُ أَمْرِكَ كُلِّهِ **فَ**: حَرْفٌ يُفِيدُ هُنَا السَّبَبَ وَالْعَمَلَ السَّرِيعَ **أَخْلَعُ نَعْلَيْكَ**: كَانَ السَّبَبُ؛ قَالَ سَعِيدُ بْنُ جَبْرِ: تَعْظِيمًا لِلْبَقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ، كَمَا أَمَرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ أَنْ يَخْلَعَ الْإِنْسَانَ نَعْلِيهِ؛ إِذَا دَخَلَ الْكَعْبَةَ. لِيَطَّأَ الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ بِقَدَمِيهِ، حَافِيًا بِلَا نَعْلِ، وَقِيلَ لِلتَّوَاضُعِ؛ وَقِيلَ لِلتَّشْرِيفِ وَالتَّكْرِيمِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ **إِنَّكَ**: أَنْتَ بِالتَّأَكِيدِ **بِالْوَادِ**: السَّهْلُ بَيْنَ جَبَلَيْنِ **الْمُقَدَّسِ**: الْمُطَهَّرِ أَوْ الْمُبَارَكِ الَّذِي هُوَ كَثِيرُ الْخَيْرَاتِ **طُوًى**: اسْمُ الْوَادِي الَّذِي يَقَعُ فِي أَرْضِ سَيْنَاءَ، بَارَكَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ اسْتِعْدَادًا لِمَنَاجَاةِ نَبِيِّهِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

**وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى** (١٣)

**وَ**: عَطْفًا عَلَى هَذَا **أَنَا**: اللَّهُ **اخْتَرْتُكَ**: اصْطَفَيْتَكَ وَأَخْصَكَ بِاخْتِيَارِ الرِّسَالَةِ عَلَى جَمِيعِ أَهْلِ هَذَا الزَّمَانِ، وَقِيلَ؛ لِأَنَّ أَحَدًا لَمْ يَتَوَاضَعْ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ كَمَا فَعَلَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ، وَلِأَنَّ قَوْمَهُ يَتَّبِعُوهُ وَيُطِيعُوهُ **فَ**: حَرْفٌ يَفِيدُ رِبْطَ جَوَابِ الشَّرْطِ **اسْتَمِعْ**: أَنْصَتَ جِدًّا **لِمَا**: لِلَّذِي **يُوحَى**: لِمَا سَأُوْحِي إِلَيْكَ.

**إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي** (١٤)

**إِنِّي**: وَهِيَ تَتَمَيِّزُ عَنْ أَنِّي مِنْ حَيْثُ الزِّيَادَةُ فِي التَّوَكِيدِ لِأَنَّ الْأَمْرَ يَتَعَلَّقُ بِالْعَقِيدَةِ فزِيدت بنون الوقاية **أَنَا اللَّهُ**: سُبْحَانَهُ، الَّذِي يَنَادِيكَ. كَانَ هَذَا أَوَّلَ تَكْلِيفٍ أَنْ يَعْرِفَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ الَّذِي يُكَلِّفُهُ هُوَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ **لَا**: حَرْفُ نَفْيِ **إِلَهٍ**: مَعْبُودٍ **إِلَّا**: حَرْفُ اسْتِثْنَاءٍ **أَنَا**: هُوَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ **فَ**: لِهَذَا السَّبَبِ **اعْبُدْنِي**: قِمِ بَعِبَادَتِي وَطَاعَتِي وَحَدِي بِلَا شَرِيكَ، وَهَذَا التَّكْلِيفُ الثَّانِي **وَ**: عَطْفًا عَلَى مَا سَبَقَ **أَقِمِ**: أَدِي **الصَّلَاةَ**: خَصَّ اللَّهُ سُبْحَانَهُ الصَّلَاةَ بِالذِّكْرِ لِكُونِهَا أَشْرَفَ طَاعَةٍ وَأَفْضَلَ عِبَادَةٍ، أَمْ فَرَائِضَ الصَّلَاةِ عَلَى وَجْهِهَا الصَّحِيحِ **لِ**: حَرْفُ التَّبْيِينِ **ذِكْرِي**: لِأَنَّ الذِّكْرَ الْكَامِلَ لَا يَتَحَقَّقُ إِلَّا فِي عِبَادَةِ الصَّلَاةِ؛ لِأَنَّهَا تَشْمَلُ الْأَنْكَارَ،

ولأنها لا تُنسى من كثرة تكرارها في أوقات اليوم والليلة؛ لتذكرني لأطول فترة ممكنة، وقيل أقم الصلاة عند ذكرك لي، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِذَا رَقَدَ أَحَدُكُمْ عَنِ الصَّلَاةِ، أَوْ غَفَلَ عَنْهَا، فَلْيُصَلِّهَا إِذَا ذَكَرَهَا" (١)

### ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِيُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى﴾ (١٥)

﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ﴿السَّاعَةَ﴾: يوم القيامة التي يبعث فيها الناس من قبورهم ﴿آتِيَةٌ﴾: لا محالة، لا بدّ من وقوعها ﴿أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾: للتهويل والتخويف، وعدم المماثلة في الإقبال على التوبة والعمل الصالح المقبول، قال ابن عباس: لا أطلع عليها أحداً غيري. لقد أخفى الله ﷻ علم الساعة عن أهل السموات وأهل الأرض، ومن عظمها قال ﷻ: يكاد يخفيها عن نفسه والله أعلم ﴿ل﴾: حرف علة وسبب ﴿يُجْزَى﴾: تأخذ جزاءها ﴿كُلُّ﴾: تقيد الجميع ﴿نَفْسٍ﴾: لتأخذ بالتأكيد كل نفس جزاءها، ينال كل عامل جزاء عمله ﴿بِمَا﴾: اسم موصول هنا بمعنى الذي ﴿تَسْعَى﴾: ما عملته، خيراً، أو شراً.

### ﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى﴾ (١٦)

﴿فَلَا﴾: أداة نهي تقيد طلب عدم الفعل ﴿يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا﴾: لا يمنحك لا يصرفك عن الإيمان والتصديق بها هذا الذي يصدك بقوة وتأكيده عن العمل لها ﴿مَنْ﴾: من جنس العاقل، بمعنى الذي من البشر ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يُؤْمِنُ بِهَا﴾: هم الذين يكفرون بها، والذين يكذبون بيوم القيامة ﴿وَاتَّبَعَ﴾: خضع وسار على ﴿هَوَاهُ﴾: جاء اللفظ القرآني "هوى" على أربعة أوجه، هنا بمعنى "ما تشتهيهِ الأنفس" كما في قوله ﷻ أيضاً ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى﴾ [النازعات-٤٠] هو الذي أقبل على متاع الدنيا وملذاتها، وكذّب، وعصى الله ﷻ ﴿ف﴾: لهذا السبب ﴿تَرْدَى﴾: تهلك وتعطب؛ أي تقشل، وكان هذا التكليف الثالث.

### ﴿وَمَا تَلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾ (١٧)

لقد أراد الله ﷻ أن يكلف "موسى" ﷺ بدعوة عظيمة وكبيرة، وكان يريد أن يهبه قوة عظيمة ومعجزة خارقة للعادة؛ ويذهب عنه الخوف؛ وليؤكد للناس أن موسى ﷺ مبعوث منه ﷻ، وأن هذه المعجزات لا يأتي بها إلا نبي مرسل ﴿وَمَا﴾: حرف استفهام ﴿تَلْكَ﴾: اسم إشارة للمؤنث البعيد المفرد ﴿بِيَمِينِكَ﴾: جاء ذكر اليمين لتشريف العصا، وقد يكون المعنى بسبب ما سيراه من العجائب؛ وللتأكيد من أنها عصاه الحقيقية التي يعرفها في كفّ يده اليمنى ﴿يَا﴾: حرف نداء للقريب ﴿مُوسَى﴾: لقد تكرر سؤال الله ﷻ لموسى عن العصا حتى لا

(١) صحيح مسلم ٤٧٧/١ (٦٨٤).

يخاف منها عندما تنقلب إلى حيّة؛ وللدلالة على أنّ تكليف موسى بهذه المعجزة لا يشقُّ عليه ﷺ؛ قال الله ﷻ هذا ليؤنس موسى، ويهدئ من روعه، وقيل إنّها على سبيل التقرير؛ فهذه عصاك التي تعرفها، ستري ما نضع بها، وكيف ستتحول بقدرتنا، كان هذا استقهاً تقريرٍ وتنبيهٍ.

﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى﴾ (١٨)

﴿قَالَ﴾: موسى ﷺ وهو يريد أن يُطيل فترة المخاطبة مع الحبيب ﷺ فقال ﴿هِيَ﴾: ضمير رفع منفصل للغائب المفرد المؤنث ﴿عَصَايَ أَتَوَكَّأُ﴾: أستند وأتحامل وأعتمد عليها في المشي ﴿عَلَيْهَا﴾: أثناء سيرى ﴿وَ﴾: أيضاً ﴿أَهُشُّ بِهَا﴾: أهرُّ بها أغصان الأشجار؛ حتى يتساقط الورق والثمر دون كسر العود، لا يضرب بها الأغصان ﴿عَلَى غَنَمِي﴾: لتأكل الأغنام وتسير حسبما أريد ﴿وَلِيَ﴾: تخصيصاً ﴿فِيهَا﴾: في العصا ﴿مَآرِبُ﴾: أهدافٌ وحاجاتٌ ومنافعٌ، والأربُّ هو الرغبة الشديدة في حاجةٍ؛ فكلُّ أربٍ حاجةٌ، وليس كلُّ حاجةٍ أرباً ﴿أُخْرَى﴾: غير ذلك، مثل جمع الغنم إذا تفرقت، ومثل الدفاع عن النفس أمام الوحوش؛ وغيرها والله أعلم.

﴿قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى﴾ (١٩)

﴿قَالَ﴾: الله ﷻ ﴿أَلْقِهَا﴾: ألقى العصا إلى الأرض ﴿يَا﴾: حرف نداء القريب هنا ﴿مُوسَى﴾: ﷺ.

﴿فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى﴾ (٢٠)

﴿ف﴾: لهذا السبب وفي تتابع سريع ﴿أَلْقَاهَا﴾: امتثالاً للأمر الرباني ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يُستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط ما بعدها بما قبلها ﴿هِيَ حَيَّةٌ﴾: فانقلبت وتحولت العصا إلى حيّة كبيرة ﴿تَسْعَى﴾: تمشى بسرعةٍ وخفّةٍ، تجري وهي أسرع وأخفّ أنواع الثعابين، فولّى موسى ﷺ، هارباً.

التكليف: كان هذا تدريباً لموسى ﷺ؛ فلا يخاف منها بعد ذلك إذا انقلبت إلى حيّةٍ بحضور السحرة وحبالهم مع فرعون.

﴿قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى﴾ (٢١)

﴿قَالَ﴾: الله ﷻ ﴿خُذْهَا﴾: ناداه الله ﷻ قائلاً أمسك بالعصا ﴿وَلَا﴾: حرف نفي ﴿تَخَفْ﴾: أمر الله ﷻ موسى ﷺ، أنْ يمسكها بيمينه، ولا يخاف ﴿س﴾: حرفٌ يفيد تأكيد الفعل ﴿نُعِيدُهَا سِيرَتَهَا﴾: تعود إلى وضعها الذي كانت عليه في ﴿الْأُولَى﴾: أمسك موسى ﷺ بالحيّة؛ فتحولت إلى العصا التي كان يهشُّ بها على غنمه.

### ﴿وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةٌ أُخْرَى﴾ (٢٢)

﴿و﴾: قال الله ﷻ أيضًا، وهو حرف جمع بين ما قبل معطوفًا عليه ما بعده ﴿اضْمُمْ﴾: اجمع ﴿يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ﴾: هنا استعارة جناح الطير بجانب الإنسان، ضع كَفَكَ تحت عضدك الأيسر أو على جنبك ﴿تَخْرُجَ بَيْضَاءَ﴾: نُصَبِحُ تَتَلَأَلًا؛ كَأَنَّهَا فَلَقَةُ قَمَرٍ أَوْ شِعَاعُ الشَّمْسِ ﴿مِنْ غَيْرِ﴾: دُونَ ﴿سُوءٍ﴾: دُونَ عَيْبٍ، قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: مَنْ غَيْرَ مَرَضِ الْبَرَصِ، وَمَنْ غَيْرِ أَدَى؛ كَأَنَّهَا مَصْبَاحٌ ﴿آيَةٌ أُخْرَى﴾: كَانَتْ الْآيَةُ فِي الْيَدِ أَكْبَرَ وَأَبْلَغُ فِي الْأَثَرِ مِنَ الْآيَةِ فِي الْعَصَا، لِأَنَّ سِحْرَ السِّحْرَةِ كَانَ فِي الْعَصَا؛ دَلِيلًا وَبِرْهَانًا عَلَى صِدْقِ بَعَثَتِكَ كُنْبِي بَعْدَ آيَةِ الْعَصَا الَّتِي تَتَحَوَّلُ إِلَى حَيَّةٍ تَتَحَرَّكُ.

### ﴿لِنُرِيكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى﴾ (٢٣)

يقول الله ﷻ لموسى ﷺ "لِنُرِيكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى": حرف عِلَّةٌ وَسَبَبٌ ﴿لِنُرِيكَ﴾: لِنُرِيكَ يَا مُوسَى أَنَّنَا زُودْنَاكَ ﴿مِنْ﴾: حَرْفٌ جَرٌّ وَبَيَانٌ لِمُتَمَيِّزِ النُّوعِ وَتَقْيِيدٌ هُنَا بَعْضُ ﴿آيَاتِنَا﴾: بِالْأَدَلَّةِ وَالْبِرَاهِينِ الْكُبْرَى، مَا يَدُلُّ عَلَى قُدْرَتِنَا وَعَظِيمِ سُلْطَانِنَا وَصَحَّةِ رِسَالَتِكَ ﴿الْكُبْرَى﴾: هِيَ آيَاتُ كِبْرَى لِمَهْمَةِ كُبْرَى.

### ﴿أَذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ (٢٤)

﴿أَذْهَبْ﴾: امضْ بَعِيدًا، تَوَجَّهْ يَا مُوسَى إِلَى مِصْرَ؛ هَذَا أَمْرٌ مِنَ اللَّهِ ﷻ، لَمْ يَقُلْ ﷻ أَذْهَبْ وَلَيْسَ فِي هَذَا تَشْرِيفٌ لِفِرْعَوْنَ ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ﴾: مَلِكِ مِصْرَ، الَّتِي وَلَّيْتْ مِنْهَا هَارِبًا، بَعْدَ قَتْلِ الرَّجُلِ وَالسَّبَبِ ﴿إِنَّهُ﴾: هُنَا سَبَبٌ وَتَعْلِيلٌ الذَّهَابِ، بِالتَّأَكِيدِ إِلَى فِرْعَوْنَ؛ لِأَنَّهُ ﴿طَغَى﴾: لَقَدْ تَجَبَّرَ فِرْعَوْنَ، وَجَاوَزَ الْحَدَّ، وَكَفَرَ، وَقَتَلَ، انْطَلَقَ بِرِسَالَتِي يَا مُوسَى، وَادَّعَى إِلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ ﷻ وَعِبَادَتِهِ، وَأَنْتَ بِسَمْعِي وَبِصْرِي، لِنَسْتَكْمِلَ الْقُدْرَةَ، يُطْمئنُ اللَّهُ ﷻ نَبِيَّهُ مُوسَى ﷺ، أَنْتَ جُنْدِي عَظِيمٌ مِنْ جُنْدِي، بَعَثْتُكَ إِلَى أَوْعَفِ خَلْقِي، الَّذِي بَطَرَ نِعْمَتِي، وَكَفَرَ بِي.

### ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ (٢٥)

﴿قَالَ﴾: سَأَلَ مُوسَى ﷺ ﴿رَبِّ﴾: يَا مَالِكَ أَمْرِي كُلَّهُ ﴿اشْرَحْ﴾: كَانَ طَلَبُ مُوسَى ﷺ، الْأَوَّلُ: أَوْسَعُ ﴿لِي صَدْرِي﴾ الَّذِي فِيهِ قَلْبِي؛ الَّذِي هُوَ مَرْكَزُ الْإِدْرَاكِ وَالْوَعْيِ، يُعَدُّ مُوسَى نَفْسَهُ لِمَهْمَةِ كِبْرَى؛ سَأَلَ مُوسَى رَبَّهُ ﷻ أَنْ يَكُونَ فِي عَوْنِهِ، وَنَصِيرِهِ، وَظَهِيرِهِ.

### ﴿وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي﴾ (٢٦)

﴿و﴾: عَطْفًا عَلَى مَا سَبَقَ كَانَ الْمَطْلَبُ الثَّانِي ﴿يَسِّرْ لِي﴾: قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: اجْعَلْ مَهْمَتِي سَهْلَةً مُيسِرةً؛ فَإِنَّهُ لَا طَاقَةَ لِي ﴿أَمْرِي﴾: بِهَذِهِ الْمَهْمَةِ.

### ﴿وَإِخْلَعْ عُقُدَةً مِنْ لِسَانِي﴾ (٢٧)

﴿و﴾: أيضًا كان المطلب الثالث ﴿أخْلَن﴾: أصل الحل؛ حلُّ العقدة ﴿عُقْدَةً مِنْ﴾: حرفٌ يفيد بداية الغاية المكانية ﴿لِسَانِي﴾: أطلق عن لساني العقدة، اللعثة واجعلني قادرًا على النطق السليم، اجعل كلامي ونُطقي ككلام النَّاس؛ حتى يفهموا ما أقول.

﴿يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾ (٢٨)

﴿يَفْقَهُوا﴾: حتى يتحقق فهم النَّاس ﴿قَوْلِي﴾: يفهمون كلامي، ولو سأل موسى الخلاص من النقص فيه؛ لحدث، ولكن الأنبياء لا يسألون إلا بحسب الحاجة.

﴿وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي﴾ (٢٩)

﴿و﴾: عطفًا على ما سبق كان المطلب الرابع ﴿اجْعَلْ لِي﴾: أمرٌ للتضرع والرجاء، هب وهب لي ﴿وَزِيرًا﴾: شخصًا ظهيريًا ومساعدًا ومساندًا؛ يُعينني في بعض أمري، ويكون ﴿مِنْ أَهْلِي﴾: جاء اللفظ القرآني "الوزير" من أزر أي "ساند وعاون" جاء على "ثلاثة" وجوه، هنا بمعنى "العون" فهو نَعْمُ الأخ، وهو الأنفع لأخيه في الدنيا.

﴿هَازُونَ أَخِي﴾ (٣٠)

﴿هَازُونَ﴾: أخي.

﴿أَشْدُدْ بِهِ أَزْرِي﴾ (٣١)

﴿أَشْدُدْ بِهِ﴾: أقوى وأعزّز ﴿أَزْرِي﴾: أصل الأزر؛ الإزار وهو اللباس، والأزر هو القوة الشديدة؛ قال "مجاهد": أقوى به ظهري وأزد به قوتي.

﴿وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي﴾ (٣٢)

﴿و﴾: حرفٌ عطفٍ يفيد هنا الحال ﴿أَشْرِكُهُ﴾: شريكي في أمر الرسالة؛ أستشيره؛ فما خاب من استشار ﴿فِي أَمْرِي﴾: في مهمتي وشأني.

﴿كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا﴾ (٣٣)

﴿كَيْ﴾: حتى ﴿نُسَبِّحَكَ﴾: نُنزهك عن النواقص، ونذكرك قيامًا وقعودًا، وعلى جنوبنا؛ لذلك قال "مجاهد" لا يكون من الذاكرين الله كثيرًا إلا بهذه ﴿كَثِيرًا﴾: زيادة في الذكر والتسبيح.

﴿وَنَذُكْرَكَ كَثِيرًا﴾ (٣٤)

﴿و﴾: حرفٌ عطفٍ يفيد هنا الحال ﴿نَذُكْرَكَ كَثِيرًا﴾: نذكرك، ونشكرك، ونسبحُ، بحمدك على الدوام، لا نكفُّ عن ذكرك؛ فبذكرك تطمئن القلوب الخائفة.

﴿إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا﴾ (٣٥)

﴿إِنَّكَ﴾: أنت سبحانك بكل تأكيد ﴿كُنْتَ﴾: وتبقى بلا انتهاء ﴿بِنَا بَصِيرًا﴾: كنت تعلم حالنا عندما اخترتتنا ووهبتنا هذه المهمة إلى فرعون عدوك.

﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى﴾ (٣٦)

﴿قَالَ﴾: الله ﷻ ﴿قَدْ﴾: حرف جرّ دخل هنا على الفعل الماضي فأفاد التأكيد والتحقق في الماضي ﴿أُوتِيتَ﴾: لقد أعطيتك ما طلبت استجاب الله ﷻ ﴿سُؤْلَكَ﴾: ما سألت وطلبت من شرح الدر وتيسير الأمر، وحلّ عقدة اللسان، ونبوة هارون ﴿يَا﴾: حرف نداء للقريب والبعيد ﴿مُوسَى﴾: طلب "موسى" من الله ﷻ، أن يجعل له أخاه "هارون" مساعدًا ومعينًا.

﴿وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى﴾ (٣٧)

﴿وَلَقَدْ﴾: حرف يفيد التحقق في الماضي ﴿مَنَّا﴾: أنعمنا، وتفضلنا، وأحسنًا، يأتي المن بمعنى النعمة نفسها، ويأتي بالتذكير بنعمة سبقت ﴿عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى﴾: مرة ثانية، إضافةً إلى فضلنا عليك في السابق.

﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مَا يُوحَى﴾ (٣٨)

﴿إِذْ﴾: حرف يدلُّ على ما مضى من الزمن، من باب فضلنا عليك ﴿أَوْحَيْنَا﴾: أخبرنا وحياً ﴿إِلَى﴾ ﴿أَمِّكَ﴾: ما الذي تفعله؛ حتى تحافظ على حياتك، وأنت مولودٌ جديد.

﴿أَنْ أَقْدِفِيهِ فِي النَّابُوتِ فَأَقْدِفِيهِ فِي النِّمِّ فَلْيُلْقِهِ النِّمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ  
وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ (٣٩)

القصة: جلس علماء فرعون يتدارسون وعد الله ﷻ لإبراهيم ﷺ، أن يجعل من ذريته من يدمر عرش فرعون، ووطنوا أنه يوسف ﷺ، ولما قضى يوسف؛ ترقبوا غيره، فأمر فرعون حاشيته من "الذباحين" أن يطوفوا ومعهم سيوفهم في مجتمع "بني إسرائيل" في مصر، ويذبحوا كلّ مولودٍ، والذبح هو شق الحلق وقطع الأوعية الدموية التي تصل الدم للمخ فيموت فلما مات الكبار، وذبح الصغار؛ تقلصت خدمات "بني إسرائيل"؛ فاتفقوا أن يذبحوا أطفال الإسرائيليين الذكور عامًا، ويتركوهم عامًا، ولا يقتلوا البنات. حملت "أم موسى" بهارون" ووضعت في عام السماح؛ فلم يُذبح، ثم حملت في عام الذبح بـ"موسى"، وولدتها، وخافت عليه؛ فأوحى إليها ربّها ﷻ. ﴿أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿أَقْدِفِيهِ﴾: اطرحيه وضعيه، ﴿فِي النَّابُوتِ﴾: أمرناها أن تضعك في صندوقٍ خشبي؛ ليطفو على الماء ﴿ف﴾: حرف استثنائي بهدف ترتيب الأمر ويفيد السرعة في التنفيذ ﴿أَقْدِفِيهِ﴾: ألقه بحذرٍ شديدٍ ﴿فِي النِّمِّ﴾: في البحر، نهر النيل، ثم أوحينا إليها أن تضع النابوت الخشبي، وأنت فيه، في النهر "نهر النيل"



**﴿فَلْيَلْقِهِ﴾**: أمر الله ﷻ نهر النيل أن يلقى الصندوق بمن فيه على الشط، قبالة قصر فرعون، سيقف بموسى التابوت الخشبي على شاطئ **﴿النَيْمِ﴾**: نهر النيل **﴿بِ﴾**: حرف باء الظرفية **﴿السَّاحِلِ﴾**: وأوحينا إلى الصندوق أن يذهب إلى حيث خدم فرعون، على ساحل النهر حتى **﴿يَأْخُذْهُ﴾**: ينتشله من الماء **﴿عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ﴾**: يقع التابوت وفيه الطفل "موسى" ﷺ في يد "فرعون" عدو الله، وعدو موسى وعدو قومه الذي كان يذبح أطفالهم **﴿و﴾**: حرف عطف يفيد هنا الحال **﴿الْفَيْثُ عَلَيْكَ﴾**: يا موسى، ووهبتك فأنزلت عليك **﴿مَحَبَّةً مِّنِّي﴾**: حرف يفيد بداية الغاية الكلية حببت الناس وأهل فرعون فيك **﴿و﴾**: عطفًا على ما سبق **﴿لِ﴾**: حرف يفيد العلة والسبب **﴿ثُصِّنَع﴾**: تكبر، وتتمو، وتتربى **﴿عَلَى عَيْنِي﴾**: تُربى في بيت "فرعون" بمرأى مني، تتنعم في بيت الملك، وتتغذى من غذائه؛ وتلك هي "الصنعة"، وقيل النمو، وفي قصتها أن الله ﷻ أوحى إلى "أم موسى"؛ فصنعت له صندوقًا وأغلقته، وأنزلته إلى الماء الجاري، رسى التابوت في مكانٍ يجلس فيه جوارى امرأة "فرعون"، لم يفتح الصندوق؛ خشية أن تكون فيه أموال؛ فيتهمن بسرقتها، وأخذنه إلى امرأة "فرعون"؛ فرأت الغلام "موسى"، ألقى الله ﷻ في قلبها محبته، ولم يحدث ذلك من قبل مع طفلٍ غيره، وطلبت امرأة "فرعون" المرضعات من حولها، فلم يقبل الرضيع ثدي واحدة منهن، فأمرت امرأة "فرعون" أن يأخذوا الرضيع إلى السوق، ومجمع النساء؛ ليجدوا له مرضعة؛ فلم يقبل بهن، وكانت أخته تراقبه، فوجدت جاريات زوجة "فرعون" يعرضن الوليد للرضاعة.

**﴿إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَى﴾ (٤٠)**

بعد أن نصحت **﴿إِذْ﴾**: حرف يفيد التحقق في الماضي والتعليل **﴿تَمْشِي﴾**: تسير **﴿أُخْتُكَ﴾**: خرجت أخت موسى ﷺ، تمشي على الشاطئ؛ تتابع التابوت بنظرها فسمعت فرعون وامرأته يطلبان مرضعة، فلما وجدته **﴿فَتَقُولُ هَلْ﴾**: حرف استفهام **﴿أَدُلُّكُمْ﴾**: أرشدكم **﴿عَلَىٰ مَن﴾**: الذي **﴿يَكْفُلُهُ﴾**: تربيته لكم ويقبل الرضيع الرضاعة منها وترعاه، وتضمه إليها، وتحفظه، وتربيته، ووافقت امرأة فرعون **﴿ف﴾**: بهذا السبب **﴿رَجَعْنَاكَ﴾**: أعدناك يا موسى **﴿إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ﴾**: من أجل **﴿تَقَرَّ﴾**: تفرح وتسر بلقائك **﴿عَيْنُهَا﴾**: المقصود نفسها برجوعك إليها، وعندما وضعوا الرضيع إلى ثدي أمه فالتقم يرضع؛ حتى امتلأ بطنه، ذهب البشير إلى زوجة فرعون؛ فاستدعت "أم موسى" في القصر؛ لترضعه لفترة، كانت امرأة فرعون "قد رفضت قتل "موسى"

الوليد، وقالت لزوجها: ﴿قُرْتُ عَيْنَ لِي وَلَكَ﴾ [القصص-9]؛ فرفض "فرعون" أن يكون قرّة عين له، ولقد طلبت "أم موسى" أن تأخذ الرضيع إلى البيت؛ لترعى أسرتها، فوافقت زوجة "فرعون"، وأصبح بيت "أم موسى" آمناً من البطش، وهدأ بالها، وذهب عن الأسرة الحزن والهجم، وكبر موسى طفلاً في القصر، وكان "الذباحون" يحرضون على "موسى" في القصر، ففي إحدى زيارات "موسى" لامرأة "فرعون" وهو صغير، طلبت أن يُقدّم الجميع "لابنها" كما كانت تخصه بالهدايا والكرامات، وقدمت مساعدات لأمّه التي ترضعه، وذهبت به إلى "فرعون"، فجعلته في حجرة، فأخذ "موسى" بلحية "فرعون" فجذبها إلى الأرض، فقال الملاً: وهم القادة والوزراء ألا ترى ما وعد الله "موسى" ﷺ أن يرثك ويعطوك ويصرك، فأرسل "فرعون" إلى الذباحين؛ ليذبحوا "موسى"؛ فأسرعت امرأته؛ فاقترحت أن يحتكما بينهما، طلبت أن يأتوا بجمرتين ولؤلؤتين، ووضعوهما أمام "موسى"، وانفقوا إن أمسك اللؤلؤة فهو يعقل، وإن أمسك الجمر فهو لا يعقل، فمد "موسى" يده إلى الجمرتين، من المتوقع أن "فرعون" أبعدها حتى لا تحرق أصابع الرضيع ﴿و﴾: حرف عطف يفيد هنا الحال ﴿لَا تَحْزَنَ﴾: أم موسى، هذا قول الله ﷻ إلى موسى ألا يحزن بفقده في بداية حياته، ولا بقتله ذلك الرجل القبطي بالخطأ؛ فصرف الله ﷻ بطش "فرعون" عنه ﴿وَقَتَلْتَ نَفْسًا﴾: عندما كبر موسى ﷺ، وصار شاباً، وذات يوم مرّ فرأى رجلين يقتتلان، أحدهما من بني إسرائيل، والآخر فرعوني، فدافع موسى عن الإسرائيلي؛ فوكز الفرعوني؛ فقتله، ولم ير أحد الحادثة، فقال موسى ﷺ، هذا من عمل الشيطان، علم فرعون وأخذ يبحث عن القاتل فلم يعرفه، ثم بعد فترة مرّ موسى؛ فوجد الإسرائيلي الأول يُقاتل رجلاً "فرعونياً" آخر، فطلب من موسى أن يغيبه، فغضب "موسى" من "الرجل" ووصفه إنك لـ"غوي مبين"، فظنّ "الإسرائيلي" أن موسى يقصده؛ فقال: أتريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس، أسرع الفرعوني، وأبلغ ما سمع من "الإسرائيلي"؛ فأرسل "فرعون" الذباحين؛ ليذبحوا موسى ﷺ ﴿فَنَجَّيْنَاكَ﴾: أنقذك الله ﷻ من ﴿الْغَمِّ﴾: الحزن الشديد والأسف على ما فعلت وخوفك من قصاص فرعون منك ﴿وَفَتْنَاكَ﴾: أيضاً ابتليناك واختبرناك ﴿فُتُونًا﴾: اختباراً قاسياً ﴿ف﴾: حرف يفيد السبب وتتابع الحدث السريع ﴿لَبِثْتُ﴾: فخرجت من مصر خائفاً إلى أهل مدين، مكثت أقمت إقامة دائمة وأمضيت ﴿سِنِينَ فِي أَهْلِ﴾: سكان ﴿مَدِينٍ﴾: أدرك موسى أن فرعون يطلبه؛ فهرب إلى مدين، وهي مدينة تقع جنوب فلسطين. كان موسى ﷺ يسير وهو لا يعرف الطريق، ولكنه كان يُحسن الظنّ بالله ﷻ؛ فوجد قوماً رعاةً يسقون، وفيهما امرأتان تنتظران حتى ينتهي الرعاة؛ فيسقيان بعدهم، فسقى لهما موسى،

وزهب يرتاح تحت ظلّ شجرة؛ فأخبرت إحدى الفتيات والدها عما فعل موسى؛ فطلبه، وجاء، واتفقا على أن يزوجه إحداهن على أن يعمل لحسابه ثماني سنواتٍ فرضًا، وستين طوعًا، ولبث موسى في "مدين" عشر سنوات ﴿نَمَّ﴾: حرفٌ يُفيد التتابع الزمني غير السريع ﴿جئْتُ﴾: وصلت ﴿عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى﴾: جئت من مدين في الموعد الذي قدرناه لإرسالك موافقًا لقدر الله ﷻ وإرادته، قال مجاهد: على موعدٍ، وقال قتادة: على قدر الرسالة والنبوة، كلُّ ذلك كان قدر الله ﷻ وإرادته.

### ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ (٤١)

﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿اصْطَنَعْتُكَ﴾: هنا تشبيه بليغ؛ اصطفتيك، واخترتك، واجتبيتك لرسالتي وإقامة حجتي ﴿ل﴾: حرف تخصيص ﴿نَفْسِي﴾: لتُبلِّغ عني الناس وأوحيت إليك كما أشاء وأريد.

### ﴿أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي﴾ (٤٢)

﴿أَذْهَبَ﴾: امضٍ بعيدًا، سافر حتى تصل ﴿أَنْتَ﴾: يا موسى جاء ذكر الأمر ووضعت لموسى أولًا لأنه المُكَلَّف الأول؛ لأنه نبيٌّ ﴿و﴾: وأيضًا يذهب معك ﴿أَخُوكَ﴾: هارون حتى يعود موسى ﷺ، إلى مصر، ويلتقي بأخيه هارون الذي هو أكبر منه بعام، وقد كلّفهما الله ﷻ بالذهاب إلى فرعون ﴿ب﴾: حرف باء الاستعانة ﴿آيَاتِي﴾: بما عندكما من البيّنات، والحُجج، والبراهين، والمُعجزات: "العصا، واليد البيضاء" الدالة على ألوهيتي، وكمال قدرتي ﴿وَلَا﴾: حرف نهي، ليس على الذهاب على الفور ولكن لا ﴿تَنِيَا﴾: قال ابن عباس: دون إبطاء، وقال أيضًا: لا تضعفا ﴿فِي ذِكْرِي﴾: ألا تكفّا عن مداومة ذكر الله ﷻ؛ عونًا على "فرعون".

### ﴿أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾ (٤٣)

﴿أَذْهَبَا﴾: جاء تكرر الأمر بالذهاب بعيدًا ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾: بسبب ﴿إِنَّهُ﴾: بالتأكيد ﴿طَغَىٰ﴾: إن فرعون تمرد، على الله ﷻ وعصاه، وجاوز كلَّ الحدود في الكفر والتمرد.

### ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ (٤٤)

﴿ف﴾: حرفٌ يفيد السبب ﴿قَوْلًا لَهُ﴾: القول هنا أمرٌ ربّانيّ، دون تأخير، أو ترددٍ ﴿قَوْلًا﴾: حديثًا ﴿لَّيِّنًا﴾: لا غلظة فيه ولا تعنيف، دعوةٌ ربّانيةٌ إلى مخاطبة الجبارة باللطف، والقول اللين، هذا من أدب المخاطبة، الذي هو حقٌّ من حقوق الإنسان، قال "الحسن البصري": معذرة إلى الله، نكراه بالله ربّه، وبيوم القيامة، وبالجنة والنار ﴿لَّعَلَّهُ﴾: حرفٌ يفيد توقع

الاستجابة والترجي خاطباه بالقول اللين فذلك أحرى به أن يُمعن النظر فيما تبلغاه ﴿يَتَذَكَّرُ﴾: من الذكر يستشعر قدرة الله ﷻ، وشدة عذابه، ويرجع عما هو فيه من الضلال، والتيه ﴿أَوْ﴾: حرف يفيد التسوية بين متعاطفين الخشية والتذكر ﴿يَخْشَى﴾: يتوب ويعبد الله ﷻ خشيةً وخورفاً.

﴿قَالَ رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى﴾ (٤٥)

﴿قَالَ﴾: استجار "موسى وهارون" ﴿رَبَّنَا﴾: يا مالك أمرنا كله ﴿إِنَّا﴾: نحن بالتأكيد ﴿نَخَافُ﴾: من بطش "فرعون" وجبروته ﴿أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿يُفْرِطُ﴾: يعجل ويبادر ويشتط في أذيتنا ويبالغ في البطش ﴿عَلَيْنَا﴾: فيعجل بالقضاء علينا قبل تحقيق هداية الناس ﴿أَوْ﴾: حرف يساوي بين متعاطفين ﴿أَنْ يَطْغَى﴾: يبالغ في ظلمنا، أن يبادر بعدوانٍ علينا أو يصيبنا بعقابٍ ظلمًا، قال عبد الرحمن بن زيد: يُعجل، وقال مجاهد: يُسلط علينا، وقال ابن عباس: أن يعتدي.

﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ (٤٦)

﴿قَالَ﴾: الله ﷻ ﴿لَا﴾: حرف نهي ﴿تَخَافَا﴾: من "فرعون" ﴿إِنِّي﴾: أنا الله بكل تأكيد ﴿مَعَكُمَا﴾: ناصركما، وحافظكما، بنصري، وتأبيدي ﴿أَسْمَعُ﴾: أسمع كلامكما وكلامه ﴿وَأَرَى﴾: أيضًا ﴿أَرَى﴾: مكانكما ومكانه، واعلم أن ناصيته بيدي، فلا يتكلم ولا يتنفس، ولا يببش إلا بإذني، أنا حافظكما، ومؤيدكما، وناصركما.

﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مِنْ أَتْبَعِ الْهُدَى﴾ (٤٧)

﴿ف﴾: حرف يفيد التتابع السريع والسبب ﴿أْتِيَاهُ﴾: اذها إليه ﴿فَقُولَا﴾: ليكن قولكما له بدون تأخير ﴿إِنَّا﴾: بلغاه أن الله ﷻ أرسلكما إليه، نحن الاثنان بالتأكيد ﴿رَسُولَا رَبِّكَ﴾: ذهب الاثنان إلى قصر "فرعون" فلم يؤذن لهما بالدخول، ثم أذن لهما بعد حجابٍ شديد، فدخل عليه، وقالوا إنهما رسولا الله، مالك أمرك كله، سألهما فرعون من رُبُّكما؟ فأخبراه بما جاء في القرآن، سألهما ماذا تريدان فقالا: ﴿فَأَرْسِلْ﴾: اتركهم يغادروا ﴿مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾: خلِّ عن بني إسرائيل وأطلقهم من الأسر ولا تُكلفهم من الأعمال ما لا يطيقون، ﴿وَأَرْسِلْ﴾: عطفًا على ذلك ﴿لَا﴾: حرف نهي ﴿تُعَذِّبْهُمْ﴾: بقتل الذكور من أبنائهم عامًا بعد عام والإبقاء على الإناث للخدمة، رفض "فرعون" وطلب منهما الدليل فقالا ﴿قَدْ﴾: حرف جر دخل هنا على الفعل الماضي فأفاد التأكيد والتحقق ﴿جِئْنَاكَ﴾: معنا دليل ﴿بآيَةٍ﴾: حجة وبرهان ﴿مِنْ﴾: حرف

جرّ وبيان لتمييز النوع يفيد هنا ابتداء الغاية الكلية ﴿رَبِّكَ﴾: من مالك أمرك، وفي هذا ما يغضب الفرعون، قالوا معنا الأدلة والبراهين وهي العصا التي ألقاها أمامه؛ ففتحت فاهها واتجهت نحو "فرعون"؛ فخاف، وطلب من "موسى" أن يردّها ﴿وَو﴾: عطفًا على كلامنا ﴿السَّلَامُ﴾: من عذاب الله ﷺ ﴿عَلَى مَنْ﴾: الذي من جنس العاقل ﴿اتَّبَعَ الْهُدَى﴾: إذا اتبعت ومن معك هدى الله ﷺ، لقد كان هذا خطاب محمد ﷺ إلى ملك الروم: "سَلَامٌ عَلَيَّ مِنْ اتَّبَعَ الْهُدَى، أَمَّا بَعْدُ: فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدَعَايَةِ الْإِسْلَامِ، أَسْلِمِ تَسْلِمًا، وَأَسْلِمِ يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ" (١).

﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ (٤٨)

﴿إِنَّا﴾: نحن بالتأكيد الاثنان ﴿قَدْ﴾: حرف جزم دخل هنا على الفعل الماضي فأفاد التأكيد ﴿أُوحِيَ إِلَيْنَا﴾: وصلنا وحي الله ﷺ ﴿أَنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الإنكار والشك ﴿الْعَذَابَ﴾: والدمار والهلاك في الدنيا ﴿عَلَى﴾: حرف جر يفيد هنا المصاحبة أي سيصيب ﴿مَنْ﴾: الذي من البشر ﴿كَذَّبَ﴾: من كذب بقلبه بآيات الله ﷺ ﴿وَتَوَلَّى﴾: وأعرض عن طاعة الله ﷺ ودعوته وشريعته، والعذاب هو الخلود في النار جزاء التكذيب بآيات الله ورسله والإعراض عن قبولها وعدم الإيمان بها.

﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمْ يَا مُوسَى﴾ (٤٩)

﴿قَالَ﴾: فرعون مُنكَرًا وجود الخالق ﴿فَمَنْ﴾: حرف استفهامٍ عن جنس العاقل ﴿رَبُّكُمْ﴾: أضاف فرعون الربّ إلى موسى وهارون ولم يصفه لنفسه؛ لإنكاره بالربوبية لله ﷺ، بمعنى من الذي يملككم؟ من الذي أرسلكم؟ وما علمت لكم من إلهٍ غيري ﴿يَا مُوسَى﴾: خصّ موسى بالنداء لأنّه الأصل في الرسالة، ولم يقل ربي؛ لأنّه لا يصدق، ولا يؤمن بالله ﷺ.

﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ (٥٠)

﴿قَالَ﴾: "موسى" ﷺ ﴿رَبُّنَا﴾: مالك أمرنا كلّهُ، هو المنشئ لكل شيء في الكون الفسيح من حالٍ إلى حالٍ وهو المرابي إلى حدّ التمام ﴿الَّذِي﴾: اسمٌ موصولٌ للمفرد الواحد الأحد وهو الله ﷺ ﴿أَعْطَى﴾: وهب ﴿كُلَّ﴾: تفيد العموم هم خلق الله ﷺ كل ﴿شَيْءٍ﴾: جاءت بصيغة نكرة؛ لتؤكد عموم المخلوقات ﴿خَلْقَهُ﴾: صورته وهيبته وصفاته اللائقة، التي تُطابق المنفعة المنوطة به، وقال ابن عباس: خلق لكلّ شيءٍ زوجة، وقال أيضًا جعل الإنسان إنسانًا، والحمار حمارًا. الذي أعطى كلّ شيءٍ ما ينبغي له من النكاح، وهياً كلّ شيءٍ على ذلك

(١) صحيح البخاري ٤٥/٤ (٢٩٤١).

﴿ثُمَّ﴾: حرف يفيد التتابع الزمني مع التراخي والتباعد ﴿هَدَى﴾: جاء اللفظ القرآني "هدى" هنا بمعنى "الإلهام" لما يصلح له ليس شيء منها يشبه شيئاً من أفعاله، في الخلق، والرزق، وغيره.

التكليف: إنّ الذي يدرس علم وظائف الأعضاء في الإنسان يعلم أنّ خلق الله ﷻ عظيم الإبداع، فكلّ خلية في جسم الإنسان أو الحيوان أو النبات تعرف كيف تؤدي دورها على أكمل وجه، وتتشابه في ذلك عملية تكوين النطفة والعلقة والمضغة باختلاف الأشكال والأحجام.

### ﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى﴾ (٥١)

﴿قَالَ﴾: فرعون يسأل ﴿فَمَا﴾: حرف عطف، ما هو الخبر ﴿بَالُ﴾: حالٌ وشأنٌ ﴿الْقُرُونِ الْأُولَى﴾: يسأل عن الأمم الكافرة السابقة، الذين لم يعبدوا الله في القرون الأولى، الذين لم يُقرّوا بالربوبية التي تدعو إليها يا موسى؟ ماذا حدث لهم؟ كيف عاشوا؟ وكيف ماتوا؟

### ﴿قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى﴾ (٥٢)

﴿قَالَ﴾: موسى ﷺ ﴿عَلِمَهَا﴾: خبرها وأعمالها ومصيرها وكلّ ما عملوه ﴿عِنْدَ﴾: حرف يفيد ظرف مكان وظرف زمان، في مُلك وفي حفظ الله ﴿رَبِّي﴾: مالك أمري مسجّل ومثبتٌ عنده ﴿فِي كِتَابٍ﴾: في اللوح المحفوظ، كتاب الأعمال، ومضبوطٌ عليهم وكتب الأعمار؛ كي يجازيهم بها ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يَضِلُّ رَبِّي﴾: لا يغيّب عن علمه شيء، لا يشذُّ عنه شيء، لا يتيه ﴿و﴾: حرف عطف يفيد هنا الحال ﴿لَا يَنْسَى﴾: لا تقوته صغيرة ولا كبيرة، ولا ينسى شيئاً.

### ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى﴾ (٥٣)

﴿الَّذِي﴾: اسمٌ موصولٌ للفرد الواحد الأحد ﷻ ﴿جَعَلَ﴾: صيّر ﴿لَكُمْ﴾: تخصيصاً ﴿الْأَرْضَ مَهْدًا﴾: يستمر "موسى" في دحض استنكار "فرعون" وملئه؛ فيقول إنّ الله هو الذي جعل الأرض مهياة وممهدة تعيشون عليها بيسرٍ وسهولةٍ، فيها كلُّ ما تحتاجون إليه؛ للاستقرار عليها، جعلها ﷻ كالفرش الذي ينام عليه الطفل، تعيشون حياتكم نومًا، ويقظةً، وزراعةً، وسفرًا، فلا يصلح ذلك لكم إذا كانت كلها بحرًا، أو صخرًا ﴿و﴾: أيضًا هو ﴿سَلَكَ﴾: هياً ﴿لَكُمْ فِيهَا﴾: في الأرض ﴿سُبُلًا﴾: جعل ﷻ بين الجبال طرقًا؛ لعل الناس يهتدون ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ﴾: حرف يفيد بداية الغاية المكانية ﴿السَّمَاءِ مَاءً﴾: وهب للإنسان وللخلق على الأرض الماء العذب، الذي ينزل من السماء، النقي، للشرب، والزراعة، وغيرها ﴿ف﴾: يفيد السبب

﴿أَخْرَجْنَا بِهِ﴾: جعل الله ﷻ به التربة تأخذ ماءً واحدًا وتخرج به ﴿أَزْوَاجًا﴾: أنواعًا وأصنافًا  
﴿مِنْ﴾: حرف جرّ وبيان لتمييز النوع يفيد هنا ابتداء الغاية المكانية ﴿نَبَاتٍ﴾: زرع ﴿شَتَى﴾:  
متعددة الأنواع والأشكال من النباتات؛ الحلو، والحامض، والمر؛ لغاية بالغّة الأهمية.

﴿كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى﴾ (٥٤)

قال الله ﷻ للناس: ﴿كُلُوا﴾: هنا أمرٌ بالإباحة والسماح، الأكل من نبات طيبات الأرض  
﴿و﴾: أيضًا ﴿ارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ﴾: وأطعموا الأنعام البقر والمعز والجمال وغيرها من نبات  
الأرض، وكل ذلك لصالح الإنسان، الذي يأكل النبات والحيوان، ويستخدمه ركوبًا أيضًا  
﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿فِي ذَلِكَ﴾: إشارة للبعيد ﴿لآيَاتٍ﴾: هذا ما ذكرناه  
من النعم دلالاتٌ وحججٌ وبراهين ﴿لِأُولِي﴾: حرف اللام للتخصيص، أصحاب ﴿النُّهَى﴾:  
ينتفع بها أصحاب العقول السليمة المستقيمة؛ وهنا تعريضٌ من موسى ﷺ بفرعون الذي لم  
يستوعب، ولم يرغب أن يفهم.

﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ (٥٥)

﴿مِنْهَا﴾: يقول الله ﷻ من تراب الأرض ﴿خَلَقْنَاكُمْ﴾: كانت بداية الإنسان؛ وكانت بدايتك يا  
"فرعون" من الأرض؛ ف"آدم" أبوكم من تراب الأرض ﴿و﴾: أيضًا ﴿فِيهَا﴾: في الأرض  
﴿نُعِيدُكُمْ﴾: ثم تموتون؛ فنُدفنون، وتذوبون، وتتحلل أجسادكم في الأرض ﴿وَمِنْهَا﴾: من قبور  
الأرض ﴿نُخْرِجُكُمْ﴾: يوم القيامة ﴿تَارَةً﴾: نبعثكم منها مرةً ﴿أُخْرَى﴾: مرةً ثانية يوم القيامة.  
التكليف: إنَّ حُجة موسى ﷻ لفرعون اعتمدت على "ثلاث" مراحل في قضية الأرض:  
"الأولى": خلق الله ﷻ "آدم": فقد سلّم "فرعون" ولم يقل فيها كلامًا، و"الثانية": الموت والتحلل  
في الأرض ولم يُنكر ذلك فرعون، والثالثة: والبعث يوم القيامة، وهذا ما رفضه فرعون، كان  
الأولى بفرعون كلَّ زمانٍ، والملحدين، والمشرّكين، والشيوعيين؛ أن يدركوا أنّهم إذا سلّموا  
بالأولى والثانية؛ فعليهم أن يسلموا بالثالثة، البعث والنشور؛ الذي يستلزم الخوف، لكن المرض  
هو التّكذيب والرفض.

﴿وَلَقَدْ آرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى﴾ (٥٦)

﴿وَلَقَدْ﴾: حرفٌ يُفيد التحقق ﴿آرَيْنَاهُ﴾: جعلناه يُشاهد ﴿آيَاتِنَا﴾: عرض الله ﷻ بواسطة  
موسى ﷻ، على فرعون كلَّ الأدلّة والآيات والحجج، الآيات التسع المذكورة، وقيل هي حجج  
الله ﷻ الدالّة على توحّيده؛ وجعله يشاهدها ببصره ﴿كُلَّهَا﴾: كلَّ ما يلزم الإنسان حتى يؤمن  
﴿ف﴾: فكان بسبب كفره وبسرعة ﴿كَذَّبَ﴾: برغم كلَّ ما شاهده؛ إلا أنه أنكرها ولم يُصدّق

﴿و﴾: حرفٌ عطفٍ يفيد هنا الحال، عطفاً على تكذيبه ﴿أبَى﴾: امتنع عن قبولها، ورفضها كفرةً، وعناداً، وعلواً.

﴿قَالَ أَجِئْنَا لِنُخْرِجَنَّ مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى﴾ (٥٧)

﴿قَالَ﴾: فرعون ﴿أ﴾: حرفٌ استفهامٍ بغرض الإنكار ﴿جِئْنَا﴾: حضرت إلينا بعد هذا الغياب ﴿ل﴾: حرفٌ يفيد العلة والسبب ﴿نُخْرِجَنَّ﴾: تطردنا من بلادنا وتستولي عليها ﴿مِنْ﴾: حرفٌ جرٌّ وبيانٍ لتمييز النوع يفيد هنا ابتداء الغاية المكانية ﴿أَرْضِنَا﴾: ذكر فرعون أرضنا لينقِر قومه من الاستجابة لموسى؛ وليؤكد خوفه من خروج القوم من ديارهم وأوطانهم، وهو ما لا يريده الناس. كان ظنُّ "فرعون" أنّ هدف موسى أرضي، أنّ يُخرج فرعون من ملكه، وأنّ يجمع الناس حوله ﴿بِسِحْرِكَ يَا﴾: هنا حرفٌ نداءٍ للقريب ﴿مُوسَى﴾: قال فرعون لموسى، عالية السلام، وهو في حالة خوفٍ شديد إنّ ما معك هو السحر وليس آيات. ومن من السحرة استطاع أن يُخرج سلطاناً من ملكه؟ وسوف نعالج ذلك:

﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى﴾ (٥٨)

﴿ف﴾: بسبب سحرك سوف ﴿ل﴾: حرف علةٍ وسببٍ ﴿نَأْتِيَنَّكَ﴾: بصيغة الجمع والتأكيد ﴿بِسِحْرٍ مِثْلِهِ﴾: سوف نعارضك يا موسى بسحرٍ مثل ما جئت به، كان موقف "فرعون": إنّ عندنا مثل سحرك، وسنثبت لك ذلك في مواجهةٍ بين سحرنا وسحرك ﴿فَاجْعَلْ﴾: لنضرب ونحدد ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا﴾: فوّض فرعون موسى ﷺ بتحديد الموعد ليظهر كمال قدرته على الإتيان بسحرته، صار الاتفاق على يومٍ نجتمع نحن وأنت فيه ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿نُخْلِفُهُ﴾: نغيّره ﴿نَحْنُ وَلَا أَنْتَ﴾: لا يغيّب عنه نحن ولا تغيب أنت ﴿مَكَانًا سُوًى﴾: مكاناً وسطاً بين الفريقين، ومستوٍ وظاهرٍ ليظهر فيه الحق، ويتسع للجمهور الكبير، الذي سنجمعه في صعيدٍ واحدٍ، قال "مجاهد وقتادة": وقال "السدي": عدلاً، وقيل: مستوٍ، مُسطّح.

﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى﴾ (٥٩)

﴿قَالَ﴾: موسى ﷺ: إنّ ﴿مَوْعِدُكُمْ﴾: يوم المواجهة بيني وبينكم هو ﴿يَوْمَ الزَّيْنَةِ﴾: كان يوم عيد يتزينون فيه، قال "سعيد بن جبیر عن ابن عباس": هو يوم "عاشوراء"؛ يوم عيد المصريين، فلا أحد يغيّب عنه أحد. كان قصد موسى ﷺ، أن يكون الناس متفرغين من أعمالهم؛ فيجتمعون كلهم؛ فتظهر دعوة الحق لأكبر عددٍ منهم ﴿و﴾: حرفٌ عطفٍ يفيد هنا الحال ﴿أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿يُحْشَرَ النَّاسُ﴾: يُجمع الناس بأعداد كبيرة ﴿ضُحًى﴾: جاء اللفظ القرآني "ضحى" على ثلاثة أوجه؛ هنا بمعنى أول النهار، في وضح النهار؛ حتى يرى



الجميع كل شيء، وينتشر الخبر في النهار في الجميع وهذا منهج الأنبياء، كل شيء بين لا خفاء فيه، في وضوح النهار، بوجود الجميع، ويوم عيدهم، على مكان مستو يرى فيه الجميع بعضهم.

﴿فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى﴾ (٦٠)

﴿فَتَوَلَّى﴾: بسرعة أدار ﴿فِرْعَوْنُ﴾: ظهره، وانصرف، وشرع وبدأ في الخطوة الأولى ﴿ف﴾: لهذا السبب وبسرعة ﴿جَمَعَ كَيْدَهُ﴾: جمع السحرة أدوات الكيد من مدائن مملكته، كل من يعمل في السحر في ذلك الزمان، وكان السحر رائجًا ومنتشرًا، وهذا ما يُفسر اختيار الله ﷻ لموسى عصا؛ لتبطل أقوى شيء عند أعدائه جاء في المعنى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ﴾ [الأعراف-١١٢] ﴿ثُمَّ﴾: حرفٌ يُفيد التتابع الزمني، على التراخي وبسبب المواجهة هنا ﴿أَتَى﴾: اجتمع الناس في اليوم المعلوم، يوم الزينة، المشهد في اليوم المعلوم، جلس "فرعون" على كرسي الملك، واصطف أكابر مملكته، ووقف الناس على اليمين والشمال، أقبل "موسى"، ومعه أخوه "هارون"، ووقف السحرة صفوفًا، وفرعون يُحرضهم، ويرغبهم، ويحثهم على جودة العمل، وهم يطلبون منه الأجر إن غلبوا، وهو يعدهم أن يكونوا من المقربين.

﴿قَالَ لَهُمْ مُوسَىٰ وَإِنَّكُمْ لَا تَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتْكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ﴾

(٦١)

﴿قَالَ لَهُمْ﴾: لفرعون وسحرته ﴿مُوسَى﴾: كانت البداية عند "موسى" ﷺ، هي سلاح التخويف ﴿وَإِنَّكُمْ﴾: هذا دعاءٌ عليكم بالهلاك، احذروا، إياكم والكذب على الله ﷻ، الويل لكم والعذاب من الله ﷻ ﴿لَا﴾: ناهية ﴿تَفْتَرُونَ﴾: حرامٌ عليكم أن تختلقوا ﴿عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾: الكذب لا تخذعوا الناس، ولا تبيعوا لهم الأوهام، لا تقولوا إن أشياء مخلوقة، وهي ليست مخلوقة؛ فنقولوا على الله كذبًا؛ فيصيبكم غضبه، فقد سأل السحرة فرعون: ما سحر "موسى"، قال: الحيات؛ فقالوا نحن أهل سحر الحيات؛ فسوف نهزمه، وأكمل موسى قوله ﴿ف﴾: لهذا السبب ﴿يُسْحِتْكُمْ﴾: يُزيلكم ويستأصلكم ﴿بِعَذَابٍ﴾: بعقوبة لا تُبقي منكم أحدًا ﴿وَقَدْ﴾: حرفٌ يُفيد التحقق في الماضي ﴿خَابَ﴾: وتكون عاقبتكم الخيبة والخسران لكل ﴿مَن﴾: الذي من البشر ﴿افْتَرَى﴾: تكبر وتجبّر، واختلق الكذب.

﴿فَتَنَزَّعُوا أَمْرَهُمُ بَيْنَهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَى﴾ (٦٢)

﴿ف﴾: بسرعة وبسبب ذلك ﴿تَنَازَعُوا﴾: اختلف السحرة وترددوا في ﴿أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ﴾: جاء اللفظ القرآني "الأمر" هنا بمعنى "القول" وجاءت بنفس المعنى في قوله ﷺ ﴿وَكَذَلِكَ أَغْتَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيُغْلَبُوا أَنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا﴾ [الكهف-٢١] لأنهم يعرفون أن ما عندهم هو السحر، خاف بعضهم، وأصر بعضهم؛ فبين قائل إن كلام موسى ليس بكلام ساحر، بل هو كلام نبي، ومن ينتظر الغنيمة؛ الذي قال بل قول ساحر ﴿و﴾: حرف عطف يفيد هنا الحال ﴿أَسْرُوا﴾: أخفوا حديثهم عن الناس، تحدثوا بين بعضهم سرا ﴿النَّجْوَى﴾: هي هنا حديث المنافقين، تتاجوا بين بعض، بدأت الأحاديث بينهم، بين خائف وبين مُندفع، وبين من يعرف أنهم على باطل، وبين طامع في العطايا. التكليف: كانت كلمات موسى ﷺ، الصادقة، والتخويف من الله ﷻ، وجراته وشجاعته، وقوة حجته؛ سببا في شق صف "الفراعة"، وهي عبرة لمن بعده.

﴿قَالُوا إِنَّ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُتْلَىٰ﴾ (٦٣)

﴿قَالُوا﴾: وبعد المناجاة اتفقوا على أن يقولوا له متهمين موسى وهارون، عليهما السلام، بأتهما ساحران. كان الطامعون في الغنائم يحتجون؛ فقالوا "هذه لغة العرب" ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد الخبر ﴿هَٰذَانِ﴾: اسم موصول بالمتى الذكور، وهما موسى وهارون، عليهما السلام، ﴿لَسَاحِرَانِ﴾: وقد قرأ أبو عمرو البصري "إن هذين لساحران"، يقصدون "موسى، وهارون" ساحران، عالمان، خبيران بصناعة السحر ﴿يُرِيدَانِ أَنْ﴾: حرف تصوّر ﴿يُخْرِجَاكُم مِّنْ﴾: يفيد بداية الغاية المكانية ﴿أَرْضِكُمْ﴾: من مصر بلد الماء الوفير، والرزق الكبير ﴿ب﴾: حرف باء السببية ﴿بِسِحْرِهِمَا﴾: بواسطة سحرهما أن يهزماكم، وسيطرًا على الناس، فيتبعهم العامة، ويقَاتِلَا "فرعون" وجنوده؛ فينتصرا عليه، ويخرجاكم من أرضكم ﴿و﴾: عطفًا على هذا ﴿يَذْهَبَا﴾: يقضيا ويُزِيلَا ويُغَيَا ﴿ب﴾: حرف باء الظرفية ﴿طَرِيقَتِكُمْ﴾: شريعتكم ومنهج حياتكم وسننكم ﴿الْمُتْلَى﴾: الفضلى الراقية، وسيطرًا على طريقة السحر خاصتهم، ويُصْبِحَا هما الرئاسة من دونكم، وقيل يصرفا وجوه الناس إليهما، يذهبا بأصحاب الشرف والعقل.

﴿فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ آتُوا صَفًا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ اسْتَعْلَىٰ﴾ (٦٤)

﴿ف﴾: ولهذا السبب وبسرعة ﴿أَجْمِعُوا﴾: وحدوا وأحكموا واعزموا ﴿كَيْدِكُمْ﴾: طالبهم "فرعون" أن يستعدوا بكل قوتهم، ويأتوا بكل حيلهم، وسحرهم، وأفرادهم، لتكون الضربة قاسمة ﴿ثُمَّ﴾:

تتابعوا، وخذوا وقتكم ﴿أَثُوا صَفًا﴾: لقد طالبهم زعمائهم أن يستخدموا أقصى ما عندهم لتكون المواجهة شاملة، ضد "موسى، وهارون" عليهما السلام، وهما بمفردهما في مواجهة سحرة "فرعون" جميعًا ﴿وَقَدْ﴾: حرف يفيد التحقق سابقًا ﴿أَفْلَح﴾: وسيكون النجاح والفلاح والفوز بالمطلوب ﴿الْيَوْمَ مَن﴾: الذي من جنس العاقل ﴿اسْتَعْلَى﴾: من غلب وطلب العلاء للفائز؛ فهذان الرجلان يريدان الملك، وأمّا نحن فنريد عطايا "الفرعون"، الذي نريد أن يبقى الزعيم الرئيس العظيم، ويبدو أنّ هذا كلام السحرة بعضهم لبعض، وقد يكون كلام فرعون للناس والله ﷻ أعلم.

﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوْلَ مَنْ أَلْقَى﴾ (٦٥)

﴿قَالُوا﴾: سحره "فرعون" عرضوا بطريقة التخيير ﴿إِمَّا﴾: حرف ربط بين موقعين ﴿أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿تُلْقِي﴾: تلقي أنت يا موسى أولاً، نخيّرُك أن تضع أمام الناس أداة السحر التي معك أولاً ﴿و﴾: حرف يفيد هنا التخيير ﴿إِمَّا أَنْ﴾: نحقق هذا الفعل ﴿نَكُونَ أَوْلَ مَنْ﴾: الذين ﴿أَلْقَى﴾: أو نلقي نحن أولاً ما معنا من السحر. التكليف: إنّ خطاب ملاً فرعون يعكس حالة من الثقة، يبثونها في الناس، ويتباهون بها أمامه طمعاً في الجزاء.

﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى﴾ (٦٦)

﴿قَالَ﴾: لهم موسى ﷺ، واثقاً من نصر ربّه ﷻ له، في خطبة ناجحة ﴿بَلْ﴾: حرف ينفي ما قبله؛ ويؤكد ما بعده ﴿أَلْقُوا﴾: قال "موسى" لهم ألقوا أنتم أولاً؛ ليحدث الأثر، سوف يرى الناس في أول المواجهة شيئاً عظيماً، ثم يُهزمون بعد ذلك لتكون معجزته أظهرَ إذا ألقوا هم ما معهم، حتى إذا ما ألقى عصاه ابتلعت ما ألقوه من قبل ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يُستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط ما بعدها بما قبلها ﴿حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ﴾: المصنوعة من الخشب ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ﴾: تخيلها "موسى" ﷺ ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ وبيان لتمييز النوع وتمييزه، وتفيد هنا ﴿سِحْرِهِمْ﴾: من شدة السحر ﴿أَنَّهَا﴾: حرف يفيد التأكيد وينفي الشك والإنكار، ثعابين ﴿تَسْعَى﴾: تتحرك بسرعة؛ ألقى السحرة الحبال والعصي، وقد يكون أنهم قد دسّوا بعض المعدن الثقيل في أنابيب رفيعة وسط الحبال؛ وبذلك تحركت الحبال أمام الجميع؛ فبدت كأنها ثعابين تتحرك، وتسعى.

﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى﴾ (٦٧)

﴿ف﴾: بسبب ذلك وعلى الفور ﴿أَوْجَسَ﴾: خاف في نفسه وأسر موسى تخوفه وأضر ﴿فِي نَفْسِهِ﴾: لا شك أنّ موسى ﷺ، كان مطمئناً، ولكنّ المشهد كان عظيماً ﴿خِيفَةً مُوسَى﴾: خاف "موسى" على الناس أن يُفتنوا بهذا الحجم الكبير من السحر، ويغترّوا بالسحرة قبل أن يُلقي عصاه، ولقد كانت امرأة "فرعون" من الحاضرين، ظاهرة؛ تدعو لموسى بالنصر على فرعون، كان من شاهدها ظنّ أنّها تدعو لفرعون وأشياعه، وكان فرعون سعيداً بذلك.

﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾ (٦٨)

﴿قُلْنَا﴾: جاءت بصيغة الجمع لتعظيم القول ﴿لَا﴾: حرف نهي وتحريم ﴿تَخَفْ﴾: هنا نهي عن الخوف من فرعون وأعدائه؛ لأنّ لهما الغلبة على الناس، جاء الوحي من الله ﷻ إلى موسى ﷺ، لا تخف على نفسك ولا على الناس ﴿إِنَّكَ﴾: جاء التكرار للضمير بكل تأكيد ﴿أَنْتَ﴾: تحديداً ﴿الْأَعْلَى﴾: عليهم بالتفضيل وليس بالقوة الماديّة؛ إنّ الله ﷻ معك، سينصرك، ويرفع شأنك عليهم؛ ثم جاء الأمر الربّاني سريعاً:

﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سَاجِرٌ وَلَا يُفْلِحُ السَّاجِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ (٦٩)

﴿و﴾: عطفاً على ما سبق أمر الله ﷻ "موسى" ﷺ أن ﴿أَلْقِ﴾: أرم ﴿مَا﴾: الذي من جنس غير العاقل وهي هنا العصا ﴿فِي يَمِينِكَ﴾: أسرع في رمي العصا التي في يدك اليمنى على الأرض، فسوف يكون عملها ﴿تَلْقَفْ﴾: تتناول الشيء بالدقة والحدق بالفم أو باليد تبتلع وتلتقم بسرعة ﴿مَا﴾: كلّ الذي ﴿صَنَعُوا﴾: الذي صنعه من الحبال والعصي؛ فصارت العصا ثعباناً عظيماً، فاغراً فاه؛ فصار يختلط بالحبال حتى سارت لتدخل فم الثعبان، فلم يبق حبلٌ ولا عصا إلاّ ابتلعه عصا موسى ﴿إِنَّمَا﴾: حرفٌ يُفيد التحديد والتخصيص ﴿صَنَعُوا كَيْدٌ﴾: تأمرٌ ومكيدهٌ ﴿سَاجِرٍ﴾: هذا فعل سحرٍ وليس حقائق ﴿و﴾: حرفٌ عطفيّ يفيد هنا الحال ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يُفْلِحُ﴾: لا ينجح ولا يفوز ﴿السَّاجِرُ حَيْثُ﴾: ظرفٌ يُفيد في كلّ زمانٍ وكلّ مكانٍ ﴿أَتَى﴾: لن ينجح الساحر في أي مكانٍ وأي زمانٍ كان فيه.

﴿فَأَلْقَى السَّحْرَةَ سَجْدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾ (٧٠)

﴿ف﴾: حرفٌ يُفيد هنا السبب والتتابع السريع ﴿أَلْقَى﴾: قاموا على الفور ﴿السَّحْرَةَ سَجْدًا﴾: سجد أشياء فرعون من السحرة، انهزمت أداة "فرعون" العظيمة، سجدوا لله ﷻ، ﴿قَالُوا﴾: هم السحرة ﴿آمَنَّا﴾: نعتقد بيقين وصدق ﴿ب﴾: حرف باء الصلة ﴿رَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾ عليهما السلام، وكلّ الخلق.

التكليف: لما رأى السحرة هذا الحدث العظيم، قالوا ليس هذا بسحر، لو كان سحرًا لهزمه سحرنا، إنما هذا أمر الله؛ فأعلنوا إيمانهم بما جاء به موسى، ودعوا أن يقبل الله ﷻ توبتهم، جاء في المعنى: ﴿فَعَلُّوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ﴾ [الأعراف-١١٩].

﴿قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آدَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَأَصْلَبَنَّاكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمَنَّ آيُنَا أَشَدَّ عَذَابًا وَأَبْقَى﴾ (٧١)

﴿قَالَ﴾: فرعون غاضبًا منهزمًا ومستنكرًا وموبخًا ﴿آمَنْتُمْ﴾: حرف الألف للاستفهام بغرض الاستنكار والتوبيخ، بمعنى كيف؟ هل صدقتم؟ هل أيقنتم تمامًا؟ ﴿لَهُ﴾: لما قال؟ واتبعت دينه؟ وقد رأى أنصاره يؤمنون بعدوه، وينفضون عنه، وكلّ طاغية لجأ إلى التهديد هل آمنتم به ﴿قَبْلَ أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿آدَنَ﴾: أسمح ﴿لَكُمْ﴾: وكان الإيمان يحتاج إلى إذن من الكافر، ولكنها غطرسة الكفار؛ لسان حالهم يقول أصدقتموه قبل أن أسمح لكم ﴿إِنَّهُ﴾: بالتأكيد، أي "موسى" ﴿لَ﴾: حرف تخصيص ﴿كَبِيرُكُمْ﴾: إن "موسى" هو كبير الرأي، صاحب الرؤية والفكر عندكم، وما فعلتم كان مؤامرة ضدي، إنه هو ﴿الَّذِي﴾: اسم موصول للفرد المذكور ﴿عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ﴾: وهذا الكذب البواح، والاتهام الكاذب؛ نمط من سلوك المجرمين، والكلّ يشهد بعكس ذلك، إن "موسى" ليس كبير السحرة، ولو كان ما وقفوا ضده في البداية؛ ولا هم أخذوا عنه السحر، وقد جاء في المعنى ﴿إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرَتُهُمْ فِي الْمَدِينَةِ﴾ [الأعراف-١٢٣]، ولذلك فإنّ عقابكم ﴿فَ﴾: حرف استثنائي بهدف ترتيب الأمر ويفيد السرعة في التنفيذ ﴿لَ﴾: حرف علة وسبب ﴿أَقْطَعَنَّ﴾: أقطع بصيغة التأكيد ﴿أَيْدِيَكُمْ وَ﴾: أيضًا أقطع ﴿أَرْجُلَكُمْ مِنْ﴾: حرف يفيد بداية الغاية المكانية ﴿خِلَافٍ﴾: ساقط من كلّ واحدٍ منكم ذراعه اليمنى وساقه اليسرى، أو ذراعه اليسرى وساقه اليمنى؛ وهذا سيثقل قدرته على العيش بصورة سهلة ﴿وَ﴾: أيضًا أضيف إلى عذابكم ﴿أَصْلَبَنَّاكُمْ﴾: أعلق أجسادكم ﴿فِي﴾: جاء اللفظ القرآني "في" بمعنى "على" صلبان النخيل؛ وللحرف دلالة عجيبة تشير إلى وقوع العذاب على موسى عليه والسلام، وعلى المؤمنين بسبب أدوات التعذيب التي كان المجرمون يغرسونها في أجساد المؤمنين ﴿جُدُوعِ النَّخْلِ﴾: حتى تموتوا؛ لتكونوا عبرة لغيركم؛ فتصبحون كالنخيل بلا أذرع ﴿وَ﴾: عطفًا على عذابي لكم ﴿لَ﴾: حرف يفيد السبب ﴿تَعْلَمَنَّ﴾: تُدركون وتتيقنون بكلّ تأكيد ﴿آيُنَا﴾: أيّ منا أنا أم "موسى وهارون" ﴿أَشَدُّ عَذَابًا﴾: ستعرفون منّ عذابه أشدّ ﴿وَأَبْقَى﴾: وأيضًا أكثر دوامًا واستمرارًا.

التكليف: هذه الآية الكريمة توضح خصال المجرمين المتكبرين عندما يُهزمون: يهددون بالقتل، والعنف، وينفذونه، والحديث عن فكر المؤامرة قالوا "هذا مكرٌ مكرهُ موسى مع السحرة، الكذب في كلِّ صغيرةٍ وكبيرةٍ، والأمثلة في كلِّ عصرٍ قديمٍ وحديثٍ شاهدة.

﴿قَالُوا لَنْ نُؤْتِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ (٧٢)

﴿قَالُوا﴾: هم الذين آمنوا من السحرة لموسى وهارون، عليهما السلام في تحدٍ كبيرٍ ومفاجئٍ لفرعون ﴿لَنْ﴾: حرفٌ جزمٍ ينفي أن ﴿نُؤْتِرَكَ عَلَىٰ﴾: لن نفضلك أو نختارك على ما حصلنا عليه من الهدى، والتصديق بما جاء به "موسى" ﷺ ﴿مَا﴾: الذي ﴿جَاءَنَا﴾: علمنا يقيناً ﴿مِنَ الْبَيِّنَاتِ﴾: الحقائق الواضحة ﴿و﴾: أيضاً نقسم أننا لن نُفضلك على الله ﷻ ﴿الَّذِي﴾: اسمٌ موصولٌ بالفرد، الواحد، الأحد، الفرد، الصمد، ﷻ ﴿فَطَرَنَا﴾: الذي خلقنا من العدم، والذي أوضح لنا رسوله موسى ﷺ، البيّنات والبراهين الدالّة ﴿ف﴾: لهذا السبب ﴿اقْضِ﴾: افعل ﴿مَا أَنْتَ قَاضٍ﴾: افعل ما أنت فاعلٌ، وهذا تفويضٌ وتسليمٌ؛ لأنّ أمرنا عند الله ﷻ، جاء اللفظ القرآني "قضى" على "عشرة" أوجه؛ هنا بمعنى "فعل" افعل ما تريد، وما تستطيع ﴿إِنَّمَا﴾: حرفٌ يُفيد التحديد والتخصيص ﴿تَقْضِي﴾: تفعل في ﴿هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾: إنّ لك يا فرعون قدرة أن تفعل ما تشاء في هذه الحياة الدنيا الفانية، وقد فضلنا عليها الآخرة، وأضافوا قائلين:

﴿إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ (٧٣)

﴿إِنَّا﴾: إنّنا نحن بالتأكيد ﴿آمَنَّا﴾: صدّقنا ﴿بِرَبِّنَا﴾: بالله ﷻ، مالك أمرنا كلّهُ ﴿ل﴾: حرف علةٍ وسببٍ ﴿يَغْفِرُ﴾: على أمل أن يمحو ويسامح ﴿لَنَا خَطَايَانَا﴾: نريد أن نجني ثمار إيماننا مغفرةً من الله ﷻ على جرائمنا وأثامنا السابقة ﴿و﴾: أيضاً يغفر لنا ﴿مَا﴾: على الذي ﴿أَكْرَهْتَنَا﴾: أجبرتنا ﴿عَلَيْهِ﴾: رغماً عنا ﴿مِنَ﴾: بعض ﴿السِّحْرِ﴾: وما أجبرتنا عليه من معارضة "موسى" بالسحر الذي انهزم أمام معجزات النبي ﷺ، ﴿و﴾: حرفٌ عطفيّ يفيد هنا الحال ﴿اللَّهُ خَيْرٌ﴾: هو الذي ينفع ﴿وَأَبْقَى﴾: ثواب الله ﷻ خير وأدوم لنا منك، ومن عطاياك.

﴿إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾ (٧٤)

﴿إِنَّهُ﴾: بالتأكيد إنّ النتيجة ﴿مَنْ﴾: الذي من جنس العاقل ﴿يَأْتِ رَبَّهُ﴾: يموت ويُبعث يوم القيامة يقف أمام مالك أمره كلّهُ ﴿مُجْرِمًا﴾: هنا انتقل السحرة إلى مربع الناصح الأمين

لفرعون، وهذا هزيمة كبيرة له؛ قالوا إن من يموت، ويُبعث يوم القيامة مُجرماً في حق نفسه كافراً بحق الله ﷻ: ﴿فَإِنَّ﴾: حرف تأكيد ﴿لَهُ﴾: فمصيروه تخصيصاً ﴿جَهَنَّمَ لَا﴾: حرف نفي ﴿يَمُوتُ فِيهَا﴾: فيستريح ﴿و﴾: حرف عطف يفيد هنا الحال ﴿لَا يَحْيَى﴾: يحيا فيها حياة يتلذذ فيها. عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا، فَإِنَّهُمْ لَا يَمُوتُونَ فِيهَا وَلَا يَحْيُونَ، وَلَكِنْ نَاسٌ أَصَابَتْهُمْ النَّارُ بِذُنُوبِهِمْ - أَوْ قَالَ بِخَطَايَاهُمْ - فَأَمَاتَهُمْ إِمَاتَةً حَتَّى إِذَا كَانُوا فَحَمًا، أُذِنَ بِالشَّقَاعَةِ، فَجِيءَ بِهِمْ صَبَائِرَ صَبَائِرَ، فَبُتُوا عَلَى أَنْهَارِ الْجَنَّةِ، ثُمَّ قِيلَ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، أَفِيضُوا عَلَيهِمْ، فَيُنْبُثُونَ نَبَاتَ الْحَبَّةِ تَكُونُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ" (١)، هذا مصير أهل النار، أما مصير أهل الجنة كما رآها السحرة في الآية التالية:

﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى﴾ (٧٥)

﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿مَنْ﴾: والذي ﴿يَأْتِيهِ﴾: من يلق ربه يوم القيامة ﴿مُؤْمِنًا﴾: بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقضاء والقدر مطمئن الصدر ﴿قَدْ﴾: حرف جر دخل هنا على الفعل الماضي فأفاد التأكيد ﴿عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَ﴾: حرف يفيد السبب ﴿أُولَئِكَ﴾: اسم إشارة للقريب والبعيد ﴿لَهُمْ﴾: تخصيصاً هم أصحاب ﴿الدَّرَجَاتِ﴾: المنازل ﴿الْعُلَى﴾: العالية في الجنة، والغرف الآمنة، والمسكن الطيبة، البعيدة عن الدرجات الأخرى. عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الصَّامِتِ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "فِي الْجَنَّةِ مِائَةٌ دَرَجَةٍ مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَالْفِرْدَوْسُ أَعْلَاهَا دَرَجَةٌ وَمِنْهَا تُفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ الْأَرْبَعَةُ، وَمِنْ فَوْقِهَا يَكُونُ الْعَرْشُ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَسَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ" (٢).

﴿جَنَّاتٍ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى﴾ (٧٦)

﴿جَنَّاتٍ﴾: وليست جنة واحدة ﴿عَدْنٍ﴾: جنات إقامة وهي بدل الدرجات العلى ﴿تَجْرِي مِنْ﴾: حرف يفيد بداية الغاية المكانية ﴿تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾: المياه العذبة ﴿خَالِدِينَ﴾: ماكنين ﴿فِيهَا﴾: أبداً بلا انقطاع ﴿و﴾: حرف يفيد هنا الاستئناف ﴿ذَلِكَ﴾: إشارة للبعيد ﴿جَزَاءُ﴾: ثواب وجائزة ﴿مَنْ﴾: الذي من جنس العاقل وهو الإنسان ﴿تَزَكَّى﴾: ثواب الذين تطهروا نفوسهم من الدنس، والخبث، والشرك، وعبدوا الله وحده، واتبعوا رسله عليهم السلام.

﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى﴾ (٧٧)

(١) صحيح مسلم ١/١٧٢ (١٨٥).

(٢) صحيح البخاري ٤/١٦٢ (٣٤٢٤).

﴿وَلَقَدْ﴾: حرف يُفيد التحقق في الماضي ﴿أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ﴾: أمرنا "موسى" ﷺ وحيًا ﴿أَنَّ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿أَسْرَ﴾: انطلق ليلاً ﴿بِعِبَادِي﴾: خذ الذين آمنوا بك من المصريين و"بني إسرائيل" ليلاً ﴿ف﴾: حرف يُفيد السبب والتتابع السريع، في حالة هروبٍ، حتى لا يشعر بهم أحد ﴿اضْرِبْ﴾: فاجعل ﴿لَهُمْ﴾: تخصيصًا ﴿طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ﴾: فاقطع لهم في البحر "الأحمر" حيث كان "فرعون" يسكن جنوب "مصر" وليس أمامه في الشرق سوى البحر الأحمر، والله ﷻ أعلم، أما إذا كانوا يسكنون في شمال "مصر" غرب نهر النيل فسيعبرون النهر والله أعلم، هو طريق ﴿يَبْسًا﴾: ليس فيه ماءٌ ولا طينٌ ﴿لَا﴾: حرف نهي ﴿تَخَافُ﴾: **دَرْكًا**: لَنْ يلحق بك "فرعون" ويدركونك وجنودك ﴿و﴾: حرف عطفٍ يفيد هنا الحال ﴿لَا﴾: هنا نهي ﴿تَخْشَى﴾: لا تخاف من فرعون ولا تخف من البحر، فقد حفظكم الله ﷻ مِنْ أَنْ تغرقوا في الماء من أمامكم، ولا تقعوا في يد فرعون، ولقد طلب موسى ﷺ، من فرعون أَنْ يسمح له ومن آمن معه أَنْ يغادروا مصر، فلجأ فرعون إلى التسوية في السماح لبني إسرائيل الخروج من مصر إلى مدين، فكان يحدد له فترة، ثم ينقض وعده. ثم لجأ "فرعون" إلى حيلة جديدة؛ فسأل "موسى" ﷺ، هل يستطيع ربك أَنْ يصنع غير الذي صنع يوم "الزينة"؟ فأرسل الله ﷻ على قوم "فرعون": ﴿الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ﴾ [الأعراف-١٣٣]، فلما كفَّ الله ﷻ ذلك عن قوم "فرعون" نقض عهده؛ فجاء أمر الله ﷻ أَنْ يخرج "موسى" ومن آمن معه ليلاً.

التكليف: كان رفض "فرعون" خروج "موسى" ومن معه؛ لأنَّه يعلم أنَّ "موسى" ﷺ؛ بما يحمل من مبادئ سامية؛ سوف يكون له شأنٌ دوليٌّ كبيرٌ، وأنَّه قد يعود ليحكم مصر وغيرها بجيش أكبر، كما كان فرعون في حاجةٍ لرجال المال والأعمال من بني إسرائيل، هكذا الطغاة يعلمون أنَّ هجرة المؤمنين من بلادهم سنَّة، ولنا في هجرة محمد ﷺ خير مثال.

﴿فَأَتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ اللَّيْلِ مَا عَشَيْتُهُمْ﴾ (٧٨)

﴿ف﴾: حرف استثنائي بهدف ترتيب الأمر ويفيد السرعة في التنفيذ ﴿أَتَّبَعَهُمْ﴾: سار خلفهم ليلحق بهم ﴿فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ﴾: أخذ فرعون وجنوده يبحثون ويسيروا خلف "موسى" ومن تبعه فأدرك "موسى" ﷺ ومن معه ساعة عبورهم البحر، حتى إذا عبر المؤمنون إلى الساحل الشرقي، نزل فرعون وجنوده البحر الفارغ من الماء، فنزلوا في قاعه، فأمر الله ﷻ البحر أن يغرقهم ﴿فَغَشِيَهُمْ﴾: فاجأهم وعلا فوقهم، وأطبق عليهم فغمرهم ﴿مِنْ﴾: حرف يُفيد بداية



الغاية المكانية **﴿النِّمَّ﴾**: من البحر **﴿مَا﴾**: الذي **﴿عَشِيَهُمْ﴾**: جاء تكرر غشيمهم للتعظيم والتهويل اللفظي وهو ما غمرهم بالكآبة.

التكليف: كان موسى ﷺ، قائد المؤمنين، وإمامهم في كل لحظة وكان فرعون قائد الكافرين، وكان موسى يتقوى بالله ﷻ؛ فانتصر وكان فرعون يتقوى بالجيش؛ فغرق.

**﴿وَأَصَلَ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى﴾ (٧٩)**

**﴿و﴾**: حرف عطف يفيد هنا الحال **﴿أَصَلَ﴾**: تاهوا، وتكبوا الطريق **﴿فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ﴾**: أخذ فرعون من آمن به إلى الضلال والهلاك، طريق التيه والضياع؛ فضلوا عن الحقيقة، واتبعوا الباطل **﴿وَمَا﴾**: أيضًا هنا نفي **﴿هَدَى﴾**: وما هداهم فرعون إلى الطريق المستقيم؛ طريق النجاة الإيمان، وهذا تأكيد وتقرير للضلال، وتكذيب لفرعون الذي قال: وما أهديكم إلا سبيل الرشاد.

**﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى﴾ (٨٠)**

**﴿يَا﴾**: حرف نداءٍ للقريب والبعيد **﴿بَنِي﴾**: أبناء **﴿إِسْرَائِيلَ﴾**: النبي "يعقوب" ﷺ نداءً من الله ﷻ إلى قوم موسى قائلاً لهم: يا أبناء العبد الصالح يعقوب، تذكيراً لهم بانتمائهم إلى الإيمان والنبوة، ومُذكراً لهم بيوم نجاتهم من فرعون **﴿قَدْ﴾**: حرف جزم دخل هنا على الفعل الماضي فأفاد التأكيد **﴿أَنْجَيْنَاكُمْ﴾**: جاءت بصيغة الجمع لعظم الحدث، فكانت النعمة الأولى هي النجاة **﴿مِنْ﴾**: حرف جرّ وبيان لتمييز النوع يفيد هنا ابتداء الغاية المكانية **﴿عَدُوِّكُمْ﴾**: يذكر الله ﷻ بني إسرائيل بفضلهم بأن نجاهم، حرف بيان النوع وتمييزه، وتقيد هنا بداية الغاية المكانية **﴿و﴾**: عطفاً على ما سبق **﴿وَوَاعَدْنَاكُمْ﴾**: ضربنا لكم موعداً **﴿جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ﴾**: وكانت النعمة الثانية هي الهداية للدين، ما امتد منها من البناء، أمرهم أن يقيموا في المكان الذي كلم الله ﷻ فيه موسى ﷺ، وأعطاه التوراة هناك، وفي المكان الذي طلب فيه "موسى" أن يرى ربه **﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمْ﴾**: من فوقكم **﴿الْمَنَّاءَ﴾**: وكانت النعمة الثالثة هي الغذاء الطيب، هو مادة حلوة الطعم كالعسل، تُستخرج من الأشجار، وتشمل سائر نعم الله ﷻ دون جهد **﴿و﴾**: أيضاً نزلنا عليهم **﴿السَّلْوَى﴾**: هو طائر السمّان، وهو أصغر من الحمام وأكبر من العصافير. انظر [البقرة-٥٧].

**﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحِلِّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى﴾ (٨١)**

﴿كُلُوا مِنْ﴾: حرفٌ يُفيد التمييز ﴿طَيِّبَاتٍ﴾: ما يستمتع به الجسد وتقبله النفس ﴿مَا﴾: الذي ﴿رَزَقْنَاكُمْ﴾: أمرٌ ربّانيٌّ بحلال الأكل من رزق الله ﷻ، الطائر الذي ينزل من السماء "السلوى"، والحلوى التي تنزل لهم من الأشجار ﴿و﴾: عطفًا على هذا ﴿لَا﴾: للتحريم ﴿تَطْعَمُوا فِيهِ﴾: لا تكفروا نعمة الله عليكم ولا تتجاوزوا ولا تأخذوا منه أكثر مما أحله الله ﷻ لكم، لا تبتدروا ولا تسرفوا؛ فتخالقوا أمر الله ﷻ ﴿ف﴾: حرفٌ يفيد السبب وبدون تأخير ﴿يَجِلَّ﴾: يصير واجبًا عليكم ويلزمكم فينزل ﴿عَلَيْكُمْ غَضَبِي﴾: لمخالفتكم أوامري ﴿وَمَنْ﴾: والذي من جنس العاقل ﴿يَخْلِلْ﴾: من ينزل ﴿عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ﴾: حرفٌ يفيد التحقق ﴿هُوَى﴾: فقد هلك ووقع في الهاوية، وشقي وتعب في الدنيا، وفي الآخرة له عذاب جهنم.

﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ (٨٢)

﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿إِنِّي﴾: يُخبر الحق ﷻ عن نفسه الكريمة ﴿ل﴾: حرف لام العاقبة ﴿غَفَّارٌ﴾: إنه ﷻ كثير المغفرة ﴿ل﴾: حرف تخصيص ﴿مَنْ﴾: تخصيصًا للذي من جنس الإنسان ﴿تَابَ﴾: ألق عن المعصية ﴿و﴾: أيضًا ﴿آمَنَ﴾: لكل من رجع وألق عن مخالفة أمري، وقد تاب ﷻ على من عبد العجل بعد ذلك، بعد أن تاب وأتاب توبة من القلب ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾: أتبع توبة القلب بالعمل الصالح، وهي العبادة، وقال "ابن عباس": لم يشك، وقال "سعيد بن جبير، ومجاهد، والضحاك": استقام على السنّة والجماعة ﴿ثُمَّ﴾: حرفٌ يفيد التتابع الزمني غير السريع، هذه للذين لم يتوبوا من قريب، هنا لترتيب الخبر مثل: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [البقرة-٢٥] ﴿اهْتَدَى﴾: قال قتادة: التزم بالإسلام حتى يموت.

﴿وَمَا أَغْوَيْنَاكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى﴾ (٨٣)

عندما واعد موسى ﷺ ربه ﷻ بعد هلاك فرعون ثلاثين ليلة، ثم أتبعها بعشرة، صائمًا ليلاً ونهارًا، كان موسى قد صام ثلاثين يومًا ﴿و﴾: حرفٌ يفيد هنا التخيير ﴿مَا﴾: حرف استفهام أي شيء ﴿أَغْوَيْنَاكَ﴾: أي شيء جعلك في عجلة، لم يسأل الله ﷻ للمعرفة ولكن لتعريف غيره ممن آمن بموسى ﷻ ﴿عَنْ﴾: حرف يفيد انتهاء الغاية ﴿قَوْمِكَ﴾: حتى تركت قومك وخرجت من بين أهلك وعشيرتك ﴿يَا﴾: حرف نداء للقريب والبعيد ﴿مُوسَى﴾: لماذا سارعت بالمجيء إلى "الطور" بعد أن استخلفت أخاك هارون على بني إسرائيل؟

﴿قَالَ هُمْ أَوْلَاءِ عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾ (٨٤)

﴿قَالَ﴾: موسى ﷻ ﴿هُم﴾: ضميرٌ منفصلٌ مرفوعٌ للجمع المذكور والمؤنث الغائب؛ للتحديد والتأكيد وهي هنا تخصيصًا لقومه ﴿أَوْلَاءِ﴾: ها هم ﴿عَلَى أَثَرِي﴾: خلفي، بالقرب مني؛

ينتظرون عودتي، ينزلون بجانب جبل الطور ﴿وَعَجَلْتُ﴾: وسبقتهم ﴿إِلَيْكَ رَبِّ﴾: لتزداد عني رضا، يا مالك كلّ أمري ﴿لِتَرْضَى﴾: حرف اللام للسبب، لأظفر برضاك عني يا ربي.

﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾ (٨٥)

﴿قَالَ﴾: الله ﷻ ﴿فَإِنَّا﴾: نحن بالتأكيد ﴿قَدْ﴾: حرف جزم دخل هنا على الفعل الماضي فأفاد التأكيد، فإننا قد ﴿فَتَنَّا﴾: ابتلينا واختبرنا وألقيناهم في الفتنة ﴿قَوْمَكَ﴾: بني إسرائيل ومن آمن ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ وبيان لتمييز النوع يفيد هنا ابتداء الغاية الزمانية ﴿بَعْدِكَ﴾: الذين بقوا من بعدك ﴿وَأَضَلَّهُمْ﴾: صرفهم عن الصواب ﴿السَّامِرِيُّ﴾.

التكليف: إن فتنة الذهب قائمة في كلّ عصر، وفي كلّ قوم؛ وبخاصّة في اليهود، وهي في العصر الحاضر خطيرة؛ فأدوات القهر فيها طاغية.

﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي﴾ (٨٦)

﴿ف﴾: حرف يفيد التتابع السريع والسبب ﴿رَجَعَ﴾: عاد إليهم ﴿مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ﴾: الذين من عشيرته، بعدما أخبره الله ﷻ ما فعل "السامري" في قومه ﴿غَضْبَانَ﴾: في غضبٍ شديد، وحنقٍ عليهم ﴿أَسِفًا﴾: قال "مجاهد": جزعاً، وقال "قتادة والسدي": حزيناً على ما صنع قومه، أو شديد الغضب، ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ﴾: أداة استفهام بغرض الإنكار والتوبيخ ﴿يَعِدْكُمْ﴾: لقد وعدكم ووعده حق ﴿رَبِّكُمْ﴾: هو ﷻ المعبود، والمربي، مالك كلّ أمركم ﴿وَعَدًّا﴾: الجنة ﴿حَسَنًا﴾: جاء اللفظ القرآني "حسن" هنا بمعنى "حقاً" وجاءت بنفس المعنى في قوله ﷻ ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ [البقرة-٨٣] جاء في سؤال "موسى" ﷺ الاستكاري: ألم تشاهدوا كيف أكرمنا الله ﷻ بالنجاة من فرعون، ووعدكم ﷻ ﴿أ﴾: حرف استفهام بغرض الاستنكار والتوبيخ ﴿ف﴾: بسبب ﴿طَالَ﴾: هل امتد ﴿عَلَيْكُمْ الْعَهْدُ﴾: العهد هو اتفاق ووعدٌ كتابي بين طرفين يُشكّل تعهدًا وامتناعاً من فعل شيء، وهنا هل تأخر وعد الله ﷻ عليكم، وطال انتظاركم، ونسيتم نعم الله ﷻ السالفة ﴿أَمْ أَرَدْتُمْ﴾: أن تفعلوا فعلاً يكون سبباً ﴿أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿يَحِلَّ عَلَيْكُمْ﴾: يقع عليكم ﴿غَضَبٌ مِنْ﴾: حرف يفيد بداية الغاية ﴿رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي﴾: كان وعدكم لي الثبات على ديني، ولكتكم اخترتم أن يُنزل الله ﷻ عليكم غضبه عندما أخلفتم موعدي.

﴿قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلَكِنَا وَلَكِنَّا حَمَلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَدْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ﴾ (٨٧)

﴿قَالُوا﴾: هم بنو إسرائيل ﴿مَا﴾: حرف نفي ﴿أَخْلَفْنَا﴾: نقضنا ﴿مَوْعِدَكَ﴾: الذي وعدناك ﴿بِمَلَكِنَا﴾: لم نفعل ذلك بإرادتنا، وقدرتنا، أو طاقتنا، أو باختيارنا ﴿وَلَكِنَّا﴾: حرف يُفيد الاستدراك ﴿حَمَلْنَا﴾: حملنا رَغْمًا عَنَّا ﴿أَوْزَارًا﴾: أثامًا وأحمالًا وأثقالًا وتبعات ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ وبيان لتمييز النوع يفيد هنا ابتداء الغاية المكانية، بعض أو جزء ﴿زِينَةِ الْقَوْمِ﴾: من خُلِيّ أقباط مصر، وهم قوم فرعون لقد تذرعو بما كان معهم من خُلِيّ المصريين الذين كانوا استعاروه، أو كان سكان مصر يحفظونه، أو يستثمرونه عندهم قبل الخروج ﴿فَ﴾: حرف يفيد السبب وتتابع الفعل بدون تأخير ﴿قَدْنَاهَا﴾: لهذا السبب رميناها وتخلينا عنها في حفرةٍ للتخلص من ثقلها ﴿فَكَذَلِكَ﴾: ومثلنا فعل ﴿أَلْقَى السَّامِرِيُّ﴾ قال مُجَاهِدٌ: ﴿أَلْقَى السَّامِرِيُّ﴾: صَنَعَ<sup>(١)</sup>.

﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ﴾ (٨٨)

﴿فَ﴾: يفيد السبب ﴿أَخْرَجَ﴾: السامري ﴿لَهُمْ﴾: لبني إسرائيل ﴿عِجْلًا جَسَدًا﴾: مجسدًا كجسد عجلٍ لا روح فيه، لونه أحمر بلون الذهب ﴿لَهُ﴾: تخصيصًا ﴿خُورٌ﴾: له صوت كصوت العجول والبقر، وَكَانَ السَّامِرِيُّ رَجُلًا مِنْ قَوْمٍ يَعْبُدُونَ الْبَقَرَ، حِيرَانٍ لَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَاحْتَمَلَ مَعَ مُوسَىٰ وَبَنِي إِسْرَائِيلَ حِينَ احْتَمَلُوا، فَقَضِيَ لَهُ أَنْ رَأَىٰ أَثْرًا، فَأَخَذَ مِنْهُ قَبْضَةً، فَمَرَّ بِهَارُونَ، فَقَالَ لَهُ هَارُونَ: يَا سَامِرِيُّ، أَلَا تُلْقِي مَا فِي يَدِكَ؟ وَهُوَ قَابِضٌ عَلَيْهِ، لَا يَرَاهُ أَحَدٌ طَوَالَ ذَلِكَ، قَالَ: هَذِهِ قَبْضَةٌ مِنْ أَثْرِ الرَّسُولِ الَّذِي جَاوَزَ بِكُمْ الْبَحْرَ، فَلَا أَلْقِيهَا بِشَيْءٍ، إِلَّا أَنْ تَدْعُو اللَّهَ إِذَا أَلْقَيْتُهَا أَنْ يَكُونَ مَا أُرِيدُ، فَأَلْقَاهَا، وَدَعَا لَهُ هَارُونَ، وَقَالَ: أُرِيدُ أَنْ أَكُونَ عِجْلًا، فَاجْتَمَعَ مَا كَانَ فِي الْحُفْرَةِ مِنْ مَتَاعٍ أَوْ حَلِيَّةٍ أَوْ نُحَاسٍ أَوْ حَدِيدٍ، فَصَارَ عِجْلًا أَجُوفًا، لَيْسَ فِيهِ رُوحٌ لَهُ خُورٌ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: وَلَا وَاللَّهِ مَا كَانَ لَهُ صَوْتُ قَطُّ، إِنَّمَا كَانَتْ الرِّيحُ تَدْخُلُ مِنْ دُبُرِهِ، وَتَخْرُجُ مِنْ فِيهِ، وَكَانَ ذَلِكَ الصَّوْتُ مِنْ ذَلِكَ، فَتَفَرَّقَ بَنُو إِسْرَائِيلَ فِرْقًا، فَقَالَتْ فِرْقَةٌ: يَا سَامِرِيُّ، مَا هَذَا؟ فَأَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ؟ قَالَ: هَذَا رَبُّكُمْ، وَلَكِنَّ مُوسَىٰ أَصَلَ الطَّرِيقَ، وَقَالَتْ فِرْقَةٌ: لَا نُكْذِبُ بِهَذَا حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ، فَإِنْ كَانَ رَبَّنَا لَمْ نَكُنْ صَيِّعَنَاهُ وَعَجَزْنَا فِيهِ حِينَ رَأَيْنَاهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ رَبَّنَا، فَإِنَّا نَتَّبِعُ قَوْلَ مُوسَىٰ، وَقَالَتْ فِرْقَةٌ: هَذَا عَمَلُ الشَّيْطَانِ، وَلَيْسَ بِرَبَّنَا، وَلَا نُؤْمِنُ بِهِ، وَلَا نُصَدِّقُ، وَأَشْرَبُ فِرْقَةً فِي قُلُوبِهِمُ التَّصَدِيقَ بِمَا قَالَ السَّامِرِيُّ فِي الْعِجْلِ،

(١) البخاري ١٥٢/٤ سورة طه.

فَقَالَ لَهُمْ هَارُونُ: ﴿يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ﴾ لَيْسَ هَكَذَا، قَالُوا: فَمَا بَالُ مُوسَى وَعَدْنَا ثَلَاثِينَ يَوْمًا ثُمَّ أَخْلَفْنَا؟ هَذِهِ أَرْبَعُونَ قَدْ مَضَتْ، فَقَالَ سَفَهَاؤُهُمْ: أَخْطَأَ رَبَّهُ، فَهُوَ يَطْلُبُهُ وَيَتَّبِعُهُ، فَلَمَّا كَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى وَقَالَ لَهُ مَا قَالَ، أَخْبَرَهُ بِمَا لَقِيَ قَوْمَهُ مِنْ بَعْدِهِ<sup>(١)</sup>، ﴿ف﴾: لهذا السبب ﴿قَالُوا﴾: قول الذين ضلّوا وفتنهم مشهد العجل الذهبي ﴿هَذَا﴾: إشارة إلى العجل ﴿إِلَهُكُمْ﴾: هذا معبودكم ﴿وَالِهَ﴾: ومعبود ﴿مُوسَى فَنَسِي﴾: أي نسي "موسى" إلهه هنا، وذهب يبحث عنه، ويطلبه، قال "ابن عباس": قالوا نسي موسى ﷺ، أن يُذكركم أن هذا إلهكم، فالتقوا عليه، وأحبوه حبًّا أكثر من أي شيء أحبوه من قبل.

التكليف: سيبقى الذهب هو معبود اليهود من يومهم الأول حتى يوم القيامة.

﴿أَفَلَا يَرُونَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ (٨٩)

﴿أَفَلَا﴾: حرف استفهام بغرض الاستتكار ﴿يَرُونَ﴾: تفرّغ من الله ﷻ لهؤلاء الضالّين، ألا يعتبرون ويتفكرون في هذا العجل غير الناطق ﴿أَلَّا﴾: حرف تخصيص بمعنى "هل" ﴿يَرْجِعُ﴾: يردّ مستجيبًا ﴿إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾: هل يستطيع هذا العجل أن يردّ عليهم بالكلام إذا سألوهم؟ ﴿و﴾: أيضًا ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يَمْلِكُ﴾: ليس في قدرته ﴿لَهُمْ﴾: تحديدًا ﴿ضَرًّا﴾: ما يضرّهم بشيء في دنياهم وفي آخراهم ﴿وَلَا نَفْعًا﴾: لا يملك ولا يستطيع أن يفيدهم بشيء، ولقد عبّ "ابن عباس" فقال: حاصل ما اعتذر به هؤلاء أنهم تورعوا عن زينة القبط؛ فألقوها عنهم، وعبدوا العجل؛ فتورعوا عن الحقير، وفعلوا الأمر الكبير، قال عبد الله بن عمر: سأل رجل من أهل العراق عن دم البعوض إذا أصاب الثوب: هل يُصلي فيه أم لا؟ فقال ابن عمر، رضي الله عنهما: انظروا أهل العراق قتلوا ابن بنت رسول الله؛ يعني الحسن بن علي، رضي الله عنهم، ويسألون عن دم البعوض.

﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي﴾ (٩٠)

﴿وَلَقَدْ﴾: حرف يُفيد التحقق في الماضي ﴿قَالَ لَهُمْ﴾: تخصيصًا ﴿هَارُونُ﴾: أخو موسى، عليهما السلام ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ وبيان لتمييز النوع يفيد هنا ابتداء الغاية الزمانيّة ﴿قَبْلُ﴾: قبل أن يرجع "موسى" إليهم لقد حذرهم هارون قبل ذلك، فلا عذر لهم ﴿يَا﴾: حرف نداءٍ للقريب والبعيد ﴿قَوْمِ﴾: أهلي وأتباعي ﴿إِنَّمَا﴾: حرف تخصيص وتحديد، وهم بنو إسرائيل ﴿فُتِنْتُمْ بِهِ﴾: هذا اختبار لكم، فتتكم العجل الذهبي، هنا يظهر المؤمن من الكافر ﴿وَإِنَّ﴾:

(١) مسند أبي يعلى الموصلي ١٠/٥ (٢٦١٨) قال حسين أسد: رجاله ثقات.

بالتأكيد ﴿رَبِّكُمْ﴾: المعبود، وهو المُرَبِّي، وهو المنشئ للكون بمن وبما فيه من حالٍ إلى حالٍ إلى حدّ التمام والخالق، والمالك، والعاطي، وكثيرُ الخير، والمُحيط، والمُدبّر، والجابرُ لكسر البرايا، والثابت، والقريب، والجامعُ، والمصلحُ، والسيّدُ هو مالك أمركم كلّهُ ﴿الرَّحْمَنُ﴾: الذي يملك أن يرحمكم أو يعذبكم، وأكد لكم أنّ ربكم هو الله الرحمن بكم، الرحيم عليكم ﴿ف﴾: من أجل ذلك ﴿اتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي﴾: فاتركوا عبادة العجل، ولا تنتظروا عودة موسى ﷺ، حتى تغيروا، أطيعوني، فاعبدوا الله ﷻ وحده لا شريك له.

التكليف: طاعة الرسول، وطاعة الإمام منجاةً حتى إذا لم تحقق أهدافًا عاجلة.

﴿قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ﴾ (٩١)

﴿قَالُوا﴾: "بنو إسرائيل" الذين شاهدوا معجزة البحر، وقدرة الله ﷻ ﴿لَنْ﴾: حرف نفي لن نزال مقيمين على طاعة العجل، ولا نتركها حتى ﴿نَبْرَحَ﴾: لن نترك، لن نكفّ، سنظلّ مقيمين ﴿عَلَيْهِ﴾: على العجل ﴿عَاكِفِينَ﴾: سنظل مقيمين على عبادة العجل ولا نتركها ﴿حَتَّىٰ﴾: حرف جرّ يدلّ على انتهاء الغاية الشرطية وهي هنا أن ﴿يَرْجِعَ﴾: يعود ﴿إِلَيْنَا مُوسَىٰ﴾: هنا خالفوا نبي الله هارون، وحاربوه، وكادوا أن يقتلوه.

﴿قَالَ يَا هَازُونَ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا﴾ (٩٢)

﴿قَالَ﴾: موسى ﷺ ﴿يَا﴾: حرف نداءٍ هنا للقريب مُناديًا ﴿هَازُونَ﴾: القائل موسى ﷺ بعد عودته من ميقات ربّه، ورأى هذا الخطب العظيم، قال غاضبًا على أخيه وخليفته في قومه "هارون"، وقد ألقى "موسى" ما في يده من الألواح، جاء في المعنى: ﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ﴾ [الأعراف-١٥٠] ﴿مَا﴾: هو السبب الذي ﴿مَنَعَكَ﴾: ما السبب الذي حملك واضطرك إلى عدم اللحاق بي عندما شاهدتهم وقعوا في هذه الضلالة ﴿إِذْ﴾: حرفٌ يفيد التعليل عما مضى من فعلهم ﴿رَأَيْتَهُمْ﴾: شاهدتهم ﴿ضَلُّوا﴾: ما الذي أحرّك عندما رأيت شركهم واضحًا .

﴿أَلَا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾ (٩٣)

﴿أَلَا﴾: حرفٌ يفيد التخصيص بمعنى أن تتركهم و﴿تَتَّبِعَنِ﴾: أن تلتحق بي وتخبرني ﴿أ﴾: حرف استفهام بغرض الإنكار والتوبيخ ﴿ف﴾: هل بسبب ذلك ﴿عَصَيْتَ أَمْرِي﴾: لم تنفذ أوامري، فقد أخبرتك من قبل، جاء في المعنى: ﴿اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف-٤٢].

﴿قَالَ يَبْنَؤُمْ لَا تَأْخُذْ بِلِحْنِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ (٩٤)

﴿قَالَ﴾: "هارون" متودداً ﴿يَبْنُوْمٌ﴾: يا أخي يا "ابن أمي"، رغم أنّ "هارون" شقيق "موسى" من الأب والأم؛ إلاّ أنّه ذكر "أم موسى"، وقد ذكرها القرآن، ولم يذكر "أبا موسى"، كان هذا تودداً وتحبباً لأخيه ﴿لَا﴾: حرف نهي للالتماس بأن يأتي الطلب بين متساويين في الرتبة ﴿تَأْخُذُ﴾: لا تشدني ﴿بِ﴾: باء الصلة من ﴿بِحَيْتِي﴾: من شعر لحيتي في وجهي ﴿وَلَا بِرَأْسِي﴾: لا تشدني من شعر رأسي ﴿إِنِّي﴾: بالتأكيد ﴿خَشِيْتُ﴾: خفت ﴿أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿تَقُولُ﴾: أحدثت اختلافاً ﴿بَيْنَ بَنِي﴾: أبناء ﴿إِسْرَائِيلَ﴾: يعقوب ﷺ، خشيت أن أتبعك؛ فتقول لي لماذا تركتكم ﴿وَلَمْ﴾: حرف نفي ﴿تَرْقُبُ﴾: تأخذ وتحترم ﴿قَوْلِي﴾: وما راعيت ما أمرتني به يوم استخلفتني فيهم، قال ابن عباس: كان هارون مُطيعاً لأخيه. التكليف: هذا نموذج حالة غضبٍ من أجل الله ﷻ كما غضب موسى من أخيه.

### ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ﴾ (٩٥)

﴿قَالَ﴾: "موسى" ﷺ ﴿فَمَا﴾: حرف يُفيد الخبر ﴿خَطْبُكَ﴾: ما شأنك الذي حملك أن تفعل هذا؟ ما الجديد؟ ﴿يَا﴾: حرف نداء للقريب ﴿سَامِرِيُّ﴾: قال "ابن عباس": كان اسم "السامري" هو "موسى بن ظفر"، وهو من "كرمان"، وقال "قتادة": من قرية "سامراء".

﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي﴾ (٩٦)

﴿قَالَ﴾: السامري ﴿بَصُرْتُ﴾: علمت شاهدت ﴿بِمَا﴾: اسم موصول هنا بمعنى الذي ﴿لَمْ﴾: حرف نفي ﴿يَبْصُرُوا بِهِ﴾: قال كأني رأيت ما لم يره القوم؛ رأيت "جبريل" ﷺ على فرسٍ حين جاء لهلاك "فرعون" ﴿فَ﴾: حرف يُفيد السرعة والسبب ﴿قَبَضْتُ﴾: أخذت ﴿قَبْضَةً مِنْ﴾: جزءاً أو بعضاً ﴿أَثَرِ﴾: أثر فرس ﴿الرَّسُولِ﴾: من التراب، ملء كف اليد الذي داس عليه فرس جبريل ﷺ ﴿فَنَبَذْتُهَا﴾: قال مجاهد: ألقيت ما في قبضتي على الخلي المذاب المسبوك على صورة عجلٍ، زينة بني إسرائيل؛ فصارت عجلاً له خوار وهو حفيف الهواء الذي يخرج من فم العجل ﴿وَكَذَلِكَ﴾: هكذا ﴿سَوَّلَتْ﴾: حسنت وزينت ﴿لِي﴾: تخصيصاً ﴿نَفْسِي﴾: هي جوهرى كإنسان.

﴿قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ نُخْلِفَهُ وَانظُرْ إِلَى إِلْهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا﴾ (٩٧)

﴿قَالَ﴾: موسى ﷺ، للسامري ﴿فَاذْهَبْ﴾: أمض وأسرع في الذهاب من بيننا واخرج عنا ﴿فَإِنَّ﴾: بالتأكيد ﴿لَكَ﴾: تخصيصاً ﴿فِي الْحَيَاةِ﴾: ما دمت حياً ﴿أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل

﴿تَقُولُ لَا مِسَاسَ﴾: أن تعيش منبوذًا؛ كما مسست ما لم يجب لك أخذه من أثر الرسول؛ فعقوبتك ألا تمس الناس، ولا يمسوك، فتعش منبوذًا ﴿وَإِنَّ﴾: بالتأكيد ﴿لَكَ﴾: تخصيصًا ﴿مَوْعِدًا﴾: وقت ﴿لَنْ﴾: حرف نفي ﴿تُخَلِّفُهُ﴾: يوم القيامة هو موعدك لا تتخلف عنه، لا محالة أنت آت، قال "الحسن": لن تغيب عنه ﴿و﴾: حرف عطف يفيد هنا الحال ﴿انظُرْ إِلَىٰ﴾: شاهد ما تعبد ﴿الَّذِي ظَلَمْتَ﴾: داومت ﴿عَلَيْهِ عَاقِبًا﴾: الذي عكفت، وأقمت على عبادته ﴿لَنْ﴾: حرف يفيد السبب ﴿نُحْرِقْنَاهُ﴾: نحرقه بكل تأكيد، فحرق في النار ﴿ثُمَّ﴾: مع التباعد الزمني غير السريع ﴿لَنْ﴾: حرف علة وسبب ﴿نَسْفِنَاهُ﴾: ندمره، ونشره في الهواء بالتأكيد وبصورة كبيرة ﴿فِي النَّيَمِ نَسْفًا﴾: ثم ألقى رماده في البحر بعد حرقه وذر رماده في البحر.

﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ (٩٨)

﴿إِنَّمَا﴾: تحديدًا وتخصيصًا ﴿إِلَهُكُمُ﴾: هذا قول موسى ﷺ، إنَّ إلهكم، معبودكم الذي يستحق العبادة هو ﴿اللَّهُ﴾: الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد ﴿إِلَّا﴾: حرف نفي ﴿إِلَهَ﴾: معبود، لا هذا العجل الذي فتنكم به السامري ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء لا معبود إلا ﴿هُوَ﴾: في اللغة يعني ضميرًا منفصلاً مرفوعًا للغائب المفرد المذكر، والمقصود هنا الله ﷻ، لا معبود سواه، والكل فقير إليه ﷻ ﴿وَسِعَ﴾: أحاط ﴿كُلَّ﴾: تفيد عموم ﴿شَيْءٍ﴾: نكرة تفيد العموم ﴿عِلْمًا﴾: العالم المحيط بكل شيء علماء، المحصي لكل شيء عددًا.

﴿كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا﴾ (٩٩)

﴿كَذَلِكَ﴾: يقول الله ﷻ لمحمد ﷺ مثلما قصصنا عليك نبأ "موسى" ﴿نَقُصُّ﴾: نروي لك ﴿عَلَيْكَ﴾: نخبرك خبر اليقين ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ وبيان لتمييز النوع يفيد هنا ابتداء الغاية وتفيد هنا بعض ﴿أَنْبَاءٍ﴾: أخبار ﴿مَا﴾: الذي ﴿قَدْ﴾: حرف جزم دخل هنا على الفعل الماضي فأفاد التأكيد ﴿سَبَقَ﴾: وأيضًا أخبار الذين سبقوك من الأمم الخالية؛ لتكون لك تسلية؛ ودلالة على صدقك، خاصة قصة موسى ﷻ، مع فرعون، لعنة الله ﷻ ﴿وَقَدْ﴾: وتحقق بالفعل ﴿آتَيْنَاكَ﴾: أعطيناك وعلمناك ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ وبيان لتمييز النوع يفيد هنا ابتداء الغاية المكانية ﴿لَدُنَّا﴾: من عندنا ﴿ذِكْرًا﴾: هو القرآن الكريم، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. القصص للعبارة.

﴿مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا﴾ (١٠٠)



﴿مَنْ﴾: الذي هو من جنس العاقل، أي الإنسان ﴿أَعْرَضَ﴾: من كذَّبَ وابتعد ﴿عَنْهُ﴾: كل من أعرض عن القرآن الكريم؛ ولم يعمل بما فيه ﴿فَإِنَّهُ﴾: هو بالتأكيد ﴿يَحْمِلُ﴾: يأتي ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾: حاملاً ﴿وَزْرًا﴾: يحملُ عقوبةً كبيرةً على جريمة الإعراض عن ذكر الله ﷻ، الإثم العظيم، هذا حكمٌ عامٌّ على العرب، وعلى العجم، وعلى أهل الكتاب من اليهود والنصارى، وكلِّ من بلغه القرآن الكريم، فهو نذيرٌ له، ودعوةٌ، فمن اتبع اهتدى، ومن أعرض ففي الدنيا شقاء، وفي الآخرة عذاب النار.

﴿خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا﴾ (١٠١)

﴿خَالِدِينَ﴾: ماكثين ﴿فِيهِ﴾: في العذاب لا حيد عنه، ولا انفكاك ﴿و﴾: حرف عطف أفاد هنا التخيير ﴿سَاءَ﴾: شر وضرر ﴿لَهُمْ﴾: تخصيصاً ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا﴾: هنا جاء تشبيه الوزر بالحمل الثقيل؛ لأنه يُثقل على الإنسان يوم الحساب، بثس الحمل ما حملوا من ذنوب.

﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ (١٠٢)

﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾: يوم القيامة يُنْفَخُ في القرنِ النفخة الثانية، وهي نفخةُ البعث التي يُحْشَرُ الناس بعدها للحساب. عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَيْفَ أَنْعُمُ وَصَاحِبُ الْقَرْنِ قَدْ النَّقَمَ الْقَرْنَ وَاسْتَمَعَ الْإِذْنَ مَتَى يُؤْمَرُ بِالنَّفْخِ فَيَنْفُخُ» فَكَأَنَّ ذَلِكَ ثَقُلَ عَلَى أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ لَهُمْ: " قُولُوا: حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا"<sup>(١)</sup>، ﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿نَحْشُرُ﴾: هو الدفع في الزحام الشديد ﴿الْمُجْرِمِينَ﴾: بسبب كفرهم ﴿يَوْمَئِذٍ﴾: كلمة مُركبةٌ من يومٍ و إذٌ وتعني في ذلك الوقت ﴿زُرْقًا﴾: تترقق عيون المجرمين؛ من شدة ما هم فيه من الأهوال، وقد تكون الأجساد زرقاء من قلة الأكسجين، الذي يدخل صدورهم؛ من شدة الخوف، وشدة الزحام واللهث، كما يحدث للناس على الأرض، وقد تعني العمى أو العطش، حيث يسرُّ بعضهم إلى بعضٍ همسًا، ومن المعلوم أنَّ العرب يتشاءمون من زرقاة العيون، والله أعلم.

﴿يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا﴾ (١٠٣)

﴿يَتَخَفَتُونَ﴾: يتحدثون سرًّا ﴿بَيْنَهُمْ﴾: يقول بعضهم لبعضٍ بصوتٍ منخفضٍ، من شدة الخوف، قال ابن عباس: يتسارون بينهم. من السرِّ أي يقولون أسرارًا ﴿إِنْ﴾: حرف شرط ﴿لَبِثْتُمْ﴾: لم تمكثوا في البرزخ ﴿إِلَّا﴾: باستثناء ﴿عَشْرًا﴾: ما لبثتم إلا عشرة أيامٍ أو نحوها.

﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا﴾ (١٠٤)

(١) سنن الترمذي ٦٢٠/٤ (٢٤٣١)، وقال: هذا حديث حسن.

﴿نَحْنُ﴾: الله ﷻ، وجاءت هنا بصيغة الجمع للتعظيم ﴿أَعْلَمُ﴾: صاحب العلم الكامل ﴿بِمَا﴾: اسم موصول هنا بمعنى الذي ﴿يَقُولُونَ﴾: نسمع سرهم ونجواهم ﴿إِنْ﴾: حرف يدلُّ على ما مضى من الزمن يفيد هنا التوكيد ﴿يَقُولُ أَمْتَلُهُمْ﴾: أعدلهم وأفضلهم رأياً ومشورةً وأقومهم مذهباً ﴿طَرِيقَةً﴾: أوفرهم فهماً وأعقلهم ﴿إِنْ﴾: حرف تأكيد ﴿لَبِئْتُمْ﴾: مكتتم أقمتم إقامة دائمة، عثتم في الدنيا ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿يَوْمًا﴾: أي مدة أقصر، وهي يومٌ واحدٌ؛ لأنَّ الدنيا ليلاً ونهارها يومٌ يتكرر، يقولون ذلك ليقبلوا من المدة وأنَّ قصرها لم يعطهم الفرصة؛ ليؤمنوا، جاء في المعنى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِئُوا غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ [الروم-٥٥].

### ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾ (١٠٥)

﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿يَسْأَلُونَكَ﴾: يسألُ الصحابةُ رسول الله ﷺ ﴿عَنِ﴾: حرف جرٍ يفيد التعلق والاتصال ﴿الْجِبَالِ﴾: ما مصير الجبال يوم القيامة؟ تبقى أم تزول؟ وهذا ما سألته "قريش" للرسول ﷺ ﴿ف﴾: حرف استثنائي بهدف ترتيب الأمر ويفيد السرعة في التنفيذ ﴿قُلْ﴾: أمر رباني ﴿يَنْسِفُهَا﴾: يقتلعها من جذورها، يحرقها، ويزيلها، ويسيرها هباءً ﴿رَبِّي﴾: مالك أمري كله ﴿نَسْفًا﴾: تأكيدًا للنسف.

### ﴿فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا﴾ (١٠٦)

﴿ف﴾: لهذا السبب ﴿يَذَرُهَا﴾: يترك الله ﷻ الأرض ﴿قَاعًا﴾: القاع هو أدنى الشيء؛ فتصبح الأرض ملساء بلا نباتٍ ولا بناءٍ ﴿صَفْصَفًا﴾: هي الأرض الملساء، المستوية، بساطًا واحدًا، ليس فيها شجرٌ.

### ﴿لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا﴾ (١٠٧)

﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿تَرَى﴾: تُشاهد ﴿فِيهَا﴾: في الأرض ﴿عِوَجًا﴾: لا ترى فيها انخفاضات أو حُفْرًا ﴿وَلَا﴾: حرف نفي ﴿أَمْتًا﴾: قال ابن عباس وآخرون: ولا رابية، ولا ارتفاع. عن سهل بن سعدٍ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى أَرْضٍ بَيْضَاءَ عَفْرَاءَ، كُفْرَصَةٍ نَقِيٍّ» قَالَ سَهْلٌ أَوْ غَيْرُهُ: «لَيْسَ فِيهَا مَعْلَمٌ لِأَحَدٍ»<sup>(١)</sup>.

### ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ (١٠٨)

﴿يَوْمَئِذٍ﴾: كلمة مركبة من "يومٍ وإذ" بمعنى في ذلك اليوم، يوم القيامة، عندما يتحقق ما جاء في الآيات السابقة ﴿يَتَّبِعُونَ﴾: يستجيب الناس مُسرعين إلى ﴿الدَّاعِيَ﴾: حيث أمرهم

(١) صحيح البخاري ١٠٩/٨ (٦٥٢١).

يذهبون، ولكن هذا لا ينفعهم؛ لأنهم لم يستجيبوا في الدنيا ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿عَوَجَ لَهُ﴾: لا يميلون عنه لا معارضة؛ بل طاعة ﴿و﴾: حرف عطف يفيد هنا الحال ﴿خَشَعَتْ﴾: قال ابن عباس: "سكنت وسكنت ﴿الْأَصْوَاتُ ل﴾: تخصيصاً ﴿الرَّحْمَنِ﴾: جاء اسم الله بالرحمن طمأننة للمؤمنين في هذا المشهد المخيف ﴿فَلَا﴾: أدأه نهي تعيد طلب عدم الفعل وحثاً على السكوت في هذا الموقف ﴿تَسْمَعُ إِلَّا﴾: باستثناء ﴿هَمَسًا﴾: ﴿هَمَسًا﴾: «حِسُّ الْأَقْدَامِ»<sup>(١)</sup>.

﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾ (١٠٩)

﴿يَوْمَئِذٍ﴾: كلمة مركبة من "يوم وإذ" بمعنى في ذلك اليوم، يوم القيامة ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿تَنْفَعُ﴾: لا تعيد ﴿الشَّفَاعَةَ﴾: لا يقبل الله ﷻ الشفاعة ﴿إِلَّا﴾: باستثناء ﴿مَنْ﴾: الذين، هم من جنس العاقل من الخلق ﴿أَذِنَ﴾: سمح ﴿لَهُ﴾: تخصيصاً ﴿الرَّحْمَنُ﴾: إلا إذا أذن الرحمن للشافع، ورضي عن المشفوع له، ولا يكون ذلك إلا للمؤمن المخلص. لقد جاء ذكر الرحمن في هذا الجوّ الرهيب، والخوف الشديد؛ ليطمئن المؤمنين ﴿و﴾: أيضاً الذي ﴿رَضِيَ لَهُ﴾: تخصيصاً ﴿قَوْلًا﴾: والذي يأذن له الله ﷻ، قال رسول الله "محمد" ﷺ: فَأَنْطَلِقُ حَتَّى أَسْتَأْذِنَ عَلَى رَبِّي، فَيُؤْذَنُ لِي، فَإِذَا رَأَيْتُ رَبِّي وَقَعْتُ سَاجِدًا، فَيَدْعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ يُقَالُ: ارْفَعْ رَأْسَكَ وَسَلْ نُعْطَهُ، وَقُلْ يُسْمَعُ وَاشْفَعُ تُشْفَعُ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأَحْمَدُهُ بِتَحْمِيدِ يَعْلَمُنِيهِ، ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحْدُ لِي حَدًّا، فَأَدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ، ثُمَّ أَعُودُ إِلَيْهِ فَإِذَا رَأَيْتُ رَبِّي مِثْلَهُ، ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحْدُ لِي حَدًّا، فَأَدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ، ثُمَّ أَعُودُ الرَّابِعَةَ، فَأَقُولُ مَا بَقِيَ فِي النَّارِ إِلَّا مَنْ حَبَسَهُ الْقُرْآنُ، وَوَجِبَ عَلَيْهِ الْخُلُودُ"<sup>(٢)</sup>

التكليف: اللهم أدخلنا فيمن يشفع لهم محمد ﷺ.

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ (١١٠)

﴿يَعْلَمُ﴾: إن الله ﷻ يعلم ﴿مَا﴾: الذي ﴿بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾: ما يستقبله الخلق يوم القيامة ﴿وَمَا﴾: أيضاً يعلم الذي ﴿خَلْفَهُمْ﴾: يعلم الله ﷻ ما عمل الخلق جميعاً في الحياة الدنيا، وما سيعملون ﴿و﴾: حرف عطف يفيد هنا الحال ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يُحِيطُونَ﴾: يلمون من الإلمام ﴿بِهِ عِلْمًا﴾: لا يعرفون من علمه إلا بما شاء.

﴿وَعَنْتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ (١١١)

﴿و﴾: عطفاً على ذلك ﴿عَنْتِ الْوُجُوهُ﴾: قال ابن عباس: "خضعت، وذلت، واستسلمت وجوه الخلائق لخالقها، واستكانت ﴿الْحَيِّ﴾: تخصيصاً الحي، الذي لا يموت، فهو دائم بلا زوال

(١) البخاري ٩٥/٦ سورة طه.

(٢) صحيح البخاري ١٨/٦ (٤٤٧٦).

﴿الْقِيَوْم﴾: الذي لا ينام، وهو قيم على كل شيء، يُدبر، ويحفظ كل أمر، الكامل في نفسه، وكل شيء فقير إليه، لا قوام له إلا به ﷺ ﴿وَقَدْ﴾: حدث في الماضي ﴿خَاب﴾: خسر ﴿مَنْ﴾: الذي من جنس العاقل وهو الإنسان ﴿حَمَلَ﴾: جنى نتاج، جاء بمعنى الحمل لنقل الذنوب الناتجة ﴿ظَلَمًا﴾: كان الظلم عندما لم يؤدِّ لكل ذي حقِّ حقَّه؛ حتى يقتص الله ﷻ من الشاةِ الجماء من الشاةِ القراء، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: "لَتُؤَدَّنَ الْحُقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ، مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ" (١).

﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ (١١٢)

﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿مَنْ﴾: والذي من جنس العاقل ﴿يَعْمَلُ مِنْ﴾: حرفٌ يفيد بعضًا أو جزءًا ﴿الصَّالِحَاتِ﴾: هنا الثناء على الذي عمل عمل الصالحين، بعد أن جاء على ذكر مصير الظالمين ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾: الذين عبدوا الله ﷻ بإيمان صادق ﴿فَلَا﴾: أداة نهى تفيد طلب عدم الفعل وتفيد هنا الجواب والنتيجة ﴿يَخَافُ ظُلْمًا﴾: لا يزداد في سيئاتهم ولا ينقص من حسناتهم، ولا يُعذَّب بذنبٍ لم يفعله، فالظلم هو الزيادة على الإنسان من ذنوب غيره عليه ﴿وَلَا﴾: أيضًا لا يخاف ﴿هَضْمًا﴾: ولا ينقص من ثواب عمل المؤمن من عمل صالح.

التكليف: على الإنسان الحذر، من ذنوبٍ غيره؛ تضاف إلى ذنوبه، وهو لا يعلم.

﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾

(١١٣)

﴿وَكَذَلِكَ﴾: هكذا كما ﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾: ما أنزله الله ﷻ بصيغة الجمع وهو ﷻ واحدٌ أحدٌ لعظم هذا الكتاب وما جاء في القرآن الكريم من قصص من سبق، ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾: بلسانٍ عربيٍّ مبينٍ، بشيرًا، ونذيرًا ﴿وَصَرَّفْنَا فِيهِ﴾: وضحنا وشرحنا ﴿مِنْ﴾: بعض ﴿الْوَعِيدِ﴾: أنواع العذاب والوعد بالعذاب في الآخرة ﴿لَعَلَّهُمْ﴾: حرفٌ يفيد التوقع عند البشر، والشفقة إذا جاءت من الله ﷻ ﴿يَتَّقُونَ﴾: عقاب الله ﷻ، فمن رحمة الله ﷻ إعطاء العصاة فُرصًا، لعلهم يرجعون عن عصيانهم، ويجتنبون ويتركون المآثم والمحارم والفواحش ﴿أَوْ﴾: حرفٌ عطفٍ يفيد التسوية في الحكم ﴿يُحْدِثُ﴾: يسبب ﴿لَهُمْ﴾: تخصيصًا ﴿ذِكْرًا﴾: يتعظون ويتوبون.

﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي

عِلْمًا﴾ (١١٤)

(١) صحيح مسلم ١٩٩٧/٤ (٢٥٨٢).

﴿ف﴾: من أجل ذلك ﴿تعالى الله﴾: تنزهه وتقدس الله ﴿المملك الحق﴾: الذي وعده حق، ووعيده حق، وعدله، ووعده ألا يعذب أحداً إلا بذنب بعد أن ينذره ﷺ عما يقوله المشركون ﴿ولا﴾: حرف يفيد النهي ﴿تغجل﴾: تسرع وتبادر ﴿ب﴾: حرف باء الصلة ﴿القرآن﴾: بقرأة القرآن مع جبريل عليه السلام ﴿من﴾: حرف جرّ وبيان لتمييز النوع يفيد هنا ابتداء الغاية الزمانية ﴿قبل أن﴾: حرف تأكيد الخبر ﴿يقضى إليك﴾: قبل أن يُفرغ وينتهي إليك ﴿وحيه﴾: إبلاغه لك، جاء اللفظ القرآني "قضى" هنا بمعنى "التمام" أي اكتمال النزول للآية، أو الآيات، واکتمال نزول القرآن كله، عن ابن عباس قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُعَالِجُ مِنَ التَّنْزِيلِ شِدَّةً، وَكَانَ مِمَّا يُحَرِّكُ شَفَتَيْهِ - فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَأَنَا أُحَرِّكُهُمَا لَكُمْ كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُحَرِّكُهُمَا، وَقَالَ سَعِيدٌ: أَنَا أُحَرِّكُهُمَا كَمَا رَأَيْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ يُحَرِّكُهُمَا، فَحَرَّكَ شَفَتَيْهِ - فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ [القيامة-١٧] قَالَ: جَمَعُهُ لَكَ فِي صَدْرِكَ وَتَقْرَأَهُ: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ [القيامة-١٨] قَالَ: فَاسْتَمَعَ لَهُ وَأَنْصَتُ: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ [القيامة-١٩] ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا أَنْ نَقْرَأَهُ، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ ذَلِكَ إِذَا أَتَاهُ جِبْرِيلُ اسْتَمَعَ فَإِذَا انْطَلَقَ جِبْرِيلُ قَرَأَهُ النَّبِيُّ ﷺ كَمَا قَرَأَهُ<sup>(١)</sup>، ﴿و﴾: حرف عطفي يفيد هنا الاستئناف ﴿قل﴾: أمر من الله ﷻ واجب ﴿رب﴾: هو ﷻ المعبود، والمُربي، وهو المنشئ للكون بمن وبما فيه من حالٍ إلى حالٍ إلى حدّ التمام والخالق، والمالك، والعاطي، وكثيرُ الخير، والمحيط، والمُدبر، والجابرُ لكسر البرايا، والثابت، والقريب، والجامع، والمصلح، والسيّدُ يا من تملك أمري ﴿زني علماً﴾: علّمني أكثر مما علمتني، ومن المبادئ السامية لحقوق كلِّ إنسانٍ الحق في التعليم ولذلك: ندعو الله ﷻ أن يزيدنا من علم القرآن علماً، فقد كان الرسول ﷺ في زيادةٍ من العلم؛ حتى قضى.

﴿ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزماً﴾ (١١٥)

﴿و﴾: عطفاً على ما سبق ﴿ل﴾: حرف يفيد هنا البداية والتأكيد ﴿قد﴾: حرف جزم دخل على الفعل الماضي فأفاد التأكيد ﴿عهدنا﴾: أوحينا، وكلفنا ﴿إلى آدم﴾: وأمرناه، ووصيناه، ونهيناه عن الأكل من الشجرة ﴿من﴾: حرف جرّ وبيان لتمييز النوع يفيد هنا ابتداء الغاية الزمانية ﴿قبل﴾: بعد خلق "آدم" ونهيه عن الأكل من الشجرة، ووضّحنا له عاقبة المخالفة ﴿ف﴾: بسبب أنه ﴿نسي﴾: ترك العمل بما عهد الله ﷻ به عليه. إن الوصية هي أمرٌ ربّاني؛ فلم يصبر على الوصية؛ فأكل من الشجرة قال مجاهد والحسن: من النسيان مسمى الإنسان؛ لأنّ

(١) صحيح البخاري ١/٨٠٥

الله ﷻ عهد إليه؛ فنسى، وقيل ترك العمل بما عهد الله ﷻ به إليه، وقيل أنّ سبب التسمية هو أنّ الإنسان أنس برحمة الله ﷻ بعد لأنه تاب عليه من المعصية التي ارتكبها في الجنة، والله ﷻ أعلم ﴿وَلَمْ﴾: حرف نفي ﴿بِحُدُ لَهْ﴾: تخصيصاً ﴿عَزْمًا﴾: ليس له قوة إرادة وعزيمة كبيرة.

﴿وَأَدْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى﴾ (١١٦)

﴿وَأَدْ﴾: حرف يُفيد: حدث في الماضي ﴿قُلْنَا﴾: والقائل هو الله ﷻ ﴿ل﴾: حرف تخصيص ﴿الْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾: تشريعاً وتكريماً إذ خلقه من أديم الأرض وبما فضله الله ﷻ على غيره من الخلق ﴿ف﴾: بسبب هذا وبسرعة هنا ربط ﴿سَجَدُوا﴾: أطاعوا الله ﷻ وفعلوا دون تأخير ﴿إِلَّا﴾: باستثناء ﴿إِبْلِيسَ أَبَى﴾: رفض وامتنع واستكبر؛ لأنّه عدّ عنصر النار أفضل من عنصر الطين؛ فكيف يسجد له؛ في هذا الموقف تجلّت العنصرية، التي على رأسها إبليس.

التكليف: كان خروج إبليس من طاعة الله ﷻ في شيءٍ واحدٍ فقط؛ أورده الخسارة، فهو لا يُنكر أنّ الله ﷻ هو الذي خلقه، ولا يُنكر أنّ الله ﷻ هو الذي خلق آدم ﷺ، ولكنّه عصى في جزءٍ واحدٍ؛ هو تفضيل عنصره على عنصر آدم ﷺ.

التكليف: إنّ العبرة من هذه الآية أنّه لا قليل من الإثم.

﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾ (١١٧)

﴿ف﴾: بسبب ذلك ﴿قُلْنَا﴾: القائل هو الله ﷻ ﴿يَا﴾: حرفُ نداءٍ للقريب ﴿آدَمَ﴾: علمنا "آدم" ﷺ ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿هَذَا﴾: اسم إشارة وتنبية، إبليس لعنه الله ﷻ ﴿عَدُوٌّ لَكَ﴾: حرف تخصيص ﴿و﴾: حرف عطفٍ يفيد هنا الحال ﴿لِزَوْجِكَ﴾: قال ﷻ معلماً "آدم" أنّ إبليس عدوٌّ له، وعدوٌّ لزوجته، ولأولاده من بعده وعليه ﴿فَلَا﴾: أداة نهى تفيد طلب عدم الفعل ﴿يُخْرِجَنَّكَمَا﴾: يكون سبباً في خروجكما بالتأكيد ﴿مِنَ﴾: حرف يُفيد بداية الغاية المكانية ﴿الْجَنَّةِ﴾: يُحذّر الله ﷻ "آدم" ﷺ؛ من وسوسة الشيطان، إياك أنّ تُطع إبليس؛ فتخرج وزوجك حواء من الجنة ﴿ف﴾: حرف سبب ﴿تَشْقَى﴾: جاء اللفظ بصيغة المفرد بدلاً من المثني حتى صارت الحالتان كحالةٍ واحدةٍ، فتتعب، وتشقى في طلب الرزق، وأنت اليوم في الجنة في عيشٍ رغيدٍ تعيش بلا عناء.

﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى﴾ (١١٨)

﴿إِنَّ﴾: بالتأكيد ﴿لَكَ﴾: حرف تملك لك، لقد هيا الله ﷻ لك يا "آدم" في الجنة ﴿أَلَا﴾: بمعنى أن لا ﴿تَجُوعُ فِيهَا﴾: هنا جاء الحديث عن الجوع الذي هو ألم البطن، هيا لك أصناف النعم من المآكل الشهية، وجنبك ذل البطن من الجوع، وهما متناسبان ﴿وَلَا﴾: حرف نفي ﴿تَعْرِى﴾: وجنبك ألم وذل الظاهر، وهو العري، أي غياب الكساء.

﴿وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى﴾ (١١٩)

﴿و﴾: عطفاً على ذلك ﴿أَنَّكَ﴾: أنت تحديداً ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿تَظْمَأُ﴾: تشعر بالعطش؛ الذي يُسبب حرارة الجسد ﴿فِيهَا﴾: في الجنة يسقيك ربك، برزقك الماء ﴿و﴾: أيضاً ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿تَصْحَى﴾: وهذا يسبب حرارة الجسد الظاهر؛ ولا تتعرض للشمس فيصيبك حرها، إن الله ﷻ يحملك من حرّ الشمس؛ وجاءت أيضاً في قوله ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾ [الشمس-١]، جنبك الله ﷻ حرّ العطش الظمأ، فنفى ﷻ حرارة داخل وخارج جسم الإنسان.

﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى﴾ (١٢٠)

﴿ف﴾: بسبب تفضيل الله ﷻ لآدم ﷺ ﴿وَسْوَسَ﴾: همس الشيطان سراً وخلسة ﴿إِلَيْهِ﴾: إلى آدم ﷺ ﴿الشَّيْطَانُ قَالَ﴾: سراً، وسوسة ﴿يَا آدَمُ﴾: هو أبو البشر، قيل مسمى بذلك لكون جسده من أديم الأرض، وقيل بسمرة في لونه ﴿هَلْ﴾: حرف استفهام بهدف التشكيك ﴿أَدُلُّكَ﴾: أرشدك يا "آدم" ﴿عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ﴾: إذا أكلت منها لا تموت أبداً ﴿و﴾: أيضاً هل أدلك على ﴿مُلْكٍ لَّا﴾: حرف نفي ﴿يَبْلَى﴾: ملك لا ينقطع، ولا ينتهي.

التكليف: لقد كذب إبليس لعنه الله ﷻ، فكل الممالك تبلى؛ إلا ملك الله ﷻ.

﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتَ لهُمَا سَوَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ (١٢١)

﴿ف﴾: لهذا السبب ودون تردد ﴿أَكَلَا مِنْهَا﴾: أكل "آدم" وحواء عليهما السلام ﴿فَبَدَتَ﴾: ظهرت واضحة ﴿لَهُمَا﴾: تخصيصاً ﴿سَوَاتُهُمَا﴾: عوراتهما، وهي الأجهزة التناسلية الخارجية، لقد خلق الله ﷻ "آدم" ﷺ رجلاً طويل القامة، شعر رأسه كثيف؛ كأنه نخلة، فلما أكل من الشجرة؛ سقط عنه لباسه، فأول ما ظهر منه عورته، فبدأ يفر في الجنة يختفي، فناداه الله ﷻ: يا آدم مني تفر؟ ﴿و﴾: عطفاً على ما سبق ﴿طَفِقَا﴾: أخذ آدم وحواء ﴿يَخْصِفَانِ﴾: يلصقان الورق للغطاء ﴿عَلَيْهِمَا﴾: فوق أجسادهما ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ وبيان لتمييز النوع يفيد هنا ابتداء الغاية المكانية، وتفيد هنا بعض ﴿وَرَقِ﴾: أشجار ﴿الْجَنَّةِ﴾: قال مجاهد: يصنعان من الورق كهيئة الثوب، وقال ابن عباس: يجعلان ورق التين كالثوب ﴿وَعَصَى﴾: خالف

النهي سهواً أو بسوء تأويل ﴿أَدَمُ رَبُّهُ﴾: مالك أمره كله ﴿فَغَوَى﴾: تعدى على أمر الله ﷻ؛  
فوقع في المحرم، ولم ينته عن المنهي عنه.

﴿نَمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾ (١٢٢)

﴿نَمَّ﴾: حرفٌ يُفيد التتابع الزمني مع الترتيب، وليس فوراً ﴿اجْتَبَاهُ﴾: اصطفاه واختاره للرسالة  
﴿رَبُّهُ﴾: مالك أمره كله، وقربه ﴿فَ﴾: بسبب ذلك ﴿تَابَ عَلَيْهِ﴾: غفر وسامح ﴿وَهَدَى﴾: عَن  
أبي هريرة، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ فِيهِ الشَّمْسُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ  
أُدْخِلَ الْجَنَّةَ، وَفِيهِ أُخْرِجَ مِنْهَا، وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ»<sup>(١)</sup>. هنا إفادةٌ وربطٌ بين  
الاصطفاء والتوبة، وهي من فضل الله ﷻ على عباده.

﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا  
يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ (١٢٣)

﴿قَالَ﴾: الله ﷻ: ﴿اهْبِطَا مِنْهَا﴾: حرفٌ يُفيد بداية الغاية المكانية، أمر الله ﷻ آدم، وحواء،  
عليهما السلام، بالنزول من الجنة، وجاء النزول بمعنى أقل درجة، اخرجوا من هذه الحديقة  
ذات المكانة العالية، والرتبة الرفيعة، وانتقلوا إلى خارجها في هذه الأرض التي يلزم للعيش  
فيها المزيد من الكدِّ والكدح والسعي ﴿جَمِيعًا﴾: وأضاف إليهما إبليس لعنه الله ﴿بَعْضُكُمْ﴾:  
جزء منكم ﴿لِ﴾: حرف تخصيص ﴿بَعْضٍ﴾: جزء آخر ﴿عَدُوٌّ﴾: آدمٌ ﷺ وذريته في جانب  
التائبين، وإبليس وذريته في الجانب العاصي المعادي ﴿فَإِمَّا﴾: حرفٌ عطفٌ يُفيد الشك، ليس  
بالله ﷻ ولكن المقصود الخلق ﴿يَأْتِيَنَّكُمْ﴾: يصلكم بالتأكيد ﴿مِنِّي﴾: حرفٌ يُفيد بداية الغاية  
من الله ﷻ ﴿هُدًى﴾: معنى الهدى هنا هو الأنبياء والرسل وما يُوحى إليهم من الله ﷻ  
﴿فَ﴾: حرف استثنائي بهدف ترتيب الأمر ويفيد السرعة في التنفيذ ﴿مَنِ﴾: الذي من جنس  
العاقل ﴿اتَّبَعَ﴾: طبّق أوامر الله ﷻ ﴿هُدَايَ﴾: رسالاتي ﴿فَلَا﴾: أداة نهْيٍ تفيد طلب عدم  
الفعل وهو هنا الهدى ﴿يَضِلُّ﴾: لن يتوه في الدنيا ﴿وَلَا﴾: حرف نفي ﴿يَشْقَى﴾: قال ابن  
عباس: في الآخرة.

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ (١٢٤)

﴿وَمَنْ﴾: والذي من جنس العاقل ﴿أَعْرَضَ﴾: ابتعد ونأى ﴿عَنْ﴾: حرفٌ يُفيد المجاوزة  
﴿ذِكْرِي﴾: القرآن الكريم، الذي يخالف ديني وتلاوة كتابي، الذي هو الذكر، والعمل بما جاء

<sup>(١)</sup> سنن الترمذي ٣٥٩/٢ (٤٨٨) وقال: حديث حسن صحيح.



فيه وما أنزل الله ﷻ على رسوله، وتناساه، واحتكم لغيره ﴿فَإِنَّ﴾: حرف تأكيد الفعل وهو ﴿لَهُ﴾: تخصيصاً ﴿مَعِيشَةً﴾: حياة ﴿ضَنْكًا﴾: فقد الأمن والطمأنينة، وضاق الصدر؛ حتى وإن بدا ظاهره يتنعم، يبقى قلبه في قلقٍ وحيرةٍ، يتردد في شكّه ﴿و﴾: حرف عطفٍ يفيد هنا الحال ﴿نَحْشُرُهُ﴾: في الضيق والضغط ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾: قال "مجاهد والسدي": لا حجة له، وقال عكرمة: عمى عليه كل شيء؛ إلا جهنم؛ يُحْشَرُ فيها أعمى البصر.

﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا﴾ (١٢٥)

﴿قَالَ﴾: الكافر من أهل النار ﴿رَبِّ﴾: والرَّبُّ من أسمائه وصفاته ﷻ المنشئ للكون من حالٍ إلى حالٍ، وهو المُربي إلى حدِّ التمام، هنا اعترف الكافر بأنَّ الله ﷻ مالك أمره كله ﴿لِمَ﴾: لماذا ﴿حَشَرْتَنِي﴾: في هذا الزحام العظيم ﴿أَعْمَى﴾: لا أرى في يوم القيامة ﴿وَقَدْ﴾: حرف يفيد التأكيد والتحقق في الماضي ﴿كُنْتُ﴾: في الحياة الدنيا ﴿بَصِيرًا﴾: كنت في الدنيا مُبْصِرًا.

﴿قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى﴾ (١٢٦)

﴿قَالَ﴾: الله ﷻ ﴿كَذَلِكَ﴾: أيضًا مثل ذلك فعلت أنت، أو الأمر كذلك ﴿أَتَتْكَ﴾: مثل ذلك فعلت أنت، وصلت إليك رسالتي مع الأنبياء والدعاة ﴿آيَاتُنَا﴾: الأدلَّة والبراهين ﴿ف﴾: بسبب هذا ﴿نَسِيتَهَا﴾: لقد عرضت عنها في الحياة الدنيا عن آيات الله ﷻ، وتناسيتها، وتركتها ﴿و﴾: حرف عطفٍ يفيد هنا الحال ﴿كَذَلِكَ الْيَوْمَ﴾: يوم القيامة ﴿تُنْسَى﴾: فالجزاء من جنس العمل، تُعاملك معاملة المنسيِّ في الآخرة، فتترك في العمى والعذاب في النار، أمّا نسيان لفظ القرآن أي "الحفظ"، مع فهم معناه، والقيام بمقتضاه، فليس داخلًا في هذا الوعيد الخاص، وإن كان مُتوعداً عليه من جهةٍ أخرى، قال ﷻ: بِئْسَ مَا لِأَحَدِهِمْ أَنْ يَقُولَ نَسِيتُ آيَةَ كَيْتٍ وَكَيْتٍ، بَلْ نُسِيَّ وَاسْتَذَكَّرُوا الْقُرْآنَ، فَإِنَّهُ أَشَدُّ تَقْصِيًّا مِنْ صُدُورِ الرِّجَالِ مِنَ النَّعَمِ<sup>(١)</sup>.

﴿وَكَذَلِكَ نُجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأُنْبَى﴾ (١٢٧)

﴿و﴾: حرف يفيد هنا الاستئناف ﴿كَذَلِكَ﴾: هكذا أيضًا ﴿نُجْزِي﴾: بمثل هذا الجزاء نُجْزِي ونُعاقب ﴿مَنْ﴾: الذي من جنس العاقل ﴿أَسْرَفَ﴾: بالغ وانهمك في المحرّمات ﴿وَلَمْ﴾: حرف نفي ﴿يُؤْمِنَ﴾: أي كفر ﴿ب﴾: باء السببية ﴿آيَاتِ﴾: الأدلَّة والبراهين ﴿رَبِّهِ﴾: المُعبود، والمُربي، مالك أمر العالمين في الدنيا وفي الآخرة ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ﴾: القيامة ﴿أَشَدُّ﴾: فإنَّ عذاب يوم القيامة أشدُّ من عذاب الدنيا ﴿وَأُنْبَى﴾: وأدوم، فهم فيه خالدون.

(١) صحيح البخاري ١٩٣/٦ (٥٠٣٢).

﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِينِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى﴾ (١٢٨)

﴿أَفَلَمْ﴾: أداة استفهامٍ للتقريع والتوبيخ ﴿يَهْدِ﴾: ألم يتبين ﴿لَهُمْ﴾: ويفهموا، جاء اللفظ القرآني "هدى" على سبعة عشر وجهًا؛ هنا بمعنى البيان ﴿كَمْ﴾: تعيد كثرة الأمم التي ﴿أَهْلَكْنَا﴾: زالت في الدنيا ﴿قَبْلَهُمْ﴾: في العصور السابقة ﴿مِنْ﴾: حرفٌ يُفيد بداية الغاية الزمانية والمكانية ﴿الْقُرُونِ﴾: أعدادًا كثيرة من المكذبين بالرسول من قبلهم ﴿يَمْشُونَ فِي مَسَاكِينِهِمْ﴾: "يمشون" هنا بمعنى "يمزّون" على قرى الكافرين الذين أهلكهم الله ﷻ الذين زالوا، ولم يبق لهم أثر؛ وبيوتهم خاوية ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿فِي ذَلِكَ﴾: إشارة للبعيد ﴿لآيَاتٍ﴾: ما أصاب هذه الأمم أدلة وبراهين وشواهد ﴿ل﴾: حرف علّة وسبب ﴿أُولِي﴾: لأصحاب ﴿النُّهَى﴾: العقول السليمة المستنيرة، والقلوب المستقيمة.

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزِمَامًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى﴾ (١٢٩)

﴿وَلَوْلَا﴾: حرفٌ يفيد الامتناع لوجود سببٍ ﴿كَلِمَةٌ سَبَقَتْ﴾: قضاها الله ﷻ سابقًا وهي وعده ﷻ بتأخير عذاب هذه الأمة إلى الدار الآخرة ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ وبيان لتمييز النوع يفيد هنا ابتداء الغاية الكلية ﴿رَبِّكَ﴾: من مالك أمرك كله، وهي ألا يعذب الله ﷻ أحدًا إلا بعد قيام الحجة عليه، وأيضًا انقضاء الأجل ﴿ل﴾: حرف سبب ﴿كَانَ لِزِمَامًا﴾: لعجل وجاءهم العذاب بغتة دون تأخير، كما جاء الأمم السابقة ﴿وَأَجَلٌ﴾: مصيرٌ ﴿مُسَمًّى﴾: قيام الساعة، وقد يكون المقصود الموعد الذي ضربه الله ﷻ لهؤلاء المكذبين أن يعيشوا إلى مدة معينة.

﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى﴾ (١٣٠)

﴿ف﴾: حرف استثنائي بهدف السبب وترتيب الأمر ويفيد السرعة في التنفيذ ﴿اصْبِرْ عَلَىٰ مَا﴾: الذي ﴿يَقُولُونَ﴾: توجية ربّاني لمحمد ﷺ، وأتباعه إلى يوم الدين، الصبر على ما يقولون؛ لأنهم سيسمعون من الملحدين والمشركين، وأعداء الدين كلاً كثيراً، وأوصافاً مثل: الرجعيين، والظالمين، والإرهابيين، والأصوليين، والمتطرفين، والمتخلفين، وكله بسبب تكذيبهم بالدين، وبالمتدينين ﴿و﴾: عطفاً على ذلك ﴿سَبِّحْ﴾: نزه الله ﷻ عن النقائص، واذكر فضله عليك واشكره، وأد الصلاة وأنت تحمد الله ﷻ ﴿بِ﴾: بآء المصاحبة ﴿حَمْدِ﴾: الثناء على ﴿رَبِّكَ﴾: المعبود، والمُرَبِّي، مالك أمرك كله ﴿قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ﴾: في صلاة "الفجر" ﴿و﴾: حرف عطف يفيد هنا الحال ﴿قَبْلَ غُرُوبِهَا﴾: أي صلاة "العصر"، قال ﷻ:

"لَنْ يَلِجَ النَّارَ أَحَدٌ صَلَّى قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، وَقَبْلَ غُرُوبِهَا"<sup>(١)</sup>، ﴿وَمِنْ﴾: أيضًا جزءًا أو بعضًا ﴿أَنَاء﴾: ساعات أو وقت ﴿اللَّيْلِ فَ﴾: حرفٌ يُفيد السبب والتتابع السريع ﴿سَبَّح﴾: نزه الله ﷻ عن النقائص، فتهجد به، وقيل المغرب والعشاء ﴿وَأَطْرَافَ النَّهَارِ﴾: كما في آناء الليل ما يقابله في النهار ﴿لَعَلَّكَ﴾: حرفٌ يُفيد التوقع والرجاء ﴿تَرْضَى﴾: مصداقًا لقوله ﷻ: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ [الضحى-٥]، قال الرسول ﷺ: " إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ؟ فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ، فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لَا نَرْضَى وَقَدْ أُعْطِينَا مَا لَمْ نَعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، فَيَقُولُ: أَنَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالُوا: يَا رَبِّ، وَآيُ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: أَحَلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي، فَلَا أَسْحَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا"<sup>(٢)</sup> اللهم اجعلنا منهم.

﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقَ رَبِّكَ﴾  
 حَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ (١٣١)

﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾: لا تنظر ولا تشتغل عن الصلاة بالبحث عن الرزق، لا تطمع في ﴿إِلَىٰ مَا﴾: الذي ﴿مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا﴾: أصنافًا ﴿مِنْهُمْ﴾: من الكفار المترفين ونظرائهم، وقال مجاهد: الأغنياء ﴿زَهْرَةَ﴾: زينةٌ ومُتَعًا، هنا تشبيهه تمثيلي يشبه فيه الحق ﷻ ﴿الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: من المال، والجاه والسلطان بالزهر الجميل الذي يذبل ويجف، قال مجاهد: هي بركات الأرض، وقال قتادة، والسدي: زينة الحياة الدنيا ﴿ل﴾: حرف يفيد السبب ﴿نَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾: نختبرهم، ونبتلهم بذلك؛ أيشكرون أم يكفرون ﴿و﴾: عطفًا على ما سبق وللتخيير ﴿رِزْقُ﴾: كرم وعطاء ﴿رَبِّكَ﴾: مالك أمرك ﴿حَيْرٌ أَبْقَى﴾: أفضل من متاع الدنيا، وأدوم وأطول ثوابًا وهو ما أعدّه الله ﷻ له في الآخرة.

﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ (١٣٢)  
 ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ﴾: أطلب من أهل بيتك، وقيل جميع أمتك، أمرًا وليس رجاءً؛ أنقذ أهلك من عذاب الله ﷻ ﴿ب﴾: حرف باء الصلوة والتوكيد ﴿الصَّلَاةِ﴾: فمن الصلاة النجاة من النار ﴿وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾: وأيضًا اصبر على أدائها؛ أنت القدوة ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿نَسْأَلُكَ﴾: نرجو أو نطلب منك مالا؛ هنا نفي من الله ﷻ أن يكون الرزق من عند غيره ﴿رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ﴾: نحن نعطيك المال، إذا أقيمت الصلاة أتاك الرزق من حيث لا تحتسب، قال "الثوري": لا

(١) صحيح مسلم ٤٤٠/١ (٦٣٤).

(٢) صحيح البخاري ١١٤/٨ (٦٥٤٩).

نكلفك الطلب، وقال "ثابت": عند المصاب؛ أمر النبي ﷺ أن نفعز إلى الصلاة، وقيل: بسبب لك الغنى **﴿وَالْعَاقِبَةُ﴾**: النهاية السعيدة **﴿لِلتَّقْوَى﴾**: تخصيص عبادة الله ﷻ بيقين. التكليف: قال الرسول ﷺ: "يقولُ اللهُ "يا ابنَ آدمَ تَقَرَّعْ لِعِبَادَتِي، أَمَلًا صَدْرَكَ غَنَى، وَأَسَدًّا فَفَرَكَ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ، مَلَأْتُ صَدْرَكَ شُغْلًا، وَلَمْ أَسُدِّ فَفَرَكَ" (١)

**﴿وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ أَوْلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةٌ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾ (١٣٣)**

**﴿وَقَالُوا﴾**: هم الكفار **﴿لَوْلَا﴾**: هنا استفهام، بمعنى هلا حرف شرط يدل على امتناع أمر لوجود غيره **﴿يَأْتِينَا﴾**: أن يأتي لنا محمد ﷺ **﴿بِآيَةٍ﴾**: بعلامة و دليل **﴿مِنْ رَبِّهِ﴾** بعلامة أو دليل صدقه من ربه أنه رسول الله، كما فعل الأنبياء من قبله. ويدحض الله ﷻ كذبهم؛ فيقول **﴿أَوْلَمْ﴾**: هنا جاء الاستفهام والاستنكار **﴿تَأْتِهِمْ﴾**: ألم تصل إليهم **﴿بَيِّنَةٌ﴾**: الدليل وهو القرآن الكريم **﴿مَا﴾**: الذي **﴿فِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾**: القرآن العظيم الذي أنزله الله ﷻ على نبي أمي، لا يكتب، ولم يخالط أهل الكتب؛ حتى لا يُقال إنه أخذ من هذا الكتاب من المعجزات ما لم يُحدِّ بحدود، ولا يُحصيه بشر.

التكليف: إن طلب الكافرين للآيات ليس بسبب نقصها، ولكن هروباً من الإيمان.

**﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنُنَبِّئَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نُنْزِلَ وَنَخْزِي﴾ (١٣٤)**

**﴿وَلَوْ﴾**: حرف يُفيد هنا امتناع القول لامتناع وقوع الفعل، وهو هنا الهلاك **﴿أَنَّا﴾**: أننا، والمقصود هو الله ﷻ **﴿أَهْلَكْنَاهُمْ﴾**: جاءت بصيغة الجمع لعظم الفعل، لو ذهب الله ﷻ بهؤلاء المشركين وأبادهم **﴿بِ﴾**: حرف باء المجاوزة **﴿عَذَابٍ مِنْ﴾**: حرف يفيد بداية الغاية الزمانية **﴿قَبْلِهِ﴾**: قبل أن يُنزل على "محمد" ﷺ القرآن الكريم ويضعه أمامهم **﴿لَقَالُوا﴾**: يوم القيامة معتذرين عن كفرهم، ولا احتجوا، وقالوا **﴿لَوْلَا﴾**: حرف شرط يدل هنا على امتناع الشيء لوجود غيره **﴿أَرْسَلْتَ﴾**: بعثت **﴿إِلَيْنَا﴾**: تحديداً **﴿رَسُولًا فَنُنَبِّئَ آيَاتِكَ﴾**: حتى نؤمن به ونتبعه **﴿مِنْ قَبْلِ﴾**: قبل الإثبات بالبيينة قبل أن تُهلكنا **﴿أَنْ﴾**: حرف تأكيد الفعل **﴿نُنْزِلَ﴾**: نهون **﴿وَنَخْزِي﴾**: قبل افتضاح أمرنا في الآخرة، كنا آمنًا وكنا تجنبنا الذل والخزي يوم القيامة وهم كذابون، متعنتون، معاندون، إن جاءهم الدليل رفضوا، وإن لم يأتهم احتجوا بعدم وجود الآيات.

(١) سنن ابن ماجه ١٣٧٦/٢ (٤١٠٧)، قال الترمذي ٦٤٢/٤: حديث حسن غريب، وصححه الحاكم في المستدرک ٤٨١/٢ ووافقه الذهبي.

﴿قُلْ كُلُّ مُتَرَبِّصٍ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى﴾ (١٣٥)

﴿قُلْ﴾: أمرٌ ربَّانيٍّ لمحمدٍ ﷺ أن يقول للمشركين ﴿كُلُّ﴾: كلُّ طرفٍ ﴿مُتَرَبِّصٌ﴾: من الرَبِصِ وتعني الانتظار لأمرٍ يُنتظر زواله أو حصوله، الكلُّ ينتظرُ مصيره ومآله، نحن وانتم ﴿فَتَرَبَّصُوا﴾: لهذا السبب فانظروا مآلكم ﴿ف﴾: وللسبب الذي جاء، وفي تتابع سريع ﴿س﴾: حرفٌ يُفيد حدثًا يتحقق في المستقبل ﴿تَعْلَمُونَ مَنْ﴾: الذي من جنس العاقل ﴿أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ﴾: من هم الذين لم يضلُّوا عن الطريق المستقيم ﴿و﴾: حرفٌ عطْفٍ يفيد هنا الحال ﴿مَنْ﴾: ضلَّ ثم ﴿اهْتَدَى﴾: الذي عرف طريق الحق والرشاد، ففاز بجنته ربِّه، كما سيعرف أهل الضلال ما أوردتهم كفرهم، جاء في المعنى ﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَنِ الْكُذَّابُ الْأَشْرُ﴾ [القمر-٢٦].

التكليف: بدراسة مقاصد هذه السورة الكريمة؛ ندرك كيف تقوى وتحصن النبي ﷺ والدعاة من بعده بما جاء في الماضي على الأمم السابقة.



هكذا سمَّاها السلف الصالح، ولا يُعرف لها اسم غيره؛ ووجه التسمية أنه جاء فيها ذكرُ أسماء ستة عشر نبيًّا، وهي سورةٌ مكِّيَّةٌ بالاتفاق، وهي في الترتيب الحادي والسبعين في ترتيب النزول، نزلت بعد "حم" السجدة وقبل سورة النحل، وعدد آياتها مائة واثنتا عشرة آية، في عدِّ أهل الكوفة.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ (١)

﴿اقْتَرَبَ﴾: دنا وقرب ﴿لِلنَّاسِ﴾: جاء لفظ الناس وهم بني آدم، وهنا على وجه التخصيص أهل مكَّة، وسياق السورة يؤكد ذلك ﴿حِسَابُهُمْ﴾: يوم القيامة، يوم الثواب والعقاب، مما بقي من الدنيا هو أقلُّ مما مضى ﴿و﴾: وحرف واو الحال لأنَّ حالهم ﴿هُم﴾: ضميرٌ منفصلٌ مرفوعٌ للجمع المذكر والمؤنث الغائب؛ للتحديد والتخصيص والتأكيد ﴿فِي غَفْلَةٍ﴾: جاء لفظ الغفلة بصورة نكرةٍ للتعظيم والتهويل، هم الذين تلهيهم الدنيا؛ جعلتهم في غيابٍ عن اليوم الموعود، والغفلة هي سهوٌ يعتري الإنسان؛ من قلة التحفظ والنتيظ ﴿مُعْرِضُونَ﴾: غير

مستعدين للحساب؛ رافضون العمل بما نزل وحياً على رسوله ﷺ، منشغلون بالدنيا عن الآخرة؛ غير أبيهين لها.

### ﴿ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴾ (٢)

﴿ مَا ﴾: حرف نفي ﴿يَأْتِيهِمْ﴾: بالوحي الذي ينتزل على النبي بشأن الكفار ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ وبيان لتمييز النوع يفيد هنا ابتداء الغاية المكانية ﴿ذِكْرٍ﴾: هو القرآن الكريم ﴿مِنْ رَبِّهِمْ﴾: هو ﷺ المعبود، والمُرَبِّي، مالك أمرهم كلّهُ ﴿مُحَدَّثٍ﴾: من آياتٍ جديدةٍ تنزل بالوحي؛ لم يكن يعلمها الرسول ﷺ قبل أن ينزل جبريل عليه السلام، ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناءٍ ﴿اسْتَمَعُوهُ﴾: استمعوا إليه يفيد الخصوص الذي يستدعى القصد إلى السماع، فإذا أعرضوا عنه بعد قصدهم استماعه فأحرى بهم أن يُعرضوا عنه إذا سمعوه من غير قصدٍ إلى استماعه ﴿وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾: يسمعونه سماع من لا يعقل المعاني الحقيقية، قال ابن عباس: يسألون اليهود والنصارى وأهل الكتاب عنه، وهم يعرفون أنهم حرّفوه وزادوا عليه ونقصوا منه، والقرآن أحدثٌ من التوراة والإنجيل، والقرآن لم يُحرّف، ولم يُبدل.

### ﴿ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسْرَأُ النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ﴾ (٣)

﴿ لَاهِيَةً ﴾: منصرفاً مشغولةً، وهذا من الذم الصريح للكفار، وزجر لأمثالهم الذين لم ينتفعوا بمصدر سعادتهم ومنفعتهم في الدنيا والآخرة؛ لأنّ ﴿قُلُوبُهُمْ﴾: التي هي مركز الوعي والإدراك، المقصود قلوب الكفار المنكرين للرسالة، قلوبهم غافلةٌ منصرفاً يُكذّبون، لم تلتفت إلى ذلك الأمر المهم حقّ الالتفات ﴿و﴾: عطفاً على ما سبق ﴿أَسْرَأُ﴾: بالغوا في إخفاء ﴿النَّجْوَى﴾: تتاجبهم مع بعضهم بعضاً، فهم لا يرفعون أصواتهم، بل يتهامسون بينهم سرّاً ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع من ﴿ظَلَمُوا﴾: أنفسهم بكفرهم ﴿هَلْ﴾: حرف استفهامٍ للشك ورضه الأمر هنا ﴿هَذَا﴾: يقصدون محمداً ﷺ ما هو ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناءٍ ﴿بَشْرٌ﴾: من بني آدم ﴿مِثْلُكُمْ﴾: أنكروا على بشرٍ مثلهم أن يكون رسولاً، فلماذا يُوحى إليه من دونهم؟ ﴿أ﴾: حرف استفهامٍ بغرض الإنكار والتعجب ﴿ف﴾: حرف يفيد السبب وبدون تأخير ﴿تَأْتُونَ﴾: تقبلون، وتمارسون ﴿السِّحْرَ﴾: عدواً ما نزل من القرآن ما جاء على محمدٍ ﷺ فهل تقبلون السحر وتتبعونه ﴿وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾: يتهمون الرسول ﷺ، ومن اتبعه كمن يأتي السحر، وهو بشر مثلهم.

### ﴿ قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (٤)

﴿قَالَ رَبِّي﴾: ولأن القول هو أعمُّ فهو يُطلق على السرِّ والجهرِ، ويطلق على اللفظي والنفسي، والقائل هو محمد ﷺ؛ يُؤكد أن الله ﷻ ربّه مالك أمره ﷻ ﴿يَعْلَمُ﴾: علم صاحب الصنعة لصنعته ﴿الْقَوْلُ﴾: هو ﷻ الذي يعلم علم يقينٍ ما يُقال ﴿فِي السَّمَاءِ﴾: هي كلّ ما علا الأرض وأحاط بها؛ لكونها ببيضاوية الشكل ﴿و﴾: أيضًا يعلم ما في وما على ﴿الْأَرْضِ﴾: ما يُقال في السماء، وما يُقال في الأرض؛ يعلمه الله ﷻ، أنزل القرآن فيه خيرُ الأولين، والآخرين ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾: الذي يسمع أقوال المخلوقات كلها ﴿الْعَلِيمُ﴾: الذي يعلم أحوال المخلوقات كلها، وفي ذكر السميع العليم، تهديدٌ للمكذبين.

﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلْ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوْلُونَ﴾ (٥)

﴿بَلْ﴾: حرف ينفي ما قبله؛ ويؤكد ما بعده ﴿قَالُوا﴾: يُخبر الله ﷻ عن الكافرين أقوالهم وأفعالهم، عمّا قالوه عن الوحي ﴿أَضْغَاثُ﴾: رؤى وتخيّلاتٌ وخلطٌ ما لم يكن له تأويل ﴿أَحْلَامٍ﴾: بعدما وصفوه بالسحر؛ قالوا: رؤى أحلام ليست حقيقة من تلقاء نفسه، من غير أن يكون له أصلٌ ﴿بَلْ افْتَرَاهُ﴾: يقصدون القرآن؛ أي اختلقه محمد من عنده ﷺ ﴿بَلْ هُوَ﴾: محمد ﷻ ﴿شَاعِرٌ﴾: أي أن القرآن نظمٌ وافتراءٌ إنسان، هذه الأقوال تدلُّ على حال الكافرين المضطرب، فالقول الثاني، الافتراء، أفسد من الأول، والقول الثالث أفسد من الثاني ﴿ف﴾: وبسبب هذا التردد قالوا ﴿لْيَأْتِنَا﴾: يجيء لنا ﴿ب﴾: حرف باء الجنس ﴿آيَةٍ﴾: دليلٌ أو برهانٍ ﴿كَمَا﴾: مثلما ﴿أُرْسِلَ الْأَوْلُونَ﴾: طلب أهل مكة من النبي ﷺ قالوا: ادع لنا ربك أن يجعل لنا الصفا ذهبًا، ونؤمن بك، قال: وَتَقُولُونَ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: فَدَعَا، فَأَتَاهُ جِبْرِيْلُ فَقَالَ: إِنَّ رَبَّكَ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ، وَيَقُولُ: إِنَّ شَيْئًا أَصْبَحَ لَهُمُ الصَّافَا ذَهَبًا، فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْهُمْ عَذَابُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ، وَإِنْ شِئْتَ فَتَحْتُ لَهُمْ بَابَ التَّوْبَةِ وَالرَّحْمَةَ، قَالَ: بَلْ بَابُ التَّوْبَةِ وَالرَّحْمَةِ<sup>(١)</sup>.

﴿مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ﴾ (٦)

﴿مَا﴾: حرف نفي ﴿آمَنَتْ﴾: أيقنت واعتقدت ﴿قَبْلَهُمْ مِنْ﴾: يعدّ حرف من زائدًا، ولكنه هنا جاء لتوكيد النفي من ناحية المعنى، وهو حرفٌ يفيد هنا بداية الغاية المكانية ﴿قَرْيَةٍ﴾: ما جاء أهل قرية من الأمم قبلهم رسولٌ وكذّبوه، ولم يؤمنوا بما جاء إلا ﴿أَهْلَكْنَاهَا﴾: دمرناها وأزلناها من الوجود ﴿أ﴾: حرفٌ استفهامٌ بغرض الإنكار والتعجب ﴿فَهُمْ﴾: تحديدًا ﴿يُؤْمِنُونَ﴾: يُصدقون؟ الذين اقترحوا أن يأتي الرسول بآيات فهل سيؤمن هؤلاء بالآيات لو

(١) مسند أحمد ٦٠/٤ (٢١٦٦)، قال الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

رأوها؟ والإجابة: كلاً، هؤلاء لَنْ يُؤْمِنُوا ولو جاءتهم كلُّ آيةٍ حتى يروا العذاب الأليم، هذا ما جرى في الأقوام من قبلهم.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٧)

﴿و﴾: حرفٌ عطفٍ يفيد هنا الحال ﴿مَا﴾: حرف نفي، بمعنى إلا ﴿أَرْسَلْنَا﴾: كلفنا وأرسلنا ﴿قَبْلَكَ﴾: في الأمم السابقة حرفٌ استثناءٍ ﴿إِلَّا رِجَالًا﴾: كلُّ الذين أرسلوا قبل محمد ﷺ كانوا رجالاً من البشر، ليس فيهم ملائكة، ولا فيهم نساء ﴿نُوْحِي إِلَيْهِمْ﴾: كان الوحي يتنزل على الأنبياء والرسل من الله ﷻ ﴿ف﴾: حرف استثنائي بهدف ترتيب الأمر ويفيد السرعة في التنفيذ ﴿اسْأَلُوا أَهْلَ﴾: أصحاب ﴿الذِّكْرِ﴾: وهم أهل العلم بهذا الأمر، وهم أهل الكتاب، أهل التوراة التي نزلت على اليهود، وأهل الإنجيل وهم النصارى ﴿إِنْ﴾: حرف شرط ﴿كُنْتُمْ لَا﴾: حرف نفي ﴿تَعْلَمُونَ﴾: يُنكِرُ اللهُ ﷻ عليهم سؤالهم؛ لأنهم يعلمون.

﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ﴾ (٨)

﴿وَمَا﴾: حرف نفي ﴿جَعَلْنَاهُمْ﴾: خلقناهم ﴿جَسَدًا﴾: أصحاب أجساد لا حياة فيها، كالجثة ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ﴾: بمعنى أن الله ﷻ خلقهم أجساداً يأكلون الطعام، ويشربون ويدخلون الأسواق؛ فالأنبياء كباقي البشر لا يستغنون عن الطعام والشراب ﴿وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ﴾: لم يُخَلدوا في الدنيا، إنهم ماتوا بعد أن عاشوا، إنهم بشر، وخصَّهم الله ﷻ أنهم يتلقون الوحي، وينقلون أوامر الله ﷻ ونواهيهِ إلى النَّاسِ.

﴿ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ﴾ (٩)

﴿ثُمَّ﴾: بمرور الزمن ﴿صَدَقْنَاهُمْ﴾: تحقق ﴿الْوَعْدَ﴾: ما وعدناهم به ﴿ف﴾: حرف يفيد السبب ﴿أَنْجَيْنَاهُمْ﴾: ونجينا الرسل والأنبياء ﴿و﴾: أيضاً نجينا ﴿مَنْ﴾: النَّاسِ ﴿نَشَاءُ﴾: ونجينا الذين اتبعوهم من المؤمنين ﴿و﴾: عطفاً على هذا ﴿أَهْلَكْنَا﴾: دمرنا ﴿الْمُسْرِفِينَ﴾: أهْلَكْنَا الَّذِينَ تَجَاوَزُوا وَبَالَغُوا فِي ظَلْمِهِمْ أَنْفُسَهُمْ بِكُفْرِهِمْ، وَتَكْذِيبِهِمْ بِمَا جَاءَ بِهِ الْمُرْسَلُونَ.

﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (١٠)

﴿لَقَدْ﴾: حرف إثبات ما حدث أقوى ما يكون في الماضي والمضارع، ولا تعيد في المستقبل ﴿أَنْزَلْنَا﴾: يقول الحقُّ ﷻ بلغة الجمع؛ للتعظيم ﴿الْإِنْشَاءَ كِتَابًا﴾: هو القرآن الكريم ﴿فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾: جاء اللفظ القرآني "الذكر" على ستة عشر وجهاً؛ هنا بمعنى الشرف، وبمعنى مكارم أخلاقكم، ومحاسن أعمالكم، وجاء في قوله ﷻ ﴿وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون-٧١]، قال ابن



عباس: شرفكم، وقال مجاهد: حديثكم، وقال الحسن: دينكم، والواضح أنه الكتاب الذي يرفع شأن المسلمين، ويُعلي نكرهم، ويشرفهم، ويزكيهم، ويطهرهم ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾: هنا استفهام بغرض التوبيخ والإنكار عليهم موقفهم؛ ألا تُدركون فضل هذه النعمة وتقبلوها؟

﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ (١١)

﴿و﴾: أيضًا ﴿كَمْ﴾: تفيد العديد مثل ما جاء: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ﴾ [الإسراء-١٧] ﴿قَصَمْنَا﴾: كسرنا، ودمرنا، وأهلكنا، وذلك عبارة عن الهلاك القاصم ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ وبيان لتمييز النوع يفيد هنا ابتداء الغاية المكانية ﴿قَرْيَةٍ﴾: أعددًا من القرى ﴿كَانَتْ ظَالِمَةً﴾: ظلمت أنفسها بكفرها ﴿و﴾: عطفاً على هذا ﴿أَنْشَأْنَا﴾: خلقنا وكلفنا ﴿بَعْدَهَا قَوْمًا﴾: جماعة أصحاب عقيدة واحدة، أو من مصدر عرقي واحد ﴿آخَرِينَ﴾: جاءت بعدها أمم أخرى.

﴿فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ﴾ (١٢)

﴿فَلَمَّا﴾: حرف يُفيد التتابع مع السبب ﴿أَحَسُّوا﴾: تيقنوا، وأدركوا ﴿بَأْسَنَا﴾: وأدركت حواسهم الحقيقة أنّ عذابنا واقع بهم لا محالة ﴿إِذَا﴾: أداة ربط بين إحساسهم ببأس الله ﷻ وبين ﴿هُمْ مِنْهَا﴾: من القرية ﴿يَرْكُضُونَ﴾: يهربون.

﴿لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَىٰ مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ﴾ (١٣)

﴿لَا﴾: حرفُ نهي ﴿تَرْكُضُوا﴾: نداءً على وجه السخرية: لا تهربوا، ﴿وَارْجِعُوا﴾: وعطفاً على هذا عودوا، ﴿إِلَىٰ مَا﴾: الذي ﴿أُتْرِفْتُمْ فِيهِ﴾: عودوا لحالتكم قبل العذاب، حيث الترفُّ، والنعيم؛ والبطرُ إذا استطعتم ﴿وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ﴾: تفيد الترجي إذا جاءت من البشر، وتفيد التحقّق إذا كانت من الله ﷻ ﴿تُسْأَلُونَ﴾: يوبخهم الله ﷻ، عودوا حتى نسألكم: هل شكرتم نعم الله؟

﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ (١٤)

﴿قَالُوا يَا﴾: حرف نداء ﴿وَيْلَنَا﴾: عذابنا، اعترفوا على أنفسهم بالظلم الموجب للعذاب بسبب ذنوبهم، لما رأوا ويلات العذاب، الذي لم يصدقوه، وقالوا يا عذابنا، وهلاكنا، ومصيبتنا ﴿إِنَّا﴾: نحن بالتأكيد، اعترفوا على أنفسهم ﴿كُنَّا﴾: في الدنيا ﴿ظَالِمِينَ﴾: اعترفوا على سبيل الندم الذي لا ينفَع؛ بظلمهم لأنفسهم عندما كفروا؛ هذا ندمٌ يوم لا ينفَع الندم.

﴿فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ﴾ (١٥)

﴿فَمَا﴾: حرف يُفيد النفي لأنها اتصلت بواحدةٍ من أخوات كان: ما زال، ما فتى، ما انفك، ما برح ﴿زَالَتْ﴾: استمرت ﴿تِلْكَ﴾: إشارةً للمؤنث المفرد والبعيد ﴿دَعَاَهُمْ﴾: أي قولهم يا ويلنا، اعترافاتهم بظلمهم لأنفسهم ﴿حَتَّى﴾: حرف جرّ يدلُّ على انتهاء الغاية الشرطية، أي لن يُصدقوا إلا بشرط أن ﴿جَعَلْنَاَهُمْ حَصِيدًا﴾: تشبيهه بليغ، جعلهم كالزرع المحصود بالمناجل؛ تدميرهم، وزوالهم، كما يُحصد النبات ﴿خَامِدِينَ﴾: كالنار التي أكلت بعضها وأخمدت؛ سكنت حركاتهم، وتوقفت أنفاسهم، وخدمت أصواتهم تمامًا كما تُطفأ النار.

### ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ﴾ (١٦)

﴿وَمَا﴾: حرف نفي ﴿خَلَقْنَا﴾: أوجدنا من غير سابق وجود ﴿السَّمَاءَ﴾: هي كلُّ ما علا الأرض وأحاط بها؛ لكونها كروية الشكل، هذا الملكوت الذي كشف العلم الحديث عظمته، ودقّة صنعه، وبديع وظائفه ﴿و﴾: أيضًا خلقنا ﴿الْأَرْضَ﴾: بحجمها، ودورانها، وترتيبها، ودورة المياه فيها، وآلاف الخصائص البديعة لها وفيها ﴿وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ﴾: لم يخلق الله ﷻ السماء والأرض إلا بالعدل والقسط، ليس لعبًا، ولا لهوًا؛ بل لغاية عظيمة.

### ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهُمْ لَاتَّخِذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ (١٧)

﴿لَوْ أَرَدْنَا﴾: حرف يُفيد الاستحالة للبشر ولكن لا مستحيل على الله ﷻ ﴿أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿نَتَّخِذُ﴾: نُوجد و نعتدُّ ﴿لَهُمْ﴾: قال حسن وقتادة: اللهو هنا بمعنى المرأة بلسان أهل اليمن، وقال إبراهيم النخعي: من الحور العين، وقال عكرمة والسدي: الولد، وهذا يعني لو أراد ولدًا؛ لأراد زوجة؛ ﷻ الله عما يصفون ﴿لَاتَّخِذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا﴾: من عندنا، وما كنا خلقنا جنّة ولا نارًا، ولا موتًا، ولا بعثًا، ولا حسابًا ﴿إِنْ﴾: قيل من بعض المفسرين هي هنا للنفي، وقد تكون هي للشرط لأنها حرف شرط ﴿كُنَّا﴾: من قبل في الماضي ﴿فَاعِلِينَ﴾: ما كنا لنفعل هذا اللهو، ولم نتخذ صاحبةً ولا ولدًا؛ لأنّ أفعالنا حق، لا عبث فيه.

### ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ (١٨)

﴿بَلْ﴾: حرف ينفي ما قبله؛ ويؤكد ما بعده ﴿نَقْذِفُ﴾: هنا استعارة تمثيلية، فيها تشبيه الحق بشيءٍ صلبٍ جامدٍ نرمي ﴿بِالْحَقِّ﴾: المقصود هو القرآن الكريم؛ نرمي بالحق وحيًا إلى الرسل، ونوضح الحق ﴿عَلَى الْبَاطِلِ﴾: نسلطه على الشيطان ومنهج أهل الكفر ﴿ف﴾: يفيد السبب والتنفيذ السريع ﴿يَدْمَغُهُ﴾: الدماغ هو شقّ الرأس، وبمعنى يتلفه، ويمحقه، ويزيله ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يُستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط بين ما بعدها بما قبلها ﴿هُوَ﴾: في اللغة يعني ضميرًا منفصلًا مرفوعًا للغائب المفرد المذكر، وهنا بمعنى الباطل

﴿زَاهِقٌ﴾: يذهب الباطل، زائل، مضمحلّ، كما يرمي الإنسان شيئاً فيكسره ويتلفه ﴿و﴾: حرف عطف يفيد هنا الحال ﴿لَكُمْ﴾: تمليكاً لكم يا من ادعيتم أن لله زوجة وولداً ﴿الْوَيْلُ﴾: الخزي، والعذاب، والهلاك، أيها المشركون وقيل هو وادٍ في جهنم ﴿مِمَّا﴾: بعض أو كلّ الذي ﴿تَصِفُونَ﴾: ما تقفرون على الله ﷻ بغير صفته اللاتقة به ﷻ.

﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾  
(١٩)

﴿وَلَهُ﴾: لله ﷻ ملك ﴿مَنْ﴾: حرف يفيد العاقل الذي تغلب على غيره؛ فالأولى به امتلاك غيره ويدخل في ذلك ما ﴿فِي السَّمَاوَاتِ﴾: هي كل ما علا الأرض وما حولها ﴿وَالْأَرْضِ﴾: ولله ﷻ كل ما في السماوات والأرض، وعنده الملائكة ﴿وَمَنْ﴾: الذي من جنس العاقل ﴿عِنْدَهُ﴾: من الملائكة ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يَسْتَكْبِرُونَ﴾: لا يستكفون، ولا يبالغون في التكبر، ﴿عَنْ﴾: تُقيد المجاوزة ﴿عِبَادَتِهِ﴾: طاعته ﴿وَلَا﴾: حرف نفي ﴿يَسْتَحْسِرُونَ﴾: ومنها الحسرة، التي هي الكلال والملل؛ لا تحسّر ولا كلل ولا ملل على ما فاتهم، لا يتعبون، أو يملّون، أو يعيون.

﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ (٢٠)

﴿يُسَبِّحُونَ﴾: ينزهون الله ﷻ دائماً عن النقائص ﴿اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾: ينفذون أوامره ﷻ مطيعين ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يَفْتُرُونَ﴾: لا يملّون ولا يتعبون ولا يعيون ولا يشغلهم العمل عن التسبيح؛ فالتسبيح عندهم كالتنفس، يعمل الإنسان وهو يتنفس، وتعمل الملائكة وهم يسبحون، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ جَزَأَ الْخَلْقَ عَشْرَةَ أَجْزَاءٍ، فَجَعَلَ تِسْعَةَ أَجْزَاءِ الْمَلَائِكَةِ، وَجُزْءًا سَائِرِ الْخَلْقِ، وَجُزْءًا الْمَلَائِكَةَ عَشْرَةَ أَجْزَاءٍ، فَجَعَلَ تِسْعَةَ أَجْزَاءِ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ وَجُزْءًا لِرِسَالَتِهِ، وَجُزْءًا الْخَلْقَ عَشْرَةَ أَجْزَاءٍ فَجَعَلَ تِسْعَةَ أَجْزَاءِ الْجِنِّ، وَجُزْءًا بَنِي آدَمَ، وَجُزْءًا بَنِي آدَمَ عَشْرَةَ أَجْزَاءٍ، فَجَعَلَ تِسْعَةَ أَجْزَاءٍ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَجُزْءًا سَائِرِ النَّاسِ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْخُبُكِ»، قَالَ: «السَّمَاءِ السَّابِعَةَ وَالْحَرَمَ بِحِيَالِهِ الْعَرْشِ»<sup>(١)</sup>.

﴿أَمْ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ﴾ (٢١)

﴿أَمْ﴾: حرف استفهام غرضه الإنكار والتأنيب لما يأتي بعدها بمعنى لا يصح للمشركين أن ﴿اتَّخَذُوا آلِهَةً﴾: عبدوا من دون الله آلهة، ﴿مِنْ﴾: حرف يفيد بداية الغاية المكانية وهي ﴿الْأَرْضِ هُمْ﴾: ضمير الغائب للجمع المذكور ﴿يُنْشِرُونَ﴾: هل هؤلاء الآلهة المُرزفة يُحيون

(١) المستدرک علی الصحیحین للحاکم ٤/٥٣٦ (١٥٠٦). وقال: صحیح الإسناد، ولم يُخرجاه. ووافقه الذهبي.

الموتى؟ جاء اللفظ النشور على أربعة أوجه؛ هنا بمعنى البعث، وجاءت أيضًا في قوله ﷻ ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا﴾ [الفرقان-٣]، هؤلاء الأصنام والأوثان لا تقدر على شيء، وقد جعلوها نداءً لله ﷻ، وأطاعوها، أو عبدوها معه؟

﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (٢٢)

﴿لَوْ﴾: حرف يُفيد الاستحالة ﴿كَانَ فِيهِمَا﴾: في السموات والأرض ﴿آلِهَةٌ﴾: معبود أو أكثر ﴿إِلَّا اللَّهَ﴾ غير الله ﷻ ﴿لَ﴾: حرف علة وسبب؛ لتنازعا على الملك والنتيجة ﴿فَسَدَتَا﴾: اختل النظام فيها وخربت الأرض والسماء بالتنازع، جاء اللفظ القرآني الفساد على ستة وجوه هنا بمعنى الهلاك؛ لهلكت السموات والأرض وجاء في قوله ﷻ ﴿وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون-٧١]، وفي قوله ﷻ ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ (الإسراء- ٤) ﴿فَ﴾: لهذا السبب ﴿سُبْحَانَ﴾: تنزهه، وتعالى عن النواقص ﴿اللَّهِ﴾: هو ﷻ صاحب ﴿رَبِّ الْعَرْشِ﴾: مالك أمر الكون ومالك العرش الذي بعرفه وحده ﷻ ﴿عَمَّا﴾: عن الذي ﴿يَصِفُونَ﴾: في قولهم وكذبهم عليه، أن له صاحبة، أو ولد، أو شريك.

التكليف: حرف لو يفيد امتناع الامتناع، بمعنى هنا امتناع الفساد لامتناع تعدد الآلهة.

﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ (٢٣)

إن من دلائل قدرته ﷻ بالخلق والعبادة أنه ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يُسْأَلُ﴾: لا يُحاسبه ﷻ أحد، فهو الحاكم الذي لا معقب لحكمه، لا يعترض عليه أحد؛ لعظمته وجلاله وكبريائه، وعدله ورحمته ﴿عَمَّا﴾: عن الذي ﴿يَفْعَلُ﴾: لا يراجعه أحد فيما قدر وقضى ﴿و﴾: عطفًا على ذلك ﴿هُمْ﴾: ضمير منفصل مرفوع للجمع المذكر والمؤنث الغائب؛ للتحديد والتخصيص والتأكيد ﴿يُسْأَلُونَ﴾: بل الله ﷻ هو الذي سيسأل خلقه عما عملوا، حسابًا، وثوابًا وعقابًا.

﴿أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرٌ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرٌ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ (٢٤)

﴿أَمْ﴾: حرف استفهامٍ غرضه النفي والاستنكار وبمعنى هل، كرر الله ﷻ هذا الإنكار استعظامًا للشرك؛ ومبالغةً في تقبيحه وذمه؛ لأنهم لا يملكون برهانًا، لا من جهة العقل، ولا من باب الشرع ﴿اتَّخَذُوا﴾: اعتمدوا هؤلاء المشركون ﴿مِنْ دُونِهِ﴾: غير الله ﷻ ﴿آلِهَةً﴾:

معبودات، يطلب الله ﷻ من محمد ﷺ أن يسألهم لماذا اتخذتم من دون الله آلهة؟ لا تنفع، ولا تضر، ولا تُحي، ولا تُميت ﴿قُل﴾: أمرٌ من الله ﷻ لنبيه ﷺ أن يسأل الكافرين ﴿هَاتُوا﴾: أظهروا وأبرزوا ﴿بُرْهَانَكُمْ﴾: جاء اللفظ القرآني برهان على وجهين هنا بمعنى الحجة والدليل أي أظهروا دليلكم على ذلك ﴿هَذَا﴾: إشارة إلى ما قاله الحق ﷻ ﴿ذِكْرٌ مِنْ﴾: الذي ﴿مَعِيَ﴾: جاء اللفظ القرآني الذكر على ستة عشر وجهًا، هنا بمعنى الخبر، أما دليلي فهو القرآن الكريم؛ الذي نزل علي محمد ﷺ ﴿وَذِكْرٌ مِنْ﴾: الذي من جنس العاقل ﴿قَبْلِي﴾: الكتب السماوية التي نزلت علي الرسل السابقين، وهي التوراة، والإنجيل، وكل كتاب نزل على نبي، قال لا إله إلا الله ﴿بَل﴾: حرف ينفي ما قبله؛ ويؤكد ما بعده ﴿أَكْثَرُهُمْ﴾: أغلب القوم ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يَعْلَمُونَ الْحَقَّ﴾: إن سمتمهم الجهل، والضلال؛ والتقليد، فلا يعرفون الحق المبين ﴿ف﴾: بسبب هذا ﴿هُم﴾: ضميرٌ منفصلٌ مرفوعٌ للجمع المذكر والمؤنث الغائب؛ للتحديد والتخصيص والتأكيد ﴿مُعْرِضُونَ﴾: لا يريدون أن يعرفوه، أو يؤمنوا به.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ (٢٥)

﴿وَمَا﴾: حرف نفي ﴿أَرْسَلْنَا مِنْ﴾: يفيد بداية الغاية الزمانية ﴿قَبْلِكَ مِنْ﴾: حرف يفيد بداية الغاية الزمانية ﴿رَسُولٍ﴾: هذا تقريرٌ لأمر التوحيد أن الله ﷻ لم يُرسل الله ﷻ رسولاً من الرسل من قبل محمد ﷺ ﴿إِلَّا﴾: حرفٌ استثناء ﴿نُوحِي إِلَيْهِ﴾: نكفّه ونبلّغه عن طريق الوحي، أن يطلب من الناس عبادة الله وحده، لا شريك له ويقول ﴿أَنَّهُ﴾: بالتأكيد ونفي الإنكار والشك ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿إِلَهَ﴾: لا معبود يستحق الطاعة ﴿إِلَّا﴾: باستثناء ﴿أَنَا﴾: الله ﷻ الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد ﴿ف﴾: لهذا السبب ﴿اعْبُدُونِ﴾: أطيعوني بالدليل والبرهان.

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ﴾ (٢٦)

كان العرب يقولون أن الملائكة بنات الله؛ فردت عليهم الآية ﴿و﴾: عطفاً على كفرهم ﴿قَالُوا اتَّخَذَ﴾: اختار، واصطفى الملائكة بنات ﴿الرَّحْمَنُ﴾: الله ﷻ عظيم الرحمة ﴿وَلَدًا﴾: يقصدون الملائكة هم عبادٌ مكرمون، وليسوا بنات الله ﷻ، لهم منازل، ومقامات سامية ﴿سُبْحَانَهُ﴾: تنزه الله ﷻ عن النواقص، وعن كذبهم أن يتخذ ولداً أو صاحبة ﴿بَل﴾: حرف ابطال ينفي ما قبله؛ ويؤكد ما بعده وهنا إثبات أن كل الخلق ﴿عِبَادٌ﴾: من خلق الله ﷻ ﴿مُكْرَمُونَ﴾: أكرمهم الله ورفع شأنهم بالرسالات وبالإيمان والتصديق، عن أبي هريرة ؓ،

قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: أَرَاهُ قَالَ اللَّهُ ﷻ: يَشْتَمُنِي ابْنُ آدَمَ، وَمَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَشْتَمَنِي، وَيُكَذِّبُنِي وَمَا يَنْبَغِي لَهُ، أَمَا شَتَّمُهُ فَقَوْلُهُ: إِنَّ لِي وَلَدًا، وَأَمَا تَكْذِيبُهُ فَقَوْلُهُ: لَيْسَ يُعِيدُنِي كَمَا بَدَأَنِي" (١).

﴿لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ (٢٧)

﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يَسْبِقُونَهُ﴾: لا تتقدم الملائكة ﴿بِالْقَوْلِ﴾: بقول شيء حتى يقوله، و يأمرهم به ﷻ، ولا يخالفون أوامره، يبادرون بالعمل، والفعل ﴿وَهُمْ بِ﴾: حرف باء السببية ﴿أَمْرِهِ﴾: تعاليمه ﴿يَعْمَلُونَ﴾: لا يخالفون أوامره ﷻ.

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفَعُونَ﴾ (٢٨)

﴿يَعْلَمُ﴾: الله ﷻ ﴿مَا﴾: الذي ﴿بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾: مستقبلهم ماذا سيحدث لهم، وماذا يفعلون، وماذا سيقولون في مستقبلهم ﴿و﴾: حرف عطف يفيد هنا الحال؛ يعلم ﴿مَا﴾: الذي ﴿خَلْفَهُمْ﴾: الذي سبق منهم من قولٍ أو عملٍ ﴿وَلَا﴾: حرف نفي ﴿يَشْفَعُونَ﴾: يطلبون الوساطة لأحدٍ ﴿إِلَّا﴾: باستثناء ﴿لِ﴾: حرف تخصيص ﴿مَنِ﴾: للذي من جنس العاقل ﴿ارْتَضَى﴾: لا يطلبون لغيرهم من الله شيئاً، إلا بإذن الله ﷻ ورضاه ﴿وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ﴾: من خوفهم من الله ﷻ ورهبتهم ﴿مُشْفَعُونَ﴾: حذرون، يخافون على أنفسهم غضب الله ﷻ.

﴿وَمَنْ يُقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكْ نَجْرِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ (٢٩)

﴿و﴾: حرف عطف يفيد هنا الحال ﴿مَنِ﴾: الذي من جنس العاقل ﴿يُقُلْ﴾: من يدعي ﴿مِنْهُمْ﴾: من باب الافتراض أو الكذب؛ فيقول ﴿إِنِّي إِلَهٌ﴾ أنه إله، ويطلب الطاعة له من غيره ﴿مَنِ﴾: حرف جرّ وبيان لتمييز النوع يفيد هنا ابتداء الغاية المكانية ﴿دُونِهِ﴾: غير الله، أو مع الله ﷻ ﴿فَذَلِكَ﴾: إشارة للبعيد ﴿نَجْرِيهِ﴾: نعاقبه بإدخاله ﴿جَهَنَّمَ﴾: النار ﴿كَذَلِكَ﴾: مثل، أيضاً ﴿نَجْرِي﴾: هذا جزاء من قال حتى ولو لم يفعل، فهذا شرط والشرط لا يلزم وقوعه ﴿الظَّالِمِينَ﴾: الكافرين، والكاذبين على الله ﷻ.

﴿أُولَئِكَ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٣٠)

﴿أُولَئِكَ﴾: اسمٌ مُركب يفيد هنا التعجب والاستفهام؛ بغرض الإنكار ﴿يَرِ﴾: ألم يشاهد، ويعلم ويتفكر ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع من ﴿كَفَرُوا﴾: الذين غطوا وأخفوا؛ فكفروا بقدره الله ﷻ التامة، وسلطانه العظيم ﴿أَنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الإنكار والشك ﴿السَّمَاوَاتِ﴾: هي

(١) صحيح البخاري ١٠٦/٤ (٣١٩٣).

كلّ ما علا الأرض، وأحاط بها؛ لكونها بضاوية الشكل ﴿وَالْأَرْضَ كَانَتْ﴾: في السابق ﴿رَتْقًا﴾: والرتق هو الضم والالتحام، كانت السماء والأرض متصلةً، ملتصقةً بلا فصلٍ، بعضها ببعض، متلاحمة، متراكمة، بعضها فوق بعض في بداية الأمر ﴿ف﴾: حرف استثنائي بهدف ترتيب الأمر ويفيد السرعة في التنفيذ ﴿فَتَقْنَاهُمَا﴾: فصلهما الله ﷻ، أي جعل السموات سبعًا، والأرض سبعًا، ووصل بين السماء الدنيا، والأرض بالهواء والفرغ الجوي ﴿و﴾: عطفًا على ذلك ﴿جَعَلْنَا﴾: قدر الله ﷻ أن يكون ﴿مِنْ﴾: حرف يفيد بداية الغاية المكانية ﴿الْمَاءِ كُلِّ﴾: تفيد العموم ﴿شَيْءٍ﴾: جاءت بصيغة النكرة؛ لتفيد عموم الأشياء التي تنبت من النبات، وتنمو من الحيوان ﴿حَيٍّ﴾: وأنزل ﷻ من السماء ماءً، وأنبت الأرض، وجعل من الماء كلّ شيءٍ حيٍّ؛ الإنسان، والحيوان، والنبات، والطير، والشجر، وغيرها، حتى المخلوقات الصماء تحتاج إلى الماء لتحافظ على قوتها ﴿أَفَلَا﴾: حرف استفهام بغرض الإنكار ﴿يُؤْمِنُونَ﴾: هل بعد هذه الأدلة والبراهين ما يمنع أن يؤمنوا بالله ﷻ، وما أنزل؟

﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيًا أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ (٣١)

﴿وَجَعَلْنَا﴾: جاءت بصيغة الجمع من عظم الخالق وعظم الخلقه ﴿فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيًا﴾: الجبال الكبيرة، الراسية الثابتة التي تجعل دوران الأرض على محوره ثابتًا بسبب توازن أجزائها بالجبال ﴿أَنَّ﴾: حرف تأكيد الفعل، حتى لا ﴿تَمِيدَ بِهِمْ﴾: الكلمة تدل على عدم وقوف الأرض، فجاء اللفظ المعبر حتى لا تضطرب حركة دورانها حول محورها ﴿وَجَعَلْنَا﴾: خلق الله ﷻ ﴿فِيهَا﴾: في الأرض ﴿فِجَاجًا سُبُلًا﴾: ثغورًا، وطُرُقًا واسعةً ووديانًا يستخدمها الإنسان للانتقال من مكان إلى مكان، تفصلهما الجبال، هذه الثغور سهّلت الحركة؛ خاصة في عهود ما قبل التقدم العلمي ﴿لَعَلَّهُمْ﴾: حرف يفيد الإشفاق من الله ﷻ على البشر ﴿يَهْتَدُونَ﴾: حتى يصلوا إلى مبتغاهم في التنقل والتواصل.

﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ (٣٢)

﴿و﴾: حرف عطف يفيد هنا الحال ﴿جَعَلْنَا﴾: خلق الله ﷻ ﴿السَّمَاءَ﴾: هي كلّ ما يعلوا الأرض ويحيط بها ﴿سَقْفًا﴾: كأنها قبة فوق الأرض، ولقد أثبت علم الفلك هذا الفراغ الشاسع البعيد ﴿مَحْفُوظًا﴾: لا يقع ولا يسقط على الأرض، وقيل محفوظًا من الشياطين، وقد يكون القولان والله ﷻ أعلم؛ فكلّ جرم يُسير كما قدر الله ﷻ له، لا يقترب نجمٌ بآخر، فالمسافات والمساحات محفوظة ﴿وَهُمْ﴾: الكافرون ﴿عَنْ﴾: حرف جر كحرف الباء ﴿آيَاتِهَا﴾: بالأدلة والحقائق والبراهين ﴿مُعْرِضُونَ﴾: لا يتفكرون فيها، وإذا ذُكروا بهذا العلم الجديد، علم الفلك

المتسع، والمنظم، والباهر، وحركة كل كوكبٍ، ودوره، ودورته؛ لم يستخلصوا الحقيقة أنّ الذي خلق هذه المخلوقات العظيمة، خالقٌ عظيمٌ قديرٌ، بل قالوا هذه قوانين الطبيعة.

التكليف: سخر الله ﷻ قوتين في الكون الفسيح، الأولى هي قوة الطرد المركزي الناشئة عن دوران أي شيء، والقوة الثانية هي الجاذبية التي تنشأ من التركيب الإلكتروني فيها، وبتساوي القوتين في الكواكب يبقى كل كوكبٍ في موقعه، وتبقى حركة دورانه ثابتةً وأمنة.

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ (٣٣)

﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿هُوَ﴾: في اللغة يعني ضميرًا منفصلاً مرفوعًا للغائب المفرد المذكر، والمقصود هنا هو الله ﷻ ﴿الَّذِي﴾: اسمٌ موصولٌ للفرد الواحد الأحد ﷻ ﴿خَلَقَ﴾: أوجد من غير سابق مثال ﴿اللَّيْلَ﴾: جعل ضياء الشمس تحتجب عن الأرض بعد انتهاء النهار ﴿وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ﴾: لم يحجب بين الشمس وهي المصباح وبين الأرض، ولأنّ الشمس هي كتلةٌ من غاز الهيليوم الملتهب، المصباح المشتعل، لا ينقص وزنها فهي لا تخفت ولا تضيق ﴿وَالْقَمَرَ﴾: وخلق الله ﷻ أيضًا القمر يعكس أشعة الشمس التي تصله، على ما حوله، ومنها الأرض؛ فيضيء الليل، ويهدي السبيل، ويؤثر في حركة البحار، ويؤدي دوره على الوجه الأكمل ﴿كُلٌّ﴾: من المعروف علميًا أنّ كل نواة تحاط بسحابة من الإلكترونات، وبما أنّ هذه الإلكترونات هي أيضًا أجسام متحركة تحمل شحنة كهربائية فإنها تولّد مجالًا مغناطيسيًا خاصًا بها، وهذا الذي بدوره يُضيف أو يُنقص من شدة المجال الخارجي، إنّ الشمس والقمر وجميع هذه المخلوقات ﴿فِي فَلَكٍ﴾: في مجالها، كلٌّ من الشمس، والقمر، والنجوم، والكواكب ﴿يَسْبَحُونَ﴾: يدورون بسهولة ويسرٍ؛ فالتأمل لظاهرة السباحة يرى أنّ المراكب الضخمة تسير بمحركاتٍ أقل قوة من المطلوبة لحركة مثل أوزان هذه المراكب على الأرض، كما أنّ الإنسان يسبح بحركة كفيه وقدميه، كأنه سمكة حوت يسير على الماء؛ لا يمنعه شيء، ولا يرده حاجز، وذلك بسبب تساوي وزن الإنسان مع حجم السطح فيما يعرف بقانون الطفو، ولقد وضع الله ﷻ الناس في المجال المغناطيسي للأرض، يتأثرون بالمجال المغناطيسي الناشئ عن دوران القمر حول الأرض، ودوران سائر النجوم الأخرى، والله ﷻ جعل المغناطيسية في كل ذرةٍ من ذرات الحديد في كل جزئٍ من الهيموجلوبين في دماننا، كما أنّ الإنسان يستقبل الموجات الكهرومغناطيسية الصوتية المحيطة به بأذنيه، كما يلتقط الموجات الكهرومغناطيسية الضوئية بعينيه.

﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾ (٣٤)



﴿و﴾: حرف عطفٍ يفيد هنا الحال ﴿ما﴾: حرف نفي ﴿جَعَلْنَا لِبَشَرٍ﴾: اللام حرف علة وسبب، جاءت بصيغة النكرة لتفيد التعميم، عموم الخلق؛ لم نكتب لإنسانٍ ﴿من﴾: حرف جرٍ وبيان لتمييز النوع يفيد هنا ابتداء الغاية الزمانية ﴿قَبْلِكَ﴾: من الذين عاشوا قبلك يا محمد ﷺ منذ آدم عليه السلام ﴿الْخُلْدُ﴾: ينفي الله ﷻ الخلود، أي البقاء الأبدي، لأيٍّ أحدٍ من خلقه، في الدنيا ﴿أ﴾: حرف استفهام بغرض الاستنكار ﴿فَإِنْ﴾: حرف للتأكيد هنا على الفعل ﴿مِتَّ﴾: هنا إذا مت يا محمد، يبلغ الله ﷻ النبي ﷺ أنه سيموت، فقال ﷺ: فمن لأمتي؟ فنزلت هذه الآية ﴿فَهُمْ﴾: ضمير يفيد الجمع المذكر ﴿الْخَالِدُونَ﴾: هنا استفهامٌ مُقَدَّرٌ بمعنى أنهم خالدون؟ هل يظنون أنهم خالدون من بعدك، بل الكلُّ إلى فناء.

### ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةٌ وَإِنَّا تُرْجَعُونَ﴾ (٣٥)

﴿كُلُّ﴾: تفيد العموم ﴿نَفْسٍ﴾: ما من نفسٍ مخلوقةٍ مؤمنةٍ أو كافرةٍ إلا ﴿ذَائِقَةُ﴾: جاء اللفظ الذوق كدليلٍ على أنَّ الموت أمرٌ وجودي ومحسوس؛ ستموت، وتعاني سكراتٍ ﴿الْمَوْتِ﴾: ولا أحد من البشر مخلد ﴿و﴾: عطفاً على ذلك ﴿نَبْلُوكُمْ﴾: نختبركم مع علم الله ﷻ بحالهم ﴿بالشَّرِّ﴾: ما يسبب الضرر ﴿وَالْخَيْرِ﴾: أيضاً ما يجلب النعم ﴿فِتْنَةٌ﴾: نختبركم، ونمتحنكم بالمصائب مرّة، وبالنعم مرّة، من آمن نجا، ومن كذب خسر، إنّه الاختبار بالشر والخير، والشدة والرخاء، والصحة والمرض، والغنى والفقر، والحلال والحرام، والطاعة والمعصية، والهدى والضلال ﴿وَإِنَّا﴾: إلى الله ﴿تُرْجَعُونَ﴾: تُبعثون يوم القيامة؛ فيجازي الله ﷻ كلًّا بعمله.

### ﴿وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي يَذُكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ (٣٦)

﴿و﴾: أيضاً ﴿إِذَا﴾: حرف ظرفٍ لما يُستقبل من الزمان يفيد معنى الشرط ﴿رَأَى﴾: والخطاب إلى محمد ﷺ إذا شاهدك ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع من ﴿كَفَرُوا﴾: كفّار قريش ﴿إِنْ﴾: حرف تأكيد ﴿يَتَّخِذُونَكَ﴾: يستخدمونك ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء، ليس غير الاستهزاء يفعلون ﴿هُزُوًا﴾: يستهزئون، ويستخفون بك، وينتقصون منك، ويقولون ﴿أ﴾: حرف استفهام بغرض الاستنكار ﴿هَذَا﴾: هل هذا من باب الاستخفاف والاستهزاء ﴿الَّذِي﴾: اسمٌ موصولٌ للفرد المذكر ﴿يَذُكُرُ﴾: الذي يسبُّ، ويُسفه ﴿آلِهَتَكُمْ﴾: هذه إشارة إلى سفاقتهم هم؛ فلماذا لا تدافع آلِهَتهم عن أنفسهم ﴿وَهُمْ﴾: الكفار المستهزئون ﴿بِذِكْرِ﴾: مدح ﴿الرَّحْمَنِ هُمْ﴾: تحديداً ﴿كَافِرُونَ﴾: هم ينكرون، ويكفرون بالله ﷻ و برسوله ﷺ.

### ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأْرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونَ﴾ (٣٧)

﴿خُلِقَ﴾: وُجِدَ من غير سابق وجود خلق الله ﷻ: ﴿الْإِنْسَانُ﴾: آدم ونسله وجعل من طبعه التعجل في الأمور ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ وبيان لتمييز النوع يفيد هنا ابتداء الغاية المكانية ﴿عَجَلٍ﴾: خلق الله ﷻ آدم ﷻ، في آخر ساعةٍ من يوم الجمعة على عجل؛ فورث بنو آدم طبع العجلة عنه. يقول الخالق ﷻ عن صناعته، ويحدد طبيعة الإنسان، التي تستعجل أمور الخير ﴿سَأْرِيكُمْ﴾: حرف السين يفيد تأكيد الفعل في المستقبل، سوف أجعلكم ترون، تشاهدون بأعينكم ما تستعجلون من العذاب ومعاناة غضب الله ﷻ ونقمته وقدرته في الكافرين ﴿آيَاتِي﴾: غضبي ونقمتي، وحكمي، في الكافرين ﴿فَلَا﴾: أداة نهيّ تفيد طلب عدم الفعل ﴿تَسْتَعْجِلُونَ﴾: قَدَّرَ اللهُ ﷻ أَنْ يُؤَخَّرَ عَذَابَ الْإِنْسَانِ فِي الدُّنْيَا، وحتى قيام ساعة الإنسان، فئلمي للظالم؛ حتى إذا أخذه لم يفلته، لا تستعجلوا العذاب الذي تطلبونه نوعاً من التحدي، والتشكيك في قدرته ﷻ.

التكليف: السفیه من يعادی من هو أقوى منه فما باله إذا عادى الله ﷻ.

### ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٣٨)

﴿و﴾: عطفاً على ما سبق ﴿يَقُولُونَ﴾: هم الكفار ﴿مَتَى﴾: في أي وقت ﴿هَذَا﴾: اسم إشارة للمفرد ﴿الْوَعْدُ﴾: يقول الكفار مستعجلين العذاب ومستهزئين استعجالاً، وتحدياً، وإنكاراً لوقوع العذاب بهم، تكذيباً، ووجوداً ﴿إِنْ﴾: حرف شرط ﴿كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾: يقولون لرسولهم لو كنتم صادقين، قولوا لنا متى هذا العذاب؟ هذا إنكارٌ بهدف تكذيب واضح.

﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكْفُونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ (٣٩)

﴿لَوْ﴾: حرف يفيد الاستحالة ﴿يَعْلَمُ الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد هنا الجميع ممن ﴿كَفَرُوا﴾: لو أيقن الكفار أنّ العذاب واقعٌ بهم؛ ما استعجلوا العذاب ﴿حِينَ﴾: في الوقت الذي ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يَكْفُونَ﴾: يردون ويمنعون ﴿عَنْ﴾: حرف يفيد المجاوزة ﴿وُجُوهِهِمُ النَّارَ﴾: لا يستطيعون أن يدفعوا عن وجوههم، وتعني مقدمة أجسادهم، تلمح وجوههم النار، جاء لفظ الوجوه لأنه الأكثر إحساساً بالألم، وفيه الأنف والغم وإحراقهم ينقطع التنفس، فيختنقون، وتفيد مقدمة جسم الإنسان كله، عندها تيقنوا أنّ العذاب واقعٌ بهم، ولا يستطيعون ردّ النار عن وجوههم ﴿وَلَا﴾: نفي أنّهم يردون النار ﴿عَنْ ظُهُورِهِمْ﴾: كما أنّ عذاب النار سيأتيهم من خلفهم أيضاً، ومن جميع الجهات، ولا تؤخر النار عنهم ساعة ﴿وَلَا﴾: حرف نفي ﴿هُمْ﴾:

ضميرٌ منفصلٌ مرفوعٌ للجمع المذكر والمؤنث الغائب؛ للتحديد والتخصيص والتأكيد  
﴿يُنصِرُونَ﴾: ما من نصيرٍ، ولا شفيعٍ يشفع عن الله ﷻ ليدفع عنهم النار.

﴿بَل تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَبْطِئُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ (٤٠)

﴿بَل﴾: حرف إخراب انتقالي، هنا من تهويل ما أعدَّ الله ﷻ لهم من التهديد بأن ذلك سيحل  
بهم بغتةً، إثبات بمعنى ﴿تَأْتِيهِمْ﴾: تصيب النار للكفار دون علمهم ﴿بَغْتَةً﴾: فجأة  
﴿فَتَبْهَتُهُمْ﴾: تفاجئهم، تحيرهم، وتدهشهم، وترعبهم ﴿فَلَا يَسْتَبْطِئُونَ﴾: لا يقدرُونَ ﴿رَدَّهَا﴾:  
منع النار عنهم ﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾: لا يؤخَّرون، أو تُوجَل النار عنهم.

﴿وَلَقَدْ اسْتَهْزَأُ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ (٤١)

هذه الآية هي تسرية لرسوله ﷺ، وطمأنة أن الأذى وقع بمن قبلك من الأنبياء والرسل  
﴿وَلَقَدْ﴾: حرف يُفيد التحقق في الماضي ﴿اسْتَهْزَأُ﴾: من السخرية، إذا استهزأ بك هؤلاء فقد  
فعلت الأمم السابقة ذلك بمن قبلك من الرسل، على كثرة عددهم، وخطر، شأنهم ﴿بِرُسُلٍ مِنْ﴾:  
حرف يُفيد بداية الغاية الزمانية ﴿قَبْلِكَ﴾: إنَّ حالات استهزاء الكفار ليست خاصة بك يا محمد  
ﷺ، فاستهزاء الكفار بالرسل من طباعهم ﴿فَ﴾: بسبب ذلك ﴿حَاقَ﴾: نزل وأحاط وأصاب  
ولحق ﴿بِالَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع من ﴿سَخِرُوا مِنْهُمْ﴾: الذين أنكروا دعوة رسلهم،  
واستهزئوا بهم؛ فلحقهم وأصابهم ﴿مَا﴾: الذي ﴿كَانُوا بِهِ﴾: باء الالتصاق ﴿يَسْتَهْزِئُونَ﴾: ما  
فعلوه برسولهم؛ فأصابهم عذابٌ سريعٌ، وأشدُّ وطأةً.

﴿قُلْ مَنْ يَكْلُؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَنْ نِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ﴾ (٤٢)

﴿قُلْ﴾: يقول الله ﷻ للرسول ﷺ؛ أن يقول للكفار ﴿مَنْ﴾: حرفٌ استفهامٌ بغرض التوبيخ  
والتقريع ﴿يَكْلُؤُكُمْ﴾: من يحفظكم، ويحرسكم، ويحسن إليكم، ويرعاكم، ويحميكم ﴿بِ﴾: حرف  
باء الظرفية ﴿اللَّيْلِ وَ﴾: أيضًا يرعاكم في ﴿النَّهَارِ﴾: أي في كلِّ وقتٍ، وفي كلِّ أعماركم  
﴿مِنَ الرَّحْمَنِ﴾: صاحب الرحمة الواسعة، من هو غيره ﷻ؟ ﴿بَلْ﴾: حرف ينفي ما قبله؛  
ويؤكد ما بعده ﴿هُم﴾: ض ضميرٌ منفصلٌ مرفوعٌ للجمع المذكر والمؤنث الغائب؛ للتحديد  
والتخصيص والتأكيد وهي هنا تعني هؤلاء الكفار ﴿عَنْ﴾: حرفٌ جرٌّ يفيد الاستعلاء ﴿نِكْرَ﴾:  
حمد وشكر ﴿رَبِّهِمْ﴾: مالك أمرهم كله ﴿مُعْرِضُونَ﴾: يبتعدون لا يعترفون بنعمة الله عليهم،  
وإحسانه إليهم.

﴿أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا لَا يَسْتَبْطِئُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِنْنا يُصْحَبُونَ﴾ (٤٣)

﴿أَمْ﴾: بل ﴿لَهُمْ﴾: تخصيصًا ﴿إِلَهَةٌ﴾: تفریح، واستنکار، وتوبيخ؛ هل لهم من معبودات؟ ﴿تَمَنُّعُهُمْ مِنْ دُونِنَا﴾: تمنع عنهم عذابنا لهم، وترعاهم، وتنصرهم؟ ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ﴾: هذه الأصنام، والأوثان، أو الأشخاص، أو الأحزاب، أو الجيوش، أو الدول الذين اعتمد الكفار عليهم، لا يردون عن أنفسهم هزيمة كتبها الله ﷻ عليهم ﴿وَلَا﴾: حرف نفي ﴿هُمْ مِنَّا﴾: من الله ﷻ ﴿يُضْحَبُونَ﴾: قال ابن عباس: يُجَارُونَ، وقال قتادة: لا يصبجون من الله بخير، وقيل يُمنعون.

﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ (٤٤)

﴿بَلْ﴾: حرف ينفي ما قبله؛ ويؤكد ما بعده؛ على سبيل الإضرار الانتقالي من تهويل ما أعد الله ﷻ لهم، والانتقال عن الكلام السابق ﴿مَتَّعْنَا﴾: ولقد متّع ونعم الله ﷻ كثيرًا من ﴿هَؤُلَاءِ﴾: المشركين من أهل مكة بما أنعمنا عليهم ﴿و﴾: حرف عطف يفيد هنا الحال؛ أيضًا متّعنا ونعمنا ﴿آبَاءَهُمْ﴾: تركناهم يستمتعون بما في الدنيا من الضلال، والنعيم وبسط مدّ سعة الرزق ﴿حَتَّى﴾: حرف جرّ يدلّ على انتهاء الغاية الشرطية، أي لن يُصدقوا إلا بشرط أن ﴿طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ﴾: هل مرّ زمن التمتع بهم طويلاً؛ وأتّه لا يزول؛ فاعتقدوا أنّهم على حق، وأتّه لا عقاب ﴿أَفَلَا﴾: حرف استفهام بغرض الاستنكار ﴿يَرَوْنَ﴾: يشاهدون، ألم يتفكروا، ويتأملوا ﴿أَنَّا﴾: هو الله ﷻ ﴿نَأْتِي﴾: نقرر في ﴿الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا﴾: نأخذ ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ وبيان لتمييز النوع يفيد هنا ابتداء الغاية المكانية ﴿أَطْرَافِهَا﴾: من جوانبها، وقيل إنّ المقصود هنا أرض مكة المكرمة، وقيل النقص بقهر أهلها، وقيل: إهلاك القرى حولهم، وكيف صرّف فيهم الله ﷻ وعيده، وقال الحسن البصري: ظهور الإسلام على الكفر. ألم يعتبروا بنصر الله ﷻ لأولياء على أعدائه؟ ﴿أ﴾: حرف استفهام بغرض الإنكار ﴿ف﴾: حرف استثنائي بهدف ترتيب الأمر ويفيد السرعة في التنفيذ ﴿هُمْ﴾: ضميرٌ منفصلٌ مرفوعٌ للجمع المذكور والمؤنث الغائب؛ للتحديد والتخصيص والتأكيد وهم ﴿الْغَالِبُونَ﴾: كيف يكون هؤلاء هم الغالبين بعد أن أخذ المسلمون منهم أرضهم، سؤال ينفي أنّ الكفار هم الغالبون، بل هم المغلوبون.

﴿قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ﴾ (٤٥)

﴿قُلْ﴾: يا محمد ﷺ لهؤلاء الكفار ﴿إِنَّمَا﴾: تحديدًا وتخصيصًا ﴿أُنذِرُكُمْ﴾: أحذركم بالوحي، أي أحذركم، وأبلغتكم، وأخوفكم ﴿ب﴾: بآء الاستعانة ﴿الْوَحْيِ﴾: بالقرآن، وهو ما بلغني من

الله ﷻ وحيًا ﴿وَلَا﴾: حرف نفي ﴿يَسْمَعُ الصَّمَّ﴾: هم الكفار ﴿الدُّعَاءَ﴾: يقول الله ﷻ في هؤلاء إنهم يسمعون، ولكن لا يفقهون؛ فهم كالصم، عميت قلوبهم، وبصيرتُهم، وختم الله ﷻ على سمعهم ﴿إِنَّا﴾: حرف عطف ما بعدها على ما قبلها ﴿مَا﴾: في حال ﴿يُنذِرُونَ﴾: لو أنذرتهم، وحثرتهم، لن يفهموا، ولن يستجيبوا فهم كالبهائم لا يسمعون النداء إلى الإيمان.

﴿وَلَنْ مَسْتَهُمْ نَفْحَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ (٤٦)

﴿وَلَنْ﴾: تتكون من حرفين اللام و إن وبهذا يكون المقصود سبب وشرط ﴿مَسْتَهُمْ﴾: إذا أصابهم في العمق، وهنا فرق بين المس الذي يصيب الجوهر، وبين اللمس الذي هو ظاهري ﴿نَفْحَةٌ﴾: شيء يسير، أو نصيب قليل ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ وبيان لتمييز النوع يفيد هنا ابتداء الغاية المكانية ﴿عَذَابِ رَبِّكَ﴾: من مالك أمرك كله ﴿لَ﴾: حرف يفيد العلة والسبب ﴿يَقُولُونَ﴾: سيعترفون بالتأكيد بذنوبهم وجرائمهم ﴿يَا﴾: حرف نداءٍ للقريب وللبعيد ﴿وَيْلَنَا﴾: تحذير وتهديد، يا مصيبتنا ﴿إِنَّا﴾: نحن بالتأكيد ﴿كُنَّا﴾: في الحياة الدنيا ﴿ظَالِمِينَ﴾: ظلمنا أنفسنا في الدنيا بالشرك بمحمد ﷺ.

﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ (٤٧)

﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ﴾: العادلة لوزن أعمال العباد، أو أدوات العدل ﴿لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾: وضع الله الموازين لتحقيق العدل الرباني، والأرجح أنه ميزان واحد، وجاء بصيغة الجمع على اعتبار تعدد الأعمال الموزونة فيه ﴿فَلَا﴾: أداة نهى تفيد طلب عدم الفعل ﴿تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾: إن الله لا يظلم مثقال ذرةٍ ﴿وَ﴾: عطفًا على هذا ﴿إِنْ﴾: حرف شرط ﴿كَانَ مِثْقَالَ﴾: وزن ﴿حَبَّةٍ مِنْ﴾: جزء أو بعض ﴿خَرْدَلٍ﴾: ضرب الله ﷻ مثلًا بهذا الجزء الصغير ﴿أَتَيْنَا﴾: جاء ﷻ ﴿بِهَا﴾: يضعها الله ﷻ على الميزان ﴿وَكَفَى بِنَا﴾: ضمير العظمة الذي يتناسب مع جلال الله ﷻ ﴿حَاسِبِينَ﴾: الله خير الحاسبين عدلاً، وصدقًا، جاء في المعنى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ \* وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة-٧، ٨]، وأثقل الكلمات في الميزان هي سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم.

التكليف: وهنا تحقق الآية نفي الظلم وإثبات العدل.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (٤٨)

﴿وَلَقَدْ﴾: تحقق في الماضي أن ﴿آتَيْنَا﴾: أعطينا وأنزلنا على ﴿مُوسَى وَ﴾: أيضًا آتينا ﴿هَارُونَ الْفُرْقَانَ﴾: قال مجاهد: الكتاب، وقال قتادة: التوراة بما فيها من حلالٍ وحرامٍ، وما

فرّق به بين الحق والباطل، وقال ابن زيد: النصر ﴿وَضِيَاءٌ﴾: أي فيها النور القلبي، الذي يُفرّق بين الحق والباطل، وبين الهدى والضلال، وبين الحلال والحرام؛ مما ينير القلوب ﴿وَذِكْرًا﴾: تذكيرًا لهم، وموعظة ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾: تخصيصًا الذين عبدوا الله ﷻ طمعًا في رحمته، و خوفًا من عذابه.

﴿الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ﴾ (٤٩)

﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع من ﴿يَخْشَوْنَ﴾: يخافون ﴿رَبَّهُمْ﴾: المُعبود، والمُربي، وهو المنشئُ للشيء حالًا فحال إلى حدّ التمام والخالق، والمالك، والعاطي، وكثيرُ الخير، والمُحيط، والمُدبّر، والجابرُ لكسر البرايا، والثابت، والقريب، والجامعُ، والمصلحُ، والسيّدُ، فهو مالك أمرهم كلّه، هو الله ﷻ، والحديث عن المؤمنين ﴿بِ﴾: باء المصاحبة ﴿الْغَيْبِ﴾: الذي لا يُطلع الله ﷻ عليه أحدًا من البشر ﴿وَهُمْ﴾: تحديدًا المؤمنون ﴿مِن﴾: حرفٌ يفيد بداية الغاية الزمانيّة ﴿السَّاعَةِ﴾: يوم القيامة وأهواله ﴿مُشْفِقُونَ﴾: خائفون، وجلون رغم إيمانهم وتصديقهم.

﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ (٥٠)

﴿وَهَذَا﴾: اسمٌ إشارةٌ للقرآن الكريم ﴿ذِكْرٌ﴾: جاء اللفظ القرآني "ذكر" على ستة عشر وجهًا، هنا بمعنى القرآن الكريم ﴿مُبَارَكٌ﴾: كثير النفع والخيرات، لا يأتيه الباطل من خلفه ولا من أمامه، ﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾: تنزيلُ العزيز الحكيم ﴿أَب﴾: حرفٌ استفهامٌ بغرض الإنكار والتوبيخ ﴿ف﴾: حرفٌ يفيد السبب ﴿أَنْتُمْ﴾: هل أنتم؟ ﴿لَهُ﴾: تخصيصًا للقرآن ﴿مُنْكَرُونَ﴾: كيف تنكرونه، وهو مُنزّلٌ من السماء من عند الله ﷻ في جلاءٍ واضحٍ، وظهورٍ مُبينٍ، مع اعترافكم بأنّ التوراة منزّلة منه ﷻ.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾ (٥١)

﴿وَلَقَدْ﴾: تحقق في الماضي ﴿آتَيْنَا﴾: أعطينا ووهبنا ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾: أبا الأنبياء الطيّبين ﴿رُشْدَهُ﴾: هُدايته، معرفة الحقّ من الباطل، وألهمهُ الحجّة البالغة على قومه، وهذا ما يستحق ﴿مِن﴾: حرفٌ جرٌّ وبيان لتمييز النوع يفيد هنا ابتداء الغاية الزمانيّة ﴿قَبْلُ﴾: وهب الله ﷻ لإبراهيم الطيّب، من صغر سنّه ﴿وَكُنَّا﴾: جاءت بصيغة الجمع لعظم الأمر ﴿بِهِ﴾: بطروفه ﴿عَالِمِينَ﴾: كان الله ﷻ يعلم أنّ إبراهيم أهلٌ لمهمته، وكفوّ لرسالته.

﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾ (٥٢)

﴿إِذْ﴾: حرفٌ يفيد ما مضى من الزمن بمعنى حين ﴿قَالَ﴾: إبراهيم الطيّب ﴿لِأَبِيهِ﴾: أزر ﴿و﴾: حرفٌ عطفٍ يفيد هنا حال ﴿قَوْمِهِ﴾: في معرض تسفيه معتقداتهم ﴿مَا﴾: حرف

استفهام **﴿هَذِهِ﴾**: اسم إشارة للمؤنث **﴿التَّمَائِيلُ﴾**: الأصنام التي صنعتموها أنتم، هذا من رشد إبراهيم عليه السلام من صغر سنّه كان يسأل ساخرًا مُستكِرًّا على قومه حالهم، طاعة تماثيل لا تتطق ولا تتفع ولا تضر **﴿الَّتِي﴾**: اسمٌ موصولٌ للمفرد المؤنث **﴿أَنْتُمْ لَهَا﴾**: تحديدًا **﴿عَاكِفُونَ﴾**: مقيمون مستمرّون على طاعتها، والعكوف هو الإقبال على الشيء وملازمته على سبيل التعظيم، والاعتكاف في الشرع هو الاحتباس في المسجد على سبيل القرية.

**﴿قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ﴾ (٥٣)**

**﴿قَالُوا﴾**: كفّار قوم إبراهيم عليه السلام، وقد أعجزتهم الحجّة **﴿وَجَدْنَا آبَاءَنَا﴾**: وأجدادنا **﴿لَهَا﴾**: تحديدًا **﴿عَابِدِينَ﴾**: لهذه الأصنام؛ فبرروا عملهم بأنهم يُقلّدون، ويعملون ما عمل آبائهم وأجدادهم منذ القدم.

**﴿قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (٥٤)**

**﴿قَالَ﴾**: إبراهيم عليه السلام **﴿لَقَدْ﴾**: حرف إثبات ما حدث أقوى ما يكون في الماضي والمضارع، ولا تفيد في المستقبل **﴿كُنْتُمْ﴾**: في السابق وما زلتم **﴿أَنْتُمْ﴾**: تحديدًا **﴿و﴾**: أيضًا كان **﴿آبَاؤُكُمْ﴾**: وكان أجدادكم **﴿فِي ضَلَالٍ﴾**: كنتم أنتم وآبائكم في تيهٍ وضياحٍ **﴿مُبِينٍ﴾**: واضح وجليّ، ولستم على طريق مستقيم.

**﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ﴾ (٥٥)**

**﴿قَالُوا﴾**: كفّار قوم موسى **﴿أ﴾**: حرف استفهامٍ بغرض الإنكار، بمعنى هل **﴿جِئْتَنَا﴾**: هل جئنا **﴿بِالْحَقِّ﴾**: أهذا القول الذي جئنا به حقٌّ وبالصدق؟ وهذا من مظاهر سفههم، لو فكروا؛ لعرفوا إجابة سؤالهم، وسبب اعتراضه، سألوها هل هذا الذي جئت به من عند الله **﴿أَمْ﴾**: هل **﴿أَنْتَ مِنْ﴾**: حرفٌ يفيد بداية الغاية المكانية **﴿اللَّاعِبِينَ﴾**: أم أنّ كلامك لنا من باب اللعب، والمزاح؟ أم تريد أن تهزأ بنا؟

**﴿قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ (٥٦)**

**﴿قَالَ﴾**: إبراهيم عليه السلام لهم **﴿بَلْ﴾**: حرف ينفي ما قبله؛ ويؤكد ما بعده **﴿رَبُّكُمْ﴾**: الذي أدعوكم لعبادة خالقكم، ومالك أمركم هو **﴿رَبُّ﴾**: هو المُعبود، والمُربي، مالك أمر **﴿السَّمَاوَاتِ﴾**: كلّها في كلّ ما علا الأرض وأحاط بها؛ كونها بيضاوية الشكل **﴿و﴾**: أيضًا مالك **﴿الْأَرْضِ﴾**: وما فيها، هو الله ﷻ الذي يملك الكون الذي أنتم فيه، وما تشاهدون، وما لا تشاهدون وغيره **﴿الَّذِي فَطَرَهُنَّ﴾**: الذي خلقهن وما فيهنّ من المخلوقات من غير سابق وجود **﴿و﴾**: عطفًا

على هذا **﴿أَنَا﴾**: النبي، إبراهيم **﴿عَلَىٰ ذَلِكُمْ﴾**: اسم إشارة للبعيد، هو ما أمر به **﴿مِنْ﴾**:  
بعض **﴿الشَّاهِدِينَ﴾**: وأنا أشهد أمامكم أنه لا إله غيره، ولا رب سواه، ولا طاعة إلا له.

**﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ﴾ (٥٧)**

**﴿و﴾**: عطفًا على هذا **﴿تَاللَّهِ﴾**: قسمٌ خاصٌّ بالله **﴿و﴾**، لا ترتبط حرف ت بالقسم إلا لله **﴿و﴾**،  
أقسم إبراهيم **﴿و﴾**، بالله **﴿و﴾** قسمًا تعمّد أن يُسمعهُ بعض قومه؛ ليكونوا عونًا له على تكسير  
الأصنام **﴿لَأَكِيدَنَّ﴾**: اللام حرف علةٍ وسبب، أحتال عليكم لأحطمنّ بكلّ تأكيد **﴿أَصْنَامَكُمْ﴾**:  
التي تعبدون من دون الله **﴿و﴾** أقسم لهم أنه سينقل من المحاجة باللسان إلى تغيير المنكر  
بالفعل؛ دفاعًا عن دينه كان للقوم عيدٌ يخرجون إليه، ولما اقترب الموعد سأل أبو إبراهيم ابنه  
**﴿و﴾**، أن يخرج معهم، ووعده أنه سيعود مسرورًا، فخرج إبراهيم **﴿و﴾**، معهم ثم ألقى بنفسه في  
الطريق، وتخلّف عنهم، وقال لهم إني مريض سقيم **﴿بَعْدَ أَنْ﴾**: حرف تأكيد الفعل **﴿تُوَلُّوا﴾**:  
تذهبوا بعيدًا **﴿مُدْبِرِينَ﴾**: بعد أن تذهبوا إلى عيدكم وتتركوني خلفكم.

التكليف: جواز استخدام الحيلة في غير معصية لله **﴿و﴾**؛ لكشف سوء المجرمين.

**﴿فَجَعَلَهُمْ جُودًا إِلا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾ (٥٨)**

**﴿ف﴾**: يفيد السبب وسرعة العمل **﴿جَعَلَهُمْ جُودًا﴾**: كسرهم، وجعلهم حُطامًا، قطعًا صغيرة  
**﴿إِلا﴾**: باستثناء **﴿كَبِيرًا لَهُمْ﴾**: هو الصنم الأكبر **﴿لَعَلَّهُمْ﴾**: حرفٌ يفيد هنا التوقع والترجي  
عند البشر **﴿إِلَيْهِ﴾**: إلى الصنم الأكبر **﴿يَرْجِعُونَ﴾**: كي يرجع القوم إليه ويسألوه؛ فيتين  
عجزهم وضلالهم؛ وتقوم الحجة عليهم فقد علّق إبراهيم آلة الهدم في يد الصنم الكبير؛ علّمهم  
يسألونه؛ وهو مؤمنٌ أنه لن يجيب، وبذلك يحقق ما أراد.

**﴿قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (٥٩)**

بعد أن رجع الكفار من عيدهم، وجدوا أصنامهم مُهشّمة، إلا الصنم الكبير **﴿قَالُوا مَنْ﴾**:  
حرف استفهام عن العاقل **﴿فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا﴾**: من الذي هشمهم؟ وكلماتهم تدلّ على سُخف  
عقولهم، بأنهم يطيعون ما لا يُدافع عن نفسه، ويُهشمه فتى صغير، وكان عمرُ إبراهيم ست  
عشرة سنة **﴿إِنَّهُ﴾**: وأصدروا حكمهم عليه بالتأكيد والتخصيص **﴿ل﴾**: حرف سبب **﴿مِنْ﴾**:  
حرفٌ يفيد بداية الغاية المكانية بمعنى بعض **﴿الظَّالِمِينَ﴾**: وصفوا الفاعل بالظالم، لأنّه هشم  
أصنامهم، أمّا الذي يعبد حجارة فلم يظلم نفسه؟

**﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتَىٰ يَدُكُرُّهُم يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾ (٦٠)**



﴿قَالُوا﴾: الذين سمعوا من إبراهيم الخليل عليه السلام، قوله؛ لأكيدن أصنامكم، وقيل: قال بعضهم ﴿سَمِعْنَا فَتَى﴾: شابًا صغير السن ﴿يَذْكُرُهُمْ﴾: يذكر الأصنام بسوء، وهكذا كانت رسالة كل الأنبياء في الشباب، قال ابن عباس: وما أوتي العلم عالمٌ إلا وهو شاب ﴿يَقَالُ لَهُ﴾: يسمى ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾.

﴿قَالُوا فَأَتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾ (٦١)

﴿قَالُوا﴾: سادتهم وكبرائهم ﴿ف﴾: حرف يفيد السبب والسرعة ﴿أَتُوا بِهِ﴾: أحضروا إبراهيم هذا ﴿عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ﴾: أمام الجميع، يشاهده كل الناس، في المأ الأكبر ﴿لَعَلَّهُمْ﴾: حرف يفيد التوقع والترجي ﴿يَشْهَدُونَ﴾: أراد الكفار أن يشهد الناس عذاب إبراهيم، ليكون لغيره عبرة، وكان عليه السلام يريد هذا المشهد الكبير؛ ليدركوا درجة سفهم وجهلهم، وقلة إدراكهم، وهم يعبدون ما لا ينفع نفسه، ولا يدافع عنها، أو يشهدون عليه بما فعل.

﴿قَالُوا أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِالْهَيْتَانِ يَا إِبْرَاهِيمُ﴾ (٦٢)

﴿قَالُوا﴾: كفار قوم إبراهيم عليه السلام، سألوه مستكرين ﴿أ﴾: حرف استفهام؛ هل ﴿أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا﴾: الفعل الشنيع بالهتتا؟ هل حطمت الأصنام، وكسرت الآلهة؟ هل فعلت كل هذا؟ ﴿ب﴾: باء الصلة ﴿الْهَيْتَانِ﴾: ما نعبد ﴿يَا﴾: حرف نداء للفرد القريب ﴿إِبْرَاهِيمُ﴾ هنا: شيء مخز أن يصفوها آلهتهم.

التكليف: لقد أراد الكفار من إبراهيم عليه السلام، أن يعترف ليكون مبررًا لمعاقبته.

﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾ (٦٣)

﴿قَالَ﴾: إبراهيم عليه السلام ﴿بَل﴾: حرف ينفي ما قبله؛ ويؤكد ما بعده ﴿فَعَلَهُ﴾: إن الذي حطم الأصنام هو ﴿كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾: مشيرًا إلى الصنم الكبير؛ الذي تركه ولم يكسره، لأن القدوم كان معلقًا في يده؛ ها هو متلبس بأداة الفعل ﴿ف﴾: حرف سبب بهدف ترتيب الأمر ويفيد السرعة في التنفيذ ﴿اسْأَلُوهُمْ إِنْ﴾: حرف شرط ﴿كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾: إن كان هذا الصنم كبيرهم يقدر على الكلام، ويفهم ما يقال. كان إبراهيم عليه السلام، يريد أن يعترفوا أن آلهتهم لا تتطق، وفي هذا سفه جديد يضاف إلى سفهمهم، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: لَمْ يَكْذِبْ إِبْرَاهِيمُ عليه السلام إِلَّا ثَلَاثَ كَذَبَاتٍ، بِنْتَيْنِ مِنْهُنَّ فِي ذَاتِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، قَوْلُهُ ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصفافات-٨٩]. وَقَوْلُهُ: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾ [الأنبياء-٦٣]. وَقَالَ: بَيْنَمَا هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ وَسَارَةً، إِذْ أَتَى عَلَى جَبَّارٍ مِنَ الْجَبَابِرَةِ، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّ هَذَا رَجُلًا مَعَهُ امْرَأَةٌ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ فَسَأَلَهُ عَنْهَا، فَقَالَ: مَنْ هَذِهِ؟ قَالَ: أَلْحَتِي، فَأَتَى سَارَةَ قَالَ: يَا سَارَةُ: لَيْسَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ مُؤْمِنٌ غَيْرِي وَغَيْرِكَ،

وَإِنَّ هَذَا سَأَلَنِي فَأَخْبَرْتُهُ أَنَّكَ أُخْتِي، فَلَا تُكَذِّبْنِي، فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا فَلَمَّا دَخَلَتْ عَلَيْهِ ذَهَبَ يَتَنَاوَلُهَا بِيَدِهِ فَأَخَذَ، فَقَالَ: ادْعِي اللَّهَ لِي وَلَا أُضْرِكُ، فَدَعَتِ اللَّهَ فَأَطْلَقَ، ثُمَّ تَنَاوَلَهَا الثَّانِيَةَ فَأَخَذَ مِثْلَهَا أَوْ أَشَدَّ، فَقَالَ: ادْعِي اللَّهَ لِي وَلَا أُضْرِكُ، فَدَعَتِ فَأَطْلَقَ، فَدَعَا بَعْضَ حَجَبَتِهِ، فَقَالَ: إِنَّكُمْ لَمْ تَأْتُونِي بِإِنْسَانٍ، إِنَّمَا أَتَيْتُمُونِي بِشَيْطَانٍ، فَأَخَذَمَهَا هَاجِرَ، فَأَتَتْهُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي، فَأَوْمَأَ بِيَدِهِ: مَهْيَا، قَالَتْ: رَدَّ اللَّهُ كَيْدَ الْكَافِرِ، أَوْ الْفَاجِرِ، فِي نَحْرِهِ، وَأَخَذَمَ هَاجِرَ " قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ تِلْكَ أُمَّكُمْ يَا بَنِي مَاءِ السَّمَاءِ (١) .

### ﴿فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (٦٤)

﴿ف﴾: حرفٌ يُفيدُ السببَ والسرعة ﴿رَجَعُوا﴾: بدأوا يتحدثون ﴿إِلَى أَنْفُسِهِمْ﴾: رجع بعضهم إلى بعضٍ؛ وخلصوا بعد تمعنٍ؛ ﴿فَقَالُوا﴾: لبعضهم بعضاً ﴿إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ﴾: اعترفوا أنهم، هم بالتأكيد في تيهٍ وابتعادٍ كبيرٍ عن الحق.

### ﴿ثُمَّ نَكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ﴾ (٦٥)

﴿ثُمَّ﴾: حرفٌ يفيدُ التتابعَ الزمني غير السريع ﴿نَكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ﴾: هنا استعارة حيث شبهه الله ﷻ رجوعهم عن الحق إلى الباطل بانقلاب الإنسان بحيث يصبح رأسه أسفله، ورجلاه أعلاه؛ رجعوا إلى جهلهم وعنادهم، قال قتادة: أدركتهم حيرةٌ سوءٍ، وهذا الأرجح، لاموا أنفسهم، أو أطرقوا ينظرون إلى الأرض خزيًا، وقال السدي: وقعوا في الفتنة، وقيل رجعوا إلى منهج الباطل والعناد ﴿لَقَدْ﴾: حرف إثبات ما حدث أقوى ما يكون في الماضي والمضارع، ولا يفيد في المستقبل ﴿عَلِمْتُمْ﴾: أدركت ووعيت يا إبراهيم ﴿مَا﴾: حرف نفي ﴿هَؤُلَاءِ﴾: حرف تنبيه وإشارة للجمع المذكور للبعيد، والمقصود هم الأصنام ﴿يَنْطِقُونَ﴾: أنت تعلم أنهم لا ينطقون؛ فكيف نسألهم، هنا حصل إبراهيم ﷺ، على ما خطط له وأراد؛ أن يعترفوا بعجز آلهتهم.

### ﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾ (٦٦)

﴿قَالَ﴾: إبراهيم ﷺ ﴿أ﴾: حرف استفهام بغرض الاستنكار والتوبيخ ﴿ف﴾: حرف يفيد السبب وتنفيذ الفعل دون تأخير ﴿تَعْبُدُونَ﴾: هل تطيعون ﴿مِنْ﴾: حرف جرٍ وبيان لتمييز النوع وتمييزه ﴿دُونِ اللَّهِ﴾: لماذا تعبدون غير الله ﷻ ﴿مَا﴾: الذي من غير العاقل الذي ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يَنْفَعُكُمْ﴾: لا يفيدكم ﴿شَيْئًا﴾: أي شيء ﴿وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾: يؤذيكم بشيء ولو صغيرًا، لماذا الطاعة المجانية لمن لا يستحق ولا يستطيع الدفاع عن نفسه، فكيف سيدافع عنكم.

(١) صحيح البخاري ٤/١٤٠ (٣٣٥٨).

﴿أَفِ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (٦٧)

﴿أَفِ﴾: الألف تعبيرٌ عن كلِّ مستقَدِرٍ من وسخٍ، يدلُّ على الضجر، والاستخفاف، بمعنى تَبًّا وتعسًّا ﴿لَكُمْ﴾: حرفٌ يُفيد الضجر والاستنكار، بمعنى تَبًّا وتعسًّا لكم، قبًا لكم، ما أقبحكم إنكم تسببون الضجر من نقاشكم ﴿و﴾: أيضًا ﴿لِمَا﴾: للذي من غير العاقل ﴿تَعْبُدُونَ﴾: تُطيعون ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: وهي عبادة أصنامكم ﴿أَفَلَا﴾: حرفٌ استفهامٌ غرضه الإنكار عليهم وتوبيخهم ﴿تَعْقِلُونَ﴾: لماذا لا تعودوا إلى صوابكم، وتكفوا عن طاعة الأصنام.

﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ (٦٨)

﴿قَالُوا﴾: الكفار ﴿حَرِّقُوهُ﴾: فعل الأمر المُشدد يفيد المبالغة في الفعل وهو هنا الحرق والتعذيب؛ احرقوا إبراهيم؛ ولتحقيق ذلك جمعوا حطبًا كثيرًا جدًّا، وكان الجميع يجمع تقريبًا للآلهة، ﴿و﴾: حرفٌ عطفٍ يفيد هنا حال هذا الحريق الكبير؛ قالوا ﴿انصُرُوا﴾: ارفعوا شأن ﴿آلِهَتَكُمْ﴾: الذين تعبدونهم وانتقموا من هذا الذي كسروهم وهشمهم ﴿إِنْ﴾: حرف شرط ﴿كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾: إذا أردتم الانتقام، وقيل إنهم وضعوا إبراهيم عليه السلام، في كفةٍ منجنيق؛ بناءً على نصيحة أعرابي من فارس، من الأكراد.

﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ (٦٩)

﴿قُلْنَا﴾: فانتصر الله ﷻ لرسوله ﷺ، فقال للنار، جاءت بصيغة الجمع؛ للدلالة على تعظيم رد الفعل على القول ﴿يَا﴾: حرف نداء وهو أمرٌ من الله ﷻ ﴿نَارُ كُونِي﴾: صيري وانقلبي ﴿بَرْدًا﴾: هنا تعطلت خاصية النار؛ فصار البرد خلاف الحرّ، عن ابن عباس: لو لم يتبع بردها سلامًا ل مات إبراهيم عليه السلام من بردها. وقال ابن عباس أيضًا: حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، «قَالَهَا إِبْرَاهِيمُ عليه السلام حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَقَالَهَا مُحَمَّدٌ ﷺ» حِينَ قَالُوا: ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا، وَقَالُوا: حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران-١٧٣] <sup>(١)</sup>، لم تبق نارٌ في الأرض إلا طُفئت ﴿و﴾: حرف عطفٍ يفيد هنا الحال؛ أيضًا كوني يا نار ﴿سَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾. عَنْ عَلِيٍّ عليه السلام فِي قَوْلِهِ ﷻ: ﴿يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ قَالَ: لَوْلَا أَنَّهُ قَالَ ﴿وَسَلَامًا﴾ لَقَتَلَهُ بَرْدُهَا <sup>(٢)</sup>.

﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾ (٧٠)

(١) صحيح البخاري ٣٩/٦ (٤٥٦٣).

(٢) الزهد لأحمد بن حنبل ١/١٧١ (٤١٤).

﴿و﴾: عطفًا على ما حدث ﴿أَرَادُوا﴾: رغبوا ﴿بِهِ﴾: بإبراهيم ﷺ ﴿كَيْدًا﴾: دبروا له مكيدةً تُؤذيه بالهلاك ولكن الله ﷻ أبطل كيدهم ﴿ف﴾: حرفٌ يفيد السبب والتتابع السريع ﴿جَعَلْنَاهُمْ﴾: جاءت بصيغة الجمع لعظم الحدث، صاروا ﴿الْأَخْسَرِينَ﴾: كان هذا سبب هزيمتهم، هذه سنةٌ من سننِ الله ﷻ؛ تجري على كلِّ الأنبياء، وعلى المؤمنين، والدعاة؛ عناصرها: الأول: يأتي الحق؛ فينقسم النَّاسُ إلى فئتين، فئةٍ كبيرةٍ جدًا وهي الكافرون، وفئةٍ صغيرةٍ جدًا، وهي المؤمنون، كانت فردًا واحدًا في قصة سيدنا إبراهيم وفي كلِّ بدايات الأنبياء، الثاني: نقاش حول فكرة التوحيد والإيمان. الثالث: ينتصر فيها الرسل والدعاة. الرابع: يلجأ الكفار والفاقدون إلى أقصى درجات العنف. الخامس: ينتصر المسلمون على غير توقُّعٍ من أحدٍ من البشر. السادس: تبدأ دورة إيمانية جديدة، تضعف، ثم تتجدد حتى قيام الساعة.

التكليف: تعيش الحركات الإسلامية اليوم في العالم العربي، وخاصةً في فلسطين، وفي البلاد الإسلامية المحتلة، أو التي يحكمها مثل قوم إبراهيم ﷺ، كشاهدٍ على هذا العصر، تعيش وحدها وسط عالم عربي، وغربي، بين معادٍ لها، ومؤيِّدٍ لليهود بالمال والسلاح، ومتأمِّرٍ فاعل، وبين مُتفَرِّجٍ صامتٍ.

### ﴿وَجَنَيْنَاهُ وَوَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ (٧١)

﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿جَنَيْنَاهُ﴾: يقول الله ﷻ بلغة التفضيم؛ لعظم البلاء الذي أصاب إبراهيم ﷺ، نجاه الله ﷻ من النار في أرض العراق، وهنا قصةٌ أخرى ﴿وَلُوطًا﴾: كان لوط ﷺ قد آمن بإبراهيم ﷺ، وذهب ﴿إِلَى الْأَرْضِ﴾: إلى فلسطين ﴿الَّتِي بَارَكْنَا﴾: كثيرة الخيرات ﴿فِيهَا ل﴾: حرف تملك ﴿الْعَالَمِينَ﴾: عَنْ قَتَادَةَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء-٧١] قَالَ: «أُنْجَاهُمَا اللَّهُ مِنْ أَرْضِ الْعِرَاقِ، إِلَى أَرْضِ الشَّامِ»<sup>(١)</sup>، وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَوَالَةَ الْأَزْدِيِّ، أَنَّهُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ خِرْ لِي بَلَدًا أَكُونُ فِيهِ فَلَوْ عَلِمْتُ أَنَّكَ تَبْقَى لَمْ أَحْتَرَّ عَلَى قُرْبِكَ قَالَ: «عَلَيْكَ بِالشَّامِ ثَلَاثًا». فَلَمَّا رَأَى النَّبِيَّ ﷺ كَرَاهِيَتَهُ إِيَّاهَا قَالَ: هَلْ تَدْرِي مَا يَقُولُ اللَّهُ فِي الشَّامِ إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: «يَا شَامُ أَنْتِ صَفْوَتِي مِنْ بِلَادِي أُدْخِلُ فِيكَ خَيْرَتِي مِنْ عِبَادِي، أَنْتِ سَوِيَّةُ نِقْمَتِي وَسَوِيَّةُ عَذَابِي، أَنْتِ الَّتِي لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ، أَنْتِ الْأَنْدَرُ وَاللَّيْكَ عَلَيْكَ الْمَحْشَرُ»<sup>(٢)</sup>. وقال ﷺ: «وَرَأَيْتُ لَيْلَةَ أُسْرِي بِي عَمُودًا أبيضَ كَأَنَّهُ لَوْلُوءَةٌ

(١) فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ٩٠٠/٢ (١٧١٥).

(٢) مسند الشاميين للطبراني ٣٤٥/١ (٦٠١). قال الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب ٢٨٠/٢: رواه الطبراني من طريقين أحدهما جيدة.

تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ قُلْتُ: «مَا تَحْمِلُونَ؟» قَالَ: عَمُودُ الْإِسْلَامِ أَمَرْنَا أَنْ نَضَعَهُ بِالشَّامِ وَبَيْنَا أَنَا نَائِمٌ إِذْ رَأَيْتُ الْكِتَابَ اخْتَلَسَ مِنْ تَحْتِ وَسَادَتِي، فَظَنَنْتُ أَنَّ اللَّهَ قَدْ تَخَلَّى مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ فَأَتْبَعْتُهُ بَصْرِي فَإِذَا هُوَ نُورٌ بَيْنَ يَدَيَّ حَتَّى وُضِعَ بِالشَّامِ، فَمَنْ أَبِي فَلْيَلْحَقْ بِيَمِينِهِ وَلْيَسْتَقِمْنِ غُدْرِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ تَكَفَّلَ لِي بِالشَّامِ"<sup>(١)</sup>.

### ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ﴾ (٧٢)

﴿و﴾: أيضًا ﴿وَهَبْنَا﴾: له أنعمنا على إبراهيم فرزقه الله ﷻ ﴿لَهُ﴾: حرف تملك ﴿إِسْحَاقَ﴾: منح الله ﷻ إبراهيم ولدًا هو إسحاق ﴿وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾: هي العطية أو الزيادة، وهب الله ﷻ لإبراهيم الحفيد، ولد الولد يعقوب، وهو معنى النافلة، وقال عبد الرحمن بن أسلم: النافلة هي الزيادة، فلقد طلب إبراهيم ﷺ، من ربه، جاء في المعنى: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [الصافات-١٠٠]؛ فأعطاه الله ﷻ إسحاق، وزاده يعقوب نافلة ﴿وَكُلًّا﴾: الولد وولد الولد ﴿جَعَلْنَا صَالِحِينَ﴾: جعل الله ﷻ الجميع أهل صلاح في الدين، وأهل خير في الدنيا.

التكليف: من سنن الله ﷻ الخير بعد المحنة ولأن الدنيا دار محنة، فإن الجنة دار المنحة.

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا

### لَنَا عَابِدِينَ﴾ (٧٣)

﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿جَعَلْنَاهُمْ﴾: هيأناهم ليكونوا ﴿أُمَّةً﴾: كلفهم الله ﷻ، وهياهم؛ ليكونوا قوّة يُقْتَدَى بهم ﴿يَهْدُونَ﴾: يدعون النَّاسَ إلى الإيمان ﴿بِأَمْرِنَا﴾: بأمر الله ﷻ، وهذا هو التكليف العام، وخصهم ﷻ بالتكليف الخاص ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ﴾: كل ما أمر الله ﷻ بفعله في المعاملات والعبادات، ومنها ﴿إِقَامَ الصَّلَاةِ﴾: أداء الصلاة على أصولها لله ﷻ، جاءت أولًا؛ لأنَّ تشريعها جاء أولًا، قبل الزكاة لأن الصلاة أفضل العبادات البدنية؛ وشرعها الله ﷻ لذكره ﷻ ﴿وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ﴾: وهي أفضل العبادات المالية، وهي الإنفاق على الفقراء والمحتاجين، في أوجه الزكاة المشروعة ﴿وَكَانُوا لَنَا﴾: لله ﷻ ﴿عَابِدِينَ﴾: مُتْقَادِينَ، يفعلون ما نأمرهم به، طاعة رضى، لا رغمًا.

﴿وَلَوْطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا سَوِيًّا

### فَأَسْقِينِ﴾ (٧٤)

(١) مسند الشاميين للطبراني ١/٣٤٥ (٦٠١) قال أبو حذيفة نبيل منصور الكويتي في أنيس الساري تخريج أحاديث فتح الباري ٢٦١٧/٤: إسناده حسن.

﴿وَلُوطًا﴾: جاء الاسم منصوبًا على الاشتغال، أي أيضًا آتينا لوطًا آياتنا حكمًا، وهو الذي آمن بإبراهيم عليه السلام، وهاجر معه من العراق إلى فلسطين ﴿أَتَيْنَاهُ﴾: منحه الله ﷻ ﴿حُكْمًا﴾: جعله الله ﷻ نبيًا وقاضيًا بين النَّاسِ ﴿و﴾: أيضًا منحه الله ﷻ ﴿عِلْمًا﴾: علمه الله ﷻ، وجعله نبيًا ﴿وَنَجِيْنَاهُ﴾: أنقذناه ﴿مِنْ﴾: حرف يفيد بداية الغاية المكانية ﴿الْقَرْيَةِ﴾: وأنقذه الله ﷻ من قرية سدوم التي تقع بالقرب من البحر الميت، في شرق فلسطين ﴿الَّتِي﴾: اسم موصول للمفرد المؤنث ﴿كَانَتْ﴾: في السابق ﴿تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ﴾: كان الذكور يمارسون الفاحشة في الذكور، من دون النساء ﴿إِنَّهُمْ﴾: بالتأكيد قوم لوط ﴿كَانُوا﴾: وبقوا ﴿قَوْمٌ﴾: جماعة من سلالة واحدة ﴿سَوْءٍ﴾: بسبب خبثهم كانوا أهل فسادٍ، وفعل كَلِهَ مكروهه، يُخالفون شرع الله ﷻ وفطرته، التي فطر النَّاسَ عليها في العلاقة القبيحة بين الرجل والرجل ﴿فَاسْقِينِ﴾: خارجين عن شرع الله وطاعته ﷻ.

﴿وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (٧٥)

﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿أَدْخَلْنَاهُ﴾: شملناه بصورة كبيرة ﴿فِي﴾: يفيد في هنا الإحاطة وكانَّ رحمة الله تحيط به ﴿رَحْمَتِنَا﴾: أنجينا لوطًا ومن آمن معه من العذاب الذي نزل على قريته في الدنيا ﴿إِنَّهُ﴾: هو كان بالتأكيد ﴿مِنْ﴾: بعض ﴿الصَّالِحِينَ﴾: وفي الآخرة هو مع الأنبياء عليهم السلام؛ أي من الصالحين.

﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ (٧٦)

﴿وَنُوحًا﴾: واذكر نوحًا أيضًا ﴿إِذْ﴾: حدث في الماضي يفيد التوكيد والسبب ﴿نَادَى مِنْ﴾: حرفٌ يفيدُ بداية الغاية الزمانية ﴿قَبْلُ﴾: فقد سأل نوح عليه السلام، رَبَّهُ: ﴿أَنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنْتَصِرْ﴾ [القمر- ١٠]، وقال أيضًا: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَيَّ الْأَرْضَ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح- ٢٦] ﴿ف﴾: وبسبب دعائه ودون تأخير ﴿اسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ﴾: أنقذه الله ﷻ بصورةٍ عظيمةٍ ﴿و﴾: أيضًا أنقذ الله ﷻ ﴿أَهْلَهُ﴾: الأهل هم الذين آمنوا معه، وهم قليل ﴿مِنْ﴾: حرفٌ يفيدُ بداية الغاية ﴿الْكَرْبِ﴾: الشدَّة والعذاب ﴿الْعَظِيمِ﴾: الشديد بسبب تكذيب قومه ألف سنَّةٍ إلا خمسين عامًا يدعوهم؛ وهم يكفرون، ويكذبون، ويؤذون، وما آمن منهم إلا قليل، كانوا يتناوبون على تكذيبه قرنًا بعد قرن.

﴿وَنَصْرَانَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمٍ سَوْءٍ فَأَعْرِضْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٧٧)

﴿و﴾: عطفًا على ما سبق ﴿نَصْرَانَاهُ﴾: نجيتناه وخلصناه مُنتصرًا ﴿مِنْ﴾: جاء اللفظ القرآني "من" على (١١) وجهًا؛ هنا بمعنى على أي نصرناه على ﴿الْقَوْمِ﴾: الجماعة الذين من أصلٍ

عربي واحد، أو أصحاب مذهبٍ وفكرٍ واحدٍ **﴿الَّذِينَ﴾**: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ **﴿كذَّبُوا﴾** **﴿بآياتِنَا﴾**: الذين أنكروا وكذَّبوا بالأدلة والبراهين الدالة على صدق رسالته **﴿انَّهُمْ﴾**: هم بالتأكيد **﴿كَانُوا قَوْمٌ﴾**: مجموعة متجانسة فيما بينها، أهل **﴿سَوْءٍ﴾**: شرٍ وضررٍ، هم الذين كانوا يعملون ما يغضبُ الله **﴿ف﴾**: حرفٌ يفيد السبب والتنفيذ السريع **﴿أَعْرَفْنَاهُمْ﴾**: جاءت بصيغة الجمع لتعظيم الفعل وهو الغرق **﴿أَجْمَعِينَ﴾**: أماتهم الله **﴿ف﴾** جميعًا غرقًا، ولم يُبق منهم أحدًا؛ استجابة لدعوة نبيه **﴿صَلَّى﴾**.

**﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفِثَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾**  
(٧٨)

**﴿و﴾**: أيضًا أذكر يا محمد نبي الله **﴿دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ﴾**: هو ابن داود عليهما السلام **﴿إِذ﴾**: حرفٌ يفيد التحقق في الماضي بهدف التوكيد **﴿يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ﴾**: يقضيان في قضيةٍ عرضها خصمان أرادا التقاضي، في كرمٍ أعنابٍ نبتت عناقده؛ فأفسدته أنعامٌ رعت فيه **﴿إِذْ نَفِثَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ﴾**: قال ابن عباس: الرعي، وقال قتادة: النفس في الليل، والهمل في النهار، وفي الحاليتين لم يكن لها راعٍ **﴿و﴾**: حرفٌ عطفٍ يفيد هنا الحال **﴿كُنَّا﴾**: كان الله **﴿صَلَّى﴾** بصيغة الجمع لتعظيم شأن داود وسليمان، عليهما السلام **﴿لِحُكْمِهِمْ﴾**: حكم داود وسليمان **﴿شَاهِدِينَ﴾**: عن ابن مسعودٍ في قوله عَزَّ وَجَلَّ: **﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفِثَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ﴾** قال: كَرَمٌ قَدْ نَتَنَتْ عَنَاقِدَهُ فَأَفْسَدَتْهُ. قال: فَقَضَى دَاوُدُ **﴿صَلَّى﴾** بِالْغَنَمِ لِصَاحِبِ الْكَرَمِ. فَقَالَ سُلَيْمَانُ: غَيْرَ هَذَا يَا نَبِيَّ اللَّهِ. قال: وما ذاك؟ قال: تَدْفَعُ الْكَرَمَ إِلَى صَاحِبِ الْغَنَمِ فَيَقُومُ عَلَيْهِ حَتَّى يَعُودَ كَمَا كَانَ، وَتَدْفَعُ الْغَنَمَ إِلَى صَاحِبِ الْكَرَمِ فَيُصِيبُ مِنْهَا، حَتَّى إِذَا كَانَ الْكَرَمُ كَمَا كَانَ دَفَعْتَ الْكَرَمَ إِلَى صَاحِبِهِ، وَدَفَعْتَ الْغَنَمَ إِلَى صَاحِبِهَا. قال **﴿صَلَّى﴾**: **﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾**<sup>(١)</sup>.

التكليف: جاءت الكلمات القرآنية **﴿حُكْمِهِمْ﴾**: بالجمع مع أنهما اثنان؛ راجع إلى داود وسليمان، عليهما السلام، والتعبير بالجمع مكانَ التنشئة تعظيمٌ لشأن داود وسليمان، ولأنَّ الضمير يشمل الحاكمين، والمتحاكمين، وهم جماعة. وقال ابن العربي: لم يرد إذ جمعها في القول اجتماعهما في الحكم؛ فإنَّ حاكمين على حكمٍ واحدٍ لا يجوز، وإتْمَا حكم كلٍّ واحدٍ منهما على انفرادٍ بحكم، وكان سليمان هو الفاهم لها.

(١) السنن الكبرى للبيهقي ٢٠٢/١٠ (٢٠٣٦٥).

﴿فَقَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعَلِمْنَا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾ (٧٩)

﴿ف﴾: حرف يُفيد السبب ﴿فَقَهَّمْنَاهَا﴾: شرحناها ووضحناها ﴿سُلَيْمَانَ﴾: مراعاةً لمصلحة الطرفين مع العدل؛ فحكم على صاحب الغنم بإصلاح الزرع التالف في فترة يستفيد فيها الزرع بمنافع الغنم، من لبن وصوف ونحوها، ثم تعود الغنم إلى صاحبها، والزرع إلى صاحبه. أتى الله ﷻ على سليمان، ولم يذم داوود، عليهما السلام ﴿و﴾: عطفاً على هذا ﴿كُلًّا﴾: داود وسليمان ﴿آتَيْنَا﴾: وهبناهما ﴿حُكْمًا﴾: القيادة ﴿وَعَلِمْنَا﴾: الحكم والحكمة هنا بمعنى الفهم والعلم، وهذه من شروط نجاح القضاة، يأتي ذكر الله ﷻ من القضاة، إن الله ﷻ اتخذ على الحكام ثلاثاً: قال ﷺ: إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ فَأَصَابَ، فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا حَكَمَ فَأَخْطَأَ، فَلَهُ أَجْرٌ وَاحِدٌ<sup>(١)</sup>، وفي السنن: الْقُضَاةُ ثَلَاثَةٌ، اثْنَانِ فِي النَّارِ، وَوَاحِدٌ فِي الْجَنَّةِ، رَجُلٌ عَلِمَ الْحَقَّ فَقَضَى بِهِ فَهُوَ فِي الْجَنَّةِ، وَرَجُلٌ قَضَى لِلنَّاسِ عَلَى جَهْلِ فَهُوَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ جَارَ فِي الْحُكْمِ فَهُوَ فِي النَّارِ<sup>(٢)</sup>، ﴿وَسَخَّرْنَا﴾: أيضاً طوعنا ﴿مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ﴾: كان صوت داود جميلاً، يتلو الزبور بصوتٍ نديٍّ، فكانت الجبال تردُّ عليه تائباً، أي ترجيعاً ﴿وَالطَّيْرَ﴾: أيضاً كلّ ذي أجنحة يسبح في الهواء، وكانت الطيور تقف في الهواء؛ تتجاوب معه ﴿وَكُنَّا﴾: كان الله ﷻ ﴿فَاعِلِينَ﴾: مُنفذين ومحققين.

﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾ (٨٠)

﴿و﴾: أيضاً ﴿عَلَّمْنَاهُ﴾: اختصّ الله ﷻ داود ﷺ، جاءت بصيغة الجمع؛ لعظم العلم ﴿صَنْعَةَ﴾: حرفة ﴿لَبُوسٍ لَكُمْ﴾: صناعة الدروع الحديدية، كانت الدروع صفائح، وكان داوود ﷺ أول من جعل فيها حلقات فارغة، سابغات لتخفيف وزنها ﴿ل﴾: حرف سبب ﴿تُحْصِنَكُمْ﴾: لتحمي أجسادكم من سيوف ورماح الأعداء ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ وبيان لتمييز النوع يفيد هنا ابتداء الغاية المكانية ﴿بَأْسِكُمْ﴾: تحميكم من قتال بعضكم بعضاً وفي القتال ضد بطش الأعداء ﴿فَهَلْ﴾: حرف استفهام بهدف الحث على الشكر أيضاً ﴿أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾: جاء الاستفهام دون صريح اللفظ بالشكر؛ لأن هذا أبلغ والمُخاطب لا يهتم إلا بالموافقة بخلاف الأمر بالشكر.

(٢) سنن الترمذي ٦٠٧/٣ (١٣٢٦)، وقال: حديث حسن غريب.

(٣) سنن ابن ماجه ٧٧٦/٢ (٢٣١٥)، قال الألباني: صحيح.



﴿وَلَسَلِيمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ  
عَالِمِينَ﴾ (٨١)

﴿و﴾: أيضًا سَخَرْنَا ﴿ل﴾: حرف تخصيص ﴿سَلِيمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً﴾: شديدة الهبوب  
﴿تَجْرِي بِ﴾: حرف باء الصلة والمصاحبة ﴿أَمْرِهِ﴾: بقرارٍ ورغبةٍ منه ﴿إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي  
بَارَكْنَا فِيهَا﴾: أرض الشام ﴿وَكُنَّا﴾: كان الله ﷻ بلا انقطاع ﴿ب﴾: حرف باء التوكيد  
﴿كُلِّ﴾: تفيد العموم ﴿شَيْءٍ﴾: جاءت بصيغة النكرة لتفيد العموم ﴿عَالِمِينَ﴾: نعرف ونحيط  
بكل شيء علمًا.

التكليف: إذا أراد الله ﷻ لقوم نصرًا وهب لهم ما لا يخطر على بال أحد.

﴿وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوضُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ﴾ (٨٢)

﴿و﴾: أيضًا سَخَرْنَا لسليمان ﴿مِن﴾: بعض ﴿الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوضُونَ﴾: ينزلون تحت سطح  
الماء ليستخرجوا منه ما يطلبه منهم فيما يعجز عنه غيرهم ﴿لَهُ﴾: وكان لسليمان ﷺ، من  
الجن الذي يغوص في البحار؛ يستخرجون له الجواهر، واللؤلؤ، وغير ذلك ﴿وَيَعْمَلُونَ  
عَمَلًا﴾: أعمالًا وواجبات ﴿دُونَ﴾: أقل وغير من ﴿ذَلِكَ﴾: ويقومون بأعمالٍ غير ما جاء ذكره  
﴿و﴾: حرف عطف يفيد هنا الحال ﴿كُنَّا﴾: كان الله ﷻ بصيغة الجمع للتعظيم ﴿لَهُمْ﴾:  
تخصيصًا ﴿حَافِظِينَ﴾: يحفظ ﷻ أعدادهم ويحفظ أعمالهم من الزينغ، ومن الفساد يحرسه الله  
ﷻ أن يناله أحدٌ من الشياطين بسوء، فكان لا يجرؤ شيطان أن يقترب منه.

﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (٨٣)

﴿و﴾: أيضًا نذكر قصة ﴿أَيُّوبَ﴾: ﷺ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:  
"إِنَّ أَيُّوبَ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ، لَبِثَ بِهِ بِلَاؤُهُ ثَمَانِي عَشْرَةَ سَنَةً، فَرَفَضَهُ الْقَرِيبُ وَالْبَعِيدُ، إِلَّا رَجُلَيْنِ  
مِنْ إِخْوَانِهِ، كَانَا مِنْ أَحْصَى إِخْوَانِهِ، كَانَا يَغْدُونَ إِلَيْهِ وَيُرْوَحَانِ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ ذَاتَ  
يَوْمٍ: تَعْلَمُ وَاللَّهِ، لَقَدْ أَذْنَبَ أَيُّوبُ ذَنْبًا مَا أَذْنَبَهُ أَحَدٌ مِنَ الْعَالَمِينَ، فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ: وَمَا ذَاكَ؟،  
قَالَ: مُنْذُ ثَمَانِي عَشْرَةَ سَنَةً لَمْ يَرَحْمَهُ اللَّهُ فَيَكْشِفَ مَا بِهِ<sup>(١)</sup>، ﴿إِذْ﴾: حرف يفيد الزمان بمعنى  
حينذاك ﴿نَادَى﴾: استغاث فسأل ﴿رَبَّهُ﴾: مالك أمره كله، فقال أيوب: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَعْلَمُ  
أَنِّي كُنْتُ أَمْرٌ عَلَى الرَّجُلَيْنِ يَتَنَازَعَانِ؛ فَيَذْكُرَانِ اللَّهَ؛ فَأَرْجِعْ إِلَى بَيْتِي فَأَكْفِرْ عَنْهُمَا؛ كَرَاهِيَةَ أَلَا  
يَذْكُرَا اللَّهَ إِلَّا فِي حَقِّ ﴿أَنِّي﴾: أنا بالتأكيد ﴿مَسَّنِيَ﴾: أصابني في عمق جسدي ﴿الضُّرُّ﴾:  
المرض وفقدت أهلي ﴿و﴾: حرف عطف يفيد هنا الحال، أشهد أنك ﴿أَنْتَ﴾: يا رب

(١) المستدرك على الصحيحين ٦٣٥/٢ (٤١١٥) وقال: صحيح على شرط البخاري ومسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

﴿أَرْحَمَ﴾: الأكبر والأعظم رحمة ﴿الرَّاحِمِينَ﴾: لم يقل ارحمني فتلطف في الدعاء فقال  
أصرف عني المرض، وارحمني وأنت أعظم من رحم.

﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضِرٍّ وَأَتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذَكَرَى  
لِلْعَابِدِينَ﴾ (٨٤)

﴿ف﴾: حرف يفيد السبب، وهو هنا دعاء أيوب عليه السلام، وفي تتابع سريع ﴿اسْتَجَبْنَا﴾: جاءت  
الاستجابة بصيغة الجمع لعظم الفعل ﴿لَهُ﴾: تحديداً وتخصيصاً ﴿فَكَشَفْنَا﴾: رفعنا ﴿مَا بِهِ﴾:  
حرف باء الظرف ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ لبيان النوع وتمييزه، وتفيد هنا ﴿ضِرٍّ﴾: دعا أيوب ربه؛  
فاستجاب عليه السلام، ورفع عنه الضرر، وشفاه ممّا كان فيه، وأمطر الله عليه السلام ذهباً. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ  
رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: «بَيْنَمَا أَيُّوبُ يَغْتَسِلُ غُرْيَانًا، حَرَّ عَلَيْهِ رِجُلٌ جَرَادٍ مِنْ ذَهَبٍ، فَجَعَلَ  
يَخْشِي فِي ثَوْبِهِ، فَنَادَاهُ رَبُّهُ يَا أَيُّوبُ أَلَمْ أَكُنْ أَغْنَيْتَكَ عَمَّا تَرَى، قَالَ بَلَى يَا رَبِّ، وَلَكِنْ لَا غِنَى  
لِي عَنْ بَرَكَتِكَ»<sup>(١)</sup>. ﴿و﴾: عطفاً على ما سبق ﴿أَتَيْنَاهُ أَهْلَهُ﴾: عَنِ الضَّحَّاكِ بْنِ مُرَّاحِمٍ، قَالَ:  
بَلَغَ ابْنُ مَسْعُودٍ أَنَّ مَرْوَانَ، يَقُولُ: ﴿وَأَتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ﴾ [الأنبياء-٨٤]، قَالَ: أَتَى  
أَهْلًا غَيْرَ أَهْلِهِ، فَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: «بَلْ أَتَى بِأَهْلِهِ بِأَعْيَانِهِمْ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ»<sup>(٢)</sup>، ﴿وَمِثْلَهُمْ  
مَعَهُمْ﴾: أيضاً آتاهم الله تعالى مثل العدد ﴿رَحْمَةً﴾: عطفاً وشفقة ﴿مِنْ عِنْدِنَا﴾: من رحمة  
الله عليه السلام عليه ﴿وَذَكَرَى﴾: تذكرة وموعظة ﴿لِلْعَابِدِينَ﴾: وجعلناه قُدوةً؛ حتى لا يظنُّ أهل البلاء  
أنه فعل ذلك بهم لهوانهم على الله عليه السلام، بل ليتأسوا به عليه السلام.

﴿وَأِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ (٨٥)

﴿و﴾: عطفاً على ما سبق يأتي ذكر حرف واو العطف؛ للترتيب ليس على اعتبار التقدم  
الزمني، أي من جاء قبل، ولكن باعتبار علو المنزلة والقدر ﴿إِسْمَاعِيلَ﴾: هو ابن إبراهيم  
عليهما السلام؛ انظر [مريم-٥٤] قيل: أنه نبي؛ لأنّ ذكره جاء مع الأنبياء، وقال مجاهد: كان  
رجلاً صالحاً، وملكاً عادلاً، وحكماً قسطاً ﴿وَأِدْرِيسَ﴾: أيضاً ﴿وَذَا﴾: صاحب ﴿الْكِفْلِ﴾: هو  
إلياس عليه السلام، سُمِّيَ ذا الكفل؛ لأنه كان عادلاً، وقيل إنه ليس بنبي، بل كان رجلاً من بني  
إسرائيل؛ يُصَلِّي في اليوم مئة صلاة، كلُّ هؤلاء كانوا من الصابرين على طاعة الله عليه السلام  
﴿كُلٌّ﴾: كلُّ واحدٍ منهم كان ﴿مِنْ﴾: حرف تمييز، بعض ﴿الصَّابِرِينَ﴾: الذين صبروا ابتغاء  
رحمة الله عليه السلام.

(١) صحيح البخاري ١٥١/٤ (٣٣٩١).

(٢) المعجم الكبير للطبراني ٢٢٣/٩ (٩٠٨٥) قلت: إسناده ضعيف؛ قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٦٧/٧: "إسناده منقطع،  
ويحیی الحماني ضعيف".

﴿وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (٨٦)

﴿وَأَدْخَلْنَاهُمْ﴾: جاء اللفظ بصيغة الجمع؛ لتعظيم الجزاء ﴿فِي رَحْمَتِنَا﴾: في الجنة، وقيل في النبوة؛ كان جزاؤهم أنهم في رحمة الله ﷻ ﴿إِنَّهُمْ﴾: هم بالتأكيد ﴿مِن﴾: حرف تمييز ﴿الصَّالِحِينَ﴾: لماذا قال ﷻ الصالحين علماً أن النبوة أعلى درجة من الصلاح؛ لأنّ صلاح كل شيء بحسبه؛ فصلاح الأنبياء أكمل من صلاح غيرهم من البشر، والأنبياء هم الذين حازوا رحمة الله ﷻ؛ لأنهم كانوا من الذين أصلحوا دينهم، وعلاقاتهم برّبهم، وعباد الله ﷻ.

﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (٨٧)

﴿و﴾: أيضاً ﴿ذَا﴾: صاحب ﴿النُّونِ﴾: هو يونس بن متى عليه السلام، صاحب الحوت، ذكرت قصته هنا، وفي سورة [الصافات-١٣٩] ﴿إِذْ﴾: حرف يفيد التحقق فيما مضى من الزمن، بمعنى وقتئذ ﴿ذَهَبَ﴾: قضى ومضى؛ أرسله الله ﷻ إلى أهل نينوى وهي قرية في أرض الموصل بالعراق ﴿مُغَاضِبًا﴾: وهو في حالة غضبٍ لربه ﷻ من قومه بسبب كفرهم، عَنْ كَعْبِ رضي الله عنه، قَالَ: " وَكَانَ يُؤَسُّ بُنْ مَتَى الَّذِي سَمَّاهُ اللَّهُ ذَا النُّونِ فَقَالَ: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء-٨٧] فَاسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ فَجَاءَهُ مِنَ الْعَمِّ مِنْ ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ: ظُلْمَةُ اللَّيْلِ، وَظُلْمَةُ الْبَحْرِ، وَظُلْمَةُ بَطْنِ الْحَوْتِ، وَبَاتَ عَلَى قَوْمِهِ وَأَرْسَلَهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ فَآمَنُوا فَمَتَّعَهُمُ اللَّهُ إِلَى آجَالِهِمُ الَّتِي كَتَبَهَا لَهُمْ وَلَمْ يُهْلِكْهُمْ بِالْعَذَابِ <sup>(١)</sup> ﴿ف﴾: حرف يفيد السبب ﴿ظَنَّ﴾: تيقن ﴿أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿لَنْ﴾: حرف نفي ﴿نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾: إنّ الله ﷻ لم يُقدِّرَ عليه العقوبة فلما عاقبه الله دخل في بطن الحوت جاء اللفظ القرآني "تقدر" من قدر، قال ابن عباس ومجاهد، وغيرهما: اعتقد أننا لن نصيِّقَ عليه في بطن الحوت، جاء في المعنى: ﴿وَمَنْ قَدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ﴾ [الطلاق-٧]، قال العوفي: نقص عليه ﴿فَنَادَى﴾: لم يقل الله ﷻ قال، بل نادى إشارة إلى رفع صوته بذلك، أو كإشارةٍ للتبنيه لنداء من أراد الإقبال عليه؛ دعا ربه ﷻ ﴿فِي الظُّلُمَاتِ﴾: لقد اجتمعت عليه ظلماتٌ ثلاث، قال ابن مسعود: ظلمة بطن الحوت، وظلمة البحر، وظلمة الليل؛ لأنّ الحوت ذهب إلى قعر البحر؛ فسمع يونسُ تسبيح الحصى في قاع البحر ﴿أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿إِلَهَ﴾: معبود ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿أَنْتَ سُبْحَانَكَ﴾: عندما سمع تسبيح الحصى؛ قال يا رب أنزهك عن

(١) المستدرک علی الصحیحین للحاکم ٦٣٧/٢ (٤١٢٠).

كل النواقص لا إله إلا أنت ﴿إِنِّي﴾: أنا بالتأكيد ﴿كُنْتُ﴾: في حياتي على الأرض ﴿مِنْ﴾ الظَّالِمِينَ: ظلمت نفسي عندما ذهبت في رحلتي هذه.

﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٨٨)

﴿ف﴾: حرفٌ يفيد الترتيب والتعقيب وسرعة الإجابة لهذا السبب كانت الاستجابة السريعة ﴿اسْتَجَبْنَا لَهُ﴾: دعاءه فأخرجه الله ﷻ من بطن الحوت ﴿و﴾: حرفٌ عطفيّ يفيد هنا الحال ﴿نَجَّيْنَاهُ﴾: خلّصناه من غمّ هذه الشدّة فأخرجناه من بطن الحوت، أنقذه الله ﷻ؛ جاءت بصيغة الجمع لعظم فعل النجاة، فلا يوجد له الطعام ولا الماء للشرب، وهي عناصر الحياة الأساس، ولم يذب جسمه بسبب ما تقرّزه أمعاء الحوت لهضم الطعام؛ وبإرادة الله ﷻ لم يختنق ﴿مِنْ﴾: حرف يفيد التأكيد ﴿الْغَمِّ﴾: من بطن الحوت حيث غياب عناصر الحياة ﴿وَكَذَلِكَ﴾: مثل هذا ﴿نُنْجِي﴾: نُنْقِذُ وَنَسَلِّمُ ﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾: إِنْ اللّٰهُ ﷻ يطمئن عباده المؤمنين الصادقين أنّه مهمما، اشتدت بهم الكربات؛ فإنّه ينجي المؤمنين منها؛ كما نجّى يونس عليه السلام، من بطن الحوت، وهي معجزة من المعجزات الكبرى، بكلّ المعايير العلمية. عَنْ سَعْدٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: دَعَا ذِي النُّونِ إِذْ دَعَا وَهُوَ فِي بَطْنِ الْحُوتِ: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَدْعُ بِهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا اسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ<sup>(١)</sup>.  
التكليف: نلاحظ هنا أنّ كلمة الغمّ تتناسب مع موقع يونس في بطن الحوت مغلقاً فاه "فمه".

﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ (٨٩)

﴿و﴾: أيضاً ﴿زَكَرِيَّا﴾: ويذكر الله ﷻ قصة زكريا عليه السلام ﴿إِذْ﴾: ظرف يدل على حدث في الماضي بمعنى حين ﴿نَادَى﴾: دعا ﴿رَبَّهُ﴾: هو ﷻ المعبود، والمُرَبِّي، مالك أمرك كلّهُ ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي﴾: لا تجعلني ولا تتركني ﴿فَرْدًا﴾: لا تجعلني وحيداً، لا ولد لي، ولا وارث يقوم بعدي في الناس داعياً ﴿وَأَنْتَ﴾: سبحانه وحدك ﴿خَيْرٌ﴾: أفضل وأنفع ﴿الْوَارِثِينَ﴾: نادى زكريا عليه السلام، بخير دعاء للمناسبة.

﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ (٩٠)

﴿ف﴾: حرفٌ يفيد السبب والاستجابة السريعة ﴿اسْتَجَبْنَا لَهُ﴾: سأل زكريا عليه السلام، الله ﷻ أن يرزقه ذريةً فاستجاب الله ﷻ دعاءه ﴿و﴾: عطفاً على هذا ﴿وَهَبْنَا﴾: منح الله ﷻ له

(١) سنن الترمذي ٥/٢٩٠ (٣٥٠٥) قال الأرناؤوط في حاشية مسند أحمد ٦٦/٣: إسناده حسن... وصحح الحاكم إسناده؛ ووافقه الذهبي.

**يَحْيَى**: رزقناه ولدًا يكون من بعده نبيًّا **﴿و﴾**: حرفٌ عطفٍ يفيد هنا الحال **﴿أَصْلَحْنَا﴾**: ما أصاب من مرضٍ ونقصٍ أو عقمٍ وغيره **﴿لَهُ﴾**: تحديدًا **﴿زَوْجَهُ﴾**: كانت عاقراً؛ فجعلها الله **﴿وُلُودًا﴾**، قال ابن عباس، ومجاهد، وسعيد بن جبير: كانت عاقراً لا تلد، **﴿إِنَّهُمْ كَانُوا﴾**: ما أصابهم من مرضٍ أو نقصٍ أو عقمٍ أو غيره **﴿يَسَارِعُونَ﴾**: لا يؤجلون عملاً **﴿فِي الْخَيْرَاتِ﴾**: عمل القربات إلى الله **﴿وَيَدْعُونَنا رَغْبًا﴾**: قال الثوري: طلبًا فيما عندنا **﴿و﴾**: أيضًا كانوا يدعون الله **﴿رَهْبًا﴾**، خوفًا **﴿وَكَانُوا لَنَا﴾**: أيضًا كانوا لله **﴿تَحْدِيدًا﴾** **﴿خَاشِعِينَ﴾**: قال ابن عباس: مُصَدِّقِينَ بما أنزل الله **﴿و﴾**، وقال مجاهد: مؤمنين حقًا، وقال أبو العالية: خائفين، وقيل متذللين لله **﴿و﴾**.

**﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ (٩١)**

**﴿وَالَّتِي﴾**: أيضًا هنا قصة جديدة، اسمٌ موصولٌ بالفرد المؤنث وهي مريم ابنة عمران **﴿أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾**: حفظت عرضها الشريف من سوء، ومن الحرام **﴿فَرْجَهَا﴾**: وقيل الفرج هو فرج القميص، أي أنّ مريم ابنة عمران، كانت طاهرة الثياب؛ مقرونةً بقصة زكريا، وابنه يحيى، عليهما السلام، وكلُّها معجزات؛ فيحیی ابن شيخٍ عجوزٍ، وامرأةٍ عاقر، لم تلد في شبابها، ومع قصة مريم التي وهبها الله ولدًا بلا زوج **﴿ف﴾**: حرفٌ يفيد السبب **﴿نَفَخْنَا﴾**: كان النفخ بالكيفية التي أرادها الله **﴿فِيهَا﴾**: في مريم **﴿مِنْ﴾**: حرفٌ جرٌّ وبيان لتمييز النوع يفيد هنا ابتداء الغاية **﴿رُوحِنَا﴾**: من جهة جبريل **﴿و﴾**؛ فحملت به من غير زوج **﴿وَجَعَلْنَاهَا وَ﴾**: أيضًا جعلنا **﴿ابْنَهَا﴾**: عيسى **﴿آيَةً﴾**: دليلًا على قدرة الله **﴿و﴾**، وعظمته **﴿ل﴾**: حرف يفيد التخصيص **﴿الْعَالَمِينَ﴾**: تخصيصًا للجنّ والإنس.

**﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُون﴾ (٩٢)**

**﴿إِنَّ﴾**: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار **﴿هَذِهِ أُمَّتُكُمْ﴾**: هي ملّةٌ ودينٌ الأمة التي جاء ذكرها دين واحد لا خلاف بين الأمم المختلفة في التوحيد، وهي ملّة الإسلام **﴿أُمَّةً وَاحِدَةً﴾**: أصحاب ملّة واحدة، قال ابن عباس: دينكم دينٌ واحدٌ، نعبد الله **﴿و﴾** وحده، لا شريك له، بشرائع متنوعة لرسله **﴿وَأَنَا﴾**: هو الله **﴿رَبُّكُمْ﴾**: هو **﴿ف﴾**: بسبب ذلك **﴿اعْبُدُون﴾**: أطيعوني وحدي، وهذا أمر ربّاني؛ واجب النفاذ.

**﴿وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلُّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ﴾ (٩٣)**

**﴿و﴾**: حرفٌ يفيد هنا الجمع بين متعاطفين، الأول: ذكر المؤمنين، والثاني: ذكر الذين **﴿تَقَطَّعُوا﴾**: تفرقوا فرقًا في الدين حتى صاروا كالقطع المتفرقة في **﴿أَمْرَهُمْ﴾**: في دينهم

فصاروا أحرابًا، وطوائف **﴿بَيْنَهُمْ﴾**: اختلفت الأمم على رسلها بين مصدقٍ ومكذبٍ **﴿كُلٌّ﴾**: كل فريقٍ منهم، المؤمن والكافر **﴿إِلَيْنَا﴾**: إلى الله **﴿رَاجِعُونَ﴾**: مبعوثون يوم القيامة؛ يوم الحساب والجزاء.

**﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ﴾ (٩٤)**

**﴿فَمَنْ﴾**: حرف استفهام استثنائي يفيد بمعنى الذي **﴿يَعْمَلُ مِنْ﴾**: جزءًا أو بعضًا **﴿الصَّالِحَاتِ﴾**: عمل كل ما يستطيع من صالح الأعمال طاعةً وتطبيقًا لأمر الله **﴿وَهُوَ﴾**: وخاصة العبادات **﴿وَهُوَ﴾**: تحديدًا **﴿مُؤْمِنٌ﴾**: وقلبه يصدق ما تقوم به جوارحه **﴿فَلَا﴾**: أداة نهية تفيد طلب عدم الفعل **﴿كُفْرَانَ﴾**: لا تغطيه ولا ضياع **﴿لِسَعْيِهِ﴾**: تخصيصًا لعمله **﴿وَإِنَّا﴾**: الله **﴿لَهُ﴾**: تحديدًا **﴿كَاتِبُونَ﴾**: مسجلون لأعماله، ولو مثقال ذرة، جاء في المعنى: **﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ \* وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾** [الزلزلة-٧].

**﴿وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ (٩٥)**

**﴿و﴾**: عطفًا على ما سبق **﴿حَرَامٌ﴾**: حرّمنا ومنعنا البتة، مستحيلٌ **﴿عَلَى قَرْيَةٍ﴾**: من أهل القرية التي أهلكناها بسبب كفرهم، قال ابن عباس: وجب على القرية، أي قرية **﴿أَهْلَكْنَاهَا﴾**: دمّناها وأهلها في الدنيا **﴿أَنَّهُمْ﴾**: تأكيد الفعل **﴿لَا﴾**: حرف نفي **﴿يَرْجِعُونَ﴾**: إلى الدنيا ليتوبوا؛ وتقبل توبتهم قبل يوم القيامة، وقيل: لا يتوبون.

**﴿حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾ (٩٦)**

**﴿حَتَّىٰ﴾**: حرف جرّ يدلُّ على انتهاء الغاية الشرطية، أي لن يُصدقوا إلا بشرط **﴿إِذَا فُتِحَتْ﴾**: فُتح سدّ القريتين **﴿يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾**: وانطلقوا يخرجون على الناس، انظر [الكهف-٩٤]، هم من سلالة آدم **﴿عَلَيْهِمَا﴾**، وقيل من نسل نوح **﴿عَلَيْهِمَا﴾**، وأيضًا من أولاد يافث، وهو أبو الأتراك **﴿و﴾**: عطفًا على ما سبق **﴿هُم﴾**: ضميرٌ منفصلٌ مرفوعٌ للجمع المذكر والمؤنث الغائب؛ للتحديد والتخصيص والتأكيد **﴿مِنْ﴾**: حرف جرّ وبيان لتمييز النوع يفيد هنا ابتداء الغاية المكانية **﴿كُلِّ﴾**: تفيد الجميع **﴿حَدَبٍ﴾**: من كل مكانٍ مرتفعٍ في الأرض **﴿يَنْسِلُونَ﴾**: يسرعون في المشي للخروج للإفساد، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ **﴿عَلَيْهِمَا﴾**، قَالَ: لَمَّا أُسْرِيَ لَيْلَةُ أُسْرِيَ بِالنَّبِيِّ **﴿عَلَيْهِمَا﴾** لَقِيَ إِبْرَاهِيمَ، وَمُوسَى، وَعِيسَى فَتَذَاكُرُوا السَّاعَةَ فَبَدَّءُوا بِإِبْرَاهِيمَ فَسَأَلُوهُ عَنْهَا، فَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ مِنْهَا عِلْمٌ، ثُمَّ مُوسَى، فَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ مِنْهَا عِلْمٌ، فَتَرَا جَعُوا الْحَدِيثَ إِلَى عِيسَى، فَقَالَ عِيسَى: عَهْدَ اللَّهِ إِلَيَّ فِيمَا دُونَ وَجِبَّتْهَا فَلَا نَعْلَمُهَا، قَالَ: فَذَكَرَ مِنْ خُرُوجِ الدَّجَالِ، فَأَهْبَطُ فَأَقْتُلُهُ، وَيَرْجِعُ النَّاسُ إِلَى بِلَادِهِمْ فَيَسْتَقْبِلُهُمْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ، فَلَا يَمُرُّونَ بِمَاءٍ إِلَّا شَرِبُوهُ

وَلَا يَمُرُّونَ بِشَيْءٍ إِلَّا أَفْسَدُوهُ فَيَجَارُونَ إِلَى اللَّهِ فَيَدْعُونَ اللَّهَ فَيَمِيتُهُمْ فَتَجَارُ الْأَرْضُ إِلَى اللَّهِ مِنْ رِيحِهِمْ وَيَجَارُونَ إِلَيَّ، فَأَدْعُوا اللَّهَ فَيُرْسِلُ السَّمَاءَ بِالمَاءِ فَيَحْمِلُ أَجْسَامَهُمْ فَيَقْدِفُهَا فِي النَّجْرِ، ثُمَّ يَنْسِفُ الْجِبَالَ، وَتَمُدُّ الْأَرْضُ مَدَّ الْأَيْمِ فَعَهَدَ اللَّهُ إِلَيَّ إِذَا كَانَ ذَلِكَ، فَإِنَّ السَّاعَةَ مِنَ النَّاسِ كَالْحَامِلِ الْمَتَمِّ لَا يَدْرِي أَهْلُهَا مَتَى تَفْجَأُهُمْ بِوِلَادَتِهَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ: فَوَجَدْتُ تَصْدِيقَ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ﴾ [الأنبياء-٩٧] الآية، قَالَ: وَجَمِيعُ النَّاسِ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ جَاءُوا مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَهُوَ حَدَبٌ<sup>(١)</sup>،

التكليف: قَالَ عَنْ عيسى ﷺ: لِيُحَجَّزَ النَّبِيُّ وَلِيُعْتَمَرَ بَعْدَ خُرُوجِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ<sup>(٢)</sup>

﴿وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ (٩٧)

﴿وَاقْتَرَبَ﴾: استعمال الفعل الماضي يفيد هنا تحقق الوقوع مستقبلاً ﴿الْوَعْدُ الْحَقُّ﴾: يوم القيامة يوم الحساب والجزاء بعد الأهوال والزلازل والمصائب؛ لأن خروجهم هو من شروط الساعة ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يُستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط ما بعدها بما قبلها ﴿هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ﴾: العيون مفتوحة عن آخرها؛ خوفاً، هنا تقديم شخوص العيون على الأبصار للتخصيص من شدة الخوف والهلع المقبل عليهم ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع من ﴿كَفَرُوا﴾: المنكرون لرسولهم، ولربهم، ولعقيدتهم ﴿يَا وَيْلَنَا﴾: تعبيرٌ عن الإحساس بالعذاب القادم، يا مصيبتنا التي حلت بنا ﴿قَدْ﴾: حرف جزم دخل هنا على الفعل الماضي فأفاد التأكيد ﴿كُنَّا﴾: في الحياة الدنيا ﴿فِي غَفْلَةٍ﴾: ومن هو في الغفلة فهو في الظلم، فجعلهم مظلومين في الغفلة، عندما أحاطت بهم الغفلة كانوا من المظلومين. في لهوٍ وعدم انتباه، والغفلة سهوٌ يعتري الإنسان من قلة التحفظ والنتيظة ﴿مِنْ﴾: حرف جرٍ وبيان لتمييز النوع يفيد هنا ابتداء الغاية المكانية وتقيد هنا معنى عن ﴿هَذَا﴾: كنا في الدنيا في انشغالٍ عن هذا اليوم ﴿بَلْ﴾: حرف ينفي ما قبله؛ ويؤكد ما بعده ﴿كُنَّا﴾: في الحياة الدنيا ﴿ظَالِمِينَ﴾: ظلمنا أنفسنا بالكفر والعصيان.

﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾ (٩٨)

(١) المستدرک علی الصحیحین للحاکم ٤١٦/٢ (٣٤٤٨) وقال: "صحيح الإسناد ولم يُخرِجَاهُ". ووافقهُ الذهبي.

(٢) صحيح البخاري ١٤٩/٢ (١٥٩٣).

﴿إِنكُمْ﴾: يا أهل مكة كفّار قريش ﴿وما﴾: والذين من غير العاقل ﴿تعبُدون﴾: تطيعون  
 ﴿من﴾: حرف جرّ وبيان لتمييز النوع يفيد هنا ابتداء الغاية المكانية ﴿دون﴾: غير ﴿الله﴾:  
 أصنامكم ومعتقداتكم ﴿حصب جهنم﴾: قال ابن عباس: وقودها، حطب، ووقود جهنم، التي  
 بها تُسعر، وقال الضحاك: ما يُرمى فيها ﴿أنتم لها﴾: لجهنم تخصيصًا وتمليكا ﴿وإردون﴾:  
 بكل تأكيد أنتم في النار داخلون.

﴿لَوْ كَانَ هُوَ آلهَةً مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٩٩)

﴿لو﴾: حرف امتناع لامتناع ﴿كان﴾: في الماضي ﴿هؤلاء﴾: حرف تنبيه وإشارة للقريب  
 والمقصود التحقير لهم؛ لأنهم ليسوا آلهة، هي الأصنام الحجارة ﴿آلهة﴾: معبودات تستحق  
 العبادة ﴿ما﴾: حرف نفي ﴿ورَدُوهَا﴾: ما دخلوا النار معكم أيها المشركون، ليس لهذه  
 الأصنام قوة، وسطوة، وآيات، ولأنهم كاذبون فسوف يدخلون جهنم ﴿و﴾: حرف عطف يفيد  
 هنا الحال ﴿كل﴾: جميع العابد والمعبود ﴿فيها﴾: في جهنم ﴿خالِدُونَ﴾: إنّ كلّ من العابد  
 والمعبود خالدون في نار جهنم؛ دائمون أبداً، لو كانت هذه الأصنام آلهة ما دخل العابدون  
 والمعبودون النار.

﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾ (١٠٠)

﴿لَهُمْ﴾: تخصيصًا لأهل جهنم ﴿فيها﴾: الضمير هنا يعود على النار، في جهنم، التي هي  
 تصدر الزفير وليس زفير المُعذِّبين في النار ﴿زفير﴾: لهؤلاء في جهنم زفير، والزفير هو  
 خروج الهواء من الأنف والفم، وهو صوتُ نفسِ المغموم، وأمّا الشهيق فهو دخول الهواء إلى  
 الصدر، ولم يذكر الحق ﷻ الشهيق، وهذا كناية عن إحساسهم بالاختناق ﴿وَهُمْ﴾: تحديداً  
 ﴿فيها﴾: في النار ﴿لا﴾: حرف نفي ﴿يسْمَعُونَ﴾: تعطلت وسائل الإدراك وبخاصة السمع  
 من هول المشهد.

﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ (١٠١)

﴿إن﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿الذين﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ ﴿سَبَقَتْ﴾:  
 جاء وعدٌ سبق ﴿لَهُمْ﴾: تحديداً ﴿مِنَّا﴾: حرف يفيد بداية الغاية، وهي من الله ﷻ  
 ﴿الحُسْنَىٰ﴾: السعادة الحسنة، قال عكرمة: الرحمة، وقيل العمل بعمل أهل الجنة ﴿أُولَٰئِكَ﴾:  
 إشارة للقريب والبعيد، قيل عيسى عليه السلام، وقيل والملائكة، وقيل عيسى، وعزير؛ ولكنّها عامّة،  
 والله أعلم ﴿عنها﴾: عن النار ﴿مُبْعَدُونَ﴾: فلا يدخلون النار، ولا منها يقتربون.

﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ﴾ (١٠٢)



﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يَسْمَعُونَ حَسِيْسَهَا﴾: لا يسمعون صوت جهنم، وصوت احتراق الأجساد في النار، وقيل صوت حيايت تلسع أهل النار، وهم على الصراط ﴿و﴾: حرف عطف يفيد هنا الحال ﴿هُمْ﴾: ضميرٌ منفصلٌ مرفوعٌ للجمع المذكر والمؤنث الغائب؛ للتحديد والتخصيص والتأكيد ﴿فِي مَا﴾: الذي ﴿أَشْتَهَتْ﴾: رغبت فيه ﴿أَنْفُسُهُمْ﴾: ذاتهم الطيبة ﴿خَالِدُونَ﴾: سلموا مما يجب الهروب منه، وحصلوا على المطلوب والمحبوب فيه.

﴿لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَرْعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (١٠٣)

﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿يَحْزَنُهُمْ﴾: لا يصيبهم حزن ﴿الْفَرْعُ﴾: الهول والخوف ﴿الْأَكْبَرُ﴾: العظيم، شديد الرعب، صوت نفخة البعث، وقال عطاء: الموت، وقال ابن عباس، وابن جرير: النفخة في الصور، وقيل حين تُطبق النارُ على أهلها، وقال الحسن البصري: حتى يُؤمر بالعبد إلى النار ﴿و﴾: عطفًا على هذا ﴿تَتَلَقَّاهُمْ﴾: تستقبلهم ﴿الْمَلَائِكَةُ﴾: على أبواب الجنة يُبشرونهم عندما يخرجون من قبورهم ﴿هَذَا﴾: يوم القيامة ﴿يَوْمُكُمْ﴾: يوم الجزاء الحسن ﴿الَّذِي كُنْتُمْ﴾: في الحياة الدنيا ﴿تُوعَدُونَ﴾: هذا ما وعدكم الله ورسله، من الكرامة وجزيل الثواب، يوم ترون فيه ما يسركم ويرضيكم.

﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجْلِ لِلْكِتَابِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدَّا عَلَيْنا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ (١٠٤)

﴿يَوْمَ نَطْوِي﴾: أي عظمة تلك التي تتجلى في قدرة الله ﷻ ساعة أن يطوي السماء كورقةٍ تُطوى وتوضع في ظرفٍ يجمع الله ﷻ ﴿السَّمَاءَ﴾: هي ما علا الأرض وأحاط بها، لكونها بيضاوية الشكل، كطي الصحف، قال عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " يَطْوِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ السَّمَاوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ الْيُمْنَى، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيِنَّ الْجَبَّارُونَ؟ أَيِنَّ الْمُتَكَبِّرُونَ. ثُمَّ يَطْوِي الْأَرْضِينَ بِشِمَالِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ أَيِنَّ الْجَبَّارُونَ؟ أَيِنَّ الْمُتَكَبِّرُونَ؟<sup>(١)</sup>، ﴿ك﴾: حرفٌ يُفيد مثل أو حال ﴿طَيِّ السِّجْلِ﴾: مثل ما يطوي الكاتب ورقةً بعد كتابتها، كجمع الصحيفة ﴿ل﴾: حرف تخصيص ﴿الْكِتَابِ﴾: أي يطوي الله ﷻ السماء؛ كطيِّ السجل المكتوب في الكتاب؛ الذي فيه أعمال الخلق، هو الكتاب المكتوب ﴿كَمَا﴾: مثلما ﴿بَدَأْنَا أَوَّلَ﴾: النشأة الأولى ﴿خَلْقٍ﴾: على هيئة الخلق أول مرة من غير سابق وجود ﴿نُعِيدُهُ﴾: عودةً إيجاباً بعد عدم، لا جمع بعد تفريق كل شيء كما بدأناه نعيده؛ فيكون ذلك ردًّا على القائلين بعدم الإعادة، إن المقصود هو إعادة الخلق نُكرره، هذا كائن لا محالة، يوم

(١) صحيح مسلم ٤/٢١٤٨ (٢٧٨٨).

يُعِيدُ اللهُ ﷻ الخلائق، ويحشرهم على صورتهم التي خُلقوا عليها أول مرة، كما بدأهم ﴿وَعَدَا عَلَيْنَا﴾: وعدًا يتحقق ﴿إِنَّا﴾: هو الله ﷻ، جاءت بصيغة الجمع وهو ﷻ واحدٌ احدٌ للتعظيم ﴿كُنَّا﴾: ونبقى بلا انقطاع ﴿فَاعِلِينَ﴾: سينجز الله ﷻ وعده ويُهلك كلَّ شيءٍ، يعيده كما كان أول مرة.

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ (١٠٥)

﴿وَلَقَدْ﴾: حرفٌ يُفيدُ التحقق في الماضي ﴿كَتَبْنَا﴾: لقد تم ما كتبه اللهُ ﷻ في كتابه حتمًا ﴿فِي الزَّبُورِ﴾: الكتبِ المُنزَلَةِ على داوودَ ﷺ، قال مجاهد: الكتاب، وقال ابن عباس والحسن: الذي أنزل على داوودَ ﷺ ﴿مِنْ﴾: حرفٌ جرٌّ وبيان لتمييز النوع يفيد هنا ابتداء الغاية ﴿بَعْدِ الذِّكْرِ﴾: هو اللوح المحفوظ، وقيل التوراة، وقال ابن عباس: القرآن الكريم، وقيل أم الكتاب ﴿أَنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الإنكار والشك ﴿الْأَرْضَ﴾: جاء اللفظ القرآني "الأرض" على سبعة أوجه؛ هنا بمعنى أرض الجنة، وقيل هي الأرض المقدسة، وقد تكون هذه بشارَةً لأمة محمد ﷺ؛ بوراثه أرض الكافرين، والله ﷻ أعلم ﴿يَرِثُهَا﴾: تقول ملكيتها إلى ﴿عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾: المؤمنون.

التكليف: هنا ثلاثة أمور: التهيج بالاتصاف بالصلاح، وتشريف الصالحين، وتوبيخ من لم يعمل بعملهم.

﴿إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ﴾ (١٠٦)

﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي والشك والإنكار ﴿فِي هَذَا﴾: الذي أنزلناه من الأوامر والنواهي في القرآن الكريم ﴿لَبَلَاغًا﴾: أخبار فيه نفعٌ كافٍ يُحققُ الغاية ﴿لِقَوْمٍ﴾: جماعة، أصحاب مذهبٍ واحدٍ ﴿عَابِدِينَ﴾: ولم يقل ﷻ صالحين، إشارةً إلى وصف الصلاح وإنما من اتصف بالعبادة والزيادة على ما أوجب ﷻ. الذين أطاعوا وندّوا ما ارتضاه اللهُ ﷻ لهم، مشغولين بعبادته ﷻ، مهتمين بها، وبخاصة رأس العبادة، وهي الصلاة.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (١٠٧)

﴿وَمَا﴾: حرف نفي ﴿أَرْسَلْنَاكَ﴾: بعثناك يا محمد ﷻ بالشرائع والأحكام ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناءٍ بمعنى فقط، والنفي والاستثناء أداة من أدوات القصر، وأفادت معنى التخصيص ﴿رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾: لجميع الخلائق رحمةً اللهُ ﷻ، فمن آمن بك سعد ونجا، ومن لم يؤمن خسر.

﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١٠٨)

﴿قُلْ﴾: يقول الله ﷻ لمحمد ﷺ قل للمشركين ﴿إِنَّمَا﴾: حرف يُفيد التخصيص والتحديد  
﴿يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾: إن الذي أوحى إليّ وُبُعِثْتُ به ﴿أَنَّمَا﴾: أداة حصر تُفيد التوكيد ﴿إِلَهُكُمْ﴾:  
معبودكم الذي يستحق العبادة وحده هو ﴿إِلَهٌ﴾: معبودٌ ﴿وَاحِدٌ﴾: خالقكم، وبارئكم، ومصورككم،  
ورازقكم، وباعتكم، هو الله ﷻ وحده، لا شريك له ﴿ف﴾: حرف استثنائي بهدف ترتيب الأمر  
ويفيد سرعة التنفيذ ﴿هَلْ﴾: حرف استفهام بغرض الأمر ﴿أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾: هل تستسلمون  
وتتقادون وتتبعون؟

﴿فَإِنْ تَوَلَّوْاْ فَقُلْ آدَنْتُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ وَإِنْ أُدْرِيَ أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدُ مَا تُوعَدُونَ﴾ (١٠٩)

﴿فَإِنْ﴾: حرف تأكيد الفعل وهو التولي ﴿تَوَلَّوْاْ﴾: أعرضوا ورفضوا الإسلام ﴿ف﴾: يُفيد  
السبب وسرعة الفعل ﴿قُلْ﴾: أمر ربّانيّ بالقول ﴿آدَنْتُكُمْ﴾: أخبرتكم وأعلمتكم جميعًا بما أمرت  
به ﴿عَلَىٰ سَوَاءٍ﴾: تكون أنت وهم على سواءٍ في المعرفة والعلم به، لما أنذرتكم وحدّرتكم منه،  
نحن في حالة مفاصلة تامّة، قل لهم براءتي منكم، وبراءتكم منّي، بصورة واضحة ﴿وَإِنْ  
أُدْرِيَ﴾: لست أعرف ولا أعلم متى يكون يوم الحساب، يوم العذاب ﴿أ﴾: حرف استفهام بهدف  
التقريب ﴿قَرِيبٌ﴾: بعد فترة قريبة ﴿أَمْ بَعِيدٌ مَا﴾: الذي ﴿تُوعَدُونَ﴾: اليوم الذي وعدكم الله ﷻ  
فيه بالحساب، لا أدري ما توعدون به يحصل قريبًا أو بعيدًا، وهو انتصار الإسلام.

﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ﴾ (١١٠)

﴿إِنَّهُ﴾: الله ﷻ ﴿يَعْلَمُ﴾: العلم المطلق ولم يقل يسمع ﴿الْجَهْرَ﴾: مع إنّ الجهر مسموع؛ لأنّ  
الله ﷻ يعلمه قبل وقوعه، ولو قال يسمع لدلّ ذلك أن السمع لا يتم إلّا بما وقع عبّر الله ﷻ  
عن الجهر بالاسم يسمع ويرى العلم العلني، والجهز أمرٌ ظاهرٌ والأمور الظاهرة أقرب إلى  
الثبوت والتفرد ﴿مِنَ الْقَوْلِ﴾ ما يقال جهراً، مسموعاً ﴿وَيَعْلَمُ مَا﴾: وعبر ﷻ عن العلم بالفعل  
الذي ﴿تَكْتُمُونَ﴾: ولأنّ الكتم هو فعلٌ قلبيّ، وخواطر القلب كثيرة التجدد والاختلاف ويعلم  
الذي تخفونه في سرائركم، والذي تسرونه، يعلم الظواهر، والضمائر، ويعلم السرّ وأخفى، ويعلم  
ماذا سيعمل عباده قبل أن يعملوا؛ وسيحاسبهم عليه.

﴿وَإِنْ أُدْرِيَ لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ (١١١)

﴿وَإِنْ أُدْرِيَ﴾: لا أدري، لا أعلم ﴿لَعَلَّهُ﴾: حرف يُفيد التوقع والترجي عند الخلق ﴿فِتْنَةٌ﴾:  
اختبار، وابتلاء ﴿لَكُمْ﴾: لعل تأخير العذاب الذي استعجلتم هو اختبارٌ، أو استدراجٌ لكم  
﴿و﴾: حرف عطف يفيد هنا الحال، أيضًا لعلّه ﴿مَتَاعٌ﴾: تستمتعون فيه ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾: إلى  
وقتٍ مُّقدّرٍ عند الله ﷻ، قال ابن عباس وابن جرير: ومتاعٌ إلى أجلٍ مسمّى.

﴿قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ (١١٢)

﴿قَالَ﴾: محمد ﷺ داعيًا لله ﷻ ﴿رَبِّ﴾: مالك أمري كله ﴿احْكُم﴾: أفصل بيننا وبين قومنا المُصْرِينَ على الكفر، المكذبين ﴿بِ﴾: بآء السببية ﴿الْحَقِّ﴾: قال قتادة: كانت الأنبياء عليهم السلام، يقولون: ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ [الأعراف-٨٩]، وقد أمر الله ﷻ رسوله ﷺ أن يقول ذلك، وكان رسول الله ﷺ إذا شهد غزوة؛ قال: رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ ﴿و﴾: عطفاً على ما سبق ﴿رَبَّنَا﴾: مالك أمرنا كله، إلهنا، وخالقنا، وبارئنا، ومصورنا ﴿الرَّحْمَنُ﴾: صاحب الرحمة الواسعة ﴿الْمُسْتَعَانُ﴾: الذي نطلب العون منه وحده ﴿عَلَىٰ مَا﴾: كل الذي ﴿تَصِفُونَ﴾: ما تقولون من كذبٍ وافتراءٍ، والله المستعان عليكم في كل الأحوال.

التكليف: بدراسة مقاصد هذه السورة الكريمة؛ نعلم حقيقة وحدة الرسالات، ووحدة الدعوة.



سورة الحج سُمِّيت بهذا الاسم في زمن النبي ﷺ، ووجه التسمية أن الله ﷻ ذكر فيها كيف أمر إبراهيم عليه السلام، بالدعوة إلى حج البيت الحرام، وذكر ما شرعه الله ﷻ من النُسك، قال بعض الجمهور: هذه السورة بعضها مكِّي وبعضها مدني، وهي مُختلطة، وقد عُدَّت السورة رقم الخامسة بعد المائة في عدادِ نزولِ سورِ القرآن الكريم. وعدد آياتها ثمان وسبعون آية عند أهل الكوفة. في محل نصب

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ (١)

﴿يَا﴾: أداة نداءٍ ﴿أَيُّ﴾: منادى نكرة مبني على الضم ﴿هَا﴾: حرف تنبيه. كلمة يا "أَيُّهَا" نداء للتنبيه وتواصلٍ بين المُنادي وهو الله ﷻ والمُنَادَى عليهم هم النَّاسُ، للتنبيه هنا من زلزلة الساعة وهم هنا ﴿النَّاسُ﴾: نداءً من الله ﷻ لعموم الناس ﴿اتَّقُوا﴾: احذروا عقابه؛ بفعل الواجبات؛ وترك المحرّمات ﴿رَبَّكُمُ﴾: هو ﷻ المُعبود، والمُرَبِّي، مالك أمركم كله، جاء اللفظ القرآني "اتقوا" على خمسة وجوه؛ هنا بمعنى الخشية، وجاءت بالمعنى نفسه في قوله ﷻ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا

كثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿النساء-١﴾، وفي قوله أيضًا ﴿إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الشعراء-١٠٦]، وبمعنى تجنبوا غضب الله ﷻ. ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿زُلْزَلَةَ السَّاعَةِ﴾: يُخْبِرُ اللَّهُ ﷻ عِبَادَهُ عَمَّا يَسْتَقْبِلُونَ مِنْ أَهْوَالٍ وَشِدَائِدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَمَا الْمَقْصُودُ بِالزَّلْزَلَةِ؟ قِيلَ سَتَقُومُ فِي آخِرِ عَمْرِ الدُّنْيَا، وَأَوَّلِ أَحْوَالِ السَّاعَةِ، وَقِيلَ بَعْدَ قِيَامِ النَّاسِ مِنْ قُبُورِهِمْ يَوْمَ نَشُورِهِمْ، إِلَى إِرْهَاصَاتِ الْقِيَامَةِ ﴿شَيْءٌ﴾: نَكْرَةٌ تَفِيدُ الْعَمُومَ ﴿عَظِيمٌ﴾: وَهَذِهِ حَالَةٌ يَحْدُثُ فِيهَا تَغْيِيرُ التَّوَازَنِ الْقَائِمِ فِي النِّظَامِ الشَّمْسِيِّ، وَحُدُوثِ الْقَارِعَةِ، وَهِيَ تَصَادِمُ الْكَوَاكِبِ؛ بِانْقِطَاعِ الْعِلَاقَةِ بَيْنَ الْجَازِبِيَّةِ وَالطَّرْدِ الْمُرْكَزِيِّ الَّتِي كَانَتْ تَرْبِطُهَا؛ فَتَتَنَاشَرُ هَذِهِ الْمَخْلُوقَاتُ فَتَكُونُ الزَّلْزَلَةُ، عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ، قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفَرٍ فَتَقَاوَتَ بَيْنَ أَصْحَابِهِ فِي السَّيْرِ فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَوْتَهُ بِهَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زُلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ [الحج-١] إِلَى قَوْلِهِ ﴿وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج-٢] فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ أَصْحَابُهُ حَثُّوا الْمَطِيَّ وَعَرَفُوا أَنَّهُ عِنْدَ قَوْلِ يَقُولُهُ، فَقَالَ: «هَلْ تَذَرُونَ أَيُّ يَوْمٍ ذَلِكَ؟» قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: " ذَلِكَ يَوْمٌ يُنَادِي اللَّهُ فِيهِ آدَمَ فَيُنَادِيهِ رَبُّهُ فَيَقُولُ: يَا آدَمُ ابْعَثْ بَعَثَ النَّارِ، فَيَقُولُ: أَيُّ رَبِّ، وَمَا بَعَثَ النَّارِ؟ فَيَقُولُ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعُ مِائَةٍ وَتِسْعَةٌ وَتَسْعُونَ إِلَى النَّارِ وَوَاحِدٌ فِي الْجَنَّةِ، فَيُنَسِّسُ الْقَوْمَ، حَتَّى مَا أَبْدَوْا بِصَاحِكَةٍ، فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الَّذِي بِأَصْحَابِهِ قَالَ: «اعْمَلُوا وَأَبْشُرُوا فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنَّكُمْ لَمَعَ خَلِيقَتَيْنِ مَا كَانَتَا مَعَ شَيْءٍ إِلَّا كَثَّرْتَاهُ، يَا جُوجُ وَمَأْجُوجُ، وَمَنْ مَاتَ مِنْ بَنِي آدَمَ وَبَنِي إِبْلِيسَ» قَالَ: فَسُرِّيَ عَنِ الْقَوْمِ بَعْضُ الَّذِي يَجِدُونَ، فَقَالَ: «اعْمَلُوا وَأَبْشُرُوا فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا أَنْتُمْ فِي النَّاسِ إِلَّا كَالشَّامَةِ فِي جَنْبِ الْبَعِيرِ أَوْ كَالرَّقْمَةِ فِي زِرَاعِ الدَّابَّةِ»<sup>(١)</sup>.

﴿يَوْمَ تَرُوءُنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ (٢)

﴿يَوْمَ تَرُوءُنَهَا﴾: وَقْتُ رُؤْيَيْكُمْ الزَّلْزَلَةَ الَّتِي بِسَبَبِهَا ﴿تَذْهَلُ﴾: تَتَشَغَلُ، وَتَغْفَلُ، وَتُورِثُ حُزْنَاً وَنَسِيَاناً ﴿كُلُّ﴾: تَفِيدُ الْجَمِيعَ ﴿مُرْضِعَةٍ﴾: تَتَسَّى كُلُّ أُمٍّ طِفْلَهَا الَّذِي تُرْضِعُهُ، وَلَمْ يَقُلِ ﷻ كُلَّ مُرْضِعٍ؛ لِأَنَّ كُلَّ أُمٍّ هِيَ مُرْضِعٌ، وَلَكِنْ خَصَّصَ ﷻ أَعْلَى دَرَجَاتِ الشَّفَقَةِ عِنْدَ الْأُمِّ وَهِيَ تَرْضِعُ طِفْلَهَا ﴿عَمَّا﴾: عَنِ الَّذِي ﴿أَرْضَعَتْ﴾: الرُّضِيعَ الَّذِي تَرْضِعُهُ ﴿و﴾: حَرْفُ عَطْفٍ يَفِيدُ هُنَا الْحَالَ ﴿تَضَعُ﴾: يَسْقُطُ وَيَنْزِلُ ﴿كُلُّ﴾: تَفِيدُ الْجَمِيعَ ﴿ذَاتِ﴾: صَاحِبَةُ ﴿حَمَلٍ﴾: الْمَرْأَةُ الْحَامِلُ ﴿حَمْلَهَا﴾: أَيُّ يَنْزِلُ مَا فِي رَحِمِ الْحَوَامِلِ مِنَ النِّسَاءِ قَبْلَ النَّمُوِّ مِنْ شِدَّةِ الْهَوْلِ ﴿وَتَرَى﴾:

(١) سنن الترمذي ٣٢٣/٥ (٣١٦٩) وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

تُشاهد **﴿النَّاس﴾**: عموم بني آدم **﴿سُكَارَى﴾**: هنا تشبيهه بليغ تبدو صورة النَّاس كمن ذهبت عقولهم من الخوف؛ كما تذهب الخمر بعقول السكارى **﴿وَمَا﴾**: حرف نفي **﴿هُمْ﴾**: ضميرٌ منفصلٌ مرفوعٌ للجمع المذكر والمؤنث الغائب؛ للتحديد والتخصيص والتأكيد **﴿ب﴾**: حرف الباء هنا للتبنيه **﴿سُكَارَى﴾**: حرف الباء يفيد الحال إنهم لم يتعاطوا مسكرات **﴿وَلَكِنَّ﴾**: حرف استدراكٍ بسبب **﴿عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾**: هذا سبب هذه الحالات.

**﴿وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ﴾ (٣)**

**﴿وَمَنْ﴾**: بعض **﴿النَّاسِ﴾**: كلمةٌ عن عموم البشر؛ تُفيد منهم رؤوس الكفر من النَّاس **﴿مَنْ﴾**: الذي من جنس البالغ العاقل، الذي **﴿يُجَادِلُ﴾**: الذي يكذب؛ يُخاصم ويشكك **﴿فِي اللَّهِ﴾**: يقال هذا للذين قالوا إنَّ الملائكة بنات الله وإنَّ الله لا يحيي الموتى، وفيما قاله الله ﷻ في البعث؛ أي الحياة بعد الموت **﴿بِغَيْرِ﴾**: دون **﴿عِلْمٍ﴾**: جهلاً منهم بحقيقة هذه القدرة، دونَ علمٍ صحيحٍ صادقٍ **﴿وَيَتَّبِعُ﴾**: يُطيع ويقفَى أثر **﴿كُلِّ﴾**: جميع جنس **﴿شَيْطَانٍ مَرِيدٍ﴾**: متمردٍ لا يُطيع، ولا يتَّبِع الأوامر، عاتٍ متخصِّص للفساد، من شياطين الإنس والجن.

**﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَإِنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ (٤)**

**﴿كُتِبَ عَلَيْهِ﴾**: كتب الله ﷻ على الشيطان، يستوي شيطان الإنس أو الجن، كتابةً قدريةً **﴿أَنَّهُ﴾**: حرف تأكيدٍ ونفي الإنكار والشك **﴿مَنْ﴾**: الذي من جنس العاقل **﴿تَوَلَّاهُ﴾**: كلٌّ من أحبه، ونصره، وأيده، وتقرب إليه، وقلده وتبعه **﴿ف﴾**: حرف استثنائي بهدف ترتيب الأمر ويفيد سرعة التنفيذ **﴿أَنَّهُ﴾**: حرف تأكيد الفعل ونفي الشك **﴿يُضِلُّهُ﴾**: سوف يُبعده عن الجنة؛ فيكون كالتائه في الشوارع أو كالريشة في مهب الريح **﴿وَ﴾**: عطفاً على ذلك **﴿يَهْدِيهِ﴾**: يقوده ويوصله **﴿إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾**: وعيد بعذاب النَّار الحارّ.

**﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ النَّبْعِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ آجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّىٰ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لَكُمْ يُعَلِّمُ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ رَوْحٍ بِهِيجٍ﴾ (٥)**

**﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾**: حرفُ نداءٍ بين المُنادي، وهذه دعوة ربَّانية، والمُنَادَى عليه، وهم عموم البشر، الكافر، والمؤمن، والمنافق **﴿إِنَّ﴾**: حرف شرط، بمعنى إذا **﴿كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ﴾**: في شكٍ وفي ظنٍّ وفي وهمٍ **﴿مِنْ﴾**: حرفٌ يُفيد بداية الغاية الزمانية والمكانية **﴿النَّبْعِ﴾**: أن يقوم

الموتى يوم القيامة من القبور، بأرواحهم، وأجسادهم، أي الحياة بعد الموت ﴿فَإِنَّا﴾: حرف تأكيد على الفعل السابق ﴿خَلَقْنَاكُمْ﴾: أوجدناكم من غير سابق وجود ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ وبيان لتمييز النوع يفيد هنا ابتداء الغاية المكانية ﴿تَرَابٍ﴾: يوم خلق الله ﷺ آدم ﷺ، من التراب؛ فجعل منه زوجه حواء، فكانا أولّ الزوجين، الذكر والأنثى ﴿ثُمَّ﴾: حرف يفيد التباعد والتراخي الزمني ﴿مِنْ نُطْفَةٍ﴾: هي الحيوان المنوي من خصيتي الذكر ومن البويضة من المبيضين في الأنثى ﴿ثُمَّ﴾: يفيد التتابع الزمني غير السريع ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ وبيان لتمييز النوع يفيد هنا ابتداء الغاية المكانية ﴿عَلَقَةٍ﴾: تعني تثبيت الشيء في شيء آخر، ويبقى مُعلقاً في الأعلى، وهذا ما يحدث للعلقة التي تُعلق في أعلى ظهر الرحم ﴿ثُمَّ﴾: حرف يفيد التتابع الزمني على التراخي ﴿مِنْ مُضْغَةٍ﴾: والمضغ هو خلط الأشياء المختلطة مع بعضها، وتحويلها من أجسام كبيرة إلى أجسام أصغر، وتتكون المضغة في الجنين الأول من ثلاثة أنسجة مختلفة؛ الأول يسمى الجلد الخارجي Ectoderm، والذي منه يتكون الجلد ومشتقاته؛ مثل الشعر، والغدد العرقية، والدهنية، والثاني تسمى ميزوديرم mesoderm؛ وتعنى الجلد الأوسط، ومنها تتكون العضلات، والعظام، وغيرها والثالث يسمى إندوديرم Endoderm، ومنه تتكون الأحشاء، وغيرها، ومع نمو كلّ هذه الأنسجة؛ تلتصق العضلات بالعظام، ويتكون الغشاء الداخلي للبطن والأمعاء، وهكذا، فهنا يتحقق الخلط والمزج، وتتحقق التجزئة، ويكون شكلها على هيئة قطعة الخبز الممضوغة، حيث يوجد بها نتوءات، ويكشف الطب عن حقيقة هذه المراحل، ويؤكدها، وقد نزلت هذه الآيات قبل مئات السنين، حيث يتكون الإنسان من تزاوج عنصرين: الأول حيوان منوي، حيث عدد ما ينزل في الجماع الواحد حوالي مائتين وخمسين مليوناً، والثاني البويضة، تُخلق البويضة من مبيضين في أسفل البطن الحوض، تخرج البويضة من المبيض كلّ شهرين بالتتابع، أي تتكون البويضة في مبيض في شهر، ومن المبيض الثاني في الشهر الذي بعده، وهكذا؛ فكيف يتم الحمل؟ إذا قدر الله ﷻ الحمل، خرجت بويضة، تلتقطها أصابع قناة تُسمى قناة فالوب من داخل حوض المرأة، وتسير البويضة في الأنبوبة في اتجاه الرحم، فإذا حدث لقاء بين الزوجين في هذا الوقت، قُدّف السائل المنوي في المهبل؛ فيجتمع قرب عنق الرحم، وتسير الحيوانات المنوية بسرعة في كلّ اتجاه، يقدر الله ﷻ لبعضها أن تدخل عنق الرحم، إلى تجويف الرحم، ويستمر المكوّن الجديد نحو الرحم ثم يتحرك بسرعة إلى قناة فالوب؛ ليلتقي بالبويضة في ثلثها البعيد عن الرحم، حتى تدخله، ويخترق جدار البويضة، وهنا تنشأ النطفة، وتتكاثر بسرعة كبيرة جداً، وهي تتجه

نحو الرحم، فتصله؛ فتلتصق في ظهر جدار الرحم الداخلي، في الجزء العلوي، ويغطيها غشاء يبطن جدار الرحم؛ فتعلق فيه، وهنا تصبح علقه، وتتكاثر بسرعة كبيرة؛ ويصبح شكلها كقطعة الخبز التي مضغها الإنسان فتسمى مضغة **﴿مُخَلَّقَةٌ﴾**: هي القطعة بعد تسويتها، التي لا نقص فيها، ولا عيب، التامة الخلقة، التي ظهر، وتصوّر خلقها، عَنْ حُدَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ، يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ قَالَ: " يَدْخُلُ الْمَلَكُ عَلَى النَّطْفَةِ بَعْدَ مَا تَسْتَقِرُّ فِي الرَّحِمِ بِأَرْبَعِينَ، أَوْ خَمْسَةَ وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ أَشَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ؟ فَيُكْتَبَانِ، فَيَقُولُ: أَيُّ رَبِّ أَذْكَرٌ أَوْ أُنْثَى؟ فَيُكْتَبَانِ، وَيُكْتَبُ عَمَلُهُ وَأَثَرُهُ وَأَجَلُهُ وَرِزْقُهُ، ثُمَّ تُطَوَّى الصُّخْفُ، فَلَا يَزَادُ فِيهَا وَلَا يُنْقُصُ"<sup>(١)</sup>، **﴿وَعِغْرٍ مُخَلَّقَةٍ﴾**: هي القطعة غير المسواة، التي فيها عيب؛ فإذا كتب الله لها ألا تستقر؛ تنزل من الرحم **﴿لِ﴾**: حرف علة وقصد التدرج في الخلق **﴿نُبِينٍ﴾**: ظهر ونوضح كمال قدرتنا وحكمتنا لتستدلوا على إمكان البعث **﴿لَكُمْ﴾**: تخصيصاً **﴿و﴾**: حرف يفيد هنا الاستئناف **﴿فَرُّ﴾**: نثبت **﴿فِي الْأَرْحَامِ﴾**: مكان الحمل والولادة **﴿مَا﴾**: الذي **﴿نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ﴾**: زمن **﴿مُسَمًّى﴾**: مُحدد ومقدّر من عند الله ﷻ **﴿ثُمَّ﴾**: حرف يفيد التتابع الزمني غير السريع **﴿نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً﴾**: إذا انتهت مدة فترة الرحم، وهي حوالي أربعين أسبوعاً، خرجت هرمونات توسع عنق الرحم في جانب، وأخرى تقوى قبضات الرحم؛ لخروج المولود، ضعيفاً في سمعه وبصره وبدنه، جاء اللفظ المفرد تعبيراً عن الجمع لأن هذا يوحي بضعف العباد بإقلالهم **﴿ثُمَّ﴾**: بعد ذلك على التراخي الزمني **﴿لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ﴾**: تكبرون إلى مرحلة طفل، ثم صبي ثم شاب بكمال قوته، ونضوج عقله **﴿و﴾**: عطفاً على ذلك **﴿مِنْكُمْ مَنْ﴾**: جنس العاقل من **﴿يَتَوَفَّى﴾**: وهو في كامل قوته وشبابه **﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ﴾**: يرجع **﴿إِلَى أَرْدَلٍ﴾**: أخس **﴿الْعُمُرِ﴾**: يكبر ويبلغ الشيخوخة، وتضعف الحواس، والجسد **﴿لِكَيْلًا﴾**: حتى لا **﴿يَعْلَمَ﴾**: الإنسان **﴿مَنْ﴾**: حرف جرّ وبيان لتمييز النوع **﴿بَعْدَ عِلْمٍ شَيْنًا﴾**: نتيجة إصابته بالخرف **﴿وَتَرَى﴾**: أيضاً تُشاهد وتجد **﴿الْأَرْضِ﴾**: سطحها **﴿هَامِدَةً﴾**: يابسة قاحلة هذا دليل آخر على قدرة الله ﷻ على إحياء الموتى، حالة أرض يابسة، قحط لا تنبت، وقال قتادة: غير مهياة للزراعة، وقال السدي: ميتة **﴿إِذَا﴾**: ظرف لما يُستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط بين ما بعدها بما قبلها **﴿أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ﴾**: نزل عليها الماء العذب **﴿فَاهْتَزَّتْ﴾**: شبه الله ﷻ الأرض بشخص نائم؛ حتى إذا نزل عليه المطر تحرك، هنا بمعنى خرج الزرع؛ فتحركت أعضاؤه فوق الأرض بشدة، كناية عن ثباته في الأرض بشدة الحركة **﴿وَرَبَّتْ﴾**:

(١) صحيح مسلم ٤/٢٠٣٧ (٢٦٤٤).



نمت، وانتفخت، وارتفع فيها الزرع والأشجار **﴿وَأُنْبِتَتْ﴾**: أيضاً أثمرت **﴿مِنْ﴾**: حرف جرّ وبيان لتمييز النوع يفيد هنا ابتداء الغاية المكانية وتفيد هنا جزءاً أو بعضاً **﴿كُلِّ﴾**: جميع **﴿زَوْجٍ﴾**: من كلّ نوعٍ **﴿بِهَيْجٍ﴾**: حسنٍ نضيرٍ، ما يُدخل البهجة على نفس الإنسان، من حسن المنظر، وطيب الثمار.

**﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٦)**

**﴿ذَلِكَ﴾**: إشارةً للبعيد، ما ذكرناه لكم عن كيف خلقكم الله ﷻ، وآيات قدرته، وحتى تؤمنوا **﴿بِ﴾**: حرف باء الالتصاق، وقد تكون باب السببية؛ أي بسبب **﴿أَنَّ﴾**: حرف تأكيدٍ ونفي الإنكار والشك **﴿اللَّهُ هُوَ﴾**: ﷻ **﴿الْحَقُّ﴾**: هو الخالق، البارئ، الرازق، المحي والمميت، حقيقة لا ينكرها إلا جاهلٌ **﴿وَأَنَّهُ﴾**: هو ﷻ بالتأكيد ودون شكٍ **﴿يُحْيِي الْمَوْتَى﴾**: فكما خلق الله ﷻ الإنسان في المراحل التي جاءت؛ فإنه يحيى الموتى ويبعثهم **﴿وَأَنَّهُ﴾**: بالتأكيد **﴿عَلَىٰ كُلِّ﴾**: تفيد العموم **﴿شَيْءٍ﴾**: جاءت بصيغة نكرة؛ لتفيد العموم، هذه الكلمة كل جامعة بلا استثناء لأي شيءٍ **﴿قَدِيرٌ﴾**: قدرته ﷻ التي لا تُقدر ولا تقارن، ولا يغفلها عاقل.

**﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ (٧)**

**﴿وَأَنَّ﴾**: حرف تأكيدٍ ونفي الإنكار والشك **﴿السَّاعَةَ﴾**: يوم القيامة **﴿آتِيَةٌ﴾**: ساعة البعث واقعة في مستقبل الزمان **﴿لَا﴾**: حرف نفي **﴿رَيْبٍ فِيهَا﴾**: لا شك في وقوعها، بعد الإقرار بقدرة الله ﷻ على الخلق الأول؛ يجب الإيمان بأنّ القيامة حقيقة، فلكل مؤمنٍ بداية ونهاية، سنة من سنن الله ﷻ في كلّ الخلائق؛ لا شك في قيامها **﴿وِ﴾**: حرف عطفٍ يفيد هنا الحال **﴿أَنَّ اللَّهَ﴾**: في شأنه ﷻ **﴿يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾**: كما خلقهم الله ﷻ أول مرة، يُعيدهم من الرفات، والرماد والعدم؛ يحييهم، ويبعثهم من قبورهم، جاء في المعنى: **﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾** [يس-٧٩].

**﴿وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾ (٨)**

**﴿وَمَنْ﴾**: تفيد بداية الغاية المكانية **﴿النَّاسِ﴾**: من عموم البشر، دعاة الضلال، كفار كلّ زمان، ومنهم في زماننا من يريد فصل الدين عن أمور الحياة، والذين ينكرون الدين، وكلّ الظالمين، وكلّ المجرمين، وكلّ الخونة **﴿مَنْ﴾**: الذي من بني آدم **﴿يُجَادِلُ﴾**: بالباطل في الله ﷻ؛ ووسيلته كثرة النقاش، والجدال، والخصام، والسب، والتجريح **﴿فِي اللَّهِ﴾**: في شأن الله ﷻ وفي خلقه للكون، وبعثه للخلق بعد الفناء **﴿بِ﴾**: باء المصاحبة **﴿غَيْرٍ﴾**: حرف للنفي

يفيد هنا ليس لهم ﴿عِلْمٌ﴾: معرفة الحقيقة والأسباب لنقص في العقل والفهم والاستنتاج  
﴿وَلَا﴾: حرف نفي ﴿كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾: الذي يتحدث دون مستند يُضيء بصيرته، ويهدي قلبه.  
التكليف: في الآية نوعان من الكافرين؛ الأول كافرٌ مصممٌ على الجدل بالجملة يتبع منهج  
كلّ شيطانٍ متمرّد، والثاني كافرٌ مقلّدٌ مجادلٌ من غير دليلٍ ولا برهان.

﴿ثَانِي عَطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾  
(٩)

﴿ثَانِي﴾ ملتفتًا للجانب تكبرًا ورفضًا، لاويًا عنقه تكبرًا وإعراضًا عن الحق ﴿عَطْفِهِ﴾: قال ابن  
عباس: مستكبرًا عن الحق، وقال مجاهد وقتادة: يلوي رقبته معرضًا عن الحق؛ استكبارًا  
﴿لِ﴾: حرف لام العاقبة ﴿يُضِلُّ﴾: يُسبب التيه والضياع ﴿عَنْ﴾: حرفٌ يُفيد التعليل والسبب  
ويفيد هنا المجاوزة ﴿سَبِيلِ اللَّهِ﴾: لِيَأْخُذَ النَّاسَ وَيَأْخُذَ نَفْسَهُ بَعِيدًا عَنِ الطَّرِيقِ الْمَوْصِلِ إِلَى  
الفوز في الدنيا والآخرة، فيضلّ الطريق ﴿لَهُ﴾: نصيبه تخصيصًا ﴿فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾: ذلٌّ  
وهوانٌ، وهذا ما كتبه التاريخ في كلّ زمانٍ ومكانٍ، في أقوامِ نوحٍ، وعادٍ، وثمود، وفرعون،  
وكفّار هذا الزمان الذين كذبوا على شعوبهم ﴿و﴾: حرفٌ يفيد هنا الاستئناف ﴿نُذِيقُهُ﴾:  
نُصِيبُهُ؛ فيشعر ويحس.

﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾: وهذا عدل في الآخرة؛ جهنّم يصلونها، وبأس المصير.

﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ (١٠)

﴿ذَلِكَ﴾: اسم إشارة للفعل البعيد، هذا العذاب في الآخرة ﴿بِ﴾: حرفُ البناء يفيد السبب  
﴿مَا﴾: بمعنى الذي ﴿قَدَّمْتَ يَدَاكَ﴾: ما فعلت يداك من المعاصي واقترفت من الآثام؛ نتيجة  
ما فعلته في الدنيا، هذا تقيعٌ وتوبيخٌ، قال الحسن: إنّ أحدهم يُحرق في اليوم سبعين ألف مرة  
﴿و﴾: عطفًا على هذا اعلموا ﴿أَنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الإنكار والشك ﴿اللَّهُ لَيْسَ﴾: فعل  
ماضٍ يفيد النفي ﴿بِ﴾: حرف باء التوكيد ﴿ظَلَّامٍ﴾: شديد الظلم ﴿لِلْعَبِيدِ﴾: تخصيصًا مهما  
بلغت درجة شدة العقوبة؛ فهي العدل؛ لأنّ القاضي عادل، لا يظلم مثقال ذرّة.  
التكليف: إنّ الله لا يعذب أحدًا من عباده بغير ذنب.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَغْتَبِ اللّٰهَ عَلَىٰ خُرْفٍ فَإِنِ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنِ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ  
عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ (١١)

﴿و﴾: أيضًا ﴿مِنَ﴾: بعض ﴿النَّاسِ﴾: ليس كل أبناء آدم، بل الذي يدخل الإسلام على  
ضعفٍ وشكٍ في دينه على غير ثبات وطمأنينة، ﴿مَنْ﴾: الذي من جنس العاقل ﴿يَغْتَبِ﴾:

يُطِيع **﴿اللَّهُ عَلَى حَرْفٍ﴾**: على العبادة وهو واقفٌ على حاقّةِ هاوية، قال مجاهد: على شكٍّ، وقلقي وترددٍ في الدين وقال آخرون: على طرفٍ، كمن هو على حرف الجبل، أو على حائطٍ يريد هناك العبادة يدخل الدين بحذر؛ فإن وجد فيه ما يريد؛ استمر واستقر، وإلا ترك، عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما، قال: **﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَغْبُذُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾** [الحج-١١] قال: " كَانَ الرَّجُلُ يَفْدُمُ الْمَدِينَةَ، فَإِنْ وُلِدَتْ امْرَأَتُهُ غُلَامًا، وَنَتَجَتْ حَيْلُهُ، قَالَ: هَذَا دِينٌ صَالِحٌ، وَإِنْ لَمْ تَلِدِ امْرَأَتَهُ وَلَمْ تُنْتِجْ حَيْلُهُ، قَالَ: هَذَا دِينٌ سُوءٍ"<sup>(١)</sup>، **﴿فَإِنْ﴾**: حرف تأكيد الخبر **﴿أَصَابَهُ﴾**: نال منه **﴿خَيْرٌ﴾**: ما فيه من منفعةٍ ومصالحةٍ من المال والولد والجاه **﴿اطْمَأَنَّ﴾** الطمأنينة، والاطمئنان هي السكون بعد الانزعاج **﴿بِهِ﴾**: ارتاحت نفسه إليه **﴿وَإِنْ﴾**: حرف شرط، وإذا **﴿أَصَابَتْهُ﴾**: مصيبةٌ **﴿فِتْنَةٌ﴾**: مرضٌ، أو مصيبةٌ في جسده، أو في ماله، أو في غير ذلك **﴿انْقَلَبَ﴾**: ارتدَّ **﴿عَلَى وَجْهِهِ﴾**: هذه صفات المنافق: إذا لم يجد فائدةً في الدين أو أصابته فتنةٌ؛ بدّل رأيه، وقال عنه: هذا دينٌ سوءٍ والنتيجة **﴿خَسِرَ﴾**: ضاع ما جمع من **﴿الدُّنْيَا﴾**: فلم يحصل فيها على ما يشتهي **﴿و﴾**: أيضًا خسر **﴿الْآخِرَةَ﴾**: وخسر الآخرة؛ بأن دخل النار **﴿ذَلِكَ﴾**: إشارة للبعيد، المصير **﴿هُوَ﴾**: في اللغة يعني ضميرًا منفصلاً مرفوعًا للغائب المفرد المذكر، والمقصود هنا **﴿الْخُسْرَانُ﴾**: الخسارة الكبرى **﴿الْمُبِينُ﴾**: الخسارة العظيمة الواضحة، والصفقة الخاسرة، التي ليس فيها فلاح.

**﴿يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا يَنْفَعُهُ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ النَّبَعِيُّ﴾** (١٢)

**﴿يَدْعُو﴾**: يعبد من دون الله ﷻ آلهة، ويلجأ فيطلب **﴿مِنْ دُونِ﴾**: غير **﴿اللَّهُ﴾**: ﷻ، من الأصنام، ومن الأنداد ومن الأحزاب، والحكومات الفاسدة **﴿مَا﴾**: الذي **﴿لَا﴾**: حرف نفي **﴿يَضُرُّهُ﴾**: لا يملك له ضررًا، إذا لم يُقدّر ذلك الله ﷻ له **﴿وَمَا﴾**: أيضًا يدعو الذي **﴿لَا﴾**: حرف نفي **﴿يَنْفَعُهُ﴾**: لا ينفعه طلبه من هؤلاء؛ لأنهم يحتاجون إلى **﴿ذَلِكَ﴾**: الدعاء والطلب **﴿هُوَ﴾**: في اللغة يعني ضميرًا منفصلاً مرفوعًا للغائب المفرد المذكر، والمقصود هنا **﴿الضَّلَالُ﴾**: التيه والضياع **﴿النبعيُّ﴾**: عن تحقيق السعادة، والذي يعود عليه بالشقاء دنيا وآخره.

**﴿يَدْعُو لِمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لِبَيْسِ الْمَوْلَى وَلِبَيْسِ الْعَشِيرِ﴾** (١٣)

**﴿يَدْعُو﴾**: يطلب من الذين **﴿لن﴾**: حرف تخصيص **﴿مَنْ﴾**: الإنسان الذي هو من جنس العاقل **﴿ضَرُّهُ﴾**: هذا الذي انقلب على وجهه ورجع إلى الكفر؛ يعبد الأصنام، ضرره أقرب من

(١) صحيح البخاري ٩٨/٦ (٤٧٤٢).

نفعه له، لا تضره إن ترك عبادتها، ولا تنفعه إن عبدها، هذا في الدنيا، أما في الآخرة فالضرر فقط عليه، لا على غيره **﴿أَقْرَبُ﴾**: أكثر حدوثاً **﴿مِنْ﴾**: حرف جرّ وبيان لتمييز النوع **﴿نَفْعِهِ لِنَبْسٍ﴾**: ذمّ وقدحٌ وتحقيرٌ وساء **﴿الْمَوْلَى﴾**: المحب، والنصير، والمؤيد، قال مجاهد: هو الوثن، ويوجد في هذا الزمان من الأوثان رجالٌ، وأحزابٌ، وحكوماتٌ، وتنظيماتٌ، وأفكارٌ، وبرامج حياة، ورؤى سياسية **﴿وَلِنَبْسٍ﴾**: شرّ وضرر **﴿الْعَشِيرُ﴾**: الذين يخالطون من النساء ويعاشرونهم، ومن يخالط من الرجال، قال ابن جرير: العم والصاحب.

**﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ (١٤)**

**﴿إِنَّ﴾**: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار **﴿اللَّهُ يُدْخِلُ الَّذِينَ﴾**: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ **﴿آمَنُوا﴾**: بعد توضيح مصير الكفار والمنافقين في الدنيا والآخرة، يذكر الله ﷻ مصير الذين آمنوا بالله ﷻ، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر **﴿و﴾**: عطفاً على ذلك **﴿عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾**: وكانت أعمالهم تصديقاً لإيمانهم، فعملوا كلّ ما يقربهم إلى الله ﷻ، وتركوا كلّ ما نهى عنه ﷻ **﴿جَنَّاتٍ﴾**: متعددة **﴿تَجْرِي مِنْ﴾**: حرفٌ يفيد بداية الغاية المكانية **﴿تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾**: يذكر الله ﷻ سكن المؤمنين في نعيم، فيه درجات، وتجري من تحتها مياه أنهارٍ زيادة في المتعة **﴿إِنَّ﴾**: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار **﴿اللَّهُ يَفْعَلُ﴾**: يحقق بالفعل **﴿مَا﴾**: الذي **﴿يُرِيدُ﴾**: بعد أن أكد الله ﷻ عدله؛ فإنّه يقرر ما يشاء لعباده، خيراً أو غير ذلك.

**﴿مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدَهُ مَا يَغِيظُ﴾ (١٥)**

**﴿مَنْ﴾**: الذي من جنس العاقل، يوقن من العاقلين **﴿كَانَ يَظُنُّ﴾**: الذين يشكون **﴿أَنْ﴾**: حرف تأكيد الفعل **﴿لَنْ﴾**: حرف نفي **﴿يَنْصُرُهُ اللَّهُ﴾**: أن الله ﷻ لن ينصر عبده ورسوله ﷻ **﴿فِي الدُّنْيَا﴾**: قبل مماته **﴿وَالْآخِرَةِ﴾**: وأن الله ﷻ لن يدخله وأصحابه وأتباعه وأنصاره الجنة يوم القيامة **﴿ف﴾**: حرفٌ يفيد ربط جواب الشرط **﴿لِيَمْدُدْ﴾**: لهذا السبب يمدّ ويطيل **﴿ب﴾**: حرف باء السببية **﴿سَبَبٍ﴾**: جاء اللفظ القرآني "الأسباب" على أربعة وجوه؛ هنا بمعنى يمد الحبل **﴿إِلَى السَّمَاءِ﴾**: فليطلب حيلةً يصلُّ بها إلى السماء، إلى سقف بيته، فكلّ ما علا الشيء هو سماؤه وسقفه **﴿ثُمَّ﴾**: حرفٌ يفيد التتابع الزمني غير السريع **﴿لِيَقْطَعْ﴾**: قال ابن عباس: يلفُّ الحبل حول عنقه؛ لينتحر **﴿فَلْيَنْظُرْ﴾**: ليستخلص النتيجة **﴿هَلْ﴾**: حرف استنهامٍ وتشكيكٍ

﴿يُذْهِبَنَّ﴾: يُمحي، ويقضي، ويضيّع ﴿كَيْدُهُ﴾: هل ما فعله بنفسه في نفسه، هذا يُضيّع ويمحو ﴿مَا﴾: الذي ﴿يَغِيظُ﴾: ما في صدره من الغيظ؟

﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ﴾ (١٦)

﴿وَكَذَلِكَ﴾: كما أقام الله ﷻ الحُجَّةَ من دلائل قدرته على الكافرين بالبعث بما ﴿أَنْزَلْنَا﴾: القرآن الكريم ﴿آيَاتٍ﴾: أدلة وبراهين ﴿بَيِّنَاتٍ﴾: آيات الله ﷻ واضحات للناس في اللفظ والمعنى ﴿وَأَنَّ﴾: حرف تأكيد، ونفي الإنكار والشك ﴿اللَّهُ يَهْدِي﴾: يدلُّ على الصواب في القول والعمل ﴿مَنْ﴾: الإنسان الذي هو من جنس العاقل ﴿يُرِيدُ﴾: من الإرادة الربّانية أن يهدي الله ﷻ بداية أو زيادة في الهدى من يشاء؛ لحكمة وقدر يعلمه.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (١٧)

﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ ﴿آمَنُوا﴾: من أمة محمد ﷺ ﴿وَ﴾: أيضًا ﴿الَّذِينَ هَادُوا﴾: اليهود الذين عاشوا عهد موسى ﷺ، واتبعوا دينه من بعده ﴿وَالصَّابِئِينَ﴾: هم من عبد الملائكة أو الكواكب، وطائفة اتبعوا بعض الأنبياء. انظر [البقرة-٦٢] ﴿وَالنَّصَارَى﴾: الذين قالوا: عيسى ابن الله ﴿وَالْمَجُوسَ﴾: الذين عبدوا البقر ﴿وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾: أطاعوا أصنامًا، أو أفكارًا، أو أحزابًا كافرة، أو معتقدات محرقة ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ﴾: يحكم ﴿بَيْنَهُمْ﴾: يحكم بين الجميع بالعدل يوم القيامة ﴿إِنَّ اللَّهَ﴾: بكل تأكيد ﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ﴾: تفيد عموم ﴿شَيْءٍ﴾: جاءت بصيغة النكرة؛ لتؤكد العموم ﴿شَهِيدٌ﴾: على أعمال العباد كلّها؛ فأحصاها وعدّها وسيجزي كلّها بما يستحق؛ وبعد الفصل بين الخلق يُدخل الله ﷻ مَنْ يشاء الجنّة، ويدخل مَنْ يشاء النار، فهو العدل الذي يعرف كلّ شيءٍ عَمَّن يقضي بينهم.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ (١٨)

﴿أَلَمْ تَرَ﴾: تشاهد، يقول القرطبي: الرؤية بالقلب ﴿أَنَّ﴾: حرف تأكيد الفعل ونفي الإنكار والشك ﴿اللَّهُ﴾: يقول ﷻ لرسوله ولكل الخلائق إنكم ترون أنّ كلّ المخلوقات ﴿يَسْجُدُ لَهُ﴾: يخضع، وينقاد، وسجود طاعةٍ لله ﷻ، أو رغبًا عنه ﴿مَنْ﴾: الذي من جنس العاقل وغير العاقل بدليل أنّه ﷻ عطف عليها ما ﴿فِي السَّمَاوَاتِ﴾: هي كلّ ما علا الأرض وما حولها

من الملائكة ﴿وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾: كل مؤمن يعيش فوق الأرض من البشر ﴿و﴾: أيضًا ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَ﴾: أيضًا تسجد ﴿الْجِبَالُ﴾: كل يسجد كما أمره الله ﷻ. ذكر الله ﷻ الشمس والقمر والنجوم؛ لأن من البشر من عبدها من دون الله ﷻ، إن كانت هذه المخلوقات العظيمة تسجد لله ﷻ؛ فلماذا يسجد الخلق لها، فعن أبي ذرٍّ، قَالَ: دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسٌ، فَلَمَّا غَابَتِ الشَّمْسُ، قَالَ: يَا أَبَا ذَرٍّ، هَلْ تَدْرِي أَيْنَ تَذْهَبُ هَذِهِ؟ قَالَ: قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: فَإِنَّهَا تَذْهَبُ فَتَسْتَأْذِنُ فِي السُّجُودِ، فَيُؤْذَنُ لَهَا وَكَأَنَّهَا قَدْ قِيلَ لَهَا: ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ، فَتَنْطَلِعُ مِنْ مَغْرِبِهَا<sup>(١)</sup> ﴿وَالشَّجَرُ﴾: وأما سجود الشجر والجبال؛ فسجودهما تحرك الظلال عن اليمين وعن الشمال ﴿وَالدَّوَابُّ﴾: النبات والحيوان، والطير في كل جهةٍ ومكان، والجنُّ أيضًا ﴿وَكثِيرٌ مِنْ﴾: بعض ﴿النَّاسِ﴾: هم المؤمنون، ولم يقل ﷻ أكثر الناس أو أقلهم ﴿وَكثِيرٌ حَقٌّ﴾: وجب ﴿عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾: لا بد من معاقبته ﴿وَمَنْ﴾: الذي من الناس ﴿يَهِنِ اللَّهُ﴾: من يكتب الله عليه الذلّة وما كان عن قهرٍ، والمهانة ﴿فَمَا﴾: حرف يفيد الخبر بمعنى ليس ﴿لَهُ﴾: تخصيصًا ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ وبيان لتمييز النوع يفيد هنا ابتداء الغاية المكانية ﴿مُكْرَمٌ﴾: فلا يُكرمه أي مُكْرَمٍ في الدنيا أو في الآخرة ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿اللَّهُ يَفْعَلُ﴾: من القول ومن العمل ﴿مَا يَشَاءُ﴾: ما أراد وكتب وسيحقق.

﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾ (١٩)

﴿هَذَانِ خَصْمَانِ﴾: هم المؤمنون وسائر الكفار ﴿اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾: نشأت خصومة بين طرفين في الإيمان بالله وفي الكفر به ﷻ، عَنْ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: «أَنَا أَوَّلُ مَنْ يَجْتَنُ بَيْنَ يَدَيِ الرَّحْمَنِ لِلْخُصُومَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» وَقَالَ قَيْسُ بْنُ عُبَادٍ: وَفِيهِمْ أَنْزَلَتْ: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾ [الحج-١٩] قَالَ: " هُمُ الَّذِينَ تَبَارَزُوا يَوْمَ بَدْرٍ: حَمْرَةُ، وَعَلِيٌّ، وَعُبَيْدَةُ، أَوْ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْحَارِثِ، وَشَيْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ، وَعَنْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ، وَالْوَلِيدُ بْنُ عُنْبَةَ"<sup>(٢)</sup>، وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺ: أَنَّهُ كَانَ يُقْسِمُ قَسَمًا " إِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾ [الحج-١٩] نَزَلَتْ فِي حَمْرَةَ وَصَاحِبِيهِ وَعَنْبَةَ وَصَاحِبِيهِ، يَوْمَ بَدْرٍ فِي يَوْمِ بَدْرٍ"<sup>(٣)</sup>، وقال قتادة: اختصم المسلمون وأهل الكتاب، قال أهل الكتاب نبينا قبل نبيكم، وكتابتنا قبل كتابكم،

(١) صحيح مسلم ١/١٣٩ (١٥٩).

(٢) صحيح البخاري ٥/٧٥ (٣٩٦٥).

(٣) صحيح البخاري ٦/٩٨ (٤٧٤٣).

فنحن أولى بالله منكم، وقال المسلمون: كتابنا يقضي على كل الكتب، ونبينا خاتم الأنبياء؛  
 فنحن أولى بالله منكم، وقال مجاهد، وعطاء مثل الكافر والمؤمن، وهي الشامل، وقال  
 عكرمة: هي الجنة والنار، قالت النار اجلني للعقوبة، وقالت الجنة اجلني للرحمة ﴿ف﴾:  
 حرف استثنائي بهدف ترتيب الأمر ويفيد سرعة التنفيذ ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ  
 ﴿كَفَرُوا﴾: غطوا وأنكروا حقيقة الإيمان ﴿قُطِعَتْ﴾: فصلت ﴿لَهُمْ﴾: تخصيصاً ﴿ثِيَابٌ﴾:  
 إحاطة الثوب للابسه ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ وبيان لتمييز النوع يفيد هنا ابتداء الغاية المكانية  
 ﴿نَارٍ﴾: قال سعيد بن جبير: من نحاس، وهو أشد المعادن حرارة عند تسخينه، على مقاسهم  
 جاء الفعل الماضي ليفيد تحقيق وقوعه في المستقبل، يوم القيامة ﴿يُصَبُّ مِنْ﴾: جاء بصيغة  
 المضارع ليفيد استمرار العذاب في نار جهنم وهو حرف يفيد بداية الغاية المكانية ﴿فَوْقِ﴾:  
 ليس من بعد حتى لا يفقد حرارته ﴿رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمِ﴾: وهو الماء الحار، المغلي بنار جهنم،  
 أو النحاس المُذاب من شدة الحرارة والله أعلم.

﴿يُصَهَّرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ﴾ (٢٠)

﴿يُصَهَّرُ بِهِ﴾: يُذاب به ﴿مَا﴾: الذي بطونهم من لحمٍ وشحمٍ وأحشاءٍ، وكذلك جلودهم، كما  
 يُصهر ﴿فِي بُطُونِهِمْ﴾: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؓ، وَتَلَا قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ  
 لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ﴾ [الحج-١٩] فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ الْحَمِيمَ لِيُصَبُّ عَلَى  
 رُءُوسِهِمْ فَيَنْفُذُ الْجُمُومَةَ حَتَّى يَخْلُصَ إِلَى جَوْفِهِ فَيَسْلُتُ مَا فِي جَوْفِهِ حَتَّى يُمَرِّقَ قَدَمَيْهِ وَهُوَ  
 الصَّهْرُ، ثُمَّ يُعَادُ كَمَا كَانَ»<sup>(١)</sup>، ﴿و﴾: حرف عطف يفيد هنا الحال ﴿الْجُلُودُ﴾: إذا تلف الجلد  
 هجمت الميكروبات على الجسم وأهلكته.

﴿وَلَهُمْ مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ﴾ (٢١)

﴿و﴾: عطفاً على ذلك ﴿لَهُمْ﴾: أعد الله ﷻ تخصيصاً لتضربهم الملائكة على رؤوسهم ب  
 ﴿مَقَامِعٍ﴾: جمع مقمعة وهي آلة من الحديد كالمجن، أعدت للكافرين مطارق وسياط و أعمدة  
 ﴿مِنْ حَدِيدٍ﴾، وقال ابن عباس: يُضربون بها، فيقع كل عضوٍ على حياله؛ فيدعون بالشبور.

﴿كَلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ (٢٢)

﴿كَلَّمَا﴾: حرف مُركَّبٌ يفيد التكرار والتعميم ﴿أَرَادُوا أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿يَخْرُجُوا﴾: إذا  
 أراد الكفار الخروج ﴿مِنْهَا﴾: من النار ﴿مِنْ غَمٍّ﴾: من النار المظلمة، السوداء، التي لا  
 يُضيء لها ولا جمزها، قال زيد بن أسلم: أهل النار في النار لا يفنون، وقال الفضيل بن

(١) المستدرک على الصحيحين للحاكم ٤١٩/٢ (٣٤٥٨). وقال: "صحيح الإسناد ولم يُخرجاه" ووافقه الذهبي.

عياض: إنّ الأرجل مقيدة، وإن الأيدي لموتقة، ولكن يرفعهم لهبها، وتردهم مقامعها **﴿أَعِيدُوا﴾**: أُرْجِعُوا للعذاب فيها وقيل لهم **﴿فِيهَا وَ﴾**: عطفاً على ذلك قيل لهم **﴿ذُوقُوا﴾**: وأصلها من الذوق، بوجود قليل من الطعام في الفم؛ لمعرفة الطعم، هنا بمعنى اصلوا وعانوا وقاسوا رغم أنه قليل من العذاب بألمٍ عظيم **﴿عَذَابِ الْحَرِيقِ﴾**: يُقَالُ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَهَا؛ إهانة قولاً وفعلاً، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "يُخْرَجُ مِنَ النَّارِ أَرْبَعَةٌ فَيُعْرَضُونَ عَلَى اللَّهِ، فَيَلْتَمِسُ أَحَدُهُمْ، فَيَقُولُ: أَيُّ رَبِّ، إِذْ أُخْرِجْتَنِي مِنْهَا فَلَا تُعَذِّبْنِي فِيهَا، فَيُنَجِّبُهُ اللَّهُ مِنْهَا"<sup>(١)</sup>.

**﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ (٢٣)**

بعد آياتِ صَوْرَتِ مصير الكافرين في النَّارِ؛ جاء الحديث عن ثواب أهل الجنة **﴿إِنَّ﴾**: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار **﴿اللَّهُ يُدْخِلُ الَّذِينَ﴾**: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ **﴿آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾**: يُدْخِلُ اللَّهُ ﷻ الذين آمنوا به وبرسله وكتبه، وعملوا الصالحات، أدوا الفرائض وتجنبوا النواهي والمحرمات **﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ﴾**: حرفٌ يفيد بداية الغاية المكانية **﴿تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾**: جنات وحدائق غناء تسير الأنهار تحتها وأكناف وأرجاء وجوانب الجنان، وتحت أشجار يتتعم المؤمنون **﴿يُحَلَّوْنَ﴾**: يتزين **﴿فِيهَا﴾**: المؤمنون بحلِيِّ **﴿مِنْ﴾**: حرف جرّ وبيان لتمييز النوع يفيد هنا ابتداء الغاية المكانية وتفيد هنا بعض أو جزء **﴿أَسَاوِرَ﴾**: ما يطوّق أذرعهم **﴿مِنْ ذَهَبٍ﴾**: في أذرعهم **﴿وَ﴾**: أيضاً **﴿لُؤْلُؤًا﴾**: عَنْ أَبِي حَازِمٍ، قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَهُوَ يَتَوَضَّأُ لِلصَّلَاةِ فَكَانَ يَمُدُّ يَدَهُ حَتَّى تَبْلُغَ إِبْطَهُ فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ مَا هَذَا الوُضُوءُ؟ فَقَالَ: يَا بَنِي قُرُوحٍ أَنْتُمْ هَاهُنَا؟ لَوْ عَلِمْتُ أَنْكُمْ هَاهُنَا مَا تَوَضَّأْتُ هَذَا الوُضُوءَ، سَمِعْتُ خَلِيلِي ﷺ يَقُولُ: تَبْلُغُ الْحُلِيَّةُ مِنَ الْمُؤْمِنِ، حَيْثُ يَبْلُغُ الوُضُوءُ<sup>(٢)</sup>، **﴿وَلِبَاسُهُمْ﴾**: ما يُعْطَى أجسادهم **﴿فِيهَا﴾**: في الجنة **﴿حَرِيرٌ﴾**: هنا الإستبرق والسندس من الحرير، ولذلك حرّم الرسول ﷺ على الرجال لبس الحرير والديباج في الدنيا؛ لأنّ من لبسه في الدنيا؛ لم يلبسه في الآخرة.

**﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾ (٢٤)**

**﴿وَ﴾**: حرفٌ يفيد هنا الاستئناف **﴿هُدُوا﴾**: دلّهم وأرشدهم الله ﷻ على المكان الذي يسمعون فيه **﴿إِلَى الطَّيِّبِ﴾**: ما يستمتع به الجسد وتقبله النفس **﴿مِنْ﴾**: حرفٌ يفيد بداية الغاية

(١) صحيح مسلم ١٨٠/١ (١٩٢).

(٢) صحيح مسلم ٢١٩/١ (٢٥٠).



المكانية **﴿الْقَوْل﴾**: هي كلمات التوحيد، ومثل لا إله إلا الله، ومثل ما يقال من الملائكة، ومن الله ﷺ. **﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾** [الرعد-٢٤]، ومثل: **﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْتِيهَا إِلَّا قِيْلًا سَلَامًا سَلَامًا﴾** [الواقعة-٢٦]، وكذلك: **﴿وَيُلْقُونَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا﴾** [الفرقان-٧٥] **﴿وَهُدُوا﴾**: دلهم الله ﷺ وأرشدهم فلم يضلوا **﴿إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾**: هو الإسلام الذي أراده الله ﷺ ليكون دستور الإنسان في الدنيا؛ فيهديه إلى الصراط المستقيم، وهداهم ودلهم على المكان الذي يحمدون فيه الله ﷺ، على ما أحسن إليهم، حيث يلهمهم الله ﷺ التسبيح والتحميد كما ألهمهم التنفس، عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ، يَقُولُ: «إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَأْكُلُونَ فِيهَا وَيَشْرَبُونَ، وَلَا يَنْقُلُونَ وَلَا يَبُولُونَ وَلَا يَتَغَوِّطُونَ وَلَا يَمْتَخِطُونَ» قَالُوا: فَمَا بَالُ الطَّعَامِ؟ قَالَ: «جُشَاءٌ وَرَشْحٌ كَرَشْحِ الْمِسْكِ، يُلْهِمُونَ التَّسْبِيحَ وَالتَّحْمِيدَ، كَمَا تُلْهِمُونَ النَّفْسَ»<sup>(١)</sup>، وقيل هُودوا إلى القرآن، وقيل هودوا إلى: لا إله إلا الله، وقيل الأذكار المشروعة.

**﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفِ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَن يَرُدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ نُدِقْهُ مِن عَذَابِ آلِيمٍ﴾** (٢٥)

**﴿إِنَّ﴾**: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار **﴿الَّذِينَ﴾**: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ **﴿كَفَرُوا﴾**: الذين أنكروا وجود الله ﷺ، وغطوا حقيقة ملائكته، وكتبه، ورسله **﴿و﴾**: حرفٌ عطفٍ يفيد هنا الحال؛ هم **﴿يَصُدُّونَ﴾**: يمنعون ويحاربون، من أراد الدخول في دين الله ﷺ، جاء الفعل المضارع هنا مع الماضي؛ ليفيد الاستمرار في الصد **﴿عَن﴾**: حرف جرٍ يفيد المجاوزة **﴿سَبِيلِ اللَّهِ﴾**: يحاربون من يسلم **﴿وَالْمَسْجِدِ﴾**: يمنعون الصلاة في المسجد **﴿الْحَرَامِ﴾**: الكعبة في مكة المكرمة **﴿الَّذِي﴾**: اسمٌ موصولٌ يفيد المفرد **﴿جَعَلْنَاهُ﴾**: خصصه الله ﷺ للمؤمنين **﴿ل﴾**: تخصيصاً **﴿النَّاسِ﴾**: لجميع المؤمنين على اختلاف ألوأنهم وأجناسهم؛ لا فرق بين أبيض وأسود، لا فرق فيه فالجميع **﴿سَوَاءً﴾**: جاء اللفظ القرآني سواء على ستة أوجه، هنا بمعنى الشرع وجاءت أيضاً بنفس المعنى في قوله ﷺ **﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وُلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾** [النساء-٨٩] **﴿الْعَاكِفِ﴾**: أي المقيم فيه الملازم له **﴿فِيهِ وَالْبَادِ﴾**: الذي وصل من البادية، والمراد به الطارئ عليه من أهل البادية، أو من غيرهم، من الذي يسكن بعيداً عنه، الذي يمر عليه، قال قتادة: أهل مكة

(١) صحيح مسلم ٤/٢١٨٠ (٢٨٣٥).

وغيرهم، وقيل كلامٌ كثيرٌ حول بيع دور مَكَّة وإيجارها ﴿وَمَنْ﴾: الذي من جنس العاقل ﴿يُرْدُ﴾: يرغب بعزمٍ وتصميمٍ من باب المشاكلة ﴿فِيهِ بِالْحَادِ﴾: بميل عن الحق إلى الباطل، مَنْ يُرَدُّ أَنْ يَنْتَشِرَ الْإِلْحَادُ، قيل الباء زائدة، مثل تنبت بالدهن، ومعناها تنبت الدهن ﴿بِ﴾: حرفٌ يُفِيدُ السبب ﴿ظَلَمَ﴾: يريد نشر الكفر عمدًا، قاصدًا، وهو يعرف ذلك، قال ابن عباس: بشرك، وقال مجاهد: إن يُعبد فيه غير الله ﷻ، وأيضًا أَنْ تَسْتَحِلَّ مِنَ الْحَرَامِ مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْكَ مِنْ إِسَاءَةٍ، أو قتلِ ظلمٍ ﴿نُدْفَهُ﴾: جاءت بصيغة الجمع للمبالغة في حجم العذاب، بمعنى نجعله يَصُلَى ﴿مِنْ﴾: حرفٌ جَرٌّ وبيان لتمييز النوع ﴿عَذَابِ أَلِيمٍ﴾: شديد الإيلام والوجع.

﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ (٢٦)

﴿وَإِذْ﴾: حرفٌ يُفِيدُ ما مضى في الزمن ﴿بَوَّأْنَا﴾: أُرشدنا، وبَيَّنَّا له ووطأنا بسبب اندثار البيت الحرام واختفاء مكانه كان بسبب الطوفان الذي حدث في منطقة مكة ﴿ل﴾: تخصيصًا ﴿إِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ﴾: بيَّن الله ﷻ مكان الكعبة المشرفة لبيئته للعبادة وأنزله الله فيه الذي يجب أَنْ يُبْنَى فِيهِ، وَيُسْتَدَلُّ مِنْ هَذَا أَنَّهُ لَمْ تُبْنَ الْكَعْبَةُ قَبْلَ بِنَاءِ إِبْرَاهِيمَ ﷺ، جاء في المعنى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ﴾ [آل عمران-١٦] ﴿أَنْ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿لَا﴾: حرف نهي ﴿تُشْرِكْ﴾: تجعل مع الله ﷻ شريكًا ﴿بِي﴾: حرف باء الصلة بالله ﷻ ﴿شَيْئًا﴾: أَنْ يَكُونَ الْبِنَاءُ خَالِصًا لوجهي، باسمي وحدي ﴿وَطَهِّرْ﴾: اجعله نظيفًا من الدنس والأوساخ، طهره من الشرك وعبادة الأوثان ﴿بَيْتِي﴾: قال مجاهد: من الشرك ﴿لِلطَّائِفِينَ﴾: الذين يمشون حول الكعبة وهي أخصُّ العبادات عند البيت، فلا مكان على أرضٍ يُفعل مثله ﴿وَالْقَائِمِينَ﴾: الذين يُقيمون الصلاة فيه ﴿وَالرُّكَّعِ﴾: الراكعون، إن الركوع يستلزم ﴿السُّجُودِ﴾: في مقام الشكر يقَدِّمُ السجود على الركوع لأنه أَلصَقُ بالشكر، أمَّا في الصلاة لا يوجد ركوع إلا ويعقبه سجود، بخلاف العكس فإنَّ مكانهما واحدٌ، لم يعطفهما ﷻ لأنَّ العطف يقتضي المغايرة، وقد يكون السبب، لأنَّ الطائفين والقائمين في الصلاة أقلُّ من الرُّكَّعِ السجود، والله أعلم.

التكليف: لقد قرن الله ﷻ بين الطواف والصلاة؛ لأنَّه لم يشرعهما إلا في البيت الحرام خاصة.

﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ (٢٧)

لَمَّا فرغ إبراهيم ﷺ من بناء البيت جاءه جبريل ﷺ، وأمره أن يُؤذّن في النَّاسِ بالحج، فعلا إبراهيم المقام وقال: يا أيها الناس كُتِبَ عليكم الحج إلى البيت فأجيبوا ربكم وقولوا: لبيك اللهم لبيك ﴿و﴾: عطفاً على ذلك ﴿أَذِّنْ﴾: ارفع الأذان للصلاة ﴿فِي النَّاسِ﴾: بني آدم ﴿ب﴾: باء السبب ﴿الْحَجِّ﴾: أمر الله ﷻ نبيه ﷺ أن ينادي جميع الناس إلى الحج، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: سَأَلَ النَّبِيُّ ﷺ أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «إِيمَانٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ» قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «جِهَادٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «حَجٌّ مَبْرُورٌ»<sup>(١)</sup>، ﴿يَأْتُوكَ﴾: يحضرون إليك ﴿رِجَالًا﴾: مشاةً يمشون على أرجلهم أو ركباناً ﴿وَعَلَىٰ كُلِّ﴾: العموم ﴿ضَامِرٍ﴾: هي الإبل خفيفة الوزن، سهلة الحركة، وليست بهزيلة، أو مريضة ﴿يَأْتِينَ﴾: يجيئون ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ وبيان لتمييز النوع يفيد هنا ابتداء الغاية المكانية وتفيد هنا ﴿كُلِّ﴾: تُعْبِدُ العموم ﴿فَجٍّ﴾: كلّ طريق ﴿عَمِيقٍ﴾: من بعيد.

﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾ (٢٨)

﴿ل﴾ حرفٌ يُفِيدُ العلة والسبب ﴿يَشْهَدُوا﴾: يُبْصِرُوا، يروا ﴿مَنَافِعَ لَهُمْ﴾: منافع الآخرة؛ رضا الله ﷻ، ومغفرته، وتنقيته العبد من الذنوب، ومنافع الدنيا من الأكل، والذبائح، والتعارف، والتجارة ﴿و﴾: أيضاً ﴿يَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ﴾: يذكروا أسماء الله الحسنى ﴿فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ﴾: أَيَّامُ التَّشْرِيقِ الثلاثة، وَقِيلَ أَيَّامُ الْعَشْرِ المَعْلُومَاتِ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَا الْعَمَلُ فِي أَيَّامٍ أَفْضَلَ مِنْهَا فِي هَذِهِ؟» قَالُوا: وَلَا الْجِهَادُ؟ قَالَ: «وَلَا الْجِهَادُ، إِلَّا رَجُلٌ حَرَجَ يُخَاطِرُ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، فَلَمْ يَرْجِعْ بِشَيْءٍ»<sup>(٢)</sup> وقد أقسم الله ﷻ بهذه الأيام: ﴿وَالْفَجْرِ﴾ [الفجر-١]، وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: مَا مِنْ أَيَّامٍ أَعْظَمَ عِنْدَ اللَّهِ وَلَا أَحَبَّ إِلَيْهِ الْعَمَلُ فِيهِنَّ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ الْعَشْرِ، فَأَكْثَرُوا فِيهِنَّ مِنَ التَّهْلِيلِ وَالتَّكْبِيرِ وَالتَّحْمِيدِ<sup>(٣)</sup>، وَسَأَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ صَوْمِ يَوْمِ عَرَفَةَ؟ فَقَالَ: يُكْفِرُ السَّنَةَ الْمَاضِيَةَ وَالْبَاقِيَةَ<sup>(٤)</sup> وهناك اختلاف بين الأئمة الأربعة حول الأيام المَعْلُومَاتِ ﴿عَلَى﴾: حرف جر يفيد هنا المصاحبة، أي بسبب ﴿مَا﴾: الذي ﴿رَزَقَهُمْ﴾: وهبهم الرزق في المال وأيضاً ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ وبيان لتمييز النوع

<sup>(١)</sup> صحيح البخاري ١٣٣/٢ (١٥١٩).

<sup>(٢)</sup> صحيح البخاري ٢٠/٢ (٩٦٩).

<sup>(٣)</sup> مسند أحمد ٢٩٦/١٠ (٦١٥٤)، قال الأرنؤوط: صحيح.

<sup>(٤)</sup> صحيح مسلم ٨١٩/٢ (١١٦٢).

﴿بِهَيْمَةً﴾: رزقهم الدواب ﴿الْأَنْعَامِ﴾: الإبل، والبقر، والضأن والمعز ﴿ف﴾: حرف يفيد السبب والعمل بدون تأخير ﴿كُلُوا﴾: ما من أيام أعظم عند الله ولا أحب إليه من العمل وقيل للوجوب لاستمرار الوجود ﴿مِنْهَا وَأَطْعِمُوا﴾: للإباحة والوجوب ﴿النَّاسِ﴾: شديد الفقر ﴿الْفَقِيرِ﴾: قال عكرمة: الفقير المتعفف، وقال مجاهد: الذي لا يبسط يده، أي المتسول، وقال مقاتل: الضرير.

﴿ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُؤْتُوا نُذُورَهُمْ وَلِيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ (٢٩)

﴿ثُمَّ﴾: حرف يفيد التتابع الزمني مع التباعد وليس الفورية ﴿لِ﴾: حرف عطفي يفيد هنا الحال ﴿يَقْضُوا﴾: قال ابن عباس: يكملوا ما بقي عليهم من ﴿تَفَثَهُمْ﴾: ليكمل الحاج ما بقي عليهم من النُّسك وتبدأ عملية إزالة الأوساخ، من مناسك الحج، مثل حلق الرأس، وغسيل الجسم، وإزالة الأوساخ وليس الثياب، وقص الأظافر؛ أي نهاية الإحرام ﴿و﴾: أيضًا ﴿لِيُؤْتُوا نُذُورَهُمْ﴾: يحققوا ما أوجبوا على أنفسهم من حجٍّ أو عمرةٍ ويحققوا النحر، وقال مجاهد: نذر الحج والهدى، وما نذر الإنسان من شيء في الحج ﴿وَلِيَطَّوَّفُوا﴾: والطوف هو المشي حول شيء، هنا طواف الإفاضة ﴿بِ﴾: حرف باء الصلة ﴿الْبَيْتِ﴾: قال مجاهد: الطواف الواجب يوم النحر، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أمر الناس أن يكون آخر عهدهم بالبيت، إلا أنه خُفِّفَ عَنِ الْحَائِضِ<sup>(١)</sup> ﴿الْعَتِيقِ﴾: الذي أعتقه الله ﷺ من تسلط المجرمين، والعتيق لغة هو القديم، قال الحسن البصري: هو أول بيت وضع للناس، وقيل: لم يظهر عليه جبار، وقال مجاهد: لم يرده أحد بسوءٍ إلا أهلك.

﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظْمِ حُرْمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمْ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ (٣٠)

﴿ذَلِكَ﴾: إشارة للبعيد، إلى ما أمر الله ﷻ به من الطاعات في أداء المناسك، وتبيان ثوابها الجزيل ﴿و﴾: حرف عطفي يفيد هنا الحال ﴿مَنْ﴾: الذي من جنس العاقل ﴿يُعِظْمِ﴾: الذي يرفع شأن ما أوجبه الله ﷻ على المسلمين، ومن يجتنب معاصيه ومحارمه ﷻ، الذي يعتقد بعظم هذه المناسك؛ فلا يُقَصِّرُ في ﴿حُرْمَاتِ اللَّهِ﴾: تكاليف الحج من مناسك الحج وغيرها في مكة، والعمرة، وما نهى الله ﷻ عنه ﴿ف﴾: حرف استثنائي بهدف ترتيب الأمر ويفيد سرعة التنفيذ ﴿هُوَ خَيْرٌ لَهُ﴾: حرف تخصيص ﴿عِنْدَ﴾: ظرف مكان وزمان ﴿رَبِّهِ﴾: هو ﷻ المعبود، والمُرَبِّي، مالك أمرك كله ﴿و﴾: حرف عطفي يفيد هنا الحال ﴿أُحِلَّتْ﴾: صارت

(١) صحيح البخاري ١٧٩/٢ (١٧٥٥).

حلالاً **﴿نَحْمٌ﴾**: حرف تملك وتخصيص **﴿الْأَنْعَامُ﴾**: القاعدة أَنَّ كَلَّ الْأَنْعَامِ، الإبل، والبقر، والغنم، حلال طعامها واستخدامها دون استثناءات الكفار؛ كالبحيرة، والسائبة، وغيرها **﴿الْأَيَّ﴾**: حرف استثناء منقطع؛ يؤخذ منه أَنَّ الْأَصْلَ فِي الْأَشْيَاءِ الْإِبَاحَةُ؛ وَيُؤْخَذُ مِنْهُ أَيْضًا أَنَّ الشُّكَّ فِي الْأَشْيَاءِ لَا يُحَرِّمُهَا إِلَّا بِقَرِينَةٍ تُدَلُّ عَلَيْهَا **﴿مَا﴾**: الذي **﴿يُنْتَلَى﴾**: يُقْرَأُ **﴿عَلَيْكُمْ﴾**: باستثناء الذي ذُكِرَ فِي تَحْرِيمِهَا مِثْلَ: **﴿الْمَيْتَةِ وَالِدَمِّ وَلَحْمِ الْخِنْزِيرِ وَمَا أَهْلَ لَيْغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْحَنَقَةَ وَالْمَوْقُودَةَ﴾** [المائدة-3] **﴿فَ﴾**: لهذا السبب **﴿اجْتَنِبُوا﴾**: محرّم عليكم **﴿الرَّجْسِ﴾**: القذر والنجس وأهمها **﴿مِنْ﴾**: حرف يُفِيدُ بَدَايَةَ الْغَايَةِ الْمَكَانِيَّةِ **﴿الْأَوْثَانِ﴾**: اجتنبوا ما حُرِّمَ عَلَيْكُمْ الرَّجْسِ الَّذِي هُوَ مِنَ الْأَوْثَانِ **﴿وَاجْتَنِبُوا﴾**: لا تفعلوا ولا تقربوا **﴿قَوْلَ الزُّورِ﴾**: القول الباطل، والكذب القبيح الذي هو الشرك بالله ﷻ، وشهادة الزور، هنا تأكيد على إعادة الفصل بالفعل؛ وذلك بالعبارة بشأن كِلَيْهِمَا عَلَى حِدَةٍ. لقد بين ذلك رسولُ الله ﷺ: «أَلَا أُتَبِّحُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكِبَائِرِ» قُلْنَا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: الْإِشْرَاقُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، وَكَانَ مُتَكَبِّراً فَجَلَسَ فَقَالَ: أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ، أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ فَمَا زَالَ يَقُولُهَا، حَتَّى قُلْتُ: لَا يَسْكُتُ<sup>(١)</sup>.

**﴿حُنْفَاءٌ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ (٣١)**

**﴿حُنْفَاءٌ﴾**: مانئلين عن كَلِّ مَا هُوَ بَاطِلٌ إِلَى دِينِ الْحَقِّ مُخْلِصِينَ **﴿لِلَّهِ﴾**: منحرفين عن كَلِّ دِينِ سِوَى الْإِسْلَامِ الَّذِي ارْتَضَاهُ اللَّهُ ﷻ، مُتَّبِعِينَ عَنِ الْبَاطِلِ بُوْعِي، قَاصِدِينَ الْحَقِّ **﴿غَيْرَ﴾**: حرف نفي هنا بمعنى ليس **﴿مُشْرِكِينَ بِهِ﴾**: لا تشرك في العبادة لله ﷻ أَحَدًا **﴿و﴾**: عطفًا على ذلك **﴿مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ﴾**: يعبد غير الله ﷻ **﴿فَ﴾**: حرف يُفِيدُ السَّبَبَ **﴿كَ﴾**: حرف تشبيه **﴿أَنَّمَا﴾**: أداة حصرٍ تَعْيِدُ التَّوَكِيدَ، فَحَالَهُ كَحَالِ الَّذِي **﴿خَرَّ﴾**: وقع وسقط **﴿مِنْ﴾**: حرف يُفِيدُ بَدَايَةَ الْغَايَةِ الْمَكَانِيَّةِ **﴿السَّمَاءِ﴾**: إِنَّ الَّذِي يَجْعَلُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ، مِثْلَهُ كَمِثْلِ الَّذِي سَقَطَ مِنَ السَّمَاءِ **﴿فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ﴾**: كَلَّ ذِي أَجْنَحَةٍ يَسْبَحُ فِي الْهَوَاءِ، تَلْتَقِطُهُ الطَّيْرُ الْجَارِحَةُ، فَتَأْكُلُ لَحْمَهُ وَعِظَامَهُ **﴿أَوْ﴾**: حرف يُفِيدُ التَّسْوِيَةَ بَيْنَ شَيْئَيْنِ مُتَعَاظِفَيْنِ **﴿تَهْوِي﴾**: تسقط وتقدفه **﴿بِهِ الرِّيحُ﴾**: جاء اللفظ القرآني هوى على أربعة أوجه، هنا بمعنى تذهب به؛ فتقدفه الرياح **﴿فِي مَكَانٍ﴾**: موضع على الأرض **﴿سَحِيقٍ﴾**: مكان بعيد عميق فيه الهلاك.

**﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمِ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ (٣٢)**

(١) صحيح البخاري ٤/٨ (٥٩٧٦).

**﴿ذَلِكَ﴾**: حرف إشارة للبعيد، ما أمر الله ﷻ به من التوحيد، واجتناب قول الزور، واجتناب عبادة الأوثان **﴿و﴾**: حرف عطف يفيد هنا الحال **﴿مَنْ﴾**: الذي من جنس العاقل **﴿يُعْظَمُ﴾**: يعتقد أنها عظمة في نفسه **﴿شَعَائِرَ اللَّهِ﴾**: البُدن المهداة للبيت الحرام، ومعالم وأصول الدين، وأوامره ومنها مناسك الحج، ومنها البُدن والهدي؛ أي يختار السمين والأحسن، قال ﷻ: **﴿أَرَبَّعَ لَا تَجُوزُ فِي الْأَضَاحِيِّ - فَقَالَ - : الْعَوْرَاءُ بَيْنَ عَوْرَتِهَا، وَالْمَرِيضَةُ بَيْنَ مَرَضَتِهَا، وَالْعَرْجَاءُ بَيْنَ ظَلْعَيْهَا، وَالْكَسِيرُ الَّتِي لَا تَنْقَى<sup>(١)</sup>، ومن شعائر الله الوقوف بعرفة، والمزدلفة، ورمي الجمار، والحلق، وأضاف ابن عباس: إضافة إلى البدن **﴿فَائِنَهَا﴾**: حرف تأكيد **﴿مِنْ﴾**: حرف جرّ وبيان لتمييز النوع **﴿تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾**: جاء لفظ التقوى هنا؛ بمعنى إخلاص القلوب لله ﷻ.**

**﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعٌ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَىٰ الْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ (٣٣)**

**﴿لَكُمْ﴾**: تمليكًا وتخصيصًا **﴿فِيهَا﴾**: وقت نحرها **﴿مَنَافِعُ﴾**: في الشعائر على الخصوص وهي البُدن ومن منافعها الركوب، من البُدن، واللبن، والصوف، والوبر، والشعر، والنسل **﴿إِلَىٰ أَجَلٍ﴾**: موعد **﴿مُسَمًّى﴾**: مُحدّد قال مجاهد: إذا سُمّيت بُدنة أو هديًا ذهب كلّ انتفاعٍ عنها، قال آخرون: يجوز الانتفاع بها مثل ركوبها؛ إذا احتاج إلى ذلك **﴿ثُمَّ﴾**: حرف يفيد التتابع الزمني غير السريع **﴿مَحِلُّهَا إِلَىٰ﴾**: وجوب ذبح الهدي بالقرب من الذبح هو شقّ الحلق وقطع الأوعية الدموية التي تصل الدم للمخ فيموت **﴿الْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾**: منهيّة إلى الكعبة أرض الحرم، قال ﷻ: **﴿هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ﴾** [المائدة-٩٥] قال عطاء عن ابن عباس: كل من طاف بالبيت؛ فقد حلّ؛ من الحلال.

**﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾ (٣٤)**

**﴿وَلِكُلِّ﴾**: جميع **﴿أُمَّةٍ﴾**: **﴿جَعَلْنَا﴾**: شرّعنا **﴿مَنْسَكًا﴾**: تعني هنا جماعة مسلمة سلفت من الشعوب، لها عيد أو مكان لذبح القرابين، قال ابن عباس: عبادة، وهو الذبحُ قربةً، لله ﷻ وقال عكرمة: ذبحًا، وقال زيد بن أسلم: هي مكّة، هي منسك الجميع وحدها **﴿لِ﴾**: حرف علّة وسبب **﴿يَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ﴾**: أن يُسمّى باسم الله ويكبّر قبل الذبح، والذبح هو شقّ الحلق وقطع الأوعية الدموية التي تصل الدم للمخ فيموت **﴿عَلَىٰ مَا﴾**: الذي **﴿رَزَقَهُمْ مِنْ﴾**: جنس **﴿بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلَهُكُمْ﴾**: الذي تعبدونه **﴿إِلَهٌ﴾**: معبود **﴿وَاحِدٌ﴾**: وإن تنوعت شرائع الأنبياء، ونسخ بعضها بعضًا **﴿فَلَهُ﴾**: تخصيصًا **﴿أَسْلِمُوا﴾**: أخلصوا، واستسلموا لحكمه، وأطيعوه

(١) سنن أبي داود ٤/٤٢٧ (٢٨٠٢)، قال الأرنؤوط: إسناده صحيح.

﴿وَبَشِّرِ﴾: اذكر الخبر السار ﴿الْمُخْبِتِينَ﴾: المطمئنين، وقيل للمتواضعين لله ﷺ الراضين بقضاء الله ﷻ، والمستسلمين له، ولقد جاءت الآية التالية؛ لتوضح هذا المعنى.

﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ (٣٥)

﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يُستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط ما بعدها بما قبلها ﴿ذُكِرَ اللَّهُ﴾: سمعوا ذكر الله ﷻ ﴿وَجِلَتْ﴾: خافت هيبة وإجلالاً من الله ﷻ ﴿قُلُوبُهُمْ﴾: القلوب التي في الصدور وهي مركز الإدراك ﴿وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا﴾: الذي ﴿أَصَابَهُمْ﴾: من البلاء والمحن؛ من نقصٍ في المال، أو النفس، أو الولد وغيرها، قال الحسن البصري: والله لنصيرن أو لنهلكن ﴿وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ﴾: الذين يؤدون فرائض الصلاة على الوجوه التي أوجبها الله ﷻ ﴿وَمِمَّا﴾: حرفٌ يُفيد بعض أو جزء ﴿رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾: ينفقون من طيب الرزق الحلال على الأهل، والأقارب، والفقراء، والمحتاجين، ويحسنون، ويحافظون على حدود الله ﷻ.

﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِعُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (٣٦)

﴿وَالْبُدْنَ﴾: قيل هي الإبل المُهداة إلى البيت، وقال عطاء، وابن عمر، وابن المسيب، والحسن البصري: هي البقر والبعير وهذا هو الأصح، والله أعلم، وقال مجاهد: هي الإبل، واختلفوا في البقر، قال مجاهد: سُمِّيَتِ الْبُدْنُ: لِبُدْنِهَا. وَالْقَانِعُ: السَّائِلُ، وَالْمُعْتَرُّ: الَّذِي يَعْتَرُّ بِالْبُدْنِ مِنْ غَنِيٍّ أَوْ فَقِيرٍ، وَشَعَائِرُ: اسْتِعْظَامُ الْبُدْنِ وَاسْتِحْسَانُهَا، وَالْعَتِيقُ: عِنْقُهُ مِنَ الْجَبَابِرَةِ، وَيُقَالُ: وَجَبَتْ سَقَطَتْ إِلَى الْأَرْضِ، وَمِنْهُ وَجَبَتِ الشَّمْسُ<sup>(١)</sup>، ﴿جَعَلْنَاهَا لَكُمْ﴾: ذلّلناها ﴿مِنْ﴾: حرفٌ جرٌّ وبيان لتمييز النوع يفيد هنا ابتداء الغاية المكانية وتفيد هنا جزءاً أو بعضاً ﴿شَعَائِرِ اللَّهِ﴾: أعلام شريعته ﷻ في الحج ﴿لَكُمْ﴾: تمليكاً ﴿فِيهَا خَيْرٌ﴾: جاء اللفظ القرآني خير على ثمانية وجوه، هنا بمعنى الأجر وهو خير الآخرة، وقال مجاهد: أجر ومنافع، وقال النخعي: يركبها، ويحلبها إذا احتاج ﴿ف﴾: حرفٌ استثنائيٌ بهدف ترتيب الأمر ويفيد سرعة التنفيذ ﴿اذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا﴾: عن جابر بن عبد الله، قال: صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عِيدَ الْأَضْحَى، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَتَى بِكَبْشٍ فَذَبَحَهُ، فَقَالَ: بِسْمِ اللَّهِ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُمَّ إِنَّ هَذَا عَنِّي

(١) صحيح البخاري ١٦٧/٢ باب ركوب البدن.

وَعَمَّنْ لَمْ يُضَحَّ مِنْ أُمَّتِي <sup>(١)</sup> ﴿صَوَافٍ﴾: تقف الأضحية على ثلاث أرجل، وتربط اليد اليسرى، وقد أوصى الله ﷺ أن تُذبح وهي واقفة ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يُستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط ما بعدها بما قبلها ﴿وَجَبَتْ جُنُوبُهَا﴾: سقطت بعد الذبح على جنبها؛ نتيجة تصفية الدم وعدم صعوده إلى المخ. قال ابن عباس: إذا نُحرت، وقال ابن أسلم: ماتت، ولا اختلاف، فلا يُؤكل منها؛ حتى تموت ﴿فَكُلُوا مِنْهَا﴾: جزءًا أو بعضًا ﴿وَأَطْعَمُوا﴾: كلوا منها، وأطعموا غيركم، أمرُ الإباحة، وقيل يستحب ذلك، وقال غيرهم يجب ﴿الْقَانِعِ﴾: السائل، وقال ابن عباس: هو المستغني المتعفف عن السؤال الذي يقبل بما أعطيته وهو في بيته ﴿و﴾: أيضًا أطعموا ﴿الْمُعْتَرِّ﴾: الذي يتعرض لكم دون سؤال، وقال ابن أسلم: المسكين والضعيف الذي يطوف يتسول.

وقت الذبح: بعد الصلاة؛ هذه السنة، قال رسول الله ﷺ: مَنْ ذَبَحَ قَبْلَ الصَّلَاةِ فَإِنَّمَا ذَبَحَ لِنَفْسِهِ، وَمَنْ ذَبَحَ بَعْدَ الصَّلَاةِ فَقَدْ تَمَّ نُسُكُهُ، وَأَصَابَ سُنَّةَ الْمُسْلِمِينَ <sup>(٢)</sup>. وقيل يوم النحر، وقيل يوم بعده، وقال الإمامان أحمد، والشافعي: يومان بعده، وثلاثة أيام التشريق بعده ﴿كَذَلِكَ﴾: مثل أيضًا ﴿سَخَّرْنَاهَا﴾: ذللناها ﴿لَكُمْ﴾: تمليكًا وتخصيصًا، وجعلناها خاضعةً، إن شئتم ركبتموها، وإن شئتم ذبحتوها ﴿لَعَلَّكُمْ﴾: تفيد التوقع من البشر ﴿تَشْكُرُونَ﴾: تحمدون وتعترفون بفضل الله ﷺ عليكم.

﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَاؤها وَلَكِنَّ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٣٧)

﴿لَنْ﴾: حرف نفي ﴿يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا﴾: حرف نفي ﴿دِمَاؤها﴾: لن يصعد إليه ﷻ؛ ولا تبلغ رضاه؛ إنَّ الله غنيٌّ عن لحومٍ ودماءٍ ما تضحون به، وفق شريعته ﷻ، فقد كانوا في الجاهلية يذبحون قرابين لآلهتهم ﴿وَلَكِنَّ﴾: استدراكًا ﴿يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ﴾: إنَّ الاستجابة لله ﷻ هي من التقوى التي هي طاعة له، وطمعًا في رحمته ﷻ ﴿كَذَلِكَ﴾: مثل هذا أيضًا ﴿سَخَّرَهَا﴾: خلقها وذلَّلها ﴿لَكُمْ﴾: تمليكًا للإنسان، وبخاصة المسلمين ﴿ل﴾: حرف علَّةٍ وسببٍ ﴿تُكَبِّرُوا اللَّهَ﴾: لتعظَّموا جناب الله ﷻ ﴿عَلَى مَا هَدَاكُمْ﴾: أرشدكم إلى الإيمان الحق والعدل ﴿وَبَشِّرِ﴾: قل القول الذي يسر ويفرح ﴿الْمُحْسِنِينَ﴾: المصدقين، الملتزمين، والقائمين بحدوده، الذين يعبدونه كأنهم يرونه عزَّ وجلَّ.

(١) مسند أحمد ١٣٣/٢٣ (١٤٨٣٧)، قال الأرنؤوط: صحيح لغيره.

(٢) صحيح البخاري ٩٩/٧ (٥٥٤٦).



﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ (٣٨)

﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿اللَّهُ يُدَافِعُ﴾: يدفع الشر ﴿عَنِ الَّذِينَ﴾: اسم موصول يفيد جميع مَنْ ﴿آمَنُوا﴾: إن الله ﷻ يدافع عن من ثبت له الإيمان؛ يدفع كيد الكفار عن ثبت له الإيمان الكامل على سبيل الحصر المؤمنين، ويحفظهم وينصرهم، هو القائل ﷻ: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق-٣] ﴿إِنَّ﴾: تعيد التعليل ﴿اللَّهُ لَا﴾: حرف نهي، النهي عن الخيانة ﴿يُحِبُّ كُلَّ﴾: جميع ﴿خَوَّانٍ﴾: جاءت بصيغة المبالغة؛ للدلالة على عظم كفرهم، وخيانتهم. الذين يخونون العهود، والمواثيق، والأمانات، الجاحدين للنعم ﴿كَفُورٍ﴾: المنكر للنعم الربانية، ولا يعترف بها، ولا يشكر عليها، وهو من أشد الكارهين لله ﷻ، وولدينه، وأوليائه، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْتَطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطِيْتَهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ" (١).

التكليف: من المعلوم أن الكفر والكافر والكفور أصلها من الفعل كفر، فإذا قيل كفر الحب بمعنى وضعه في التراب، وغطاه، واستعير المعنى في الناحية العقدية ليشير إلى الإنسان الذي يعرف حقيقة الإيمان ولكن يغطيها بعنجهيته وكبريائه.

﴿أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ (٣٩)

كان المشركون في مكة المكرمة يؤذون أصحاب رسول الله ﷺ بالسنتهم وأيديهم فيشكون إليه فيقول لهم اصبروا فإنه لم يؤذن لي بالقتال؛ فنزلت الآية. عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: لَمَّا أُخْرِجَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ مَكَّةَ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَخْرَجُوا نَبِيَّهُمْ لِيَهْلِكُنَّ " فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ ﴿أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: «لَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّهُ سَيَكُونُ قِتَالٌ» (٢)، ﴿أَذِنَ﴾: سُمح بأن يقاتل المسلمون ﴿ل﴾: تخصيصًا ﴿الَّذِينَ﴾: تخصيصًا جميع مَنْ ﴿يُقَاتَلُونَ﴾: جاءت بصيغة المضارع للدلالة على استمرار القتال في المستقبل أيضًا، الذين قاتلهم الكفار، وأولهم الذين أخرجهم الكفار من مكة المكرمة ﴿ب﴾: باء السببية ﴿أَن﴾: حرف

(١) صحيح البخاري ١٠٥/٨ (٦٥٠٢).

(٢) سنن الترمذي ٣٢٥/٥ (٣١٧١). وقال: هذا حديث حسن.

تأكيد ونفي الشك ﴿هُم﴾: ضمير منفصل مرفوع للجمع المذكر والمؤنث الغائب؛ للتحديد والتخصيص والتأكيد، يعود هنا على المقاتلين في سبيل الله ﷺ ﴿ظَلَمُوا﴾: فلما بلغ أذى المشركين مداه؛ وهاجر ﷺ إلى المدينة؛ وأصبح لهم قوة جاء الإذن من الله ﷻ للمسلمين بالقتال بسبب ما وقع بهم من ظلم وقهر، وبسبب إخراجهم من ديارهم دون ذنب إلا لأنهم آمنوا بالله ﷻ ﴿وَإِنَّ﴾: حرف تأكيد ﴿اللَّهُ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ﴾: أن ينصرهم على أعدائهم ﴿لَقَدِيرٌ﴾: قادر على نصر المؤمنين دون قتال، ولكنه أمر أن يجاهدوا، ويصبروا.

﴿الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبَّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهَدَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (٤٠)

﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول يفيد جميع من ﴿أَخْرَجُوا﴾: استخدم الفعل الماضي المبني للمجهول لسؤال السائل من الذي أخرج المؤمنين ليعرف عدوه ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ وبيان لتمييز النوع يفيد هنا ابتداء الغاية المكانية ﴿دِيَارِهِمْ﴾: هم الذين خرجوا من مكة بالقوة إلى المدينة، والآية عامة، من سنن الله ﷻ، تجري في كل زمان ومكان ﴿بَغَيْرِ﴾: حرف استثناء ﴿حَقٍّ﴾: والحق هو الثابت المتحقق، وهو الصواب، وهو القرآن والسنة النبوية، هي كلمة تأتي من ميزان العقل السليم المتحرر من الأهواء، أما الباطل: فهو ما عرفه الشرع الرباني بالفساد شرعاً وعقلاً، الذي يضيع ويفسد ﴿إِلَّا﴾: حرف استثناء، لا لجرم ارتكبه، ولكن ﴿أَنْ﴾: حرف يفيد المصدر ﴿يَقُولُوا رَبَّنَا﴾: مالك أمرنا كله ﴿اللَّهُ﴾: لا لجرم ارتكبه، ولكن لأنهم وحدوا الله ﷻ، وعبدوه، وهذه من سنن الخلق؛ فقد قيل في أصحاب الأخدود: ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [البروج-٨] ﴿وَلَوْلَا﴾: حرف يفيد امتناع أمر لوجود ما بعده ﴿دَفْعُ اللَّهِ﴾: أن يدفع الله ﷻ بقوم عن قوم ﴿النَّاسِ﴾: عموم بني آدم ﴿بَعْضُهُمْ﴾: جزءاً منهم ﴿بِبَعْضٍ﴾: جزء آخر ويكف شرور غيرهم عنهم؛ بما يقدر من أسباب ﴿ل﴾: حرف يفيد السبب ﴿هَدَمَتْ﴾: دُمّرت ﴿صَوَامِعُ﴾: معابد الرهبان النصارى ﴿و﴾: حرف عطف يفيد هنا الحال ﴿بِيَعٍ﴾: وهي كنائس معابد واسعة للمسيحيين، وقال ابن عباس: كنائس اليهود ﴿وَصَلَوَاتٌ﴾: كنس اليهود، وقال ابن عباس: كنائس النصارى ﴿وَمَسَاجِدُ﴾: المسلمين التي ﴿يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾: يعود الضمير على المساجد؛ لأنها آخر المذكورين ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ﴾: يكتب للمسلمين الغلبة على أعدائهم بالتأكيد ﴿اللَّهُ مَنْ﴾: الذي من جنس العاقل الذي ﴿يَنْصُرُهُ﴾: يؤكد الحق ﷻ على نصر الذين ينصرون دينه بكل أدوات التأكيد اللام، والنون ﴿إِنَّ﴾: حرف

تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿اللَّهُ لَقَوِيٌّ﴾: القوي الذي لا يُقهر ﴿عَزِيزٌ﴾: الذي لا يُنال جنباه، وهي الصفات الدالة على النصر الأكيد، ويعزُّ من يلجأ لحماه ﷺ.

﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ (٤١)

قال عثمان بن عفان، ﷺ، نزلت فينا معاشر المسلمين، حيث وعدنا بالنصر والتمكين في الأرض، ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ ﴿إِنْ﴾: حرف شرط ﴿مَكَّنَّاهُمْ﴾: جعلناهم يُسيطرون، ويتحكمون ﴿فِي الْأَرْضِ﴾: كما كان بعد خروج الرسول ﷺ وصحابته إلى المدينة ﴿أَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾: أدوا الصلاة على وجهها الصحيح دون خوف ﴿وَآتَوُا الزَّكَاةَ﴾: دفعوها لمستحقيها ﴿و﴾: أيضًا ﴿أَمَرُوا﴾: دعا النَّاسَ ﴿بِ﴾: حرف باء الالتصاق ﴿الْمَعْرُوفِ﴾: إلى ما أمرهم الله ﷻ أَنْ يفعلوا، من فعل الخيرات ﴿وَنَهَوْا﴾: منعوا أنفسهم والنَّاسَ الذين آمنوا معهم ﴿عَنِ﴾: حرف جر يفيد المجاوزة ﴿الْمُنْكَرِ﴾: عن فعل ما أنكره الله ﷻ ﴿وَلِلَّهِ﴾: ﷻ للتحقيق؛ فكل أمر لله ﷻ وحده دون سواه ﴿عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾: هنا تسرية وتسلية للنبي ﷺ وللمؤمنين، بشرى بالسيادة، والريادة، وعنده ﷻ ثواب ما عملوا؛ فوزٌّ في الدنيا والآخرة.

﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ﴾ (٤٢)

﴿وَإِنْ﴾: حرف شرط ﴿يُكَذِّبُوكَ﴾: إن يُكذِّبُكَ قومك أيها الرسول، يصبر الله ﷻ رسوله ﷺ؛ على تكذيب الكفار له، فقد حدث هذا مع الرسل عليهم السلام، من قبله ﴿ف﴾: حرف استثنائي بهدف ترتيب الأمر ويفيد سرعة التنفيذ ﴿قَدْ﴾: حرف جزم دخل هنا على الفعل الماضي فأفاد التأكيد ﴿كَذَّبَتْ﴾: أنكرت ﴿قَبْلَهُمْ قَوْمُ﴾: جماعة من أصل واحدٍ وأصحاب عقيدة واحدة هم قوم ﴿نُوحٍ﴾: فكانت عاقبتهم الغرق ﴿و﴾: أيضًا كذب قوم هود عليه السلام، وهم ﴿عَادُونَ﴾: أيضًا كذبت ﴿ثَمُودُ﴾: قوم صالح أخذتهم الصيحة.

﴿وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ﴾ (٤٣)

﴿و﴾: أيضًا كذب ﴿قَوْمُ إِبْرَاهِيمَ﴾: نالهم الخزي، ونجا الله ﷻ إبراهيم عليه السلام، من النَّارِ ﴿وَقَوْمُ لُوطٍ﴾: رفع الله ﷻ القرية فوقهم؛ ثم أنزلها مهشمة.

﴿وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَى فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ (٤٤)

﴿و﴾: أيضًا كذب ﴿أَصْحَابُ مَدْيَنَ﴾: قوم شعيب عليه السلام ﴿وَكُذِّبَ مُوسَى﴾: من فرعون، فأغرقه الله ﷻ وجيشه ﴿ف﴾: حرف استثنائي بهدف ترتيب الأمر ويفيد سرعة التنفيذ؛ لهذا السبب ﴿أَمَلَيْتُ﴾: أمهلتهم، وأجلت العقوبة والانتقام ﴿ل﴾: تخصيصًا ﴿الْكَافِرِينَ﴾: أخرجت عنهم

العقوبة والعذاب، استدراجًا لهم، إنَّ هذا العلو في الكفَّار مؤقت؛ ﴿ثُمَّ﴾ حرفٌ يُفيد التتابع غير السريع ﴿أَخَذْتُهُمْ﴾: أصبَّتهم بعذابٍ شديدٍ ﴿فَكَيَّفَ﴾: حرف استقهامٍ للتقرير ﴿كَانَ نَكِيرٍ﴾: حدث لهم المنكر، ماذا كانت عاقبة إنكاري لعملهم، ومعاقبتي لهم؟ لقد أملى الله ﷻ للظالم، ثم أخذهُ بقوة.

﴿فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَبْرِىءُ مَعْطَلَةٌ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ﴾ (٤٥)

﴿فَكَأَيِّنْ﴾: اسمٌ مركَّبٌ يُفيد كم، من الكثرة في العدد ﴿مِنْ﴾: حرفٌ جرٌّ وبيانٍ لتمييز النوع يفيد هنا ابتداء الغاية المكانية ﴿قَرْيَةٍ﴾: تجمع سكاني ﴿أَهْلَكْنَاهَا﴾: كثير من القرى الظالمة أهلكتها بسبب كفرها؛ ودُمِّرت ومن فيها ﴿وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾: التي كذَّبت برسُلها، وبسبب بكفرها ﴿فَهِيَ خَاوِيَةٌ﴾: فديارهم مُهدَّمةٌ خلت من سكانها فلم يبق فيها بيتٌ للسكن ولا بئرٌ يستقى منها، سقطت جدرانها وصارت على الأرض سقوفها، لا سُكَّان فيها ﴿عَلَى عُرُوشِهَا﴾: على سقوفها، على ما فيها؛ فقد هلَكوا جميعًا ﴿و﴾: حرفٌ عطفٍ يفيد هنا الحال ﴿بَيْرٍ﴾: هي التي ليس فيها ماء، أمَّا الجب فهو بئرٌ فيها ماء ﴿مَعْطَلَةٌ﴾: لا أحد يردُّها ليشرب منها؛ فقد هلَكوا جميعًا ﴿وَقَصْرٍ مَشِيدٍ﴾: وفيها قصورٌ عاليةٌ الجدران ومزخرفة بالمبييض؛ بالجصّ "الجبس"، وقيل: المنيع المرتفع، والحصين التي لم تحم ساكنيها من الكفَّار، وأصبحت خاليةً من ساكنيها ولم تدفع عن أهلها سوء العذاب.

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارَ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبَ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ (٤٦)

﴿أَفَلَمْ﴾: حرف استقهام يفيد الحث والإنكار والتوبيخ ﴿يَسِيرُوا﴾: المكذبون من قريشٍ ليشاهدوا سُكَّانَ ﴿فِي الْأَرْضِ﴾: لقد ساروا في الأرض سياحةً، ورأوا مصير، ومصارع السابقين، واستخدموا عقولهم؛ لاستخلاص تجاربهم ﴿ف﴾: حرف يفيد السبب والتتابع السريع في التنفيذ ﴿تَكُونَ لَهُمْ﴾: تخصيصًا ﴿قُلُوبٌ﴾: وهي مراكز الوعي الإدراك ﴿يَعْقِلُونَ بِهَا﴾: يستخلصون العبر، بالقلب الذي في الصدر ﴿أَوْ﴾: حرف يفيد المساواة بين متعاطفين ﴿آذَانٌ﴾: أدوات السمع ﴿يَسْمَعُونَ بِهَا﴾: وهي من وسائل الإدراك القوية، التي إذا حُرِّمها طفلٌ مبكرًا فلن يتعلم الكلام ليسمعوا أخبارهم سماع تدبّرٍ فيتعظوا؟ ﴿فَإِنَّهَا﴾: الحقيقة المؤكدة ﴿لَا﴾: حرف نفي ﴿تَعْمَى﴾: لا ترى ﴿الْأَبْصَارَ﴾: الرؤية بالعيون ﴿وَلَكِنْ﴾: حرف استدراك ﴿تَعْمَى الْقُلُوبَ الَّتِي﴾: إنَّ وسائل الإدراك المذكورة؛ السمع والبصر، والحواس تصل ﴿فِي الصُّدُورِ﴾: عمى

البصيرة عن الحق، هو المهلك، عمى القلب الذي في الصدر، مركز الإدراك والوعي، واستخلاص العبر، فإذا تلف القلب لم تنفعه أدوات الأبصار، وأدوات السمع؛ إنَّها عمى البصيرة.

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾  
(٤٧)

﴿و﴾: عطفاً على ما سبق ﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ﴾: يطلبون نزول ﴿بِالْعَذَابِ﴾: يتحدونك، وهم الكفار؛ فيطلبوا نزول العذاب عاجلاً، جاء في المعنى: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطْعًا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ﴾ [ص-١٦] ﴿وَلَنْ﴾: ينفي الله ﷻ أنه سوف ﴿يُخْلِفَ﴾: يُغَيِّرُ ﴿اللَّهُ وَعْدَهُ﴾: لقد وعدهم الله يوم القيامة بالانتقام من أعدائه، وإكرام أوليائه، ولن يُغَيِّرُ وعده، وقد تحقق بعضه في موقعة بدر ﴿وَإِنَّ﴾: حرف تأكيد ﴿يَوْمًا﴾: يوم على أربعة وجوه، هنا بمعنى الأيام الستة التي خلق الله ﷻ فيها الدنيا ﴿عِنْدَ﴾: حرف يفيد بداية الغاية الزمانية، والمكانية ﴿رَبِّكَ﴾: حرف استثنائي بهدف ترتيب الأمر ويفيد سرعة التنفيذ ﴿كَ﴾: حرف بمعنى مثل، وكحال ﴿أَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا﴾: بعض أو جزء من الذي ﴿تَعُدُّونَ﴾: كألف سنة من سنوات الدنيا.

﴿وَكَايُنَ مِنْ قَرْيَةٍ أَمَلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَى الْمَصِيرِ﴾ (٤٨)

﴿وَكَايُنَ﴾: اسم مركب من التشبيه يفيد الكثرة العددية ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ وبيان لتمييز النوع يفيد هنا ابتداء الغاية المكانية ﴿قَرْيَةٍ﴾: كم من القرى، والتجمعات السكانية الكبيرة، كانت ظالمة بإصرار أهلها على الكفر ﴿أَمَلَيْتُ لَهَا﴾: أمددتها في الرزق، والعلو، والعمر، وأمهلتها عذابها ﴿وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾: رغم كفرها وجودها ﴿ثُمَّ﴾: بعد فترة من الزمن ﴿أَخَذْتُهَا﴾: دمّرتها، أو أصبتها، أو استأصلتها بعذابٍ شديدٍ ﴿و﴾: حرف عطف يفيد هنا الحال ﴿إِلَى الْمَصِيرِ﴾: ومردّها إلى الله ﷻ دون سواه؛ فيجازيهم على كفرهم بالعذاب.

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ (٤٩)

﴿قُلْ﴾: أمر من الله ﷻ لمحمد ﷺ ومن بعده المسلمين أن يصدح ﴿يَا أَيُّهَا﴾: حرف نداء بين المُنادي وهو النبي أو أتباعه من بعده والمُنَادِي عليهم وهم عموم ﴿النَّاسِ﴾: قل يا محمد لهؤلاء الذين استعجلوا العذاب ﴿إِنَّمَا﴾: تحديداً وتخصيصاً ﴿أَنَا﴾: محمد ﷺ ﴿لَكُمْ﴾: مرسل ﴿نَذِيرٌ﴾: مبلغ ومحدّر لكم، إنَّ مهمني أن أنذركم، وأحذركم من وعيد الله ﷻ ﴿مُبِينٌ﴾: بصورة واضحة وبرهانٍ بين.

﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ (٥٠)

﴿ف﴾: حرف يُفيد السبب والتنفيذ السريع ﴿الذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ ﴿آمَنُوا﴾: بالله، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والملائكة، ويوم القيامة ﴿و﴾: أتبعوا ذلك بأنْ ﴿عَمَلُوا الصَّالِحَاتِ﴾: بموجب هذا الإيمان الصادق؛ فعلوا الخير من عبادات ومعاملات ﴿لَهُمْ﴾: جزاؤهم تخصيصًا ﴿مَغْفِرَةً﴾: تكفيرًا لذنوبهم؛ فكلَّ ابن آدم خطاء ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾: جزاءٌ كبيرٌ الجنة.

﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّجِيمِ﴾ (٥١)

﴿و﴾: عطفاً على ما سبق فإنَّ ﴿الذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ ﴿سَعَوْا﴾: بذلوا جهداً من الكفَّار والمنافقين من الرجال ومن النساء ﴿فِي آيَاتِنَا﴾: الأدلَّة والبراهين الدالَّة على صدق الدين بالتكذيب لها ﴿مُعَاجِزِينَ﴾: محاولين إظهار عجز وإبطال صدق الآيات والبراهين والأدلَّة ﴿أُولَئِكَ﴾: إشارةٌ للقريب والبعيد، هؤلاء هم أهل النار الموقدة ﴿أَصْحَابُ﴾: سكانٌ، هم يدخلون ويبقون فيها ملازمين، مصاحبين ﴿النَّجِيمِ﴾: للنَّار الحارَّة الموجهة أبداً.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (٥٢)

سبب النزول: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: " قَرَأَ النَّجْمَ فَلَمَّا بَلَغَ ﴿أَفْرَأَيْتُمْ اللَّاتِ وَالْعُزَّى﴾ [النجم-١٩] ﴿وَمَنَاءَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى﴾ [النجم-٢٠] أَلْقَى الشَّيْطَانُ عَلَى لِسَانِهِ تَكَ الْغَرَائِقُ الْعُلَى وَشَفَاعَتُهُنَّ لُتْرَجَى فَلَمَّا سَجَدَ؛ سَجَدَ الْمُسْلِمُونَ وَالْمُشْرِكُونَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ﴾ [الحج-٥٢] إِلَى قَوْلِهِ: ﴿عَذَابٌ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾ [الحج-٥٥] يَوْمٌ بَدْرٌ<sup>(١)</sup>، ﴿وَمَا﴾: حرف نفي ﴿أَرْسَلْنَا﴾: وحياً ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ وبيان لتمييز النوع يفيد هنا ابتداء الغاية الزمانيَّة ﴿قَبْلِكَ﴾: الذين جاؤوا قبلك يا محمد ﷺ ﴿مِنْ رَسُولٍ وَلَا﴾: حرف نفي ﴿نَبِيٍّ إِلَّا﴾: حرف استثناء ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يُستقبل من الزمان، يفيد معنى الشرط وهي أداة ربط ما بعدها بما قبلها ﴿تَمَنَّى﴾: قال ابن عباس: إذا تحدث، وقال مجاهد: إذا قال، وقال البغوي، والضحاك: إذا قرأ، وهذه أقرها أكثر المفسرين ﴿أَلْقَى﴾: وضع ﴿الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾: في قراءته، وتلاوته، وفي قلبه الشبه وما يُلبس على النَّاس إيمانهم بكلام كآتة من الوحي ﴿ف﴾: حرف استثنائي بهدف ترتيب الأمر ويفيد سرعة التنفيذ ﴿يَنسَخُ اللَّهُ﴾: قال ابن عباس: النسخ هو الإزالة والرفع؛ يُبطل الله ﷻ ﴿مَا﴾: الذي

(١) المعجم الكبير للطبراني ٥٣/١٢ (١٢٤٥٠) قلت: الحديث مرسل ضعيف الإسناد، صرح بهذا الهيثمي في مجمع الزوائد

﴿يُلْقِي الشَّيْطَانُ﴾: وفي هذه الآية قال الضحاك: نسخ جبريل بأمر الله ما ألقى الشيطان ﴿ثُمَّ﴾: تغيد التتابع الزمني غير السريع ﴿يُحْكِمُ اللَّهُ﴾: ينزع ما ألقى الشيطان في ﴿آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾: يعلم ما يخفى من الأمور ﴿حَكِيمٌ﴾: في تقديره وخلقه وأمره، وله الحكمة البالغة. ﴿يَجْعَلُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ (٥٣).

﴿ل﴾: حرف علة وسبب ﴿يَجْعَلُ مَا﴾: الذي ﴿يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً﴾: امتحاناً لشكِّ وشركِ ﴿ل﴾: حرف تخصيص ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ ﴿فِي قُلُوبِهِمْ﴾: في مركز الوعي والإدراك ﴿مَرَضٌ﴾: النفاق في قلوب المنافقين ممن في قلوبهم شكٌّ ونفاقٌ؛ ﴿و﴾: حرفٌ عطفي يفيد هنا الحال ﴿الْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾: الجبارين من الكفار، ولقساوة قلوبهم التي لا يُؤثِّرُ فيها زجرٌ وقال ابن حيان: اليهود ﴿وَإِنَّ﴾: حرف تأكيد ﴿الظَّالِمِينَ﴾ من كلِّ هؤلاء، المشرك، والكافر، والمنافق ﴿ل﴾: حرف سببٍ ﴿فِي شِقَاقٍ﴾: في ضلالٍ وتيه ومخالفةٍ وعنادٍ ﴿بَعِيدٍ﴾: عن الصواب؛ وعن الإيمان.

﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادٍ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٥٤)

﴿و﴾: أيضاً ﴿ل﴾: حرفٌ يفيد السبب ﴿يَعْلَمُ﴾: يتيقن، ويتأكد ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ ﴿أُوتُوا الْعِلْمَ﴾: ممن جمع العلم النافع، الذي يفرِّق به بين الحق والباطل ﴿أَنَّهُ﴾: حرفٌ تأكيدٍ ونفي الإنكار والشكِّ، هو التصور الحقيقي الذي قاد للإيمان ﴿الْحَقُّ مِنْ﴾: حرفٌ يفيد بداية الغاية ﴿رَبِّكَ﴾: هو ﷻ المعبود، والمُرَبِّي، مالك أمرك كله ﴿ف﴾: حرفٌ استثنائي بهدف ترتيب الأمر ويفيد سرعة التنفيذ ﴿يُؤْمِنُوا بِهِ﴾: بالقرآن الكريم ترسخ إيمانهم، وصدّقوا، وانقادوا ﴿فَتُخْبِتُ﴾: تطمئن وتسكن وتلين ﴿لَهُ﴾: تخصيصاً ﴿قُلُوبُهُمْ﴾: وتدلّ له مراكز الإدراك والقلب ﴿و﴾: عطفاً على ما سبق ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشكِّ والإنكار ﴿اللَّهُ لَن﴾: حرف علة وسبب ﴿هَادٍ﴾: يدلُّ على الطريق الصواب ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾: وهذه تسليّةٌ للمؤمنين، أنه ﷻ سيهديهم إلى الحق في الدنيا؛ فيرشدهم إلى اتباعه ﷻ، ومخالفة الباطل، ويهديهم في الآخرة؛ فيقودهم لجنّته ﴿إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾: يهدي المؤمنين في الآخرة إلى هذا الطريق، بلا عوج، المؤدي إلى الدرجات العلى.

﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (٥٥)

﴿و﴾: عطفاً على ما سبق ﴿لا﴾: حرف نفي ﴿يزال﴾: سيستمر ﴿الذين﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع من ﴿كفروا﴾: الذين أنكروا الدين ﴿في مزية﴾: قلق، وشك، وريب ﴿منه﴾: قال ابن جريج، وابن جرير: من القرآن، وقال سعيد بن جبير، وابن زيد: مما ألقى الشيطان، وقيل في الدين ﴿حتى﴾: حرف جرّ يدلُّ على انتهاء الغاية الشرطية، أي لن يُصدقوا إلا بشرط أن ﴿تأتيهم﴾: تحلُّ عليهم، تقوم ﴿الساعة بغنة﴾: قال مجاهد: فجأة ﴿أو﴾: حرف عطف يساوي ما بعده بما قبله ﴿يأتيهم﴾: يحلُّ عليهم ﴿عذاب يوم عقيم﴾: وقد تحقق هذا للمشركين في يوم بدر، والعقيم هنا الذي ليس فيه خير لهم. وقال عكرمة، ومجاهد: هو يوم القيامة، الذي لا يُنتج، ولا يُثمر خيراً، فالرجل العقيم الذي لا ينجب ولدًا، واليوم العقيم الذي لا فائدة فيه؛ وقد يكون فيه ضررٌ.

﴿الملك يومئذ لله يحكم بينهم فالذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم﴾ (٥٦)

﴿الملك﴾: الكون كله ملك لله ﷻ، هو الملك المالك المتحكم، المسيطر، لا ينازعه في ملكه أحدٌ ﷻ ﴿يومئذ﴾: كلمة مركبة من يوم وإذ بمعنى في ذلك اليوم ﴿لله﴾: يوم القيامة، والملك اليوم لله ﷻ ﴿يحكم﴾: يقضي بالحق ﴿بينهم﴾: بين الخلائق ﴿ف﴾: حرف يفيد السبب ﴿الذين﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع من ﴿آمنوا﴾: بالله إيمان قلوب ﴿و﴾: عطفاً على ما سبق ﴿عملوا الصالحات﴾: وصدقت أعمالهم إيمانهم؛ عبادات، ومعاملات، إن مصيرهم ﴿في جنات النعيم﴾: في جنات، وليس جنة واحدة، يتنعمون فيها، لا زوال ولا انقطاع.

﴿والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فأولئك لهم عذاب مهين﴾ (٥٧)

﴿و﴾: أيضًا ﴿الذين﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد هنا جميع من ﴿كفروا﴾: بعد نكر مصير المؤمنين؛ جاء نكر مصير الكافرين؛ الذين غفلت قلوبهم عن الحق، وجحدته ﴿وكذبوا﴾: أنكروا ﴿بآياتنا﴾: كذبوا الرسل، وكذبوا بآيات الله ﷻ، وبراهين الحق، واستكبروا ﴿ف﴾: حرفٌ استثنائيٌ بهدف ترتيب الأمر ويفيد سرعة التنفيذ ﴿أولئك﴾: إشارةً للقريب والبعيد في الزمن ﴿لهم﴾: تخصيصًا وتمليًا ﴿عذاب مهين﴾: الذين جمعوا بين الكفر والتكذيب، مقابل استكبارهم في الدنيا؛ لهم العذاب الذي يُهينهم في جهنم في الآخرة.

﴿والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقًا حسنًا وإن الله لهو خير الرازقين﴾ (٥٨)

﴿و﴾: عطفاً على ما سبق فإن ﴿الذين﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع من ﴿هاجروا﴾: وجزاء الذين خرجوا مهاجرين، وفاقوا البلاد والأهل ﴿في سبيل الله﴾: نصره لدينهم ﴿ثم﴾: ومع



التتابع الزمني غير السريع ﴿قَتَلُوا﴾: استشهدوا في مواجهة الأعداء ﴿أَوْ﴾: حرف يفيد التسوية بين متعاطفين ﴿مَاتُوا﴾: على فراشهم دون قتال ﴿لَنْ﴾: بسبب هذا ﴿يَرْزُقْنَهُمْ﴾: يؤكد الله ﷻ بلام ونون التوكيد على رزق ﴿اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾: مع أنّ الرزق يُطلق على الحلال فإنّ هذه الآية تدل على أنّ هناك رزقاً غير حسن، الحديث للمؤمنين عن الأجر الجزيل، والثناء الجميل في الجنة؛ وما تقرُّ به أعينهم ﴿وَإِنَّ﴾: حرف تأكيد ﴿اللَّهُ لَهُوَ﴾: تخصيصاً ﴿خَيْرٌ﴾: أفضل وأعظم وأكرم ﴿الرَّازِقِينَ﴾: من يعطي من رزق هو الله ﷻ.

التكليف: ما يقدم المؤمن من خيرٍ في حياته؛ إلاّ عوّضه الله ﷻ عنها في الدارين.

**﴿لِيَدْخِلْنَهُمْ مُدْخَلَ رِزْوَانِهِ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ (٥٩)**

﴿لِيَدْخِلْنَهُمْ﴾: الكلام هنا عن الذين هاجروا في سبيل الله ﷻ، يؤكد الله ﷻ أنّه سيدخلهم في يوم القيامة؛ أي يعطيهم ﴿مُدْخَلًا﴾: الجنة ودرجات رفيعة المدخل الذي ﴿يَرْضُونَهُ﴾: الذي يحبونه، فالذي قُتل في سبيل هو شهيدٌ، حيٌّ يُرزقُ، ومن توفي في سبيل الله دون قتال يجري عليه في هذه الآية وغيرها الرزق، وعظيم الإحسان إليه، سواء بُعث من حفرة الشهداء أو من حفرة الوفاة ﴿و﴾: عطفاً على هذا فإنّ هناك ما لا عين رأت ولا أُذن سمعت ولا خطر على قلب بشرٍ ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿اللَّهُ لَعَلِيمٌ﴾: صاحب العلم الشامل، بكل خلقه؛ سرهم وعلنهم ﴿حَلِيمٌ﴾: رءوف عطوف بعباده، وبالخلق جميعاً.

**﴿ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لِيُنْصَرَّتْهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُؤٌ غَفُورٌ﴾ (٦٠)**

﴿ذَلِكَ﴾: كانت سريةً من الصحابة قد التقت جمعاً من المشركين في شهر مُحَرَّم، فناشدهم المسلمون ألاّ يقاتلوا في الشهر الحرام، رفض المشركون، واعتدوا عليهم، فقاتلهم المسلمون، ونصرهم الله عليهم، هنا الأمر الذي قصصنا عليك من إدخال المهاجرين الجنة، فأذن له أن يُقابل الجاني بمثل فعلته ﴿وَمَنْ﴾: والذي من البشر ﴿عَاقَبَ بِ﴾: باء الاستعانة ﴿مِثْلٍ﴾: مُقابل مُكافئ ﴿مَا﴾: الذي ﴿عُوقِبَ بِهِ﴾: من حارب أو اعتدى ﴿ثُمَّ﴾: حرف يفيد التتابع مع التباعد الزمني ﴿بُغِيَ عَلَيْهِ﴾: وقع عليه ضررٌ بمعاودة العقاب أو ظلم أو قتل ﴿ل﴾: حرف سبب وتأكيد ﴿يُنْصَرَّتْهُ اللَّهُ﴾: فعليه أن يعاقب بمثل ما عوقب وزيادة؛ إنّ الله سينصره بالتأكيد ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿اللَّهُ لَعَفُؤٌ﴾: مسامحٌ ﴿غَفُورٌ﴾: لقد أمر الله ﷻ بعدم القتال في أشهرٍ معيّنة، ولكن إذا اعتدى الكفار على المسلمين؛ أباح الله لهم الدفاع عن أنفسهم، سيغفر لهم المخالفة، ويعفو عنهم، وينصرهم.

**﴿ذَلِكَ بَأْنِ اللَّهِ يُؤَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ (٦١)**

﴿ذَلِكَ﴾: إشارة للبعيد، النصر للمعتدى عليه من المسلمين ﴿بِأَنَّ﴾: تأكيد ونفي الإنكار والشكّ والذو شَرَعَ لكم تلك الأحكام العادلة هو الحق وهو القادرُ على كلِّ شيءٍ ﴿اللَّهُ﴾: لأنّه قادرٌ على كلِّ شيءٍ ومن قدرته ﴿يُولِجُ﴾: يُدخل بسهولة ويسر ﴿اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ﴾: إنّ ظاهرة الليل والنهار من المعجزات الكونية التي وضّحها العلم الحديث، فالشمس مصباحٌ يُضيء؛ فهي مصدر إضاءة، فإذا وقعت الأرض أمام الشمس؛ صار في الأرض نهارًا مضيئًا، ﴿وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾: تزداد ساعات الليل كما في الشتاء ﴿وَأَنَّ﴾: حرفٌ تأكيدٌ ﴿اللَّهُ سَمِيعٌ﴾: يسمع أقوال الخلائق ﴿بَصِيرٌ﴾: يرى ما يفعلون من حركات وسكنات، إنّ هذه كلمات قليلة تُلخص عمل المجموعة الشمسية المُذهلة.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾  
(٦٢)

﴿ذَلِكَ﴾: حرف إشارة للبعيد، عن الشمس والقمر ﴿بِأَنَّ﴾: حرفٌ يُفيد تأكيد الفعل مع اليقين وليس الوهم ﴿اللَّهُ هُوَ﴾: ضميرٌ للغائب الفرد ﴿الْحَقُّ﴾: جاء اللفظ القرآني "الحق" في القرآن على أحد عشر وجهًا هنا بمعنى الحق بعينه، هذه الأدلّة والبراهين المرئية والمسموعة؛ تؤكد أنّ الله ﷻ هو الإله الحق الذي ينبغي طاعته، صاحب السلطان العظيم، ما أراد كان، وما لم يرد لم يكن ﴿وَأَنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الإنكار والشكّ ﴿مَا﴾: الذي ﴿يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ﴾: كلّ ما يعبدون غير الله ﷻ كالأصنام والأنداد، والنظريات، والأفكار؛ مثل الشيوعية، والعلمانية، والاشتراكية، والرأسمالية، والوطنية البديل عن الدين، وغيرها ﴿هُوَ الْبَاطِلُ﴾: الزائف الذي لا يستحق طاعةً أو إتباعًا؛ لأنّ مصيره الفشل في الدنيا، ومآله جهنّم في الآخرة ﴿وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ﴾: ضمير للمفرد ﴿الْعَلِيُّ﴾: العظيم لا أعظم منه ﴿الْكَبِيرُ﴾: لا أكبر منه، تقدس وتنزه عمّا يقوله الظالمون.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ (٦٣)  
﴿أَلَمْ تَرَ﴾: استفهامٌ بغرض التقرير، وإذا جاءت، تفيد دائمًا الوجد والألم، وهي دعوة إلى التفكير والتدبر بوسائل الإدراك ومنها البصر ﴿أَنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الإنكار والشكّ ﴿اللَّهُ أَنْزَلَ مِنْ﴾: حرفٌ يُفيد بداية الغاية المكانية ﴿السَّمَاءِ مَاءً﴾: حيث الأرض الهامدة، يرسل الله ﷻ عليها السحاب، الذي ينقل بخار الماء من البحار والمحيطات؛ فيسوقه إلى الأرض القاحلة ﴿فَ﴾: حرفٌ استثنائي بهدف ترتيب الأمر ويفيد سرعة التنفيذ ﴿تُصْبِحُ﴾: تصير ﴿الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾: يُصبح الزرع الأخضر يغطي وجهها، ومن المعلوم أنّ اللفظ الأخضر

من خضر بمعنى الذل والرقه واللين وهذه إشارة إلى جمال ورقة ولين الأرض بنباتها ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ﴾: يعرف ما في الأرض، وبلطفه وكرمه يجعلها رزقاً للعباد والدواب والطيور ﴿حَبِيبٌ﴾: عليمٌ بحاجة الخلق، ورحيمٌ بهم، يسوق إليهم الرزق من الأرض ومن السماء.

﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (٦٤)

﴿لَهُ﴾: ملك الله ﷻ وحده ﴿مَا﴾: الذي ﴿فِي السَّمَاوَاتِ﴾: هي كلُّ ما علا الأرض، وأحاط بها من شمسٍ، وقمرٍ، ونجومٍ، وكواكبٍ، كون الأرض ببيضاوية الشكل، هو خالقها، وهو ﷻ مالِكها، وهو المُتصرف فيها، والكلُّ محتاجٌ إليه ﷻ ﴿وَ﴾: أيضاً له ﴿مَا﴾: كل الذي ﴿فِي الْأَرْضِ﴾: ومن ملكه ﷻ الأرض وما فيها، من معادن ثمينة، وبتترول، وماء، ومكونات التربة التي تغذي النبات والأشجار ﴿وَإِنَّ﴾: حرف تأكيد ﴿اللَّهُ لَ﴾: حرف تملك ﴿هُوَ﴾: في اللغة يعني ضميراً منفصلاً مرفوعاً للغائب المفرد المنكر، والمقصود هنا هو الله ﷻ ﴿الْغَنِيُّ﴾: الذي لا يحتاج من هذه المخلوقات إلى شيء، وهي تحتاج إليه، فكل شيء إليه فقير ﴿الْحَمِيدُ﴾: الذي يستحق الحمد والشكر والثناء ﷻ.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ وَأَنْفَلَكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (٦٥)

﴿أَلَمْ تَرَ﴾: استفهامٌ بغرض التقرير، ألا تشاهد أيها النبي، يا أيها الإنسان في كلِّ زمانٍ ومكانٍ ﴿أَنَّ﴾: حرف تأكيد الفعل ونفي الشك ﴿اللَّهُ سَخَّرَ﴾: ذلَّل، وهيأ، وجعل ﴿لَكُمْ﴾: تخصيصاً وتمليكاً ﴿مَا﴾: كلُّ ما هو من جنس غير العاقل ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ ما في باطن الأرض من ماءٍ وغذاءٍ ومعادنٍ وثرواتٍ؛ سهلها لكم، وأرشدكم إلى استخدامها ﴿وَ﴾: أيضاً سَخَّرَ لكم ﴿أَنْفَلَكَ﴾: السفن التي وصلت أحجامها وقدراتها على الحمل مراحل عظيمة ﴿تَجْرِي فِي الْبَحْرِ﴾ بـ: حرفُ باء السببية ﴿أَمْرِهِ﴾: ألم تر أنَّ المسمار يسقط في البحر، والسفن العابرات للقارات تجري فوق الماء؛ ولا تغرق؟ لقد علم الله ﷻ الإنسان قوانين الطفو، كما علم نوحاً ﷺ، صناعة السفن، كما أرسل الرياح؛ لتسير السفن، وأرشد الإنسان إلى البترول في باطن الأرض؛ ليصير وقوداً لتجري الفلك في البحر بأمره ﴿وَ﴾: أيضاً ﴿يُمْسِكُ﴾: يمنع ﴿السَّمَاءَ﴾: هي كلُّ ما علا الأرض وأحاط بها ﴿أَنَّ﴾: حرف تأكيد الفعل ﴿تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ﴾: إنَّ إمساك السماء هو فعل الجاذبية من جانبٍ، ويساويها القوة الطاردة المركزية من جانبٍ مضاد، التي لا انشقاق فيها ولا انفصال وإلا انهارت العلاقات والمواقع لهذه النجوم

والكواكب فإذا ذهبت الجاذبية اصطدمت الكواكب ببعض وهنا يتحقق وقوع السماء على الأرض، وأمر الله ﷻ السماء وما فيها من شمسٍ، وقمرٍ، ونجومٍ، وكواكب أن تبقى في مدارها تدور، ولا تقترب من غيرها ﴿الْأَلَا﴾: حرفٌ استثناءٍ ﴿بِإِذْنِهِ﴾: بأمره إذا أراد لها ذلك ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشكِّ والإنكار ﴿اللَّهُ بِالنَّاسِ لَن﴾: حرف علةٍ وسببٍ ﴿رَغُوفٌ رَجِيمٌ﴾: من صفاته ﷻ الرحمة، والرأفة البالغة بعباده المحسن منهم، والمسيء.

﴿وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ﴾ (٦٦)

﴿وَهُوَ﴾: الله ﷻ ﴿الَّذِي﴾: اسمٌ موصولٌ هنا بالفرد، الواحد، الأحد، ﷻ ﴿أَحْيَاكُمْ﴾: بدأ ذلك بخلق آدم ﷺ، من ترابٍ؛ ثم نفخ فيه من روحه؛ فكانت الحياة الأولى، ثم جعل الحيوان المنوي والبويضة؛ جسمًا ينمو، ويتكاثر، ثم خلق منهما الذكر والأنثى، وكلفهم بالعبادة ﴿ثُمَّ﴾: حرفٌ يُفيد التتابع الزمني غير السريع، أي على التراخي ﴿يُمِيتُكُمْ﴾: على الأرض بعد أن تقضوا عمركم، وتسكنوا باطن الأرض، وتتحلل أجسادكم ﴿ثُمَّ﴾: مع مرور الزمن على التراخي ﴿يُحْيِيكُمْ﴾: يجمع الرفات في حياة جديدة يعلمها هو ﷻ؛ للثواب والعقاب يوم القيامة ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشكِّ والإنكار ﴿الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ﴾: ويبقى من الناس من يُغطي؛ يكفر فضل الله ﷻ عليه، وعلى الناس؛ فيعصي ويتولى.

﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنَسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَازِعُونَكَ فِي الْأَمْرِ وَاذْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُسْتَقِيمٍ﴾ (٦٧)

﴿لِكُلِّ﴾: جميع ﴿أُمَّةٍ﴾: لكل قرنٍ من القرون الماضية، كل جماعةٍ كبيرةٍ من الناس من أصلٍ واحدٍ ﴿جَعَلْنَا مَنَسَكًا﴾: وضعنا شريعةً خاصةً؛ بحيث لا تتجاوز كلُّ أمةٍ شريعتهَا، والمنسك في كلام العرب هو مكانٌ اعتاد الناس عليه، يترددون على زيارته، والمقصود هنا ممارسة شريعة خاصة ﴿هُم نَاسِكُوهُ﴾: عبادةٌ هم فاعلوها؛ لا غيرها؛ ولذلك سُميت مناسك الحج؛ ليعتاد عليها الناس، ويعكفوا عليها ﴿فَلَا﴾: أداة نهيٍ تغيد طلب عدم الفعل ﴿يُنَازِعُونَكَ﴾: أيها الرسول، هو الجدل والاختلاف وما يتبعه من صراع، في بعض الأحيان، مشركو قريش ﴿فِي الْأَمْرِ﴾: في شريعته وما أمرك الله ﷻ به من مناسك؛ فلا تتأثر بنزاعك معهم، ولا تتصرف عن شريعته ومنهجك ﴿وَ﴾: عطفاً على ذلك ﴿اِذْعُ﴾: أطلب من الناس ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ﴾: هو ﷻ المعبود، والمُرَبِّي، وهو المنشئ لكلِّ شيء في الكون من طورٍ إلى طورٍ إلى حدِّ التمام، وهو الخالق، والمالك، والعاطي، وكثيرُ الخير، والمُحيط، والمُدبِّر، والجابرُ لكسر البرايا، والثابت، والقريب، والجامع، والمصلح، والسيدُ عليهم أن يؤمنوا بالله ﷻ وبنبيّه ﷺ ﴿إِنَّكَ﴾: بالتأكيد

﴿ل﴾: حرفٌ تخصيصٍ ﴿عَلَى هُدًى﴾: جاء اللفظ القرآني هدى على سبعة عشر وجهًا، هنا بمعنى دين. انظر [البقرة-١٢٠] إِنَّكَ عَلَى دِينِ الْحَقِّ، وَبَصِيرَةٌ ﴿مُسْتَقِيمٌ﴾: معتدلٌ صحيحٌ؛ يُحَقِّقُ لَكَ مَا تَرِيدُ بِفَضْلِ اللَّهِ ﷻ بِأَقْصَرِ الطَّرِيقِ.

﴿وَأَنْ جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (٦٨)

﴿و﴾: عطفاً على ما سبق ﴿إِنْ﴾: إذا ﴿جَادَلُوكَ﴾: أصرّوا على جدالك، وخالفوك، بالباطل في الحقائق التي جاءتك من ربك ﴿ف﴾: حرف يفيد السرعة ﴿قُل﴾: أخبرهم ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ﴾: يعرف فهو ﷻ صاحب العلم الكامل، والحقيقة كاملة ﴿بِمَا﴾: اسم موصول هنا بمعنى الذي ﴿تَعْمَلُونَ﴾: هذا تهديدٌ شديدٌ ووعيدٌ أكيدٌ، قل لهم إن الله ﷻ يحصي عليكم قولكم، وكيدكم، وهو ﷻ متكفلٌ ببطلانه.

﴿اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ (٦٩)

﴿اللَّهُ يَحْكُمُ﴾: سيحكم الله ﷻ حكمه ﴿بَيْنَكُمْ﴾: بين المؤمنين والكافرين ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾: اليوم الذي سيفصل فيه الله ﷻ بين العباد؛ فإما نعيمٌ مقيمٌ، وإما عذابٌ مقيمٌ، إنَّ المشكلة في الكفّار أنهم لا يؤمنون، أو لا يريدون أن يؤمنوا بيوم القيامة ﴿فِيمَا﴾: في الذي ﴿كُنْتُمْ﴾ في الحياة الدنيا ﴿فِيهِ﴾: بشأته وحقيقته ﴿تَخْتَلِفُونَ﴾: موضوع الحكم في الاختلاف بين الإيمان والكفر، بين التصديق بالدين وبالرسل، وبين إنكاره، بين ما يريد الله ﷻ، وبين ما يريد الشيطان.

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (٧٠)

﴿أَلَمْ﴾: حرفٌ استفهامٍ بغرض التقرير واليقين من الرسول ﷺ ﴿تَعْلَمُ﴾: قد علمت ذلك يا محمد وقد حدث هذا وعليك أن تُخبر ما قد علمت يا محمد ﷺ، و يا أتباعه وتيقنتم يا من أنتم بعده من العلماء والدعاة، فالخطاب لكلٍّ واحدٍ ﴿أَنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا﴾: الذي من جنس غير العاقل ﴿فِي السَّمَاءِ﴾: في كلّ ما علا الأرض وأحاط بها، علمًا كاملاً قد أثبتته في اللوح المحفوظ ﴿و﴾: أيضًا يعلم كلّ ما في وما على ﴿الْأَرْضِ﴾: يُخْبِرُ اللَّهُ ﷻ عن كمال علمه الذي أحاط بما في السموات، وبما في الأرض، وكان ذلك قبل خلقه ﷻ لها، وكتب ذلك في اللوح المحفوظ، عليكم أن تعلموا، قال ﷻ: كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِحَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ: وَعَرَّشَهُ عَلَى الْمَاءِ (١)

(١) صحيح مسلم ٢٠٤٤/٤ (٢٦٥٣).

﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار ﴿ذَلِكَ﴾: إشارة للبعيد ﴿فِي كِتَابٍ﴾: قال ﷺ: إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ قَالَ: رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ<sup>(١)</sup>، وهذا من تمام علمه، علم ماذا ستعمل الخلائق قبل أن تعمل ﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾: جاء اللفظ القرآني يسير على ثلاثة أوجه؛ هنا بمعنى هين أحاط بكل شيء إحاطة الذي صنع، هذا يسيرٌ عليه، قال للعلم اكتب؛ فكتب، لم يذهب ليسأل، ولم يبحث في بحوث.

﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾ (٧١)

﴿و﴾: عطفاً على ذلك ﴿يَعْبُدُونَ﴾: يطيعون ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ وبيان لتمييز النوع يفيد هنا ابتداء الغاية المكانية ﴿دُونِ﴾: غير ﴿اللَّهُ مَا﴾: حرف يدلُّ على غير العاقل كالأصنام، دون دليل يُوجب العبادة لهم ﴿لَمْ﴾: حرف نفي ﴿يَنْزِلُ بِهِ سُلْطَانًا﴾: ما ليس له حُجَّة، ولا برهان، ولا دليل على حق عبادتها ﴿و﴾: أيضاً يعبدون ﴿مَا﴾: الذي من جنس غير العاقل مثل الحجر ﴿لَيْسَ﴾: فعل ماضٍ ناقص يفيد النفي ﴿لَهُمْ﴾: تمليكاً ﴿بِهِ عِلْمٌ﴾: ولم يُبين على علم، بل أطاعوا ما اختلقوه بتباع السلف، بلا تفكير، أو تدبير ﴿وَمَا﴾: أيضاً نفي أن ﴿لِلظَّالِمِينَ مِنْ﴾: بعض ﴿نَصِيرٍ﴾: من فعل ذلك فهو في حكم الله ﷻ ظالمٌ لنفسه في الأساس، ولن يجد من ينصره مما سينزل عليه من عقابٍ في الدنيا، وما سيصيبه من عذاب يوم القيامة.

﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتُلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلْ أَفَأَنْبِتُكُمْ بِشَرِّ مِنْ ذَلِكَ النَّارِ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ (٧٢)

﴿و﴾: عطفاً على ما سبق ﴿إِذَا﴾: حرف ظرفٍ لما يُستقبل من الزمان، يُفيد معنى الشرط وهي أداة ربط ما بعدها بما قبلها ﴿تُلِيَتْ﴾: إذا قرأت أو ذكرت ﴿عَلَيْهِمْ﴾: فسمعوا ﴿آيَاتِنَا﴾: ما جاء في القرآن الكريم من البيّنات، والأدلة الواضحة من عند الله ﷻ، فيها البراهين والحجج ﴿بَيِّنَاتٍ﴾: واضحة الدالة على ضرورة توحيد الله ﷻ ﴿تَعْرِفُ﴾: تدرك وتلاحظ ﴿فِي وُجُوهِ﴾: ملامح، تعابير الوجه الدالة على الكره وعلى ما في نفوس ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد هنا جميع مَنْ ﴿كَفَرُوا﴾: تشاهد على وجوههم انفعالاتهم، وما يدور في رؤوسهم، مرسوماً في ملامحهم تفيد ﴿الْمُنْكَرَ﴾: ما يرضى به الإنسان مثل رفض الحق، والكفر، والعناد، والكره،

<sup>(١)</sup> سنن أبي داود ٢٢٥/٤ (٤٧٠٠)، قال الألباني: صحيح.

والحقد، وهذا ما ينكره الله ﷻ عليهم **﴿يَكَادُونَ﴾**: يُوشكون من شدة الغضب **﴿يَسْطُونَ﴾**: يثون، ويبطشون، ويبسطون، يمدون أيديهم وألسنتهم وأسلحتهم بالأذى والضرر **﴿ب﴾**: باء التعددية **﴿الَّذِينَ يَتْلُونَ﴾**: يقرأون **﴿عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا﴾**: الرسل عليهم السلام، وأتباعهم من المؤمنين الذين يحاجونهم بآيات الله ﷻ الدالة على صحة دينهم **﴿قُل﴾**: أمر رباني للقول **﴿أ﴾**: حرف استفهام يفيد الاستنكار **﴿ف﴾**: لهذا السبب وبدون تأخير **﴿أُنَبِّئُكُمْ﴾**: أخبركم بالذي سيكون في المستقبل **﴿ب﴾**: باء السببية **﴿شَرِّ﴾**: قل يا محمد، ﷺ: وأتباعك من بعدك؛ هل أخبركم بما هو أكثر شراً **﴿مِنْ ذَلِكَ﴾**: اسم إشارة للبعيد أكثر شراً من غيظكم؟ **﴿النَّار﴾**: هي جهنم وعذابها ونكالها، وما هو أشد بما تخوفون وتهددون به أولياء الله المؤمنين في الدنيا؟ **﴿وَعَذَابُهَا﴾**: أعداها وتوعد **﴿اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾**: موعدهم أيها الكفار النار، وعدا حاصلًا لا محالة **﴿وَبِئْسَ﴾**: شرٌّ، وضررٌ وسوءٌ **﴿الْمَصِيرُ﴾**: هذا أسوأ مصير وأردل مال، وخاتمة وعاقبة، وأسوأ مرجع ومقام.

**﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ (٧٣)**

**﴿يَا أَيُّهَا﴾**: كلمة تواصل بين المُنَادِي وهو الله ﷻ والمُنَادَى عليه وهم **﴿النَّاسُ﴾**: دعوة ربانية إلى الناس كافة، المؤمن والكافر، والمنافق، والفاسق **﴿ضُرِبَ﴾**: ذكر الله ﷻ **﴿مَثَلٌ﴾**: تشبيه للفهم والتوضيح **﴿ف﴾**: لهذا السبب وبدون تأخير **﴿استَمِعُوا لَهُ﴾**: يضرب الله ﷻ مثلاً على سُخْفٍ وجهل من يعبد من دون الله ﷻ شيئاً من أصنام، أو أوثان، أو أفكار بشر، أو برامج أحزاب، أو غيرها؛ اسمعوا، وفكروا، وتأملوا، واستخدموا عقولكم، لتفهموا الحقيقة **﴿إِنَّ﴾**: حرف تأكيد ونفي الشك والإنكار **﴿الَّذِينَ﴾**: اسم موصول يفيد جميع مَنْ **﴿تَدْعُونَ﴾**: تعبدون وتطيعون **﴿مِنْ دُونِ﴾**: غير **﴿اللَّهِ لَنْ﴾**: حرف نفي **﴿يَخْلُقُوا﴾**: يوجدوا من غير سابق وجود **﴿ذُبَابًا﴾**: لن يخلقوا واحدة من مخلوقات الله ﷻ الصغيرة؛ وهي الذبابة **﴿وَلَوْ﴾**: حرف يفيد الاستحالة **﴿اجْتَمَعُوا لَهُ﴾**: حتى لو وُحِدوا جهدهم كله، وعلمهم، وخبرتهم، هم ومعبوداتهم **﴿وَإِنْ﴾**: حرف شرط **﴿يَسْلُبْهُمُ﴾**: وإذا أخذ منهم **﴿الذُّبَابُ شَيْئًا﴾**: إن يسلبهم شيئاً مثل قذى عيونهم، أو من عرقهم أو بقايا طعامهم **﴿لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ﴾**: لن يستطيعوا أن يستردوه من الذباب، الذي هو من أضعف مخلوقات الله ﷻ وأحقرها **﴿ضَعُفَ﴾**: ظهر واتضح ضعف **﴿الطَّالِبِ﴾**: قال ابن عباس: الصنم أو المعبود، وقال السدي: الطالب هو العابد **﴿و﴾**: أيضاً ظهر واتضح ضعف **﴿الْمَطْلُوبِ﴾**: قال ابن جرير: هو الذباب الذي أخذ منهم شيئاً.

﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (٧٤)

﴿مَا﴾: حرف نفي ﴿قَدَرُوا﴾: والحديث يعني المشركين الذين لم يُعظّموا الله ﷻ حقّ تعظيمه عندما جعلوا له شركاء ﷻ هو ﴿اللَّهُ﴾: ﷻ، وعزّته، وعظّمته؛ حتى يعبدوا غيره ﴿حَقَّ قَدْرِهِ﴾: القدر الحقيق الذي يستحق أن يُطاع ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشكّ والإنكار ﴿اللَّهُ لَقَوِيٌّ﴾: الذي خلق كلّ شيء؛ بقوته خلق كلّ شيءٍ ﴿عَزِيزٌ﴾: لا يُمانع، ولا يُغالب لعظّمته، وسلطانه، وقهره للكافرين؛ بخلاف آلهة المشركين؛ التي هي جماد؛ لا تنفع ولا تضر، ولا تقدر على شيء.

﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ (٧٥)

﴿اللَّهُ يَصْطَفِي﴾: يختار ﴿مِنَ﴾: بعض ﴿الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا﴾: مثل جبريل ﷻ، ليسخرهم في تحقيق ما شرّع وشاء وقدر ﴿و﴾: أيضًا يصطفي ﴿مِنَ﴾: بعض ﴿النَّاسِ﴾: ويختار من النَّاسِ رسلًا إلى النَّاسِ، جاء في المعنى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام-١٢٤] ﴿إِنَّ﴾: حرف تأكيد ونفي الشكّ والإنكار ﴿اللَّهُ سَمِيعٌ﴾: يسمع كلّ شيءٍ في قلب صاحبه، خُفّت صوته، أو علا ﴿بَصِيرٌ﴾: مُطَّلِعٌ على كلّ شيءٍ، صَغُرَ حجمه أو كَبُرَ في السموات والأرض.

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ (٧٦)

﴿يَعْلَمُ﴾: علم اليقين ﴿مَا﴾: الذي من جنس غير العاقل ﴿بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾: وهو ﷻ يعلم ما بين أيدي ملائكته ورسله من قبل أن يخلقهم، ويعلم ما سيواجهون في مستقبلهم، ماذا سيقول لهم النَّاسِ، وما سيفعلون بهم، وما سيقولونه فيما سمعوا من الرسل، إيمانًا، أو كفرًا ﴿وَمَا﴾: الذي ﴿خَلْفَهُمْ﴾: ما يكون مصيرهم من أمر الآخرة ﴿و﴾: عطفًا على ذلك ﴿إِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾: كلّ شيءٍ عائدٌ إليه ﷻ، رقيبٌ وشهيدٌ على ما قال الرسل، وما قال النَّاسِ للرسول؛ حافظٌ لرسله، وناصرٌ لهم، ومُذَلٌّ للمشركين والكافرين إن شاء في الدنيا، ومعذبهم في الآخرة.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (٧٧)

﴿يَا أَيُّهَا﴾: كلمةٌ توصل بين المُنادي وهو الله ﷻ والمُنادى عليهم وهم ﴿الَّذِينَ﴾: اسمٌ موصولٌ يفيد جميع مَنْ ﴿آمَنُوا﴾: أيها المؤمنون بالله ﷻ وملائكته وكتبه وبمحمّدٍ ﷺ: ﴿ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا﴾: أي أقيموا الصلاة؛ ففيها الركوع، والسجود، وبقية هيئات تمام الصلاة، وهي أشرف العبادات ﴿وَاعْبُدُوا﴾: أطيعوا ﴿رَبَّكُمْ﴾: مالك أمركم كلّه، أطيعوه في العبادات



والمعاملات ﴿وَأَفْعُلُوا﴾: قوموا بفعل ﴿الْخَيْرِ﴾: كل ما أمر الله ﷻ به أن يفعل ﴿لَعَلَّكُمْ﴾: تفيد التوقع والترجي عند البشر ﴿تُفْلِحُونَ﴾: تغوزون وتتجحون في الدنيا والآخرة.

﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مَلَّةً أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ (٧٨)

﴿و﴾: عطفاً على ما سبق ﴿جَاهِدُوا﴾: جاءت بمعنى القتال في سبيل الله ﷻ ضد الكفار، ودافعوا عن بلادكم بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم مخلصين له الدين، وأيضاً جاهدوا أنفسكم وقوموا قياماً تاماً بأمر الله ﷻ، وجاء اللفظ القرآني الجهاد على ثلاثة أوجه، هنا بمعنى العمل، وجاء المعنى نفسه في قوله ﷻ ﴿وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [العنكبوت-٦]، وفي قوله أيضاً ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت-٦٩] ابذلوا العمل، والجهد، في العبادات، والمعاملات، والدفاع عن الدين ﴿فِي اللَّهِ﴾: في سبيل الله ﷻ؛ ونشر دعوته، ﴿حَقَّ جِهَادِهِ﴾: خالصاً لله بالمال والكلام والنفس بأقصى درجة ممكنة ﴿هُوَ﴾: في اللغة يعني ضميراً منفصلاً مرفوعاً للغائب المفرد المذكور، والمقصود هنا هو الله ﷻ ﴿اجْتَبَاكُمْ﴾: لقد اصطفاكم الله ﷻ، واختاركم لدينه وعبادته ونصرته، على سائر الأمم، وخصكم بأعظم نبي، وأكرمهم، وخصكم بأكمل شرع ﴿وَمَا﴾: حرف نفي ﴿جَعَلَ﴾: فرض ﴿عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ﴾: في العبادات والتكليف ﴿مِنْ﴾: حرف جرّ وبيان لتمييز النوع يفيد هنا ابتداء الغاية ﴿حَرَجٍ﴾: لم يضيق عليكم وما كلفكم ما لا تطيقون، ولا حملكم الذي يصعب عليكم وما ألزكم بشيء يشق عليكم؛ بل جعل لكم من كل هم فرجاً، ومن كل ضيق مخرجاً مثل ﴿مَلَّةً﴾: دين ﴿أَبِيكُمْ﴾: جدكم ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾: وسع عليكم في الدين كتوسعة ملّة أبيكم إبراهيم، لتلتزموا ملّته ﷺ، ﴿هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ﴾: قال ابن عباس: الله عزّ وجل سماكم المسلمين، وقال ابن أسلم: إبراهيم ﷺ، هو الذي سماكم المسلمين ﴿مِنْ﴾: حرف بيان النوع وتمييزه، ويُفيد هنا بداية الغاية الزمانية ﴿قَبْلُ﴾: في الكتب التي سبقت: التوراة، والإنجيل، وفي الذكر من قبل هذا القرآن ﴿وَفِي هَذَا﴾: الكتاب؛ وهو القرآن ﴿ل﴾: حرف علّة وسبب ﴿يَكُونُ الرَّسُولُ﴾: محمد ﷺ ﴿شَهِيدًا عَلَيْكُمْ﴾: يشهد ﷺ على الناس أنه بلغ الرسالة، وأنّ المسلمين آمنوا به، وصدّقوه، وجاء في المعنى ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة-١٤٣]

﴿و﴾: أيضًا ﴿تَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾: جاء اللفظ القرآني النَّاس على تسعة أوجه؛ هنا بمعنى شهداء الرُّسل خاصَّة؛ لأنَّكم أشرف الأمم، وأسيادهم، ستقبلُ شهادتكم على الأمم يوم القيامة، ويشهد الرسول ﷺ على ذلك ﴿ف﴾: لهذا السبب وبدون تأخير ﴿أَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾: قابلوا نعمة الله ﷻ العظيمة بشكرها، وذلك بإقامة الصلاة؛ تأديتها على الوجه الذي يُرضي الله ﷻ ﴿وَأْتُوا الزَّكَاةَ﴾: ادفعوا الزكاة لمستحقيها، وهي الركنُ الثاني المهم بعد الصلاة ﴿وَاعْتَصِمُوا﴾: استعينوا، وتقووا، وتوكلوا، اجعلوه ﷻ عصمةً لكم مما تحذرون والتجنُّوا إليه في جميع أموركم ﴿بِاللَّهِ هُوَ﴾: اسم إشارة للمفرد ﷻ ﴿مَوْلَاكُمْ﴾: ناصركم، ومتولي أموركم، الحافظُ، والناصرُ، والمؤيدُ لكم على أعدائكم ﴿فَنِعْمَ﴾: أكرم، وأفضل، وأعظم ﴿الْمَوْلَى﴾: المحبين، والناصرين ﴿وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾: خيرُ الناصرين والمؤيدين على الأعداء.

التكليف: بدراسة مقاصد هذه السورة الكريمة؛ نتبين عظمة الخالق ﷻ، وضرورة التسليم الكامل له.